

عاصم المصري
الأبجدية ودلالاتها
النظرية والتطبيق

الأَبْجَدِيّةُ ودَلالاتُها

النّظريّة والتّطبيق

الكتاب: **الأبجديّة ودَلالاتُها**

المؤلّف: عاصم المصري

النّاشر: دار كنعان للدراسات والنشر والخدمات الإعلاميّة

ص ب (٤٤٣) دمشق- سورية

هاتف: ٢١٣٤٤٣٢ ١١ ٩٦٣+

فاكس: ٣٣١٤٤٥٥ ١١ ٩٦٣+

e-mail: said.b@scs-net.org

التوزيع: الفرات للنشر والتوزيع:

بناية رسامني - شارع الحمراء

ص. ب: ٦٤٣٥ / ١١٣ بيروت- لبنان

هاتف: ١٧٥٠٠٥٤ (٩٦١)+

فاكس: ١٧٥٠٠٥٣ (٩٦١)+

e-mail:alfurat@alfurat.com

تصميم الغلاف: حسن عقل

الطّبعة الأولى: ١٠٠٠/٢٠١٣

الرّقم الدّولي: ISBN ٩٧٨-٩٩٣٣-٤٣٤-٩٤-٦

عاصم المصري

الأَبْجَدِيَّة ودَلالاتُها

النّظريّة والتّطبيق

إهْدَاء

إلى أبناء الـ(ض-ا-د)

وعْيَاً لِمَعنى الالتِزامِ والمُمَانَعَةِ في مَدْلولِها،

وإلى لِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبينٍ كُرْمى لِلأحفاد.

كَلِمَةُ شُكرٍ

ما كان لهذا العمل أنْ يُفكَّرَ به، لَوْلا تَعنيفٌ كُنتُ أتَلقّاهُ في صِغَري من عَمّي عبد الرّؤوف المصري (أبو رزق) في محاولَة منه تصحيحَ نُطقيَ لمخارج حُروف الكَلمات. منه فهمتُ مَثلاً، الفرقَ بين العرْض والعَرْض والعُرْض، وأدركتُ أنّ الجَنَّةَ غيرُ الجُنَّةِ والجِنَّة، وأنّ الأَرْبعاءَ تختلفُ دَلالةً عن الأَرْبُعاء والأرْبَعاء.

وما كان ليبدأ لَوْلا أنْ لَفتَ نظري صديقٌ إلى مخطوطة المرحوم عالم سُبيط النّيليّ، وذلك أثناء تداولنا في معاني حروف الأبجَديَّة، تزامنت وحضوري مُناقشة رسالة ماجستير لمحمد عَقل، عنوانُها (أبجديَّةُ القرءَان من مملكة سَبأ).

وما كان من مجالٍ لمتابعته لَوْلا تشجيع أصدقاء يشاركونني همَّ لُغة الضّاد، منهم محمود طُقش المُقيم في عمّان. وما كان لي أنْ أفاعل جَدَليَّة تناقض مُسمَّى الحرف لَوْلا تبادل الآراء في البدايات مع العديد من معارفي. وما كان ليأخذ مساره لولا مساهمات ابني غسّان بتوفير مراجع قيّمة، أضاءت منهجيّة البحث.

وما كان ليعدلَ مَسلكه لَوْلا قراءات نقديَّة تدقيقيَّة ومُعمَّقة لزوجتي فطام والباحث محمود بغدادي والشّاعر محمد صارم، ولَوْلا المواكبة النّهائيَّة لكلٍّ من الصَّديقين محمد عَقل تبويباً وتهذيباً، وسعيد البرغوثي تنقيحاً ونشراً. وما كان ليتأنَّق لكي يطلّ بحُلَّته في أرفف المكتبات لَوْلا إبداع الفنّان حسن عَقل.

وما أحسبُ أنّه سيجد سبيلَه إلى التكامل والإتمامِ إذا لم يتابعه القارئُ بالتصحيف والإضافة، إكراماً للأجيال الآتية.

إلى هؤلاء جميعاً شكري وأمتناني.

عاصم المصري

معاني حروف أبْجَديَّة اللُغة العَربيَّة (مُرتَّبة حسب النّشأة)

الترتيب	الشكل	المسمّى	المعنى الحركيّ للحرف
١	ء	الهمزة	تهمزٌ وتحفّزٌ حركة الحرف ذهاباً وإياباً.
	ا	الف المد	تأليفٌ إنشائيٌ وجوديٌ من تعامد بين حركتي الزّمان والمكان
٢	ب	باء	انبثاقٌ يفتح المجال من مَكْمَن الطّاقة وإلحاح الحاجة
٣	ج	جيم	دمجٌ وجمعٌ لِمَا تناثر وما تفاقم
٤	د	دال	اندفاعٌ قصديٌ الدّلالة بالحركة لأبعد مدى
٥	هـ	هاء	انتقالٌ محمولٌ غير مستقر، فإذا استقرّ جذب
٦	و	واو	تموضعٌ مكانيٌ يحدّد حيّز الحركة
٧	ز	زاء	إبرازُ تكرار الحركة ماديّاً.
٨	ح	حاء	نَماءٌ مُتعاظمٌ من داخل الحركة
٩	ط	طاء	تضخّمٌ احتوائي واجتذابٌ داخليٌ للحركة
١٠	ي	ياء	ملازمة الحركة في البُعد الزّمنيّ المستمر.
١١	ك	كاف	تكتلُ ما تآلف وتوافق في إطار ومحتوى
١٢	ل	لام	تلاحمٌ وتوصيلٌ لنسج حركة جديدة
١٣	م	ميم	تكميل النّواقص لإتمام العمل والحركة
١٤	ن	نون	تكوينٌ مستمرٌ لحركة مستقرّة مكاناً وزماناً.
١٥	س	سين	هيمنةٌ وبسط نفوذ فوقيٌ متعالي
١٦	ع	عين	مُعاينةٌ داخليّة وخارجيّة للمبهم في الحركة ووجهتها.
١٧	ف	فاء	فصلٌ وتفريقٌ للتمييز والبت في وجهة الحركة
١٨	ص	صاد	ترابطٌ وتراصٌ وتفاعلٌ في الحركة ودلالتها.
١٩	ق	قاف	قوّة فصل لبيان وتقفّي أثر الحركة
٢٠	ر	راء	تكرارٌ للحركة بشكل مُنظّم يستبطن المحاذير.
٢١	ش	شين	تشعّبٌ وانتشارٌ للحركة من أرومة يضمر التضليل
٢٢	ت	تاء	اجتذاب الحركات وتكاثفها لبناء قوّة جديدة
٢٣	ث	ثاء	تكاثرٌ كمّي بثبات وتريث متابع
٢٤	خ	خاء	خروجٌ مُبطّن لإخماد الحركة وكبت جماحها في مكانها.
٢٥	ذ	ذال	تذليل مرور وتواصل الحركة حسيّاً بالتحامها بالأصل
٢٦	ض	ضاد	الالتزامُ بعدمِ الانحراف أو الميل عن القصد.
٢٧	ظ	ظاء	تعاظم ظُهور الحركة واتضاحها في تضخيم الظّاهر.
٢٨	غ	غين	تمويه ظهور الحركة وبيان مقصدها، بإخفاء معالمها.

تقديم

محاولات تؤسّس لِرُؤْيةٍ لُغَويَّةٍ

«**الأبجديَّةُ ودَلالاتُها**» عُبورٌ مَكينٌ في عوالم اللُّغة من مَداخلها، يبدأ البحثُ من صوت الحرف ومَخارجِ نُطقه وترتيب مُسمّياته، وتأتي الدّلالةَ من ضمن رُؤية ومنهاج (آليَّين)، يستتبعان الحرف العربيَّ ويكشفان ماضي مضامين الحرف عينه من إمكانات ودلالات ذاتيَّة كامنة فيه. بُنية الحرف ودلالاتُه واحدة لكشف الثُّنائيّ والثُّلاثيّ والزَّوائد. هذه رُؤية كانَ بدأها عالم سُبيط النّيليّ، لكنَّها لم تخرج عن مفهوم ما يسمّيه النِّيليُ «القصديّة»[1] في اللُّغة مقابل «الاعتباطيَّة»[2]. تركّز القصديّة على معاني حركات حروف أبجديّة اللُّغة العربيّة، متناولة المعنى الحركيّ لكلّ حرف، توصّلاً إلى المعنى العام للكَلِمَة الواحدة، مهما كان نوعها.

---

(١) «القصديّة»: تفسير جديد لظهور الأصوات بآلة النطق قائم على احتمالات التغيير في مراكز الحركة والرّبط بين الأصوات وأحرف العلّة وقيمة ظهورها في الألف (ومنه الياء والواو) والكشف عن المعاني الحركيّة للأصوات وكذلك إظهار الدّلالة الحركيّة الثابتة لكلّ تعاقب قبل الاستعمال بالوصول إلى تفسير موحّد ونظام موحّد، (بتصرّف) النّيليّ، عالم سُبيط، **اللّغة الموحّدة**، تفنيد المبدأ الاعتباطيّ وتأسيس مبدأ القصديّة في علم اللّغة العام، دار المحجّة البيضاء، بيروت، ط١، (١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م)، ص ص. ١٤-١٥.

(٢) «الاعتباطيّة»: تسمية مشتقّة من عبارة «المبدأ الاعتباطيّ» التي أطلقها العالم اللّغويُ السّويسريّ الشّهير فردينان دوسوسير (١٨٥٧-١٩١٣)، وقرّر أن هذا الأمر وإن كان متناقضاً على نحو ما مع علم اللّغة إلّا أنّه بالفعل لا منطقي وعليه يمكن تأسيس علم للّغة على هذا المبدأ. وهذا «الاعتباط اللّغويّ» أدّى إلى «اعتباط فكري» عام. (بتصرّف) «**اللّغة الموحّدة**»، من ص ص. ٨-٩.

وإذا كان النّيليّ توصّل إلى طبيعة حركات عشرة حروف في العربيّة، وتوفّي دون استكمال معاني حروف الأبجديَّة كافَّة، فإنَّ الباحث عاصم المصريّ عالج ما بدأه النّيليّ وزكي الأرسوزيّ وغيرهما، راداً استنطاق معانيها إلى جدليَّة تناقض حروف مسمَّياتها ورابطاً جدليَّة الحرف بجدليَّة الكون، ليدلَّ على أنَّ سرَّ الحرف كامن فيه. وتابع على مدى أكثر من عشرة أعوام جهد استكمال البحث عن معاني الحروف الثّمانية عشرة المتبقيّة وتوصّل إلى دلالاتها الحركيَّة العامَّة. فالحروف واللُّغة في كتاب «**الأبجديَّة ودلالاتها**» تأسيس متواصل ومفتوح لجدليَّة الحرف العربيّ. والآليَّة مُغايرة لمناهج ومضامين المعاجم والقواميس العربيَّة التقليديَّة السّائدة. البحث ليس في تاريخيَّة الحرف أو معنى الكَلمَة أو الفعل؛ بل هو في عمق الدَّلالة وفي أساس تكوين الحرف عينه وطبيعته وتراكيبه. الكَلمَةُ على هذا الأساس الجديد هي التي تفصح عن ذاتها من خلال معرفة حركيّة حروفها وتراكيبها.

مصطلحات جديدة في عالم «**الأبجديّة ودلالاتُها**»، مثل: «الزَّمكانيَّة» كالبحث الممتع في عوالم الألف (الواو المكانيّة والياء الزَّمانيَّة) في إنشاء متعامد بين حركتي الزّمان والمكان العموديَّة والأفقيَّة. فبدل أن يبحث القارئُ عن معنى الكَلمَة في كتب اللّغة وأغوار رحلات العرب والأعراب، فالرِّحلة هنا مختلفة لأنَّها تتخذ من الحروف مراكب للاتصال والتوصيل وفتح الآفاق أمام فقه المعنى وفقه اللُّغة. فتبدو بذلك اللّغة طازجة حيويّة. من هنا كانت «الحركيّة» و«التشكُّل» ونظام «المدارج والمعارج»، والفارق الدّقيق بين الكَلم والقول والوحي، وأهميّة «السّياق» و«اللِّسان» قريبة من طريقة زكي الأرسوزي[٣] ونظرية اللُّغة العربيَّة الطبيعيَّة. إلّا أنَّها هنا محاولة جادَّة من الباحث عاصم المصريّ لتأسيس نظريَّة مستحدثة تدخل تفاصيل دقيقة لإبراز قوّة شخصيَّة اللُّغة العربيَّة كوجود (أنطلوجيّ) حاول إيزوتسو[٤] خوض غماره، لكنَّ المصريَّ نجح في نظرة بنائيّة ترى بعين الحرف ونبض اللُّغة وعين البحث المفتوح على حقائقها البعيدة الغَور.

---

(٣) الأرسوزيّ، زكي: **المؤلّفات الكاملة**، مج ١، مط الإدارة السياسية والقوات المسلحة، دمشق، ط١، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م، ص ص. ٧١-٧٦.

(٤) إيزوتسو، توشيهيكو: **الله والإنسان والقرءان: علم دلالة الرّؤية القرءانية للعالم**، ترجمة هلال محمد الجهاد، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت ط١، ٢٠٠٧م، ص ص. ٣٢-٣٣.

لكي تأتي هذه المحاولة بفوائد عَمَلانيَّة، وضع الباحث دليل ميزان الحركة الزَّمكانيَّة في الحروف وخصوصاً الاشتقاقات؛ ليظهر أهمِّيَّة هذه الخاصيّة الكبرى التي امتازت بها العربيَّة. وكأنَّ البحث للمرَّة الأولىَ في تاريخ الأبحاث اللُغويَّة، كشَفَ طِبْقاً لجدليَّة الحرف مَسارَ خارطة اللُغة التي تتبع كلمات لا مُبدِّل لها، وتقول بِبساطة إنَّ الدِّراسات اللُغويَّة التي أُسِّست على نظريات مُسبقة التجهيز لم تعد ممكنة بعد الآن. ولتوضيح ذلك نقول: إنَّه لو أخذنا مُجرَّد حرفين بشكل اعتباطيّ (الفاء والرّاء: ف–ر) في اللّغات اللّاتينيَّة، يبقى هذا الخيار اعتباطيّاً لا ينتج عنه إلّا معنى اعتباطيّ غير مفسَّر، بل هو لا يعني شيئاً في نظر دوسوسّير، بينما نرى أنّ هذين الحرفين يدلّان على مسائل غاية في الأهمّيّة وهي:

١. المعنى الحركيُ لحرف الفاء (الأحاديّ) كامن في جدليَّة مُسمّاه المؤلّفة من (ف–ا–ء) وهو السّر في توازن تناقضه، ودوره في صياغة التسلسلات اللُغويّة، وهذا لَهُ مُؤشّر دلاليّ لافت وهادف.

٢. المعنى الحركيُ لمضمون الحرفين (ف–ر) يكشف عن كوامن هذا الثُّنائيّ في حركيَّته التأليفيَّة والمعجميّة الجديدة، ومعانيها المتكاثرة: الثُّنائيّ، والثُّلاثيّ، بتكرار (الرّاء) كحرف مُشدّد إلى المعاني الذّاتيّة- الكامنة التي تفتح أبواب اختيار الحرفين واستعمالهما في المكان والقصد والغاية.

٣. قلب تسلسل (ف–ر) إلى (ر–ف) تتجلّى جدليّة حركيّة الحرفين في توازن تناقض المعنى. المعنى الحركيّ للثنائيّ المتكرّر (فر–فر) وهو تشكيل رباعي ناشئ من الثنائي، ومنها: الفرفرة للطائر مثلاً وهي خير معبّر عن المعنى الحركيّ المنتظم.

فالمعاني: الأحادي، والثنائي، والثلاثي، والرّباعي (الثنائي المتكرّر) متعدّدة (يمكن مراجعتها في تصنيفاتها، قسم التطبيق من هذا الكتاب). وهذه المعاني تتحوّل إلى معانٍ معاكسة إذا ما قلبنا نظام هذا التشكيل فبدأنا من (ر–ف) وصولاً إلى الثّنائي المتكرّر للحرفين. وهنا ينكشف سرّ آخر للنظام اللُغويّ حين نحصل على معانٍ لثّنائي والثّلاثي والرّباعي من (ر–ف).

إن هذا المثال يُبيّن أهميّة «القصديّة» في اللّغة العربيّة ويكشف عن جانب نظامها الحركيّ المفتوح والمتنامي والدّيناميكي الحي. ونلفت إلى أنّ تقليبات الجذر الثّلاثي لا تشمل اللّعبة الاشتقاقيّة اللّغوية كلّها، بل هي جزء يسير من لعبة البنى المفتوحة من عالم اللُغة الأرحب، إذا ما أدخلنا وبادلنا صيغ الألف الأربعة على حروفها.

أمّا «ميزان الحركات الإعرابيّة»(٥) التي وضعها الباحث فيدلّ على الجدليّة بالزّمكانيّة للحروف. فتبدو الكلمات كائنات حيّة ولودة شفّافة معبّرة. وهذا «الدّليل» يكشف عن طبيعة اللُغة العربيّة. غير أنّ الأبحاث اللّغويّة الغربيّة اتجهت نحو «الفونيتيك» الألسنيّ، على خلاف الأبحاث العربيّة الجادّة ومنها هذا البحث، إذ اتجهت إلى فقه اللّغة وفقه المعنى ومنظومتيهما النّطقية أو بالعكس، للوصول إلى النّتائج عينها أو لكشف المفتوح على التجديد والقراءات الجديدة الحركيّة فعلاً.

هذا الكلام يعني أنّ «**الأبجديّة ودلالاتها**» رُؤية تفتح مجالات المستقبل كخطوط وعناوين عريضة تحمل في طيّاتها هواجس النّهوض باللّغة، بل مكاشفتها ومعرفتها عميقاً. تلك هي الإضافة. هي نظرة التجديد ودليله وميزانه عبر قراءَة جريئة معاصرة لبِنى اللُغة. وهذا ما يؤسّس بدوره لنواة قاموس جديد يقوم على معرفة جدليّة لتراكيب اللُغة وهذه التّراكيب هي عينها بابُ الدّلالة. وبقدر ما يكون هذا الكشف مُعاصراً وكاشفاً بقدر ما يذهب عميقاً في قراءَة التراث اللّغويّ والتّنزيل القُرءَانيّ، وصولاً إلى قراءةٍ عربيّةٍ جديدة. تلك هي روح المعاصرة. فالمعاصرة ترفض الغياب، بقدر ما تعني حملَ هَمِّ الإرث اللّغويّ وبعثه طازجاً وكأنّه يولد كلّ يوم.

هذا البحث محاولة جادّة لفتح العقل العربيّ على مبدأ حركيّة الحياة اللّغويّة وإنقاذها من الجمود والمساهمة في بنائيّة الفكر المعاصر، وهو ما سيساهم لجعل لغة العرب أكثر نضارة وحيويّة تحت الشّمس. وسيُثبّت ولو بعد حين أنّه يؤسّس لقراءة جديدة مغايرة لِمَا هو سائد. وسوف يهزّ السّائد من المفاهيم الخاصّة باللُغة

---

(٥) أنظر: الباب الخامس، وخصوصاً الفصل الأوّل منه والفصل الثاني.

هَزّاً عَنيفاً وعَميقاً. فلا ملاحظات عظيمة وجديدة بدون نظريّة جديدة تفلسف لرؤية الحرف واللُغة. وإذا ما حصل هذا- ونعتقد أنّه سيحصل- سيصبح معه المعجم اللّغوي والدّلالي السّائد مُعجماً روائياً تقليدياً.

«**الأبجديَّةُ ودَلالاتُها**» تعرب عن شخصية اللّغة العربيّة، بما يفتح الباب لإعادة النّظر في نظريات عن اللّغة العربيّة اتخذت طابع المسلّم به؛ متيحة إثراء اللُغة بتوليد اشتقاقات تعتمد جدليّة الحرف وتأليف الكَلِم دونما حاجة إلى استقراض غير متجانس. كما يمكن استرجاع ما اغترب أو أُهمل من كلام العرب على أساس منهجيّة الاستدلال وميزانها المتبّع في هذا البحث. فالعربيّة الحيّة التي تخطّت بناها إثني عشر مليون بناء وجذر لُغوي[٦]، ستتكاثر وتَغْنَى وتصبح أكثر ثَراءً وحركيَّة لتغيّرات في الرّؤية ومنهجيَّة الاستعمال، وتفتح من جديد مجالات معاصرة قويّة وغنيّة وثريّة.

محمّد عقل

بيروت في ٢٠١٢/٠٧/٣١

---

(٦) العلوي، هادي: **مقدّمة المعجم العربيّ الحديث**، ج١، دار المدى، بيروت، ط١، ٢٠١٠، ص (٢٥) وما بعدها.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

إستهلال

حين بدأ الإنسان يبحث عن المعنى، سألَ وتساءَلَ. من الخارج المُبهم حُفُزَ الدّاخل المُغلق. سارع البصرُ والنُّظرُ والرُّؤية، واستُنفر السّمعُ والحواس إلى حيث المجهول لوعي ما أُبهِم وأُغلق. انطلق داخل الإنسان إلى الاتصال بالمحيط دون معنىً يأسره. ربّما استخدم الإشارات باليدين والعينين، وقادته الدّهشة والفزع قبل أنْ تُفصح له آلةُ (ءَالة) النّطق بأصوات الحروف، أو تقول له الأشياء ما لم تكن كَلمات. ردّد الصّوت في ذاته قبل أنْ يصل جرسُها إلى مَسامعه، أخذه المعنى صوتاً، وارتد السّؤال إليه بحثاً عن المعنى في السّؤال، هكذا كان المعنى قبل أنْ يصبح سُؤالاً. وعندما خرج أسره اللّفظ ولم يعد سُؤالاً؛ بل صار معنى.

كثيراً ما تساءلت عن سبب تسوّل بعض النّاشئة عبارات وكَلِمات من لغات غربيّة، اقتحمت ألسنتهم ودُمجت في أحاديثهم: هل صار اللّسان العربيُّ قاصراً ومحتبساً عن استحضار المفردات المعبّرة والمعوّل عليها للوصول بالمعنى، إلى التواصل الحضاريّ؟. ربّما كان أبرز حججهم أنّ لغتنا قديمة غير قابلة لمواكبة مستجدّات العلم والتكنولوجيا، بسبب تعقيدها. تغيّر السّؤال: من أين نبدأ، إلى: هَلْ نبدأ. هل ينبغي تحنيط لُغَةٍ انتهت إلينا من السّلف، بانتظار طائر فينيقها، وهل يتوجّب أن نكون حرّاس المومياء اللّغويّة، متباكين عَجْزاً وقصوراً؟

شاغلتني وشغلتني جدليَّة المعنى، مُستنفَرَةً هذه المرَّة بهاجس فضول التساؤل عنْ سرِّ مُسمّيات حروف الأبجديَّة العربيَّة، مُستنكراً كما الأب أنستاس الكرمليّ[1]: كيف أنّ أمّ الأبجديات لا تستوعب بناتها؟!

---

(١) بطرس جبرائيل يوسف عوّاد، والمعروف بالأب أنستاس الكرملي، لغوي، لبناني عراقي. وضع كتباً مهمة وأبحاثاً جديدة عن اللّغة العربية، كان يرى أن في الخروج على العربيّة خطئاً لا يغتفر. أصدر مجلّتين وجريدة، مولده،

أطلعني صديقٌ على مخطوطة، عنوانها «اللّغة الموحّدة»[1]. تبيّن لي بعد تصفّح محتوياتها، أنّي أمام منهجٍ جديد، ورؤيةٍ غير مسبوقة في النّظر إلى معاني الأبجديّة، وحروف اللّغة العربيّة وغيرها من اللّغات.

كان أنْ استوقفتني من قبل إشارة وردت في مؤلّف لأحمد داود[2] ذكر في أحد فصوله أنّ حروف اللّغة العربيّة، مثلها كمثل الجينات الوراثيّة والنّظام الكونيّ، تؤلّف حركة تركيب مطلقة الاحتمالات. إشارة أخرى استوقفتني للعلّامة الشيخ عبد الله العلايلي في مقدّمة مُعجمه: ***«أنّ العربيّة كالعرية مركّب حركيّ حيويّ قاعدته التفاعل والضرب والجمع الهندسيّ، يتبع طريقة تأليف الكموم المدبّرة لتنتج كيفاً جديداً كالطريقة في تركيب الدّواء والتركيب الكيماويّ لا الآليّ.»***[3] تابعت، أستعرض كلّ الاحتمالات الممكنة لتراكيب الكَلام العربيّ وأحرف اللّغة، مُستعيناً ومُنظّماً في جداول علاقة حروف مُسمّى كلّ حرف ببعضها وفق منهج جدليّة

١٢٨٢هـ١٨٦٦م وفاته ١٣٦٦هـ١٩٤٧م. ألّف معجماً سمّاهُ المساعد يقول عن سبب تأليفه: «منذ أخذنا نفهم العربية حقّ الفهم، وجدنا فيما كنّا نطالع فيه من كتب الأقدمين والمولدين والمعاصرين ألفاظاً جمّة ومناحي متعدّدة، لا أثر لها في دواوين اللّغة.. ولهذا رأينا في مصنّفات السّلف نقصاً بيّناً، فأخذنا منذ ذلك الحين بسد تلك الثغرة..». وقد ظلّ هذا الكتاب مخطوطاً بعد وفاة مؤلّفه، ولم ير النّور إلا في سنة ١٩٧٢م حيث صدر المجلّد الأوّل منه. ترك الكرملي عدداً هائلاً من الكتب لا يزال معظمه مخطوطاً، ومن أهم كتبه المطبوعة: أغلاط اللّغويين الأقدمين، نشر في بغداد سنة ١٩٣٢م، ونشوء «اللغة العربية ونموها واكتهالها»، نشر في القاهرة سنة ١٩٣٨م، والنقود العربية وعلم النميات، ونشر في القاهرة سنة ١٩٣٩م، وحقق عدداً من الكتب، في مقدّمتها: معجم العين للخليل بن أحمد، لكنه لم يكمله بسبب ظروف الحرب العالمية الأولى، ونخب الذخائر في أحوال الجواهر لابن الأكفاني، والإكليل للهمداني. وخلّف ما يزيد على أكثر من ١٣٠٠ مقالة تمثّل جزءاً كبيراً من إنتاجه. حظي الكرملي بتقدير كثير من الهيئات والمجامع العلمية واللّغويّة، فانتخب عضواً في مجمع المشرقيات الألماني سنة ١٣٢٩هـ / ١٩١١م والمجمع العلمي العربي في دمشق سنة ١٣٣٩هـ ١٩٢٠م، واختير ضمن أوّل عشرين عالماً ولغوياً من أوروبا والعالم العربي يدخلون مجمع اللّغة العربية بالقاهرة سنة ١٣٥١هـ١٩٣٢م. المصادر: أنستاس الكرملي. في معبد العربية، بقلم: أحمد تمام- من إسلام أون لاين. نت: البغداديّون أخبارهم وجالسهم، تأليف إبراهيم عبد الغني الدّروبي، مطبعة الرابطة- بغداد، ١٩٥٨م، مجلس الأب أنستاس الكرملي، ص. ٢٠٥.

(١) طُبعت هذه المخطوطة فيما بعد، وهي من مؤلّفات عالم سُبيط النّيلي، دار المحجّة البيضاء، بيروت، ٢٠٠٨م.

(٢) داود، أحمد: تاريخ سوريا الحضاري القديم، ١ المركز، دار المستقبل، دمشق، ١٩٩٤م. ص. ص. ٥٤-٨٤.

(٣) العلايليّ، عبد الله: المعجم، دار المعجم العربيّ، الطبعة الثالثة، بيروت. ص. ١٠.

التناقض، دون أن أنس الرّجوع إلى كتابات ابن عربي في «الفتوحات المكّيّة»، محاولاً فكّ رموزها الصّوفية.

حفّزتني تلك المعطيات إلى التفكّر في المخزون والموروث من كلام العرب، وكشف السّتر عن معاني حروف الأبجديّة. ربّما كانَ فيها ما يجدّد الحياةَ في صوت الحرف العربيّ. عملت على مقاربة ما توصّلْتُ إليه استنتاجات التّدارك المعرفيّ لمعاني أصوات الحروف، واقتراناتها، في تشكيل الألفاظ، ومنطق نُطقها، مستقصياً المدلول الحركيّ. التساؤل المهم والوحيد الذي لازم تفكيري- كمدخل للبحث- هو: لماذا استُخدمت لفظة ما في سياقٍ مُعيّن وليس غيرها، بعد أنْ كان العنوان مقتصر على كيفيّة الاستخدام وأفضله.

هذه المعطيات جعلتني شديد الفضول لمتابعة وإدراك معاني حروف الأبجديّة. ازداد الحماس حضوري مناقشة رسالة «الماجستير» في الجامعة اللبنانيّة ٢٠٠٣م، للصديق محمد عقل الّتي كان موضوعها (أبجدية القرءان من مملكة سبأ). غير أنّي، ولاهتمامات أُخرى، أبقيت ملاحظاتي وجداول المقاربات مسجّلة في أحد ملفّات الحاسوب، أتذاكر موضوعها، من حين لآخر، مع بعض المعارف. عمدت أخيراً إلى تدوين ما كنت قد توصّلت إليه. لم أكن أحسب أنّني قريب جداً من الخروج بمحصّلة ولو مقاربة بالحدّ الأدنى مع ما يتطلبه منهج البحث العلمي. طَفقتْ عوامل التردّد تجاذب الاهتمام إلى أنّ وضعت البحث في أفق تطلّع واستقصاء، لنقل محتواه إلى مختبر الواقع عبر بضع صفحات، سرعان ما تضاعفت مع مرور الوقت. غير أنّي كلّما قاربت ملامسة حركة حرف منها، دفع بي إلى نقيضه، ليريني غير ما أرى. شاغلتني أسرار مسمّيات حروفها بين المكاشفة والمراوغة، فألزمتني قراءَة كلام العرب من خلال ما ورد من معاني في المعاجم وديوان العرب الشّعري، والتذكير بأسباب الاستخدام للتدليل على مصداقيتها كنمط سلوكيّ ثابت في بناء الكلام العربيّ.

اختيار الموضوع

كان تأثير عمّي عبد الرّؤوف المصري (أبو رزق)[1] بمثابة ضابط إيقاع لغويّ دقيق، يحصي عليَّ حركات الحروف. لَمْ أكن أفهم أسرار هذه الحركات، إلّا بعد أن وعيت وتنبّهت إلى أنّ تفسير المفردات بأُخرى هو إجحافٌ بحق اللُغة والمعنى، وأنّ الكَلمة العربيّة هي مرحلة من مراحل حركة الفعل في تشكيله للكلام. وهذا ما جعل التساؤلات تتفاعل حول تفسير القواميس والمعاجم لمعاني المفردات وصيغ استعمالها، حتّى صار التّنزيل القُرءَانيّ يُفسَّر من خلال ما أوردته المعاجم، بدل أن يُراعى الاستخدام القُرءَانيّ نفسه لبيان المعنى الحركيّ للكَلمَة.[2] وبدل أن تكون المعاجم دليلنا للسّهولة والتفسير باتت تجميعاً لروايات تاريخيّة لذاكرة سادت ثمّ بادت. رَدّتني هذه التأمّلات بقوّة إلى جذور الحرف والنّظام الأبجديّ ودلالات مُسمّيات حروفه؛ التي هي بدايات تهجئتنا لها دون وعي لمضامينها. كلّ ما تقدّم جعلني أغوص في البحث عن مسمّيات الحروف رسماً وتأليفاً وإعجاماً وتشكيلاً وتنقيطاً على مدى أكثر من عشرة أعوام متواصلة أكتب ملحوظاتي دون مَللٍ أو كَلل. وجدت أنّ الدّلالة لا تكتسب بالاستعمال وإنّما هي أساس التشكّل الحروفي واللُغوي

---

(١) عبد الرّؤوف المصري (أبو رزق)، محامي وباحث ومؤلّف وشخصيّة طلائعيّة لم ينل ما يستحقه من الاهتمام والتكريم رغم غزارة وتنوّع إنتاجه العلميّ والأدبيّ. درس في مدارس نابلس- فلسطين، وتوجّه إلى الازهر ولم يتجاوز الرّابعة عشر عاماً، وتتلمذ على الشّيخ محمد رشيد رضا وأحمد زكي وعبد العزيز البشري. عاد سنة ١٩٢١ إلى نابلس وعمل معلّماً في بلدة عرّابة. ثمّ رجع إلى مصر وتخرّج من الأزهر والجامعة المصريّة، فانتدب للتدريس في جامعة عليكرة في كلكُتّا بالهند، حيث أُعتُقلَ بتهمة التحريض ضدّ الاستعمار. فتوجّه إلى ألمانيا وعمل مدرّساً للّغة العربيّة في جامعة برلين، ثمّ في جامعة فينّا. ألّف عشرات الكتب منها: ما لا يعلمه النّاس من الاوائل العربيّة. وأعجب أنواع الزّواج. والصّيام في الأمم. وما أهمله التاريخ. وأهمّ مؤلّفات: معجم القُرءَان، رتّب كلماته حسب ورود لفظها في القُرءَان، وأيضاً كُتباً مدرسيّة لتعليم التجويد، ولد في نابلس سنة ١٩٩٦، وتوفّي فيها يوم ١٩\٤\١٩٦٠م.

(٢) المثل الصارخ كان لفظة «ضرب» حيث فُسّر قوله تعالى: ﴿..وَاللأتي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ..﴾ النساء٣٤، بمعنى استخدام العنف، واختلفوا في وصفه إن كان صَفعاً، أم لكماً، أم ركلاً ورفساً، أم ..أم إلخ. بينما موارد التّنزيل استخدمت (ضرب) بمعنى الإغلاق والإحاطة كما في ضرب مثلاً، يضربون في الأرض، ضرب على قلوبهم، فضرب بينهم بسور..إلخ. وعندما أراد التّنزيل أن يدلّ على العنف استخدم أداته كما في: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ..﴾ النور٢. فهل يجوز أن يفسّر التّنزيل بغير موارده؟!

للكلمات، وأنّ الحرف ما هو سوى قوّة حركيّة متفاعلة، دالّة بذاتها ونظامها. عندها انتظم عملي فيما يشبه البحث المُعمّق والمتوازن من الجانبين النّظريّ والتطبيقيّ، فكان هذا الكتاب: «**الأبجديّةُ ودَلالاتُها**».

مُنطلَق البحث في أساسه مُنفَلتٌ من أسْر الشّكل والحدود الأكاديميّة. هو رُؤْية فكريّة تماثل فكّ رموز حروف اللّغات القديمة كنقوش حجر رشيد، والنّقوش الآشوريّة لكلمنصّر، وتنهج قراءة معنى الحرف من خلال تناقض تركيب مسمّى حروفه، كما في مسمّى (أ-ل-ف)؛ أي- الهمزة، واللّام، والفاء-، وهكذا دواليك.

وبما أنّ البحث يضمر فكّ أسر اللُغة من عقال الزّمن فهو بهذا المعنى مُتمرِّدٌ يرفض القيد، ويطالب بمنظور ثوريّ يسمح بفتح المجال للفكر ومفاعلة أدوات المعرفة المعاصرة.

الإشكاليّة

الإشكاليّة الأهم التي يحاول البحث الإجابة عليها هي تأخّر الفكر العربيّ عن إمكانيّة استحداث مفردات ومصطلحات مواكبة للمستجدّات العلميّة الحديثة، صالحة لإيجاد قواعد وميازين يُعتمد الاستدلال بواسطتها لسدّ هذه الثّغرة، إضافة إلى ذلك عدم الوضوح في شرح المصطلحات والكلمات الواردة في التّنزيل القُرءَاني، وإغفال ردّها إلى جدليّة الحرف في بناء الكَلمة، ومنها صيغ كَلمات وألفاظ مثل: قرأ، وكتب، وصلاة بالألف، وصلوة بالواو، والنّفاثات في العقد، وخليل الله، ..إلخ. من هنا بدأ التّساؤل يحرّضني للمتابعة، بطرح السّؤال المناسب، فمن بابه تُفتح مغاليق البصيرة وءَافاق الوعي المعرفيّ.

من أين أبدأ؟ هذا سُؤالٌ جذره (س+أل)، يتضمّن زمنَ ماضٍ ممتد، ومستقبلاً غير متوقّف؛ يتضمّن مكاني في الوجود المعرفيّ والمعرفة في الوجود المُطلق. هذا الجذر يسألني فتح نافذة إلى المُضمَر في (أل) التّعريف، أي النّكرة غير المدركة، إلى باء الإفصاح عن المعنى بفتح المجال. (من.. إلى..)؛ حَرَكَةٌ لم تبدأ المشوار مع أنّها بدْءٌ قبل البدء. غير أنّ ميم (منْ)، أفصحت عن حراك إتمام المعنى في الدّاخل مع نقيضه الخارجيّ إنشاءً بحرف النّون؛ ربّما الأصح هو السُؤال:

(عن)؛ حيث احتلت العين مكان الميم في (منْ) لتبحث عن المُبهم، وليس التكامل والإتمام، ليبقى نون التكوين بيت القصيد في المعاينة والإتمام.

السّؤال المعنيّ الّذي بحثَ (عَن) مَنْ يُسائله؛ هو وجود الخارج غير المُدرك في داخلي، وإلّا لَمَا كانت (أل) فيه هي المُحفِّز، حيث ما من سؤال يستنطق ذاته. المعنى هو الّذي استفزَّ الأنا، وهو في (منْ)، وفي (أين)، وفي (عَنْ)؛ أي في نون التكوين، كامنٌ في المُضمر قبل أن يكشف ستره.

تحقيق معاني الحروف

مُهمّة البحث هي تدارُك درس معاني مُسمّيات الحروف الهجائيَّة العربيَّة، وإدراك المعاني الحركيَّة لأصواتها، وإظهار معيار قوّتها الثّابتة قبل وبعد الاستعمال، في محاولة للإحاطة بما يعنيه صوت وحركة الحرف. حيث تؤلّف الحروف الكَلمات وتنسج العبارات لُغةً تخاطب وتواصل، فمن خلال التّركيب الحَرْفيِّ للألفاظ، نحاول تحديد قيمة مُعيّنة للفظ مُعيّن، كما لو أنّنا نقوم بتركيب كيماويّ لعدد من العناصر الأوّليّة، أو قيَم لمعادلات رياضية، أو بكشف «شيفرة الجينات[1]» الوراثيَّة. إذ معلومٌ أنّنا نفكّر ونكتب بلغة مؤلّفة من الحروف نفسها الّتي نريد تعريفها. هذه بحدّ ذاتها تحدّيات ربّما نوفّق في اجتيازها؛ لأنّ مسمّى الحرف- كما سيأتي لاحقاً- يضمر نقيضه، ولا يكشف عن مضمون قصده، بالدّقة المطلوبة، سوى نفسه، فإذا ما تيسّر لنا فهم ما تعنيه حركته، قادنا ذلك لمعرفة مدلول وسبب استخدام اللّفظة لحروف وفق متابعة ونسق مُحدّدين، وكشف سرّ التقائها لتشكيل منطق الكَلمة والتكليم.

كي نتحقّق من معاني الحروف، كان لا بُدَّ من منهجيَّة، تجيب عن تساؤلاتنا، لتكون بمنزلة خطوط عريضة لمقدّمة البحث، تتناول ما يلي:

---

(١) الشّفر في المعاجم، منبت أهداب الجفون، والشّفر: الحرف ومنه الشفرة حد السّكين، وشفير الهاوية، ومشفر البعير. استخدمت الشّيفرة كتعبير عن ترميز سرّي لما لا يُراد الإفصاح عنه وكتم مدلوله، وهو لذلك مرتبط هنا بالجينة الوراثيّة، والجينة لغوياً مما جُنّ وعتّم عليه، فكأن جفن العين أو المشفر إن فُتح كشف عن السّر مُعايَنَةً، فالتشفير تمويه عن المعاينة.

- استخراج دلالة وهيئة صوت الحرف، وبيان إنْ كان الصّوت ينتج حركةً أم أنّه هو الحركة.
- توضيح علاقة الصّوت بمخارج الحروف من آلة (ءالة) النُطق.
- وصف خاصيّة آلة (ءالة) النُطق، ودلالة أقسامها.
- بيان جدليّة مُسمّيات الحروف، وكشف سرّ بناء أسمائها، وتوضيح سبب ابتداء الأبجديّة العربيّة بالألف وانتهاء بالغين في ترتيب (أبجد هوز..)، وبالياء في ترتيب (ألف باء تاء..). وأنّ ترتيب هذه المُسمّيات يحكمها نظام مرتبط بنشأة وجود الكون.
- بيان الفرق بين اللّغة بالكلام وعلاقة النُطق باللّفظ.
- توضيح دلالة الزّمان والمكان وعلاقتها بحركة الحروف؛ وإظهار كيفيّة عمل التردّد والصّدى الصّوتيّ في بناء تلك الحركات.
- الانتقال من المبدأ الدّلاليّ إلى التداوليّ والوسائط اللّغويّة؛ كي تفسّر حركيّة الحرف دورها في تشكيل الكلام.
- التصويب للتمييز بين حركيّة الحرف والكَلمة كقصد بنائيّ وكبيان إعرابيّ، لتسهيل مهمّة إنتاج الكلام وفهم الفرق بين القصد والكيفيّة.

حيث إدراك معاني مُسمّيات حروف الأبجديّة، هو مسعانا لفهم قصد المعنى، ومواكبة حركة التغيير في استخدام الكَلمة ودلالتها، وكونه في تبدّل دائم، وأنّ «*المُدرك أو المراقب لا يمكن أبداً فصله عن غرض المُدرِك وعن الإدراك أو المراقبة ذاتها.*»[1]، فلا يجوز إذن، إلّا أنْ نتعرّض إلى لون اليقين الّذي ينجم، في الذّهن وفي القلب، عن استيعاب فلسفة جدليّة الأضداد، لأنّها نهج مسار التكوين كلّه، بما فيه تكوين النّفس واللّغة والشخصيّة فينا وفي المجتمع والقيَم أيضاً. لذلك استوجب هذا البحث وضع منهج استدلاليّ لحروف الأبجديّة ومكنون حركتها، في محاولة للإجابة عن السّؤال: لماذا هذه اللّفظة وليس غيرها هي الّتي تناسب القصد،

---

(١) جنبلاط، كمال: الجدليات فلسفة العقل المتخطي فلسفة التغيير، الدّار التقدّمية. ص.٣٠.

وتطابق مدلول نُطقها منطق الكلام وتوصيل المعنى؛ ممّا استدعى مراجعة ما تركه لنا السّلف، وملامسة فواصل ذات صلة، كالحرف، واللّغة، والكلام، والنُطق، وغيرها من المفاهيم الّتي تساعد على بناء المنَهج المطلوب. وحيث أنّ صوت الحرف يعتمد على مخرجه، ومخرجُه مُتعلّق بسبب حدوثه، وأنّ صوته يشكّل هيئته، ولصوت الحرف حركَةٌ رابطةٌ ومرتبطةٌ بما تنسجه تسلسلات الألفاظ، الّتي هي اقترانات لحركة الحروف المكوّنة بدلالة معانيها، تابعنا وفق هذه النّتائج الاستدلال[1] على معنى صوت كلّ حرف من حروف الأبجديّة العربيّة وتفاعله مع الحروف الأخرى. اعتمدنا الاستدلال منهجاً لاستقصاء دلالة حركة الحرف، كما لو أنّ له قيمة تفاعليّة في اقترانه بالحروف الأخرى. والنّظر إليه إنْ كان هو الفاعل المحوري في التّسلسل[2]، أو تابع مُكمّل لدور ثانويّ. ولكي نتحقّق من دقّة مسعانا حاولنا التقصّي والاستدلال أوّلاً بمسمّى الحرف ثمّ باقتراناته، الّتي يبدأ بها والّتي يتبعها. كما أعدنا النّظر في ما يؤكّده كلّ اقتران من خصائص كلّ حرف بما يشاكله أو يشكّله، ويجانسه أو يفارقه؛ وأيضاً بما يتنافر معه من خلال تبادل مواقع حروف الأبجديّة مع التّسلسل، لاستنباط الدّلالة الخاصّة بالحرف. ارتأينا في قراءَة الحروف والاقترانات استدراج الكلمات الأكثر شيوعاً كونها فعل وجود وتواجد، لحركة وجودنا، وكأداة تفكير.

المنهج الاستدلاليّ

لقد اعتمدنا المنهج الاستدلاليّ لمخارج الحروف ودلالة مسمّياتها واقتراناتها وتبدّل وتغيير مواقعها، باستنطاق مدلول ما تُبطِن وما تُضمِرُ من خلال ما تلفظ أو تستوعب، وفقاً لما يلي:

---

(١) الاستدلال لغة من دلّ: ومصطلحاً تعني «تقرير الدّليل لإثبات المدلول سواء كان ذلك من الأثر إلى المؤثّر، فيسمّى استدلالاً إنيّاً [مؤكداً] أو بالعكس فيسمّى استدلالاً لميّاً [عشوائياً] أو من أحد الأثرين على الآخر.» أنظر الجرجاني، علي بن محمد الشريف. **كتاب التعريفات**، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٥ ص. ١٧ . «والاستدلال برهنة لاستخراج قضية من أخرى، وهو استنتاج جزئي من جزئ، أو محسوس من محسوس. والغاية منه ترتيب أمور معلومة للتوصيل منها إلى مجهول.» عبد النور، جبور: **المعجم الأدبي**، دار العلم للملايين، بيروت. ط ٢، ١٩٨٤م، ص. ٧، عم١ .

(٢) نقصد بالتسلسل حروف الثنائي أو الثلاثي قبل ارتباطها حركيّا، كما في: (ف–ع) و(ف–ع–ل).

المسمّى الأبجديّ المتعارف عليه للحرف:

- مخرج الحرف وأهميته، ومعاينة توجّهه، واستقصاء نسبته وتناسبه مع المخارج الأخرى.
- دلالة اسم الحرف من خلال حروفه.

الاقتران الثنائيّ الّذي يبتدئ به الحرف بصفته متبوعاً:

- اقترانات الحرف الشّائعة الاستخدام والمتعارف عليها والمتواترة.
- اتجاه معنى الحرف ظاهراً وباطناً.
- الاستعانة بالتّنزيل[1] وديوان العرب الشّعري وما شاع من معنىً استخداميّ.

معايرة[2] التّغيير في التّوجّه

- تغيير حركة الحرف البادئ. (كالفتحة والضمّة والكسرة والسّكون)
- مُعاينة تغيير المعنى، بملاحقة واستقصاء تغيير الحرف اللّاحق بإدخال حرف ثالث؛ ابتداءً، وتوسطاً، وانتهاءً.

الاقتران الثّنائيّ للحرف بصفته تابعاً

- عكس نسق التسلسلات المستخدمة سابقاً.
- معاينة توجّه المعنى والدّلالة للحرف وفقاً لمَا هو متعارف عليه.
- تقليب توجُه اللّفظ ظاهراً وباطناً، والاستعانة بدلالة التبدّل في الحركة كرابط بنائي، حيث الضّمة- بخاصّية التّموضع المكانيّ- تفيد الظّاهر، بينما الكسرة، الّتي هي حركة زمانيّة، تفيد الباطن.
- الاستعانة بالتّنزيل وديوان العرب الشّعري وما شاع من معنىً استخداميّ.

---

(١) استخدمنا سمة (التّنزيل) على ما اقتطفناه ودلّلنا عليه من ءَايات القرءَان الكريم، ذلك لقناعتنا أنّ لفظة التّنزيل تعني: الوصفة الحقيقيّة للحالة، والمنزلة اجتذاباً بالجهد في مكانها الصحيح والملائم كما يقال: (حفر وتنزيل). ولهذا ما سيرد لاحقاً هو بهذا الإسقاط المعنويّ، للتأكيد على صدق العبارة وبيان موضعها. مع إدراكنا أنّ حركة الإنزال من أعلى إلى أسفل لها تأثير على المتلقّي سمعاً (صوتاً) ومعنى (عقلاً)، وتأثير الفيزياء الهوائية في إعطاء المتلقي مخزوناً مفهومياً للكلمات والحروف.

(٢) وعايَرَ بينهما مُعَايَرَةً وعياراً: قَدَّرَهُما ونَظَرَ ما بينهما. القاموس المحيط - (ج ١ / ص ٥٧٤).

- معايرة التّغيير في التّوجه.

معايرة التّغيّر في المعنى الدّلاليّ

- إدخال حرف ثالث على التسلسل الثنائيّ؛ ابتداءً، توسّطاً وانتهاءً. لاستخلاص النّتيجة بمعيار العقل.
- الوصول إلى قيمة العنصر الفاعل ودلالته الحركيّة، من حيث تأثيره وتأثّره.
- استخدام المؤشّرات الدّلاليّة المستخلصة من خلال معايرة ومبادلة الحروف لمواقعها، للاستعانة بما تفضي إليه في ميزان حركة ودلالة حروف أخرى، وتسلسلاتٍ ذات صلة.
- الاسترشاد بنتيجة ما نتوصّل إليه من معنى حركيّ، عند معالجة كلّ حرف من حروف الأبجديّة، من خلال اقترانه بحروف أُخرى، لكي نصل ونوصل ما يجمع أسرة أبجديتنا من رباط، معزّزين الثّوابت، مبيّنين التّفاوت والتّنافر.
- الاستعانة بحرف الوصل: (اللّام)، والتّفريق: (الفاء)، والتّكرار: (الرّاء)، لتمييز حركة واقترانات الحروف. لأنّ النّسيج اللّغويّ لا يتم إلّا بألف التأليف، أي باللّام وبحركة الفصل الفاء، وبما يوضّحه التكرار بالرّاء. هذا ما سنعمد إلى معالجته في باب كلّ حرف لتأكيد انسجام المعنى الحركيّ بدلالة هذه المنهجيّة.

هذه الآليّة ترينا دلالة الكَلمَة من خلال معاني حروفها، وترينا أيضاً مدى مطابقة المعنى الحركيّ مع المعنى الوارد في المعاجم، وفي التّنزيل، وفي «ديوان العرب». فنكون بذلك قد قابلنا بين المعاني المختلفة للمقاربة والتبصّر؛ وبيّنّا سبب استخدام لفظة مُعيّنة، وليس كيفيّة استخدامها فقط. فمعرفة السّبب هو ما يصوّب وعيَ ومنطق الكلام وأساس المخاطبة والتّواصل، وبالتّالي صحّة التفكير.

تبويب البحث

كان لا بُدَّ من اعتماد نظريَّة تفسِّر دلالات الأبجديَّة كمدخل لقراءة كلام العرب، تناولتها أبوابٌ أربعة. عالج البابُ الأوّل الصّوت والحرف والنّطق في

الأبجديّة العربيّة. عرّف الفصل الأوّل منه بالأبجديّة وأصول ترتيب حروفها. وعرض الفصل الثّاني لمخارج الحروف وهيئاتها. أمّا الفصل الثّالث فقارب علاقة الصّوت الملفوظ بالسّمع وتمييز البصمة الصّوتيّة.

تناول الباب الثّاني في فصله الأوّل الحروف وأسماءَها نشأةً ومصطلحاً، وفي فصله الثّاني مسمّيات الحروف وتراكيبها اللّفظيّة.

أمّا الباب الثّالث فبيّن معنى «الزّمكانيَّة» وحركيَّة الحروف في فصلين. فاستنطق الأوّل مُسمّى كلّ حرف لبيان دلالته، وأظهر الفصل الثّاني كيفيّة حركيّة الحروف في مدارجها ومعارجها وعلاقتها بالرّقم سبعة.

شغل الباب الرّابع في فصله الأوّل مصطلح تأليف الكَلمة والكلمات، والفرق بين الكلام والقول والوحي. وشُرح في الفصل الثّاني الإفصاح الاشتقاقيّ من التغيّرات التي تطرأ على الفعل ماضياً ومضارعاً، وصولاً إلى ظاهرة التردّد والصّدى الصوتيّين. وعرّج الفصل الثّالث على اللّسان واللّفظ والنّطق، وأوضح الفروقات بين هذه التعريفات وشبيهاتها.

برز الجانب التطبيقيّ مُختتماً بالنّتائج، في البابين الأخيرين: الخامس والسّادس، للبرهنة على هذه النّظريّة. خُصّص الباب الخامس لميزان الحركة الزّمكانيّة في الحروف (الإشتقاقات). وقد شغل الفصل الأوّل، اشتقاقات الفعل والإسم (من قلب المعتل)، بينما عرض الفصل الثّاني لميزان الحركات الإعرابيّة، نصباً وجرّاً ورفعاً. وأسهب الفصل الثّالث في عرض عمليّة الكتابة وتنقيط الحرف العربيّ في معناه ومبناه الحركيّ.

غلب الطابع التطبيقيّ العَمَليّ على الباب السّادس والأخير. فبرهن في فصل وحيد ومطوّل تطبيقَ منهجيّة الاستدلال على حروف الأبجديّة وتأليفاتها.

سوف نتابع، إن شاء الله، في بحث لاحق تحت عنوان «**قراءة في كلام العرب**» بعضَ ما ورد من كلامهم وفق المنهج المذكور ءَانفاً، لغرض فتح ءَافاق أمام المزيد من التفكّر والاستدلال.

الأشكال والرسوم والملاحق

هذه الأبواب السّتة بفصولها المتعدّدة لم تكن كافية لمعالجة الرُؤية المستجدّة في حركيّة حروف الأبجديَّة ومعانيها، بل أتت مشفوعة بعشرات الأشكال والجداول والرّسوم، والتّأليفات الحروفيّة القديمة والحديثة من مصادر ومراجع مختلفة، تبدأ بالأخذ عن نقوش الخط السّبئيّ العربيّ القديم (الحِمْيَريّ) وصولاً إلى ءَاخر مستجدّات الأبحاث في هذا المجال. والغاية من ذلك تسهيل إيصال الفكرة عبر هذه المخطّطات المساعدة لعين القارئ. وهذا استدعى الرّجوع إلى مئات المصادر والمراجع والنّقوش والأصدقاء والباحثين المعاصرين في المجال اللّغويّ والأدبيّ والآثاريّ ورسم الحروف، واستقدام نماذج من الحرف السّبَئيّ الذي زيّن بعض صفحات هذا الكتاب.

ولإزالة أيّ التباس يلحق المصطلحات التي استعملناها في المتون النّصيّة للكتاب، لخّصنا ما توصّل إليه البحث في نتائج أوّليّة تستدعي المتابعة وتفتح الباب أمام الكشوفات الجادّة. والحقنا البحث ثبتاً بتعريف المصطلحات التي استعملناها كي لا تفسّر بغير ما وضعت لتبيانه أصلاً. وعسى أن نكون حقّقنا بعض ما يصبو إليه القارئ العربيّ والباحث الجاد.

جئت بهذا الاستهلال، كي أدلّ على أنّ الحروف هي من قاد خطواتي ووجّهني وفتح بصيرتي لاستقراء أسرارها. وإذْ أُقدّم إلى القارئ الكريم، ما خَلُصتُ إليه، عسى بتآزُر منه ومن النّقاد، أنْ نجد ما يصوّب بحثنا وينير لغيرنا سُبلَ المتابعة، وأنْ نفكّ عُقَدَ التّخالف والاختلاف، بين التّمسّك بالمدموغ ذهنيّاً، وبين الانفتاح ومتابعة الإجابة عن: «لماذا»؛ هو سؤال أوجبه منهج البحث عن القصد والسّبب في اختيار الكَلمَة؛ حيث السّبب يفصح عن فكرة المعنى. ألـ(لماذا) هذا، أوضح أنّ اللّسان العربيّ، وفق دلالة حركة الحروف، لا ينسب للجنس المسمَّى عربيّاً، وإنّما لِمَا يُعْرِبُ وضوحاً وبياناً، وأن مُسمّى (عرب)[1] هو المنسوب للوضوح مُعايَنَةً.

---

(١) تسلسل (ع-ر-ب): العين اتضاح الحركة بعد مُعاينة الإبهام فيها، والرّاء كما نستدل عليه في باب الرّاء تكرار مُنظّم، والباء انبثاق حركة جديدة من مكمن. الحركة العامة هنا هي حركةٌ تطوّريةٌ مُتدفّقةٌ تنبثق عنها حركةٌ واحدةٌ باتجاه الهدف، وتتضمّن الحركة وجود شيءٍ ذاتيٍ يحدث فيه تحوّلٌ واتضاحٌ

حرصتُ قبل أنْ أدفع بهذا البحث إلى دار النّشر، أنْ أسترشد بآراء بعض الأصدقاء، طالباً منهم قراءَتَه قراءَةً نقديّة، مُتوخيّاً أن يضفي على البحث آفاقاً (ءَافاقاً) لم أتبيّن نوافذها، وتصويباً غفلت عن إنحرافاته. ذلك أنّي أخذت بالاعتبار أنّ اللّغة كما يقول (مارتن هيدجر)[1]: «***هي في مجموعها بيت الوجود ومخبأ ميلاد الإنسان***»[2]، وباعتبار الوجود حُضوراً يُقرأ باللُغة، فإنّ الفكر المتمثّل بإصغائه لصوت الوجود يبحث عن الكلام الّذي منه تأتي الحقيقة إلى اللُغة؛ كما يقول (هيدجر) أيضاً، فإنّ هذا البحث محاولة مطروحة للتداول المعرفيّ، تحاول القبض على المعاني في الحروف والكَلمات، بإبراز المتناقضات، لا تأمل أنْ تقول كلّ شيء؛ بل تحاول استرجاع واستحضار الإنسان المفكّر باللّغة تأويلاً لتقفّي تكوين المعنى فيه، وتكوينه الوجوديّ، كإنسان عربيٍّ ترك لنا إرثه الحضاريّ ليقول لنا: أنا هنا، فهل تذكرون أو تتفكّرون؟!

إنّ هذه المحاولة وجهة نظر قابلة للمتابعة والتقويم، واستخراج ما يُصلح ويَصلُح لفهمٍ أوسع لأبجديَّة اللُغة العربيَّة. إنّني لا أدّعي التّوفيق فيما سعيت إليه إلّا

يلائم الهدف والغاية. وصفت بهذا الوصف في التّنزيل: «فتيات الجنّة»، ﴿عُرُباً أَتْرَاباً﴾ الواقعة٣٧، بعد عملية إنشاء جديدة لَهنّ: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً﴾ الواقعة٣٥. وفي قول أبي تمّام:

لُجاجَةٌ بيَ فيكمْ لَيسَ يُشبِهُها ... إلّا لَجاجَتُكُم في أنّكم عَرَبُ

والعرب: اسم جنس، والأعراب: البدو، وإذ أنّ الكَلمة مرحلة من مراحل حركة الفعل، فإطلاق التسمية على جنس العرب هو لانكشاف مساكنهم، ووضوح حركتهم، والإعراب: الإبانة، والتعريب: الفرز والتمييز، ولسان عربيّ واضح هو اللّسان الذي يمتلك خصائصَ داخليةً في الصوت بما هو نظامٌ، فالوحدات البنائيّة تجعله قادراً على توحيد الفكر، باتّجاهٍ مُحدّدٍ من خلال وضوح اللُغة نفسها، وقدرتها الفائقة على التطوّر، وملاءمة الحركة تلو الحركة. وفي قول عائشة الباعونيّة:

أعد حديث أحبائي فهم عربٌ ... قد أعرب الدّمعُ فيهم كلّ منعجمِ

(١) مارتن هيدجر: (١٨٨٩- ؟) فيلسوف ألماني، يُعدّ الممثل الرئيسي للوجوديّة، ولد في قرب فرايبورغ، وتتلمذ على يد هوسرل، عين زمن هتلر مديراً لجامعة فرايبورغ، أعماله المبكرة: «الوجود والزمان»، و«ما الميتافيزيقيا؟» عن **الموسوعة الفلسفية المختصرة**، نقلها عن الإنجليزية: فؤاد كامل وجلال العشري، وعبد الرشيد الصادق، مراجعة وإشراف زكي نجيب محفوظ. مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٣م ص. ٤٠٠.

(٢) أنظر مقالة إبراهيم حامد، أستاذ بكلية العلوم الاجتماعية، جامعة عبد الحميد بن باديس، الجزائر، من كتاب **اللّغة والمعنى**، إعداد مخلوف سيّد أحمد، الدّار العربية للعلوم، بيروت، طبعة أولى ٢٠١٠م، ص. ٢٢٢.

بالقدر الذي سمحت لي به قدرتي المحدودة على مُقارعة العالم الواسع لمُفردات هذه اللّغة، الموغلة في التّراث والتّاريخ، والمتسعة على مساحة الوطن العربيّ كلّه. حبّذا أنْ نتوصّل فيما بعد، إلى منهج يمكّن المجامع اللّغويّة والأُدباء وأُلي الاختصاص العلميّ من استنباط المزيد من كلمات لمواكبة المستجدات الحضاريّة والعلميّة، باستخدام جدل حركة الحروف، كوسيلة لا تخيب في جعل مسارها معاصراً باستمرار.

هكذا أضع بين يدي القارئ العربيّ، والمشتغلين باللّغة وفقهها، بحثاً، رُبّما يستدركون ما لم أوفّق في استنباط مدلولاته، ومتابعة تطويره كي نتدارك معاً دَرْسَ لُغتنا وانحلال بنيانها. فنقول معاً: لهذا استُخدمت هذه الكَلمَة وليس غيرها كمنطقٍ دلاليٍّ، ولهذا استُخدم الحرفُ مُقترناً بغيره لتشكيل الكَلمَة؛ فتتضح عندها الإجابة؛ أنّ الدّال كَلمَة بعينها، لا عدّة كَلمات من يصف المدلول.

من ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[1] بدأت؛ السّبب الأساس في القصد؛ هو التحقّق بالمعرفة والهداية، بالعلم والعمل؛ كي أُشير إلى أهمّية تدارك نسيان وطمس ما توصّلت إليه منهجيات بدايات المعرفة اللّغويّة؛ وهي نشوء معنى الكَلمَة ومنطق النُطق؛ كي يُضاءَ النّهج بالأبجديّة ومعانيها، فنعمل معاً على تطوير معرفة النّاس بلغتهم الّتي- وأعني المعرفة اللّغويّة- في تأزُمٍ فكريّ وتطاول يسعى لهدم بنيانها.

عاصم المصري

بيروت في ٢٠١٢/٠٩/١٧

---

(١)- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ رأيت أن أوضّح قراءتي للبسملة، وفق دلالة الحروف، وقصد المعنى، في الملحق.

الباب الأوّل

الأبجَديَّةُ العَرَبِيَّةُ

الفصل الأوّل: التّعريف والمصطلح

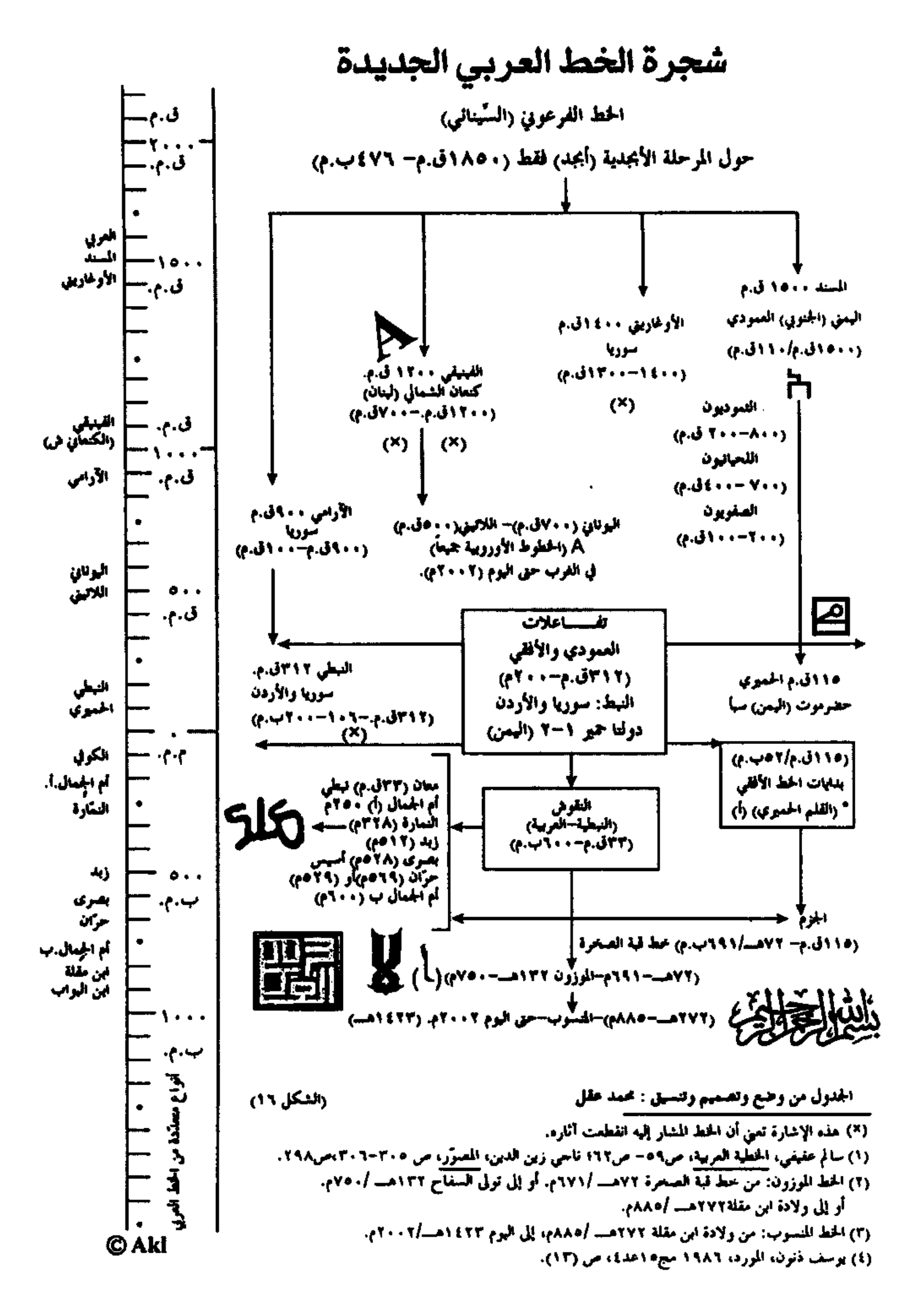
الفصل الثّاني: صوت الحرف

الفصل الثّالث: علاقة الصوت بالسّمع

الفصل الأوّل

التَّعريف والمصطلح

- ترتيب الأبجديّة
- الأبجديّة وأصواتاها


شجرة الخط العربي الجديدة
الخط الفرعوني (السّينائي)
حول المرحلة الأبجدية (أبجد) فقط (١٨٥٠ق.م- ٤٧٦ب.م)
المسند ١٥٠٠ ق.م
اليمن (الجنوبي) العمودي
(١٥٠٠ق.م/١١٠ق.م)
الأوغاريتي ١٤٠٠ق.م
سوريا
(١٤٠٠-١٣٠٠ق.م)
(×)
الفينيقي ١٢٠٠ ق.م.
كنعان الشمالي (لبنان)
(١٢٠٠ق.م.-٧٠٠ق.م)
(×) (×)
الثموديون
(٨٠٠-٢٠٠ ق.م)
اللحيانيون
(٧٠٠-٤٠٠ق.م)
الصفويون
(٢٠٠-١٠٠ق.م)
الآرامي ٩٠٠ق.م
سوريا
(٩٠٠ق.م-١٠٠ق.م)
اليوناني (٧٠٠ق.م)- اللاتيني(٥٠٠ق.م)
A (الخطوط الأوروبية جميعاً)
في الغرب حتى اليوم (٢٠٠٢م).
تفــاعلات
العمودي والأفقي
(٣١٢ق.م-٢٠٠م)
النبط: سوريا والأردن
دولتا حمير ١-٢ (اليمن)
النبطي ٣١٢ق.م.
سوريا والأردن
(٣١٢ق.م.-١٠٦-٢٠٠ب.م)
(×)
١١٥ق.م الحميري
حضرموت (اليمن) سبأ
(١١٥ق.م/٥٢ب.م)
بدايات الخط الأفقي
(القلم الحميري) (أ)
النقوش
(النبطية-العربية)
(٣٣ق.م-٦٠٠ب.م)
معان (٣٣ق.م) نبطي
أم الجمال (أ) ٢٥٠م
النمارة (٣٢٨م)
زبد (٥١٢م)
بصرى (٥٢٨م) أسيس
حرّان (٥٦٨م)أو (٥٢٩م)
أم الجمال ب (٦٠٠م)
الجزم
(١١٥ق.م- ٧٢هـ/٦٩١ب.م) خط قبة الصخرة
(٧٢هـ-٦٩١م-الموزون ١٣٢هـ-٧٥٠م)(أ)
(٢٧٢هـ-٨٨٥م)-المنسوب-حتى اليوم ٢٠٠٢م. (١٤٢٣هـ)
ق.م
٢٠٠٠
ق.م.
العربي
المسند
١٥٠٠
ق.م.
الأوغاريتي
الفينيقي
(الكنعاني ش)
ق.م.
١٠٠٠
ق.م.
الآرامي
اليوناني
اللاتيني
٥٠٠
ق.م.
النبطي
الحميري
م.م.
الكوفي
أم الجمال أ.
النمارة
زبد
٥٠٠
بصرى
ب.م.
حرّان
أم الجمال.ب
ابن مقلة
ابن البواب
١٠٠٠
ب.م.
أنواع مشتقة من الخط العربي
الجدول من وضع وتصميم وتنسيق : محمد عقل
(الشكل ١٦)
(×) هذه الإشارة تعني أن الخط المشار إليه انقطعت آثاره.
(١) سالم عتيقي، الخطية العربية، ص٥٩- ص٦٢؛ ناجي زين الدين، المصوّر، ص ٣٠٥-٣٠٦؛ ص٢٩٨.
(٢) الخط الموزون: من خط قبة الصخرة ٧٢هـ /٦٧١م. أو إلى تولي السفاح ١٣٢هـ /٧٥٠م.
أو إلى ولادة ابن مقلة٢٧٢هـ /٨٨٥م.
(٣) الخط المنسوب: من ولادة ابن مقلة ٢٧٢هـ /٨٨٥م، إلى اليوم ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
(٤) يوسف ذنون، المورد، ١٩٨٦ مج١٥عدد٤، ص (١٣).
© Akl

تمهيد

الأبجديةُ العربيّة كَمَا دار العربيّ القديمة، مُنغلقة على الخارج موصدة أمام الغرباء، ومُنفتحٌ حَرَمُه داخلياً ومُشرَّعٌ للأهل وذوي القُربى. تماماً كالمرأة العربيّة المُتلحفّة بالعباءة والخمار، لا تكشف عن سَترها إلّا للأحبّة والقربى وأهل الدّار. أيقظت فينا الأبجديّة الاهتمام والفضول لزيارة الدّار الأولى الّتي أُبدع فيها الحرف العربيّ، كأهمّ إنجاز إنسانيّ على مَرِّ العصور، ففيه سِرُ النّشأة ومحتوى التّواصل الفكريّ وسجِلّ التّاريخ.

انفتح لنا الباب على حَرَمٍ مدخله بوحٌ إلى ثمانية وعشرين حُجرة مطلوب منّا معالجة مَغاليقها واكتشاف مفاتيح أسرارها. استُحضرَتْ أمامنا حدائق الوجود وأفلاك المعرفة مواريةً بالدّهشة والرّهبة، تحفّزنا لاسترجاع تاريخ النُطق ومنطق الكلام.

بدأ الدّليل المتخفّي مَظهراً، والحاضر فينا جوهراً، يهمس حيناً بالصّوت وحيناً بالإشارة بمخارج الحروف في مقايسة زمكانيّة تآلُفاً واختلافاً، مُثيراً حواسنّا لمعاينة صوت وهيئة الحرف، مُختبراً ومدقّقاً سِجلّ السّمع إنْ كُنّا حَقّاً الورثة الشّرعيين وأحفاد مؤسّسي هذا الصّرح المغلق بسيمياء الأسرار إلّا لِأُولي القُربى. وإذ تأكّد القَيِّمُ على الإرث أنّنا مُطَهَّرون من الغايات، مَسَّ فينا بصمة الصّوت مُتحقّقاً من ملامح اللّفظ وصِدق النّبرة، ثمّ راح يلمّسنا معالم فتح المغلق، من خلال البحث عن الرّقم السّرّي لخَزنة مفاتيح حُجرات الأبجديّة. لكنّه لم يقل لنا صراحة ما يخفي، وقد كتم عنّا سِرّ التّداخل بين الصّوت والحركة، ليثير عندنا الفضول ببذل الجهد وإمعان التفكّر بما في زمكانيّة النّشأة من تآلف واختلاف، وليضع أصبعنا على الطلسم الأوّل في محاولة لفكّ رموزه، من خلال الإهتداء بآيات الوجود واتخاذها مقياساً لمضامين مسمّيات الحروف. دَلّنا إمعانُ الفكر على جدليَّة تناقضٍ تفصح لنا عن المضمر من خلال نقيضه الظّاهر، ونحن ما زلنا نتجوّل والباحة الّتي لم تَبُحْ بعد إلّا بمظهر أبوابٍ مُغلقة حولنا. كان لا بُدّ من نفض الغبار، ومتابعة أقدام الزّمن وخطوات الكَلام، قبل أن يُتاح لنا معاينة المفاتيح؛ ما يتلائم وما يراوغ أو يمتنع أو يبوح.

استعصى علينا الحصول على الرّقم السّري للخزنة الّتي تحوي مفاتيح تلك الحجرات. لم يلفت نظرنا أوّل الأمر أنّ بوح الدّار مفتوح للدّاخل ونحن في وسطه، محاطين بهذه الحجرات الموصدة أمامنا. لم ننتبه لقراءَة الخارج من الدّاخل الذي يحيط بنا، ولم نفطن في البداية كيف نقرأ بباء البوح سرّ الانبثاق الذي فُتح مُجْبَراً من كمون الطّاقة العظمى لألف التّأليف. عندئذ عرفنا سرّ مغلاق الباب الأوّل الكامن في مُسمّاه، ليقودنا لاستقصاء مسمّى كلّ حرف من خلال جدليّة تناقضه. واكبنا صدى صوت الحرف تلمّس معالم الطّريق من خلال ربط جدليّة الحروف بجدليّة الكون، ومقابلة حراك السّالب بالموجب، كي نستنطق زمكانيّة حركة الحروف. انتقلت بصيرتُنا عبر المدارج والمعارج في ملاحقة صوت الحرف مخرجاً وترابطاً. صار بإمكاننا انتقاء المفتاح المناسب لكلّ باب. أفضت الألف من خلال مسمّاها إلى معالجة جدليّة التناقض بين اللّام والفاء، ومع اللّام أمسكنا خيط عبور إلى الميم، فذكّرتنا حركتها أنّ لها سُلوكاً بالموجب كما بالسّالب، وأنّ الياء ملازمة الزّمن لقياس المسافات. نبّهنا حرف الفاء بما يحيكه مع اللّام في النّسيج اللّغوي بين الفصل والتفريق لخيوط التشابك والتّأليف. وإذ استرجع الفاءُ حركته بالهمزة إياباً، دلّتنا من خلال ذهابها وإيابها على منازل الحروف الّتي تُحرّكها. بعد أنْ حصلنا على سرّ التّناقض في المسمّيات، أمكن لنا قراءَة قصد المعنى المضمر، بين الكَلمَة والكلام، واللّغة والسّياق، وكيفيّة التّواصل بين الحروف ساكنة الحُجَرات، وتعيين القرابة والنّسب. حُجرة واحدة مَوّهت في عَتمتها دليل الوضوح، فلمْ نتمكّن من اغتراف المعرفة إلّا حين خالفنا أوامرها وعكسنا ترتيب تناسق النّشأة، كانت هذه حجرة الغين والغياب.

تجمّعت أمام أعيننا دواوين الشّعر، ونصوص البلاغة، ومن ثمّ أكرمنا بالتّنزيل القُرءَاني المُبين، لتؤكّد أنّ لمنازل الحروف حقيقة ثابتة يعبّر كلّ منها عن خاصيّته في معنى حركيّ، وأنّ الجمود ليس من خاصيّة الحرف العربيّ ولا من طبيعة التّأليف ومواكبة الحضور. إذن الدّعوة مشاعة للتمعّن ولمعاينة خصائص الإرث الكبير لأهل الأبجديّة العربيّة لمواكبتنا في التعرّف على منزلهم الأوّل.

التعريف والمصطلح

الأبجَديّةُ العربيّة مُصطَلَحٌ يُطلَقُ على الكَلمات الّتي تَجْمَعُ حُروفَ هجاء اللّغة العَرَبيَّة وهيَ: أبجد، هوَّز، حُطّي، كَلَمُن، سَعَفَص، قرشتْ، ثَخذْ، ضظَغْ. وهذا التّرتيبُ مأخوذٌ من ترتيب المُسند اليمنيّ القديم؛ أمّا ثَخَذ، وضَظَغْ، فيطلق عليها الرّوادف[1]. يرى بعضُ علماء اللّغة أنّ هذا الترتيب هو ترتيب أخَذَهُ العرب من النّبط، وقد أخَذَه النّبط والعبرانيّون من القلم[2] الآراميّ. وأنّ العبرانيّين والآراميّين أخذوا الكتابة من الفينيقيّين، وأخذوا منهم استعمال الحروف للعدد أيضاً، على نحو ما نجده عندهم من استعمالها في حساب الجُمَّل.[3] غير أنّ محمد علي مادون يرى أنّ الفينيقيّين هم الّذين قلّدوا المعينيّين، وأنّ حرفنا المعاصر هو حرف متطوّرٌ عن جذوره الأساسيّة أبجديّة المسند (الخط العربيّ اليمنيّ القديم)، وأنّ أسماء الحروف وأشكالها ومعانيها شاهدة بانتقالها من المصادر العربيّة.[4] ولعلماء الآثار رأي مفاده: ***«أنّ الأغريتيّين (الأوغارتيّين) أوّل من دوّن أيّة لغة من اللّغات تدويناً***

---

(١) **الرّوادف**: تسمية لا تتّفق وما توصّلت إليه استنتاجاتنا، وكما أشار (ولفنسون) في كتابه «**تاريخ اللّغات السامية**، ص. ٢٤،» من المحتمل أنّ هذه الحروف كانت موجودة في غيرها من اللّغات المسمّاة (سامية) قديماً ثمّ فقدت بالتدريج لعدم استعمالها ما يعني أنّ الأصل هو في شمول آلة النّطق لهذه الحروف منذ البدء. وهو ما سيتوضح لنا تباعاً. وذكر محمد عقل عن محمود فهمي حجازي: علم اللّغة العربية، ص. ١٦٠، أنّها في أبجدية المسند اليمني الجنوبي، الّتي هي أصل الأبجدية العربيّة. عن **أبجدية القرءآن من مملكة سبأ**، دار المحجّة البيضاء، بيروت،٢٠٠٩ ، ص. ٢٤، الهامش.

(٢) الأقلام ألسنة الإفهام: ءَالة اللّفظ اللّسان وءَالة الخط القلم، وكل منهما يفعل فعل الآخر في الإبانة عن المعاني... فتقاسمت الآلتان الدّلالة وناب أحدهما مناب الآخر، فأوقعوا اسم اللّسان على القلم. صبح الأعشى ج ٣ ص. ١٠.

(٣) المجتمعات الكنعانيّة والفينيقيّة الآراميّة والعبريّة والنّبطيّة هي ذات لغات شبه عربيّة؛ أمّا لسانهم فهو خليط من العربيّ والأعجميّ، ومن هنا جاء التشكيل الفنيقيّ للأبجديّة الّتي صارت أساساً لجميع اللّغات اللّاتينيّة، مجردّة من حروف التخصيص العربيّة السّتة؛ أي (حاء، عين، قاف، طاء، ظاء، ضاد).

(٤) مادون، محمد علي: **خط الجزم ابن الخط المسند**، طلاس للدراسات والترجمة والنّشر، دمشق، طبعة أولى ١٩٨٩ . ص.ص. ١٢، ٢١، ٣٠.

صوتياً يقوم على أساس استخدام الحرف الواحد -دائماً- للوحدة الصّوتيّة الواحدة؛ فعبّروا عن كلّ صوت من أصوات اللّغة بحرف واحد؛ ولذا كانت الحروف بعدد الوحدات الصّوتية الموجودة في لغتهم، غير أنّهم جعلوا للهمزة المفتوحة ثمّ للهمزة المضمومة ثمّ للهمزة المكسورة رموزاً مُختلفة، وهذا القصور في تدوين الهمزة أصبح ميراثاً تناقلته كُلّ الكتابات السّاميّة[1] بعد ذلك، وكانت الكتابة قبلهم إمّا صُوَريّة مثل الكتابة الهيروغليفيّة، أو مقطعيّة مثل الكتابة السّومرية والأكّاديّة، أو مسماريّة كالكتابة الآشوريّة، ولم تكن الكتابة الهيروغليفيّة صُوَريّة مائة في المائة؛ كما لم تسلم الكتابة الأكّاديّة من تأثيرات الكتابة السّومريّة؛ بمعنى أن يؤخذ الرّمز الدّال على الكلمة السّومريّة ويستخدم بمعناه في النّقوش الأكاديّة.»[2] ويتألّف هجاء أوغاريت عند أنيس فريحة[3] من ثلاثين رمزاً لكل منها قيمة صوتيّة لها مقابلها في العربيّة، باستثناء حرف غامض هو السادس عشر في ترتيب هجائهم وهي: أ ب ج ح د ه و ز ج ط ي ك ش ل م (س؟ أولى) ن ظ (س ثانية) ع ف ص ق ر ث غ ت إ (الهمزة مشكّلة) وأنّها حروف هجائيّة لا مقطعيّة ولا صوريّة، تكتب بدون حركات وقد دوّنت بالخط المسماري، مُعلّقاً في الحاشية أنّ الأوغارتيّة حسّنت فكرة الحرف البابليّ وانتقلت به إلى الهجائيّة.

ذكر بعض العلماء، من خلال المقارنة العلميّة بين اللّغتين الأوغاريتيّة والعربيّة: «***أنّ اللّغة الأوغاريتيّة الّتي نشأت في بلاد كنعان عام ١٩٠٠ ق. م.، هي نفسها اللّغة العربيّة.»***[4] كما عالج سليمان الذّييب موضّحاً ومصنّفاً ما سبق للدارسين والباحثين أن دوّنوه في أعمالهم التنقيبيّة التي دلّت على وجود اللّغة

---

(١) «ساميّة»: تسمية أطلقت على الشّعوب التي زعم أنّها انحدرت من صلب سام، وكان أوّل من أطلقها بهذا المعنى النّمساوي شلوتسر Schlotzer عام ١٧٨١م؛ وهي لا تستند إلى واقع تاريخي أو أسس علمية أو لغوية، والتسميّة الأصّح هي «العربية» الأكثر ملائمة مع الواقع التاريخي والعلمي، انظر: جواد علي، **تاريخ العرب قبل الإسلام** (ج ٢،ص ٢٨٧)، أنظر كذلك: سوسة، أحمد: **العرب واليهود في التاريخ**، العربي للإعلان والنشر والطباعة ، طبعة ثانية ص ص. ١٢٨-١٢٩ . وأيضاً أ.ولفنسون: **تاريخ اللغات السّاميّة**. ص. ٩.

(٢) حجازي، محمود حلمي: **علم اللّغة العربية**، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ص. ١٥٨-١٥٩.

(٣) فريحة، أنيس: **ملاحم وأساطير من أوغاريت (رأس الشمرا)**، دار النهار للنشر، ١٩٨٠. ص. ٢٧.

(٤) أنظر سوسة، أحمد: م. س. ص.ص. ١٣٠-١٣٧.

العربيّة على نقوش موغلة في القدم، والتي أطلق عليها: النقوش الصفويّة ونقوش قوم عاد وثمود.[1] أمّا العالم الغربي «أولسهوزن» (Olshausen)، (١٧٩٦-١٨٣٩) فيحدّد في مقدّمة كتابه عن العبريّة، كما قال إسرائيل ولفنسُون: بأنّ اللّغة العربيّة هي أقدم اللّغات السّاميّة، فهي تشمل على عناصر لغويّة قديمة بسبب وجودها في مناطق منعزلة... فيما يذكر المستشرق (دافيد صمويل مرجليوث)[2] «بأنّ ابتداء اللّغة العربيّة أقدم من التّاريخ.»[3]

تطور الخط العربي عبر التّاريخ (1)

ARABE	غ	ظ	ض	ذ	خ	ث	ت	ش	ر	ق	ص	ف	ع	س	س	ن	م	ل	ك	ي	ط	ح	ز	و	هـ	د	ج	ب	ا	العربية
L'EGYPTE 1000 AV.J.C. - 470 AP.J.C. HIEROGLYPHES																														الهيروغليفية
HIÉRATIQUE																														الهيراطيقية
DÉMOTIQUE																														الديموطيقية
L'ARABIE DU SUD LIHYANIDE																														اللحيانية
THAMOUDIQUE																														الثمودية
SAFAÏTE																														الصفائية
SABAÉEN																														سبئي-سيني
UGARIT 1400-1300 AV.J.-C.																														الأوغاريتية ١٤٠٠-١٣٠٠ ق.م
BYBLOS 1000-900 AV.J.-C.																														الكنعانية (جبيل) ١٢٠٠-٩٠٠ ق.م
ARAMÉEN 900 AV.J.-C. - 100 AP.J.C.																														الآرامية ٩٠٠ق.م-١٠٠م
GREC 700 AV.J.-C.					X	Θ	T		P			Φ		Σ		N	M	Λ	K		Θ	H	Z	Ω	H	Δ	Γ	B	A	اليونانية ٧٠٠ ق.م
NABATÉEN 500 AV.J.-C. - 106 AP.J.C.																														النبطية ٥٠٠ق.م-١٠٦م
LATIN 500 AV.J.-C.	GH	Z̤	DAD	Z	K	TH	T	SH	R	Q	Ṣ	F	ʿ	S	S	N	M	L	K	Y	Ṭ	Ḥ	Z	W	H	D	G	B	A	اللاتينية ٥٠٠ ق.م
PALMYRÉNIEN 44 AV.J.-C. - 272 AP.J.C.																														التدمرية ٤٤ق.م-٢٧٢م
SYRIAQUE 200 AP.J.C.																														السريالية ٢٠٠م

---

(١) الذّيبب، سليمان عبد الله: **نقوش صفوية وثمودية في المملكة العربية السعودية**، مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية، ٢٠٠٣م ١٤٢٤هـ

(٢) مرجليوث، ديفيد صأمويل– David Samuel Margoliouth (١٨٥٨-١٩٤٠م). إنجليزي يهودي متحوّل إلى الكنيسة الإنجليكانية، من كبار المستشرقين، متعصب ضد الإسلام، عين أستاذ للعربية في جامعة أكسفورد، له كتب عن الإسلام والمسلمين، لم يكن مخلصاً فيها للعلم. من مؤلفاته: «التطورات المبكرة في الإسلام»، و«محمد ومطلع الإسلام»، و«الجامعة الإسلامية» انتخب عضواً في المجمع العربي العلمي بدمشق، والمجمع اللغوي البريطاني والجمعية الشرقية الألمانية وغيرها. له ترجمة في: الأعلام، والمستشرقون والاستشراق، وآراء المستشرقين حول القرآن. مقتطف عن وكيبيديا.

(٣) أنظر: إسرائيل ولفنسون: **تاريخ اللّغات السّاميّة**، دار القلم بيروت، ط١ ١٩٨٠م، ص ص. ١٣-١٤. انظر كذلك، الصالح، صبحي: **دراسات في فقه اللغة**، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٩م. ص. ٤٨.

من جهة ثانية لا يسعنا إلّا التطرّق إلى ما أشار إليه أرشيف مُلتقى أهل الحديث، «من تطابق الأبجديّة الفينيقيّة والكنعانيّة مع الأبجديّة العربيّة. وإنّ تاريخ انبثاق الأبجديّة الفينيقيّة يتزامن مع تاريخ انبثاق الكتابة العربيّة؛ أي عام ١٠٠٠ ق. م.[١]؛ واللّغة العربيّة كانت تُعرف قديماً بالأبجديّة العربيّة قبل أنّ تصبح معروفة بالهجائيّة وبقيت تسميتها بالأبجديّة العربيّة لغاية عام ٦٢٠م.»[٢] غير أنّ الشيخ عبدّ الله العلايلي «يشكُ أشدَّ الشّكّ في أن تكون الأبجديَّةُ ترتيباً صحيحاً، ويخيّل إليّه أنّها عبارةٌ عن ضوابطَ للحروف، متّخذةً شكلاً كَلمياً لتسهيل الحفظ.»[٣]

وقد عالج محمد عقل الأبجديّة العربيّة، في بحثه (أبجديّة القُرءَان من مملكة سبأ) بإسهاب وتدقيق، وفق متابعة تنقيبيّة وتحليليّة لتطوّر كتابة الحرف من الصّورة إلى التجريد؛ أي (من الشكل إلى التسطير الكتابي) نافياً الصّفة السّاميّة للأبجديّة، مُعيدها إلى أصلها العربيّ، ومُفسّراً سبب تسمية كتابات تلك المرحلة بـ(الأبجديّة) أنّها ابتدأت بكلمة (أبجد) حاصرة كلّ الأصوات في عدد من الأحرف، وأنّ معنى أبجد من جذر بجد، وتعني دخلة الأمر وباطنه، وهي (الأخذ).[٤] كما في القول «ابن بجدتها».[٥]

---

(١) بل العربية الجنوبية، كما أشار محمد عقل، أقدم من الفنيقيّة حتّى أنّ «قدموس» تعني (قَدَمَ) وهو القادم من الشرق والـ(س) يونانية، وكذلك حال صَدَفة «الموريكس» هي (موريق) من (مَرَقَ) كما يلفظها الصيداويّون في لبنان الآن.

(٢) أرشيف ملتقى أهل الحديث ٥ ص: ١٠٩٠٦، وفي هذا المجال يتضح أنّ حروف الأبجديّة العربيّة الثمانية والعشرين، هي الأساس الصوتي المنسجم مع ءَالة النّطق، وأنّ استخدام بعض المجتمعات، لعدد محدود من الأصوات لا يبيح أن نعتبرها أساساً لمكوّنات الحروف، ونقيس عليها الحروف العربيّة كتابع لا كمتبوع.

(٣) العلايلي، الشيخ عبد الله، **مُقدّمة لدرس لُغة العرب، وكيف نصنع المعجم الجديد**، دار الجديد، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٧م: ص. ٢٢٦-٢٣٣.

(٤) عقل، محمد، **(أبجدية القرءَان من مملكة سبأ)**، دار المحجّة البيضاء بيروت: ص.ص. ١٩-٥٦. بتصرف.. انظر كذلك مادون، محمد علي: **خط الجزم ابن الخط المسند**، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، طبعة أولى ١٩٨٩. ص. ٧١-٨٦.

(٥) كما في قول المتنبّي: حتى أتَى الدّنْيَا ابنُ بَجدَتِهَا فَشكَا إلَيْه السّهلُ وَالجَبَلُ

ترتيب الأبجديّة

ترتيب الأبجديّة في المغرب مُختلف حيث تأتي على النّحو التالي: أبجد، هوَّز، حُطي، كَلمُن، سعفص، قرشت، ثخذ، ظغش. والترتيب الأبجدي المشرقي يوافق الترتيب الموجود في اللّغتين العبريّة والآراميّة مع الاحتفاظ بوضع الأحرف العربيّة السّتة في ءَاخر الترتيب. وكان هذا الترتيب معمولاً به إلى أنْ جاء نصر بن عاصم اللّيثي (ت ٨٩هـ)، زمن الخليفة الأمويّ «عبد الملك بن مروان»، ورتّبها الترتيب المعروف؛ وهو الترتيب الّذي يُعمل به الآن في البلاد العربيّة؛ من الابتداء بالألف، ثمّ بالباء، فالتّاء، فالثّاء، فالجيم، فالحاء، فالخاء...إلخ. وقصد به ضمّ كلّ حرف إلى ما يشبهه في الشّكل؛ وذلك بجمع الحروف المتشابهة في الرّسم إلى بعضها[١]، وقد ساد هذا الترتيب وجرى عليه أصحاب الصّحاح، ولسان العرب، والقاموس، وتاج العروس، وأصحاب معاجم اللّغة المعاصرون.[٢]

الأبجديّة وأصواتها

حروف الأبجديّة هي كما النّواة الّتي تحتوي مخطّط بناء الخليّة، أو مُجمل الخصائص الوراثيّة، الّتي ينقلها اللّسان إلى تسلسل مُعيّن يولّد كَلمة لها مفهوم مُحدّد. يتم تخزين المعلومات ذات التّنوّع اللّامحدود من الألفاظ، بمساعدة عدد محدود من الإشارات الصّوتيّة تمثّل، عند العرب، ثمانية وعشرين حرفاً، ولكلّ مجموعةٍ إنسانيّة مستقلّةٍ لغويّاً، نظامٌ من هذا النّوع، تحكمه ثلاثة عناصر:

---

(١) الأبجديّة الصّوتية الدوليّة (IPA). ويطلق عليها أيضًا الألفباء الصوتيَّة الدوليّة رموز كتابية ونظام لكتابة الأصواتية، وضعته الجمعية الصّوتية الدولية (جمعية أسّسها عام ١٨٨٦م، جماعة من علماء الأصوات الأوروبيين) عام ١٨٨٩م للتعبير عن أصوات اللّغات وفونيماتها، وهي أبجديّة تستخدم الرموز اللاتينية أساساً، كما تستعمل أيضاً لأغراض الدراسات الصوتية، ومقارنة أصوات اللّغات بعضها ببعض... ألخ. وقد أدخلت على هذا النظام إضافات لاحقة، وهي اليوم النّظام المعتمد للكتابة الصّوتية بين علماء اللّغة.

(٢) لمزيد من الإطلاع، يرجع إلى المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، والمسعودي، وصبح الأعشى، وفهرس ابن النّديم، وبلوغ الأرب، وتاج العروس، والمبرد، والسّيرافي. وكذلك الكردي، محمد بن طاهر بن عبد القادر الخطاط، **تاريخ الخط العربي وآدابه**، المطبعة التجارية الحديثة بالسّكاكيني، القاهرة، ١٩٣٩م.

١. عدد الأصوات الّتي يمكن أن تنطقها المجموعة.
٢. النّبرات الّتي تخرج بها هذه الأصوات في صورتها النّهائيّة.
٣. مجموعة الحركات والمقاطع الّتي تربط بين تلك الأصوات لتكوين المفردات.

وإذ ينكر (إسرائيل. ولفنسون)[١] إعتماد اللّغات السّاميّة ومنها العربيّة الأصوات، ويعتبر أنّها لا تلتفت إلّا إلى الحروف وحدها، لأنّه لم يوجد بين الحروف علامات للأصوات، فهي تهمل في رأيه، شأن الأصوات؛ بل يراها قد أفرطت بالحروف فزادت في عددها عن المألوف في اللّغات الآريّة، وأوجدت حروفاً للتفخيم والتضخيم والترقيق وإبراز الأسنان والضّغط على الحلق.. إلخ. إلّا أنّنا نرى أنّ صيغ الألف، والّتي هي: الفتحة والضّمة والكسرة والسّكون وكذلك التنوين، وما وصفه من تفخيم وتضخيم وترقيق، دلائل ومعايير دقّة وصول أصوات الحروف للتعبير عن قصد معناها، ومحتوى جوهر صورتها..

خُلاصة الفصل الأوّل

الأبجديّة العربيّة إذن؛ وفق مُعظم علماء اللّغة تقوم على أساسٍ صوتيّ، وتنطلق من تعريف الشّكل الكتابيّ (الرّسم الخطّي) المُكوّن من اجتماع حروف تُنطق أصواتاً لها مدلولات، اتخذت هيئات ترمز إلى أشياء أو حالات.[٢] شملت الأبجديّة العربيّة كُلّ الحروف الأصلية الّتي يمكن النّطق بها[٣]، وحافظت على الوضوح الكامل وعدم الالتباس في مخارج الأصوات. وحيث أنّ مجال بحثنا هو تقصّي معاني الحروف؛ كونها أصواتاً صيغت أشكالاً كتابيّة، وتدلّ هذه الأشكال على أصل الحرف

---

(١) أ. ولفنسون، **تاريخ اللّغات السّاميّة**، دار القلم بيروت، ص. ١٩-٢٠، بتصرّف.

(٢) خلاف الكتابة الهيروغليفيّة حين تكون الكلمة هي نفسها الصورة المرئية للشيء، فيشار إلى «الشمس» بالشكل، أنظر مقالة معروف مصطفى، أستاذ بقسم الفلسفة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، كتاب، **اللّغة والمعنى**، مرجع سابق ص. ٢٦٢، حيث يشير إلى تمييز وموقف جاك دريدا بين الكتابة الأبجديّة الصوتيّة، الّتي أريد لها أن تعيد إنتاج سلسلة الأصوات المتعاقبة للكلمة، والكتابات الّتي يتم فيها التمثيل على الكلمة بعلامة وحيدة كالهيروغليفية والصينية.

(٣) يلاحظ ما ذكره إبن سينا وغيره، لعدد من أصوات لحروف تزيد عن عدد حروف الأبجدية العربيّة، تمثّل حالات دمج أكثر من صوت معاً، في لهجات عربية مختلفة، وقد اعتبرنا هذه الحالات غير أصلية.

العربيّ الذي تابع تطوّره الكتابيّ حتّى وصلنا إلى ما عليه اليوم؛ فإنّ دراسة صوت الحرف هو المدخل الأساس لتقصّي دلالة المعنى الحركيّ له. والأبجديّةُ هي منطلقنا ءَاخذين في الاعتبار ما قيل من أنّ اللّغة مَرّت في كُلّ أمّة بثلاثة أطوار؛ الطّور الأوّل الطبيعيّ المنطقيّ؛ القائم على الحركات والأصوات، والطّور الثّاني الاجتماعيّ؛ الّذي أخذ فيه كلّ قوم يجعلون لتلك الحركات والأصوات معانٍ لم تكن لها في الطّور الأوّل، ثمّ الطّور الثّالث؛ الغنائيّ.(١)

(١) أنظر مجلة المجمع جـ ٤٩، ص ص. ١٢٣-١٣٧ .

الفصل الثّاني

صوت الحرف

- حدوث صوت الحرف
- مخارج الحروف
- هيئة صوت الحرف

تمهيد

جَدلُ التناقض، بين الانسياب والمُمَانعة، يحكمُ صوتَ الحرف الذي يبدأ محاولاً الاندفاع بالهمزة من الرّئتين. إلّا أنّ معيقات ءالة النّطق - كالحنجرة والحنك واللّسان والأسنان والشّفتين- تعترض مساره احتكاكاً ومداورة، لتشكيل نبضته في هيئة تُميّزها أُذن السّامع، وتختزنها في الذّاكرة كبصمة تستردها كلّما أعادت الاتصال. جدل التناقض بين الإنسياب والمُمانعة ميّز خروج هواء الرّئة مُشكّلاً ما صار يُعرف بأصوات حروف الأبجديّة. التّحكّم بهيئة صوت الحرف كتحكّم مفاتيح الآلة الموسيقيّة بالنّغمة. هكذا بُني على نبضة الصوت معنى وعلى حراكه قصد، ثمّ تتابعت الأبحاث تسعى للتدقيق والتمييز بغرض التبويب والتأليف حيناً، في محاولة لقراءَة الموروث. لهذا نأتي بإيجاز على بعض ما قيل في حدوث الصّوت مخرجاً ونُطقاً ودلالة.

حدوث صوت الحرف

تضافرت جهود عُلماء اللّسانيات قديماً وحديثاً في السّعي إلى تحديد موقع مخرج صوت الحرف، وما يتبع ذلك من تصويب للنُطق، لما يشكّله صوت الحرف من أساس لبناء اللّفظة ومن ثُمّ الكَلمَة والسّياق اللّغوي. وفي هذا المجال يرى علم الأصوات(1): أنّ اللّغة، مجموعة من الأصوات ينتجها الإنسان بوساطة جهازه

(1) تدرس الأصوات اللّغوية، في ضوء علمين، يسمى الأوّل منهما علم الأصوات ويطلق عليه أيضاً الفوناتيك؛ ويسمّى الآخر علم وظائف الأصوات، أو علم الأصوات التنظيمي، أو علم الأصوات التشكيلي، ويطلق عليه الفنولوجيا. ويدرس العلم الأوّل الأصوات من حيث كونها أحداثًا منطوقة بالفعل، لها تأثير سمعي معيّن، دون نظر في قيم هذه الأصوات، أو معانيها في اللّغة المُعَيَّنة، إنّه يُعنى بالمادة الصوتية، لا بالقوانين الصّوتية، وبخواص هذه المادّة، أو الأصوات بوصفها ضوضاء، لا بوظائفها في التركيب الصّوتي للغة من اللّغات. أمّا العلم الثاني الفنولوجيا فيُعنى بتنظيم المادّة الصوتية وإخضاعها للتقعيد والتقنين، أي البحث في الأصوات من حيث وظائفها في اللّغة. عن **الموسوعة العربيّة العالمية** مج١، عمل موسوعي ضخم اعتمد في بعض أجزائه على النّسخة الدولية

الصَّوتيّ (آلة[1] النّطق)، الّذي يُولَد مزوَّداً به، وهو يتكوَّن أساساً من: الرّئتين، والقصبة الهوائيّة، ثُمّ الحلق، والحنجرة، والحبال الصّوتيّة (الأوتار الصّوتيّة)، واللّهاة، واللّسان، والحنكين، والشّفتين، ومعها تجويف الفم والأنف. والطريقة الّتي يُنتِجُ بها الجهازُ الأصواتَ، تقوم على عملية يسيرة تنشأُ عن احتكاك الهواء بين العضلات فيُسمَعُ لها رنين، يخرج كُلّ مَرَّة على شكل مُغاير للمرّة الأخرى، وهذا الهواء تدفعه الرّئتان إلى المنطقة الّتي يُراد أن يخرج الهواء منها، فينتج بذلك ما نطلق عليه الصّوت. يقوم علماء الأصوات بدراسة شيئين هما: مخارج الأصوات؛ أي تحديد منطقة كلّ صوت على جهاز النّطق، ويسمّون الأصوات بحسب مخارجها، فيقولون: هذا صوت لَثوي، وذاك أسنانيّ، وآخر شَفوي، ورابع لهويّ وهكذا.. والشّيء الثّاني؛ هو صفات الأصوات، وهنا يقومون بوصف الصّوت بناءً على ملاحظة طريقة احتكاك الهواء بعضلات جهاز النُطق. وتتغيّر طريقة النّطق (طريقة احتكاك الهواء وطريقة وضع العضو النّاطق) في نفس المخارج، ويؤدّي ذلك إلى أنّ يتصف الصّوت بسمات مُختلفة، تحدّد صفاته النّطقية؛ فيقال: هذا صوت مهموس، وذاك مَجهُور، وثالثٌ رَخو، ورابع شديد وهكذا.[2] نتج عن هذا العلم تخصّصات تناولت مجالات عدّة. نُفصّلُها إلى ما يلي:

- علم الأصوات النُطقيّ. ويبحث في عملية إنتاج الأصوات اللّغويّة ومكان نُطقها، وطريقة إصدارها، ويسمّى هذا العلم أيضاً علم الأصوات الفسيولوجيّ، أو علم الأصوات الوظائفيّ.
- علم الأصوات الفيزيائيّ. ويبحث في أصوات اللّغة من حيث خصائصها المادّيَّة، أو الفيزيائيّة أثناء انتقالها من المتكلّم إلى السّامع، ويعرض هذا العلم لتردُد

من دائرة المعارف العالمية World Book International. شارك في إنجازه أكثر من ألف عالم، ومؤلف، ومترجم، ومحرّر، ومراجع علمي ولغوي، ومخرج فنّي، ومستشار، ومؤسسة من جميع البلاد العربية. مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع. ديسمبر ٢٠٠٠م، الناشرة: شركة أعمال الموسوعة للإنتاج الثقافي.

(١) آلة تكتب حركياً: ءَالة، إذ الهمزة هي المحفّز لحركة ألف المد الّتي تفيد التعامد بين الزّمان والمكان كفتحة مستمرة، وقد راعينا المتعارف عليه عند ورود كتابتها بصيغة: آلة.

(٢) أنظر التفصيل في الفصل الثالث: علاقة الصوت بالسّمع- ءَالة النّطق ومخارج الحروف ص. ٣٤.

الصّوت وسعة الذّبذبة وطبيعة الموجة الصّوتيّة وعلوّ الصّوت (النّغمة) ونوعه؛ أي (الجَرَس).

- علم الأصوات السّمعيّ. ويبحث في جهاز السّمع البشريّ وفي العملية السّمعية، وطريقة استقبال الأصوات اللّغويّة وإدراكها. هذا يقودنا إلى مفهوم السّمع فهو بخاصّية وعي المتلقّي، كالقول (سَمْعاً وطاعَة).
- علم الأصوات العام. ويبحث في الأصوات اللّغوية بشكل عام؛ أي دون ربطها بلغة فعْلية.
- علم الأصوات الخاص. ويبحث في أصوات لُغة مُعيَّنة دون سواها، مثل أصوات اللّغة العربيّة.
- علم الأصوات الآلي. ويبحث في أصوات اللّغة، باستخدام المنهج التجريبيّ، كما يستخدم الآلات الإلكترونيّة لكشف خصائص هذه الأصوات، مثل جهاز رسم الأطياف الّذي يحدّد نوع الصّوت وقوّته ونغمته. كما يستخدم الحنك الاصطناعيّ لدراسة الأصوات الحنكيَّة. ويسمَّى هذا العلم أيضاً: علم الأصوات المعمليّ، أو علم الأصوات التجريبيّ.
- علم الأصوات المقارن. ويبحث في وجوه الشّبه والاختلاف بين أصوات لغة ما، وأصوات اللّغات الأخرى.
- علم الأصوات المعياريّ. ويصف أصوات لُغة مُعيّنة، كما يجب أن تُنطَقُ بصورتها الصّحيحة، أو صورتها المثاليّة، لا كما ينطقها النّاس ويسمَّى أيضاً: علم اللّغة الفَرْضِيّ.
- علم الأصوات الوصفيّ. ويبحث في أصوات اللّغة المستخدمة في فترة زمنيّة مُحدّدة. وهو مقابل لعلم الأصوات التاريخيّ.
- علم الأصوات التاريخيّ. ويبحث في أصوات لُغة ما، لمعرفة التغيُر والتطوُر الذي أصابها عبر مراحل تاريخيّة سابقة.
- علم الأصوات البحت. ويبحث في الأصوات اللّغويّة لمعرفة خواصّها النُطقيَّة دون البحث في تطوّرها أو وظيفتها أو إدراكها.

- علم الأصوات القِطْعيَّة. ويبحث فـي الصَّوائت والصَّوامت فقط.
- علم الأصوات فوق القِطْعيَّة. ويبحث فـي النَّبر والفواصل والنَّغمات.
- علم الأصوات الوظيفيّ. ويدرس الأصوات من حيث وظيفتها؛ أي أنّه يدرس الفونيمات وتوزيعاتها وألوفوناتها، ويسمّى علم الفونيمات[1].
- علم عيوب النُطق. ويدرس عيوب النُطق لدى الأفراد وأسبابها وطُرق عِلاجها.

ميّز كل من ريمون ودنيز طحّان[2] «*بين فونتيكا السّامع، وفونتيكا المتكلّم، للوصول إلى بناء منهج علم الصّوت التركيبيّ، وذلك بناء على أنّ الألسنيّة العامّة اللّغويّة تتوخّى دراسة تنظيم اللّغة، فهي ترى أنّ المفردات تأتلف* فـي *جملة مفيدة، وتجتمع* فـي *كلام صريح، بواسطة الإشارات والعلاقات الصّوتيّة والمعجميّة والصّرفيّة والنّحويّة، ويخضع الكلام لتنظيمات مُعيّنة،* فـي *تنظيمه الفونولوجيّ الّذي يوزّع الأصوات بشكل لا يتراكب فيه صوت مع صوت آخر.*»

إلى ذلك فإنّ لعلم الأصوات مجالاتٍ عديدةً من أهمّها: دراسة جهاز النُطق البشريّ، ووصف الصّوت اللّغويّ والتفريقُ بين الفونيم والألوفون. وهما من أكثر المصطلحات المستعملة فـي علم الأصوات. وللفونيم عدّة تعريفات، من أهمّها تعريفه بأنّه مجموعة أصوات متماثلة صوتيّاً في توزيع تكامليّ، أو تغيُر حر. أمّا الألوفون؛ فهو عضو في فونيم ما، يتماثل صوتيّاً مع سواه من ألوفونات. والفونيم ذاته يتوزّع معها تكامليّاً، أو يتغيّر معها تغيُراً حُراً. وتنقسم الفونيمات إلى فونيمات قِطْعيَّة تشمل: الصّوامت والصّوائت، وفونيمات فوق القِطْعيَّة وتشمل: النّبرات والفواصل والنَّغمات. وتختلف اللّغات فـي عدد فونيماتها، وليست جميع الفونيمات موجودة

---

(١) الفونيم: أصغر وحدة صوتية مميّزة ليس لها معنى نحوي أو دلالي، والألوفون تنويعة نُطقية في السّياق الصّوتي، لنفس الفونيم. فعلى سبيل المثال: الصوت /ف/ في اللّغة العربية فونيم، لكن بعض العرب قد ينطق هذا الفونيم في كلمة لفظ قريبًا من الصوت الإنجليزي /V/ ويكون الصّوت [ف] أو [V] في كلمة لفظ تنويعة نطقية أو صوتية للفونيم، أي ألوفونًا في اللّغة العربية، وليس فونيمًا كما في اللّغة الإنجليزية مثلا.

(٢) طحّان، ريمون. وطحّان، دنيز بيطار: **فنون التقعيد وعلوم الألسنية**، منشورات دار الكتاب اللبناني بيروت، ١٩٨٣م ص. ١٣١، وما بعدها.

فـي جميع اللّغات، كما أنّ الفونيم ذاته قد يُوجد فـي لغتين ولكن بمكان نطق مختلف مثل: صوت /ت/ الأسنانيّ فـي العربيّة وصوت /t/ اللّثويّ في الإنجليزيّة ومثل صوت /ر/ التكراريّ فـي العربيّة وصوت /r/ الانعكاسيّ فـي الإنجليزيّة الأمريكيّة، وما هو فونيم فـي لغة ما، قد يكون ألوفوناً فـي لغة أخرى، والعكس صحيح.(١)

مخارج الحروف

نستطلع في هذا المجال ما تركه لنا السّلف. إن لم يفصح كُلّياً عَمّا نسعى إليه، إلّا أنّه يزوّدنا بسراج يرشدنا إلى غايتنا. مشكاتُنا الأولى وجدناها في (كتاب العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي(٢)، وهو من ابتدع طريقة قائمة على تحليل أصوات الكَلمة، ومشاهدتها فـي طريقة إخراجها من حيّز الفم. نذكر بعض ما ورد فـي المقدّمة، من الجزء الأوّل، ما يلي: «***لقد أحصى الفراهيديّ اللّغة العربيّة إحصاءً يُعدّ بحق من أهم العمليات العلميّة التي أسّست لمنهج المعاجم العربيّة، إذ وضع أسس علم الأصوات بملاحقة صوت الحرف من مخرجه إلى السّمع، وسجّل حركته في آلة النّطق.***»(٣)

لقد قسّم الفراهيدي الأحرف، حسب مخرجها من أقصى الحلق إلى الميم المُطبقة؛ أي الميم الّتي مخرجها من الشّفتين بالسّالب، إلى مجموعة من خمسة وعشرين حرفاً أسماها (صحاحاً)، هي بالتّرتيب التّالي: (ع،ح،هـ)- (خ،غ) حلقيّة-

---

(١) **فونيمات اللّغة العربية**: للّغة العربيّة أربعة وثلاثون فونيمًا قطعيًا واثنا عشر فونيمًا فوق القطعيّ، وفيما يلي سرد للفونيمات القطعيّة: /ت/ /ط/ /ك/ /ق/ /ء/ /ب/ /د/ /ض/ /ج/ /ف/ /ث/ /س/ /ص/ /ش/ /خ/ /ح/ /ه/ /ذ/ /ز/ /ظ/ /غ/ /ع/ /م/ /ن/ /ل/ /ر/ /و/ /ي/ الكسرة /ِ/ الفتحة /َ/ الضمة /ُ/ الكسرة الطويلة /ي/ الفتحة الطويلة / ا / الضمة الطويلة / و.

(٢) الفراهيدي، الخليل بن أحمد (١٠٠-١٧٥ لـ١ لهجرة)، كتاب العين- سلسلة المعاجم والفهارس- تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السّامرائي. سمّي كتابه بالعين ذلك الحرف الأنصع من بين الحروف الحلقية وإن لم يكن أقصاها. ولم يبدأ بالهمزة لأنه يلحقها النقص والتغيير والحذف، ولا بالألف لأنّها لا تكون في ابتداء كلمة ولا في اسم ولا في فعل إلا زائدة أو مبدلة، ولا بالهاء لأنها مهموسة خفيّة لا صوت لها، فنزل إلى الحيز الثاني، وفيه العين والحاء، فوجد العين أنصع الحرفين، فابتدأ به ليكون أحسن في التأليف.

(٣) المرجع السّابق- الجزء الأوّل- الصفحات: من ص.ص ٤٧- ٥٢.

(ق، ك) لهويّة- (ج،ش،ض) شجريّة من شجرة الفم- (ص،س،ز) أسليّة؛ من أسلة اللّسان؛ أي مُستدقُ طَرَفه- (ط،د،ت) نطعيّة[1]، من نطع الغار الأعلى- (ظ،ث،ذ) لَثويّة من اللّثة، زلق اللّسان وهي؛ (راء ولام ونون) تخرج من طرف غار الفم، وزلق الشّفتين وهي؛ (الفاء والباء والميم). أمّا حروف: الواو والياء والألف اللّينة، فأسماها (جوفيّة)؛ لأنّها تخرج من الجوف، فلا تقع في مدرجة من مدارج اللّسان، ولا الحلق، ولا اللّهاة، إنّما هي هاوية في الهواء فليس لها حيّز تنسب إليه إلّا الجوف، وأنّ الهمزة في الهواء لا حيّز لها. وأمّا الحروف الأخرى فقد ارتفعت فوق ظهر اللّسان من لَدُنّ باطن الثنايا بين الغار الأعلى ومن ظهر اللّسان؛ وأمّا مخرج الجيم القاف والكاف؛ فمن بين عُكدة اللّسان وبين اللّهاة في أقصى الفم، ومخرج العين والحاء والهاء؛ فمن الحلق، والهمزة من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة؛ فإذا رفّه عنها لانت فصارت الياء والواو والألف اللّينة. بعمله هذا دلّنا على عمل ءَالة النّطق وتفاصيل حركة الأحرف وعلاقتها بالجهاز الصّوتي؛ مؤكّداً أنّ الحرف هو صوت. وجعل من الألف الأولى؛ أي الهمزة، عِماداً وسُلّماً لحركة الحروف، بدونها لا ينطق بها اللّسان؛ ذلك أنّ اللّسان لا ينطق بساكن. ولا ينطق إلّا بالرّاء واللّام والنّون.

المشكاة الثّانية كانت رسالة «أسباب حدوث الحروف»، للشيخ الرّئيس إبن سينا[2]. وكان قد تناول في هذه الرّسالة القيّمة، وبأسلوب علميّ، الموضوعات التّالية:

- سبب حدوث الصّوت.
- سبب حدوث الحرف.
- تشريح الحنجرة واللّسان.
- الأسباب الجزئيّة لحرفٍ حرفٍ من حروف العرب.
- الحروف الشّبيهة بهذه الحروف [وليست في لغة العرب].

---

(١) النّطع: هي الجلدة عند موقع اللّسان في الحنك.

(٢) إبن سينا، الشيخ الرئيس أبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا، (٣٧٠-٤٢٨هـ) **رسالة أسباب حدوث الحروف**، تحقيق محمد حسّان الطيّان، يحيى مير علم، مطبوعات مجمع اللّغة العربية بدمشق، وتقديم شاكر الفحّام، في ١٧\١٢\١٩٨٢.

- أن هذه الحروف قد تُسمع في حركات غير نُطقيّة.

سبب حدوث الصّوت- عند إبن سينا- «***هو تموّج الهواء دفعة، بسرعة وقوّة من أيّ سبب كان***»[1]. وسبب حدوث الحروف- عنده أيضاً- بيّنه في الفصل الثّاني، في قوله: «***أمّا نفس التّموّج فإنّه يفعل الصّوت، وأمّا حال التموّج في نفسه من اتصال أجزائه وتملّسها أو تشظّيها وتشذّبها فيفعل الحدّة والثّقل، أمّا الحدّة فيفعلها الأوّلان، وأمّا الثّقل فيفعله الثّانيان، وأمّا حال المتموّج من جهة الهيئات الّتي يستفيدها من المخارج والمحابس في مسلكه، فيفعل الحرف***»[2].

كان تشخيص إبن سينا تشخيصَ وتدقيقَ طبيب وعالمٍ، تناول حدوث الصّوت؛ من قرع وقلع وتموّج، وضغط الهواء، بتفصيل المُلمّ الخبير، لينتقل في حدوث الحرف من حال التموّج إلى الشدّة والحِدّة والثّقل والتشذيب، في تأثير ومواكبة المخارج والمحابس في مسلكه، فيفعل الحَرف، ليخرج بنتيجة: «***أنّ الحرف هيئة للصوت، عارضة له، يتميّز بها عن صوت ءاخر مثله في الحدّة والثّقل، تميّزاً في المسموع. والحروف بعضها مفردة، وحدوثها من حبسات تامّة للصوت، يتبعها إطلاق دفعة، وبعضها مركّبة وحدوثها على حبسات غير تامّة لكن تتبع إطلاقات***»[3].. كما تناول تشريح الحنجرة واللّسان، مُبيّناً أنّ الحُنجرة عضو غضروفي خلق ءَالة الصّوت، ثُمّ أسهب في تفصيل لآليّة عمل اللّسان واتصاله بمكوّنات ءَالة النُطق. وما يهمّنا في هذا السّياق هو ما ورد في الفصل الرّابع من كتابه، في الأسباب الجزئيّة لحرف حرفٍ من حروف العرب.

وبيّن إبن سينا، في الباب السّادس أيضاً، ما يماثل أصوات الحروف من حركات غير نُطقيّة، كما نُبيّنه في الهامش أدناه[4]. وقد وجدنا فيما قاله مقاربة

---

(١) إن سينا، رسالة أسباب حدوث الحروف، المرجع السّابق نفسه. ص. ١٠٣.

(٢) امرجع السابق نفسه، ص. ص. ٥٩-٦٠.

(٣) لمرجع السّابق نفسه، ص.ص. ٥٤ - ٦٠، بتصرّف.

(٤) «*تسمع (العين) من كلّ إخراج هواء بعنف من مخرج رطب، والحاء عن أضيق منه وأعرض، والخاء عن حكّ كل جسم ليّن حكاً كالقشر بجسم لين، والهاء عن نفوذ الهواء بقوّة بجسم غير ممانع كالهواء نفسه، والقاف عن شقّ الأجسام وقلعها دفعة، والغين من غليانات الرّطوبية في أجزاء كبار تندفع إلى جهة واحدة، والكاف عن وقوع كل جسم صلب كبير على بسيط آخر صلب مثله، والجيم عن وقع*

جديرة بربط دلالتها بما توصّل إليه منهج بحثنا في معاني الحروف، ومثال ذلك قوله: *«إنّ صوت القاف يماثل شقّ الأجسام وقلعها دفعة واحدة»*، وعندنا أنّ حركة صوت القاف قوّة بيان وفصل تفصح عن المكنون. وقوله أيضاً إنّ الهاء: *«تماثل نفوذ الهواء بقوّة بجسم غير ممانع كالهواء نفسه»*، ومعنى حركة الهاء عندنا: انتقال بشفافيّة، والصّاد عنده: *«يماثل انفلاق فقيع كبار من الرّطوبات»*، وعندنا: هو تكافل وترابط، فالانفلاق لا يكون إلّا لمَا كان مُترابطاً، بذلك نجد من المناسب مقاربة التّشابه بين المعنى الحركيّ للصوت وما يماثله من حركات غير نُطقيّة. ربّما أسعفتنا المقاربة لدى التعرّيف المعمّق لكلّ حرف.

هيئة صوت الحرف

إذن، ووفق إبن سينا، حدوث الحرف يأتي بعد حدوث الصّوت وأنّه هيئة له. وحيث أنّ الصّوت حركة تصادم تموّج الهواء؛ فالحرف هو ظهور حركة صوته في هيئة تمايز دلالتها. وبما قادنا إليه الفراهيدي من متابعة تلك الحروف عند خروجها من ءَالة النّطق، وفق تدرّج تصاعدي من الجوف إلى الشّفتين، جاعلاً من ءَالة النّطق جهازاً مصدّراً للصوت؛ أي لحركة الحرف، ينبغي لنا أنْ نتدرّج معه في متابعة عمل ءَالة النّطق، ومُعاينة تحكّمها في إظهار وزن وقوّة وشدّة وشفافيّة

الرّطوبات في الرّطوبات مثل قطرة من الماء لها مقدار تقع بقوّة على ماء واقف فتغوص فيه. والسّين عن نشيش الرّطوبات وعن نفوذ الرّطوبات، في خلل أجسام يابسة نفوذاً بقوّة، والصّاد عن انفلاق فقيع كبار من الرّطوبات، والضّاد السبب الذي نذكره والسين إذا وقع في جرم ذي دويّ أو كان معه قرعَ بشيء له تقريع يسير. والشّين عن مس جسم يابس جسماً يابساً وتحركه عليه، حتى يتسرّب ما بينهما هواء من منافذ ضيّقة جداً، ويسمع أيضاً عن نفوذ الهواء بقوّة في مثل أسنان المشط، والزّاي عن مثل ذلك إذا أقيم في وجه الممر جسم رقيق ليّن كجلدة تهتز على نفسها، والطّاء عن تصفيق اليدين بحيث لا تنطبق الراحتان بل ينحصر هناك هواء له دويّ ويسمع عن القلع شبه مثله. والتاء عن قرع الكف بإصبع قرعاً بقوّة. والدّال أضعف منه، والذال مثل الزّاي إذا كان المهتز أغلظ وأضخم وأشد، فيتخلخل منفذ الهواء. والثّاء مثل الشين إذا لم يكن مهتزاً ولكن كان السّد أشد، ونسبة الذال إلى الزاي كنسبة التاء إلى السين. والرّاء عن تدحرج كرة على لوح من خشب من شأنه أن يهتز اهتزازاً غير مضبوط بالحبس. واللام عن صفق اليد على رطوبة، أو وقوع شيء فيها دفعة حتى يضطر الهواء أن ينضغط ثمّ ينصرف وتتبعه الرّطوبة. والفاء عن حفيف الأشجار، والباء عن قلع الأجسام اللينة المتلاصقة بعضها عن بعض» المرجع السّابق نفسه، ص ٩٢ وما بعدها.

وامتداد حركة كلّ من حروفها؛ لذلك سنتبنّى هذه الآليّة في استخراج دلالة كلّ حرف، لما يساعد من ربط بين الدّلالة الحركيّة وسببها، على استنطاق المعنى الحركيّ.(١)

المشكاة الثّالثة، هي كتاب «الحروف» للفارابي، الّذي عالج سبب اختلاف الألسنة وحدوث الحرف من خلال اختلاف الصّوت، بعد انتقال التواصل بين النّاس، قائلاً: «..***وأوّل التصويتات النّداء، .ثمّ بعد ذلك يستعمل تصويتات مختلفة ليدل على المحسوسات لكلّ ما يشار إليه تصويتاً مُحدّداً، وظاهر تلك التصويتات تكون من القرع بهواء النّفس بجزء أو بأجزاء من حلقه، أو بشيء من أجزاء ما فيه وباطن أنفه وشفتيه، فإنّ هذه هي الأعضاء المقروعة بهواء النّفس. والقارع هي القوّة الّتي تسرّب هواء النّفس من الرّئة وتجويف الحلق أوّلاً فأوّلا، إلى طرف الحلق الّذي يلي الأنف والفم وإلى ما بين الشفتين، ثمّ اللّسان يتلقى ذلك الهواء فيضغطه إلى جزء جزء من أجزاء باطن الفم، وإلى جزء جزء من أجزاء أصول الأسنان، وإلى الأسنان فيقرع به ذلك الجزء فيحدث من كلّ جزء يضغطه اللّسان عليه ويقرعه عليه تصويت محدود، وينقله اللّسان بالهواء من جزء إلى جزء من أجزاء أصل الفم فتحدث تصويتات متوالية كثيرة محدودة. وظاهر أنّ اللّسان إنّما يتحرّك أوّلاً إلى الجزء الذي حكّته إليه أسهل.***»(٢)، ويخلص إلى أنّ اختلاف المساكن والبيئة يدلّان إلى اختلاف ألسنة المجتمعات. فتخالف حينئذ التصويتات الّتي يدل بها، أو يشير إليه أو إلى محسوسه. ويكون هو السّبب في اختلاف ألسنة الأمم. هنا تأكيد على وحدة ءَالة النّطق واستدعائها مجدّداً، لتمييز حركة الحروف، واستنطاقها لمعرفة سبب تمايز واختلاف دلالة الموجة الصّوتيّة وتنوّعها بين الشّعوب. فإذا كانت البيئة من حَدّد حيّز استعمالات مخارج ءَالة النّطق، فذلك يقود إلى أنّ التنوّع البيئيّ ومساحة التواصل والتنقّل، أكسب ءَالة النّطق القدرة على تشكيل أصوات مستنفدة كلّ الاحتمالات الممكنة.

---

(١) سوف نعتمد مسمّى (المعنى الحركيّ) لتمييز معنى دلالة الحرف كصوت حركيّ، عن المعنى المعجميّ أو شائع الاستخدام. الإسم والسّمة، وفق الدّلالة الحركيّة تفيد الهيمنة المتكاملة إمّا إنشاءً وإمّا انتقالاً.

(٢) الفارابي، أبو نصر: كتاب الحروف، تحقيق وتقديم محسن مهدي، دار المشرق- بيروت، ١٩٩٠، طبعة ثانية ص.ص. ١٣٤-١٣٧.

قُسّمت الحروف من حيث الصّوت إلى ثلاثة أقسام:

- الشّديد من الحروف[1]، وهو الّذي يمنع الصّوت أنْ يجري فيه. كما لو قلت: (الحق) فلو رُمْتَ مَدّ الصّوت في القاف لكان ممتنعاً. وهذه الحروف ثمانية هي: الهمزة، والقاف، والكاف، والجيم، والطّاء، والدّال، والتّاء، والباء، يجمعها القول (أجدت طبقك).
- الحروف الّتي بين الشّديد والرّخو[2]، هي أيضاً ثمانية: الألف، والعين، والياء، واللّام، والنّون، والرّاء، والميم، والواو، يجمعها القول: (لم يروعنا).
- الرّخو[3] من الحروف الّتي يمكن مدّ الصوت بها وهي باقي حروف الأبجديّة.

قسّمت الحروف لغرض تمييزها وتصنيفها إلى:

- الأصوات السّاكنة الّتي تصدر من احتكاك الشّفتين دون الاستعانة بأيّ عضوٍ من ءَالة النُطق، نتيجة لطرد الهواء إلى الخارج. وأكثرها وضوحاً اللّام والميم والنّون.
- المكتومة: مثل الباء، الواو، لا تسمع إلّا بانفجار ناتج عن فصل الشّفتين.

---

(١) **الصوت الشديد:** هو الذي يلتقي فيه عضوا النّطق (الثابت والمتحرّك) التقاء محكماً، فينحبس الهواء لفترة ثمّ ينفرج العضوان فيندفع الهواء مسرعاً مُحدثاً انفجاراً، كـ«التاء» إذ توقّف الهواء عند نطقها لفترة ثمّ انفرج العضوان، هذا ما سماه المتقدّمون بالصوت الشديد، وأمّا المتأخّرون فيسمونه بالصوت الوقفي، كما يسمّونه بالصوت الانفجاري، وذلك لانفجار الهواء بعد الحبس، كما أن البعض يطلق عليه التسميتين معا فيقول: صوت وقفي انفجاري مراعاة لحالتي الهواء.

(٢) **الصوت المتوسط** : وهو الصوت الذي يضيق معه مجرى الهواء ضيقاً لا يصل إلى درجة يكون له احتكاك، وهذا ما يسميه المتقدّمون بين الشديد والرّخو، أو المتوسط .. ويسميه المتأخّرون بالصوت الرنيني وقد يقول بعضهم إنه الصوت المائع.

(٣) **الصوت الرّخو:** هو الصوت الذي يلتقي فيه عضوا النّطق الثابت والمتحرّك، التقاء غير تام، فيخرج الهواء مع الضّيق محدثاً حَفيفاً واحتكاكاً، كنطق السّين، يسميه المتأخّرون بالصوت الاحتكاكي، وأمّا المتقدّمون فقالوا إنّه الرخو، وذلك لأنّ الالتقاء غير المحكم التقاء فيه رخاوة، بمعنى أن الهواء يجبره على أن يجد له مخرجا فيخرج.

- الصّائتة: يسمع لها صوت مستمر، نتيجة لطرد الهواء دون انفجار. مثل: السّين والشّين، والزّاء والذّال.

وفي هذا المجال يقول زكي الأرسوزي: ***«لمّا كان الهواء يخرج من الحنجرة متموّجاً فإنّ كلّ موجة تحدث بوقفتها حرفاً بنائيّاً، وبانتقالها بين وقفتين حرفاً صوتيّاً، ومن تركيبيهما لحناً (مقطعاً)، وما الكلمة إلّا منظومةُ الحان يجيب بها الذّهن في وحدة من الزّمن على إلهام فكرتها.»***[1] وهذا القول يجد صدىً في ما توصّل إليه علي نجيب إبراهيم من أنّ: ***«المادّة اللّغوية تتألف من عناصر صوتية أصغر من الكلمة، الّتي هي مركّبة من مقاطع صوتية قابلة للتجزئة.»***[2] مما يلتقي مع ما توصّلنا إليه أنّ الصوت هو هيئة الحرف وصورته الّتي منها يتكوّن اللّفظ والكلام.

أمّا حسن عبّاس، فقد أرجع الاختلاف في تعيين مخارج الحروف بين علماء اللّغة، ***«إلى تردّد تلفّظهم بصوت الحرف الواحد موضوع الاختلاف بين الجهر والهمس، أو الشدّة والتّخفيف، أو التّفخيم والتّرقيق. وفقاً لنطقه بها، أو حسب سماعها. فالحرف الذي يُشبع صوته جيّداً، أو يشدّد، أو يفخّم، يتقدم مخرجه إلى الأمام نحو الحلق، ويعلو أكثر نحو سقف الحَنَك أو سقف الحلْق. وليس لهم ضابط في ذلك إلّا السّماع الشّائع في عصر كلّ منهم، أو نقلاً عن كتب اللّغة، ليظلوا بذلك في موقعهم ذاته من المشكلة دون حل.»***[3]

ميّز (إخوان الصّفاء وخلّان الوفاء) الفرق بين الصّوت والكلام في الرّسالة السّابعة عشر من رسائلهم الاثنتين والخمسين[4] في قولهم: ***«أصل الأصوات في الرّئة هواء يصعد إلى أن يصير إلى الحلق، فيدير اللّسان على حسب مخارجه، فإن***

---

(١) الأرسوزي زكي نجيب، **المؤلّفات الكاملة**، مطابع الإدارة السياسية للجيش والقوات المسلحة، دمشق، ١٩٧٢م المجلد الأوّل. ص ص. ٣٢١-٥١.

(٢) إبراهيم، علي نجيب: **جماليات اللّفظة بين السياق ونظرية النظم**، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق، الطبعة الثانية ٢٠٠٤ م. ص ص. ١٣-١٦، بتصرّف..

(٣) عبّاس، حسن، **خصائص الحروف العربية ومعانيها**، ص. ٢٠٦-٢٠٨.

(٤) **رسائل إخوان الصفاء وخلّان الوفاء**، الجزء الثالث ص. ١١٤.

خرج على حروف مقطّعة مؤلّفة عرف معناه وخبره، وإنّ خرج على غير حروف لم يفهم كالنّهاق والرّغاء والسّعال، فإن ردّه اللّسان إلى مخرجه المعلوم في حروف مفهومة، يسمّى كلاماً ونطقاً، بأيّ لفظة كانت على حسب الموافقة ومساعدة الطبيعة.. وما كان منها عن أجسام الحيوان قيل أصوات ونغمات، وما كان منها عن حركة الهواء قيل: صفير وزمير، وعن حركة الماء قيل دويّ وخرير وأمواج، وما كان من المعادن والأحجار والخشب قيل: وقع وطنين ونقرة، وما كان من جهة الإنسان قيل كلام ولفظ ومنطق بالجملة.»

عالجت آمنة صالح الزّعبي[1] التبدّلات الصوتيّة في حروف اللّغة العربيّة في دراسة مقارنة مع اللّغات المسمّاة ساميّة، من خلال البعدين التاريخيّ والتركيبيّ، مُبيّنةً القوانين الّتي حكمت تلك التبدّلات ومساهمتها في تَعدُد البُنى الصّوتيّة للكَلمة الواحدة. الدّراسة المقارنة المسهبة هذه تؤسّس لتمييز هيئة صوت الحرف العربيّ وتخليصه من الشوائب، فيتسنّى لنا استقراء دلالة مُسمّاه.

ونخلص بنتيجة إلى ما قاله خالد آغا القلعة: *«الأمّ الوحيدة في المجال اللّغوي هي الصّوت اللّفظيّ الواحد لكافّة الأحرف، وفي كلّ لغات العالم، قديمها وحديثها، وذلك يعود إلى أنّ الأنف والحنجرة واللّسان والأسنان مع وجود الفراغ داخل الفم حينما تطبق الشفاه، هم المخرج الوحيد، أو الأمّ الوحيدة للفظ الأحرف لدى كلّ البشر[..] وأنّ كلّ أبجديات اللّغات لفظاً هي واحدة، لأنّ الحركة الّتي هي شكل العلاقة بين الحرف الّذي سينطلق به النّطق، هي حركة تصادم، ولا بدّ لها من أنّ تخرج صوتاً؛ وهو الذي صار حَرفاً؛ لأنّ البشر مارسوا النّطق من مكان واحد هو أفواههم، إضافة إلى المناخ الفيزيائيّ الذي ينقل الطّبقات الصّوتيّة إلى الأذن».*[2]

---

(١) الزّعبي، آمنة صالح، التغيّر التاريخي للأصوات في اللّغة العربية واللّغات الساميّة، دار الكتاب الثقافي، إربد، الأردن، ٢٠٠٨.

(٢) القلعة، خالد آغا: السّيرة المفتوحة للنصوص المغلقة، دار كنعان- دمشق، ج ٤، ص.ص. ٣٥، ٥٤.

خُلاصة

تأكّد لنا ممّا تقدّم أنّ صوت الحرف هو مادّة البناء اللّغويّ، المشيَّد من حروف تشكّل العناَصر الأوّليّة لتركيب الكلام. وأنّ الهمزة أمّ الحروف وأمّ الحركات وما إدخالها على الحرف وهو ساكن إلّا وسيلة لتحديد هويّة الحرف ومخرج حركته. وما سُقناه من آراء (ءَاراء) يهدف إلى تحديد هويّة حركة صوت الحرف العربيّ، الّذي يساعدنا في الوصول إلى معنى مسمّاه. ربّما تُمكّننا الدّلالات الصّوتيّة من استنباط المعنى الحركيّ للحرف.

الفصل الثّالث

عُلاقة الصوت بالسّمع

- السّمع سجلّ النُطق
- ءَالة النّطق ومخارج الحروف
- المراكز المتحرّكة لآلة النُطق
- البصمة الصوتيّة

تمهيد

يُميِّز جهاز السّمع الصّوت، كوسيلة من وسائل الإدراك، الّتي بيّنها التّنزيل القُرءاني في قوله: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم من بُطُون أُمَّهَاتكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ النّحل٧٨. التّرابط المُحكم بين السّمع والنُطق والذّاكرة، في أداء مهمّات استيعاب المخزون المعرفيّ، واستنباط العلوم من المعطيات التي تعاينها وتسجّلها، يبدأ أوّلاً من خلال النّطق بحروف اللّغة وتشكيل الكلام المفهوم والمتداول، لذلك يميّز السّمع ما يصله ويسجّله لكي تستعين به الذّاكرة في التواصل المعرفيّ.

السّمعُ سِجِلُ النُطق

ءَالة السَّمع ليست جهاز تلَقٍّ يلتقط الأصوات لتخزينها فقط، وإنّما يقوم بفرزها وتصنيفها وتحديد دقائق خصائصها وتمييز أصحابها ومصادرها، أو القياس عليها، في مسعى لتسهيل استخدامها عند الحاجة.

ذكر إبن خلدون؛ أنَّ السّمع أبو الملكات اللّسانية،[1] كما أشار غيره من علماء الاجتماع[2]، إلى أنّ السّمع سبق النّطق، والعرب كما يقول القصيمي[3]، غالباً ما يذكرون الأُذن أو حاسّة السّمع أوّل الأوصاف الحميدة، وأوّل الأوصاف المسلوبة: ***«أي أنّ الأذن هي البدء [4]، وهذا الاستعمال أو الالتزام ظاهر في موارد القُرءان الكريم التالية: (إنّ الله سميع عليم)، (وكان الله سميعاً بصيراً)، وكان الله سميعاً خبيراً)، (وكان الله سميعاً حكيماً).. إلخ»***. هذا أمر مُشاهَد في تعلّم الطفل الكلام، وتمييز الدّلالات بعد أن يسمعها. كذلك في عدم قدرة الأخرس على النّطق بسبب افتقاده للسّمع. إلّا أنّ السّمع عند الحيوان والطّير لا يجعله قادراً على الكلام، إلّا بحدود

(١) إبن خلدون، عبد الرّحمن، **المقدّمة**، ص: ٣١٣.

(٢) أنظر أيضا إبراهيم أنيس: **الأصوات اللّغوية** – مرجع سابق، ص. ١٣ وما بعدها.

(٣) القصيمي، عبد الله: **العرب ظاهرة صوتية**، منشورات الجمل، كولونيا، المانيا، ٢٠٠٢م. ص. ٢٠٧.

(٤) يلاحظ مسمّى الأذن فهي الّتي تأذن وتسمح بمرور الصوت بعد التحقق منه.

تركيب جهازه الصّوتيّ، وهذا تأكيد على اختلاف في ءَالة النّطق، وربّما مَردّ ذلك أيضاً إلى اختلاف وظيفة ءَالة السّمع في الدّواب عنها في الإنسان؛ وذلك لمَا في السّمع من أهمّيّة لإدراك الصّوت اللّغويّ، وسبب حدوثه، ما يستوجب من السّامع الانتباه والتمييز الدّقيق لمصدره ودلالات إيحاءاته، لمقاربتها مع المخزون المعرفيّ. وهنا يمكن الأخذ بالاعتبار الاختلاف المحتمل بين الأثر المطلوب والأثر المتحصّل، وكذلك القدرة السّليمة على النّطق، واسترجاع المتلقي للأصل الحقيقي تصويباً وفق ذهنيته اللّغوية.

يقول عبد السّلام المسديّ: ***«إنّ النّظام الكلاميّ الذي يستند إليه السّامع لا يقتصر*** في ***استكمال شحنة المعلومات على أصوات الرّسالة المتلقّاة، ذلك أنّ التّشكّل الصّوتيّ الذي تلبسه الرّسالة يمكّن المتقبّل من تحديد هوية المرسل. على أنّ السّامع إذْ يقارن بين نظامه الخاص ونظام مُحَدِّثه يتسنّى له الاستدلال على أصل مخاطبه وعلى درجة ثقافته، وعلى انتمائه الاجتماعيّ، كما أنّ مميّزات صوته الطّبيعيّة تعرّفه على جنسه وفصيلته على المستوى الفيزيولوجيّ النّفسانيّ.»***[1]

آلة (ءَالة) النّطق ومخارج الحروف

تتكوّن ءَالة النُطق عند الإنسان من عدّة أعضاء ولكلٍ منها دور خاص في عملية النّطق، كما يلي:

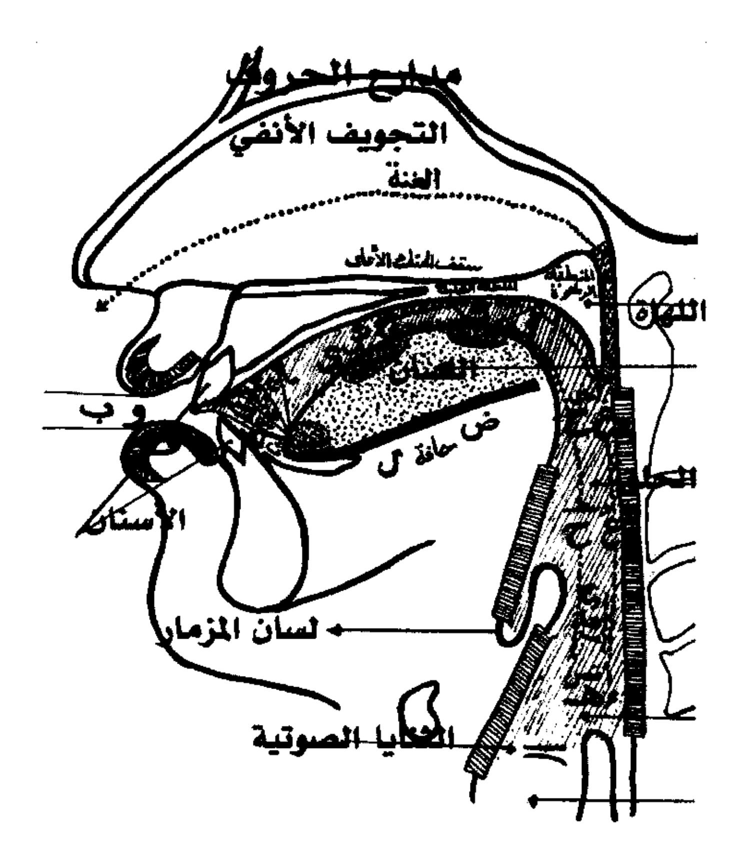
- عَضلات البَطن، والحجاب الحاجز، والرّئتين، والقَصبة الهوائيّة، وهي التي تعمل على دفع الهواء وتحفيزه للخروج. يمثل (الزّفير) إخراج الهواء عملية تدخّل في الفعل التصويتي من حيث المد فهو يحدّد مُسبقاً الوحدة الصّوتية، المتداخلة والمتشابكة.
- الحُنجرة أو والتّجويف الحلقيّ، وقد قُسّم إلى ثلاثة أقسام الأقصى والأوسط والأدنى. التي تنظّم التحكّم في تشكيل التباين والاختلاف بمخرج الصّوت من الهواء المندفع من الرّئتين، بتوازن مع التّجويف الأنفيّ في

---

(١) المسدي، عبد السلام: **اللّسانيات وأسسها المعرفية**، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر، ١٩٨٦، ص. ٧٥-٧٦.

إحداث التغيّرات الصوتيّة لتشكيل وتمييز هيئته من ثلاث مواقع هي: أقصاه: مخرج الهمزة والهاء والهمزة. وأوسطه مخرج: العين والحاء. وأدناه مخرج: الغين والخاء.

- والتَّجويف الفمويّ، يمثل حجرة رنين، ما شُبّه بالنّاي، وهي هنا التجويفات الحلقية والفمويّة والأنفيّة، تقدّم إمكانيات مختلفة في زيادة طول القناة عن طريق الشفتين، إمّا بملأ الفم حتّى تنتفخ الوجنتان، أو بإفراغه وشدّه. كما



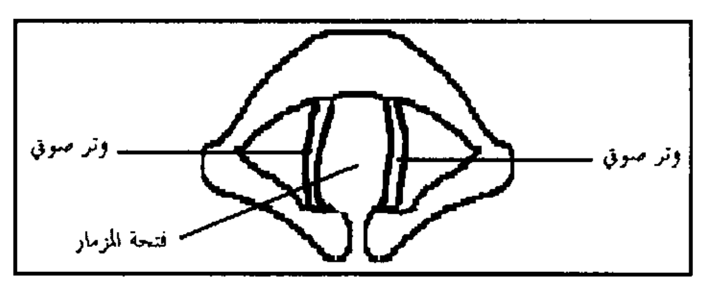
يمكن غلق هذا التجويف وشدّه عن طريق الحركات المختلفة للشفتين واللّسان، فهو يجمع الوظائف من حيث التّرجيع والتّقطيع، فهو يدخل في تكييف صوت الجَهْر وتعديله.

- الشّفتان، ممّا بين الشفتين مخرج: الباء والميم والواو. ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العُليا مخرج: الفاء.

- الطبق، وهو الجزء اللّين من الفك الأعلى، منه مخرج: الكاف.

- الغار: وهو الجزء الصّلب من الفك الأعلى وفي وسطه. ومنه مخرج: الجيم، وما بين الغار واللّثة، مخرج: الشّين، والياء.

- المزمار؛ هو الفراغ بين الوترين الصوتيين، وله غطاء يسمى لسان المزمار وهو صمام الأمان يحمي التنفّس عند عملية البلع الذي يتكوّن من عضلتين



متوازنتين، تحكم الوترين الصّوتيّين، يمتد بانبساطها ويضيق بانقباضها، وفي حال الانسداد ينطبق للتوقّف والسّكون الكامل. وفي حال الانفتاح تارة يكون مُتشعّباً وتارة يجري الهواء فيه حُرّاً ولا تهتز الأوتار الصوتيّة، وحال يكون ضيّقاً يحدث مرور الهواء اهتزازات مع أصوات مجهورة. وأهمّ عضو في جهاز النّطق البشري هما الوتران الصوتيان، ويلتقيان في الحنجرة تحت لسان المزمار. وفتحة المزمار تنقبض وتنبسط بنسب مختلفة مع الأصوات؛ ممّا يؤدّي إلى اختلاف نسبة شدّ الوترين الصوتيين واستعدادهما للاهتزاز؛ فكلّما زاد توتّرهما زادت نسبة اهتزازهما في الثانية؛ فتختلف تبعاً لذلك درجة الصّوت.

- اللّثة، وهي تلك الأجزاء المتعرّجة المجاورة لأصول الأسنان ولها أربعة أقسام صوتيّة: الذّلقيّة، (من ذلق اللّسان وهو رأسه)، وهي: اللّام، الرّاء، والنّون. نطعية: (من نطع الغار الأعلى)، وهي: الطّاء، والتّاء، والدّال. أسلية: (من أسلة اللّسان وهو مستدقّ طرفه)، وهي: الصّاد، والسّين، والزّاء.

- التجويف الخيشومي الأنفي عضو غير متحرّك، يمكن إيقاف الهواء برفع اللّهاة بصفتها الباب الذي إمّا أن ينفتح أو ينغلق.

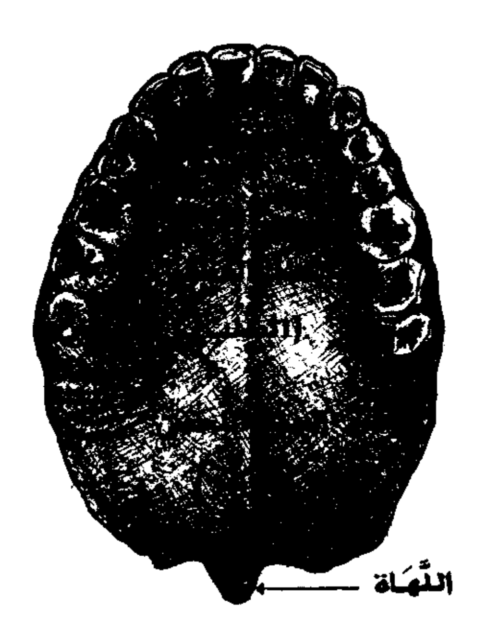
– اللّسان، وهو اللّاعب الأساس في تشكيل هيئة الصّوت قبل خروجه، فمن أقصاه وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج: القاف. ومن أسفل من موضع القاف ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج: الكاف. ومن وسطه وبين وسط



الحنك الأعلى مخرج: الجيم والشين والياء. ومن بين أوّل حافّته وما يليه من الأضراس مخرج: الضّاد. ومن حافّته من أدناه إلى منتهى طرفه وما بينه وما يليه من الحنك الأعلى وما فويق الضاحك والنّاب والرّباعية والثنية مخرج: اللّام. ومن طرفه بينه وبين ما فويق الثنايا مخرج: النّون. ومن مخرج النون عند ظهر اللّسان قليلاً لانحرافه إلى اللّام مخرج: الرّاء. وممّا بين طرفه وأصول الثنايا مخرج: الطّاء والدّال والتّاء. وممّا بين طرفه وما فوق الثنايا مخرج: الزّاء والسّين والصّاد. وممّا بين أطرافه وأطراف الثنايا مخرج: الظاء والذّال والثّاء. ومن الخياشيم مخرج: النّون الخفيّة. ومن حافة اللّسان مخرج: الضاد.

– الأسنان العُليا، والأسنان السُفلى، ما بين الأسنان، ومنه مخرج: الذّال، والظّاء، والثّاء.

– اللّهاة، وهي مدخل التجويف الفموي تمثّل الباب المسؤول عن الإهتزازات الصوتية التي تمر خلاله وهو لا يحدث الصوت معه. ومنه مخرج: القاف.



ولوصف الصّوت اللّغويّ لا بُدّ من أخذ عدّة عوامل في الاعتبار مثل: مكان النُطق (شفويّ، أسنانيّ، بين أسنانيّ، لثويّ، لثويّ غاريّ، طبقيّ، لهويّ، حلقيّ، حنجريّ). والنّاطق (الشَّفّة السُفلى، ذَلَق اللّسان، مُقدّم اللّسان، وسط اللّسان، مؤخّر اللّسان، جذر اللّسان). وكيفية النُطق (انفجاريّ، احتكاكيّ، جانبيّ، أنفيّ، تكراريّ، صائت، شبه صائت، مجهور، مهموس، رخو، ليِّن، قصير، طويل). ويُضاف عند وصف الصّوائت إلى ما تقدّم، الصِّفات: بسيط، مُركّب، عالٍ، وسطيّ، مُنخفض، أماميّ، مركزيّ، خلفيّ.

وقد لاحظ حسن قطريب أنّ جهاز السّمع وجهاز الصّوت، متلازمان في وظيفتيهما، فوجود أيٍّ منهما، يرتّب– وجوباً– وجود الجهاز الآخر، شارحاً بالتفصيل أقسام وآليّة جهازي السّمع والنّطق، ليؤكّد أنّ الصّوت يعطي مَعرفةً

حركيّة بهذا الشّيء، والّتي هي (مُحرِّك) الحياة، لأنّ مُمتلك حاسّة السّمع، أوسع مَعرفة وأغنى إدراكاً من الأصم، مُذكّراً بما قاله ابن خلدون من أنّ ***«السّمع أبو الملكات»***[1].

دأبت جهود علماء العرب القُدامى على دراسة الأصوات وصولاً إلى ابن جنّي، أستاذ هذا العلم دون منازع، الذي أدرك طبيعة اللّغة ووظيفتها، عندما قال: ***«اللّغة أصوات يُعبّر بها كلُّ قوم عن أغراضهم»***[2]. وهو أوّل من عرض لجهاز النُطق فشبَّهه بالنَّاي، وبوتر العود، ليقدّم صورة عن العمليّة الطبيعيّة لإنتاج الكلام، وليوضّح تقسيم الأصوات حسب المخارج وتقسيمها إلى أصوات صامتة، وأخرى مُتحرّكة. كما خصَّص ابن جنّي كتاباً كاملاً لدراسة الأصوات، هو كتاب «سرّ صناعة الإعراب»[3]. فيقول في الخصائص: ***«فأمّا مقابلة الألفاظ بما يُشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع، وذلك أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المُعبّر عنها، فيعدّلونها ويحتذُونها»***. لذلك لجأ ابن جنّي إلى استخلاص معاني الحروف العربيّة من معاني الألفاظ، بدلاً من الاتجاه مباشرة إلى تأمل صدى أصواتها مُنْفَردة في وجدانه. ولقد استهدى في ذلك تارةً بقاعدته الذّكيّة: ***«لا يُنكَر تصاقب الألفاظ، لتصاقب المعاني»***. كما استهدى تارة أخرى بقاعدته المعروفة ***«سوقاً للحروف على سمت المعنى المقصود والغرض المراد.»***[4]

---

(١) قطريب، حسن: **مفاتيح اللّغة**، بيرق للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠١٠م ص. ٤٩-٥٤، بتصرّف.

(٢) ابن جنّي، **الخصائص**، م س. ص. ٣٣.

(٣) ابن جنّي (٩ - ٣٩٢هـ ،٩ - ١٠٠٢م): **سرُ صنَاعة الإعْراب**، موضوعه أحكام حروف الهجاء وأحوال كلّ حرف منها، ومواقعه في كلام العرب. قدّم لها بمقدمة ذكر فيها أحوال الحروف في مخارجها ومدارجها وانقسام أصنافها وأحكام مجهورها، ومهموسها، وشديدها، ورخوها، وصحيحها، ومعتلها، وغير ذلك من أجناسها. وأبان الفرق بين الحركة والحرف، وأين موضع الحركة من الحرف. ثمّ أفرد لكل حرف من حروف الهجاء بابًا فصلّ فيه القول عنه. وقد رتّب الأبواب على حروف الهجاء التسعة والعشرين بما فيها الألف التي وضعها بين الواو والياء في الترتيب. وقد ختمت أبواب الكتاب بفصول ثلاثة ذكر في أولّها: تصريف حروف المعجم واشتقاقها وجمعها. وفي ثانيها، مذاهب العرب في مزج الحروف بعضها ببعض، وما يجوز في ذلك، وما يمتنع، وما يحسن، وما يقبح، وما يصحّ. وفي ثالثها: ذكر إفراد الحروف ونظمها على المألوف من استعمال حروف المعجم.

(٤) **الخصائص**، الجزء ٢، ص. ١٥٧.

وأرى في «جدليّة الحرف العربيّ»[1] الّتي عالج فيها محمد عنبر تاريخ الحرف بما يؤرّخ به الحرف نفسه، مُعتمداً على جدليّة اللّفظ ونقيضه- مُعيداً الألفاظ إلى أبسط حركاتها في أيّامها الأولى- مَدخلاً إدراكيّاً يتفق مع ابن جنّي والأرسوزي، وإنْ كانت الآليّة عنده «ديالكتيكيّة».

وقد تقبّل السّيوطي ما ذهب إليه علماء اللّغة من أنّ: «***أصل اللّغات كلّها إنّما هو من الأصوات المسموعات، كدوي الرّيح، وحنين الرّعد، وخرير الماء، وصهيل الفرس، ونزيب الظبي، ونحو ذلك، ثمّ ولدت اللّغات عن ذلك فيما بعد.***»[2]

وفي رأى الشّيخ عبد الله العلايليّ، أنّ اللّغات جميعها، المرتقية وغيرها، مرّت في أدوار ثلاثة هي: ذو المقطع البسيط، وذو المقطعين وذو المقاطع، مستنتجاً أنّ اعتماد النّصوص المحفوظة في استخراج معاني الحروف هو أقل شَططاً ومخاطرة وأسلم عاقبةً من استخراج معانيها عن طريق صدى أصواتها في النّفس. لذلك دعا إلى وضع جدول مقارنة للغات أحاديّة المقطع، معزّزاً رأيه بأنّ «***نتيجة هذا التّأثر أنّ تولّدت أصوات كَلميّة، كانت، فيما بعد، هي الجدول الهجائي بلهجاته التي صارت، في سُموقِها اللّغويّ،*** حركات ***الحروف.. وعليه فاللّغات وحدتها الحقيقيّة هذه الحروف بأصواتها؛ أي الحركات الثلاث في العربية وسواها***»[3]. ويرى «***أنّ الجدول الهجائي يمثّل المُفردات الأحاديّة، وأنّ ترتيب هذه المُفردات انتهت به إلى ترتيب الهجائيّ، فجعل من معانيه العموميّة، نواة اللّغة التي لا بُدّ أن تنمو، إذا وضعت موضعها من التربة الصّالحة، ولا بدّ أن تزيد، لا على نسبة رياضيّة فحسب، بل على نسبة مضاعفة آليّة.***»[4] بينما اعتمد الأرسوزي «قاعدة صدى الأصوات في

---

(١) عنبر، محمد: **جدلية الحرف العربي وفيزيائية الفكر والمادّة**، دار الفكر، دمشق، طبع أولى ١٩٨٧م، من المقدمة بتصرّف.

(٢) السّيوطي، عبد الرّحمن بن جلال الدّين: **المزهر في علوم اللّغة وأنواعها**، شرح وضبط محمد أحمد جاد المولى، على محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيّة، ١٣٢٦هـ ص.ص. ١٦-١٧.

(٣) العلايلي، الشيخ عبد الله، **مُقدّمة لدرس لُغة العرب، وكيف نصنع المعجم الجديد**، دار الجديد، بيروت، الطبعة الثانية،١٩٩٧م ص ص. ١٨٩-١٩٢، وص. ١٩٦.

(٤) المرجع السّابق نفسه، ص. ٢٣٢.

الوجدان لاستيحاء معاني الحروف. ولكنّه أوقف جلّ اهتمامه على استيحاء معاني الألفاظ العربيّة من صدى جملها الصّوتيّة في نفسه. مُبيّناً أنّ اللّسان العربيّ اشتقاقيّ البنيان، مُرجِعاً كافّة كلماته إلى صور صوتيّة- مرئيّة مقتبسة مباشرة من الطبيعة.»[1]

في حين رأى حسن عبّاس[2]: «*إنّ تحديد المخرج الصوتيّ لكلّ حرف بدقّة؛ وحده الذي يحافظ على أصالة أصوات الحروف العربيّة، فلا يختلف عَمّا نطقت بها الأجيال العربيّة الأولى، ليحافظ بذلك كلّ حرف على صدى صوته البكر في نفس العربيّ الذي استوحى منه معانيه الأصلية، فيظل هذا الحرف يوحي لنا نحن بذات المعاني، فتحافظ اللّغة العربيّة بذلك على فطرتها*». وقد صنّف مخارجها تبعاً للخصائص الحسّية أو الشّعوريّة الغالبة فيها، أو وفقاً لطبيعتها الصّوتيّة الخاصّة، أو حسب طريقة النّطق بها، وحواس مبتدعها الأوّل الإنسان العربيّ على النّحو التّالي:

- الحروف اللّمسيّة :(تاء. ثاء. ذال. دال. كاف.ميم).
- الذّوقيّة: (راء. لام).
- البصريّة: (الألف المهموزة واللّينة، الواو. الياء. الباء. الجيم. السين. الشين. الطاء. الظاء. الغين. الفاء).
- السّمعيّة: (زاء. قاف).
- الشّعوريّة غير الحلقيّة: (صاد . ضاد . نون).
- الشّعوريّة الحلقيّة: (خاء. حاء. هاء. عين).
- الشّميّة: (ليس لها حروف).

وأورد ملاحظات منها: «*أنّ حاسّة الشّم لم تختص بأيّ حرف لتعبّر به عن أحاسيسها، إلّا أنّ هناك كثيراً من الحروف الّتي في أصواتها بعض الأحاسيس الشمّيّة. وأنّه قد يكون لصوت الحرف الواحد إيحاءات حسّية وشعوريّة مختلفة،*

---

(١) الأرسوزي، زكي نجيب، **المؤلّفات الكاملة**، م. س. ١٩٧٢م المجلد الأوّل. ص. ٧١، ٦٣، بتصرف.

(٢) عبّاس، حسن: **خصائص الحروف العربية ومعانيها**، (م.س)، ص ص. ٤٩-٥٠،

نظراً لتعقّد عملية النّطق به واعتماد تشكّل صوته على مساحة واسعة وفراغات متعدّدة في جهاز النّطق». كما توصّل إلى نتيجة مفادها: «***أن تقارب الحروف في مخارجها لا يمنحها تقارباً مماثلاً في إيحاءاتها الصّوتية، ولا في معانيها. فالحرف الشّقيق إذا حلّ محل شقيقه في لفظة ما، لا تظل اللّفظة على معنى مقارب لمعناها قبل الإبدال، وإنّما قد يؤدّي ذلك إلى التّناقض في معانيهما أحياناً كثيرة، كما في حرفي الثّاء والذّال، وأحرف الخاء والحاء، والباء والميم، والصّاد والسّين.***»[1]

ويتساءل نعيم عَلويّة في دراسته «بحوث لسانيّة» عمّا إذا كان الحرف مُستخرجاً من ألفاظ طبيعيّة مثل (تف) و(تفه) و(نف) و(عطس).. بدلاً من أن تكون الكلمات مصنوعة من حروف. ليستنتج ظانّاً أنّ البداية كانت أصواتاً طبيعيّة، ثمّ صارت حكياً، ثمّ صارت ألفاظاً. مبيّنا أنّ الألفاظ اللّغويّة تجيء متأثرة بثلاثة عوامل هي: الطبيعة المصوّتة؛ والفرد المحاكي، والمجتمع المتواطئ فيما بينه على إقرار المحاكاة. مصطلحاً كلاميّاً يرمز به إلى أفكار... ويرجع عَلويّة الاشتقاق الأوّلي إلى غنّة الطفل (غ) باعتبارها مولّدات اللّغة، ففيها رزمة صوتية تتداخل جزئيات أصواتها في بعضها.. داعياً إلى «***سماع الإنغاء ومحاكاته لتقريب وتوضيح تلك الترنيمة الطفولية، ليربط ما قيل من أنّ أصل الكلام محاكاة أصوات الطبيعة، وبما أنّ غنّة الطفل تجمع وحدها نوىً لحوالي خمسة عشر حرفاً، يستنتج أنّ انطلاق الجذر اللّغوي من المحاكاة وانطلاق المحاكاة من الأصل الطبيعي يشترطان أن تحمل المحاكاة ما هو بارز في الصوت المحكيّ كالغين، وأن يحمل الجذر المبنيّ من المحاكاة العناصر الصوتية البارزة في النّغمة، وأن يقدر الإنسان ويقبل محاكاة صوت طبيعيّ بهذين الشرطين.***»[2] وإذ قلنا إنّ من معنى حرف الغين ما يدلّ على التمويه للظّهور الإنشائي، فما سعى لكشفه نعيم عَلوية- وهو بداية نُطق الطّفل- فيه مقاربة أنّ استنطاق وتحليل مركّبات هذا الحرف من خلال مخرجه الصّوتيّ، ومحاولة الطّفل

---

(١) عبّاس، حسن، **خصائص الحروف العربية ومعانيها**، (م.س)، ص.٦٠.

(٢) عَلويّة، نعيم: **بحوث لسانية بين نحو اللّسان ونحو الفكر**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م. الصفحات: ٤٠، ٥٠، ٥١، ١٠١. بتصرّف.

الإفصاح عن حاجاته ومشاعره بهذا الصّوت، لهو دلالة على الإبهام بالنسبة للمتلقّي، ويعبّر عن عجزٍ في الإفصاح. وكونه يناقض نشأة باقي الحروف، ويدلّ على تغييبها فهو إذن محاولة من الطفل لاسترجاع أصوات الحروف.

المراكز المتحرّكة لآلة النّطق

سبق وأشرنا إلى وحدة آلة (ءالة) النّطق ومدى تحكّمها بمخارج ودلالة حركة الحروف. كما وذكرنا بعض ما أورده الفراهيديّ وابن سينا والفارابيّ وغيرهم. تلك المقوّمات لا تعفينا من متابعة آلة (ءالة) النّطق والتّدقيق في أسلوب تشكيلها نبضة حركة الصّوت. لذلك نستعين بما بيّنه الباحث عالم سُبيط النّيليّ، في قوله: «***إنّ صوت الحرف، يمثّل نبضة لها زمن ثابت. الصّوت الحقيقيّ ينتهي بآخر حركة للشفتين وآخر حركة اللّسان. حركة اللّسان هي حركةٌ لحظيةٌ وآنيةٌ، تخفق الهواء مع استعدادٍ سابقٍ لجميع مكوّنات آلة (ءالة) النّطق لإنتاج صوت، ولا يستطيع اللّسان تكوين صوت بخفقٍ سريعٍ وآخر بطيء، فسرعته في تشكيل الأصوات واحدة، والغلاف الخارجي للنّبضة وحاملها ابتداءً وانتهاءً هو الألف، إذ يتحرّك اللّسان بثلاث نقاط: من طرفيه، ومن الوسط بالتّناوب فيما بينها، وهو مرتكز على إحدى تلك النّقاط. إذن فالمراكز المتحرّكة فعلاً هي خمسةٌ؛ ثلاثةٌ في اللّسان وواحدةٌ في الشّفتين وواحدةٌ في الأسنان. أمّا الأجزاء المادّيّة لهذه المراكز فهي ثلاثة: لسان، شفتان وأسنان. إن علامات الفتحة (َ) على الحروف مثلاً، تشير إلى التّناوب في تغيّر الحركة في المراكز الثلاثة. وهي الّتي تقوم بتصوير الحركة بمثالٍ شاخصٍ جامدٍ هو الصّوت***»[1].

آلية (ءَالية) تكوين أصوات الحروف مركّبة بطريقةٍ تضمن تشكيل عناصر صوتية فعليّة تمثّل حركات منفصلةً، وتلك هي العناصر الأصيلة. أمّا الأصوات غير الأصيلة فهي تشوّهات مختلطةٌ لتلك الأصوات، لا تمثّل حركةً مستقلّةً صحيحةً. وهذه الفكرة هي إحدى أساسيات هذا المنهج. والأصوات الطبيعيّة؛ أي العناصر الصّوتيّة المستقلّة، هي الأصوات الخارجة من هذه الاحتمالات، أي من مراكز ءَالة

---

(١) النّيليّ، عالم سُبيط: **اللّغة الموحّدة**، دار المحجّة البيضاء، بيروت طبعة أولى ٢٠٠٨م، ص.ص. ١٠٦، ٤٤٨–٤٥٦، وكذلك ص.ص. ٤٩٥–٤٩٩.

النّطق. وحينما لا يتمّ تحريك المكوّنات حسب الاحتمالات هذه، تظهر نتائجُ صوتيّةٌ مختلفةٌ لا تمثّل الحركة الطبيعيّة، كأن تقع الحركة متردّدةً بين احتمالين، أي صورتين للحركة مثلاً.

وعند معاينة حركة الأصوات في ألفاظ مُسمّيات الأبجديّة، نجد أنّ كُلّ لفظة قد أتت على مخارج آلة (ءالة) النّطق؛ أي الحلق، واللّسان، والأسنان، والشّفتين، والحنك، مما يؤكّد أنّ آلة (ءالة) النّطق متحكّمة فيما يصدر عنها؛ كما يلي: فـ(أبجد) مخرجها من أقصى الحلق إلى حركة الشّفتين ومن شجرة الفم فاصطكاك الأسنان، و(هوّز) من أقصى الحلق إلى الشفتين إلى الأسنان، و(حطي) من الحلق إلى نطع الغار الأعلى، و(كلمن) من عُكدة اللّسان وبين اللّهاة في أقصى الفم إلى اللّسان فالشّفتين، و(سعفص) تعاكس الظهور من أسلة اللّسان؛ أي مُستدَقّ طرفه إلى الشّفتين إلى أسلة اللّسان، و(قرشت) من الحلق إلى اللّسان وشجرة الفم والأسنان إلى نطع الغار الأعلى، و(ثخذ) ومن اللّثة واللّسان مع الأسنان إلى الحلق فالأسنان مع اللّسان، و(ضظغ) من شجرة الفم إلى اللّسان واللّثة فأقصى الحلق.

الحروف كما يقول محمد عنبر،[1] ***«تُرَدُّ إلى صوت يخرج من جوف الفم وما يتصل به، وهي تجاويف متجاورة، كلّما مرّ بها الهواء انبعث منها صوت مُعيّن متناسق ومتوافق مع كمّية الهواء المتفجّرة، وطبيعة التجويف، وحال النّاطق. فالهواء المتفجّر واحد، والأمكنة متشابهة بتجاورها، وطبيعة النّاطقين تعرض لها ظروف انفعال متشابهة في حدود مُعيّنة، وهذا كلّه يسير بالحرف نحو الوحدة». وهو يرى «أنّ الحروف المنطوقة متشابهة ومتضادة بآن واحد؛ لذا كان اختلاف الألسنة من الآيات التي يحار فيها الفكر كما كان تشابهها كذلك.»***

مع أنّ محمد عنبر قد رسم السّبيل لمعرفة تاريخ الحرف بما يؤرّخ به الحرف نفسه، داعياً إلى ***«أنّ نأتي الأمور من أبوابها حين نبحث عن الشيء في الشيء ذاته، لأنّ سرّ كلّ شيء كامن فيه»***، إلّا أنّه لم يبيّن معنى الحرف كعنصر بنائيّ في الكَلمة واللّسان العربيّ، مع أنّه عالج بشكل مبدعٍ ولافتٍ جدليّة اللّغة واللّفظة فيها من

---

(١) جدليّة الحرف العربي، مرجع سابق، ص. ٤١.

خلال مقاربتها بحركة الجدل في الوجود، مُنطلقاً من أنّ ***«اللّفظ قام قبل أن يتواضع أهل الحرف على مَعنىً بعينه، وأنّ اتجاه اللّفظ كان قائماً*** في ***حسّ القوم قبل قيام اللّفظ على صورته الّتي نراه عليها.»*** لذلك رأى ***«ضرورة الاستعانة بإمام يقوم في كلّ لفظ كما هو قائم*** في ***كلّ مادّة»***، مُعتقداً، ***«أنّ تغاير الأحرف بين لغة وأخرى، لا يمنع أن يكون نظامها واحداً، بل يجب أنّ يكون خاضعاً للإمام ذاته. وإذ أنّ حركة الجدل*** في ***الثّنائيّ هي الأوضح، فالثّنائيّ هو الأصل*** في ***العربيّة، أمّا الثلاثيّ فكأنّه يؤرّخ وجه الإنسانيّة فيها.»*** وكان للإمام عنده كَلمَة الفصل، الّتي أسفرت ***«عن أنّ (ضد) كلّ لفظ مستقر فيه، وأن عكس حروف اللّفظة يأتي بعكس المعنى والمبنى دائماً.»***[1]

الأصوات اللّغويّة، كما عالجها إبراهيم أنيس[2]، تفترض وجود جسم يهتز، وانتقال الهزّات الصّادرة محمولة بالهواء إلى الأذن الإنسانيّة، مُبيّناً أنّ الصّوت الإنسانيّ يندفع من الرّئتين ويمرّ بالحنجرة، ثمّ من الحنجرة والفم والأنف، وينتقل خلال الهواء الخارجي على شكل موجات، وأنّ الوترين الصّوتيين في الحنجرة هما اللّتان تنطلق منهما تلك الاهتزازات. وقد أشار إلى ***«أنّ علماء التشريح لم يلحظوا أيّ فرق ماديّ بين حناجر النّوع الإنساني، وذكر أنّ درجة صوت المرء تتوقّف على سنّه وجنسه، ذلك أنّ الوترين الصّوتيين عند الأطفال والنّساء أقصر وأقل ضخامة، فتؤدي إلى زيادة سرعة ذبذبتها، وأنّ طول الوتر الصّوتيّ عند الإنسان البالغ يتراوح بين ثلاثة وعشرين إلى سبعة وعشرين ملم، والتذبذبات بين ستّين إلى ثلاثمئة وألف في الثانية..»***[3] وقد فصّل في كتابه أعضاء آلة (ءالة) النّطق، تفصيلاً دقيقاً، متابعاً مكوّناتها ومخارج الحروف، مسترشداً بما قام به الأوّلون من علماء اللّغة. ويمكن القول إنّ دراسة الخليل وسيبويه للأصوات، قامت على مبدأ علميّ صحيح، حيث درساها دراسة وصفيَّة واقعيّة قائمة على الملاحظة الذّاتيّة، وبعيدة عن الافتراض والتّأويل.

(١) عنبر، محمد: جدليّة الحرف العربي وفيزيائيّة الفكر والمادة، مرجع سابق، المقدمة ص. ص. ٧-١٥.

(٢) أنيس: إبراهيم: الأصوات اللّغوية، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، ١٩٩٢.

(٣) المرجع السّابق، نفسه. ص: ٩.

البصمة الصّوتيّة

من القضايا الّتي لها دلالة القدرة على التّمايز في النّطق، تمثّلها قياساً (بصمة الصّوت)، فكما أنّ لكلّ إنسان بصمة إبهام فإنّ له بصمة صوت تمثّل القدرة في التحكّم، وتطريب وتقليد الصّوت وتمايزه. السّبب يرجع إلى الاختلاف الجزئي في تجاويف ءالة النّطق والأنف والشّفتين وسعة الرّئة وشدّة وغلظ الأوتار، وطول العنق، إلى ما هناك من مؤثّرات يمكن أنْ تجعل لكلّ إنسان بصمة صوتيّة مختلفة. كذلك التدريب والعمل على التحكّم بمدارج ءالة النّطق، وبمعارجها امتداداً أو تقليصاً، كتمايز الصّوت الأوبرالي. يقول عبد السّلام المسدي: ***«لكل حرف عند تصويته فضاءً مَرنٌ من حيث تموّج الدّفع عبر الهواء، وتستقر خصوصيات كلّ فرد في مستوى الأداء عن طريق حدود فاصلة في موجات الدّفع، بحيث إذا نطق شخصان بحرف الباء فإنّهما ينجزانه في حيّز فضائه الفيزيائيّ، ثمّ ينفرد كلاهما بقياس دقيق يخص ارتفاع الموجة ومداها كما يخص انفكاك عقدها، وينطبق الأمر على الذبذبات الكهربائيّة النّاقلة للصوت عبر الأسلاك، فللفرد النّاطق بصمات تصويتيّة على تلك الذبذبات تختلف جزئيّاً عن بصماته في تموجّات الهواء.»***[1] فمتكلّم أيّ لغة كما يضيف عبد السّلام المسدي: ***«لا بدّ أن يكون على إدراك خفي بنظام صواتمها، نعني شبكة سماتها التمييزيّة في رقائقها الصّوتيّة.»***[2]

في بحث جان كانتينو «دروس في صوتيات العربيّة»[3]، وصف تفصيليّ، ومتابعة دقيقة لمَا توصّل إليه الباحثون العرب والمستشرقون، يوضّح تطوّر النّظام الصّوتيّ العربيّ القديم، مُعرّجاً على نظام الحروف ونظام الحركات، ونبرة المقطع والإيقاع. وقد وصف مفَصّلاً جهاز الصّوت، بدءاً من الرّئتين وقصبة الهواء مروراً بالحلق ثمّ الخياشيم، فالفم والحنك واللّسان والأسنان، مُركّزاً على الأوتار الصّوتيّة

---

(١) المسدي، عبد السّلام: **اللّسانيات وأسسها المعرفيّة**، الدار التونسيّة للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر، ١٩٨٦، ص. ١٠٢.

(٢) المسدي، مرجع السابق نفسه. ص. ٧٤٩.

(٣) كانتيو، جان: **دروس في علم أصوات العربية**، ترجمة صالح القرمادي، الجامعة التونسية، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، ١٩٦٦م.

ودورها، والّتي كما يقول، أهمل ذكرها قدماء الباحثين في كلام العرب. وإذْ بيّن كيفيّة إحداث أصوات الكلام البشريّ، نرى أنّه مرجع مُهم، يوجز ويسلّط الضوء على العديد من الدراسات السّابقة.

الحرف كما قال الرّافعيّ: «*هيئةٌ عارضةٌ للصوت السّاذج يتكوّنُ في مواضعَ من اللّسان والحلقِ والسنّ والنّطع والشفة، وهذه المواضع هي مخارج الحروف، ومحالٌ أن يتكوّن الصوت في جميعها تكوّناً طبيعيّاً يشمل النّاطقين جميعاً، بل لا بُدَّ في ذلك من عمل وراثيٍّ يتبع حالة اللّغة من الكمال ويقدّر بقدرها، وذلك لا تجده على أكمل الوجوه إلّا في لغة العرب.*»[1]

وفي هذا يقول خالد آغا القلعة، «*إنّ السّبب في اختلاف أشكال الحروف واللّغات وتعدّدها، عدم الوحدة في الكمّية الصّوتيّة أثناء التعبير، أو مجاراة أصوات الطبيعة حينما بدأت اللّغات في التكوّن. ويمثل الصّوت، ارتداد حركة المحسوسات الانفعاليّة لضرورة تدبير التعبير عن أثرها. عندما أفصح الحرف بصوته مُلاحقاً منظومة النّطق، تتابعت الرّؤى والطّموح في ملاحقة خيال الظّاهر، وانحدار البصيرة مع الغواية والموارية والتّمويه. لآلة النّطق كما ءَالة النّظر منهجٌ في تحكيم العقل بالمدرَك سَماعاً ومشاهدة، لحل لغز النّشأة، إذ يستجلي النّظر أيضاً النّقصان في الشّواهد والدّلائل المحتجبة، واستخلاص العبر والوعي المعرفي. لذلك اختزنت الحروف الأصوات ونقلتها بالأنفاس، وادخرتها نفائس، لكن سرقة اللّفظ للمعنى، ومراوغة المعنى للّفظ، وحراك الصّوت، أتاح للكلمة أن تكمن داخل الفعل، تلاحقه حيناً وتباغته، حتّى باعدت الأزمنة والأمكنة بين الواصف والموصوف، والدّال والمدلول، وتمّ دمغ النّفوس بتذهين المعنى وفق نسق انتقائيّ.*»[2] لذلك يعتبر أنّ الحرف الملفوظ، هو واحد كحالة لفظيّة في كلّ اللّغات.

---

(١) الرّافعي، مصطفى صادق: تاريخ آداب العرب، مراجعة عبد الله المنشاوي ومهدي البحقيري، مكتبة الإيمان، مصر الجزء الأوّل ص. ٩٣.

(٢) القلعة، خالد آغا: السّيرة المفتوحة للنصوص المغلقة، الجزء الثالث، ص. ١٥٧.

خُلاصة

تمثل ءَالة النّطق في مدارجها مواقعةً لهواء الرّئة عند اندفاع خروجه محفّزاً بالهمزة، متحكّمة هي بالاحتمالات النّهائية لأصوات الحروف، الّتي تلتطقها ءَالة السّمع لفرزها وتصنيفها وتحديد خصائص هويّتها كبصمة يتمّ القياس عليها. صوتُ الحرف إذن، هو الصّورة والهيئة المجسّمة لحركته، وجمّدت على حالها الأوّل، بعدما تلاشى هواؤها. فالصّوت، صورةٌ للحركة يساعد على حفظها. هنا كما التّذهين يطبع في الدّماغ ما يدمغه، يطبع الصّوت بصمته، مُختزناً تردّد وذبذبة كلّ صوت يسمعه، متذكّراً الحركة نُطقاً ولحناً، بحيث يكون قادراً على تمييزها، حتّى لو وردت من مكان قصي. تضاد الاتجاه الحركيّ لصوت الحرف يعيّن مسار اختيار هويته بين السّالب والموجب، وهذا ما يظهر في تكوين الكلام. فهو كما ذكر عالم سُبيط النّيليّ: ***«تعبيرٌ عن حركاتٍ طبيعيةٍ نشأ بها الخلق. وأنّ الحرف يؤدّي حركةً واحدةً فقط، هي ذات الحركة أينما يأتي، في أيّة مفردة. وأنّه قبل أن يدوّن كان صوتاً غير مرئيّ، فتمّ اختلاف شكله نتيجة اختلاف تصوّره.»***[1]

(١) اللّغة الموحّدة، مرجع سابق، ص.١٠٢، بتصرّف.

الباب الثّاني

أسماءُ الحروف وترتيبها

الفصل الأوّل

الحروف والمصطلح اللّغوي

- دلالة الحروف لمعانيها
- نشأة الحروف ومسمّياتها
- المصطلح اللّغوي للحروف العربيّة

تمهيد

العثور على نصّ أساس للأبجديّة؛ مسألة في غاية التعقيد، ولَوْ توفّر مثل هذا النّصّ لكان مُمْكناً إبداء رأي علميّ في منشأ الحروف، إلّا أنّ في مسمّيات حروف الأبجديّة العربيّة إنْ أمعنا تفكيك جَدَليّتها، ما يمكن أن يدلّنا بتناقضها على محتوى تركيب عناصر الكَلام، كما خلق المادّة وضدّها في النّواة واتجاه تحوّلات الالكترونات والفوتونات. الأصل والسّبيل معرفة الأضّداد، وهي موصولة بالمسمّيات وبالألفاظ ذاتها. وفي نسق أسماء الأبجديّة أكثر من مُجرَّد ترتيب لفظي، فهي تقوم على مُضمرات المعنى لنشوء كلّ حرف، كما نشوء الكون. وهو ما نحاول في هذا البحث استخلاصه. من خلال استعراض أبرز ما ذكره علماء اللّغة واللّسانيات القدماء والمحدثون، في هذا المجال ومن ثمّ تحليلها وإبداء الرّأي وعرض ما نراه موصلاً من موقع البرهنة ولاستدلال، للبحث في دلالة مُسمّيات الحروف وتفسير ترتيبها.

دلالة أصوات الحروف لمعانيها

في بحثنا عن معاني حروف الأبجديّة من خلال مقاربة الدّلالة الصّوتيّة لكلّ حرف، أخذنا بما أورده الشّيخ صُبحي الصّالح عن علماء اللّغة العربيّة: « ***.أنّ لكلّ حرف صوته- صفة ومخرجاً- وله إيحاؤه دلالة ومعنى، وأنّ صوت الحرف؛ مُعبّر عن غرض، وأنّ الكَلمة العربيّة مركّبة من هذه المادّة الصّوتيّة الّتي يمكن حلّ أجزائها إلى مجموعة من الأحرف الدّوال المعبّرة، فكلّ حرف منها يستقل ببيان معنىً خاص ما دام يستقل بإحداث صوت مُعيّن. ولكل حرف ظلّ وإشعاع إذ كان لكل حرف صدى وإيقاع.***»[1] وينكر أنيس فريحة[2] أن يكون المعنى قائماً في الأصوات الّتي تتألّف منها اللّفظة، ويجعله قائماً في الاختيار لا في الصوت. وفي رأي خالد آغا القلعة: «***يتوجّب إعادة النّظر*** في ***الفكر اللّغويّ المحمول على الكلمات الّتي يستعملها***

(١) الصّالح، صبحي: **دراسات في فقه اللّغة**، دار العلم للملايين-بيروت، الطبعة السّابعة عشرة، ٢٠٠٩م ص ص. ١٤١-١٤٢. أنظر أيضاً ابن جني، أبي الفتح عثمان: **الخصائص**، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر- بيروت، الجزء الأول ص. ٣١.

(٢) فريحة، أنيس: **نظريات في اللّغة**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨١، ص. ٨.

لتقديم معرفة ما من خلال منطق المعنى، معتمداً على فقه المعنى.»[1] ويصل إلى نتيجة أنّ الحروف الّتي صارت كلمات، تمَّ تحميلها العديد من المعاني، الّتي حكمت سيرة المعنى، ممّا سبّب تصلّب المعنى وجعله سَلفيّاً، فصار الإنسان محكوماً بفكر اللّغة التي أسّسَته بواسطة التّذهين.

يتوجّب التمييز بين صوت الحرف المنطوق والشكل الكتابي له، في أنّ الحرف المكتوب، وفق ما وصل إلينا اليوم، كمٌ ماديّ، أو شكل هندسي ورسم تعارف النّاس عليه، ويدرك بالعين المجرَّدة ويكتب على الورق بالقلم والحبر، يرسمه كُلّ فرد تعلَّم القراءة والكتابة، ويفهمه كلُ من أوتي حظّاً من ذلك ولو يسيراً. أمّا صوت الحرف فهو الّذي يُنطق، وهو لا يُدرك بالعين، وإنّما يُدرك بالسّمع، وهو لا يُرى لأنّه تموّجات صوتيّة ترسلها عضلات ءَالة الصوّت.

نشأة الحروف ومسمّياتها

حاول كثيرٌ من الكتّاب والأدباء العرب أنْ يحدّدوا أصول نشأة الحروف ومسميّاتها وأصول اللّغة العربية نفسها، إلّا أنّهم لم يصلوا إلى رأي جازم. ومن هؤلاء ابن النّديم محمد ابن إسحاق مؤلّف الفهرست، وأبو العباس أحمد القلقشندي، صاحب كتاب صُبح الأعشى، وابن خلدون صاحب المقدّمة، وابن عبد ربّه مؤلّف العقد الفريد، وغيرهم. غير أنّ أغلب هؤلاء قد كتبوا عن الحروف العربيّة، وعن نشأة اللّغة كتابات أدبيّة، فذهبوا إلى أنّ هذه الحروف، وهذه اللّغة العربيّة، كلّها ممّا علّمه الله تعالى ءَادم مع ما علّمه من لغات أخرى. وانتهت اللّغة العربيّة إلى نبي الله إسماعيل عليه السّلام وهو أبو العرب المستعربة الّتي كانت منها قريش، وهو أوّل من تكلّم بالعربيّة ونقلها عنه بنوه. وقد انتشر هذا الاعتقاد بين العامّة والخاصة من العرب. ولكنّا نجد عدداً غير قليل من الكُتّاب يرفضون أنْ تكون اللّغة قد تعلّمها آدم (ءَادم) بحروفها وصورها. وعلى رأس هؤلاء ابن خلدون الّذي

---

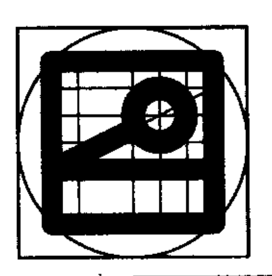
(١) القلعة، خالد آغا، السّيرة المفتوحة للنصوص المغلقة، الجزء الثالث، دار كنعان- دمشق، ص.١٥٥. والجزء الرّابع، ص.٣٩٠.

ذكر في مقدّمته أنّ الخط صناعة من الصنائع، لجأ إليها الإنسان لحاجته لها . وقد استخدمتها كلّ شعوب الأرض عندما استقرّت وعرفت العمران.

الخط الحميري ١١٥ ق.م ـــ ٥٢٥ ب.م

نموذج للقلم الحميري كما رسمه ابن النديم وأثبته في كتابه: الفهرست، ص ٩

نموذج يجمع بين حروف (ض، ط، ظ) ويعكس تحول الحرف اليمني المجاري في عصر الحميري نحو الأفقية. وقد رسمه ابن النديم. والدلالات اتجاه للطريقة الأفقية.



ابن النديم: الفهرست، ص ٩.

كما لاحظ عُلماء اللّغة: *«أنّ حروف الخطوط السّاميّة المستعملة عند الغربيين، تكاد تتفق في أسمائها وفي ترتيبها، ويشير هذا التشابه إلى وحدة الأصل، وإلى أنّ الأبجديات المذكورة قد تفرّعت كلّها من شجرة واحدة، ونبعت من منبع واحد . فكلّها تبتدئ بحرف واحد، هو «الألف» وكلّها تجعل الباء حرفًا ثانيًا، ثمّ إنّ في وحدة تسمياتها مع اختلاف اللّغات الّتي تدوّن بها دليلًا كافيًا على إثبات أنّ هذه الأبجديات هي من أصل واحد. وعلى أنّ لأسماء الحروف علاقة وثيقة بالصّور وبالكتابة الصّوريّة للغة الأمّ الّتي اخترعت تلك الحروف وأوجدتها من مرحلة المقاطع. وإذا ثبّتنا أسماء الحروف، وعرفنا من أين أُخذت، وإذا استطعنا العثور على*

أقدم نصّ للأبجديّة، يكون في إمكاننا إبداء رأي علميّ في منشأ الحروف وفي المكان الّذي كان له شرف إيجادها.[1]»

نبدأ بما قاله ابن جنّي في الخصائص: «.. ***ذلك أنّهم قد يضيفون إلى اختيار الحروف وتشبيه أصواتها بالأحداث المعبّر عنها بها ترتيبَها، وتقديم ما يضاهي أوّل الحدث، وتأخير ما يضاهي آخره، وتوسيط ما يضاهي أوسطه؛ سَوْقاً للحروف على سَمْت المعنى المقصود والغرض المطلوب***». مبيّناً دلالة حروف لفظة (بحث)؛ «***أنّ الباء تشبه بصوتها خفقة الكف على الأرض، والحاء لصحلها تشبه مخالب الأسد وبراثن الذئب إذا غارت في الأرض، والثاء للنفث، والبث للتراب، وهذا أمر تراه محسوساً مُحصّلاً.***»[2]

هذه المحاولة تبحث عن النّشأة من خارج اللّفظ ومن خارج مُسمّى الحرف، علماً أنّ لصاحبها الباع الطويل في فقه اللّغة. فهل فيها دلالة على قصديّة في نشأة الحروف، على خلاف المذهب الاعتباطيّ عند سيسرو وغيره، كما ذهب إليه عالم سُبيط النّيليّ في كتابه «اللّغة الموحّدة»، أم فطريّة كما ذهب إليه حسن عبّاس في مؤلّفه: خصائص اللّغة العربيّة، إذ قال: «***إن دراساتي اللّغويّة تنتمي أصلاً إلى هذه النّظرية. ولكنّها قد تميّزت من مدارسها أوّل ما تميّزت بمنطلقها الفلسفيّ الجديد- «التوافق بين القيم الجماليّة والقيم الإنسانيّة***». حيث أرجع أصوات الحروف العربيّة إلى الجذور (الغابيّة والزّراعيّة والرّعويّة) في تعبير الإنسان العربيّ عن حاجاته ومعانيه، مُستنبطاً إيّاها من خلال الحواس الخمس. مُضيفاً: «***الحروف العربيّة قبل أنّ تنتمي إلى القطاع اللّغويّ تنتمي أصلاً إلى القطاع الصّوتيّ.***»[3]

إنّ الآليّة الّتي نهجها حسن عبّاس تبحث عن نشأة الحرف، وتسأل، كما تساءَلنا، عن السّبب لا عن الكيفيّة في اختيار اللّفظة والكَلمة، وأنّ فيما توصّل إليه أحياناً، ما يلامس استقصاءنا. ومع أنّه قد خلص إلى استنتاج مَفاده «***أنّ العربيّ لم يعط أصوات حروفه قيَماً رمزيّة مُحدّدة، ولا معاني مُطلقة أيضاً، وإنّما ترك ذلك***

---

(١) أنظر **المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ص. ١٥و ص. ١٥٠..

(٢) **الخصائص**، الجزء الثاني، ص ص. ١٦٢،١٦٣ .

(٣) عبّاس، حسن: **خصائص الحروف العربية ومعانيها**، م. س. ص ص. ٢٩،٢٠ .

لإيحاءاتها الصّوتيّة، ولطريقة النّطق بها أنّى كانت مواقعها من الكَلمة..»[1] إلّا أنّ مقتضيات التثبّت من صحة منهجنا هو بيان الآراء المُخالفة، لذلكَ سنعمد عند تناولنا معنى كلّ حرف من حروف الأبجديّة، إلى الأخذ بما توصّل إليه هو أو غيره ممّن أوردنا وجهات نظرهم، ومقاربتها بنتائج بحثنا.

وإذ بدأ عبّاس في استنطاق الحواس للإفصاح عن دلالة الحرف، نهج منهجاً استقصائيّاً، مُفاعلاً الحواس ومُفسّراً لها، في معرفة كُنه العلاقة بين الحاس والمحسوس، ليصير نطاقَ تواصل للكَلِم. أمّا في بحثنا هذا فقد استنطقنا دلالة معنى الحرف من خلال تناقض مُسمّى حروف اسمه، فكأنّما ابتدأنا من حيث انتهى، أو من حيث نضجت الحواس لتكوّن الفكر المُدرِك القادر على تنظيم ليس عقله وإنّما وعي الترابط بين العقل والحواس، في نطاق الكَلام السّاعي إلى التواصل الاجتماعيّ والإنسانيّ، لنبقى أمام سؤال: كيف تمّ التوصّل إلى مُسمّيات الحروف، وهل الحسّ وحده من أطلق اسم الحرف، أمْ أنّ اسم الحرف دلّ على مضامين الحواس ووعيها في المحسوسات؟ لئن قلنا إنّ حاسّة اللّمس أوجدت نشأة اللّام، فكيف جرت تسمية اللّام ومن ثمّ اللّمس كأداة للحاسّة المعنية بدلالة وظيفتها؟. استنكر أنيس فريحة نظرية محاكاة الأصوات لمعانيها، وأنّ جرس الكَلمَة يدلّ على معناها، وأنّ للحرف معاني، كالقول إنّ حرف الحاء يدلّ على الانبساط والسّعة، والغين على الظّلمة والخفاء والحزن.[2]

في رأي محمد عنبر: «***أنّ العرب حين يحرصون على حرفهم، لا يحرصون عليه حرفاً عربيّاً فحسب؛ بل يحرصون عليه حرفاً إنسانيّاً قبل أن يكون عربيّاً، وهو حرف ملتقٍ مع الأصول الأولى لحروف الإنسانيّة.. لأنّي أكاد أرى (القول هنا لمحمد عنبر)، أنّ هذا الحرف العربيّ من أقرب الحروف إلى الأصل الأم؛ لأنّه مطابق ومساوق لحركة الوجود في سيرها.***»[3] وإذ قامت منهجيّة بحثنا على استنطاق معاني مسمّيات الحروف من خلال جدليّة الأضداد، فهو- أي محمد عنبر- قد

---

(١) عبّاس، حسن: **خصائص الحروف العربية ومعانيها**، م. ن، ص. ١٦٢.

(٢) فريحة، أنيس: **نظريات في اللّغة**، دار الكتاب اللّبناني، بيروت، ١٩٨١، ص. ١٩-٢٠.

(٣) عنبر، محمد: **جدليّة الحرف العربي وفيزيائية الفكر والمادّة**، دار الفكر، دمشق، ص.١١٧.

أصاب كبد الحقيقة إذ استنطق من خلال جدليّة الأضداد، معاني الكَلِم. إذ أضاف في مكان ءاخر: *«إنّ البحث في اللّغة -أيّ لغة- لا يستقيم إلّا بالرّجوع إلى الأصول الأولى عن طريق الجدل الذي ينضوي تحت لوائه.. إنّ كشف السّتر يتطلب الرّجوع إلى الحركة في أبسط صورها وباعتماد منطق الجدل بالمقارنة بين حركة الجدل في الألفاظ وحركة الجدل في المادّة. إنّ اتساع دلالات الألفاظ وظهورها في كلّ عصر بلباس جديد من سنّة هذه الألفاظ، أمّا الحرف حين يكون واحداً في جميع اللّغات فلا يخرج على صفته أبداً، فلو أخذنا حرف (الميم) مثلاً وطلبنا إلى الأفلح الأعلم- وهو مشقوق الشّفتين السّفلى والعليا- أنّ ينطق به لتعذّر عليه ذلك، لأنّ المكان الذي يخرج منه مشقوق ولا ينطق به إلّا والشّفتان متضامّتان.. ولو أنّك قفوت جميع الألفاظ الثّنائية المختومة بالميم، لوجدتها ترمز إلى شيء متضام لأنّها مختومة بحرف الميم المتضام؛ والأمور بخواتيمها.»*[1]

المصطلح اللّغويّ للحروف العربيّة

الحَرْفُ، في المُعجم: هو الوجْه. تقول: هو من أمرِه على حَرْفٍ واحد، أي طريقة واحدة. وحرّفَه: غيَّره وصَرفَه عن معانيه. والمُحارِفُ هو الّذي لا يُصيب خيراً من وجهة توجّه إليها، وحَرَف عنه: مال وعدل. ومنه الإنحراف. وحُرِف فلان في ماله: ذهب منه شيء. وعلى هذا فالمحرّف للكلام كأنّه يصرفه عن معانيه، بتجزئة ألفاظه وتفكيك روابطها القصديّة تقديماً أو تأخيراً، أو بتقدير زيادة أو إضافةٍ من عنده.

والحرف في اللّغة: الطّرف والجانب[2] والحدّ من كلّ شيء، وحافته وطرفه وشفيره.[3] كالسّيف وغيره. وفي الاصطلاح صوت مُعتمد على مقطع من مقاطع الحلق أو اللّسان أو الشّفتين. والمقطع حرفٌ مع حركة أو حرفان ثانيهما ساكن. ويطلق المقطع أيضاً على مخرج الحرف من الحلق أو اللّسان أو الشّفتين، وحروف

---

(١) عنبر، محمد: م. ن. ص. ص٧٤-٧٥، بتصرف.

(٢) لسان العرب. تسلسل (ح-ر-ف).

(٣) أنظر أيضا: كرّوم، أحمد: **الاستدلال في معاني الحروف**، دراسة في اللّغة والأصول، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩م، ص. ١٣. بتصرف.

الهجاء العربيّة تقدّم أبجديّة جاهزة من خلال أصوات الحروف الملفوظة. مرجعها ثمانية وعشرون حرفاً أوّلها الألف[1]، (المؤلّفة) و(الهمزة) وآخرها الياء وفْقَ النّسق الكتابيّ؛ فحرفا الألف والياء، اللّذان يمثّلان الحركة، أحاطا بمسمّياتها. لكنّها وفْقَ النّشأة تبدأ بهمزة الألف وتنتهي بالغين، تجمعها هذه الكلمات: [أبجد، هوّز، حطّي، كلمن، سعفص، قرشت، ثخذ، ضظغ].

والقول إنّ «فُلاناً على حرف من أمره»، أنّه إذا رأى شيئاً لا يعجبه عدل عنه. والحَرْفُ: اللّهجة «كأنّه تشويه للأصل»، والحَرْف: الطريقة والوجهة. وفي التّنزيل[2]: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ الحج١١؛ ذلك لأنّه يغيّر وجهته كلّ مرّة خلاف الأصل، ويضيّع عمله الأوّل، لأنّ تكملة الآية تقول: ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالأَخِرَةَ[3] ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾. وهكذا في جميع الاستعمالات، يُلاحظ اضمحلال الحركة وتفرّق أجزائها بعد تكوّنها المتعاظم بالحاء والرّاء. إذن فتحريف الكلام هو تغيير نظامه الدّاخلي إمّا بتغيير المواضع نفسها: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَوَاضِعِهِ﴾ النساء٤٦، أو بتغيير الدّلالة اللّفظيّة من بعد ثبوت المواضع: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ..﴾ المائدة٤١.

«للتعرّف على مخرج الحرف، سكّنه ثمّ أدخل عليه الهمزة في أوّله، وأصغِ إليه؛ فحيث ينقطع صوته فهناك يكون مخرجه.»[4] والحرف في حساب الجُمَّل، «هو

---

(١) يلاحظ أنّ ما توصلنا إليه هو أنّ الألف ليست حرفاً، وما قد يرد في البحث من وصفها بالحرف هو إمّا مقتطف من مصدر أو تجاوزا لم نتداركه، ووفقا لصحاح تاج اللّغة الألف تؤنث إنْ لم يذكر قبلها أنّها حرف.

(٢) (التّنزيل): سبق تناولها.

(٣) لم ترد هذه اللّفظة في التزيل هكذا (الآخرة) أبداً، وإنّما وردت بالهمزة هكذا (الأخرة)، ذلك أنّ حرف المد لا يبدأ بحرف مد وإنما بهمزة تهمزه حركياً.

(٤) فرحات، جرمانوس المطران: كتاب الصرف، الجزء الأوّل، المطبعة اللّبنانية، بعبدا، سنة ١٩٠٠، بتصرف.

عددٌ مُطلقٌ؛ أي ليس بسالب ولا بموجب، ولذلك فهو يأخذ قيمتين وترّيتين.»[1]
يتضح أنّ من أطلق على حروف الأبجديّة أسماءها، كان يدرك معاني ومخارج حركة أصوات حروفها، وما ترتيبه لهذا المُسميّات إلّا للتدليل على ذلك.

وفي الصورة الذّهنيّة لتسلسل (ح-ر-ف)، يسترشد أحمد كرّوم بما قاله أحمد زرقة من أنّها تتألف من ثلاثة أحرف: (ح)؛ وهي صورة الحبل، و(ر)؛ وهي صورة الرّأس، و(ف)؛ وهي صورة الفم، ليظهر من هذا التحليل، أنّ الحرف؛ هو امتداد التفكير في التعبير. متابعاً ما يقوله رمضان عبد التّواب، من «***أنّ الحرف هو اللّغة، الّتي يرى فيها القدماء بأنّها أنواع ثلاثة: فكريّة معقولة؛ معانيها ألفاظ، ولفظيّة، ألفاظ ملفوظة ومحمولة في الهواء ملتقطة بعضو السّمع، وخطّيّة مرسومة باليد وملتقطة بعضو النّظر البصر.***»[2]

وهذا الحرف عند ابن عربي «***هو ما يخاطبك به الحق من العبارات***، ويقسم في لطائف ***الإعلام إلى: حروف وجوديّة وحروف وحدانيّة، وحروف العاليات.***»[3] في هذا الوصف ترميز تأويليّ لا يعطينا دلالة على القصد الّذي نسعى إليه.

والحرف كما يراه عالم سُبيط النّيلي: «***حركة وكيان مستقل يقوم بنفس العمل أينما وقع، وفي أيّ لفظ. وكلّ ما تختلف به الألفاظ عن بعضها هو في نوع الحروف المترابطة، وطريقة ترابطها، أي تسلسلها، فإذا تغيّر موقع الحرف في اللّفظ، تغيّرت الحركة العامّة الناتجة من التسلسل.***»[4]

والحروف عند النّحاة، وكما يقول الزّجاجي، أيضاً، تتميّز «***بحروف المباني؛ أي حروف المُعجم: الّتي هي أصل مدار الألسن عربيّها وأعجميّها، وحروف الأسماء***

---

(١) سلطان، فاضل: **الهندسة في القرءان، علم التكوين**، ص.٥١، مركز الدّراسات المتقدّمة، دمشق، ص. ١٢-٢٣. بتصرف. في تهذيب اللّغة- (ج ٤،ص. ٢٠، حساب الجُمَّلُ: ما قُطع على حروف أبي جاد.

(٢) كرّوم، أحمد: **الاستدلال في معاني الحروف، دراسة في اللّغة والأصول**، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩م، ص. ١٤-١٥، بتصرف

(٣) ابن عربي: **الفتوحات المكية**، الجزء الثاني، ص. ١٣٠.

(٤) النّيلي، عالم سبيط، **اللُغة الموحّدة**، م س، ص. ١٠٢.

والأفعال، والحروف الّتي هي أبعاضها، نحو العين في جعفر، والضّاد في ضرب...»[1]
وقيل: «إنّ حروف المباني مجرّدة من المعاني، وهي أصوات ليست ***متوافقة ولا مقترنة. لكنّها تعدّ أصل تركيب الكَلِم. وهي حروف هجائيّة صوتيّة***»[2]. وهي موضوع بحثنا، كونها حروف مبانٍ. وثانياً بحروف المعاني، مثل: من، إلى، في، وهي حروف دالّة على معانٍ في غيرها. وقيل هي اصطلاحاً، «***ما دلّ على معنى غير مستقل بالفهم بل آلةٌ لفهم غيره.***» [3]، وهذا ما ذهب إليه عبد الهادي الفضيلي كما ذكر أحمد كرّوم، في أنّ الحرف- وهو يقصد حروف المعاني- :«***لا معنى له أصلاً ولا وضعاً ولا استعمالاً، أو أنّ الحرف معناه في نفسه، وقيل في غيره.***»[4]

خُلاصة

بما أنّ المحتوى التأسيسي في اللّغة هو التواصل الدّلالي، وأساس الظاهرة اللّغويّة نظام اصطلاحي، تنحل الدّلالات تدريجيّاً من الخطاب إلى الجملة إلى الكَلِمة، فإلى السّمة المميّزة الصّغرى الّتي هي الفارق الصّوتي، وهذا الفارق يبدأ من الحرف بكلّ خصائصه وسمَته الفرديّة، كالجهر والهمس أو الشدّة والرّخاوة أو الشّفويّة أو الغنّة، ليشكل علامة وهيئة تميّزه. هناك حروف إذا اجتمعت مع أخرى تقلب حركتها أو تظهرها بالسّالب، ومنها ما يأبى المقاربة إلّا بما يتناغم وقصد حركته، والكَلِمة كذلك تتجه في سياق إلى معنى وفي ءَاخر إلى غيره.

---

(١) الزّجاجي: **الإيضاح في علل النّحو**، ص. ٥٤، أنظر أيضاً: أحمد جميل شامي، **معجم حروف المعاني**، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٢، ص. ٨.

(٢) كروم، أحمد: **الاستدلال في معاني الحروف**، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٩م، ط\ ١، ص. ١١.

(٣) السّفرجلاني، محمد أديب: **القطوف الدّانية في العلوم الثمانية**، مطبعة نظارة المعارف العمومية في ولاية سورية، ٩ رجب ١٣١٣هـ. ص. ٥٦. أنظر **الاستدلال في معاني الحروف**،م. س. ص. ١١-١٧.

(٤) كرّوم، أحمد: م. س.، ص. ١٥.

الفصل الثّاني

أسماءُ الحروف ودلالاتُها

- البحث في مُسمَّيات الحروف
- ترتيب الأبجديّة ونشأة الكون
- ترتيب الحروف بين الإيجاب والسّلب

تمهيد

ليس اعتباطاً أنّ يكون لكلّ حرف من حروف أبجديتنا مُسمّى يختص به، يتميّز به دلالَةً ومعنىً عن غيره، إلّا أنّ جهلنا بما توافق عليه السّلف، وما تضمّنه قصد المعنى، لا يعفينا اليوم من استنطاق المسمّى ليأخذ ببصيرتنا من خلال جدليّته إلى خاصيّته في تشكيل الكَلام. لذلك تقوم منهجيّة بحثنا على استنطاق مَعاني مسمّيات الحروف من خلال جدليّة الأضداد، فالحروف تجري في مسارات تقوم عليها الألفاظ، ووجهة الحرف هي في حراك زمكانيّ بحكم جدليّة توازن التناقض، ولكل حرف صفات مختلفة عن غيره تظهر في حركته وبناء معناه، وهو ما يحدّد وجهة حركة اللّفظة وتأليف الكَلام. دراسة الأبجديّة هنا تقوم على مقابلة أسماء الحروف ببعضها لمعرفة اتجاه حركة الحرف واستنطاق سبب اتخاذه اسماً خاصاً به، وتعيين دلالة المسمّى، ومن ثمّ محاولة الوصول إلى المبرّر الجدليّ والمنطقيّ لتتابع نسق ترتيبها.

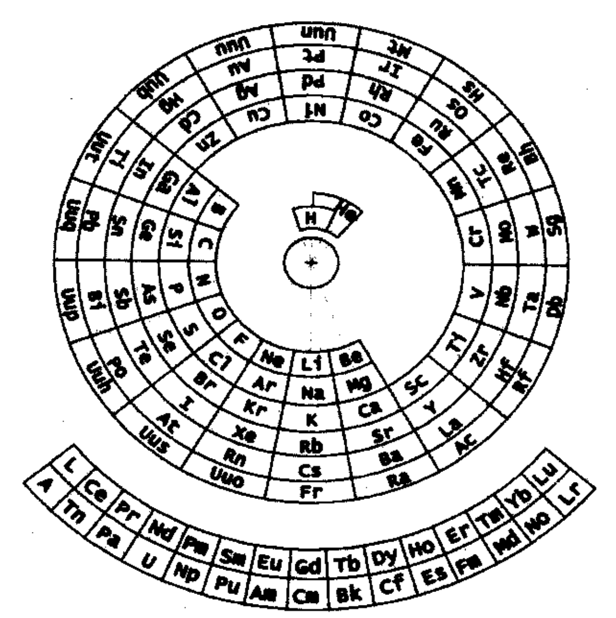
البحث في مسمّيات الحروف

يرى محمد عقل أنّ المنهج الاستقرائيّ يستدعي العودة إلى تراكيب الأبجديّة، واستنباط معاني حروفها، كلّ على انفراد، لمعرفة تطوّر هذه المعاني ومقاربتها لغويّاً ومعنويّاً، وقد فسّر معاني تراكيب (النّظام الأبجديّ) على الشكل التالي: ***«أبجد (أخذ)، هوّز (ركّب)، حطّي (حط)، كلمن (تكلّم)، سعفص (تعلّم)، قرشت (تعقّل)، ثخذ (حفظ)، ضظغ (أكمل). وأنّ المعاني بتراتبها، تحكي تطوّر الوعي البشريّ، ومراحل المعرفة الإنسانيّة.»***[1] يمكن تفسير وضع هذا النّسق المتتابع لمعنى ترتيب الأبجديّة، بأنّ الإنسان اليمنيّ بعد أنْ أخذ ووعى المعنى الدّلاليّ لأصوات الحروف ركّب منها العبارة، ثُمّ حطّ الاشتقاق وتكلّم تواصلاً مع الآخرين، ليتعلم ويعلّم، ثُمّ ليعقل ما تعلّم، وليحفظ بعد ذلك ما عقله، وليكامل النّتائج تتابعاً.

---

(١) أبجدية القرءان من مملكة سبأ، م. س. ص ص، ٤٠-٤١، (بتصرف).

لتوضيح معنى ألفاظ مسمّيات الأبجديّة، وأسماء حروفها، يُفترض أن يتركّز اهتمامنا على دراسة حركة الحرف وجدلية مُسمّاه، لاستخراج دلالة القصد في المعنى، وموقع الحرف في الحركة الكلّيّة للكلام. الحركة الأولى الّتي كانت بحرف الباء كما في (بُم)؛ إذ فتحت المجال لظهور الحروف الّتي أنشأتها الألف من كمون الطّاقة العُظمى[1]، الّتي فجّرت انبثاق الباء. تذكّرنا بما قاله ابن عربيّ: (بالباء ظهر الوجود).[2]



إنّ الاحتكام إلى جدليّة التناقض التي ننتهجها في هذا البحث، يفترض قراءة جدل الحروف من خلال جدل الكون؛ بالتالي بات من الصائب إلقاء نظرة على جدول (مندليف)[3] للعناصر الكيماوية، المبيّن في الرسم المقابل، حيث نرى مطابقة

---

(١) حسب نظرية الانفجار العظيم (Big Bang) في علم الكون الفيزيائي، أنّ الكون بكل ما فيه من مادّة وطاقة، انبثق من حالة بدئية كثيفة وحارّة جداً ثمّ بدأ في التمدّد، وأنّ الكون قبل الانفجار كان بحجم رأس المسمار، وأنّه واصل التمدّد من خلال عملية التخلّق النووي nucleosynthesis - المرجع من موقع وكيبيديا- الموسوعة الحرة..

(٢) ابن عربي: الفتوحات المكية، السِّفر الثّاني، ص. ١٣٤.

(٣) جدول مندليف: ديميتري إيفانوفيتش كيميائي روسي مولده ١٩٨٤، وفاته ١٩٠٧ له شهرة كبيرة لانه هو وعالم أخر كانا أوّل من فكر في النسخة الأولي من الجدول الدوري للعناصر الكيماوية، استطاع

تكوّن الحروف من كمون طاقة الألف التي فَجّرت إنبثاق الباء، لِتكَوُن العناصر من توازن المادّة بمضاداتها بعد الإنفجار العظيم. تشكّل فيما بعد البروتونات والنويترونات، ثمّ اتحدّت كنوى للهيدروجين والهيليوم والليثيوم. تتابعت بعد ذلك اقترانات المادّة والإشعاع لتشكيل أوّل نوى مستقرّة، هكذا اتخذت هيئات الحروف دلالات معانيها.[1] نظرية (ستيف هوكنغ)، التي تصف التضخّم الكوني بقشرة جوز،[2] آيل إلى الإنكماش كما بدأ أوّل مرّة، تذكّرنا بدلالة حرف الغين، ووروده في ءَاخر حروف الأبجديّة، وكيف يغيّب ويعيد حركة الأنبثاق إلى كمونها، كما هي حركة الثقوب السّوداء.

الباء إذن؛ كحركة جوهريّة عامّة متكاملة، أنتجت أيضاً صوت الميم الأوّل، والّذي يمثّل حركة تكامليّة من جملة ما تمخّض عنها نشوء ءَالة النّطق عند الإنسان.[3] إنّ زمن انبثاق الحركة بالباء يكاد لا يُلحظ، ولكنّ هيئة صوتها باقية في ذهن السّامع. هكذا تكوّنت حركات الحروف بالألف. فالألف ليس حرفاً وإنّما مُنشئ للحروف،[4] ولا علاقة له بمكوّنات ءَالة النّطق. وهذا ما قاله أحمد زُرقة: ***«الألف ليس بحرف على الإطلاق، وإنّما هو مقطع صوتي يرافق إخراج جميع الأصوات اللّغويّة الأخرى، المحدّدة المخرج الّتي تأتلف معه في الكَلمَة العربيّة، وهو يمثّل النّواة الأصليّة لدراسة الصّوت الجسيم الّذي يتآلف من الصّائت والصّامت، وهو ذو طبيعة خاصّة تختلف عن بقيّة الحروف الّتي قبلت الانفصال عن***

مندليف توقّع الخواص الكيميائية للعناصر التي لم تكتشف في وقتها. وقد أثبتت الأبحاث لاحقا صحة كلامه في تتطابق مع المتوقع لها بواسطة القانون الدوري.

(١) أنظر مقاربتنا جدلية الكون بجدلية الحروف، ص. ٧١.

(٢) هوكنغ، ستيف: **الكون في قشرة جوز**، ترجمة مصطفى غبراهيم فهمي، عالم المعرفة، عدد ٢٩١، ٢٠٠٥م. وموجز **في تاريخ الزّمان**، من الإنفجار العظيم إلى الثقوب السوداء، ترجمة عبد الله حيدر، أكاديميا، بيروت، ١٩٩٠م.

(٣) يلاحظ أنّ صوت الانفجار بعد الانبثاق يسترجع موجته بالميم، بما يماثل فتح المجال لخروج الصوت من خلال الشفتين ثمّ استرجاع الميم الشّفتين إلى الحالة الأولى، بما يفيد إتمام الانبثاق.

(٤) هذا رأي العديد من الباحثين ومنهم، عالم سُبيط النيلي، أنظر **اللّغة الموحّدة**، وجان كانتينو، المرجع السّابق، الحاشية (٣)، ص: ٢٩. ومن نتائج هذا البحث سيظهر أنّ الهمزة هي من يشكل ويحرك صيغ الألف، وهذا ما سبب تداخل في الوصف بين الهمزة والألف المد غير المكللة (الفتحة المستمرة).

حركتها.»[1] هو إذن، يحيل الهواء إلى مادةٍ ممكنة التّشكّل والجمود على الصّورة النّهائية للحرف. كلّ صوتٍ يحتاج إلى نهاية أماميّة أو خلفيّة للارتباطٍ بالصّوت الآخر خلال مرحلة البناء، غايتها توفير وجود لظهور حركته. فحركة صوت الحرف تنتهي بآخر حركة للشّفتين وآخر حركة اللّسان. أمّا الاستمرار بإحداث صوت فهو إمّا تكرار أو مجرّد اندفاع للهواء مع إبقاء اللّسان قريباً من وضعه عند التشكيل. إنّ الصّوت الحَقيقي المجسّم، هو قطعةٌ واحدةٌ جامدةٌ، تخرج عند لفظ مفردة وينتهي التّشكيل عند استقرار اللّسان بعد الحركة السّريعة، وعند محاولة الاستمرار بإطالة الصّوت يكون النّاتج قطعةً غير مُنتهية. وإذا مُدّ الصّوت أكثر من الحدّ المقرّر لزمنه لن يتشكّل بعد ذلك، لأنّ الرّجوع إلى الألف سيكون عسيراً على اللّسان؛ فحركة اللّسان هي حركةٌ لحظيةٌ ءَانيّةٌ، تخفق الهواء مع استعدادٍ سابقٍ لجميع مكوّنات ءَالة النّطق لإنتاج صوت. ولا يستطيع اللّسان تكوين صوتٍ بخفقٍ سريعٍ وآخر بطيء، فسرعته في تشكيل الأصوات واحدة. وحينما نحاول مدّ صوت مثل: (الميم، الفاء، التّاء)، فإنّنا لا ننجح بإخراجه بعد ذلك إلّا مشوّهاً.[2]

تتشكّل في داخل النّبضة الصّوتية صورةٌ جامدةٌ للصوت. والغلاف الخارجي للنّبضة وحاملها ابتداءً وانتهاءً هي الألف. حرف الألف يحمل الأشكال المتنوّعة للأصوات. ولكلّ صوتٍ هيئة مختلفة داخل هذا الحيّز، إذ ليس بمقدورنا مُطلقاً نُطق أيّ صوتٍ من غير الاستعانة بالألف ابتداءً أو انتهاءً. علماً أنّ ظهور الألف هو بالفتحة أو الضّمّة أو الكسرة. وكما يقول عالم سُبيط النّيلي: ***«ذلك لأنّ هذه الأصوات الّتي نسمّيها أحرفاً ليست في الواقع إلّا حالات مختلفةً للوضع الابتدائي نفسه لآلة النّطق؛ أي حالاتٌ مختلفةٌ للألف. ومعنى ذلك أنّ اللّسان يكوّر الألف ويشكّل منه غلافاً لنبضة صوتيّة، ويستعمل هواء الألف لتكوين هيئة الصّورة الجامدة، ويُبقي شيئاً منه للالتحام. إنّ الصّورة الجامدة هي تمثال للحركة، ولكنّه تمثال ينبض بالحيويّة.»***[3] وفي رأي محمد عنبر، ***«أنّ الألف هي الأمّ وليس لها ولا***

(١) زرقة، أحمد: **ميزان الألف العربية**، إصدار ١٩٩٠، ص. ص. ١٣-١٥، بتصرف.

(٢) يلاحظ مباحث التجويد في تلاوة القرءَان، بما توفّره من إدغام ومدّ ووصل... إلخ.

(٣) النّيلي، عالم سبيط، **اللّغة الموحّدة**، مرجع سابق ص. ١١١، وما بعدها، بتصرّف.

للحرف وجود مستقل. ذلك أنّ الحرف موجود في الحركة، والحركة موجودة في الحرف، ولا توجد حركة من دون حرف، كما لا يوجد حرف من دون حركة، ويخلص من خلال جدليّة الحرف والحركة، إلى أنّ الهمزة هي أمّ الحروف وأمّ الحركات معاً، وهي كأنّها حرف من جهة وحركة من جهة أخرى.»[1]

والحروف حسب ما توصّلت إليه استنتاجاتُنا، الّتي سوف تتضح لاحقاً في باب الإستدلال، هي سُلالة نشأت من بعضها كما ءَادم وحوّاء[2]؛ أي بألف التّأليف في ءَادم، وحاء التعاظم والاحتواء في حوّاء؛ بما يفيد الاستنساخ، ثُمّ تناسلت وتسلسلت منها سلالات تزاوجت جيناتُها بمسمّيات تسمّت بأسماء الحروف نفسها. الحرف البادئ هو المُخصب والثاني المُخصَب، يتم ويتوجّه به خلق الحركة، إمّا في بُعد زمكانيّ[3] بالفتحة، أو بعد مكانيّ بالضّمة، أو زمانيّ بالكسرة، أو توقّف بالسّكون. سيرد التوضيح تباعاً في الزّمان والمكان في حركة الحرف وفي الألفاظ. وهذا ما يحدّد توجّه جنس المولود اللّغويّ واختياراته. كذلك يتم نقل واستيداع شيفرة الجينات، ومن ثمّ القدرة على التآلف والاختلاف، وأيضاً الحُبّ والعشق، والتزاوج مع حروف أُخرى، ليشكّل وإيّاها أُسرة جديدة. هذه الحروف، الثّمانية والعشرون، خزّنت في جُعبها كلّ احتمالات معاني الأصوات الحركيّة، وجينات اللّفظ ومدلولات الصّوت الإنسانيّ. توارثت الشّعوب وتزاوجت بعضها من بعض، وزاوجت الأصوات، وعدّلت تسلسل ومدلول شيفرة الجينات بما يلائم ويحتمل ويواكب حركتها وبيئتها.[4]

---

(١) **جدليّة الحرف العربي**، مرجع سابق، ص. ٢١٥-٢١٦. بتصرف.

(٢) الاسم من وجهة نظرنا، هو مرحلة من مراحل حركة الفعل وليس الفعل مرحلة بالاسم؛ أي أنّ الفعل هو المصدر اللّغوي فحركته، وحسب مراحلها، هي التي تعطي الاسم مدلوله، فإن (ءَادم) و(حواء) مسميان لمشخصين نظرياً لفعلي (دام) و(حياة). ومثالنا أن فعل شَرِبَ، هو من أعطى للمشروب اسمه، كذلك لشعر الشنب، فسمّيا شاربان كونهما قد شربا المشروب خلال ارتشافنا له. ويتفق معنا إسرائيل ولفنسون، أن اشتقاق الكلمات من أصل الفعل، وأنّه يعتمد النظرية العقلية الفعلية، لا المصدر الاسمي. وللمزيد أنظر كتابه: **تاريخ اللّغات السامية**، مرجع سابق، ص. ٢٠.

(٣) **الزّمكان**: لفظ مستحدث يعنى به جدلية الزّمان بالمكان والمكان بالزّمان.

(٤) أنظر في موضوع التذهين اللّغوي والجينات المورثة، خالد آغا القلعة، الجزء الرّابع، ص ص. ٥٤-٦١.

ترتيب الأبجديّة وفق نشأة الكون

لمسألة ترتيب الحروف أهمّيّة كبيرة لا تقل عن أهمّيّة أسماء الحروف. ويظهر أنّ ترتيب «أبجد- هوّز- حطّي..إلخ»، لم يتم اعتباطيّاً. فما ابتداء الأبجديّة العربيّة بالألف، واتخاذ أسمائها بترتيب على صيَغ (أبجد)، انتهاء بالغين، إلّا إخضاعاً لنظام كوني مُترابط، يستوعب الحركات المحتملة في الوجود. فقد اتضح لنا أنّ التّرتيب هو بدلالة نشوء الكون. وأنّ مُسمّيات الحروف مُطابقة تماماً لآليّة النّشأة. هذا ما كشفته لنا مُسمّيات الأبجديّة وفقاً للدّلالة الحركيّة لجدليّة تناقض مُسمّيات حروفها، كما سنبيّنه لاحقاً وتفصيلاً في معالجة مسمّى كلّ حرف، كما سوف ينشر، إن شاء الله تحت عنوان (قراءة في كلام العرب). [1] بعد صدور هذا الكتاب. وللتدليل بالتّوضيح على مُبرّر تنسيق هذا التّتابع والتّرتيب، وفقاً لحركة التّكوين الكلّية للوجود، نقرؤه كما يلي:

بَدأ التّأليف بـ(**الألف**) الزّمكانيّة؛ الّتي فَجّرَ كُمونُ طاقتها انبثاقَ (**الباء**)، فتجمّعت الغازات بـ(**الجيم**)، محوّلة الطّاقة إلى مادّة، ثُمّ اندفعت المواد بـ(**الدّال**)، فحملت (**الهاء**) الحركة والصّوت (بما يماثل المادّة) ناقلةً إيّاهما عبر (**واو**) الأمكنة، لإبرازهما مادّيّاً بحركة (**الزّاء**)، ومن ثُمّ تعاظم وتمدّد وجود حركتها بـ(**الحاء**)، وتضخّمت بـ(**الطّاء**)، واستبطنت محورَ الزّمن بتوالي واستمرار الأيّام بـ(**الياء**)، فلمّا تكتّل الكون المتآلف بـ(**الكاف**)، وتلاحمت العناصر والأصوات بـ(**اللّام**)، وتمّ الإنشاء بـ(**الميم**) والتكوين بـ(**النّون**) -صار للصوت هيئة- انسلت (**السّين**) لإتمام الهيمنة على القوى للمعاينة والتثبّت بـ(**العين**)، كي تميّز وتفصّل ما يناسب التطوّر بـ(**الفاء**)، وارتباط المواجهة بـ(**الصّاد**) - فلا مُعاينة قبل التكوين. فتشكّلت قوّة البيان بـ(**القاف**)، مكرّرة بـ(**الرّاء**) حركة التّشعّب بـ(**الشّين**)، والتجاذب بـ(**التّاء**)، فكاثرت وبثّت حيناً وثبّتت بـ(**الثّاء**)، وأخمدت ما يتوجّب إخماده بـ(**الخاء**)، وأبرزت

---

(١) **قراءة في كلام العرب**، هو مسح لما استخدم من كلام العرب في المعاجم، من خلال ءالية معنى حروف الأبجديّة التي نحن بصدد كشف معانيها ودلالة حركة الحرف في تركيب الكلام، وسوف إن شاء الله يتسنى لنا طبعه ونشره لاحقاً.

حسّياً الدّور غير المنظور للحركات بـ(**الدّال**)، فالتزمت بعزيمة (**الضّاد**) قانوني الظّهور بـ(**الظّاء**)، والإخفاء والتمويه بـ(**الغين**).

حيث قانون الوجود قانون عام، نقارن للإحتكام نشأة الحروف بنشأة الكون مُسقطين ذلك على ما توصّل إليه العالم (ستيفن هوكنغ) [1]، كما يلي: تُقاربُ **ألفُ الزّمكان** ← ضغطَ كمون الطّاقة أحدث الانفجار الكبير. وباءُ **الانبثاق** ← عصرَ بلانك- قوانين فيزياء مجهولة وغريبة فُتح لها المجال. وجيمُ **الدّمج** ← توازنَ المادّة\ مضاد المادّة يحسم ميزان المادّة وتشكيلها. ودالُ **الاندفاع** ← العصرَ الإلكتروني الضّعيف تحكمه الكواركات ومضاداتها. وهاءُ **الانتقال** ← عصرَ الهادرون واللّبتون، الكوارتات تتقيّد في تشكيل البروتونات والنّيوترونات والميزونات والباريونات. واوُ **التموضع في حيّز** ← البروتونات والنيوترونات تتحد كَنوىً هيدروجينية وهيليوم وليثيوم وديتريوم. وزاءُ **البروز المادّي** ← اقترانَ المادّة والإشعاع معاً وتشكيل أوّل نوى مستقرّة. وحاء **التعاظم والتمدّد الدّاخلي** ← اقترانَ المادّة والطّاقة، وطاء **التضخّم والاستيعاب** ← الكونَ الكثيف بصرياً يصبح شفّافاً لإشعاع الخلفية الكونيّ. وياء **المتابعة الزّمانيّة** ← تشكّلَ الاحتشادات العنقودية للمادّة كوازارات ونجوم ومجرّات أوّليّة. وكاف **تكتّل المتآلفات** ← تكوّنَ مجرّات جديدة بها منظومات شمسية تتكثّف حول النّجوم. ولام **التوصيل والالتحام** ← ترابطَ الذرّات لتكوين الجزيئات. بعد ذلك **تتمّم حركة الميم وتلاحق التكوين بالنّون**. حيث صار للصوت هيئة، فاستوى **السّين** وبسط النّفوذ للمتابعة، مُعايناً **بالعين**.. وهكذا حتّى ءَاخر ما ذكرناه، إلى أنْ تنتهي بحرف **الغين**، ليدل على الغياب ومن ثُمّ العودة إلى بعث جديد.

نستنتجُ أنّ معاني ألفاظ الأبجديّة يقارب من حيث الإستقراء ما ورد عند محمد عقل.[2] ويختلف عمّا ذكره غيره من الباحثين، بأنّها أسماء ملوك من اليمن أو

---

(١) هذه المقاربة مستمدة من كتاب ستيفن هوكنج: **الكون في قشرة جوز**، ترجمة مصطفى إبراهيم فهمي، منشورات عالم المعرفة، كتاب رقم (٢٩١)، ٢٠٠٣م، ص. ٧٧. وكتابه: «**موجز في تاريخ الزّمان**» ترجمة عبد الله حيدر، أكاديميا، ١٩٩٠م.

(٢) (**أبجدية القرءَان من مملكة سبأ**)، مرجع سابق: ص. ٤٠.

أسماء أولاد مرامر بن مرّة من أهل الأنبار[1]، بل هي بدلالة النّشأة؛ وأنّ (أبجد): تأليف بانبثاق متجمّع أو مدمج ومندفع، و(هوّز): محمول مُتموضع في البروز، و(حطي): للتعاظم والاستبطان الزّمني، و(كلمن): للتكتّل والتّلاحم وإتمام الإنشاء، و(سعفص): بالهيمنة والمعاينة والفصل والمُواجهة، و(قرشت): بقوّة التكرار والتّشعّب والتّجاذب، و(ثخذ): بالتّكاثر والإخماد والبروز الحسّي، و(ضظغ): الإحاطة للظهور والإخفاء. لذلك نظمنا هذه الدّلالات في أبيات شعريّة لتسهيل حفظها والرّجوع إليها.[2]

ترتيب الحروف بين الإيجاب والسّلب

تُرى هل يحكم هذه المُسمّيات نظام، أم هو ضرب عشوائي؟ نقول: إنّ تتابع الحروف له مَعنىً فلسفيّ، في تكوينها، ونشاطها، وفعلها، وءاليّة اختصاصها. فكمون الطّاقة المحفّزة بالهمزة هو قبل باء الانبثاق، فلا يكون الانبثاق إلّا من ضغط يسبّب تفجّره، وفي هذا الحراك تظهر جدليّة الكَمّ والكيف في انبثاق الباء من ضغط الطّاقة الكامنة. والجمع والدّمج بالجيم يكون بعد التشتّت الانفجاريّ. والاندفاع بالدّال حركة لمَا تجمّع، والهاء تحمل مُتنقّلة ما تجمّع واندفع. والواو تمكّن إيصال المندفع إلى شَغل الحيّز المكانيّ، فالوصول إلى الحيّز يتطلّب من يوصله وينسج له عُلاقة وهو باللّام. والبروز المادّي بالزّاء لا يتمّ إلّا بإشغال حيّز يُتاحُ من خلاله البروز. والتعاظم بالحاء يتمّ بعد إبراز المكانة المادّيّة والمعنويّة. والتضخّم بالطّاء يلحق المكانة، والمتابعة الزّمانيّة بالياء من ضروريات تتابع استمرار التضخّم. وتكتيل المتآلفات بالكاف لا يتمّ بدون تأمين العناصر وبروز خصائصها وبانتظار زمن للمتابعة. والتّلاحم باللّام لا يتمّ إلّا بعد توفير المواد المطلوب تكتيلها. والميم لا

---

(١) وأورد «المسعودي» كما في «**تاج العروس**»، أبياتًا زعم أن «المنتصر بن المنذر المديني» قالها في هؤلاء الملوك، هي:

ألا يا شعيب قد نطقت مقالة ... أتيت بها عمراً وحيّ بني عمرو
هُمُ ملكوا أرض الحجاز بأوجه ... كمثل شعاع الشمس في صورة البدر
ملوك بني حُطّي وسعفص ذي الندى ... وهوّز أرباب البنيّة والحجر
وهم قطنوا البيت الحرام ورتبوا ... خطوراً وساموا في المكارم والفخر

(٢) أنظر النّظم الشّعري في الملحق.

تـتمّم أو تكمّـل إلّا مـا هـو جـاهز للتواصـل. والإنشـاء بـالنّون يكـون بعـد التواصـل والتلاحم للعناصر وإتمام جمعها. وهنا تتسل حركة السّين للسيطرة وبسـط النّفوذ على ما تمّ إنشاؤه. فتكلّف العين بعد ذلك بالمعاينـة، فـلا معاينـة لمَا هـو غير كائن ودون مُبرّر وطلب من سين الهيمنة، وبعد المعاينة يتمّ الفرز والتفريق بالفاء. وكذلك التّرابط بالصّاد لِمَا هـو منتخب ومفـروز. وفـتح المغلق بالقـاف أمـام المعاينـة فـلا يسبقها ولا يكون المغلق إلّا من ترابط العناصر. والتكرار لا يكون إلّا لمَا يفيد إدامـة الوجـود في وجـه المعارضـة. والتشـعّب والانتشـار لا يـتمّ إلّا والتكـرار سـابقاً لمـا هـو مُتكوّن ومُعاين. والجهد المقابل هو بالتاء في معارضة التشتّت، ومن ثمّ يكون التكـاثر لاحقاً للجهـد، والإخمـاد بالخـاء لاحقاً للتكاثر إذا مـا تجـاوز حَدَّه. والـبروز الحسـّي بالذّال لا يتمّ إلّا من خـلال التفاعل والتنـاقض بـين التكاثر والإخمـاد. والضّـاد الـتي تلزم وتلتزم لا تسبق المحسوس بل هو ما يحفّزها لتحمّل المسؤوليّة، والظّهور بالظّاء مـن مكمّـلات الالتـزام المظهـريّ، والتمويـه بـالغين لا يكـون إلّا بعـد تكامـل حركـة المكوّنات. بذلك يتبيّن لنا مثلاً أنّ الياء الّتي وردت قبل النّون، تفيـد أنّ حركـة الـزّمن سبقت نون التكوين، أي أنّ الزّمن سبق استمرار الإنشاء مَكانياً؛ فـالتكوين يسـتوجب توفّر زمن ملازم ضمناً في حركته. وإذ وردت السّين قبل العـين، فالمعاينـة مـن أدوات الهيمنة وبسط النّفوذ، لـذلك جـاءت الفـاء بعـد ذلـك للفصـل. وإذ وردت الصّـاد بعـد السّين والفاء، فلأنّ الترابط تأتي نتيجة لمحاولة بسط النّفوذ بالتفريق. غير أنّ للميم والنّون والواو دلالات البُعد المطلق، ولكل منها حركة بـين السّـالب والموجب، معيّنـة القصد من خلال توسّط الياء في (م-ي-م) وتوسط الواو في (ن-و-ن) وتوسط ألـف المد في (و-ا-و).

هذه الآليّة ترشدنا في تناول الحركة من مُرتقب تـأثّر حركة الحـرف وتأثيرهـا بـالحروف الأخـرى، مـن وحـي منزلتـه في التتـابع التكـوينيّ. ونلاحـظ أنّ الأبجديّـة ابتـدأت بـالألف والبـاء انفتاحـاً وتآلفـاً، وانتـهت بـالغين تمويهـاً وتعتيمـاً. فمـن غـير المنطقـيّ أن يسـبق التمويـه والتحريـف بنـاء حركـة التكـوين، بـل هـو يعاكسـها نَشـأةً. ووفق تفسير محمد عقل لمعنى حرف الغـين، أي الغيـاب للعـودة مجـدّداً، بمعنـى بعـث الحياة بعد الموت، تعاد دورة الحياة بدورة الحروف، ودورة منازل القمر.

أمرٌ ءَاخر، ينبغي التّوقّف عنده، وهو أنّ ترتيب حركة الحروف وفق تسلسل نشأتها، يفيد دلالة التّتابع الإيجابيّ، كورود الجيم قبل الدّال؛ فتسلسل (ج-د) فيه إيجابيّة، بينما في (د-ج)، صار المعنى مُغايراً لطبيعة التكوين والنّشأة. وهكذا في (ب-د)؛ حيث الباء قبل الدّال في النّشأة؛ فالمعنى يفيد الأمر المُحتّم. وبعكس ترتيب التسلسل إلى (د-ب) أفاد المعنى: السّير على غير هُدى. وهكذا يمكن الاستغراق في التأمّل والبحث ومقاربة الدّلالة التكوينيّة؛ مع عدم إغفال سلوك الحرف إن كان ذا طبيعة إيجابيّة أو سلبيّة. وهذا ما نلاحظه في سلوك حرف الفاء، إذ هو حرف فصل وتفريق. فمضمون حركته سلبيّ، أمّا إذا التقى مع حركة سلبيّة أخرى تحوّل إيجابيّاً وإلّا جَعلَ الحركة الإيجابيّة سالبة، وكذلك في سلوك حرف الحاء الدّاخلي. هذه الأمثلة تظهر أيضاً جدليّة توازن التناقض في هذه الألفاظ ومثيلاتها، فحيث ينتهي تسلسل (ج-د) يبدأ تسلسل (د-ج)، من خلال الدّال، ممّا يعني الاندماج المندفع ينتهي بالاندفاع المندمج، وكذلك عندما ينتهي البديد في (ب-د) يبدأ الدّبيب في (د-ب). ويمكن القياس كذلك في (ف-ك) و(ك-ف)، و(ح-ل) و(ل-ح).. إلخ.

لو أخذنا مثلاً القول: «إنّ الحياة تسبق الموت، وإنّ الصّبا يسبق الشّيخوخة»، لعلمنا أنّها تفي بشروط اللّغة من نحوٍ وتأليف، وأنّ استعمال الكلمات الواردة فيها يفي أيضاً بالمعنى المطلوب، ويطابق نسق ترتيب نشأة أصوات الحروف. أي أنّ الحاء سبقت نشأة الميم، والصاد سبقت الشّين بالنّشأة. كذلك يصح القول إنّ الشّروق يسبق الغروب. غير أنّ هذه المقاربة لا تصلح كمقياس نهائي إذ تحتاج إلى تدقيق في معرفة أصل وقصد الكَلمة لا كيفيّة استعمالها. فلو قلنا أنّ النّهار يسبق اللّيل، فلا يستقيم هذا القول مع ترتيب نشأة حرفي النّون واللّام، ونحتاج إلى تدبّر معرفي في أيّ منهما يسبق الآخر، من خلال ردّ الجذر إلى أصله الأوّل. وقد ورد في التنزيل: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ يس٠٤، ولو قلنا إنّ العلم يسبق العمل، لصحّ ذلك فلا يصحّ العمل المتقن إلّا من بعد التعلّم. لذلك نرى أنّ اللّام سبقت الميم في النّشأة. فلام الوصل تحتاج

إلى ما يُكامل ويتمّم دورها، وإلّا كانت حركة الميم بالسّالب، إي إلى الدّاخل، وكانت دلالة اللّام (لا إتمام)، كما سيأتي ذلك مُفصّلاً في موضعه.

وفقاً لهذه الدّلالات الحركيّة نقرأ معنى كلمة (حَرَفَ)[1](حَ+ رَ+ فَ). الدّلالة الحركيّة في الحاء والرّاء والفاء هي بعلامات زمكانيّة أي بالفتحة: الحاء تعاظم الحركة بالزّمان والمكان، والرّاء تكرار مُنظّم لهذا التّعاظم. فلمّا جاءت حركة الفاء فرّقت هذا التكرّار المتعاظم إلى أجزاء وحرفته، فكأنّها غيّرت وجهة التسلسل كلّيّاً. وكان دخول الرّاء قد منح الحركة قوّة جديدة بالتّكرار المُنظّم، فأصبحت تتعاظم ذاتيّاً. فالتّجزئة والتّفريق موهن لها ومشوّه لتكوينها. الاسم هنا يحكي عملية تشكّل الأصوات، لأنّ الصّوت هو صورة حركيّة تتشكّل ثُمّ تتلاشى فوراً، بتفرّق جزيئات الهواء المكوّنة لها، فالاسم مطابقٌ تماماً لهذه الحركة. وهكذا فالدّلالة الحركيّة في (حَرَفَ)، هي بهذا المفهوم. ولأنّ التّبدّل حاصل في الزّمان والمكان، وفي علاقتهما فيما بينهما، فالنّهار هو نهر الزّمان، ولا شيء في الكون يبقى في مكانه. إنْ كانت هذه مدلولات الحركة الخارجيّة، فإنّ سيرورة كلّ ما هو موجود في تبدّل دائم. ففي الأبجديّة العربيّة طائفة من الحروف كثيراً ما يختلف نُطقها في اللّغة الفُصحى عنه في اللّهجات العربيّة الحديثة. وأهمّها: الجيم والقاف والذّال والظّاء والثّاء والعين. القاف مثلاً، لم تعد تُستخدم في مصر وأطراف العراق واليمن، حيث تمّ تحويلها في مصر إلى همزة، أو إلى (جيم)، وفي العراق إلى الصوت الأجنبي 'g'. و(الذّال) حُوّل إلى الزّاء في مصر والشّام. والجيم إلى ما يماثل 'g' في مصر. أمّا الأصوات الّتي هجرتها قبائل مُعيّنة، أو استبدلتها، فحدّث ولا حرج. هذا يعني أنّه قد حصل تغيّرٌ لغوي، بلهجة محليّة، ونشأت دلالات فرعية مُتعدّدة لنفس اللّفظ، أو الإشارة إلى ذات الفكرة بدلالات متنوّعة من ألفاظ عدّة باللّسان عينه. ذلك أنّ الصّورة في اللّهجات العاميّة في مصر والعراق والشّام، ليست عامّة ولا قاعدة، بل هي مرتبطة بالبيئة الأصليّة لمن يبدّل في لهجته هذه الألفاظ، وأنّ ذوي الأصول العربيّة في مصر والسّودان والشّام والعراق ينطقون حرف القاف كما هو إلى يومنا هذا. بينما ذوي

---

(١) أنظر باب الحاء، تسلسل (ح-ر-ف).

الأصول غير العربيّة يحوّلون حرف القاف إلى همزة، لأنّه غير موجود في لسانهم الأصليّ، والأمر ذاته ينطبق على حرف الجيم وغيره من الحروف.

خُلاصة

هكذا، يمكن التّأكيد على أنّ الحرف هو وعاء وهيئة الصّوت؛ تأخذ به الكَلمة في ميادين الأفكار متنقّلة بأصوات نُطقها، كي تعيد باستمرار صياغة الزّمنَ في مساحة المعرفة، وتضعها في تيّارها الحركي. وأنّ لمسارات حراكَها الزّمكانيّ وجّهة محدّدة، وأنّ ترتيب الأبجديّة ليس بعشوائيّ، بل وفق نسقٍ إيجابيٍّ السّلوك تتابعاً، وسلبيّه إذا ما تعاكس. ترشدنا (أل) الّتي تفيد التّعريف، عند استخدامها إلى ما يضمره الحرف المُعرّف. فهي إذ تختفي نُطقاً إلّا أنّها تظهر تشديداً عليه لَفظاً وصوتاً، كما لو أنّه توقّف عن الحركة ثمّ استأنفها؛ فيما يُسمّى الأحرف الشّمسيّة: التّاء، الثّاء، الدّال، الذّال، الرّاء، الزّاء، السّين، الشّين، الصّاد، الضّاد، الطّاء، الظّاء، النّون، اللّام. بينما الحروف المُسمّاة قمرية لا تتطلّب عند التّعريف تشديد حركتها. بذلك تظهر دلالة تثبيت التّواصل الّذي تفيده اللّام، مع ألف التّأليف، فلا تنقطع وإنْ لم تظهر.

الباب الثّالث

جدليّة الزّمكانيّة في حركيّة الحروف

الفصل الأوّل: استنطاق مسمّى كلّ حرف

الفصل الثّاني: حركيّة الحروف

الفصل الأوّل

الحركة الدّاخليّة لمسمّيات الحروف[1]

- تناقض مُسمّيات الحروف
- ترتيب أسماء الحروف
- الزّمكانيّة في حركيّة الحرف والألفاظ

(١) ربّما يجد القارئ إشكاليّة في متابعة هذه الاستنتاجات، كوننا نوجز هنا ما جرى تفصيله في باب كلّ حرف، إذ نوضّح تفصيلاً كيف جرى استنطاق مسمّاه لبيان دلالته، فنرجو الرّجوع إليه عند الحاجة.

تمهيد

إنّ البحث عن المعنى المُختفي في ثنايا الكلمات يتطلّب تفكيك جدليّة حركة حروفها، وبيان صلتها بسير حركة الوجود، كونها المَنْشأ الأساس للكَلمة الآسرة للمعنى، والّتي دُمِغَ بها الذّهن كإرثٍ مُكتسب. وحيث تعتمد اللّغة في تكوينها الفقهي على مَبدأ التّناقض المُؤدّي إلى التّوازن، تكون مُسمّيات الحروف مدخلنا الأساس لكشف البصائر على ما تنطق به من مدلولات، خاصّة إن نحن فككنا حروفها، آخذين (ءَاخذين) بعين الاعتبار، أنّ الحرف قد اتخذ نقيضه للدّلالة على فاعليته، فأظهره النّقيض، كذلك أظهر تجانس اتجاه المجموعات وفقاً لخصائصها، ووفقاً لنظرية توازن التّناقض. هذا مع مراعاة أهميّة وسيلة الاتصال والتّواصل بين النّقيضين، فهي، أي الوسيلة، دالّة على اتجاه الحركة في أيّ من أبعاد الزّمان، أو المكان، أو الزّمكان. فهذه الأسماء تُعاين وتفسّر بدلالة تناقضها لحروف مُسمّياتها. لذلك نقرأ حركة الجدل في الحرف من خلال تعاقب حروف مسمّاه، ويدلّنا على قصد حركته مَنْ يأخذ به إلى نقيضه، وهو وسطه، ومن إدراك كيفيّة الحراك نستدل على سببه الذي عيَّن الكيفيّة قبل أن تتكوّن. فنحن مع الحرف في حركة جدل معرفيّ، إذ الأصوات المتعاقبة لمكوّن حركته مستودعة فيه، نفكّكها كي نستعيدها . حركة الجدل بيننا وبينه تضمر سيرتنا التاريخيّة وإيّاه، وهي لم تجر اعتباطاً وإنّما على سجيّتها، وفق جدل الكون ونحن منه، ولهذا نقرأ الحرف من خصائص مألوف ما عَقلناه.

تناقض مُسمّيات الحروف

إنّ الأسماء الخاصّة بالحروف، لها تسمية متّصلة بالحركة الدّاخلية للأصوات. وهي تنوّه في حقيقة الأمر إلى هذه الحركة. نستنطق دلالة التّناقض في مُسمّياتها، لمعرفة اتجاه حركتها، كما يلي:

- أحرف تسمّت بألف المد والهمزة: [باء، تاء، ثاء، حاء، خاء، راء، زاء[1]، ياء، هاء، طاء، ظاء، فاء]. وسيلة الاتصال بين الحرف والهمزة ألف المدّ الزّمكاني، أي الممدودة بالفتحة (ا)، تؤكّد على أنّ الحركة هي بين بين في بُعدي الزّمان والمكان. وحيث أنّها تؤلّف ما بين متناقضين، فتوسّطها أظهر تحريك ما هو ثابت، ودلّ على أنّ تَناقض هذه الحروف هو مع سكون الهمزة واسترجاع الأنفاس لها، لذلك فهي حروف صارت مُتحرّكة أو مُحرّكة لغيرها، وفقاً لهذا التّناقض. على سبيل المثال: مُسمّى (فاء) دلالة التّناقض مع الهمزة، فإن عُكس الترتيب صارت: (ء-ا-ف). ومُسمّى (باء) صارت: (ء-ا-ب)، وهكذا هي مع باقي الحروف المتحرّكة بدلالة الهمزة، فالهمزة أوصلت الحرف إلى نهاية مُدركة ثمّ انكفأت لمكانها.
- أحرف اعتمدت أسماؤها على حروفٍ أُخرى، لا تجمعها بها علاقةَ ظاهريّةً:

١) (ص-ا-د)، و(ض-ا-د). تناقضهما مع الدّال المُندفعة. بينما تدلُ الصّاد على الصّدّ والتّراص والتّعاضد، وتدلُ الضاد على الالتزام والممانعة، وتناقضهما معاً في البعدين الزّمانيّ والمكانيّ، حيث الوسيط ألف الزّمكان هو مع الدّال؛ فإن عكس الترتيب لـ(صد) مَثلاً، صارت: (دص)، و(ضد) صارت: (دض)، تظهر أنّ الدّال في (دص)، و(دض)، غير متمكّنة من الاندفاع الدّلاليّ لصدود الصّاد وممانعة الضّاد.

٢) (د-ا-ل) و(ذ-ا-ل): الدّال المُندفعة الدّلالة، والذّال المُثيرة للحواس، تناقضت مع لام التّلاحم والاتصال؛ فلولا اندفاع الدّال المنطلق لَمَا توجّب حضور اللّام لإيقاف ولحم دلالتها، ولما استدعت ألف المدّ الزّمكانيّ لإنشاء وجود دلاليّ؛ لذلك نجد أنّ (لد) هي وجه مناقض جدليّاً لـ(دل)، فحيث توصّل الاندفاع إلى اللّام بدأ اللّام بالاندفاع بالدّال. و(لذ) كذلك مناقض لـ(ذل).

٣) (ع-ي-ن)، و(غ-ي-ن): التّعارض هنا مع نون الإنشاء والتكوين؛ فالمعاينة بالعين والتعمية بالغين، في تناقضهما مع الإنشاء بيّن وضروريّ فلسفياً

---

(١) اختلاف المُسمّى لحرف الزّاء ملاحظة في الاختلاف بين كل من عالم سُبيط، وسلطان، ومحمد عقل، وابن عربي، وغيرهم من الباحثين، فمنهم من اعتبره، زاي، ومنهم من اعتبره زين. وقد بيّنا في باب الزّاء وجهات النّظر.

ومنطقياً؛ لكي يكوّن المزمع إنشاءً وفقاً للمواصفات المعاينة بدقّة، أستوجب استدعاء حركة الزّمن، أي الياء، كوسيط لإبراز المدّة المطلوبة لهذه الحركة، لما يحتّمه من متابعة. نجد عند عكس ترتيب التسلسلين، أنّ (نع) تفيد الضّعف والنّعي، و(نغ) تفيد الوهن، فكأنّ عكس ترتيب مُسمّى الحرفين، أظهر جدل نقيضهما في المعنى.

٤) (ق-ا-ف)، و(ك-ا-ف): قاف قوّة البيان، وكاف التّكتل للمتآلف؛ هما حركتان إن استمرّتا في العنفوان أو في التّكتل تحيل الحركة إلى السّحق والمحق، لهذا جاءت فاء الفصل لتدل على النّقيض فيهما. أمّا توسّط ألف المد ها هنا، فهو أيضاً زمكاني بين بين؛ فنقيض (كف) هو (فك)، ونقيض (قف) هو (فق).

٥) (ج-ي-م): تناقض مسمّى (جيم)؛ الّتي تفيد الدّمج، هو مع ميم التّكامل، كي لا تعمل الجيم على منع الميم من تحرير حركة دمج الأشياء، ونقيضها هو (مج)؛ حيث تظهر أنّ جيم الدّمج أوقفت حركة ميم التّكامل.

٦) (ل-ا-م): تناقضها مع الميم أيضاً، لكن باتصال زمكانيّ بالألف، لحاجة التّوصيل إلى زمن ومكان، كونها تلحم وتنسج، لحاجة التلاحم إلى إتمام التكامل. وحيث أنّ (لا) هي نقيض (أل) فلا بدّ من أن لا يكون عملها بلا غاية أو بغير حساب، أو (لا إتمام)، فكانت ميم التكامل هي من يدل على تناقضها مع (لا)، كي لا يسمح بتلاحم عشوائيّ. يظهر نقيض (لم)؛ الّتي تفيد الجمع وكذلك الـ(لا إتمام)، هو (مل)، الّتي تفيد الملل والتوقّف عن المتابعة.

٧) (س-ي-ن) و(ش-ي-ن): سين: الهيمنة وبسط النّفوذ، أتت نون الإنشاء لتدل على حاجتها لنقيضها، والاتصال بالزّمن من خلال الياء، ليكون معياراً وأداة لمدّة الإنشاء واستمراره؛ فـ(سن)، نقيضها (نس). وشين التّشعّب حالها كالسّين. فالتشعّب الماكر والمضلّل، دلالته مجال إنشائي وبمعيار زمني أيضاً، فـ(شن) نقيضها (نش).

- أحرف اعتمدت على تسمية نفسها بنفسها، فتناقضها داخليّ، وقد أسماها سلطان الأحرف الدّورية؛ إذ ينعطف أوّل الحرف على ءَاخره.[1]:

١. (م–ي–م): حركتها زمنيّة، إذ أخذت وسيطاً ياء الزّمان. تناقضها ذاتي بين السّالب والموجب، فهي تلفظ بسلب الصّوت والهواء إلى داخل الفم مع إطباق الشّفتين، وهذه حال الإتمام الذي يراعي الظّاهر والباطن.

٢. (و–ا–و): تواصلها زمكانيّ، إذ أخذت لذلك وسيطاً ألف الزّمكان، فهي تخرج صوتاً بفتح الشّفتين وإطباقهما. ولئن استبطنت المكان فتناقضها داخلي في البعد الزّمكانيّ. حركة التموضع في حيّز تنظر فيما يناسب الحجم والسّعة.

٣. (ن–و–ن): تواصلها مكانيّ، إذْ الوسيط وهو الواو، فالإنشاء يتوجّب أنْ يتموضع في حيّز مكانيّ؛ تناقضها داخليّ التكوين، ففيها قبول ورفض. هذا الحرف يرمز به عند الصّوفيّة بـ(علم الإجمال).[2]

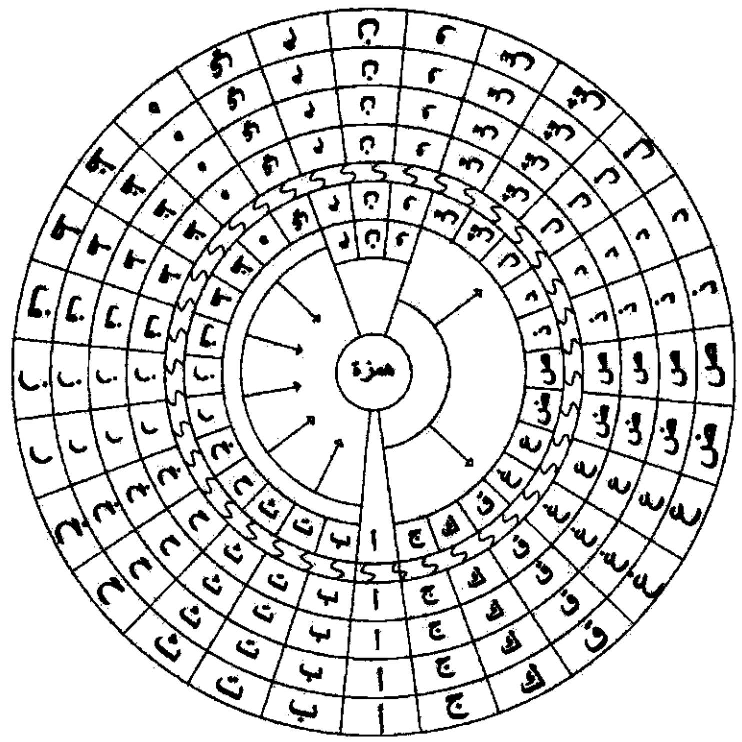
صار مُمكناً الآن تفسير سبب دخول الألف، والياء، والواو في كُلِّ المفردات لتشكّل اشتقاقات متنوّعةً. فهي مادّةٌ خامٌ منتزعةٌ من مادّة ألف التأليف المتعدّدة الأشكال، والّتي لا زالت قابلة للاستعمال. لأنّ اللّسان لم يخفقها ولم يشكّلها بالصُوَرِ الجامدة الّتي عليها باقي الأصوات. كذلك اتضح لنا مُبرّر تميّزها في النّحو والقواعد بتسميتها بأحرف العلّة، فهي تصيب جميع الحروف بلا استثناء وعلّة تشكّل أصواتها. كما أنّ هذه الحروف هي الأساس في الحركات. لذلك لا يمكن المدّ في الأصوات نفسها لأنّها جامدة. ويمكن المدّ فقط في المادّة المرفقة معها والّتي تمثّل تكوينها.

يبيّن الرّسم أدناه نشأة هيئة حركة حروف الأبجديّة العربيّة، من كمون الألف وتحفيز الهمزة مقاربة بين جدل الكون في نشوء العناصر، وجدل نشوء حروف الأبجديّة، كما يلي:

(١) سلطان، فاضل: هندسة القُرءان، علم التكوين، الهامش، ص. ١٨.

(٢) ابن عربي، الفتوحات المكّيّة، الجزء ٢ ص. ١٣٠.

- تحفيز الهمزة خروج هواء الرّئة يجابه بمعارضة فرضته ءَالة الصّوت بمدارجها، مكوّنة هيأة الحرف. هكذا يتمثّل صوت الحرف من تصادم تموّج الهواء في خروجه وعروجه من ءَالة النّطق، ومن النّبض بين الإنسياب والممانعة، والذي شكّل تناقضه هيئة الحرف[1].



- محيط الدّائرة الأوّلى ميّز نبرة الصّوت.
- المحيط الدّائري الثّاني الملاصق لفضاء الهمزة، يقارع المحور الأوّل بهدف تمييز التآلف والاختلاف في تشكّل الأبجديّة. بيّنت نبضة الصّوت ظهور حركته في هيئة تمايز المعنى. دلّ حراكها (بصيغ الألف) على القصد، من خلال الارتداد في الحروف الإثنى عشر: (باء، تاء، ثاء، حاء، خاء، راء، زاء، فاء، طاء، ظاء، هاء، ياء). بينما أظهرت الحروف الإثنى عشر الأخرى المقابلة لها جدلها مع مدارجها المختلفة. وتميّزت الحروف الثلاثة

(١) يشير فضاء الهمزة بالدّائرة الأولى في الرسم إلى الصدمة المرتدة الأولى.

وهي الواو والنّون والميم بتناقضها الدّاخلي، وبقيت ألف المد غير منجذبة في حالة تعامد بين الزّمان والمكان.

- أظهر المحيط الدّائري الثّالث المرمز بـ(٦) خروج النّبضة إلى العلن، لتشكيل الهيئة، وبناء دلالتها الحركيّة، بين السّالب والموجب. وميّز بين ما هو داخليّ، وما هو تناسقيّ، وما يفيد الارتداد. تفاعلت الحروف فيما بينها وتناقضت لتشكيل مسمّياتها..
- بيّن المحيط الدّائري الرّابع، من خلال التناقض بالقصد والمعنى، إمكانيّة الموافقة والاختلاف، ودلالة تشكيل الثنائي.
- عند تحريك أقراص حروف الأبجديّة الأربعة للدوائر الثّلاثة الأخيرة، المُبيّنة في الرّسم، باتجاهات مُختلفة، تنتقلُ الحروف لتأليف الكَلمة والكلمات من الثّنائي إلى الثّلاثي والرّباعي والخماسي مُعبّرة عن جدل الوجود نفسه. هكذا يتسنّى لنا معرفة الاحتمالات الممكنة في تركيب الألفاظ العربيّة.

الوصف هنا مسطّح توضيحي (ذو بعدين فقط)، بينما في الحقيقة هو مجسّم ذو أبعاد ثلاثة تتفاعل حركيّاً، يشابه النّجوم والأفلاك في طباق السّماوات السّبع، كما وضّحنا في الملحق، فالحروف كالمجرّات في حراك مستمر لتشكيل الكلمات التي لا ينتهي احتمال تتابعها. ويمكن استعارة تصوّر ذهني لكرة من سبع أطواق مُطبقات فوق بعض، في حراك مستمر للأطواق ولجزيئات نشطة مرتبطة بالمركز؛ كما النّواة في الذّرّة، هذه النّواة هي الهمزة، والحروف متصلة بها من خلال ألف التأليف وصيغها الأربعة. وهي أيضاً كمدارج سبعة، تتحرّك الحروف من خلالها وفق صيغ الألف. وقد وضّحنا جدليّة التناقض والتآلف بين الحروف من خلال «حركة الحروف في بنية الكَلمة» صفحة ١٢٣، الباب الرّابع، الفصل الأوّل.

ترتيب أسماء الحروف

سرى ترتيب حروف الأبجديّة، كما قلنا، نسبة إلى اللّفظة الأولى من الألفاظ: [أبجد- هوّز- حطّي- كلمن- سعفص- قرشت- ثخذ، ضظغ]. ولخلو كتابة الحروف من النّقط وتماثل كثير منها في الرّسم برزت الحاجة إلى التمييز بين ما تماثل منها

لأمن اللَّبس وضبط الأداء. لذلك عهد الحجّاج بن يوسف الثّقفي إلى نصر بن عاصم اللّيثي القيام بمهمّة التمييز هذه، ***«فعمد نصر إلى الحروف الأبجديّة تاركاً الألف المهموزة على حالها لتفرّدها، وانتقل إلى الباء فوضع بعدها ما ماثلها (التّاء والثّاء)، فوضع تحت الباء نُقطة، وفوق التّاء نقطتين، وفوق الثاء ثلاث نُقاط. وانتقل إلى الجيم من كلمة أبجد وقام بمثل ما قام به مع الباء. كذلك فعل مع بقية الحروف الأبجدية. ثمّ جمع أحرف العلّة في النّهاية. هكذا تمّ له ترتيب الحروف ترتيباً جديداً والتمييز بين ما تماثل منها في وقت واحد. انتهى بها إلى ما نعهدها عليه الآن (أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ.. إلخ).»***[1]

عُرِف ترتيبه هذا بالترتيب الهجائيّ لأنّ حروفه- كما يبدو- تظلّ فيه مقطّعة مفصولة، ولا تُقرأ إلّا كذلك، فلا تتصل ببعضها لتؤلّف ما ألّفته حروف الترتيب الأوّل من كلمات أبجد وهوّز.. إلخ. والتهجّي كما في «كتاب العين»: قراءة أحرف الكَلمة أو قراءة الكَلمة مقطّعة الحروف؛ إذ الهجاء: تقطيع اللّفظة بحروفها، (الهجاء: القراءة)[2] ولقد ذهب غير مُحدّث إلى تسمية هذا الترتيب بالترتيب (الألفبائيّ) منتزعين هذه التسميّة من الحرفين الأوّلين له وهما: الألف والباء [3].

لقد رُتّبت الحروف الهجائيّة العربيّة ترتيباً ءاخر يختلف عن الترتيبين السّابقين (الأبجديّ والهجائيّ) ألا وهو: الترتيب المخرجيّ، الذي ابتدعه الخليل بن أحمد الفراهيديّ مُراعياً كما أسلفنا، مخارج الحروف، مُبتدئاً بأبعدها والأقرب

---

(١) أنظر مصطفى صادق الرّافعي: **تاريخ آداب العرب**، ص: ٣٦.

(٢) معجمياً: الهجَاءُ ضد المدح، وهَجَاءً أيضاً و تَهْجَاءً بفتح التاء فهو مَهْجُوٌ ولا تقل هَجَوْتُهُ وَهَجَوْتُ الحروف هَجْواً و هجاءً و هَجَّيْتُها تَهْجِيَةً و تَهَجَّيْتُها.. وفي لسان العرب: الهجاء تَقْطيعُ اللفظة بحُروفها وهَجَوْتُ الحروف وتَهَجَّيْتُها هَجْواً وهجاء وهَجَّيْتها تَهْجِيةً وتَهَجَّيْتُ كله بمعنى. وَهَجَوْتُ الحروف هَجْواً و هجاءً و هَجَّيْتُها تَهْجِيَةً و تَهَجَّيْتُها.

(٣) اصطلاح الألف باء- كما ذكر عدنان الخطيب- عجم جميع اللّغات التي تتصل حروف كتابتها بنسب إلى الأبجدية الفينيقية، وكثير من كتاب العصر يكتبون هذا المصطلح موصولاً فيقولون: (الألفباء) وكان ابن خلدون السابق إلى هذا الاستعمال، انظر **المعجم العربي**- ٢٩. **مصادر التراث العربي** عمر الدّقاق ١٦٧- ١٧٠، **والمعجم العربي بين الماضي والحاضر**- عدنان الخطيب ١٤- ٢٩ والخليل بن أحمد- الدكتور المخزومي ٩٦- ٩٧ وما بعدها.

فالأقرب حتّى انتهى إلى أدناها مخرجاً. ثمّ اختتمها بأحرف اللّين (العلّة)، والهمزة، فجاءت الحروف الهجائيّة العربيّة في ترتيبه هذا، على النّحو التالي: (ع، ح، هـ، خ، ق، ج، ش، ض، ص، س، ز، ط، د، ت، ظ، ث، ذ، ر، ل، ن، ف، ب، م، و، أ، ي، هـــ، ء (الهمزة)[1].

ومع أنّ الترتيب الأبجديّ أقدمُ ترتيبٍ للحروف عرفته اللّغة العربيّة، وهو ما أوصلنا إلى دلالة معاني مُسميّات الحروف. وما من لغوي عربيّ ألّف مُعجماً للألفاظ على نسق الترتيب الأبجديّ. لأنّه لم يكن في اعتقادهم، يعتمد على دلالة واضحة في منطق العربيّة، ولا يتسم بالأصالة، ولا يراعي تعاقب الحروف المتشابهات رَسماً أو المتقاربات نُطقاً. فليس له من مزيّة على الترتيبين الهجائيّ والمخرجيّ غير إمكانيّة تجميع حروفه في كلمات تُيسّر الإحاطة بتلك الحروف وترتيبها، وإن لم يكن للكلمات المؤلّفة منها أيّ معنى واضح. هذا ما ذكره الأزهريّ في التهذيب[2]. ولم يكتب للترتيب الهجائيّ الذّيوع أوّل مرّة، مع ما تميّز به من جودة، لوضعه المتماثلات شكلاً ونُطقاً في نسق مقبول ومعقول؛ فضاع ترتيب المخارج أوّل الأمر، ثُمّ ما لبث أن شاع الترتيب الهجائيّ (الألفبائيّ) لسهولته ويسره.

الزّمكانيّة في حركيّة الحروف والألفاظ

قلنا إنّ التّعامد بين الزّمان والمكان هو بدلالة ألف التّأليف الّتي أنشأت الحركة للحرف. فالحركة هي بُعدٌ تُقاس به السّرعة. والزّمان مُقبل أو مُدبر في حركتنا المكانيّة، فالآتي ماضٍ لآتٍ بعده. وقد عالج محمد عنبر الدّلالة اللّغويّة لهذه العلاقة من خلال لفظتي السّاعة والزّمن إذ قال: *«(س-و-ع) و(و-س-ع). هما ضدّان، نسألهما عن الزّمان في (س-و-ع) وعن المكان في (و-س-ع)، جاء لفظ (سوع) لمعانٍ منها الوقت الحاضر، والوقت المُعيّن، وقلّة الوقت؛ أي السّاعة.. ويأتي بمعنى الشدّة والمشقّة والبُعد والضّياع والهلاك. بينما يأتي لفظ (وسع) للرّحابة والطّاقة والغنى والامتداد والطول.. ذلك أنّ اللّفظين متضادّان مبنىً ومعنىً.*

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية عدد ١١ ص. ٢٣٥.

(٢) التهذيب- الأزهري ٦ / ٣٤٧ باب الهاء والجيم.

فالسّاعة زمان والسّمة مكان. وجدليّاً أحدهما في الاتجاه عكس الآخر. فالجدليّة التي تقوم على التّشابه من وجه وعلى التّناقض من وجه آخر، تعود فتختلط بين الزّمان والمكان. كلاهما بُعد، أحدهما متناقص وهو الزّمان، والآخر متزايد في تماد وهو المكان. لذلك نقول جاءت السّاعة، وهناك سعة.» وكذلك في معالجته لفظتي (ز-م-ن)، و(م-ز-ن): *«فالزّمن والزّمان: اسم لقليلٍ من الوقت، والمُزن: الإسراع في طلب الحاجة. ممّا يفسّر أنّ الزّمان امتداد إلى طي، لأنّ ضد المزن يتجه إلى الإسراع، فكلّما أسرعنا كلّما مضينا في طي الزّمان ونشر المكان.»*[1] موضّحاً في مكان ءاخر بقوله: *«والحرف العربيّ قائمٌ على تضاد التشابه، أو تشابه التضاد، وهو يرجع دوماً إلى أصل واحد، وينزع في كل فروعه إلى ذلك الأصل.»*[2]

ذكر ابن فارس[3] في باب الشّعر: «أنّ صناعة الإيقاع تقسيم الزّمان بالنّغم، وصناعة العروض تقسيم الزّمان بالحروف المسموعة». *فأيّ بناء يحتاج إلى زمن حتّى لو كان شعراً أو نَغماً، وهو يتضمّن معنىً إيقاعيّاً في أذن السّامع، الّتي تماثل المكان في البناء المادّي، بما يدلّ على سرعة وقوّة أو بطئ وضعف صوت الحرف وإيقاعه في الأذن.*

خلاصة

تقسيم الزّمان بالحروف أظهرته مَكانيّاً حروف العلّة، فهي تفرز تفرض وتُآلف وتُبرّر، النّسيج اللّغوي، وتمكّن النّطق من إبلاغ وإيصال المعنى لأذن السّامع، وتخضع لقانون الوجود بما فيه من تناغم وتعارض، تفرض على الذّهن قبول المنطق. فإن نحن احتكمنا في خطابنا إلى دلالاتها سهل علينا التواصل، وشذّبنا لُغتنا من النّشوز والشذوذ.

---

(١) عنبر، محمد: **جدلية الحرف العربي وفيزيائية الفكر والمادة**، دار الفكر، دمشق ، سورية، ص. ص ١٠٥-١٢١. بتصرف.

(٢) عنبر، محمد: **جدلية الحرف العربي وفيزيائية الفكر والمادة**، المرجع السّابق، ص. ١٢٨.

(٣) ابن فارس، أحمد بن زكريا: **الصاحبي في فقه اللّغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها**، تحقيق أحمد حسن بسبج، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م. ص. ٢١٢.

الفصل الثّاني

حَرَكيّة الحروف

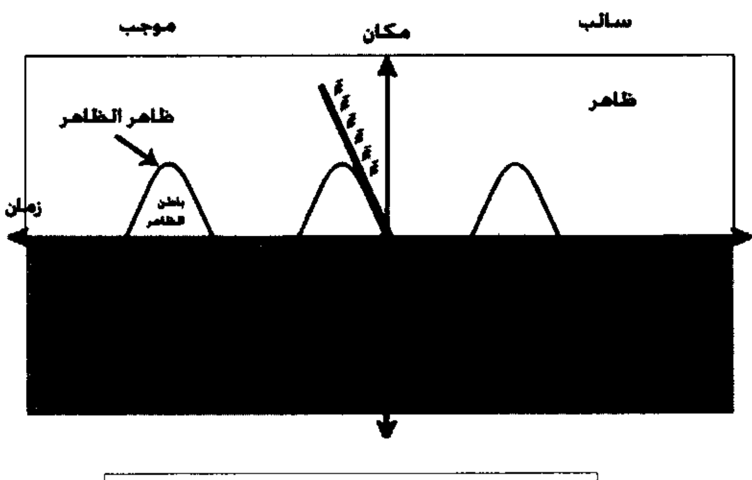
- مدارج ومعارج الحروف
- علاقة عدد الحروف بالرّقم سبعة

تمهيد

تأكّد لنا ممّا سبق أنّ الحرف العربيّ قائمٌ على تضاد التشابه أو تشابه التّضاد، وأنّ ضدّ كلّ حرف قائم في مُسمّاه، وأنّ للحروف مسارات تقوم عليها الألفاظ، وحيث لا وجود لزمان مستقل عن المكان ولا لمكان مستقل عن الزّمان، فكل لفظ مكان في ذاته وزمان كامن فيه. وأنّ حركة التّناقض في مُسمّيات الحروف، ليست معياراً دلاليّاً فقط، وإنّما فعل بنائيّ ومكوّن أساسيّ لعملها، بدءاً من تشكيل هيئة حركة الصّوت، امتداداً إلى تكوين الألفاظ مُكاشفةً بالمستور والمُضمَن. ولكي نتثبّت من ذلك نتابع مدارج خروج الحرف واتجاه حركة مساره أثناء تشكّل هيئته.

مدارج ومعارج الحروف

قادنا مبدأ عدم هلاك الحركة، والنّظر فيما أورده كمال جنبلاط[1] في أنّ: ***«المادّة هي حركة ولا شيء سوى ذلك. ولأنّ الحركة هي أيضاً الحرارة والنّور، التّوتّر الكهربائيّ والمغناطيسيّ، والتّركيب الكيماويّ وانفصاله، وكذلك الوعي واليقظة، وأنّ***



مخطّط يبيّن حركة الحرف في الزّمان والمكان

(١) جنبلاط، كمال: فلسفة العقل المتخطّي فلسفة التّغيير، الجدليّات، الدّار التقدميّة، بيرت، ٢٠٠٣م. ص. ٢١.

الصّورة تكون في تعدّد وتنوّع الحركات. والتّوالد سطر من أسطر الحركة، واستنزاف الحركة التّقمّص والاختباء»؛ لنستنتج أنّ الموجة الصّوتيّة للأحرف تكشف عن انتقال حركتها المتذبذبة بين محوري الزّمان والمكان، بهواء الألف ومن خلال المخارج وبتوصيف المعارج، كما يلي:

- المدارج، كما يُسمّيها الفراهيديّ، وتمتد من أقصى الحلق مُروراً بالمراكز السّبعة وهي: الحلق، ونطع الغار، وشجرة الفم، واللّسان مقدّمته ونطعه وأسلته، واللّثة، والأسنان ثمّ الشّفتان. نمثّلها بالمحور الأفقيّ للموجة الصّوتيّة.
- المعارج (المراقي)، أطلقنا تسميتها على الحركات الأربعة. نمثّلها بالمحور العموديّ للموجة الصّوتيّة. وهي الفتحة الزّمكانيّة. الكسرة الزّمانيّة؛ تفيد بيان الباطن. والضّمة المكانيّة؛ تفيد بيان الظّاهر، أي خاصيّة التّموضع المكانيّ. ثمّ السّكون عند التوقّف؛ أي جهد التثبيت.
- حرف الألف الممدود (ا) غير المكلّل بالهمزة كتابةً، هو مدّ زمكانيّ تمادت به حركة الفتحة، «فالفرق بين الألف الممدود والفتحة، لا يعدو أن يكون فرقاً في الكمّية» كما ذكر إبراهيم أنيس عن ابن جنّي وغيره[1]، لذلك لا نجده في مطلع أي تسلسل كونه يماثل متابعة الانطلاق حضوراً. فهو بين بين، نشير إليه للتّمييز بالخط الممتد بين الزّمان والمكان صعوداً أو نزولاً، للأظهار موقعه بين الظّاهر والباطن، وعدم تصارعه مع التجاذب الزّمكانيّ للموجة الصوتيّة.

كلّ انتقال لحرف من الحروف في مدارجه، عبر المحور الأفقيّ، لا بدّ أنْ تعرج (ترقى أو تميل) به حركة من الحركات، في المحور العموديّ، وإن توقّفت فثمّة سكون. يلاحظ أنّ التنوين استخدم حرف النّون في تسميته للدّلالة على قصد حركته. وهي وفق المعنى الحركيّ تفيد الإنشاء المستمرّ. إذْ قيل في المعاجم: إنّ التنوين هو علم التنكير، وتركُه علم التعريف. نستنتج أنّ تنوين الضمّ يدلُ على استمرار إنشاء العروج المكانيّ، وتنوين الفتح عند استمرار إنشاء التواصل الزّمكانيّ، وتنوين الكسر عند استمرار إنشاء التّواصل الزّمانيّ.

---

(١) أنيس، إبراهيم: **الأصوات اللّغوية**، النّاشر، مكتبة الأنجلو المصرية، ص. ٣٨.

إنّ نطاق التواصل موجة صوتيّة محمولة بين قُبّة قوس الظّاهر وقُبّة قوس الباطن، أي قاب قوسي الظّاهر والباطن. ذلك أنّ قبّتها وهي مُتحرّكة لها ظاهر وباطن: إنْ كانت صعوداً فوق المحور الأفقيّ، ويكون لها باطن وظاهر إنْ كانت نُزولاً تحت المحور الأفقيّ. وعندما تتوقّف الموجة عند أُذن السّامع يكون السّكون. وهذا مسار الحركة في الكَلمة، تفصح عنها الفتحة والضّمّة والكسرة والسّكون. تبدأ الحركة وفق منهجنا بالهمزة، فتصعد ظاهراً كي تلامس مسامع ومدارك المُخاطب. ثمّ تنزلق عند نُقطة التّماس مع المحور الأفقيّ إلى باطن ينتهي بموجَة جديدة مُتصاعدة، وهكذا دواليك. وعند هذا التّماس يتداخل الالتباس بين قوس الظّاهر وقوس الباطن، فإن استوعبه المتلقّي انحنى استمراراً في التّواصل.

دلّتنا معارج[1] الحركة، الّتي يتذبذب خلالها الصّوتُ صُعوداً ونُزولاً، في موجة ونطاق التّواصل بين قوس الظّاهر وقوس الباطن، أنّ حركة الواو بالضّمّة حيث يتموضع الصّوت، تمثّل تعارض الجاذبيّة للتثبّت المكاني، وهي إيحاء وتوجّه لبيان المكان، ليظهر أنّ الصّوت هو عند الشّفتين وبهما. فهي إذن مَنطق الظّاهر. بينما في حركة الياء بالكسرة كمدلول زمني، وحيث الزّمان يضمر الاحتمالات المجهولة، يبطن الموجة نزولاً. فحركة الياء مسترجعة موجةَ الصّوت إلى حيث بدأت تفرض الملاحقة، فهي تساير الجاذبيّة وتمتد معها، ممّا يعني منطق الباطن. وعندما تمادت حركة الفتحة بين الزّمان وبين المكان، دون مقاومة للجاذبيّة، تجمّد اتجاهها بين الظّاهر والباطن، ليتشكل ألف المد، فهو مستتر بصيغ الهمزة والواو والياء. ويمثّل التعامد بين الزّمكان، إذ لم تأخذ الموجة المدلول النّهائي، ففيها احتمالي الظّاهر والباطن، وما يحدّد الإتجاه النّهائي لها هو العلاقة الجدليّة مع الحرف الذي يبدأ التسلسل، في مسعى للولوج به إلى بابي الزّمكان.

فإذا قرأنا دلالة مدارج حركات الحروف، وفق نسق مخارجها، يتبيّن لنا أنّ الحركة في المحور الأفقي تبدأ بهمزة ألف التّأليف. إذْ نُقطة الانطلاق من أقصى

---

(١) الحركات تماثل انتقال التيّار الكهربائي السّريع بالسّالب، وهي وفق المعنى الحركيّ؛ معاينة متكرّرة بانتظام في توجّه إدماجي، والقصد إظهار المرور الحركي وإن استتر في صعوده أو نزوله أو ميله أو سكونه بقوة الجاذبيّة..

الحلق بالهمزة تهمز هاء الهواء، الّذي هو أساساً يخرج من جوف الرّئة قبل أنْ يصدح بالصّوت الّذي يحمله. عند المرور مُتدرّجاً من الحلق تنشأ حركة المعاينة بحرف العين. ثُمَّ يصعد في تعاظم متنامٍ بحرف الحاء، ثُمّ يعزّز بقوّة حرف القاف. وعند أدنى الحلق، يتمّ الغبش بحرف الغين، فيتدرّج صعوداً إلى الإخماد بحرف الخاء. إلّا أنّ الأنفاس تتابع حمل الأصوات، على متن حرف الهاء. عندما تصل إلى شجرة الفم، ونطع الغار، يتحرّك اللّسان لاعباً أساسيّاً مُكتّلاً بداية بحرف الكاف، ومضخّماً بحرف الطّاء، ومعظّماً بحرف الظّاء، وصاداً بحرف الصّاد، ومُلزماً بحرف الضّاد، ومُنشئاً بحرف النّون، ومُستجلباً الجهد بحرف التّاء، وموصلاً بحرف اللّام، ومُكرّراً بحرف الرّاء، ومُتحسّساً بحرف الذّال، ومُثنّياً بحرف الثّاء، ودالاً بحرف الدّال إلى بوّابات ءَالة النّطق: اللّثة والأسنان للتصفية والإبراز بحرف الزّاء، والشّفتان لانطلاق النّطق، فإنْ هما أُطبقتا إطباقاً فللدّمج بحرف الجيم، أو سمحت وسهّلت المرور فهو بحرف السّين، وإن شعّبته فبحرف الشّين، حتّى يصل مخرج الشّفتين، فيديمه حرف الياء، أو يفصل بأمره حرف الفاء، أو يسترجعه حرفُ الميم للإتمام، أو يتموضع بحرف الواو. ثمّ بعد ذلك يؤكّد انبثاقه حرف الباء، مُعيداً الصّوت إلى بداية انطلاق الحركات بالهمزة. وهذا ما يوضّح جدل الحرف.

إنّ كلّ حركة عامّة من حركات الحروف، تتألّف من ثلاثة أصوات هي عبارة عن فعل ما، والحرف الثّالث في الحركة كما رأينا في التّسلسلات، يعمل عمل لام (فعل) في موضع التّلاحم بين الصّور الثّلاثة للأصوات. هو الّذي يوحّدها ويجمعها. فكلّ صوتٍ يأتي في ءَاخر اللّفظ يعمل حركته الخاصّة بأسلوب اللّام. وهذا ما يمثّل جدل اللّفظ، فكل لفظ هو مكان في ذاته وزمان كامن فيه، يظهر دوره في جدل السّياق.

كان الخليل بن أحمد الفراهيديّ أوّل من نبّه إلى أنّ الحركات كانت أحرف مدّ، عند تسميته الضمّة واواً صغيرة، والكسرة ياءً صغيرة، والفتحة ألفاً صغيرة. وكذلك عند تغييره صنيع أبي الأسود الدؤليّ في الاستعانة بالنّقط للدّلالة على الحركات، الّتي هي في رأيه الأحرف المحذوفة من الكَلِمة، قد اختصر من الألف

الفتحة، ومن الواو الضمّة ومن الياء الكسرة، حتّى قال الرّازيّ: «*إنّ الحركات أبعاضُ المصوّتات*.»[1]

وفي هذا السّياق اعتبر الأرسوزيّ أنّ الفتحة بحسب مخرجها من ركون اللّسان عند صدور الصّوت، تعبّر عن السّكون أو الاندراج في المكان. وأنّ الكسرة الحاصلة بكسر الشّفتين ورجعتهما تعبر عن النسبة، أو عودة الحالة إلى الذّات، فيها مقاربة، يمكن أنْ تتلاقى بما قلناه في أنّها إرتباط زمانيّ؛ كونها صيغة الياء. وإذ اعتبر الضمّة الحاصلة عن تدافع الصوت عند خروجه تعبّر عن الفعلية المتواصلة والدّائمة، ففي وصف التدافع إيحاء بالتجاذب المكانيّ، يلتقي نسبياً مع ما قلناه أنّها صيغة من واو التموضع. وإذ عكس الدّلالة بقوله: «*إن الواو تفخيم الضمّة، والياء تفخيم الكسرة، والألف تفخيم الفتحة*.» فالاستنتاج لديه يقلب الآية كون حروف العلّة هي صيغ من صيغ الألف المؤلّفة. وهذا ما أكّده فيما بعد بقوله: «*فالضمّة تصغير الواو، والكسرة تصغير الياء، والفتحة تصغير الألف*.»[2]

مظاهر حركة الألف أربعة: الهمزة، والواو، والياء، والألف اللّينة الممدودة. تُفاعلُها صيغٌ لها في البناء اللّغوي هي: السّكون، والضمّة، والفتحة، والكسرة، كما بيّنا. تُعتبر هذه الصيّغ مادّةً لبناء الأصوات وتراصُها مع بعضها. بدون هذه المادّة لا يمكن تشكيل المفردات. فهي الّتي تؤثّر على الصّورة النّهائيّة للصوت. وكلّ صوتٍ لا بدّ أن يرتبط بتوصيلة واحدة من هذه الأربعة، ليمكّنه الارتباط بصوتٍ ءاخرٍ كما لو كان كلُ صوتٍ يعرّف نفسه للآخر مُستعملاً إشارةً من مادّته الأصليّة الّتي تكوّن منها. أقلُ مُفردة لا بدّ أنْ تتألف من صوتٍ واحد مُستقلٌ مع واحدٍ من هذه الصّيغ الأربعة، لتكوين حركة تخصّ هذه المفردة الأحاديّة الصّوت. الهمزة كما قلنا، نقطةٌ لابتداء ظهور حركة الألف. مثلها مثل الخط يبدأ بنقطة. إذن، نقطة الأصل همزة

---

(١) أنظر العلايلي، الشّيخ عبد الله، **مُقدّمة لدرس لُغة العرب، وكيف نصنع المعجم الجديد**، دار الجديد، بيروت، ط ٢ ١٩٩٧م ص. ٢٦٨.

(٢) للمزيد نأمل الرجوع إلى الأرسوزي، زكي نجيب، **المؤلّفات الكاملة**، مطابع الإدارة السياسية للجيش والقوات المسلحة، دمشق، ١٩٧٢م المجلّد الأوّل. ص ص. ٨٥-٨٦، ٨٩، ٢٣٩.

مُطلقة[1] بين خطَّين على محوري حركة صوت الحرف. يفترض أنّها بلا حركةٍ. ولكن بما أنّها جزءٌ من حركة الألف تكون الفتحة في أصل تكوينها. لكنّها قد تأخذ شكلاً زمانيّاً (الياء)، أو مكانياً (الواو). هذه الهمزة هي أوّل حركةٍ ممكنةٍ بدون تحريكٍ لأدوات النّطق. يمكن أن تكون أيضاً ءَاخر حركة الألف بالاتجاه المعاكس. فهي جزء منها ولا يمكن أن تتكوّن بدونها، أمّا حركة الألف نفسها فلا يتأثّر بها ولا يتوقّف وجودها عليها.

نلاحظ أنّ مظاهر حركة الألف الأربعة الّتي ذكرناها، تبدأ بالهمزة شأنُها شأن جميع الأصوات الأخرى. لكنّها في هذه الأربعة أكثر وضوحاً، ولها دلالةٌ في تسمية الحروف، وفي دخول هذه الأصوات في الاشتقاقات المتنوّعة، والتّصرّف بالمفردة ولو بعد اكتمالها في عملية البناء. كما أنّ العلامة الزّمكانيّة الّتي يأخذها مركز التّسلسل، تشير إلى ظرف حصول الحركة العامّة للتسلسل كلّه. وهو الصّوت الثّاني في الثّلاثي، والثّاني والثّالث في الرّباعي، والثّاني والثّالث والرّابع في الخماسي. وعندما يكون التّسلسل مؤلّفاً من صوتٍ واحد فقط أو صوتين، يكون المركز غائباً فيُشكّل طرفين، يكونان عُرضةً للتغيّراتِ البنائيّة والرّوابط الأخرى في العبارة. عندئذٍ يجمد اللّفظ على علامات مُحدَّدة، كي لا تضيع حركته الجوهرية، مثل: (لو)، (ما)، (كي)، (من)، (عن).. إلخ.

إذن، في أساس كُلّ صوتٍ مظهرٌ من مظاهر الألف الأربعة. وعند تشكيل المُفردات لا بُدّ من ظهور حركة الحرف، باعتبارها صُوراً مُتلاحقةً جامدةً ظهوراً وجودياً، وهذا لا يتحقّق إلّا بواحدةٍ من أربع حالاتٍ هي:

- أن تكون نقطة الأصل مُكرَّرَة الهمزة. فهي تعبّر بشكلٍ أو ءَاخرَ عن ارتباط الزّمان بالمكان، مثل ضَرَبَ: (ضـ ءَ ـ ر ـ ءَ ـ ب ـ ءَ).
- أن تكون مادّة التّواصل بين الحروف مؤلّفةً من ألفٍ، ولو مكرّراً مع سكونات. لأنّ الألف المتكامل الوجود يستبطن الواو والياء مثل: (ءَابًا): (ء-ا-بً-ا)، من (آبَ) للاثنين. بمعنى رجعا.

---

(١) نقطة مطلقة، بمعنى أنها تأخذ قيمتين وتريتين، (+ أو −) على محور الحركة. انظر: فاضل سلطان، المركز، مطبعة الهلال، دمشق.

- أن يكون أحد الطّرفين (واواً) أو (ياءً)، مع الهمزة لإدراك العنصر الغائب من أحدهما عن طريق الهمزة مثل: يَمٌ: (ي—ءَ–م) ياء وهمزة مفتوحة، ومثل: قُلْ: (ق–ءُ–ل)، حيث ظهرت الواو كعلامة للهمزة.
- أن تجتمع الواو والياء حتماً لتحقيق اتّصال الزّمان والمكان. أمّا أنْ تنفرد الواو أو الياء لوحدها كمادة للاتصال، فلن تخرج الحركة إلى الوجود المنظور بالنّسبة إلينا، إذْ لا مكان بلا زمان ولا زمان بلا مكان وفقاً لعالمنا الإنساني.

علاقة عدد الحروف بالرّقم سبعة

يجدر بنا التوقّف لمعاينة العلاقة بين العدد سبعة ومحصّلة المدارج الصّوتيّة السّبع وصيغ الحركات الأربع، وإذ اتضح لنا ارتباط مسمّيات الحروف بنشأة الكون، يصحّ التساؤل عن سرّ حصرها بالعدد ثمانية وعشرين، وعن ماهيّة أخذها التّرتيب القيميّ بحساب الجُمَّل[1]، كذلك التساؤل عن علاقة عددها بالزّمان والمكان. عسانا نتلمّس الدّلالة الحركيّة بالزّمن الّذي تقطعه ونوفّق بالرّابط بين هندسة الكون وهندسة الحروف.

نستعين بما قاله عالم سُبيط النّيليّ: ***«اللّسان بمراكزه المتحركة الثلاثة، يؤلّف الاحتمالات الرّئيسة للأصوات الأصيلة المستقلّة. إذن هو يتناوب في تحريك هذه المراكز بالاحتمالات السّبعة المذكورة سابقاً. وهذه الاحتمالات هي نفسها تتكرّر عند حدوث التغيّر في الأسنان والشّفتين، فتنتج نظاماً سُباعياً آخر، حسب وضع الأسنان والشّفتين. وهي أربعة احتمالات. الأسنان والشّفتان هما من التّوابع أيضاً، فحينما تكون الأسنان والشّفتان بالوضع الابتدائي يشكّل اللّسان سبعة أصوات. وحينما يحدث تغيّر في الأسنان دون الشّفتين ينتج سبعة أخرى. وبالعكس، حينما يكون التغيّر في الشّفتين دون الأسنان ينتج سبعة ثالثة. والاحتمال الرّابع هو التغيّر في الأسنان والشّفتين معاً فينتج سبعة رابعة. أمّا الاحتمال السّابع، أي احتمال***

(١) حساب الجُمَّل: لكل حرف قيمة عددية تُحسب من الألف إلى الطّاء المهملة بالآحاد، ومن الياء إلى الصّاد المهملة حساب العقود، ومن القاف إلى الظّاء المُشالة حساب المئات، والغين المعجمة عبارة عن الألف. أنظر: مجموعة كتب سلطان.

الوضع الابتدائي للّسان... فهو ينتج أربعة أشكال للألف لا دخل للّسان بها وهي (أ، ءَ، ءُ، ءِ) بحسب التّناوب لوضع الشّفتين والأسنان والمكوّن من أربعة احتمالات. ويبقى الاحتمال الأخير، وهو الاحتمال الثّامن من أوضاع اللّسان حيث تتغيّر جميع المراكز سويّة. هو احتمالٌ لا يمكن تحقيقه. وبإمكاننا أن نتصوّرَ أنّه الوضع الّذي يكشف حركة الألف نفسها وهذا عين المحال. إذن، فالتّقسيم الصّوتيّ سيكون بنظامٍ سُباعيٍ يتكرّر أربع مرّات. وهذا النّظام هو نظامٌ طبيعيٌ يوجد له مثيلٌ في الكون مرتبطٌ بموجوداتٍ كثيرةٍ كما هو معلوم.»[1]

يمكن كذلك مُعاينة الاحتمالات التّسعة لحركة تسلسل الثّلاثيّ (فعل)، كما يلي: فَعَل، فُعَل، فعِل، فَعِل، فُعُل، فُعِل، فُعْل، فِعْل، فَعْل، وعند تحريك لام الفعل بحركات التنوين الثّلاث، يكون المجموع سبعة وعشرين احتمالاً، وهي عدد أصوات الأبجديّة، إذا أضفنا الألف يصير المجموع ثمانية وعشرين.

حروف الأبجديّة عند إخوان الصّفاء وخلّان الوفاء، مُشتملة على كلّ الأشياء، مُطابقة لأعداد الموجودات في الأصل، وما تتفرّع منه ويحدث عنه ممّا لا يُحصى.. *«فمن الموجودات الّتي عدّتها ثمانية وعشرون في العالم الكبير، منازل القمر، فإنّها ثمانية وعشرون منزلاً، أربعة عشر فوق الأرض، وأربعة عشر تحت الأرض، وهي في موضع اليمين واليسار، أربعة عشر في البروج الشماليّة وأربعة عشر في الجنوبيّة من البروج*[2]*»*. هناك من اعتبر (لا) حرفاً يُنظر إليه أنّه اليوم التاسع والعشرون، حيث يختفي ضوء القمر، ويفسر بالمعنى الحركيّ أنّه (لام+ ألف)؛ أي لا تأليف، أو لا إتمام، (لا+ ميم).

وكذلك يذكر القَلْقَشَنْديّ [3]، فيما يذكره في كتابه «صُبحُ الأعشى»، أبعاداً دفينةً في اللّغة العربيّة، وكأنّها إشارات تضعنا أمام رموز أبعد وأعمق من لُغةٍ وُضعت لمجرّد التخاطب والتحاور. ويشير إلى أنّ حروف المُعجم ثمانية وعشرون

---

(١) اللّغة الموحّدة، مرجع سابق، مقتطف من الصفحات ١٠٥-١٤٦، بتصرف

(٢) إخوان الصّفاء وخلان الوفاء، ص.ص. ١٤٣-١٤٤.

(٣) القَلْقَشَنْدي المصريّ أحمد بن علي: صُبْح الأعْشَى في صناعة الإنشا. الجزء الثالث ص.٢٢، بتصرّف. أنظر أيضاً: الموسوعة العربية العالمية / ١ .

حرفاً سوى (لا)- ألـ(لام ألف). وأنّ ذلك على عدد منازل القمر الثّمانية والعشرين، ثمّ أنّه لا بُدَّ من أنْ يبقى ممّا فوق الأرض منزلةٌ مختفية تحت الشَّفق. فكانت الحروف المنقوطة خَمسة عشر حرفاً بعدد المنازل المختفية وهي: الأربعة عشر الّتي تحت الأرض، والواحدة الّتي تحت الشّعاع، إشارة إلى أنّها تحتاج إلى الإظهار لاختفائها: وهي الباء، والتّاء، والثّاء، والجيم، والخاء، والذّال، والزّاي، والشّين، والضّاد، والظّاء، والغين، والفاء، والقاف، والنّون، والياء. وكانت الحروف العاطلة ثلاثة عشر بعدد المنازل الظاهرة: وهي الألف، والحاء، والدّال، والرّاء، والسّين، والصّاد، والطّاء، والعين، والكاف، واللّام، والميم، والهاء، والواو. نلاحظ أنّ الحروف الّتي تحتاج إلى الإظهار هي الحروف المنقوطة، بينما الحروف العاطلة هي. منازل القمر الظاهرة، وهي غير منقوطة.

هذا النّظام السّباعيّ المرتبط بإحكام بالأشكال الأربعة، جسّد الأبجديّة المكوّنة من سبعة مضروبة بأربعة (٧×٤)؛ أي ثمانية وعشرين حرفاً. السّموات الكونيّة سبع، وكلّ سماء وكلّ أرض سبع أيضاً.

وقد ذكر ابن خلدون في المقدّمة؛ في إشارته إلى رأي المتصوّفة، إلى أنّ طبائع الحروف وأسرارها سارية في أسمائها. فهي سارية في الكون على هذا النّظام. وإن علم أسرار الحروف هو من تفاريع السّيمياء، مشيراً إلى ما قاله البوني وابن عربي وغيرهما، بحيث قسّم بعضهم الحروف بقسمة الطبائع كما العناصر إلى أربعة أقسام، مائيّة وترابيّة وهوائيّة وناريّة. وكل قسم مكوّن من سبعة حروف.[1]

ألا يلقي إلينا الطّواف حول الكعبة سبعة مدارات، والهرولة بين الصّفا والمروة سبع مرّات، بأهميّة هذا الرّقم المرتبط أيضاً بالنّظام القمريّ، ودرجات صعود السّلم كما في الحضارة المصريّة القديمة، عند إيزيس، والطيف الشّمسيّ سبع ألوان، والسلّم الموسيقيّ سبع درجات؟

يرى أحمد داوود: ***«وأنّ اللّغة العربيّة ذات بنية رياضيّة ومنطقيّة، فلكيّة وكونيّة. وأنّ العدد سبعة يكمن في أعماقها مع كلّ عملية خلق.. وأنّ اللّغة العربيّة***

---

(١) مقدّمة ابن خلدون، فصل (أسرار الحروف) مرجع سابق، ص. ٢٧٤، بتصرف.

هي اللّغة الوحيدة في العالم الّتي اقترنت حروفها منذ البداية، منذ أن وُضعت، بنظام عدديّ فلكيّ، وهو ما يعرف بحساب الجُمَّل.»[1]

هذه الإشارات على أهمّيتها لا تلزمنا بالأخذ بها، فبحثنا يتعامل مع مسمّيات الحروف ليستخلص من جدل تناقض حروفها دليلاً على معناها، ودورها في تركيب الكلام، وما الإشارة إلى فكر المتصوّفة إنّما لإطلاع القارئ على المجالات الّتي اتخذها الفكر في البحث عن كُنْه معنى حروف الأبجديّة.

خلاصة

إنّ نشأة الحروف وفق منهجنا، هي بدلالة نشأة الكون. ومثلها كمثل العناصر الكيمائيّة والجينات الوراثيّة؛ كما خلق المادّة وضدّها. يماثل بذلك جزئيات المادّة النّووية، ولأنّ الدّيمومة والاستمرار هما حركةٌ ممثَّلةٌ في الحرف العربيّ، فله معنى يقوم على استعمالات لا نهائيّة؛ من خلال جدل وحراك تراكبيّ مع احتمالات التقائه بالحروف الأخرى. يُستنتج أنّ اللّغة ليست وعاءً فارغاً يُملأُ خلال الاستعمال وأنّ الكَلمة في اللّغة حركةٌ متسلسلةٌ. هي عين الحركة الّتي تتغيّر بها الأشياء بصورةٍ دائمَة ومستمرّة. بمعنى أنّ الثّبات حركة، والتّغيّر حركة. لا فرق بينهما من ناحية التّحرُّك. ذلك، لأنّ بقاء الشّيء دون تغيّرٍ يستلزم وجود قوّة مانعة عن التّغيّر. وهذه القوّة هي حركة. ويصح لذلك القول: أن لا مرادفات في اللّغة العربيّة، ذلك أنّ للكَلمَة منهجيّة حركيّة تميّزها عن غيرها، فلا تفسّر بغيرها، فلكلّ تسلسل توجّه مغايَر في نشأته وفي زمكانيّته.

(١) داوود أحمد: تاريخ سوريا القديم ١- المركز. صفحة ٢١١ عن إميل بريهييه، الآراء الدينيّة والفلسفية لفليون الاسكندري، ص. ١٣٠.

الباب الرّابع

تأليف الكَلام

الفصل الأوّل: التأليف بين بُنية الكَلِمة وحركتها

الفصل الثّاني: ءَالة النّطق ومنتجاتها

الفصل الثّالث: الإفصاح الاشتقاقيّ

الفصل الأوّل

التّأليف بين بنية الكَلِمة وحركتها

- التّأليف
- الكَلِمة والكَلِمَة والكلام
- الكلام والقول
- الكَلِمَة والسّياق
- اللُغة والكلام
- حركة الحروف في بُنية الكَلِمَة
- تمييز حركة الحرف
- الفكرة والكَلِمَة (الوحي)
- الكَلِمَة في عين العقل

تمهيد

يحتاج التفريق بين الكلام والكَلمات والكَلم إلى إمعان النّظر، فللجموع الثّلاثة المختلفة هذه دلالات، تبدو ظاهراً بمعنى واحد، غير أنّ موارد التّنزيل أظهرت تبايناً؛ قال تعالى: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ..﴾ الكهف٢٧، بينما قال في لفظ الكَلم: ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ..﴾ النساء٤٦، وقال في الكلام: ﴿..وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ البقرة٧٥. نستنتج أنّ كَلمات الله لا تُبدّل ولا تنتهي، بينما الكَلم والكلام يبدّل ويحرّف. لهذا استوجب منّا استحضار وجهات النّظر المختلفة، ومقاربة ما خلص إليه الباحثون، نتناول كذلك بيان الفرق بين الكلام والقول، وغيرها من مسمّيات التعبير، كاللّغة واللّسان، والمفردة، والفكرة، والوحي، بعد استنطاق بنية حركة الكَلمَة. مسعانا هذا يهدف إلى إخراج الجدل من بؤرة الاختلاف وإعادة قراءَة المعنى من خلال القصد والمقاربة بين الدّال والمدلول، قياساً على جدليّة اتصال الحرف بالآخر في تكوين اللّفظ. مستطلعين حركيّة الحروف في بنية الكَلمَة والسّياق الذي تختاره. ما يرشدنا هو تقلّب المظاهر الأربعة لظهورات الألف (ألف المد، والياء، والواو، والسّكون) وتبادل الأدوار فيما بينها، وما يضمر أو يصرّح به، لتأدية المعنى المقصود أو الإشارة إلى الزّمان، أو المكان، أو الزّمكان.

التّأليف

أطال العلماء النّظر في وجوه التّأليف المُتَصوّرة من تركيب الحروف العربيّة بضرب من الحساب واضح.[1] وقالوا إنّ اللُغة العربيّة بدأت بأصوات الحروف، ثمّ تدرّجت إلى الثّنائيّ فالثّلاثيّ، فكثيرات الحروف، ليستخرجوا بذلك عُدّة أبنية

---

(١) هذه الطريقة الحسابيّة من وضع الخليل بن أحمد، وقد شرحها ابن دريد في «**الجمهرة**» ونقلها عنه السيوطيّ في الكلام إيحاء اللّغة من «**المزهر**»_وبها حصرَ أبو بكر الزبيديّ الأندلسيّ في «**مختصر كتاب العين**» عدة أبنية الكلام، ما أهمل منه وما أستعمل، صحيحاً ومعتلاً؛ فذكر أنّ عدة مستعمل الكلام كله ومهمله٦٦٥٩٤٠٠، المستعمل منها ٥٦٢٠ والباقي مهمل لم يستعملوه لا في الصحيح ولا في المعتل، أمّا الصحيح من المستعمل فهو ٣٩٤٤. انظر **تاريخ آداب العرب** مصطفى صادق الرافعي الصفحة: ٢٥ وما بعدها.

الكلام العربيّ من البناء الثنائيّ إلى الخماسيّ، ويستقصوا من كلام العرب ما تكلّموا به وما رغبوا عنه، ممّا يأتلف أو لا يأتلف، باعتبار الأسباب اللّسانيّة أيضاً. وهو، أي التأليف، يشمل عُدّة الكلام المُتصوّر في كلّ بناء، مستعملَه ومهملَه، في الصحيح والمعتل من كليهما.

والمُهمَل عندهم على ضربين: ضربٌ لا يجوز ائتلاف حروفه في كلام العرب البتّة، وذلك كجيم تُؤلّف مع كاف، أو كاف تُقدَّم على جيم، وكعينٍ مع غين وحاء، أو حاء مع هاءٍ أو غين. فهذا وما أشبه لا يتألف. والضرب الآخر ما يجوز تآلف حروفه كأن نقول عضخ، فهذا يجوز تآلفه وليس بالنّافر؛ كما في خضعَ؛ لكنّ العرب لم تقل عضخ ولا ضخع. والضرب الثّالث، وهو بكلمة على خمسة أحرف ليس فيها من حروف الذّلق أو الإطباق حرف. وأيُّ هذه الثّلاثة كان، فإنّه لا يجوز أن يسمّى كلاماً. لذلك بيّنا في باب كلّ حرف، كما سيأتي، أسباب التناقض بين مسمّيات الحروف في تركيب الكَلِم.

وفي رأي زكي الأرسوزي *«أنّ اللّسان العربي اشتقاقي البنيان، ترجع كلماته كافّة إلى صور صوتيّة-مرئيّة مقتبسة مباشرة من الطبيعة الخارجيّة تقليداً للأصوات الحاصلة فيها. مثال ذلك: ترّ، فقّ، خرّ، خشّ، زمّ. وأيضاً عن الطبيعة الإنسانيّة بياناً لمشاعرها. مثال ذلك: «أنّ، آه». فالأفعال المتسلسلة ذات طبيعة مزدوجة: صوت وخيال مرئي، والّتي تنتهي بصوت طبيعي، كصوت خرير الماء مثلاً، و بخيال مرئي، كما الماء في مجراه، هو السّبب في حدوث الصوت.»*[1] وبيّن الأرسوزي أنّ الإنسان العربيّ سلك في تأليف الكلام سُبُلاً منها:

١. التّداعي: و يعني أنّ الحرف الأسهل للصدور والأبرز للظهور يستقطب الصّورة الّتي تستدعي الاهتمام فيشير إليها بكلمة.
٢. النّحت: فكلمة «سلحفاة» مثلاً توحي بكائن حي يسيل وهو ملتحف بقوقعته تبعاً لنحت الكلمة من «سلّ» و«لحف». و كلمة ضفدعة توحي بكائن حي يقعي

(١) الأرسوزي، زكي: **المؤلّفات الكاملة**، مطابع الإدارة السياسية للجيش والقوات المسلحة، دمشق، ١٩٧٢م المجلد الأوّل. ص. ٧٨، ٧١. أنظر **بحوث لسانية** ص. ٦٤، وأيضاً: **نحو الصوت ونحو المعنى**، المركز الثقافي العربي، بيروت، طبعة أولى (آب) ١٩٩٢م ص. ٩.

على ضفاف الأنهار، فيدعو بعضه بعضاً تبعاً لنحتها من «ضفّة» (ضفّة النّهر)، و«دعا».[1] في رأينا أنّ النّحت وجهة نظر قابلة للدحض، لا سيّما أنّها وصف لمسمّى، بما يماثل الاصطلاح، لا يكون سياقاً لحركة الحروف.

وفي رأي الشّيخ العلايليّ: *«أنّ الجدول الهجائي بمعانيه العموميّة، نواة اللّغة الّتي لا بُدّ أنّ تنمو.. وأنّها خُطّة العربيّ الوحيدة في الوضع، سواءً بنى الأصالة على الترتيب الهجائيّ أو الأبجديّ، وأنّ دقّته في جعل الثّلاثي وَحْدَةَ الكَلمَة، لأنّه أعون على التزيّد، في غير تحرّج ولا تأزّم من فصاحة البيان،.. فلقد كان لحروف الهجاء، في مفهوم العربيّ معانٍ عموميّة يزيدها على الثلاثيّ عند الحاجة للوضع في معنى جديد.»*[2] ويلخص العلايليّ رأي الشّيخ مُصطفى الغلاييني بأنّ *«الحركات في العربيّة أحرف مدّ، في عهد اللّغة القديم، وقد تهذّبت تبعاً لسُنّة تغلّب القَويّ على الضّعيف، وبذلك يمكننا تعليل اختلاف عين الفعل في الأفعال الثّلاثيّة.»*[3]

أمّا حسن عبّاس فيقول: *«وبمقارنة معاني المصادر الّتي تبدأ بحرف ما مع معاني المصادر الّتي تنتهي به، تبيّن لي أنّ تأثير كثير من الحروف في معاني المصادر يختلف بحسب مواقعه منها، وذلك لتغيّر تمثيلها الإيمائيّ أو إيحائها الصّوتيّ في الموقعين. وأنّ الحرف القوي يأخذ صوتُه أقصى إيحاءاته في القوّة والشدّة والفعاليّة والغلظة، عندما يقع في أوّل اللّفظة. إذ لا بُدّ للصوت أن يشدّ على أيّ حرف يقع في أوّلها أكثر مما يشد عليه في وسطها، ليشدّ عليه أقل ما يكون الشّدّ في نهايتها. وهكذا، فإنّ الحروف ذات الأصوات الرّقيقة لا بُدّ أن تكون أكثر إيحاءً بالرّقّة والأناقة والدّماثة وما إليها عندما تقع في نهاية الألفاظ. وأنّ الحروف الّتي تقع في أواسط الألفاظ تكون غالباً أقل تأثيراً في معانيها.. فالعربيّة قبل أنّ تصبح لغة*

---

(١) الأرسوزي، مرجع سابق، ص. ٢٦٢، وكذلك نظرية زكي الأرسوزي في نشوء اللّغة العربيّة، مقتبس بتصرّف من كتاب «زكي نجيب الأرسوزي حياته و آراؤه في السياسة و اللغة» تأليف الدكتور عصام نور الدين.

(٢) العلايلي، الشيخ عبد الله ، مُقدّمة لدرس لُغة العرب، وكيف نصنع المعجم الجديد، دار الجديد، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٧م: ص. ٢٢٦-٢٣٣، وكذلك ص ص. ٢٤٢، ٢٥٣، بتصرّف.

(٣) العلايليّ، المرجع السابق، ص. ٢٦٧، بتصرّف. أنظر أيضاً: الغلاييني، الشّيخ مصطفى: **الدروس العربية**، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م.

لفظية تماماً؛ تقوم على الحروف، مرّت أيضاً في أدوارٍ مُعرَّقة في الصّوتية. فإنّنا نرى، من خلال صنيعه، أنّ الحركات في الأفعال الّتي هي الأبوابُ السّتة، تنظر إلى عهدٍ صوتي كانت الحَركة فيه تنطق حرفاً، وهذه الحروف الّتي هي بمثابة الحركات، تنظر إلى دلالات بعينها.»[1]

وعند ابن جنّي فإنّ العين أقوى من الفاء واللّام وذلك لأنّها واسطة لهما، ومكنوفة بهما، فصارا كأنّهما سياج لها.[2]. غير أنّ لنا مذهباً ءَاخر يعالج علاقة بنية الكَلمة بما تتيحه حركة الحروف عند تبادل المواقع، في إبراز قصد المعنى الّذي يفرضه الحرف البادئ على التسلسل، كما سيرد تفصيله.

الكَلِمة والكَلْمة والكلام

ميّز الأنباري بين الكَلِم والكلام بقوله: «*الكَلِمُ اسم جنس؛ واحده «كَلِمة»، والكلام: ما كان من الحروف دالًّا بتأليفه على معنى يحسن السُّكوت عليه، والفرق بينهما ينطلق على المفيد، وعلى غير المفيد؛ وأمّا الكلام فلا ينطلق إلّا على المفيد خاصّة.»*[3]

من خلال الاقتران اللّفظي وجّهَنا عالم سُبيط النّيلي للتمييز بين الكَلْمة والكلام بقوله: «*إنّ لفظ (الكلام) هو اسم عام مثل: نظام، قيام، دفاع.. إلخ؛ فهو اسمٌ لما يُتكلّمُ به من غير تحديد. بينما لفظ (الكَلِم) فهو جمعٌ مفردُهُ (كَلْمَةٌ) بالفتح والسّكون وهي الوحدة اللّغوية، وهي ليست جمعٌ لمفردة (كَلِمَة) بالفتح والكسر، لأنّ جمعها هو (كَلِمات). إذن فالجمع (كَلِم) هو الجمع المتعيّن لما نسمّيه بالوحدة اللّغوية (اللّفظ)، أي الكَلْمة بتسكين اللّام، والاسم المشتق من فعله هو (الكلام)، فانتظام الكَلِم في مواضع محدّدة ينتج منه (كلام). بصفةٍ عامّة نستنتج ما يفيد أنّ الجموع المختلفة لفظاً هي في الواقع مختلفةُ الدّلالة. وهذا ما ينطبق على الألفاظ: (الكلِم،*

---

(١) خصائص اللغة العربية، مرجع سابق، جزء ١، ص. ٤٢،٤٥.

(٢) الخصائص ج٢ ص. ١٥٥. هنا إشارة إلى صيغة وتسلسل (فـ-ع-ل).

(٣) الأنباري، كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد، أسرار العربيّة، تحقيق بركات يوسف هبّود، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت ١٩٩٩م ص. ٣٥.

الكلمات). فأي تغيير في الترتيب يؤدّي إلى تغيير دلالة اللّفظ ولو على التقدير، إذ لا فائدة تبقى من الترتيب الأصلي.»[1]

نستنتج أنّ الكَلْمة والكَلام متصلة بالكلوم والجوارح، فهي منسوبة للمتلقّي، ومن هذا تداخل الالتباس مع (القول) المنسوب كذلك للجوارح. فالكَلْمة تشير إلى ما يصل جوارحه تَكْليماً. بينما كَلمات جمع لمفردة (كَلمَة)، منسوبة للفاعل وليس للمتلقّي. كما قيل: «في البدء كان الكَلمَة». وللمزيد من التدقيق في الاختلاف بين الكَلمة والكَلْمة نحتكم إلى الدّلالة الحركيّة وإلى «دليل الميزان الاشتقاقيّ». حركة اللّام في كَلِمَة هي بالكسرة الزّمانيّة، نقرأ حراك المعنى هكذا: تكتّل المتآلفات بالكاف متّجه بالفتحة الزّمكانيّة لولوج بابي الزّمكان، وتواصلاً باللّام في متابعة زمانيّة مستمرّة بالكسرة، لكي تتمّم الميم مستلزمات القصد المعيّن من التآلف، وإلى حيث يستمرّ الوجود المطلق. بينما في (كَلْمَة) حيث تمنّعت حركة السّكون عن متابعة حراك توصيل اللّام توقّف التآلف عند الميم، كما لو أنّ المتلقّي استكفى بما وصله. ومن خلال «دليل الميزان الاشتقاقيّ» (صفحة ١٦٣ و١٦٤)، في صيغة فَعِلَ[2]: التّوجّه بحركة الكسرة لإضفاء الاستمرار في الزّمان لتراكم المعرفة والخبرة والمعلومة كما في: خَبِرَ، عَمِلَ، سَئِمَ. خصوصيّته عند العلايليّ الدّلالة على الشّيء الذي يكون أكثر انفعالاً بالوصف. بينما فَعْل: وجود الفتحة، التي هي صيغة الألف تفيد تعامد الزّمكان لإنشاء وجود على أوّله مع حركة السّكون وسطه، نحو: «ضَرْب، حَرْف، سَقْف،..إلخ». وهو أحادي الشّخصيّة والوجود، ولكنّه في كلّ زمان ومكان عام عموماً هو على أصل الحركة، وهو يمثّل الحركة في الفعل نفسه فهو اسمُها.. وهو عند العلايليّ للدّلالة على الاتصاف بوحدة المادّة.

---

(١) النّيليّ، عالمس سبيط، **اللّغة الموحّدة**، م س. ص ص. ٤٨٤–٤٨٨، وكذلك ص ٤٦، بتصرف.

(٢) أنظر ما سَيرد في ص ١٦٣، تغيير العلامة من الماضي إلى المضارع، حيث تمّ إهمال المكان لأنّ من عمل عملاً فقد حدّد موضوعه ومكانه، فتمّ ترك المعلوم والإشارة إلى الزّمان بالكسرة. وهي إشارة تريد إعطاء الدّلالة على وجود العمل مدّةً طويلةً باقيةً ما بقي موضوعه المكانيّ المعلوم.

الكلام والقول

اختلف القدماء في تعيين الفرق بين الكلام والقول وإن أقرّوا بوجود تمايز في الدّلالة، وقد ذكر ابن جنّي وجهات النّظر المختلفة، ليخلص إلى نتيجة بقوله: «*إنّ الكلام إنّما هو في لغة العرب عبارة عن الألفاظ القائمة برؤوسها المستغنية عن غيرها وهي الّتي يسمّيها أهل هذه الصّناعة الجُمَل على اختلاف تركيبها، وثبت أنّ القول عندها أوسع من الكلام تصرّفاً وأنّه قد يقع على الجزء الواحد وعلى الجملة وعلى ما هو اعتقاد ورأي لا لفظ وجَرْس، وقد علمت بذلك تعسّف المتكلّمين في هذا الموضع وضيقَ القول فيه عليهم حتّى لم يكادوا يفصلون بينهما والعجب ذهابهم عن نصّ سيبويه فيه وفصله بين الكلام والقول.*»[1] وقد ذكر ما اختلف فيه علماء العربيّة من أنّ الكلام لا يكون إلّا أصواتاً تامّة مفيدة، والقول قد يكون أصواتاً غير مفيدة وآراءً معتقّدة، وأنّ الكلام إنّما هو من الكَلْم والكَلام والكُلوم وهي الجراح، وأنّ كلّ كلام قول وليس كلّ قول كلاماً.

هكذا يصعب التّمييز بين القول، والكلام كنظام، فهو يختلط في الاستخدام مع اختلاف الدّلالة القصديّة، مع الكَلم والتّكليم.[2] فتذهّن الذّهن لغة كأنّهما بدلالة واحدة. فلفظة (قول) وفق ما ذكرناه في معنى حركة الحروف، تظهر أنّ قوّة الإبانة والفصل والتقفّي متموضعةٌ بالواو، واللّام تلاحمٌ لنَسجِ حركة جديدة. هنا الإبانة لمَا هو مطلوب توضيحه من رأي أو فعل، ينسج نسيجاً من خلال التّأثير على وسائل الإدراك المثلة بالنّظر والسّمع واستشفاف الأحاسيس. ذلك أنّها إشارات بيانيّة من مرئيات وأحاسيس يستشفها الإنسان ممّا حوله من ءَايات الله ومخلوقاته. فقالت الجبال وقال تعالى، وقالت الملائكة؛ أي توصيل إلى المدارك مباشرة. وقد أشرنا في باب الكاف وكذلك في باب القاف، إلى الفرق بين القول والكلام. وأرى أنّ هذا التفريق يحتاج إلى إمعان النّظر، والتمييز بين القول والكلام، بالتفكّر بما ورد في التّنزيل، مثل: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ طه٧، ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ

---

(١) **الخصائص**، باب القول على الفصل بين الكلام والقول، الجزء الأوّل، ص ص. ٥-٣٢.

(٢) عالج محمد الأوراغي، **نظرية اللّسانيات العربية**، دواعي النشأة، دار الأمان- الرّباط، المغرب، ٢٠١٠م، ص. ٣٢-٣٣، مطلب التحديد الدّقيق للموضوعات المتجانسة، بين علم الكلام، وعلم اللّغة.

لَسْتُنَّ كَأَحَد مِنَ النِّسَاءِ إِن اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً﴾ الأحزاب٣٢، وفي قول النّابغة الذبياني:

قالت له النّفسُ إنّي لا أرى طَمَعاً   وإنّ مولاكَ لا يسلم ولم يَصِدِ

وقول أبي النّجم الهذلي:

قالت له الطَّيرُ: تقدّم راشداً   إنّك لا ترجعُ إلّا جامدا

الكَلِمة والسّياق

بيّن «علي توفيق الحمد»، في تحقيقه لـ«كتاب حروف المعاني»، ***ما أورده الزّجاجي؛ في أنّ «معنى الكلمة يستفاد من التركيب والتضامّ، ومن النّظرة الأفقيّة في التركيب، من خلال النّظر إليها مع غيرها في السّياق، وليس النّظر إليها في نفسها منفردة.»***[1]، مُكرّراً كذلك ما توصّل إليه آخرون من علماء لغة قدماء ومحدثين، ذاكراً قول (أولمان): «***فالسّياق وحده هو الذي يستطيع أن يبين إذا كانت الكلمة (قريب) مثلاً، تعني قرابة الرّحم أو القرب في المسافة.***»[2] وقد انتهى بعد سرد الآراء المؤيّدة لهذا المذهب، إلى ما قاله الجرجاني: «***ليس كلامنا فيما يفهم من لفظتين مفردتين، نحو: قعد، وجلس، ولكن فيما يفهم من مجموع كلام ومجموع كلام.***»[3]

هذا التوجّه ضروريّ ومنطقيّ، بالنّسبة لمتلقي الخطاب، ولمن يسعى لفهم الكلام؛ مكتوباً أو مسموعاً. وقد نهجنا نفس المنهج في الاستعانة بالاقتران اللّفظيّ، وسياق بعض الآيات القرءانيّة للاستدلال على القصد. غير أنّ ما يشغلنا في بحثنا هذا هو ءاليّة الانتقاء من سلّة الألفاظ، للكَلِمة المناسبة لموائمة القصد في تشكيل العبارة أو الجملة. فالكَلِمة المفردة هي من تضع، في اقترانها بكلمات أخرى تستدعيها، سياقاً تسوقه من فكر المخاطِب (بالكسرة)، إلى سمع المخاطَب (بالفتحة)، لتصل إلى جارحة الفؤاد كَلِمة، فيُعقل ما يتصوره في الكلام من معنى. لذلك نرى أنّ دلالة الكَلِمة مستودع في حروفها قبل اختيارها. وما في حروفها من

---

(١) الحمد، علي توفيق: **تحقيق كتاب حروف المعاني- عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي**، مؤسسة الرسالة- بيروت، دار الأمل- إربد الأردن، ١٩٨٦ ص. ٢١.

(٢) نقلا عن المرجع السابق، أولمان: **دور الكلمة في اللّغة**، ترجمة كمال بشر، ص ص٥٤-٥٥.

(٣) نقلا عن المرجع السابق، ص: ٢١.- الجرجاني، عبد القادر، **دلائل الإعجاز** ص. ٢٧١.

تناقض وتآلف، هو ما يجعلها كَلمة في قصد انتقائها من بين مثيلات مشتبه أو مشابهة هو ما يبرز نيّة ما كان يضمره المتكلّم. ويجعل ما يحسّ ويعيه المتلقّي منها كَلمة وسياقها كلاماً. السّبب في الاختيار هو ما تقوله المفردة له لا كيفيّة الاستخدام الّذي يقوله السّياق. وفي هذا تكون الفصاحة والبيان. وفي مثال الجرجاني للتفريق بين لفظتي قعد، وجلس، وقعد وفق منهجنا[1]، فيها دلالة التثبّت والتيقّن لتأكيد الاستقرار. أمّا الجلوس فهو ينطوي على مطلب سلطوي من خلال دلالة حركة السّين، ولذلك تقترن عادة بحرف (على)، الّتي مدلولُها العلوّ، كالقول: الجلوسُ على العرش، وعلى السّرير.

وفي رأي محمد عنبر ***«أنّ وضع الكَلمة في مكانها بين أهلها يقوم على فهم وجه الحركة فيها المتمثّل في اللّفظ الأصل، ولا يستطيع متحرّك أن يتحرّك وهو لا يعرف جهة تحرّكه.. والواقع أنّ وجه الحركة لا يزال واضح المعالم في حسّ القوم اليوم، ولكنّه مبهم إلى حدّ كبير ويكاد لا يعرف إلّا من السّياق حين تضيع معالمه.»***[2] مضيفاً أنّ الكَلمة في السّياق فرع من أصل، ومشيراً إلى رأي الجرجاني أنّ السّياق هو الذي يحدّد معنى الكَلمة، وكذلك إلى رأي أبي علي الفارسي؛ ***الذي يرى أنّ تركيب الكَلمة هو الذي يحدّد دلالتها، فالأوّل يتحدث عن عموم المجاز والآخر يتحدث عن طبيعة سير الحركة في الصّيغة، والرّأيان يكمل كلّ منهما الآخر.»***[3] نرى ممّا سقناه أنّ الكَلمة تحدّد قصد المعنى، والاقتران اللّفظيّ يفرض جدليّة السّياق، وبه يُميّز سير حركتها.

---

(١) يرجع إلى باب القاف تسلسل (ق-ع-د)، حيث القاف الّتي تستدعي عين المعاينة، ثمّ بعد كشف المُبهم، تندفع بالدّال قصدا للتحقيق مطلب فصل البيان. فالقعود فيه ترقب ومتابعة، كما في التنزيل: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ الجن٩. لذلك استعين بها في القول: «القاعد عن الحق شيطان أخرس»، والقاعدة ما يثبت عليها البناء. أمّا تسلسل (ج-ل-س)، فالجيم تدمج الحركة وقد تابعت اللام تلاحم أجزائها، ثمّ انسلت السّين لبسط النّفوذ المهيمن، ولذلك تقترن كلمة (الجلوس) عادة بحرف (على)، كالقول الجلوس على العرش وعلى السرير وفي مدلولها العلو، وفي شعر ابن رشيق القيرواني:

تمكّنَ في دست الوزارة جالسا وما كلُ من رام الجلوسّ تمكّنا

(٢) عنبر، محمد: **جدلية الحرف العربي**، م. س، ص. ١٩٨.

(٣) عنبر، محمد: **جدلية الحرف العربي**، م. نفسه، ص. ٢٣٩.

إذن، العلاقة جدليّة بين الكَلمة والسّياق. والاختلاف هو انتقائيّ من مرتقب المتكلّم بينما في نظر المتلقي دلاليّ. يحدّد ذلك مدى ترابط المعنى مع نسق الاقتران، في توصيل النّطاق ألتّخاطبيّ؛ حيث تنشأ عدّة احتمالات بين كلّ متخاطبَين. فالمتكلّم يفكّر بشيء، وقد ينطق بخلاف ذلك، وهو يظن أنّه قصد أمراً ءَاخر. في حين يفسّر المتلقّي السّياق، ويظن أنّه فهم القصد، لكنّه يفكّر بما لم يعنه المتكلّم. لذلك فإنّ انطباق فكرة ما يراد التّعبير عنها بلفظ على حركته العامّة هيَ شيءٌ نسبيٌ، تتحكّم به عوامل عدّة. أحد هذه العوامل هو طبيعة الفكرة. فالفكرة هي أيضاً حركة المعنى بين المُضمر والمعلن. فإذا كانت الحركة ذاتيّةً وجوهريّةً وعامّةً مثل: عرف، فهم، درس، نما، أي كانت حركةً طبيعيّةً، تطابقت الحركتان في أكثر الأحيان، أي حركة كلّ من اللّفظ والفكرة. وإذا كانت الحركة تصويريّةً، أو كانت حركةً ميكانيكيّةً، فهناك من يأخذ من التّسلسل ظاهر الحركة فقط، أي العلاقات بين الأصوات، ولا تهمّه النّتيجة الكلّية للحركة. وفي أحيانٍ كثيرةٍ تتطابق التّسمية والإطلاق على الحركة الخارجيّة أيضاً، إذا كان اللّفظ يعمل بطرقٍ مختلفةٍ فيحافظ على الحركة التّصويرية والجوهريّة سويّةً. مثال ذلك الأداة (لا)، الّتي لا تدخل على أيّ تركيب أو مفردة بأيّة صيغة، ما دامت هي أداة حرّة المعنى، لإفادة النّفي وعدم اكتمال الحركة، ومثلما تكون ناهيةً جازمةً تدخل على الفعل المؤكّد لتفيد جملة وصفيّة.

اللّغة والكلام

علم الكلام هو بحث عن أفضل ما هو مركّب كفكر بواسطة الكلام. بيّن إبن فارس في باب «حقيقة الكلام» بعض ءَاراء علماء اللّغة، منها: أنّ الكلام حروف مؤلّفة دالّة على المعنى، وأنّ الكلام ما نسمع ونفهم. أرجعت المدارس اللّغوية مصدرها ونشأتها إلى عدّة نظريات، فمنهم من قال إنّها توقيفيّة، وهي وحي إلهيّ، ومن اعتبرها اصطلاحيّة، أي تواضع تواليها في النّطق وليس نظمها لمقتضى المعنى.[1] ومن أخذ بالمنهج الاعتباطيّ. ومن اعتمد النظريّة القصديّة. ومن قال بفطريّة اللّغة ومحاكاتها للطبيعة.

---

(١) أنظر أنيس فريحة، نظريات في اللّغة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، طبعة ثانية، ١٩٨٢، ص. ١٦.

قلنا من قبل، إنّ جذور اللّسان ونظامه أسبق من تكوّن المجموعات اللّغويّة، وإنّ اللّغة وليدة اللّسان ومتفرّعة عنه. وهي تحمل جينات الأحرف ونطقها. ويتمثّل ذلك في مدى القدرة على استخدام ءَالة النّطق، وما ينتج من استعمالات. وحيث أنّ الكلام صلة التواصل الفكريّ بين المتخاطبين، يمكن القول إنّ التفريق بين اللّغة والكلام هو أمرٌ ذاتيٌ، أي إنّه لا يُعتبر كشفاً عن أمرٍ غامضٍ. إذ لا يمكن مَنطقيّاً مجرّد التّفكير باللّغة ما لم تكن هذه المسألة متفاعلة في مدارك الإنسان. فكلُ فردٍ في العالم يمارس التّفريق عَمَلَيّاً لأنّه في الواقع يحاول، بطريقته وحسب براعته، أن ينتخب من اللّغة ما يعبِّر عن: أفكار، خطط، مشاعر، وأهداف. بذلك تتمايز المهارة اللّغويّة إزاء القدرة على الانتخاب كي تصل إلى البلاغيّة. ومن المحال التّحدّث في أيّ موضوعٍ، من غير أن يكون هناك شعورٌ بوجود كيانٍ لُغويٍ ينتخب منه المتحدّثُ التراكيب الّتي تعبِّر عن ءَارائه.

وفي رأي عالم سُبيط النّيليّ «***أنّ بنية اللّغة قامت على أساس وجود قصديّة كليّة في حركة الكون، ما جعل الفعل الماضي هو مصدر الاشتقاق الأنسب.***»[1]. والقصديّة وفق منهجه، هي البحث عن السّبب، فقد ذكرنا أنّ الماضي ممتد زمناً ومكاناً، نستنتج أنّ الكلمة هي مرحلة من مراحل حركة الفعل الماضي، وليس الفعل مرحلة من مراحل الكَلمة التي صارت مُسمّى لمعنى مرحلي. وبذلك يكون فعل شَرِبَ مصدراً لكلمة شرابٍ، تفيد وصف مادّته قبل استخدامها. فإذ تحرّك فعل استخدامها وأوصَل الشّراب إلى جوف الإنسان، صار هو شارباً والمادّة مشروباً. وقد أطلق العرب على شَعر الشّفّة العليا صفة الشّاربين. فكيفما تحرّك فعل شَرِبَ دمغ معه صفةً لحركته. هكذا يتضح أنّ الاسم في اللّغة العربيّة، صفَةٌ تناسب البيئة الّتي وُصِفَ بها المدلول. ولذلك يتساءل ابن جنّي: «***فكيف يجوز أن يعتقد سبق الاسم***

(١) أنظر النّيلي، عالم سبيط، **اللّغة الموحّدة**، ص. ص.٤١٠-٤١١. وهو في هذا يخالف وينتقد الاعتباطية المطلقة التي قال بها فرديناند دي سوسير.أنظر للمزيد، سوسير، فرديناند، **محاضرات في علم اللسان العام**، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق- المغرب، الدّار البيضاء، ٢٠٠٨م. ص ١٩٢، حيث ميز بين الاعتباطية المطلقة والاعتباطية المقيّدة.

للفعل في الزّمان، وقد رأيت الاسم مُشتقاً منه ورتبة المشتق منه أن يكون أسبق من المشتق نفسه.»[1]

المخزون اللّغوي الّذي انتزع الاعتراف بالشكل الكتابيّ، أحرفاً وكلمات، استعان بالتجريد لإظهار المضمون المتعارف عليه. وكون التّجريد، كما يشير خالد آغة القلعة [2] «***هو تظهير المضمون دون شكله المتعارف عليه، وأنّ العلاقة بين الشّكل والمضمون هي علاقة الشّكل بالمعرفة***»، وخلص إلى أنّ «***شكل المعرفة هو اللّغة***». استعارة «المخزون اللّغويّ» هنا تعبّر بوضوح عن الوعاء التراكمي للألفاظ بدلالاتها التاريخيّة والجغرافيّة المتبدّلة وفق فقه المعنى المتغيّر، وعند الانتقاء من هذا المخزون والمستودع فيما رُويَ وكُتب، تتحدّث المعرفة من خلال ذاكرتها.

عندما نفكّر، نستخدم ذهنيّاً الكلام، أي بجدليّة استعارة مفردات متناسبة مع المنحى والمنظور الفلسفي أو الوصفي. فاللّغة أداة الفكر ووعائه، ووسيلة الخطاب والتّواصل. فإذا كانت الكَلمَة مرحلة من مراحل الفعل، اتجه المفكّر والمفكَّر به إلى استدعاء سؤال (لماذا)؛ وهذا مُحرِّك ءَالية الذّهن لتفعيل الفعل نفسه، بملاحقة الاستخدامات في مواقعها، وشروط دلالاتها، قبل تثبيت نطاقها ونُطقها. فهي تجول في الذّهن قبل أن تسلك سبيل التأليف. وفي هذا السّلوك حراك مستمرّ في جدليّة بين الدّال والمدلول، بين القصد وأداة التوصيل. بذلك لا تكون حركة الذّهن مُقيّدة بثوابت، بل منطلقة خلّاقة، متفاعلة الحركة، كونها في متابعة مع الفعل لا مع صورة من صور مراحله. أمّا إذا كان الفعل مرحلة من مراحل الكَلمَة، أي الاشتقاق من الصّفة لا من فعلها، فيكون السّؤال الذّهني المُسبق لالتقاط الفكرة، أو لمقابلة أخرى، قبل النّطق وخلال التداخل الذهني (كيف)، حيث يستدعي حالات واستعارات وصُوَراً سبق استخدامها، مطلوب من ذاكرته أنْ تبحث بين المحفوظات، كي يتسنّى له التقاط الأنسب لمُبتغاه. ونرى أنّ هذا هو سبب الاختلاف بين أنْ يكون الاشتقاق من الاسم أو من الفعل. وأنّ المرتقب الّذي يُنظَرُ إلى الكَلمة من خلاله، هو عاجز عن وضعها في إطارٍ مُحدّدٍ ما لم يُحِطْ بالعلاقة بين الدّال

---

(١) **الخصائص الجزء ٢**، ص. ٢٤.

(٢) المرجع نفسه، ص. ٥٩.

والمدلول، وبين المخاطِب والمخاطَب، عند النّشأة الأولى للكَلِمة، مع معرفة بالبيئة الّتي استلهمتها.

فاللّغة في هذا المنظور، تتألّف من جميع الاحتمالات الممكنة لتسلسل الأصوات (المستودعة في مخزون الذّاكرة التخاطبية التاريخيّة). وهي عديدةٌ يصعب إحصاؤها. وقد استعملت كلُ مجموعةٍ إنسانيّة ما ناسب بيئتها وحاجتها من الأصوات الممكنة. ما تمّ انتخابه في مرحلة مُعيّنة يعدُ شيئاً ضئيلاً نسبةً لكلّ الاحتمالات. لذلك قال ابن فارس: ***«الذي انتهى إلينا من كلام العرب هو الأقل»***. والتّفريق بين اللّغة والكلام تظهر أهمّيته عند دراسة الفارق بين المنطوق والمكتوب. فالكلام المنطوق يستعمل (أقوالاً)؛ أي لغات مساعدةً غير ظاهرة. على خلاف ما ذكره حسن قطريب في أنّ اللّغة هي مادّة تصويتيّة ملفوظَةٌ: تواضعيّة- تفاعلية في محيط الحياة، وأنّها مُعطى اجتماعيّ. تنظر فيما أستشهد به من قول أبي حيّان التوحيديّ في أنّ ***«السّبب الّذي من أجله احتيج إلى الكلام، هو أنّ الإنسان الواحد- لّما كان غير مكتف بنفسه في حياته، ولا بالغ حاجاته في تتمّة بقائه مُدّته المعلومة وزمانه المقدّر المقسوم، احتاج إلى استدعاء ضروراته في مادّة بقائه من غيره، ووجب أن يعطي غيره عوض ما استدعاه منه بالمعاونة»***[1]. يتبيّن من وصف التوحيديّ للكلام هنا أنّه نظام وحاجة اجتماعيّة، يحمل في طياته بنية اللّغة.

وبالنّتيجة فإنّ اللّغة هي القاطرة التي تجرّ وراءها الحياة. غير أنّ توقّفها عن الحركة زمناً طويلاً قد أفقدها حرّيتها في اختيار وجهتها التشكيليّة، فصارت مأسورة لأشكالٍ وأرتامٍ مكرّرة ذاتها، عاجزة عن المواكبة. وإذ يُقال إنّ الإرثَ الحضاريّ وأسرار كنوزه مُخبّأة في ثنايا الكلمات، نثراً وشعراً، حكاية وتاريخاً، فإنّها، أي اللّغة يجب أن لا تبقى أسيرة الماضي التراثيّ، بل ينبغي على المتلقي أن يفاعل من خلالها وبها، مخزون فؤاده المعرفيّ، مُعيداً للكلمات أُسطورتَها وسطوتها، بغرض صياغة تآلف جديد بين الممكن والظّاهر.

(١) قطريب، حسن: مفاتيح اللّغة، بيرق للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠١٠م صز ص. ٤٤-٤٥.

حركة الحروف في بُنية الكَلِمة

اعتبر ابن خلدون أنّ ما ميّز اللّغة العربيّة عن غيرها من اللّغات، هو في الحركات «*التي يتم بها تمييز الفاعل من المفعول والمجرور، أي المضاف، وكذلك الحروف التي تفضي بالأفعال إلى الذّوات من غير تكلف ألفاظ أخرى، وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلّم: «أعطيت جوامع الكَلِم واختُصر لي الكلام اختصاراً»، فصار للحروف في لغتهم والحركات والهيئات؛ أي الأَوضاع، اعتبارٌ في الدّلالة على المقصود غير متكلفين فيه لصناعة، يستفدون ذلك منها؛ إنّما هي ملكة في ألسنتهم.*»[1] هكذا ألّفت حركةُ الحروف وءَالفت فيما بينها الكلام في لغة العرب، من أصل الحروف الثّمانية والعشرين.

نستطلع لاستيضاح ذلك بما قاله ابن جِنّي، في أنّ المبتدأ لا يكون إلّا متحرّكاً، وأنّ الموقوف عليه لا يكون إلّا ساكناً، بما يشير إلى دلالة تعاقب الزّمان والمكان في البناء اللّغويّ، فالحرف الفاصل بين الأوّل والآخر- وهو العين في (فعل)- لا يخلو أن يكون ساكناً، أو مُتحرّكاً، كما يتابع ابن جنّي ويقول: «*فإنْ كان ساكناً، فقد فَصَلت عن حركة الفاء إلى سكونه. وإنْ كان متحرّكاً فقد فصلت عن حركته إلى سكون اللّام الموقوف عليها .. أمّا إنْ كانت عين الثلاثي ساكنة فليس سكونها كسكون اللّام؛ وذلك أنّ الحرف السّاكن ليست حاله إذا أدرجته إلى ما بعده كحاله لو وقفت عليه... فحركة ذلك الحرف تسلبه ذلك الصوت البتة، والوقوفُ عليه يمكّنه فيه، وإدراَج السّاكن يُبَقّي عليه بعضه.*»[2]

نأخذ بما شرحه عالم سُبيط النّيليّ البيان التكويني لمظاهر الألف كما يلي:

- إذا دخلت الألف (المكلّلة بالهمزة) في البداية أشارت للفاعليّة، حيث تستحضر من هو الفاعل في ذهن السّامع، لأنّه الفاعل الأصليّ في تشكيل الأصوات مثل: أفعَلُ (أنا)، إفعلْ (أنت).. وفي هذه الحالة أمكن تسكين الآخر لإنتاج فعل الأمر، حيث السّكون هو انقطاع الحركة. والمفرد الفاعل مرموز للألف أصلاً. ومعنى

---

(١) مقدّمة ابن خلدون، مرجع سابق ص. ٣١٣.

(٢) الخصائص، مج ١/ ٥٦، ٥٧، ٥٨، بتصرّف.

السّكون أنّ هناك انتظاراً لإتمام الحركة، ولكنْ إذا كثر المأمور بالفعل عَدَداً وكانوا جماعةً، جيء بعنصر المكان الّذي يجمعهم وهو (الواو) فيقال: إفعلوا.

- إذا كان حرف الألف المكلّلة من أصل المُفردة؛ مثلاً في فعل الأمر للمفرد، ضُمّ أوّله وسُكّن ءَاخر حرف للدلالة على انفراد المأمور بالأمر الموجّه إليه، واضطراره إلى تلقّيه مثل: أخذَ، خُذ. وذلك كون المكان يجمع الآمر والمأمور معاً ممّا أوجب استخدام حركة التموضع بالضمّة بدل ألف الأمر.
- إذا أُريد الرّمز للفعل أنّه ما زال مستمرّاً، يؤتى بعنصر الزّمان، أي الياء، فيُقال: فعَلَ بالماضي ويَفعل الآن.
- إذا أُريدَ وصف شيء ما على أنّه مرتبط بشيءٍ ءَاخرٍ ومتّصف به دوماً، استخدم عنصر الزّمان ليعبّر عن هذا الارتباط في ءَاخر التسلسل الاسمي، فيقال: قانونيّ، وبحريّ، وعربيّ... إلخ.

تتقلّب المظاهر الأربعة لظهورات الألف وتتبادل الأدوار فيما بينها، لتأدية المعنى المقصود أو الإشارة إلى الزّمان أو المكان وما يضمر أو يصرّح به. ففعل الماضي (قالَ)، حاضره يَقولُ، وإذا بُنيَ للمجهول (يُقال)، فالألف تشير إلى الفاعل في الزّمن الماضي، والفاعل غائب الآن والألف حلَّ محلَّه. لكنّه حينما (يقول) يكون موجوداً فيأتي مظهر المكان أي الواو، بدلاً عنه. ولكن إذا نُسب القول لمجهولٍ أُعيد الألف للتنويه عنه، ويتحلّل الألف إلى عناصره مجدّداً في الاسميّة مثل: (قول) و(قيل). فالقول مرتبط بالمكان لوجود الواو المكاني، كما في التّنزيل القرءاني: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذي قِيلَ لَهُمْ..﴾ البقرة٥٩؛ فهو مرتبط بواقعة مُعيّنة وهم جماعة يجمعهم مكان. أمّا (القيل)، فهو اسمٌ عامٌ في الزّمان لوجود الياء الزّماني، كما في قوله تعالى: ﴿. وَعْدَ اللّه حَقّاً وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّه قِيلاً﴾ النساء١٢٢، هنا لم يقل: وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّه قولا، بل جعل (قيلاً) كاسمَ عام في الزّمان. أمّا إذا أريد اشتقاق اسم للقائم بالحركة من نفس التّسلسل، أدخل الألف وصار اسماً له فيُقال: فعَلَ ـ فهو فاعل. إذا دخل الألف أوّلاً، فإنّه مُزمعٌ أن يفعل أو يأتمر بالفعل، أي لم يصر فاعلاً بعد. لذلك فهو يدخل بعد تمام الحركة الأولى، أي الحرف الأوّل، للدّلالة على أنّه كان قائماً بها وأصبحت صفةً له. مثل قولنا: أفعَلُ إن شاء اللّه.

اللّفظ الثّلاثيّ مؤلّفٌ من ثلاث حركات. وكما حركة النّسج مُكوّنةٌ من خيوط متتابعة طولاً وعرضاً، فالشّيء العام في الثلاثيّ أنّ الحرف الأوّل يبدأ الحركة، والحرف الثّاني يبني حركته على حركة الحرف الأوّل، والثّالث يبني حركته على حركة الحرف الثاني. النّاتج هو اقتطاع سطح مستوٍ من واحدٍ أكبر، فإذا سُكّن الأوّل توقّفت الخيوط في مكانها وصار الدّمج والتقريب مُحالاً. وإذا سكّن الأخير لم يتمّ اقتطاع المستوى الصّغير من الأكبر. وإذا سُكّن الأوسط، فمعنى ذلك أنّ الحركة توقّفت عند هذه الصّورة، فيأتي الثّالث ويرفعها لأنّها مكتملة. هذه الصّورة السّاكنة في وسطها تعطي دلالةً على الاسميّة الخاصّة بمثل هذه الحركة. فهي ليست (فَعَلَ، يَفْعَلُ)؛ أي صيغ الأفعال، وإنّما حَدَثَ سكونٌ داخليٌ آخرٌ في التّلاحق بين الصّورة الجامدة، لذلك كانت الأسماء الثلاثيّة مسكّنةً من وسطها مثل: جَمْعٌ، فَصْلٌ،.. إلخ.

تتوافق مراكز الحركة في اللّفظ الثّلاثيّ، والأبعاد الثّلاثة في الفراغ (الوجود)، أي طول وعرض وعمق. مثلما التّقسيم الزّمانيّ: ماضي، حاضر، مستقبل. وهو نظام كونيّ عام للزّمان. إنّ الزّمن الماضي ممتدٌ غير مُحدّدة بدايته، أمّا المضارع فهو مُحدّدٌ شاخصٌ، والمستقبلُ ممتدٌ أيضاً، غير مُحدّدة نهايته. هذه المقاطع الزّمنيّة هامّةٌ عند ملاحظة تغيّر علامة مركز التّعاقب في أي تسلسل، كما في الماضي مثل: (ضَرَبَ، قَتَلَ، نَصَرَ)، فإنّ مركز الحركة بعلامة فتحة وهي زمكانيّة، والتسلسل يشير إلى أنّ الحركة يمكن أن تكون قد وقعت في المكان والزّمان سويّةً. وذلك لأنّها حركةٌ خارجةٌ غير داخلة، أي إنّها تخرج من الفاعل إلى الخارج في الظّرفين (الزّمان والمكان). في الماضي أيضاً؛ مثل: (عَلِمَ)، حيث أخذ المركز الكسرةَ علامةَ حركة الزّمان، لأنّ المعلومات واردة من الخارج إلى الدّاخل. فتمّ تحديد الزّمان، وتعميم المكان بإهمال إشارته. أمّا عند صياغة الماضي في: (شَرُفَ)، كونها حركةً ذاتيّةً لا تخرج ولا تدخل، لذلك تحدّدت علامة المركز بالضمّة لإبراز المكان. وهذه الحركة تبقى هي نفسها في المضارع (يَشْرُفُ)، فلا يحدث تغيّر فيها.

حين يُصاغ من الثلاثيّ فعل المضارع المُستمرّ (يَضْرِبُ، يَقْتُلُ، يَنْصُرُ)، تكون الحركة قد أصبحت شاخصةً مُحدّدة في الزّمان لوجود (الياء) مظهر الزّمان في أوّل التّسلسل. وهنا تتحكّم الحركة الجوهريّة للتّسلسل في تحديد علامة المركز. في

حالة كُسرَ الميمُ في (يغمزُ)؛ انتفى المكان وبقي المركز مُرتبطاً بالزّمان، لأنّ هذا التسلسل بالذّات غير مُحَدّد بموضوع: (يغمزُ بعينه). بينما أُخذت حركة الضَّمة في مركز (ينظُر)، مشيرة إلى المكان. لأنّ الحركة الخارجة لا بدّ أن تقع على موضوع مُحدّد مكانيّاً (ينظُر مكاناً). وكذلك الأمر في (ينصُر). ينصُر قوماً، ينصُر فكرةً ما. فالتسلسل مُحدّد بموضوعٍ مثل: يَعْلَمُ. يأخذ المركز الفتحة علامة (الزّمكان)، لأنّ الزّمان ظاهر بالياء أوّل التّسلسل. ولمّا كانت الحركة الدّاخلة إلى الفاعل ومستمرّة؛ فهي تنطوي على الأمكنة والأزمنة كُلّها، فليس هناك موضوع مُحدّد، ولا زمان مُحدّد للحركة سوى أنّها قطعة مُستمرّة.

ثمّة ظاهرة تستوجب التّوقّف عندها، وهي أنّ الحروف الّتي تتجاور مخارجها لا تلتقي ولا تتجاور في أيّ تسلسل: في تجويف الفم: الكاف والطّاء، والطّاء والظّاء، والظّاء والصّاد. كذلك حال الأحرف الصّائتة عند الأسنان: السّين والشّين، والزّاء والذّال. والاستثناء يكون في أحرف الشّفتين، فإنّها تلتقي وتتلاقى. تبيّن لنا عند مسحنا للاحتمالات الممكنة، للثلاثي الّذي يبتدئ بحرف من الحروف، وجودُ تفاوت في نسبة الاستعمال أو ما يمكن استعماله في اللّسان العربي، تتراوح تقريباً بين ٢٠٪ إلى ٥٠٪. كما تبيّن أنّ ما لم يستعمل أو ما لا يمكن استعماله يرجع إلى عدم قبول الحروف للتجانس والتلاقي إمّا لصعوبة في النّطق أو للتخالف والاختلاف في مدلول معاني الحروف المطلوب تأليف الكَلام منها في الحروف الحلقيّة: الهاء والعين، العين والحاء، والغين والعين، والقاف والغين والخاء والحاء والقاف. لذلك يتوجّب عند الاستقصاء، النّظر لهذه الظّاهرة من مُرتقب فيزيائيّ وءَاخر فلسفيّ. فالفيزيائيّ يلاحظ عند تقارب المخارج الحلقيّة، أنّ المسافة الملاصقة لا تسمح للهواء بالحمل والانتقال. فالانتقال من حرف لآخر يتطلّب قطع مسافة، خاصّة إنْ كان المحمول وازناً وثقيلاً كالأحرف الحلقيّة. أو كان ضخماً وحجمه لا يسمح بالرّفع والتّنزيل لقرب المسافة كالطّاء والظّاء، أو كان التشويش الصّائت، كالشّين والسّين والزّاء يداخل بين الموجات المحمولة. بينما عند الشّفتين، فتباعدهما وتقاربهما يتيحان المناولة والانتقال والسّماح بالحركة، ممّا يجعل لهذه الحروف حرّيّة التّزاوج والتّلاقي والفصل والانفصال. أمّا المُرتقب الفلسفيّ، فهو من خاصّية

المعنى. فلا يمكن للعين معاينة الهواء الّذي يُحَسُّ به ولا يُرى. وقشرة حاء التّنامي الدّاخلي المُنغلقة لا تسمح للعين باختراقها، فتبقى العين في داخلها. وكذلك الحاء الحاصرة نشاطها بالدّاخل لا قِبَلَ للعين بمعاينة حركتها الدّاخليّة. وخاء الإخماد لا تقترب منها قاف قُوّة الإبانة. ولا غِنَى الغباش للعين بالمعاينة والتّدقيق. كذلك التّكتل بالكاف لا يسمح للظاء بالظّهور، ولا للطّاء المنتفخة بالتّنفيس. والصّاد معارضة الظهور كما الضّاد، والانتفاخ مقاوم للضاد. وعند الأسنان، سين الهيمنة تمنع بروز الزّاء وانتشار الشّين، ولا تسمح للثّاء بالتكاثر. وحيث البروز أناني المظهر المادّي، فلا يجاوره ما لا يتيح له الظّهور، أو قد يستر حركته. وفي عقدة اللّسان أو مستدقّه وأسلته، تجد الرّاء إحراجاً فلا تقربه، ولا هو بقادر على ملاحقة تكرارها. لهذا نبيّن في الجدول التّالي التنافر بين الحروف في تكوين اللّفظ، كما سيتبيّن تفصيلاً في الباب السّادس عند تطبيق دلالة كلّ حرف.

حروف			
لا تلتقي مطلقاً		لا تقبل أن يلتحق بها حرف ءَاخر	
ب- ف	ب-م	ج (ق، ك)	ح (ء، هـ، ع، خ، غ)
ج- ق	هـ- ح	هـ (ح، خ، غ)	ز (س، ص، ش، ظ، ذ، ض)
هـ- غ	هـ- خ	د (ت، ذ، ض، ط)	ط (ظ، ذ، ص، ض، ك)
ز- ذ	ز- ض	ك (ق، ج، ط)	ذ (د، ز، س، ش، ص، ض، ط، ت، ظ، ث، غ)
ح - خ	ح- غ	م (ب، ف)	خ (ء، هـ، ح، غ، ك)
س- ذ	س- ز	ع (ح، خ، غ)	س (ث، ص، ز، ذ، ش، ض)
س- ص	م-ب	ف (ب)	ص (س، ز، ش، ث، ذ، ط، ظ، ض)
ع- غ	ع- ح	ر (ظ، ل)	ث (ذ، ز، ش، س، ص، ض، ظ)
ص- ز	ص- ج	ش (ض)	ت (د، ز، ص، ض، ظ)
ظ- ث	ذ- ث	ق (ك، ج، ظ، غ)	ض (ت، ث، ظ، ز، ش، س، ك، ق)
ز- ظ	خ- غ	ن (ر)	غ (ء، هـ، ج، ح، خ، ع، ق، ظ، ك)
	ذ - ط	ل (ش، ر)	ظ (ج، ح ، ت ،ث ، خ ، د ، ذ ، ز ، ص ، ض ، ط ، ش ، س ، ك ، ق ، ع ، غ)

لمزيد من التوضيح يمكن مراجعة «**جدول اقترانات الحروف لتأليف الثنائي**» في الملحق، حيث تظهر إمكانيات التآلف والتعارض الذي يعبّر الحرف به عن فلسفته في قبول أو رفض الالتقاء بحروف أخرى.

عند مُعاينة أحرف الشّفتين، وهي الواو والباء والفاء والياء والميم، نراها تتبادل الأدوار وترنّم الحركات، وتساعد على المدّ والفصل والبَثّ والإتمام. حركة واو الشّفتين مضمومة إلى الدّاخل تظهر الحيّز المكاني. والباء تخرج الصّوت من باب ءَالة النّطق ثُمّ تعيده بالهمزة، كي تدلّ على مصدره من أقصى الحلق. والياء إذْ فتح لها الفم من شجرته، لتعود مستدركةً زمن المصدر الصّوتي بالهمزة أيضاً، لتأكيد الاستجابة. والميم استلبت واستردّت الصّوت إلى الدّاخل بزمن قياسي، حيث وفّقت بين السّالب والموجب الزّمني. إنْ أمعنّا النّظر بلفظ (فم)، يتبين لنا، وفق المعنى الحركيّ للحروف، كما توصّلت إليه استنتاجاتنا، أنّها إذ تفصل تتمّم وتكامل. هذه الحركات تسمّت بأسماء دالّة على فلسفة المعنى، فإنّ تجاورها في مخرج ءَالة النّطق، مُكرّس لإظهار وبيان ما ينطق ويرسل به، أو يؤذن للهواء بحمله والإفصاح به، لكي تُحدّد مدى وسرعة الحركة، والسّماح لها بالتّدرّج والعروج، وإلّا لَمَا سُمّيت الباء باسمها إنْ لم تكن باباً وبثقاً للهواء، والنّون وقد فتحت لها الشّفتان مظهراً للدّلالة على ما كان ويكون، والميم وقد تمّ النّطق واسترجع الصّوت حكايته. هكذا تعلن بوابة النّطق أنّ لحروف الشّفاه وظيفة الإعلان المُبوّب، والمُبرمج، زمناً ومكاناً، بتواصل واتصال، بين التّشكّل المسموح به، وفقاً لمحوري المعارج والمخارج، بإذن من الأذن السّامعة واللّسان النّاطق بالمنطق.

أمرٌ ءَاخر لاحظه كلّ من إبراهيم أنيس[١]، وصبحي الصّالح[٢]، وأشار إليه محمد توفيق أبو علي[٣]، هو الفرق في الشّحنات الصّوتية بين حرف وءَاخر، ممّا يترتب عليه اختلاف في الشّحنة الوجدانيّة المعنويّة. ففي الشّعر نرى أحياناً أنّ روح الحروف لا تناسب إيقاعها. فإن كانت لها مظاهر متماثلة في المقياس العروضي،

---

(١) أنيس، إبراهيم: **الأصوات اللّغوية**، الناشر، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها بمصر، ص. ٨-٩.

(٢) الصالح، صبحي، **دراسات في فقه اللّغة**. دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السّابعة عشرة، ٢٠٠٩م.

(٣) أبو علي، محمد توفيق: **عالم العروض ومحاولات التجديد**- دار النفائس، بيروت ص.٢٦-٢٨.

فهذا يرتّب أنْ يتجانس الإيقاع في موسيقى الشّعر بالإحساس النّفسيّ الّذي يعبّر عنه الشّاعر. إلّا أنّها تختلف في دلالتها على روح الحركة وامتزاجها بأحاسيس الشّعر وموسيقاه. فالمُتحرّك ليس مُتماثلاً. هذه الملاحظة مُهمّة في بيان أثر حركات المعارج، ودلالة التّعبير عن حقيقة وأثر الرّابط الصّوتي.

تمييز حركة الحرف

رأينا أنْ نستعين بحرف فاء الفصل لمعاينة حركة الحروف الهجائيّة فيما بينها، لغرض تمييز علاقتها في تآلفها وافتراقها، وسرعة أو بطئ خروجها، والمساعدة على معايرة وزنها المحمول، وحجم إحاطتها، وكذلك على أسلوب انطلاقها، أو اندفاعها، أو انسلالها، أو اضطراب موجات تحرّكها، إلى غير ذلك من دلالات. ذلك لعلاقة حرف الفاء ببعض الحروف، كونه من مكوّنات ودلالة ألف التّأليف. وإذ نتتبّع حركته مع بعض الحروف، يتضح لنا، مَثلاً: أنّ حركة الرّاء، في (فر، رف) منفعلة سريعة وآنيّة لحظية، ذلك أنّ حركة الرّاء آنيّة، فتتم الحركة فيها بصورةٍ أسرع بكثير من الفاء. والحاء في (فح، حف) حذرة بطيئة طويلة المدى. واللّام في (لف، فل) قصيرة حذرة. والكاف في (كف، فك) قصيرة بطيئة في جهد، وتظهر الفاء منفلتة سريعة النّبض قصيرة المدى. كما يمكن ملاحظة حركة اللّام مع الكاف في (كل، لك)، والميم في (لم، مل)، والجيم في (لج، جل)؛ إذ نجد أنّ التكتّل والإتمام والدّمج من مقوّمات اللّام. لأنّ تكتل المتآلف وإتمام النّواقص ودمج العناصر يتطلّب الحذر وعدم التّسرّع. وهو أيضاً من مُقوّمات التّأليف. لذلك يتوجّب عند مُعاينة سرعة وبطئ حركة الحرف عدم إغفال صيغ الألف، الفتحة والضّمة والكسرة والسّكون، فهي الّتي تساهم في بيان وجهتها.

يتوجّب لتوضيح ما قلناه في مُعاينة الزّمان في حركة الحرف، وتمييزها إنْ كان بادئاً أو لاحقاً في التسلسلات. نختار للمقاربة حرفي الفاء والحاء، كما يلي:

- تغيير الأوّل مع تثبيت الثّاني والثّالث: (ح-ف-ل)، (ك-ف-ل)، (غ-ف-ل).
- تغيير الوسط مع تثبيت الأوّل والثّالث: (ف-ل-ح)، (ف-ر-ح)، (ف-ض-ح).
- تغيير الثّالث مع تثبيت الأوّل والثّاني: (ف-ح-ل)، (ف-ح-ر)، (ف-ح-ش).

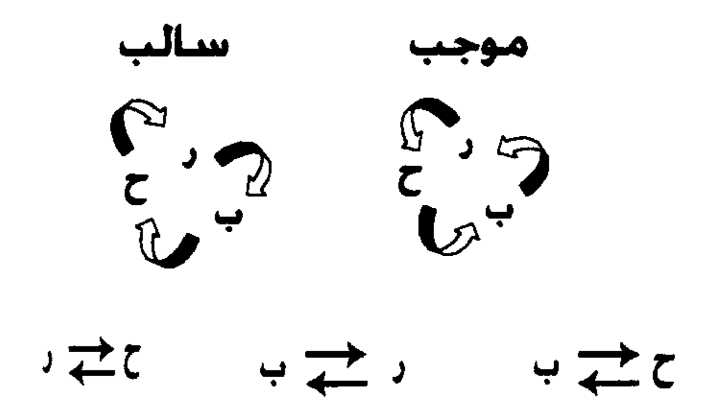
نجد أنّ زمن حركة الفاء أقصرُ ممّا هو عليه في حركة الحاء، إذ هو يمثّل حركة سريعة كما أسلفنا. وهذا منطقي، فالتعاظم الدّاخلي بالحاء ممتد وبطيء، بينما الفصل قاطع وسريع.

وعند معاينة ءَالية الاشتقاق، يتوجّب الرّجوع إلى مقايسة الاشتقاق من خلال إرجاعه إلى جدليّة التّناقض في الثّنائي أوّلا، للاستدلال على القصد الأصليّ لبناء المطلوب التأسيس عليه، وذلك بإرجاع الثّلاثيّ إلى الثّنائيّ، أي بقراءةٍ من اتجاهَيْ جدليّة الثّنائي. مثالنا على ذلك (ح-ب-ر)، فنسترشد أوّلاً بمقابلة كلٍّ من (ح-ب) مع (ب-ر) في حالة ما تكون الحركة باتجاه إيجابيّ، وننظر إليها كذلك في عكس حركتها كما في (ب-ح) و(ر-ب)، ثُمّ نقابل (ح-ب) مع (ب-ح)، وكذلك (ب-ر) مع (ر-ب)، معيدين تأسيس الكَلمة إلى دور نشأة ثنائيّات الألفاظ، مستفيدين ومستخدمين قاعدة القلب، أو قَاعدة الدّوائر، حيث يختلف المعنى الاشتقاقي عند اختلاف الموقع في الدّائرة. ذلك أنّ كلّ دائرة تجتمع في وحدة أخص تكون أكثر ظهوراً في المواد الثّلاثة من الوحدة العامّة للثلاثي في مواده السّت. فوحدة الدّائرة الأولى تكون بملاحظة المعنى فيما يقوم فيه. ووحدة الدّائرة الثّانية تكون بملاحظة المتلبس بالمعنى. ذلك ما بيّنه الشّيخ العلايليّ[1]، في أنّ الوحدة العامّة هي المعنى نفسه بعيداً عن العلائق الحسّية والمعنويّة، من مراحل نشوء اللّغة، وفي تبادل مواقع الحروف، يتبيّن لنا مدى التأثير والتّأثّر بينها، وكذلك التّوجّه الإيجابيّ والتوجّه السّلبيّ. وبذلك يتم تحرير معنى حركة الحرف لتحديد معنى التسلسل. لذلك نستنطق علاقة الحروف (ب-ح-ر)؛ حيث التسلسلات المحتملة، هي: (ب-ح-ر)، (ب-ر-ح)، (ر-ب-ح)، (ر-ح-ب)، (ح-ب-ر)، (ح-ر-ب). في (بحـــر) التسلسل منسجم النّشأة، أي الباء سبقت الحاء، والحاء سبقت الرّاء. فالتّوجّه منسجم للاستيعاب المتعاظم والمتكرّر. وفي (حبر)، التعاظم بالحاء أجبر الباء مكرّراً المحاولة

---

(١) العلايلي، الشيخ عبد الله ، **مُقدّمة لدرس لُغة العرب، وكيف نصنع المعجم الجديد**، دار الجديد، بيروت، ط ٢ ،١٩٩٧م ص. ٢٠٣-٢٠٧. حيث يشير في الحاشية إلى رأي الإمام الأصبهاني، وإبراهيم اليازجي في أن الأصل النشوئي القديم للّغة هي الثنائيات، وإلى انتصار الأب أنستانس الكرملي لهذا المذهب في كتاب **نشوء اللّغة العربية**، ص.٢٠٧، وكذلك ص. ٢٣٠، حيث يظهر وجه الترتيب الدّائري الذي اهتدى إليه العربي. أنظر أيضاً ص ص. ٢١٢-٢١٤، (الهامش).

مما يضمر مغالبة للواقع فيضفي مظهراً مُغايراً. وفي (رحب)، حيث التسلسل مُعاكس لترتيب نشأة حروفه، كأنّه يعكس مضمر الضّيق. في (برح)، الرّاء بعد الحاء في النّشأة، فتكرار مطلب فتح المجال الانبثاقيّ في تعاظم سلبيّ، مما يعنّي أنّ استدعاء تعاظم الحاء توَسُّعٌ فرضه تكرار الباء المنظّم. في (حرب) الباءُ نشأتُها سبقت الحاء، والرّاءُ مُجْبَرَةٌ على فتح المجال، والمعنى مخالف لإيجابيّة النّشأة. هكذا يمكن القياس مع باقي التسلسلات.



إذا تابعنا هيئة صوت الحروف، مقاربة مع حرف ءَاخر من حروف الأبجديّة، وجدنا تنافراً واضحاً بين الحاء والعين في الحركة، منشؤه المنطق العام للحركات. فالحاء تتعاظم حركتها ذاتياً إلى حدِّها الأقصى. ومن الواضح أنّ الحركة إذا كانت متناسقةً ومترابطةً داخلياً، تتعاظم بحركة الحاء فلا يبقى مبرّرٌ لعمل العين. لأنّ عملها توضيح ما هو مُبهمٌ من الحركات. معنى ذلك أنّه لا تحدث حركةٌ كلّيةٌ بالحاء، إلّا وكانت حركة العين تعمل داخلياً في الجزيئات المكوّنة لما يتعاظم، كالحياة، فالحاء متضمّنة للمعاينة أصلاً. وإذا عكسنا المقاربة بين العين والحاء، فباتّضاح الحركة بالعين، ثمّ تعاظمها بالحاء، يبدو لأوّل وهلة أنّ الحركة منطقيّةٌ وممكنةٌ. لأنّنا إذا أوضحنا حركةً خافيةً مُبهمةً وجلينا أمرها فظهرت ظهوراً كافياً، أوجدت فيها (الحاء) ضمنيّاً، مثل الحالة الأولى تماماً. لذلك لا يأتي حرف العين بعد الحاء ولا قبله في أيّ لفظة، حتّى لو جعلنا بينهما صوتاً آخراً أو اثنين. لذلك نجد في مدلول المعاينة الوضوح، وهو متضمّن الحاء، وفي مدلول الحاء التعاظم وهو كذلك متضمّن العين.

الفكرة والكَلِمَة (الوحي)[1]

الأصل في الاحتمالات المتعاقبة للأصوات أنّها أفكارٌ لحركةٍ جوهرية. فالفكرة هي عين الكَلِمَة المفردة ومعناها في قصد المتكلّم، وليست شيئاً ءاخراً غيرها. لذلك يكون الكلام ترابطاً بين الأفكار عن طريق المفردات. وترابط المفردات يعني ترابط الأفكار. وليس ثمّة مفردة تخرج منها أصوات أحرف للتعبير عن مفرداتٍ أخرى، أو للتعبير عن أفكارٍ أخرى. فالمفردة هي عبارةٌ عن فكرةٍ لنفسها فقط، ولا تعبّر عن أيّ شيءٍ سوى ذاتها. حركة المفردة في هذا التّصوّر ذاتيّةٌ، أي أنّها تتحرّك حول نفسها، وإذ ذاك فإنّها تسير بأيّ اتّجاه، كلّها دفعةً واحدةً، لتقترن بمفردةٍ أخرى من جهةٍ ما. وحينما يحدث ذلك تنتج ما لا نهاية من المركّبات المختلفة ذات الخصائص المتباينة. ومَثَلُها في ذلك مثل العنصر في الكيمياء، فهو لا يتغيّر مُطلقاً، ولكنّه يقترن بعنصرٍ ثانٍ وثالثٍ ورابعٍ.. وهكذا. فينتج من جرّاء ذلك عددٌ لا نهاية له من المركّبات. وهذا يؤكّد ما ذهبنا إليه من أنّ الكَلِمة المفردة هي مرحلة من مراحل الفعل الحركيّ. وفي قول ابن جنّي: ***«فلمّا كانت الأفعال دليلة المعاني كرّروا أقوالها، وجعلوها دليلاً على قوّة المعنى المحدَّث به، وهو تكرار الفعل»***.[2]

وفي علاقة اللّفظ بالمعنى يقول الجرجانيّ: ***«وقد علمنا أنّ أصل الفساد وسبب الآفة ذهابُهم أنّ منشأ المعاني أن تختلف عليها الصّور، وتحدث خواص ومزايا من بعد أن لا تكون، فقالوا إنّه ليس إلّا المعنى واللّفظ ولا ثالث، وإنّه إذا كان كذلك وجب إذا كان لأحد الكلامين فضيلة لا تكون للآخر، ثمّ كان الغرض من أحدهما هو الغرض من صاحبه أن يكون مرجع تلك الفضيلة إلى اللّفظ خاصّة، وأن لا يكون لها مرجع إلى المعنى. وهكذا فقد حملوا الفضيلة على اللّفظ على ظاهره،***

---

(١) تسلسل (و-ح-ي) في معجم مقاييس اللّغة: أصلٌ يدلُ على إلقاء علْمٍ في إخفاء أو غيره إلى غيرك. فالوَحْيُ: الإشارة. والوَحْي: الكتابُ والرِّسالة. وكلُ ما ألقيتَه إلى غيرك حتّى علمَهُ فهو وَحيٌ كيف كان. والوَحِيّ: السَّريع: والوَحَى: الصَّوت. وفي التنزيل: ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ النجم١٠ ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ النّحل٦٨، قال لبيد: فَمَدَافِعُ الرّيّانِ عُرِّيَ رَسْمُهَا   خَلَقاً كما ضمِنَ الوُحيَّ سِلاَمُهَا

(٢) **الخصائص**، الجزء ٢، ص. ١٥٥.

وهم يعنون نطق اللّسان وأجراس الحروف، ولكن جعلوا كالمواضع فيما بينهم أن يقولوا اللّفظ وهم يريدون الصّورة الّتي تحدث في المعنى والخاصة الّتي حدثت فيه.»[1]، وفي هذا دلالة على سرقة اللّفظ للمعنى، كما أشرنا في مكان ءاخر.

بينما الكَلمة عند الأرسوزيّ ليست بيانيّة بأجزائها، «***أي (حروفها، حركاتها، علاماتها)، بل إنّها وحدة تتفاعل فيها هذه الأجزاء تعبيراً عن المعنى الذي اختارها بدناً له.***» ليستنتج في مكان ءاخر «***فهي ككل كائن حي، ذاتٌ فرديّة خاصة تتميز عن سواها، فالذهن العربي تحقيقاً لنزعته إلى الإبداع، يجدّد صفات المسمّى بمشتقات هي كصور شعرية قد عميت عنها بصائر الدخلاء، فتلقوها مترادفات مثقلات.***»[2]

ثمّ يخلص إلى القول: «***وما الكَلمة إلّا منظومةُ ألحان يجيب بها الذّهن في وحدة من الزّمن على إلهام فكرتها.***»[3] فهو إذ ينفي دور الحرف في بنية الكَلمة، كعنصر جدليّ ومكوّن كيماويّ، كما توصّل إليه بحثنا، نجده يؤكّد تفاعل حروف الكَلمة مع قصد ومعنى الفكرة.

وعند حسن عبّاس: «***هو أنّ للكَلمة العربيّة خصائص حسّية وشعوريّة (وجدانيّة)، وقد جاءت إرثاً عن مراحل (غابيّة ثمّ زراعيّة، ثمّ رعويّة شعريّة). فتحوّل كلّ حرف من حروفها بفعل تعامله مع الأحاسيس والمشاعر الإنسانيّة طوال آلاف الأعوام، إلى وعاء من الخصائص والمعاني. فما أن يعيها القارئ أو السّامع، حتّى تشخص الأحداث والأشياء والحالات في مخيلته أو ذهنه أو وجدانه. وبذلك ينوب الحرف في العربيّة عن الكلمة وتنوب الكلمة عن الجملة، ولا رمز ولا اصطلاح. وأنّ بعض ما علق بالكلمة العربيّة عفو الفطرة في خصائص أحرفها تعبيراً عن معانيها.***»[4]

---

(١) الجرجاني، عبد القادر، **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، تصحيح الشيخ محمد عبده، ومحمد رشيد رضا، دار المعرفة بيروت، ١٩٨٢ ص. ٣٦٧-٣٦٨، بتصرف.

(٢) لمزيد من التفصيل يرجع إلى الأرسوزي، المجلد الأوّل، م. س، الصفحات: ٩٠، ١٤٢.

(٣) المرجع نفسه، ص. ٣٢١ و٥١.

(٤) عبّاس، حسن: **خصائص الحروف العربيّة**، مرجع سابق، ص. ١٧.

يفسّر عالم سُبيط النّيليّ الترادف بقوله: ***«إنّ العلاقة الحميمة بين المفردة التي اختارتها كلّ جماعة وبين الطبيعة الاجتماعيّة والمعاشيّة لها، تمثّل التّفسير العام للتّرادف بمفهومه العام. لهذا فإنّ اللّغة أدقّ مقياسٍ لمعرفة تطوّر مجتمع ما، من خلال إحصاء أو قياس مساحة ما يستعمل منها فعلاً. الجملة العربيّة القديمة جملةٌ محكمةٌ وشديدة الوقع في جرسها، حيث تنطق جميع الحروف مع حركاتها ومقاطعها. والجملة الجديدة مشذّبةٌ بما يكفي لجعل أيّة مفردةٍ قديمةٍ تدخلها بنفس صورتها الأولى، تبدو وكأنّها شيءٌ غريبٌ فيها. فإزالة حركةٍ من حركات كلّ مفردة، يعني إزالة مجموعة حروف في الجملة. إنّ هذه العمليّة لا تؤدّي إلى الاختصار وحسب، وإنّما إلى تغييرٍ في الأنساق الكاملة للعبارات والجُمل، بحيث يتوجّب تنظيمها مجدّداً لكي لا تتنافر، وهذا يعني أنّ اللّغة تتحوّل بالتدريج إلى لغة أخرى.»***[1]

ونرى أنّ المفردة في الأصل هي عبارةٌ عن فكرة أحاديّة الدّلالة لا تتجزّأ، ولها مدلول (معنى) قصدي ترمي إليه. ولا يحلّ محلّها أيّ بديلٍ ءَاخر من المفردات. وقد يحدث التّعبير عن المفردة بمفردةٍ أخرى، في حالة القصور عن الإحاطة اللّغويّة. ذلك لأنّنا نجهل تلك الحركة الجوهريّة في المفردة، أي أنّنا نجهل فكرة المفردة الأولى ومعناها القصدي عند انبثاقها الأوّل، وسبب ملاقاتها لقصد المعنى الحركيّ، ولا نعلم منها إلّا اتّجاهاً مُعيّناً لا يفي بما نريده من التّعبير عن الاتّجاهات الأخرى. وقد نجهل المفردة الملائمة للفكرة كلّيّاً، أي أنّها متشابهة في استعمالاتنا من غير وعي بقصد حركتها. فنضع للأفكار مفرداتٍ أُخرى نظنّ أنّها تلائمها من خلال التّشابه. وأحياناً لا ندرك أنّ المفردة تعبّر عن الفكرة ولو كانت هي نفسها، أي عن فكرة المفردة، فنعزّزها بمفردة أخرى. وكأنّ ذلك وأشباهه سيؤدّي بنا إلى الابتعاد عن جوهر المعاني للمفردات كلّياً، لولا وجود حمايةٍ ذاتيّة فيها. هذه الحماية هي الأضداد القائمة في الألفاظ ذاتها، كما بيّن محمدٌ عنبرٍ في بحثه «جدليّة الحرف العربيّ» ومثال هذا ما بيّناه حول فكرتَي (قعد وجلس)، مؤكّدين مثله على أنّ ليس في اللّغة العربيّة مترادف وإن أشبه بعضه بعضاً، ذلك أنّ معنى أيّ كَلِمة تحدّده

---

(١) عالم سُبيط النيلي، **اللّغة الموحّدة**، ص.ص. ٣٨-٤٦، بتصرف.

طبيعة حركة ومعاني الحروف المؤلّفة لها، فمعظم مفردات الشّعر الجاهليّ تصف بيئة وحركة مجتمع ذلك الزّمان، مستخدمة دلالات أدوات وظروف حياة النّاس. وهي غير ما هي عليه اليوم. لذلك هجرت تلك المفردات، ولم يعد من ضرورة لاستعادة المدلول ذهنيّاً، بل صار شبه مستحيل.

إنّنا لا نستطيع استخدام أو إنتاج أيّ تعاقب كما يحلو لنا، إذا لم يكن جارياً وفق طبيعة الأصوات من التّجاذب والتّنافر، وملائماً على نحوٍ ما، ليحلّ بديلاً عن فكرة اللّفظ الآخر. مرونةُ هذا النّظام اللّغوي تشابه مختبر التحاليل، فيه ما يدفع لإشباع الرّغبة في إجراء التجارب، من خلال استطلاع الحركة الخارجيّة لبعض التّعاقبات، كالأفعال، والّتي يمكن أن تقترن بأشياء كثيرة جداً. وحينما تأتي بصيغها الأخرى وتقترن بتلك الأشياء بطريق الخطأ، فإنّها لا تثير استغراباً أو إنكاراً، لأنّها تمدّ جسوراً إلى حركتها الخارجيّة، وتشير إليها، كما لو كانت تريد التّأكيد على هويّتها الّتي توشك أن تضيع.

يُستنتج مما سبق أنّ فكرة المفردة، أو مفردة الفكرة، هي شيءٌ واحدٌ في حقيقة الأمر. فليس ثمّة فكرة بدون إشارةٍ قصديّة كامنة فيها. والفكرة لا تسبق الإشارة، بل تلحق بها متابعة حضور وتفاعل الإنسان مع الحركة الكليّة للحياة وما تقوله له الأشياء والمعارف. فخيارنا في اختيار المفردة محدود ومحكوم بتناقض الدّال بالمدلول وفق مطابقة جدليّة مع حركة الحروف، لكي يتم ملائمة التركيب للقصد، هذا إذا علمنا خصائصها ومصدرها وصفاتها- صورةً كانت أم رائحةً أم صوت- قد نطلق عليها اسماً. بالطبع إنّنا لا نطلقه جُزافاً، بل نحاول أن نجعل الاسم ملائماً للخصائص الدّاخليّة أو الخارجيّة للشيء المَعنيّ. ولكنّ المهم هو أنّنا في هذا العمل محدودو الخيارات. وكلّما عرفنا المزيد عن الشّيء قلّت بالمقابل خياراتنا في تسميته باسم عامٍ، بينما تزداد المفردات الّتي تصف تلك الخصائص. مثالنا على ذلك مفردة هتك، وتدلّ على هتك العرض أو السّتارة. يتضح من تسلسل (هـ-ت-ك) كيف أنّ شفافيّة الهاء، واجتذابها الجهد الملائم، أوصلت إلى فضح تكتّل كاف التآلف. بينما في تسلسل (ف-ت-ك)، حيث استبدلت الهاء بفاء الفصل والتفريق، تطلّبٌ لجهدٍ أقوى يفتّت تكتل المتآلف. لذا دلّت هذه المُفردة على الشدّة بالفتك

بالعدو وبالفريسة. المفردة إذن هي عنصرٌ مستقلٌ بنفسه. وهي ليست شيئاً مُختلفاً عن الفكرة. وهي فكرةٌ محدّدةٌ. كلّ ما في الأمر هو أنّ ظهور أو انطباق هذه الفكرة في الأشياء أو عليها مختلفٌ ومتباينٌ. ولو قدّر لنا أنْ نعرف حقيقة مُفردةٍ ما لأمكننا أنْ نقول إنّها الشّيء الفلانيّ لا سواه. وفي هذا قال ابن فارس عن ثعلب، في الأسماء والمسمّيات: ***«ليس منها اسم ولا صفة إلّا ومعناه غيرُ معنى الآخر، كذلك الأفعال مثل: رقد ونام وضجع، وقعد وجلس، والرّيب والشّك.»***[1] فكلّ مفردةٍ هي كائنٌ حيٌ ولها شخصيتها المتميّزة، ولا يجوز أنْ نؤيّد القول بأنّ هذه المفردة تعني تلك في نفس اللّغة، أو في اللّغات المختلفة، برغم اختلاف الأصوات الواقعة في تسلسلهما.

إذن المفردة ليست دالّاً يشير إلى مدلولٍ خارجها. بل هي دالٌ ومدلولٌ في عين الوقت. وهذا أمرٌ هامٌ جداً، لأنّنا دوماً نفرّق بين دلالة المفردة الذّاتية وبين الشّيء الّذي تُطلقُ عليه. فالمفردة حركةٌ واحدةٌ تمثّل في جوهرها العلاقة الترابطيّة بين الأصوات المتألّفة منها، بعد أن تكون هذه الأصوات معلومة الحركة أيضاً. التسلسل يتحكّم بهذه الحركة. أمّا اللّفظ المتألّف من صوتٍ واحدٍ، فحركته هي حركة هذا الصّوت. وهذه الصّفة لا تزاحم أيّة صفةٍ أخرى. لأنّه ليس ثمّة فكرةٌ ما بدون لفظ. أي أنّنا لا نقدر على تصوّر فكرةٍ لم تتألّف لدينا أيّة مفردةٍ مناسبةٍ عنها. إذن فكلّ نقطة على المحور الأفقيّ، والّتي تمثّل فكرةً ما، أو معنىً ما، هي في حقيقة الأمر مفردةٌ أخرى. وهذا أساس التّذهين اللّغويّ، أو بكلمة أُخرى هو دمغ ونقش الدّماغ بأصوات ونقوش الحروف.

إنّ علماء اللّغة الأوائل تجشّموا مشقّة البحث عن استخدامات العرب لكلامهم وكلماتهم، لتقريب المعنى لمَن دخل في كنف الدّولة الإسلاميّة، بغرض تعلّم وفهم كلام العرب. وكان كلامهم في الأعم يُنقل مُشافهة، ويُروى شعراً أو نثراً. والمعلوم أنّ في المشافهة قدرةً على توصيل المعنى بوسائلَ غير الكلام المنطوق؛ إذ تتحرّك العيون والأيادي والنّبرات الصّوتيّة فتعبّر عن المعنى مضمراً وظاهراً. كان لدخول شعوب كثيرة الإسلام، والانضواء تحت سلطة الدّولة، ما أوجب على علماء

---

(١) ابن فارس: الصاحبي في فقه اللّغة، دار الكتب العلمية بيروت، ط ٢، ٢٠٠٧م. في باب الأسماء كيف وقعت على المسميّات ص. ٥٩.

اللّغة الأوائل وضع أسس لتعليم غير العرب اللّغة الوافدة، وكيفيّة استعمال مفرداتها. لذلك نجد في المعاجم إشارات متعدّدة منها: (قالت العرب)، و(سمعنا من أعرابي)، وهذه الكلمة تلفظ بلغة تميم، هكذا، وبلغة قريش هكذا، إلى ءَاخر ما توصّلوا إليه من استقصاء في الألفاظ واستعمالاتها. وهناك من شافه أعراب البادية، لتدوين ما سمعَ ووصف استعمالاته. لكن ما غاب عن هذه الأبحاث هو بيان المعنى، أي سبب وقصد استخدام اللّفظة وتباين مدلولها مقارنة بألفاظ متقاربة. ربّما أنّ الأمر لم يكن آنئذ مُلحّاً، لذلك جعلت المعاجم للمفردة معانٍ متعدّدة، لم تصف سبب استخدام اللّفظة، وإنّما ذكرت ما قيل عن كيف جرى الاستخدام. ممّا فرض وصف الاستعمال وصفاً شاملاً بما لا يقلّ عن عبارةٍ كاملةٍ لكلّ مفردة. وهذا يعني أنّه ساوي بين مجموعة مفرداتٍ ومفردةٍ واحدة في المعنى القصديّ. ولئن كان إدراك كيفيّة استعمال اللّفظة ينطوي ضمناً على السّبب، إلّا أنّه لا يفسره ولا يعلن عنه، مما جعل تداخلاً في المخاطبة باللّسان العربي، وحيرة لمن يسعى لتعلّمها؛ والسّبب تعدّد المفردات الّتي تتقارب في الكيفيّة ولا تتفق في الأسباب. وسيبيّن لنا فيما بعد، المعنى الحركيّ سبب ومبرّر تكوّن المفردة، عند معالجتنا مقاربته مع المعنى المُعجميّ، وليس مجرّد استخدامها ومصطلح معناها. ولأنّنا ندرك أنّ اللّغة قد خُرّبت، إلى حد أصبح معه هذا التّخريج حلقةً من حلقات تخريب القيم والمفاهيم. لذلك صار لزاماً تقصّي سبب استعمال المفردة اللّغويّة، كي نَصفَ ونُنصفَ نُطقَ ومنطق لغتنا. وأمثلتنا على ذلك:

١. في مسمّيات الحيوان الواحد:

- مفردة (جمل)[1] الّتي تطلق على الحيوان الملازم للبدويّ في تجواله وترحاله عبر الصحراء، قد وردت في إنجيل متّى الإصحاح التاسع عشر: ***«وأقول لكم أيضاً إنّ مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غنيٌّ إلى ملكوت الله»***. وفي التّنزيل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي

---

(١) تسلسل (ج-م-ل) وفق المعنى الحركي، تفيد: دمج متكامل بالنّواقص مع تلاحم المكوّنات، انظر: باب الجيم.

﴿الْمُجْرِمِينَ﴾ الأعراف ٤٠. فهل المقصود في الأناجيل وفي التّنزيل دخول هذا الحيوان ثقب الإبرة؟ ولماذا لم يستخدم مسمّىً ءَاخر من أسمائه الكثيرة الّتي لا تعدّ ولا تحصى؟ جذر لفظة (جمل) تستخدم في المعاجم أيضاً للدّلالة على البيع بالجملة، والجملة المفيدة، والجمال، والإجمال، والجُمّل هو حبل السّفينة الغليظ. تكون الدّلالة، وفق المعنى الحركيّ: هي الجمع والدّمج لتكامل المتآلف وتلاحمه. وهذا لا يكون إلّا لعناصر متعدّدة متآلفة ولوفرة من المكوّنات تلتقي لتؤلّف جملة وجمال الشّيء، كحال الحبل الغليظ الّذي يستخدم في مراسي السّفن.

- مفردة حصان: وفق الدّلالة الحركيّة لمسمّياته: الحصان[1]: هو حصن إنْ امتطيناه. وفرس[2]، إنّ لاحقنا الفريسة بواسطته. وخيل[3]، كمرور الخيال في البال، لسرعته في السّباق. وجواد[4]، لقدرته على اجتياز المسافات الطويلة وتركها دون اكتراث، كما يجود الكريم بما لديه لغيره.

٢. **في وصف الحركة:**

قام: معجميّاً، هي بمعنى نهض، ووقف. غير أنّ ما توصّلنا في بيان الفرق بين نون التكوين وميم الإتمام، يشير إليه المعنى الحركي[5]، في أنّها ليست بنفس المعنى ولا القصد في الدّلالة، بل تتمايز هذه الاستعمالات في بيان سبب وغرض تركيب حروفها. قام ليست نقيض جلس. وما استدعاء القاف للألف والميم إلّا لوجود صعاب ومشقّة في مُهمّة القاف مطلوب الفصل بقوّة

---

(١) تسلسل (ح-ص-ن) حركيا: الحاء تعاظم ذاتي والصاد التزام وترابط والنون إنشاء مستمر، وهي حال التحصن والمرابطة؛ أنظر: باب الحاء.

(٢) تسلسل (ف-ر-س) حركيا: الفاء فصل وتفريق في تكرار منظم بالراء لإنشاء حركة جديدة في مسعى للهيمنة وبسط النفوذ، أنظر: باب الفاء.

(٣) تسلس (خ-ي-ل) حركيا: الخاء إخماد الحركة والياء استمرار زمني لها واللام تلاحم وتوصيل الإخماد إلى نهايته، أنظر: باب الخاء.

(٤) تسلسل (ج-ا-د) حركيا: الجيم جمع ودمج والألف تعامد للزمان والمكان لإنشاء وجود والدال إندفاع قصدي، فالدمج والجمع مندفع لأبعد مدى قصدا، أنظر: باب الجيم.

(٥) تسلسل (ق-ا-م)، حيث قاف قوّة فصل الإبانة تستدعي الألف تعامد الزّمان والمكان لإنشاء وجود، وميم إكمال العمل بإتمام النّواقص، أنظر: باب القاف.

لكي تقوّم ما من شأنه أنْ ينحرف، أو من إضمار تطلّع أو مهمّة يسعى إلى إتمامه منطق الخطاب، كالقول: (قام بالمُهمّة). بينما في نهض، وفق المعنى الحركيّ[1]؛ تفيد إضمار مواجهة عبءٍ إنشائيّ مطلوبِ النّهوضُ به، كالقول: (نهض بالعبء). وفي وقَفَ حركيّاً، حيث التّموضع في حيّز مكاني مطلب دلّت عليه الواو وعيّنت القافُ بيان ما أغلق ثمّ فصلت الفاء في أمره، للتخصيص مكاناً ومحتوىً، إذ فرّق بين العناصر لكي يثبّت المكانة نهائيّاً، كالقول: (وَقْفٌ إسلاميّ)، و(وقْفُ الرّوم)، وكذلك اتّخذَ مَوْقفاً.

٣. **في التعبير عن رأي:**

نظر[2]: مُعجمياً، هو استخدام حاسّة العين، لمعاينة المنظور من خلال انعكاس الضّوء. غير أنّ مدلولها حركيّاً يفيد التحقّق من المنظور الماديّ والمعنويّ لمَا يطلب إنشاؤه وتكوينه، فيُقال: (أعاد النّظر في الأمر). بينما رأى[3]؛ تفيد ما تطّلع عليه الأفئدة أثناء نومها، وليس له علاقة بحاسّة العين. أمّا (بَصَر)[4]، ومنها البصير والبصيرة، وفقاً للمعنى الحركيّ، فتفيد: الإصرار والمتابعة لاختراق حاجز الشّك المعرفي. ويمكن متابعة ما توصّل إليه منهج هذا البحث عند معالجتنا هذه التسلسلات.

---

(١) تسلسل (نهض) حركيا: النّون تهدف إلى إنشاء مستمر انتقلت بالهاء واستدعت ضاد الالتزام، تفيد إضمار مواجهة عبء إنشائي مطلوب النّهوض به، كالقول «نهض للالتزام بالعبء» أنظر: باب النون.

(٢) تسلسل (ن-ظ-ر) حركيّاً: تفيد النّون التوجه الإنشائي والظاء الظهور، والرّاء تكرار وإعادة تكرار الإنشاء والظهور. فكأن المضمر وجود معيقات أمام المهمّة، أنظر: باب النون.

(٣) تسلسل (ر-أ-ى) حركيّاً: راء التكرار المنظم تحاول ولوج بابي الزّمان والمكان من خلال تردّد الهمزة، لتجد لها مكانا بالألف. لذلك يُقال: «تراءى له». وقد وردت في التنزيل: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾يوسف٤). فالمعنى الحركي لرأى يفيد ما تطلع عليه الأفئدة أثناء نومها، وليس له علاقة بحاسة العين وهي(الرؤيا)، ولذلك ميّز بينها وبين (الرؤية)، فالهاء التي أوصلت تكرار محاولة التموضع فاستقر جهدها تاء لتأكيد التيقن بالمشاهدة، وفي التنزيل: ﴿ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِراً عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي﴾ النمل٤٠.

(٤) تسلسل (ب-ص-ر) حركيّا: فتح المجال الانبثاقي والاستعانة بصاد التكامل والتوافق ثُمّ تكرار المحاولة مراراً هو عمل ينم عن إصرار ومتابعة اختراق حاجز الشّك المعرفي. ﴿قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ يوسف١٠٨.

الكَلِمَة في عين العقل

معلومٌ أنّ المُفسَّر لا يكون إلّا نكرة، وإلّا لما تطلّب تفسيراً. لذلك يحاكم العقل النَفْس قبل التّفوّه، متسائلاً عن مبرّر النّطق وسبب انتقاء اللّفظة. كلُ حرف هو في معيار العقل بحسبان، فما من حرف أو نطق إلّا وهو باطن لظاهر، وإجابة أو توضيح لسؤال، أو نفي ورفض لقرار. وهذا يعني، أنّ حركة الكلمات والألفاظ والأحرف هي كموجات تردّدها بين الظاهر والباطن حول محور أفقي، هو حركة التّفاعل مع الكون والحياة والاستجابة أو الرّفض لجدليّة هذه الحركة، وانعكاس للموقف من كلّ مكوّن في وقت حدوثه، أو الاستشعار بملامسته ذهناً أو فعلاً، ومثالنا:

أوّلاً: في الكلمات:

- **فوز**، ضمنياً في عين العقل، تعني وجود منافسة. وفي عين الظّاهر، توجُهٌ لكسب رهان السّبق. فعين العقل أوحت بما يفرض حركةً في السّعي، لذلك فاء الفصل والتفريق مُتجهة في تموضعها لإبراز حالة مادّيّة.
- **فشل**، في عين العقل، النّصر هو ما تضمنته موجة الحركة في باطنها، وفي الظاهر الفشل هو الوجه الآخر للحركة وهو النّصر، أو الإنجاز، فالتشعّب الذي يضمر التضليل هو المتابع لفصل التلاحم.
- **مال**، يتضمّن الميلُ مُسبقاً وجود قوى جاذبة أو منفّرة؛ فأنْ تميل إليها أو عنها يستبطن وعيَ عينِ العقل، بينما المظهر هو حركة الميل نفسها، لذلك كانت ميم الإتمام تتابع حركتَها ألفُ الزّمكان للتوصيل والإيصال.
- **عمل**، في عين العقل، هناك مطلب حركي بسبب الرّكون، فالعمل بوجهه الباطني يتضمن الخمول، الّذي كشفت عنه عين المعاينة مُحفّزة الميم للتواصل باللّام لنسج حركة جديدة. يلاحظ ما سقناه في مكان ءَاخر، عن الفرق بين عَمَلَ وفَعَلَ.

ثانياً: في الحروف الهجائية:

- **هَمَزَ**، في عين العقل، دعوة استحضار للتحرّك. فالحالة في سبات وسكون. في

حركة الهمزة السّكون كان قبل تحرّك الهواء. وهذا توجّه لدفع موجة لم تبدأ الانطلاق. دلالة همز فيها حثّ على الاستحضار للانطلاق وإتمامه بالميم ثم غبرازه بالزاء.

- الف، التّأليف في عين العقل، يعني استحضار العناصر، وفي وعي الظاهر تتطلب المؤالفة بما يتناسب مع الحاجة. وهي من حيث ما تبطن وجود خلاف، وعدم انسجام بين عدّة عناصر. وبسبب هذا التّفاوت، وضرورة استدعاء وانتخاب بعض منها لملاقاة مطلب أو موقف، يتوجّب الانتقاء للتأليف بينها.

ثالثاً: في حروف المعاني:

- لَمْ، تتضمن باطنيّاً سؤالاً عن حدثٍ تمّ في الماضي. والظّاهر هو نفي حدوث الإتمام المطلوب توفيرُ مستلزماته ومكوّناته، ولهذا استَخدمت لامُ الاتصال حرفَ الميم الّذي من دلالة اسمه الإتمام ويحتاج إلى زمن، مما يضمر الاستفسار عن سبب عدم إنجاز عمل أو جهد لم يتم إنجازه، فاللّام تفيد هنا (لا إتمام).
- لَنْ، تتضمّن باطنيّاً الاستفسار عمّا يُتوقّع أنْ يحدث في المُستقبل. وهو ضمناً مشروعٌ إنشائي مطلوبُ لتكوينه عِدّةُ مُعطيات، وظاهر التّوقّع لنْ يكون، وهذا هو سبب استخدام اللّام لنون التّكوين، بدلاً من ميم الإتمام.

خُلاصة

البدايات الأولى للمعنى المحمول في الكَلمة احتوى نقيضه في تبرير استنطاق الحدث أو الأحاسيس وإثارتها. لذلك تحدّد الكَلمة قصد المعنى، والسّياق يميّز سير حركتها. هكذا تحوّلت الكَلمة محمولاً مُعلّباً ووسيطاً مَعرفيّاً، ربّما مدّتها الحروف بما تحمله من أختام وطلاسم، فحالت دون التّفريق بين الكَلمة وحروفها، أو التمييز بين المعنى المعرفي المتجاوز تلك الحروف. هكذا اختبأ المعنى في ذاكرة الكَلمة، لا بل طبعها ودمغها بختمه في صورة مستنسخة دون تفكيكها. لذا ننصح قبل أنْ تحاصرنا المفردة بنطاقها، أو عند حفظ مفردات لغة أجنبيّة، أن نفكّك حركة الأصوات الأساسية لأحرف المفردة، ونسترجع دلالتها بأن نتعرّف على جذرها

وسبب استخدامها، لا أنْ نحفظها دون أنْ نُمعن في مُبرِّر تأليف حروفها. رأينا أيضاً كيف أنّ المفردة ليست دالاًّ يشير إلى مدلولٍ خارجها. بل هي دالٌ ومدلولٌ في عين الوقت. وهذا أمرٌ هامٌ جداً، لأنّنا دوماً نفرّق بين دلالة المفردة الذّاتية وبين الشّيء الّذي تُطلقُ عليه. فالمفردة حركةٌ واحدةٌ تمثّل في جوهرها العلاقة الترابطيّة بين الأصوات المتألّفة منها، بعد أن تكون هذه الأصوات معلومة الحركة أيضاً. التسلسل يتحكّم بهذه الحركة. أمّا اللّفظ المتألّف من صوتٍ واحدٍ، فحركته هي حركة هذا الصّوت.

الفصل الثّاني

ءَالة النّطق ومُنتجاتها

- اللّفظ والنُطق
- جدليّة الألفاظ
- الألفاظ المحكية
- اللّغة واللّسان

تمهيد

مسعانا في تسليط الضّوء على جدليّة الألفاظ ونشوء اللّهجات الخاصّة، هو لتمكين انتقاء الكلمات ومعرفة أسباب الاختيار ومنطقه ونُطقه. ومقابلة اللّفظ مع النّطق محاولة استدراج منّا لمعاينة التناقض بينهما. إنْ كان اللّفظ رمياً إلى المجهول بقصد الإبعاد والرّفض وعدم الاستساغة، فالنّطق مسعى تواصل إضماراً وقصداً، لذلك رأينا الاستعانة بدلالة المعنى الحركيّ لكلّ من اللّفظ والنّطق، لتفصح لنا عَمّا أشكل في الاستعمال، وذلك في مقاربة مع مفهوم اللّسان لغويّاً كونه أداة لكلّ منهما.

اللّفظ والنّطق

دلالة تسلسل (ل-ف-ظ) وفق حركة الحروف: اللّام وصل وتلاحم لما يمكن أن يكوّن وينسج حركةً واحدةً، والفاء فصل وتفريق الحركة إلى كافّة الاتجاهات المادّية والمعنويّة، فأظهرت الظّاء التعارض بين التوصيل والتفريق وأوضحتها. هذا التّسلسل يظهر عدم التّجانس والرّفض والإبعاد. اللّفظ في مُعجم مقاييس اللّغة: اللّام والفاء والظاء كلمةٌ صحيحة تدلُ على طرح الشّيء؛ وغالب ذلك أن يكون من الفم. ومُعجمياً أيضاً: يُقال لفَظْتُ الشّيء من فمي ألفظُه لَفْظاً رميته، وذلك الشّيء لُفاظةٌ، لَفَظ الشّيءَ وبالشّيء يَلْفظُ لَفْظاً فهو مَلْفُوظ ولَفيظ رمى، والدّنيا لافظة تَلفظ بمن فيها إلى الآخرة؛ أيَ ترمي، والبحرُ يلفظ بما في جَوْفه إلى الشُطوط، فالمضمر عدم استساغة، بعد أن جرت محاولة الاستخدام. أمّا النُطْق في المعاجم: جمع نطاقٍ وهي أعراضٌ من جبال بعضها فوق بعض، ونَطَقَ الناطقُ يَنْطقُ نُطْقاً تكلّم، والمَنطق الكلام، وفي التّنزيل: ﴿ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ..﴾ النمل١٦، وتسلسل (ن-ط-ق)، وفق حركة الحروف: النّون تكوين إنشائي والطّاء استيعاب واحتواء في تضخّم، والقاف بيان فصل لما هو مُغلق، فالتسلسل يفيد قصد الإنشاء التكوينيّ المستوعب ببيان ما هو مغلق. فإن تمكّنت لفظة ما من إيصال رسائل فكريّة واضحة ودلالات معنويّة بين الأدمغة ووسائل الإدراك، صارت كلاماً بين متخاطبين؛ أي واصلت بين الجوارح فكراً وأحاسيس. هكذا أظهرت جدليّة الوجود الإنساني حركاته وعلامات تفاعل وجوده، بما صار مُدركاً لديه تأثُراً

وتأثيراً. فكلّما برزت أمام الإنسان ظاهرة أطلق عليها وصفاً مستخرجاً من مكنون حركة حروف ءَالة النّطق. أوّل استخدام لأيّة لفظة يفترض أن تتداولها الأفكار والألسن، قبل رفضها (لفظها)، فإن تمّ التّوافق بها على الدّال والمدلول لحركة الفعل وإيصاله بالصّوت للسّامع، قُبلت وتداولتها ألسن بالتّعارف والاعتراف بالمطابقة والموافقة، ثُمّ تعزّزت بالتصحيح والتصحيف، حتّى تمّ تطابقها مع المعنى الحركيّ المُستخدم بدءاً ووفقاً لمقايسات زمنها، ووعي مستخدميها، فصار المعنى كَلمَة متداولة فكراً ولساناً. والتّداول لا يكون إلّا بما له مواصفات متّفق عليها كالنّقود وغيرها.

نورد بعض ما قاله الجرجانيّ في النّظم للمعنى: «..*وأمر النّظم في أنّه ليس شيئاً غير توخّي معاني النّحو فيما بين الكَلم، وأنّك ترتّب المعاني أوّلاً في نفسك، ثمّ تحذو على ترتيبها الألفاظ في نطقك، وأنّا لو فرضنا أن تخلو الألفاظ من المعاني لم يتصور أن يجب فيها نظمٌ وترتيب، الفائدةُ في معرفة هذا الفرق أنّك إذا عرفته عرفتَ أنّ ليس الغرضُ بنظم الكلم أن توالَتْ ألفاظُها في النُطق بل أن تناسَقتْ دلالتُها وتلاقتْ مَعانيها على الوجه الذي اقتضاهُ العقلُ.. ضرورةً من حيثُ أنّ الألفاظَ إذا كانتْ أوعيةً للمعاني فإنّها لا محالةَ تتبعُ المعاني في مواقعها فإذا وجب لمعنىً أنّ يكونَ أوّلاً في النّفس وجبَ اللّفظُ الدّالُ عليه أن يكونَ مثلَه أوّلاً في النُطق.*»[1].

يرجّع الفارابيّ سبب نشوء الألفاظ إلى تركيب الحروف بعضها على بعض. وذلك لمحدوديّة الحروف الّتي جُعلت إشارات، لأنّها لم تف بالدّلالات على ما يتفق أن يكون في الضّمائر. تنشأ اللّفظة الأولى من استخدام اعتمده المخاطِب، إذ لقي قبولاً، ليخاطب به غيره، وهكذا يشيع استخدام اللّفظة. وهذا ما أسميناه لاحقاً بالمنطق، أي نَطاق الخطاب والتّواصل، لما يوفيه النّطق من توصيل المكنونات الفكريّة والحسّيّة بين المتخاطبين. فاللّفظة هي مفهوم وليست مجرّد اصطلاح. وفي هذا بيّن الفارابيّ في كتابه «الحروف»، أنّ الإنسان يتحرّك نحو الشيء الذي تكون حركته

---

(١) عبد القاهر الجرجانيّ: **نظرية النظم وقراءة الشعر** ص: ٤٧، وكذلك: **دلائل الإعجاز**، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٩٩٥، تحقيق: د محمد التنجي، ص ص.٥٦، ٢٢، ٥٨.

إليه أسهل عليه بالفطرة.. فتنهض نفسه على أن يعلم أو يفكر أو يتصور أو يتخيّل أو يعقل.. «*فالفطرة هي منطلق الإنسان مبتدئاً بالإشارة للدّلالة على ما أراد قوله، ثمّ بالتصويت، وأوّل التصويت هو النّداء، ثمّ تصويتات مختلفة للإشارة إلى المحسوسات، فيجعل لكل مشار إليه تصويتاً محدّداً لا يستعمل لغيره، والألفاظ التي تشكّل بهذه الطريقة هي اللّفظة الدّالة على معان متباينة .. حتّى تستقر الألفاظ على المعاني الّتي هي علامات لها .*»[1]

أمّا علي نجيب إبراهيم فقد توصّل إلى أنّ دور اللّفظة يظهر في كيانها الصّوتيّ المركّب والبسيط، ولذلك يصعب اعتماد تعريف دقيق لها، إذ هي في رأيه وحدة صوتيّة- لغويّة قد تُعادل الكَلمَة، وقد تكون جزءاً منها موضّحاً «*أنّ مصطلح اللّفظة لم يكن شائعاً شيوع مصطلح الكَلِمة في علوم اللّغة العربيّة. والمعتاد أنّ الكَلمة – لا اللّفظة ولا المفردة- هي نواة هذه العلوم، منها تنطلق وإليها تعود،.. مُرجعاً أنّ المادّة اللّغويّة تتألف من عناصر صوتيّة أصغر من الكَلِمة، التي هي مركّبة من مقاطع قابلة للتجزئة، مبيّناً كما توصّل إليه المتخصصون في تدقيق أقسام العبارة أو (القَوْل)؛ في أنّها ثمانية أقسام تتدرج وفق الآتي: صوت← مقطع← لفظ (وحدة لغويّة صغرى)← كَلِمة← تركيب← جملة← إيقاع (اتساق صوتيّ)← عبارة (قول). ليستنتج أنّ مصطلح اللّفظة يُعرّف قياساً إلى وحدتين صُغرَيَين: الوحدة الصوتيّة والوحدة اللّغويّة، وبهذا فهو يجسّد المادّة الّتي تشكل الوجود الظاهريّ للعمل الأدبيّ.*»[2] يذكّرنا بما قاله صبح الأعشى: «فلمّا تضمّنت الحروف الدّلالة، وقامت الألفاظُ بالعبارة، نطقت الأفواه بكل لغة، وتصرّف المنطق بكل جهة.»[3]

وفي هذا المجال يقول زكي الأرسوزيّ: «*بأنّ الكَلِمة العربيّة تتألف من صورة صوتيّة ومن خيال مرئيّ ومن معنى هو قوام تآلفها .. ممّا يجعل لكل مفهوم صورة*

---

(١) أنظر الفارابي: كتاب الحروف، ط٢، تحقيق محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، الفقرة١١٩ ص. ١٣٧.

(٢) إبراهيم، علي نجيب: جماليات اللّفظة بين السياق ونظرية النظم، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق، ط٢، ٢٠٠٤ م.،ص. ١٣-١٦، بتصرّف.

(٣) صبح الأعشى، م. س. ج ٣، ص. ١١.

حسّيّة هي منه بمثابة التعريف بالإشارة، فللذكاء مثلاً صورة حيّة في ذكاء الشّمس، ولمة الذكاء من النفس.»[1] واعتبر أنّ نمو اللّسان العربيّ يتم بتأثير متبادل بين الفكرة وعبارتها، مشيراً إلى المصادر الصّوتيّة الثّلاثة التي صاغ منها الذّهن العربيّ كلماته، وهي *«أوّلاً: أصوات الهيجان الطبيعيّة، مثل (آخ)، و(تف). وثانياً: الأصوات الّتي تحصل في الفم، كما في: (بت) و(قد). وثالثاً: الأصوات التي تحصل في الطبيعة، كما في (تر)، و(فق). مستنتجاً أنّ الذهن العربيّ سلك طريقين في صوغ الكلمات من الأصوات، وهما الإلحاق والتحويل.»*[2]

تابع إبراهيم أنيس محاولة النّحاة التفرقة بين «اللّفظ، والكَلمَة، والقول» مُبيّناً أنّ اللّفظ: *«هو عملية النّطق وكيفية صدور الصوت، .. فإذا رُبطَ بين هذه الأصوات المنطوق بها وما يمكن أن تدل عليه من معنىً، تكوّنت في رأي النّحاة الكلمة، أي أنّ الكَلمة أخصّ لأنّها لفظٌ دلّ على معنى.»*[3] نتوقّف هنا لمعرفة أنّ ما يدلّ على علاقة بين توصيل المعنى إلى الجوارح هو في الكَلْمة والكَلِم، أي بانتسابه إلى المتلقّي.

وإذا أخذنا بقول الكسائي: *«دُرس من كلام العرب الكثير»*، فهذا يعني أنّ التغيّر الّذي لازم تطوّر المجتمعات، بدّل من محيطها، واتصالها بالموجودات، فأهملت كلاماً لم يعد من مجال لمطابقته مع الواقع المستجد، فصار منبوذاً ومستودعاً خارج الاستعمال. وربّما شطب واستعيد بمدلول ءاخر حلّ محلّه. لهذا تداخل معنى اللّفظ بالكلام، ذلك أنّ اللّفظة تمر بمرحلة تقبُل واستساغة لتصير كَلْمة، متداولة ضمن نطاق فكري دلالي المعنى في حدود المتلقّي.

ويرى حسن قطريب: *«أنّ الصّوت مادّة الكلام، واللّفظة المفردة وحدة اللّغة، وأنّ الكلام ليس مَقولَ حدَثٍ مُستقل عمّا هو في موجودات محيطه .. ما دام الوجودُ، بكلّ ما فيه، مؤسّساً على هذا النّظام التفاعليّ.. مرجعاً اللّفظة المفردة، إلى نواظم*

---

(١) الأرسوزيّ زكي نجيب، **المؤلّفات الكاملة**، مرجع سابق، ص ص. ٣٢١+٥١.

(٢) الأرسوزيّ، المرجع نفسه، ص ص. ٢٠٥-٢٠٧، بتصرّف.

(٣) أنيس، إبراهيم: **دلالة الألفاظ** ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٢، ١٩٦٣، ص، ص. ٣٨،٣٩.

في تناغم الحروف، وتآلفها وأنّ خصائص الجملة اللّغويّة، مبنيّةٌ على تآلف الألفاظ والمفردات».[1]

يتّضح ممّا سبق أنّ لأصوات الكلام مراحل ثلاثاً متّصلة، لا يمكن تصوُر أحدها دون الآخر. المرحلة الأولى: صدور صوت النّطق. والثانية: مجال الانتقال، أو الانتشار في الهواء، والثالثة: السّماع واستقبال الصّوت، الّذي يتمثّل في الذّبذبات الّتي تؤثّر على طبلة أذن السّامع. ويعتمد التّواصل بين المُتكلّم والسّامع خطوات مُتتالية مترابطة، يقود بعضها إلى بعض، وفق ترتيب وقوعها كما يلي:

- ما يتفاعل في ذهن المُتكلّم، قبل وأثناء الكلام من مُؤثّرات نفسيَّة وحسابات عقليَّة أو عوامل ذاتيّة، وهو المعنى المقصود توصيلُه.
- انتقاء من مخزون الألفاظ التي استودعها في ذاكرته، ما يظن أنّه يناسب قصد المعنى، الذي يسعى لإيصاله والتبليغ عنه.
- نطق وإصدار الكلام الممثّل في أصوات ينتجها جهاز النّطق. وهي اللّفظة أو الجملة الوصفية قبل أن تصل وتتواصل نطاقاً مع السّامع.
- الموجات والذّبذبات الصّوتيّة الواقعة بين فم المُتكلّم وأُذن السّامع. وهو المجال الحيويّ.
- العمليات العضويّة الّتي يخضع لها الجهاز السّمعيّ لدى السّامع. وهي قدرة تمييز الأصوات لديه ومعايرة دلالاتها وفق مخزونه اللّغويّ والمعرفيّ.
- الأحداث النّفسيّة والعمليات الّتي تجري في ذهن السّامع عند سماعه للكلام واستقباله للموجات والذّبذبات الصّوتيّة المنقولة إليه بوساطة الهواء. وهو إسقاط وتمييز الدّلالة وفق التّذهين والذّاكرة السّمعيّة لديه.

يقول الرّافعي: *«اللّغة أوّلاً وقبل كلّ شيء، نظام من الرّموز الصّوتيّة، وتكمن قيمة أيّ رمز في الاتفاق عليه بين الأطراف الّتي تتعامل به، وقيمة الرّمز اللّغويّ*

---

(١) قطريب، حسن: مفاتيح اللّغة، بيرق للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠١٠م ص ص. ١٤٣-١٤٥، بتصرّف.

تقوم على علاقة بين متحدّث أو كاتب هو المؤثّر وبين مخاطب أو قارئ هو المتلقي»[1].

في رأينا، أنّ أساس اللّغة نُطق ومَنطق، يتوجّب المتابعة والتّدقيق في استعمالها كنطاق تواصل وجدل فكريّ. ولا يجوز إهمالها وازدراء تطويرها؛ لا كمفردات ولا كصيغ تخاطب وتفعيل الاتصال والتّواصل؛ فهي كحامل للإرث والتّراث، تطالب، من أجل استمراريّة الحضور والحضارة وعي دلالة حروفها وكلماتها، وإدراك قوانين النّطق ومنطق الكلام. هنا يدرك المتلقّي رسالة النّطق بمنطق قدرته الاستيعابيّة، وفق محتوى مخزونه المعرفي، أو تذهينه العقلي، ووفق فؤاده واستفادته مما يتوصّل إليه من احتمالات، تضمّنتها رسالة الصّوت، أي الكَلمة المنطوقة صوتاً- إن فُهِمَت، وإلّا فهي منبوذة ومُستنكَرة لفظاً. هي لذلك حسن انتقاء الكلمات ومعرفة أسباب الاختيار ومنطقه ونُطقه. وفي مقاربات الاستخدام بأكثر من لفظ للدّلالة على المعنى فيه مُغالطة، إذْ لا يمكن أن يدلّ اللّفظ إلّا على انتقاء واحد مُحدّد في محتوى النّطاق وقصد المنطق، مثال ذلك: حري، خليق، جدير. وكذلك، طمس، غمس، غطس؛ فلكلّ تسلسل من هذه نطاق واحد فقط يختلف عن غيره. هو قصدٌ مُحدّد لتوصيل المعنى الّذي أراده المتكلّم، فإن لم يكن ذا مدلول واحد وثابت خلق عند السّامع (المخاطَب) إرباكاً وعدم قدرة على التواصل والتّوصل إلى المعنى. هي فعل وجود في الوجود المطلق، يتناغم بقدر ما تتناغم مفردات ودلالات التفكير بأدواته.

قال الجاحظ في البيان والتبيين: *«وقد يستخف النّاس ألفاظاً ويستعملونها وغيرها أحق بذلك منها، ألا ترى أنّ الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلّا في موضع العقاب، أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر؟ وكذلك ذكر المطر لا تجد القرآن يلفظ به إلّا في موضع الانتقام.»*[2].

لخّص السّيوطي ما قاله الرّازيّ والشعريّ وابن فورك والإسفارينيّ وغيرهم في أنّ الألفاظ إمّا أنْ تدل على المعاني بذواتها، أو بوضع الله إيّاها، أو بوضع النّاس،

---

(١) الرافعي، مصطفى صادق: **تاريخ آداب العرب**. ص: ١٣.

(٢) الجاحظ، عمرو بن بحر: **البيان والتبيين**، تحقيق وتقديم فوزي عطوي، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت، آذار ١٩٦٨م، ص.٢٦.

مُبيّناً احتجاج عَبّاد من أنّ اللّفظ لو دلّ بالذّات لفهم كلّ واحد منهم كلّ اللّغات لعدم اختلاف الدّلالات الذّاتية، وقد أشار إلى موقف المعتزلة في قولهم: «*إنّ اللّغات لا تدل على مدلولاتها كالدّلالة العقلية؛ ولهذا المعنى يجوز اختلافها، ولو ثبت توقيفاً من جهة الله لكان ينبغي أن يخلق الله العلم بالصِّيغة، ثمّ يخلق العلم بالمدلول، ثمّ يخلق لنا العلم بجعل الصيغة دليلاً على المدلول، ولو خلق لنا العلم بصفاته لجاز أن يخلق لنا العلم بذاته، ولو خلق لنا العلم بذاته بطل التكليف، وبطلت المحنة.*»[1]

ويقول عدنان محمد سلمان، في مقاربة بين المنطق العقليّ والاعتباط، استناداً إلى ما ذكر في أسرار البلاغة، والمزهر وغيرها: «*لو كانت هناك علاقة منطقيّة بين الألفاظ وما تدل عليه من معان، لما اختلفت اللّغات، لأنّ معاني الصّور الخارجيّة والذّهنيّة متساوية عند جميع النّاس، وليس العمدة هو اللّفظ، ولكن العمدة هو المعنى النفسانيّ القائم في ذات المتكلّم، واللّفظ دليل عليه.*»[2].

وفي هذا يقول قسول ثابت: «*اللّغة جسد هائل يولد جزئياته من داخله وفي داخله كما يولّد الكبد الكريّات الحمر. إنّ الاستمرار والتواصل الصوريّ للأنساق اللّغوية في العربيّة ليست مجرّد تصوّرات يبتكرها العقل، بل هي سمات للواقع يحيلها الوعي إلى مفهومات بعدما يجرّد خصائصها بفعل قواه الذهنيّة، فالوعي اللّغويّ يلتقط ضرورة الأشياء في قلب وحدتها العضوية، ويدرك الموجودات في علائقها الدّاخليّة ممّا يعمّق ضرورتها ويؤكّد وحدتها*»[3]. وكذلك أثبت «نعوم تشومسكي» كما قال محمد حسنين هيكل في تقديم كتاب (ماذا يريد العم سام)، «*إنّ موهبة اللّغة موروثة مع سرّ الخليّة، وأنّ الإنسان يولد مستعداً للنطق بلسانه*

---

(١) السّيوطي، عبد الرحمن بن جلال الدين: المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، شرح وضبط محمد أحمد جاد المولى، على محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيّة، ١٣٢٦هـ ج ١ ص ص. ١٩-٢٠.

(٢) سلمان، عدنان محمد: دراسات في اللّغة والنّحو، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، ١٩٩١ ص (١١).

(٣) من مقالة قسول ثابت، في اللّغة والمعنى، تحقيق مخلوف سيد أحمد، الدار العربية للعلوم، ط١، ٢٠١٠م ص. ٤٥، عن محمد المنبجي الصاري، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت ط٤،ص ٤٥٦.

كما هو مستعد للنظر بعينه وللسمع بأذنه، وللإدراك بحاسة ما بين عقله وشعوره.»[1]

وقد دعا محمد عنبر إلى تحرير أصول اللّغة بكشف الجدل الّذي يحكمها وبيان مسيرته الدّيالكتيكيّة. فالمهم أوّلاً، بالنّسبة إليه، «***معرفة وظيفة وطبيعة سير الحركة في صيغة الألفاظ ومساوقة ذلك لطبيعة سير الحركة في الوجود. وإذا كان من المهم وضع اللّفظ في موضعه من الجملة، ووجود صلة رحم بينه وبين المعنى الأصل، تبيّن صلة النّسب بين اللّفظ وأمّه وأبيه وعصبه وأرحامه.***»[2] وقال محمد بوزيان: «***إنّ المنطق يدرس صيغ التفكير الصحيح وقوانينه، والتفكير يرتبط باللّغة ارتباطاً لا ينفك، فاللّغة على حدّ تعبير (ماركس)؛ هي الواقع المباشر للفكر.***»[3].

هكذا يتضح لنا أنّ النُطق قبل المنطق. المنطق من مضمرات النّطاق، فيه توجّه اختيار وانتخاب ألفاظٍ من محصّلة الاحتمالات اللاّنهائيّة لتراكيب الحروف، إنْ أمكن بواسطتها التّخاطب، بغرض وصل نطاق فكريّ أو معرفيّ دلاليّ العبارة، صارت كلاماً. فالنّطق يظهر من خلال كمّيات الحركة المتوالية بين اللّسان والشّفاه والحنجرة وحوض الفم، مكوِّنة بذلك الحرف. التّشابه في النُطق شبه المطلق بين كلّ اللّغات، يوجّهنا إلى محاولة البحث عن قاسم مشترك لمعاني أصوات الحروف.

كون ذاكرة اللّفظة لآلة النّطق هي المكوّنات المتحرّكة بالأمر الرّئيس الآتي من الدّماغ، فإنّ ذاكرتنا مدموغة، وأحياناً مُغلقة بأختامٍ ذهنيّة -أي مذهّنة-، قبل أن نعي أنّها أداة عبور للمعرفة ومجهر كشف المستور، ممّا اكتنزته وخبّأته في ثناياها الكلمات، المنطوقة والمكتوبة، وهذا ما يمثل عبئاً على حركة الإدراك في تدارك الأمر المعرفيّ وكشف المخبوء للبصيرة، والنّظر مجدّداً في معاني الأبجديّة.

---

(١) تشومسكي، نعوم: **ماذا يريد العم سام**، ترجمة عادل المعلم، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٨، ص. ٥.

(٢) عنبر، محمد: **جدلية الحرف العربي وفيزيائية الفكر والمادة**، م. س، ص. ١١٧.

(٣) غيمانوفا، الكسندرا، **علم المنطق**، ص. ٢٧، عن دراسة تجليات علاقة اللّفظ بالمعنى في الفكر اليوناني، من خطاب البنية إلى بنية الخطاب، مقالة دليل محمد بوزيان، أستاذ الفلسفة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر: **كتاب اللّغة والمعنى**، م. س. ص. ٣٦.

جدليّة الألفاظ

قدّم محمد عنبر نظريّة جديدة على غاية من الأهمّيّة، موائمة للمبدأ الّذي اعتمدناه في بيان معاني مسمّيات الحروف استناداً إلى تناقض دلالتها. ورسم من خلال جدليّة التّناقض الدّيالكتيكيّ معالم الطريق لفلسفة، تعتمد حركة الجدل في ربط جدل الكون بجدل الحروف. فهي في رأيه «***تتضمّن إعراب الطبيعة بحروف إنسانيّة***»[1]. وقد اعتمد في قراءته على مبدأ التّضاد بين اللّفظ ومقلوبه. نذكر هنا معالجته لفظة (قرأ) بمقابلة مع (أرق)، ومعيدها إلى (ق-ر) ونقيضها (ر-ق). إذ يقول: «***بعد أن نقابل الضدّ بضدّه في اللّفظ ذاته، أي نقابل (ق-ر-أ) بـ(أ-ر-ق) ونتجاوز المجازات الّتي لحقت بهما ونعود إلى الحركات الأولى الّتي يتّجه لها اللّفظ.. عندها نرجع إلى المعنى الأصل، وعندها نرى التّضاد واضحاً كالشّمس لا لُبس فيه بين (القرء) و(الرّقوء)؛ كما هو واضح بين كلّ ألفاظ هذا الحرف العربي.***» وقد اعتمد إلى استقراء المعاني المُعجميّة بالمقارنة بين (ق-ر) و(ر-ق)، ليستدل على أنّ مدلول حركة لفظ (ر-ق) يلامس مدلول لفظ (ق-ر) بتشابه يكون تامّاً، وما يميّز أحدهما عن الآخر هي إشارة السّلب في أحدهما وإشارة الإيجاب في الآخر. فيخلص إلى «***أنّ المعنى الذي يدل عليه لفظ (ق-ر) هو الشّيء الّذي بدأ يستقر وقد اتخذ سبيله في مجرى السّير نحو التجمّع. والشّيء الّذي بدأ يرق (ر-ق) اتخذ سبيله في مجرى السّير نحو التبدّد. أحدهما يستقر وكأنّه يثبت، والآخر يرق وكأنّه يزول. فالرّقة انبساطٌ والقرار تجمّع.***»[2] استناداً إلى طبيعة سير الحركة في صميم الأشياء، توضّح قراءتنا الجدليّة أنّ ضد كلّ لفظ كامنٌ فيه، مما يعني إضمار الثنائي لعكسه وجوباً، أي عندما تكون القاف في نهاية (ر-ق) وجب أن تكون نفسها في بداية (ق-ر)، يكون المبتدأ به منتهياً والمنتهي به مبتدأً في ءَان. كذلك وضّح محمد عنبر في معالجته جدليّة (ك-ت-ب) وضدها (ب-ت-ك). قائلاً: «***إن (كتب) قبل أن تخترع الكتابة كانت تعني ضمّ شيء إلى شيء وتوثيقه، بينما بتك تعني قطع وفصل ما هو متكتّل ومترابط. ومن التّناقض بين (ب-ت) الّذي يعني القطع كما بتّ الحبل***

(١) عنبر، محمد: جدلية الحرف العربي وفيزيائية الفكر والمادة، م س، ص. ١٤، بتصرف.

(٢) عنبر، محمد: جدلية الحرف العربي وفيزيائية الفكر والمادة، م. ن. س. ٢٨٩-٢٩٠، بتصرف.

وبتّ في الأمر والعلاقة، و(ت-ب) والّتي هي في تناقضها مع (ب-ت)، الّتي تفيد الاستقرار، فهي متصلة ومقابلة في نفس الوقت وكلّ منهما تدل على وجهة حركة المعنى.»[1] وإذ اشتمل البحث قراءة متأنيّة ومستفيضة في شرح وربط جدليّة الحرف واللّفظ بجدليّة الكون والحركة، فهو يضع الأساس بالعودة إلى أصل اللّفظة وأصل دلالتها، لا إلى الاستخدام المجازيّ. بقوله: ***«إنّ معرفة الأصل هي معرفة أضداد الألفاظ المتقابلة والقائمة فيها، والّتي تستوعب حركة الوجود. ولم يبق إلّا البحث عن ضدّ كلّ لفظ فيه.»***[2] وقد أشار إلى ما ذكره (برتراند رسل) في بحثه «فلسفة الذّرية المنطقيّة» حيث شرح وجهة نظره في التّشابه الشّديد القائم بين تركيب اللّغة وتركيب العالم.[3]

أكّد رمضان عبد الوهّاب[4] ما توصّلنا إليه من ارتباط نشأة المعاجم بالبحث عن معاني الألفاظ العربيّة في القُرءَان الكريم، وتفسيرها بالشّعر. وأنّ اللّغويين العرب الأقدمين استقوا مادّة معاجمهم من أفواه البدو. وكانوا يسيحون في الجزيرة العربية يسألون ويكتبون. وفي معالجة بيان معنى اللّفظة، عمد الأقدمون إلى تصنيف كلام العرب، من خلال ما استخدم من ألفاظ في وصف البيئة الحياتيّة، وقد استعانوا بآليّة استقصاء معنى اللّفظة وتحديد علاقاتها بالمسميّات المتشابهة بما سموه «الأضداد»، مستخدمين أساليب منها: الإتباع، وهي عبارة عن تأكيد الكَلمة بضم كَلمة أخرى لا معنى لها في ذاتها، غير أنّها تساويها في الصّيغة والقافيّة، مثلَ قولهم: هَنيئاً مريئاً، وكذلك لفظتي خراب ويباب. وقد أتبع العربيُ أساليب أخرى منها، أن يذكر اللّفظة، ثُمّ يفسرها بلفظة ثانية، والثانية بثالثة وهكذا... ويسمّي كلّ التفسيرات المنبثقة من لفظة واحدة بشجرة، مُستغلاً ما في اللّغة العربيّة من كلمات المشترك اللّفظي.

---

(١) المرجع نفسه، ص. ٢٨-٤٦، بتصرف.

(٢) عنبر، محمد: **جدلية الحرف العربي وفيزيائية الفكر والمادة**، م. س. ص. ٢٢-٢٧، بتصرف.

(٣) المرجع نفسه، ص. ٢٥٥.

(٤) عبد التّواب، رمضان: **فصول في فقه العربيّة**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٠م ص ص. ٢٤٥-٢٤٦، بتصرّف.

أمّا اختلاف اللّهجات بين القبائل العربيّة، في النّطق للفظ، وما يسمّى بالأضداد، فنتوخى احتكامها إلى الدّلالة الحركيّة، التي هي موضوع بحثنا. والشّاهد الحكم إليه هو التّنزيل. نستعين لبيان ذلك بمثل ما ذكره أحمد عبد التّواب الفيومي، في لفظة (الأزر): التي تأخذ معنيين متضادين، أي القوّة، والضعف. ***«الأزر بمعنى الضعف أصله الوزر بالواو، إذ الوِزْرُ الحمل الثقيل، والوِزْرُ: الذّنب، فهو يضعف صاحبه، إذ تحوّلت الواو عند بعض العرب إلى الهمزة مع احتفاظ الكلمة بمعناها، بينما (الأَزْرُ) بمعنى القوّة، الهمزة فيه أصل، يقال أَزَرَ الزَّرع إذا قَوّى بعضُه بعضاً، فالتفّ وتلاحق واشتد، وأزَرَ النبتُ الأرضَ غطّاها، ويقال: آزرت الرجلَ على فلان، أي أعنته عليه وقوّيته».***[1]

الألفاظ المحكيّة

قلنا إنّ التّبدّل حاصلٌ في الزّمان والمكان، وأنّ الدّيمومة والاستمرار هما حركةٌ ممثّلةٌ في الحروف، وأنّ اللّفظ في اللّغة هو حركةٌ متسلسلةٌ، وهي عين الحركة الّتي تتغيّر بها الأشياء بصورةٍ دائمة ومستمرّة. وبيّنا كيف هُجرت مجموعة أصوات بكاملها، وكيف حصل تغيّرٌ في اللّسان نفسه، ونشأت دلالات فرعيّة مُتعدّدة لنفس اللّفظ، أو الإشارة إلى ذات الفكرة بدلالات متنوّعة من ألفاظٍ عدّة باللّسان عينه. وأشرنا إلى أنّ التزاوج والاختلاط، والمناخ الفكري والبيئي، والطّبيعة الاجتماعيّة والمعاشيّة، لها دور أساس في انتخاب الأصوات، وتشكيل منطق ونطاق الكلام. ولهذا يقول فرديناند دي سوسير في عدم وجود حدود طبيعيّة للهجات، «إنّه لا توجد إلا خصائص للهجات طبيعية، وإن عدد اللهجات يعادل عدد الأماكن.»[2]

وقد تضاربت الآراء حول التغيّر في اللّسان ونشوء الدّلالات الفرعيّة أو المتعدّدة لنفس اللّفظ، في محاولة الإجابة على السّؤال المُحيّر: كيف يدل اللّفظ الواحد على معنيين متضادين؟ تلمّس بعض لغويّي العرب الأصول الأوّلية لكثير من

---

(١) البيّومي، أحمد عبد التّواب: **الأضداد في اللّغة العربية**، دراسة صوتية، كلية اللّغة العربية بالقاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٩١م، ص ص. ١٥-١٦.

(٢) سوسير، فرديناند، **محاضرات في علم اللّسان العام**، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق- المغرب، الدّار البيضاء، ٢٠٠٨م. ص. ٢٩٨.

ألفاظ الأضداد، في محاولة لتطويعها على ضوء وأسس التحوّل الصّوتيّ. وهي محاولات إرجاع اللّفظ إلى الأساس عند تباين استعمال اللّهجات له. نستعين بأمثلة ممّا أورده أحمد عبد التّواب البيّومي[1]: في تسلسل (ق-ز-ع)، بمعنى أسرع، وبمعنى أبطأ، فقد ردّ المعنى (أبطأ) إلى خزع بالخاء، وهو من التخلّف والضعف والانحناء، وذلك لتحوّل الخاء في ألسنة بعض العرب إلى قاف، أمّا (قزع) فالمُقزِع السّريع الخفيف، ويمكن بذلك كشف تأثير اختلاف اللّهجات على التضارب في تفسير المعاجم لمعنى اللّفظة إن وجد.

نتوقّف كذلك مع عبد الكريم الحشّاش، لنلقي نظرة من خلال النّافذة المضيئة التي فتحها على الكنوز المخفيّة بين ثنايا الشّفاه العربيّة، فأنطقها للتداول مع سياقات ومقاربات، لكي ترينا الحياة المخفيّة لألفاظ لم تقو الأيّام ولا التّجاهل على درسها. وندلّل على ما أورده في المقدّمة: ***«وأنا على يقين أنّ رصد هذه الألفاظ الشعبيّة المتداولة في الأقطار المختلفة يعين على فهم ما استغلق من نصوص سواء في الأمثال والأشعار الجاهليّة والخطب وآيات القرآن الكريم، فقد تسمع امرأة في تونس والجزائر تحيك سجّادة يدويّة تقول: نحن ننشز هذه الزّربيّة في ثلاثة شهور، فتفسّر بيسر وسهولة قوله تعالى: ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ الغاشية١٦، وتدرك معنى: ﴿..وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً..﴾ البقرة ٢٥٩***. ليلفت النّظر بالقول: ***«إنَّ البحث في الألفاظ الشعبيّة المتداولة في لهجاتنا المحكيّة وتدوينها وتبصّرها، ضروري لتتبّع الألفاظ المنسيّة والمهملة ونفض الغبار عنها وإعادتها للاستعمال،...»***[2].

وفي رأي محمد عنبر: ***«أنّه لَمّا كانت الوجهات في الفصحى لا تزال واضحة، والألفاظ في مواطنها، ولحنُ القول فيها جارٍ على لحن الأوّلين، فإنّ التكلّم بها يوضّح المراد الّذي لا يتّضح من متكلّم بلهجة عامّيّة محلّيّة مع متكلّم بلهجة عامّيّة محلّيّة أخرى إلّا إذا توسّط بينهما متكلّم بالفصحى ولو كانا لا يعرفان غير لهجتهما***

---

(١) البيّومي، أحمد عبد التّواب: الأضداد في اللّغة العربية، م. س. ص. ٢٤٢.

(٢) الحشاش، عبد الكريم: معجم الألفاظ المحكية في البلاد العربية، مكتبة الأقصى، دمشق، ٢٠٠٧م ص. ٦٠.

المحلّية، فالفصحى بحركة الأصل إنّما هي لبقاء أثر معالمها حيّاً في الأذهان حركيّاً أصيلاً متّسقاً مع حركة الطبيعة، ومُوضّحاً القصد. وكلّ دعوة إلى العامّيّة في صورة لهجة محلّيّة قضاء على هذا الحسّ الحركي الأصيل في حرف الفصحى واصطناع حركة لا صلة لها بحركة الجدل القائم في الطبيعة.»[1]

يعزّز هذا الرّأي رصدنا لحركة مخارج وأصوات الحروف، في مواكبة تطوّر دلالة الألفاظ والتّعابير. حيث نجد في لهجات العرب تبدّلاً، أو انحرافاً، أو تسرّب اللّحن في إدراك نُطق اللّفظ الفصيح. فالهمزة تُلفظ أحياناً في قرى فلسطين حرفاً ليّناً كما في قولهم: (وخذ) بدل (أخذ)، و(سعل) بدل (سأل)، و(جراعة) بدل (جراءة)، و(امبارح) بدل (البارحة). في مصر وبلاد الشّام تلفظ (فين)، و(وين) بدل (أين)، و(بير) بدل (بئر). وتلفظ اللّام راء، كما يا (ريت)، بدل يا (ليت)، والكاف تلفظ شيناً مدمجة تاء؛ كما (تشيف) بدل (كيف)، وتلفظ النّون بدل العين، كما (انطيني) بدل (أعطني). ونجد من يحذف الألف من أوّل اللّفظة، كما في (بو) بدل (أبو)، و(بن) بدل (إبن)، و(بوي) بدل (أبي)، و(خوي) بدل (أخي). ونجد كذلك الثّاء تقلب تاءً مثل: (بعت) بدل (بعث)، و(حرت) بدل (حرث). كذلك الجيم اليمنية بدل الجيم، أو تقلب ياء كما في (ريال) بدل (رجال)، في الكويت، و(زوز) بدل (زوج) في المغرب. وأحياناً تحلّ الحاء محلّ الهمزة كما في (حأكتب) بدل (سأكتب). أمّا حرف القاف، فيقلب في نجد إلى (زاء)، كما في (مزبل) بدل (مقبل)، بينما في العراق يلفظ (مجبل)، ويقلب إلى كاف كما في (كاع) بدل (قاع). هذا عدا عن قلب أماكن حروف الكَلِمة، كما في (فحر) بدل (حفر)، و(عيلة) بدل عائلة، ونجد في الضّمائر وأسماء الإشارة والتذكير والتأنيث إحلالاً وإبدالاً، لا يسعنا هنا الإسهاب فيه.

هذه اللّهجات هي لحنٌ ناشئٌ ضمن مجموعة أو مجموعات، لها بيئتها الذّاتيّة المنغلقة على ذاتها من جهة، والمنفتحة على محيط أوسع من بيئتها من جهة أخرى، مما يسبب هذا التبديل في طريقة نطق الكَلِمة. فالخلل مُتعلّق بخلايا ءَالة النّطق وليس في اللّغة ذاتها. وهذا ما يحمل علىَ القول إنّها لهجات مستعربة في بيئة خاصّة وليست عامّة. وإذا ما تابعنا رحلات اللّفظة التاريخيّة في مناطق نفوذها

---

(١) عنبر، محمد: جدلية الحرف العربي وفيزيائية الفكر والمادة، م. س. ص ص. ١٩٨-١٩٩.

وأماكن إقامتها الدّائمة والمؤقّتة، ونظرنا في الأزياء التي ارتدتها لموائمة مناخ النّطق ونطاق التواصل، لأمكن كما فعل لويس عوض ردّ اللّفظة إلى منبتها الجغرافيّ الأوّل.[1]

اللّغة واللّسان

يفرّق الأرسوزيّ بين اللّغة واللّسان بقوله: ***«لقد خصّ العربيّ لهجته بحق بكلمة «لسان» هذه الكلمة المؤلفة من الحروف (لام وسين ونون) الرّشيقة، وأطلق على اللّهجات الساميّة كلمة «لغة» من «لغا» «يلغو» وما يتضمّن حرف الغين لما فيه من غموض وإبهام.»***[2] لئن فسّر دلالة حرف الغين فهو لم يبيّن لنا دلالة معنى تسلسل (ل-س-ن) وهي عندنا توصيلُ نُسُجٍ للهيمنة وبسط النّفوذ بقصد التكوين الإنشائيّ. فهل يمكن الاستنتاج أنّ اللّسان ينشئ بياناً ولا يموّه لفظاً؟

وفي تعريف اللّغة استدل العلاّمة الشيخ أحمد رضا[3] بما قاله كلّ من الجوهريّ، والمصباح، والرّاغب ولسان العرب، ليستنتج: ***«بعد أن كان التفاهم بالإشارات، ثمّ بالمقاطع الصّوتية القليلة، أصبح بمقاطع أكثر لحاجات أكثر. وهكذا إلى أن نمت اللّغة بنمو الإدراك وتكاثر الحاجة وكيّفت المقاطع حروفاً، أمكن حصرها، فكان منها اللّغة».*** ثمّ يستنتج أنّ أمّ اللّغات كانت بسيطة خاضعة لسنة التغيير والتبديل والاستنباط، غير مستبعد أن تكون أمّ اللّغة الصينية مثلاً هي أمّ اللّغة العربيّة، مُذكّراً بما أثبته «الماجور كوندر» في مقالة نشرتها مجلة المقتطف، أنّ الأصول في اللّغات الآريّة والسّاميّة والمغوليّة والأكديّة والمصريّة كلّها متشابهة.

اختلف المفكّرون في نشأة اللّغة، وقدأورد إبراهيم السّمرائي[4] الآراء المختلفة، ذاكراً أنّ أفلاطون كان من القائلين بأنّ اللّغة إلهام ومقدرة فطرية يكتسبها الإنسان منذ الخلق، ولا سبيل لفهم الحقيقة اللّغوية إلّا بالنّظر في الألفاظ الأولى في لغات

---

(١) أنظر: عوض، لويس، **مقدّمة في فقه اللّغة العربية**، سينا للنشر، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٣.

(٢) الأرسوزي، زكي نجيب، **المؤلّفات الكاملة**، مرجع سابق. ص.٨١-٨٢.

(٣) رضا، الشيخ أحمد (عضو المجمع اللّغوي في دمشق)، **مولد اللّغة**، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨٣م. ص. ٢٥-٢٨، بتصرف.

(٤) السّمرائي، إبراهيم، **التطوّر اللغوي التاريخي**، دار الأندلس، بيروت – لبنان، ط ٢ ، ١٩٨٣م.

عدّة. على عكس رأي أرسطو الذي رأى أنّ مجموعة بشرية في مكان ما، تواضعت وتمّ الاتفاق بينها على ألفاظ ينظمّها نظام خاص. وتساءل آخرون إن كانت اللّغة موضوعة من قبل العقل أم هي موحاة وحياً، ومنهم من ادعى إنّها مخلوق، ومنهم من قال إنّها مولود. إنّ الإجابة تبيّنُها الكلمات العربيّة الّتي لم تزل ذات جذور في الأصوات الطبيعيّة، ولم يزل الجذر مُحتفظاً بنمط نموّه نحو أداة بيانه. من خلال هذا البحث سنجد أنّ ءَالة النّطق، مخلوقة كما خُلقت جينات الإنسان. وكما تتوارث الأجيال الجينات بالولادة والتّكاثر، فالحال كذلك بالنسبة لآلة النُطق، فجيناتها هي تسلسل تراكيب الأحرف، تتوارثها الألسن. غير أنّ المولّد فيها هو الكلام المحكوم بجينات الأحرف، كما النّسل الإنساني لكل شعب يحمل نفس جينات الأجداد.

ويعتبر الأرسوزيّ أنّ الحياة قد سلكت في إنشاء (اللّغة)[1]؛ أي أداة بيانها، النّهج التالي: «*استفادت من خضوع الصّوت للإرادة، واستفادت من انتقال الصّوت عبر المكان، بحيث أصبح أداة للتفاهم والتعاون، واستعانت بحاسة البصر، ذات التلوّن الدّقيق، مقيمة التعادل بين تلوّنات هذه الحاسة وبين الصوت، متخذة من الصّوت وسيلة لجلاء المعنى.*»[2] هذا الوصف لا يجيب كلّياً عن علاقة الصّوت بالحرف ودلالة معناه، وإن كان قد استخدم في مكان ءَاخر، تفسيراً لمعنى حرف الغين بأنّ معناه يوحي بالغيبوبة، من خلال ألفاظ ابتدأت بالغين مثل: غاب، غاص، غرب.

يفرّق عالم سُبيط النّيلي بين اللّغة واللّسان، لحسم جدلٍ عقيم ءَاخرٍ حول المسألة الأصل، مصحّحاً السؤال «إن كانت لغة واحدة أم نشأت اللّغات متجاورة»، معتقداً بأنّ صيغة التّساؤل نفسها خاطئة، والصحيح في رأيه، هو السّؤال عَمّا إذا كان هناك لسانٌ واحدٌ أو ألسنٌ مُتعدّدة نشأت سويّة. وإذا كانت الصّياغة على هذا النّحو، فمن غير المنطقي القول إنّ هناك ألسُناً مُتعدّدةً، إلّا إذا اعتقدنا أنّ تأهيل الأرض بمناطقَ متباعدةٍ حدث قبل تكوّن أيّ لسانٍ، وهو اعتقادٌ غير منطقي. ويفرّق بين اللّغة واللّسان بقوله: «*إنّ اللّغة وليدة اللّسان ومتفرّعة عنه. تحمل جينات*

(١) نفضل وفق رأيه، أن تستبدل كلمة (اللّغة) بكلمة (اللّسان) لأنّ اللّغة لغو كما قال، واللّسان بيان.

(٢) الأرسوزيّ، مرجع سابق، ص. ٤٧.

الأحرف ونطقها، وأنّها النّاتج النّهائي للبناء الّذي يحدّده هذا النّظام، تماماً كما هو نظام الخلق مطلقاً. أمّا اللّسان- بالمفهوم اللّغوي- فهو يمثّل العناصر الوراثيّة الّتي يتألّف منها النّظام الصّوتي للمجموعة.. فاللّغة، والّتي هي مدى القدرة على استخدام آلة النّطق وما ينتج من استعمالات، تمثّل جزءاً من الاحتمالات اللّانهائيّة للألفاظ، الّتي استُخدمت أو تستخدم في زمن وحياة مُعيّنة. اللّسان -ونعني آلة النّطق-، مخلوق وحامل للجينات، أي الأحرف. وهو من يواكب التّغيّرات الطّارئة على هذا النّظام، ترابطاً، وأصواتاً، وتراكيبَ، ونبرات. فالألسن مُوَرِّثة اللّغة، واللّسان هو وحده القادر على تحريك آلة النّطق.» [1] لذلك يمكن القول إنّ تسمية المجموعات اللّغويّة بأسماء، استُخْرِجت من دلالة ومكوّنات بيئتها. وأنّ جذور اللّسان ونظامه أسبق من تكوّن المجموعات اللّغويّة، وله أصولٌ قديمةٌ جداً. وهذا قانون عامٌ لا يخصّ العرب وحدهم، فاللّسان، أوّلاً، ثمّ المجموعة اللّغوية، ثُمّ النّظام اللّغوي. «وقد بيّن لنا كذلك *أنّ اللّسان العربي هو لسانٌ قد حافظ للآن على النّظام الصّوتي المتكامل لآلة النّطق، وأبقى الأصول الحركيّة للأصوات على حال أفضل، بما لا يقاس من بقية الألسن. وأنّ القرآن الكريم هو النّسق الوحيد الملائم والمطابق لخصائص اللّسان العربيّ، من حيث هو نظام صوتيّ أو من حيث تركيب الوحدات البنائيّة، الّتي تتألّف من النّظام الصّوتيّ عناصراً وتراكيبَ.»*[2]

رفض الفارابيّ أن تُفهَم اللّغة من حيث هي ركامٌ من المفردات، لا بل دعا إلى فهمها بوصفها شبكة من العلاقات الدّاخليّة، أي الموضوع المركزي لفلسفة اللّغة هي كلّياتها بما يفيد اتصال المفاهيم الفلسفيّة باللّسان الطبيعيّ. بناء على ذلك، يرى طه عبد الرحمن، *«أنّ خصائص اللّغة هي عين خصائص العقل، لأنّ العقل يصوغ اللّغة على هيئته ومثاله، والعقل العربيّ مفرط الحساسية تملّك تمييز الأحداث كالتمييز بين القضم والخضم - وبين الفصم والقصم.»*[3] ويرى أنيس فريحة أنّه لا

---

(١) النّيلي عالم سبيط، اللّغة الموحّة، ص. ٥٩٢.

(٢) النّيلي، عالم سُبيط: اللّغة الموحدة، ص ص. ٢٧٣-٢٧٥، بتصرف.

(٣) طه عبد الرحمن: فقه الفلسفة، القول الفلسفي، كتاب المفهوم والتأصيل، المركز الثقافي العربي ط١، ١٩٩٩، ص ١٧٦، عن مقال لقسول ثابت: أستاذ بكلية الفلسفة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة

يجوز حصر اللّغة بأنّها أداة للعبير عن الفكر، بل هي عمليّة فيزيائيّة اجتماعيّة بسيكولوجيّة تتناول المتكلّم والمخاطب والأشياء والأحداث.[1]

واللّغة عند حسن قطريب، «*ليست أداة تعبير، بل منطوق تفاعل الإنسان ببعديه الحسّي والمعنويّ- في المحيط الحياتيّ الّذي يعيش فيه، فتأصّلت لذلك حقيقة امتلاك اللّغة مُقوّمات شخصيّة الأمّة، وخصائصها البنيويّة والاجتماعيّة.*»[2]

يقول ابن خلدون، في فصل (علم النّحو)، «*إنّ اللّغة هي عبارة المتكلّم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لسانيّ، فلا بدّ أن يصير ملكة متقرّرة في العضو الفاعل لها، وهو اللّسان، وهو في كلّ أمّة بحسب اصطلاحاتهم.*»[3]

ويقول الهاشميّ في جواهر الأدب: «*الغرض من كلام العرب الإبانة عمّا في النفس من أفكار.. ولَمّا كانت الأفكار لا تزال متجدّدة غير متناهية كانت صور الكلام المبين كذلك خاضعة لقوى الاختراع والابتداع والإنشاء والتأليف.*» [4]

رسم أمين الرّيحاني خريطة لغويّة [5] للهجات القبائل العربيّة قبل الإسلام كالحميريّة العدنانيّة والقحطانيّة، مبيّناً تأثّرها باللّغتين الحبشيّة والفارسيّة، مستعرضاً كذلك لغات ولهجات معظم القبائل العربيّة، كتميم وهذيل وأزد، وعقيل، وقريش وسائر اللّهجات العربيّة القديمة كاليمانيّة، مظهراً بدلالة اللّفظة ومجال استخدامها كيف أنّها تفاعلت وانفعلت حتّى كوّنت لها بعض الفروقات والخصائص.

الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، انظر: اللّغة والمعنى، إعداد: مخلوف سيّد أحمد، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط١، ٢٠١٠م. ص. ٤٣.

(١) فريحة، أنيس: **نظريات في اللّغة**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨١، ص. ٨.

(٢) قطريب، حسن: **مفاتيح اللّغة**، بيرق للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠١٠م ص. ٧٤، بتصرف.

(٣) ابن خلدون، **المقدّمة**، مرجع سابق، ص. ٣١٣.

(٤) الهاشمي، أحمد: **جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب**، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٦٥م ج ٢ ص. ١٤.

(٥) الريحاني، أمين ألبرت: **لغات عربية**، مسح للغات عربية في سبيل أصالة لغوية، دار الجديد، بيروت ١٩٩٤م ص ص. ٨-١١، بتصرف.

يقول عصام نور الدّين، في تقديمه لكتاب (جرجي زيدان) تاريخ اللّغة العربيّة: «*اللّغة والفكر توأمان، ولكون اللّغة مرتبطة بالحياة ومتولّدة عنها، فالفكرة تتكوّن برؤوسنا كلمات، فتنشأ اللّغة جنباً إلى جنب مع العمل.*»[1] أمّا (جرجي زيدان) فيعتبر في كتابه الأوّل (الفلسفة اللّغوية والألفاظ العربيّة) «*أنّ اللّغة اكتسابية خاضعة لناموس الارتقاء العام. وأنّ لغتنا مؤلّفة من أصول قليلة أحاديّة المقطع، معظمها مأخوذ عن محاكاة الأصوات الخارجيّة، وبعضها عن الأصوات الطبيعيّة الّتي ينطق بها الإنسان غريزيّاً*.»[2]

اللّغة كما قال عبد السلام المسدي: «*ظاهرة متشعّبة الجوانب. وهي في وجودها بناء صوتيّ لأنها في إنجازها الطبيعيّ تتحقّق بالأداء المنطوق المسموع. واللّغة أيضاً عمل فيزيولوجيّ، إذ تقوم على تدفّق عدد من أعضاء الجسم في عمل متشابك. وهي فعل نفسانيّ تستند إلى نشاط إراديّ تتحرّك بأوامر من مَلَكات عدّة، ثمّ إنها ظاهرة اجتماعية، وهي لذلك حقيقة تاريخيّة، وظاهرة عقليّة، تتلابس مع كل الظواهر الإدراكيّة لدى الإنسان*».[3] وفي تمييزه بين اللّسان والكلام يضيف عبد السّلام المسدي «*اللّسان الواحد في لهجة من لهجاته هو نفسه مُتعدّد مُتكاثر بحسب مستعمليه، لكنه يبقى متوحّداً بنظامه، أمّا الكلام فيمثل الأداء الإنجازي طبقاً للمنظومة الذهنية، ولذلك اعتبر اللّسان مُلكاً للمجتمع والكلام مُلكاً للفرد، وأنّ اللّسان نسَق مفروض على الفرد وأنّ الكلام عَقد الانتماء يمضيه الفرد مع المجموعة، ولذلك عُدّت عاهات النُّطق من ظواهر الكلام وليست من خصائص اللّسان ولا اللّغة*.»[4]

يقول محمد أحمد صالح في بحثه حول الاقتراض اللّغوي، إنّ اللّغات مخازن ومستودعات وأوعية لحضارات الشعوب، مذكّراً بما أوردته مجلة الهلال ١٩٢٨م، من

---

(١) زيدان، جرجي: **تاريخ اللّغة العربية**، خاضع لناموس الإرتقاء باعتبار أنها كائن حي نام. تقديم: عصام نور الدين، دار الحداثة، بيروت، ط ١٩٨٠م، ص ص. ٥-٦، بتصرف.

(٢) زيدان، جرجي: **الفلسفة اللّغوية والألفاظ العربية**، مطبعة الهلال، مصر، طبعة ثانية ١٩٠٤م، ص ص. ٨٦-١٠١، بتصرف.

(٣) المسدي، م. س. ص. ٨٨، بتصرف.

(٤) المسدي، م. ن. ص. ١٠٣، بتصرف.

رأي إميل زيدان «*من أنّ اللّسان العربي أصل الألسنة الأوروبيّة*». وهذا ما أكّده الأب «أنستاس الكرملي»، من «*أنّ لغتنا قد أمدّت اللّسان الإغريقيّ في العصور القديمة بألفاظ ثمّ مضى دهر فنقلت لغتنا اللّفظة اليونانيّة العربيّة الأصل وأدخلتها في مصطلحاتها كأنّها بضاعة جديدة وما هي بالجديدة*». وقد أشار إلى ما توصّل إليه الباحث محمد رشيد ناصر ذوق من أنّ: «*أصل اللّغات واحد من اللّغة العربيّة/ الآراميّة، نافياً ما يسمّى الاقتراض اللّغوي، مؤكّداً وجود لغة واحدة بلهجات متعدّدة*»[1]. ولقد أشارت «ماجدة توماس حانة» إلى ما تنبأ به «لايبنيتز» (Leibntz)، «*بأنّ لغات العالم لها أصل مشترك*».[2]، *لتستنتج «أنّ اللّغة هي نظام، حيث كلّ كلمة وكلّ تفصيل وكلّ نقطة تستحق كلّ الاعتبارات والتقديرات.*»[3] لنقول معها أنّ هذا النّظام هو كلام أخذ من الحروف نسيجاً لغوياً.

خلاصة

أفصحت لنا جدليّة الحرف بنبض الطبيعة وإيقاع توازن التناقض، كيف نميّز بين اللّفظ والنّطق، بين اللّسان واللّغة، وكيف نقيس الحاضر بمعايرة مصدره الآتي من فعل الماضي. اللّغة إذن، كما قال عالم سُبيط النّيليّ «*هي القاطرة الّتي تجرّ الحياة إلى المستقبل. والدّلالة اللّغويّة هي فكر الآخر الآتي بالضرورة بثوب لغويّ.*»[4] ففعدت من حيث المعنى والمبنى هي الإنسان في غيره والآخرين فيه. ممّا يسبّب في خلل معرفي لصعوبة استرداد الصّورة الأولى ومواءمتها مع الحاضر الماثل، والمحاصر باللُّغة منذ ولادته. يفكّر ويتخيّل ويشعر ويعبّر عن انفعالاته مع النّاس والمحيط بواسطتها. هكذا تتشكّل الذّاكرة التخاطبيّة وأداة التفكير والجدل المعرفي. أمّا الخلل في طريقة نُطق الكَلمَة وحروفها، فهو مُتعلّق بخلايا ءَالة النّطق وليس في اللّغة ذاتها، وتمثّل كذلك رحلات اللّفظة التاريخيّة في مناطق نفوذها وأماكن إقامتها

---

(١) الصالح، محمد أحمد: **الاقتراض اللّغوي بين الضرورة والانقراض**، دار كيوان، دمشق، ٢٠١١م ص ص. ٢٢-٢٣، بتصرّف.

(٢) حانه، ماجدة توماس: **اللّغة والاتصال في الخطاب متعدّد المعاني**، كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م ص. ٥٢.

(٣) المرجع نفسه، ص.٢٤.

(٤) عالم سُبيط النيلي، **اللّغة الموحّدة**، ص ص. ٣٨-٤٦، بتصرّف.

الدّائمة والمؤقّتة. كما يمكن القول أنّ اللّسان منسوب إلى الجماعة والقوم في وصف القدرة على تفعيل جدل الحروف بحركاتها، لذلك يوصف بالمُبين، بينما اللّغة مخزن ومستودع الألفاظ المنقولة بالكلمات عبر الحراك التاريخيّ للمجتمع، فتنسب إلى القوم كمحصّلة.

الفصل الثّالث

الإفصاح الاشتقاقي

- تغيّر العلامة من الماضي إلى المضارع
- الحركة العامّة للتسلسلات
- اشتقاق الاسم من قلب المعتل
- صوت الحرف المشدّد
- التردّد والصّدى الصّوتي للحروف

تمهيد

تدل جدليّة حركة الحروف على الاتجاه الحركي في الزّمان والمكان، وتفصح حروف العلّة بشكل جليّ عن هذه العلاقة، كونُها حروفاً حركيّةً. ومثالنا في الاسم (طيّ)، و(طوي)؛ سبق وقلنا إنّ حركة الياء مظهر زمان الألف. الّذي يتضمّن الواو في جميع الأحوال. بيد أنّ جدل التموضع بالواو يضمر تعارض الجاذبيّة من خلال الالتصاق بالحيّز المكانيّ فيبطئ من تحرك الزّمان، أي أنّ الزّمن في (طوّي) يحدث فيها بطيئاً جداً لملازمة المكان وجموده. فإذا قلنا: طوينا البساط طوياً، فهمنا أنّنا أخذنا للمكان والشكل اهتماماً وتميّزاً، أي فعلنا ذلك بعناية وتمهّل. على خلاف القول (طياً)، حيث الياء تُساير الجاذبيّة وتتساق معها، فقد تمّ ذلك كيفما اتفق وبسرعةٍ. أظهر لنا المثال السّابق أنّ للواو خاصيّة التّموضع المكانيّ، وتفيد بيان الظّاهر، بينما الباطن بخاصيّة الياء، الّتي هي حركة زمانيّة لا مظهر لها سوى حركتها الخفيّة.

تغيّر العلامة من الماضي إلى المضارع

سبق وأشرنا، إلى أنّ الزّمن في الفعل الماضي غير مُحدّدة بدايته، وأنّ المضارع مُحدّدٌ شاخصٌ. لذلك نستحضر صُوَر الماضي المحتملة، لاستطلاع الزّمان والمكان في حركة الحروف. لدينا مكان وزمان، أو مكان وحده، أو زمان وحده، مثال: نَصَرَ- يَنْصُرُ، فَتَحَ - يَفْتَحُ، عَلِمَ - يَعلَمُ، وذلك في تناوبٍ دلالي. أخذ الماضي الصّور الثلاث ولم يأخذ الحرف الوسطي سكوناً. لأنّ ذلك يؤدّي إلى هدم الحركة وانقسامها، بينما هي ماضيةٌ في زمنها. والتعاقب يريد وصف حصول حركة مُعيّنة فلا يمكن أن تتوقف الحركة في وسطها. والاحتمالات الثلاثة هي:

فَعَلَ: حيث استقبل الزّمان والمكان أوّل الحركة في فتحة الفاء. ثمّ استقبله ثانيةً بفتحة العين. وهذا يعني أنّ الحركة في الزّمان والمكان سويّةً، نحو: (فَتَحَ)، فالحركة في هذا التسلسل تسعى إلى ولوج بابي الوجود الذي يحمل صِفتي الزّمان والمكان.

فَعُلَ: فتحة الفاء بدلالة التعامد الزّمكانيّ. ضمَّةُ العين هي جزء من الواو، فقد تمّت إذن في وجودٍ مكانيٍ مُحدّدٍ في حيّز. بمعنى أنّ الحركة محمولة في فاعلها نحو: شَرُفَ، كرُمَ ... إلخ. لذلك، كلُ ترتيب للعلامات من هذا النّوع يكون الفعل فيه لازماً غير متعدٍ. الحركةُ هنا لا تتعدّى إلى الخارج، إذ موضوعها وحاملها هو الفاعل نفسه. والسّبب في إهمال الزّمان هو لكون الحركة زمانيّة في ذاتها. وليس معنى إهمال الزّمان هو وجود حركة في مكان من غير زمان أو العكس، عند إهمال الآخر في العلامات. وكما مثلنا أعلاه، فتسلسل (شَرُفَ) متعلّقٌ أصلاً بالزّمان لكونه مفتوحاً فلم يشرُفْ في لحظةٍ ويكون منسياً في لحظةٍ أخرى. و(كَرُمَ) لم يكن كريماً في وقت دون آخر.

فَعِلَ: مثل (عَمِلَ)[1]، هنا حصل العكس، حيث تمّ إهمال المكان لأنّ من عمل عملاً فقد حدّد موضوعه ومكانه، فتمّ ترك المعلوم والإشارة إلى الزّمان بالكسرة. وهي إشارة تريد إعطاء الدّلالة على وجود العمل مدّةً طويلةً باقيةً ما بقي موضوعه المكانيّ المعلوم.

وعلى ذلك فإنّ الصّور الثّلاثة لعلامة الحرف الثّاني يحدّدها التسلسل. حيث يحدّد تعاقُب الأصوات نوع الحركة وأهدافها واتّجاهها. وبذلك يأخذ الحرف الثاني العلامات الملائمة للحركة في الأبواب السّتة لحصول التغيّرات وهي:

- الفتحة تحوّلت إلى كسرةٍ في: ضَرَبَ - يَضْرِبُ.
- والفتحة تحوّلت إلى ضمةٍ في: نَصَرَ - يَنْصُرُ.
- والفتحة بقيت فتحةً في: فَتَحَ - يَفْتَحُ.
- والضّمة بقيت ضمّةً في: شَرُفَ - يَشْرُفُ.
- والكسرة تحوّلت إلى فتحةٍ في: عَلِمَ - يَعْلَمُ، وعَمِلَ - يَعْمَلُ.

---

(١) وفق المعنى الحركي (فَعَلَ) غير (عَمِلَ)، تدل الأولى على مقابلة الشّر، كما في التنزيل: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ الفجر٦، و﴿كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ المرسلات١٨، بينما تدلّ عَمِل على جهد الخير، ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ..﴾ البقرة٢٥، و﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ النور٣٨، وهذا لأنّ فاء الفصل والتفريق هي من وجه نسق التسلسل في فعل، بينما عين المعاينة هي التي استخدمت الميم للإتمام واللّام للتوصيل.

- والكسرة بقيت كسرةً في: حَسِبَ ـ يَحْسِبُ.

عطفاً على التفسير السّابق، نلاحظ أنّ الضّمة هي الوحيدة الّتي لم يطرأ عليها تغيير في المضارع. قلنا إنّ ظهور الحركة في حاملها، وعدم إمكانية خروجها منه، حتّم أنْ لا يحدث أيّ تغيير عند التحوّل إلى صيغة المضارع. فالعلامات المتغيّرة كما تَبَيّن الآن، سببها هو تغير زمان وقوع الحدث. فالمضارع جعل الحدث شاخصاً ولذلك أخذت الفتحة جميع الاحتمالات الممكنة باعتبارها تنطوي على الزّمان والمكان مُجتمعين. لَتُلاحَظ صور التغيرات في الأفعال التّالية:

يضرِبُ: حركة الضرب واقعةٌ على مضروبٍ معلومٍ مكاناً، مما أوجَب استخدام الكسرة في الإشارة إلى الزّمان في المضارع.

يَنْصُرُ: حركة النّصر مفهومةٌ في وقوعها على منصورٍ. وهي غير منقطعة أو متقطّعة كالضرب، فاستمرارها معلومٌ، إذن يتوجب لفت النّظر إلى المكان في المضارع الشّاخص والمتموضع عياناً، مما استوجب استخدام الضمّة، صيغة الواو.

يَفْتَحُ: حركة الفتح قد تستمر وقد تنقطع. وموضوع الفتح متغيّر هو الآخر، من فتح الأقفال إلى فتح الأبواب، فيتوجّب الإشارة إلى الزّمان والمكان في آنٍ واحدٍ، للدّلالة على الزّمان والمكان بصيغة الألف وهي الفتحة.

يَشْرُفُ: الحركة واضحة الزّمان في الماضي والحاضر وهو زمانٌ مستمرٌ داخل الحركة كما ذكرنا. لذا يتوجّب ذكر المكان في الماضي والمضارع على السّواء بصيغة الضمّة المكانيّة.

يَعْمَلُ: حركة العمل واضحة وشاخصة في المضارع من حيث المكان والزّمان، فلا تخصيص لأحدهما، بل الإتيان بهما جميعاً هو المتعيّن بصيغة الفتحة الزّمكانيّة.

يَحْسِبُ: صحيح أنّ (حَسِبَ) بنفس علامات (عَمِلَ) في الماضي، ولكن الأمر اختلف في المضارع. فالموضوع معلومٌ لكنّنا لا ندري عن الزّمان شيئاً. المُخبر لنا مثلاً بأنّ فلاناً يَحْسِبُ الأرض مسطّحةً، يكسر الحرف الثاني عامداً ليؤكّد من

خلال الحركة الدّاخلية لا من المضارع وحده، أنّ فلاناً لم يزل في الزّمان يحسِب الأرض مسطّحة.

الحركة العامة للتسلسلات

المفردة إذن ليست دالاً يشير إلى مدلولٍ خارجها، بل هي دالٌ ومدلولٌ في نفس الوقت. فالتغيّرات المرافقة لها لا تُشير إلى شيء خارج التسلسل، وإنّما تشير إلى حركته الذّاتيّة. وهذا ما تمّ بُرهانه في المقاربات السّابقة. غيرَ أنّ سلوك أحرف العلّة كأصوات، يتوجّب تمييزه عن سلوكها كروابط بنائيّة لهذه الأصوات، وهذا يتمّ من خلال متابعة احتمالات التغيّر في وسط المفردة كونه قلبها وأهمَّ جزءٍ فيها. فهو يشير إلى التغيّر في الحركة الذّاتيّة وفق قاعدة سلوك صيغها كروابط بنائيّة كما يلي: إن كانت بالكسرة، فهي ذاتيّةٌ عامّةٌ والحركة داخليّةٌ لازمةٌ بالزّمان. وإن كانت بالضّمّة؛ فهي ذاتيّةٌ خاصّةٌ، والحركة داخليّةٌ لازمةٌ بالمكان. وإن كانت بالفتحة، فالحركةُ خارجيّةٌ تفيد الزّمان والمكان، وهو المتعدّي. ولكي نميّز ذلك نتابع حركات أحرف تسلسل (ح–س–ب) التالية:

حَسِبَ: بالكسر، جُعلت للحركة علامةُ الزّمان لأنّ الكسرة هي جزء من الياء الممتدّ بامتداد الألف؛ إذن المكان مَفقود والحركة الّتي يفعلها التسلسل ستكون داخليّة ولا تخرج ولا تتجاوزه بالفاعل. حَسِبَ مُعجمياً: هي بمعنى ظنّ. حَسِبَ المُعْطَى أنّه يُعْطيه، أعطاهُ من حَيْثُ لم يَحْتَسِبْ. حَسِبْتُ أَحْسِبُ، أيْ ظَنَنْتُ.

حَسُبَ: بالضّم، والضمّة جزء من الواو الممتدّ إلى ما لا نهاية، وهي تعني المكان. وقد تمَّ إهمال الزّمان. فالحركة داخليةٌ أيضاً، ولم تتجاوز كيان الفاعل فيما يخص وجوده وذاته. وهذا يظهر في الوجود الّذي يمثله المكان. حَسُبَ بالضم حَسَباً: كان له ولآبائه شرفٌ ثابتٌ.

حَسَبَ: بالفتح، الفتحة بين الزّمان والمكان تعني استيعابهما سويّة بالحركة. الحركة إذن خارجة وواقعة على مفعول في الخارج لوجود الزّمان والمكان كما في: (حسَبَ المال: عدّهُ. حَسَبَهُ حسْبَةً أيْ حسَاباً، والحسَابُ والحسَابَةُ: عَدُّكَ الشَّيءَ وحَسَبَ الشيءَ، يَحْسُبُهُ حَسْباً وحسَاباً: عَدَّهُ)، حَسَبْتُ أَحْسُبُ منْ حَيْثُ لَمْ يَحْسُبْهُ لنَفْسِه كالقول: لِيَكُنْ عَمَلُكَ بِحَسَبِ ذَلِكَ أي على قَدْرِه وعَدَدِه.

اشتقاق الاسم من قلب المعتل بالألف إلى (ياء) أو (واو)

تُفصح حروف العلّة وصيغها، أي الفتحة والكسرة والضمّة، عن دلالة الزّمان والمكان كونها حروف حركيّة. الفعل المعتّل بالألف في وسطه أو ءاخره، تنقلب فيه الألف إلى واو أو ياء، أو إلى كليهما بحسب حركته العامّة. وذلك لغرض صياغة اسم لهذه الحركة. فإذا كانت الحركة عامّةً غير محدّدة بمكان، تأخذ صيغة الثبات الزّماني ليكون اسماً لها مثل: نَهْي من نهى، وعْي من وعى، طيٌ من طوى.. هذه أسماءٌ للحركة عامةً في الزّمان وغير محدودة بمكانٍ. فالحركة المنسوبة بالياء كاسمٍ معيّنٍ لهذا التّسلسل لا تختلف عن ياء النّسب في أداء هذا الغرض. وحيث أنّنا نستدل على الزّمان والمكان من خلال حركة الحروف، فإن كانت الحركة محدّدة بمكان، مثل: (خلا خلواً)، انقلبت الألف إلى واو لارتباط الحركة بالمكان. فالخلو محدّدٌ في مكانه بالواو. كذلك مثل: (لغى لغواً)، فإنّ اللّغو محدّد بموضوعه. وهكذا فإنّ الحركة إذا كانت عامّةً في الزّمان غير محدّدةٍ بمكانٍ، اشتُقَ لها اسم بقلب الألف إلى ياء لإيضاح زمانيّة الحركة. وإنْ كانت لا تصحّ إلّا في ظرفٍ مكاني، كان الاسم مُصاغاً من قلب الألف إلى واو. كلٌ من حركتي الياء والواو في الأصل مظهرٌ زمانيٌ ومكانٌي من مظاهر الألف المنطوي على الوجود بالصّفتين المكانيّة والزّمانيّة، فالألف زمكاني في جوهره. وإذا كانت الحركة ممكنةً على الجهتين اشتُقٌ منهما اسمان، أحدهما بالياء يفيد العموم الزّماني. والآخر بالواو يفيد العموم المكاني، كما في (دحا دحواً ودحياً)، أو (قال قولاً وقيلاً). إذا كان وسط الفعل واواً أصلاً بقي الاسم بالواو، وإذا كان ياءاً بقي الاسم بالياء؛ لأنّ وسط الحركة هو جوهرها والمعبٌر عن حقيقتها، وفيه توشك الحركة على التّكامل والظّهور مثل: (لَودَ لَوَداً، كيحَ كَيحاً، هيفَ هيفاً). إذا كان الواو أو الياء هما أوّل حرف من التّسلسل، حكماً سيعملان مثل بقية الأصوات؛ أي لا علاقة لهما بصياغة الاسم إلّا من حيث إفادته لحركته الخاصّة ضمن التّسلسل.

قد يصاغ فعلٌ جديدٌ على الاسم الزّماني أو المكاني المشتق من الألف، فيتوجّب التّفريق بين الأصل والفعل الجديد مثل: (لاح ـ لوحاً)، فيصاغ فعل مشدّد أو مخفف: (لَوحَ)، (لَوَّحَ) أو: (قال قولاً)، حيث يصاغ عليه (قوَّل)، وأيضاً: (جاع ـ

جوعاً)، يصاغ عليه: (جَوَّعَ)، ودلالة ذلك توجيه الحركة لتقع على مفعولٍ محدّدٍ مكاناً. كذلك على الاسم الّذي بالياء كما في: (بان، بيناً)، يُصاغُ عليه: (بيَّن)، و(خارَ، خيراً)، يُصاغ: (خيَّر)، دلالة توجيه الحركة لتقع على ما هو عامٌ في الزّمان غير محدّدٍ بظرفٍ مكانيٍ.

أمّا مُعتلّ الآخر مثل: (زها زهواً، ومشى مشياً)، نتساءل لماذا كان اسم الأوّل بالواو واسم الثاني بالياء رغم أنّ لفظهما واحدٌ؟ ولماذا جُعل المقصور إشارةً للياء والممدود إشارةً للواو وهو رمزٌ كتابيٌ لا علاقة له بالتفسير ولا بالنّطق؟ الجواب أنّ كلّ لفظٍ معتلّ الآخر بالألف الزّمكاني، يمكن أن يصاغ منه اسمين أحدهما بانقلاب الألف إلى (ياء)، وهو الاسم العام في كلّ زمان، والآخر بانقلاب الألف إلى (واو)، وهو اسم خاص للوقائع يفيد تحديد المكان، ولكن غالباً ما يستعمل أحدهما ويهجر الآخر. عدا ذلك هناك حركات لا تقبل إحدى الصيغتين. فالمشي مثلاً اسم عام في الزّمان وهو اسم الحركة، لا يمكن تحديده بالمكان لأنّ المشي عبارة عن خطوات وهو كثير الوقوع إلى حدٍ لا يمكن الإحاطة به، فاستُغنيَ عن صيغة الواو. وفي دحا دحواً ودحياً، اللّفظ الأوّل منهما (دحي) هو لفظٌ عام لوجود الياء الزّماني، واللّفظ الثّاني (دحوٌ) هو لفظٌ خاصٌ لوجود الواو المكاني.

أمّا معتلُ الوسط بألف الزّمكان، مثل: بان بوناً وبيناً. فالبون محدّد الوجود بالواو المكاني، فاستعمل الاسم العام في الزّمان لما هو عام في المعنى. اللّفظ (بين) يعمل عمل الظرف، للإشارة إلى ما هو فاصلٌ لوسطٍ جزئيٍ أو لمجموعتين أو لشيئين. فاستُعمل لذلك المعنى الظرفي ولم يستعمل (بون)، لأنّ الغاية هنا الإشارة إلى الفجوة والّتي هي معلومةٌ ومحدّدةٌ، فمعنى البين هو الفارق على عمومه في الزّمان، إذ المكان محددٌ. وفي التّنزيل: ﴿.. وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ..﴾ فصلت٥، و﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً..﴾ النّمل٦١. ولَمَّا أفادَ بقاءَ الحجَاب والحاجز، أفاد بقاؤهما واستمرارهما باستعمال (بين) بالياء، والياء يفيد استمرار الحركة كما هي في الزّمان. فلو جعلناه (بوناً) ـ لكان يزول ويختفي، لأنّ البون ظاهرٌ في المكان، فنقول: «بينهما بون واسع» أي مسافة. والبون الفراق للمكان. ومثال ءَاخر كان قد مرَّ علينا: «قال قولاً وقيلاً»، وفي التّنزيل استعمل القول في الوقائع المحدّدة كما في:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ فصلت٣٣، واستعمل «القيل» لإفادة الاسم العام ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْءاً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ المزمل٦، وعن قوله تعالى: ﴿وَقِيلِهِ يَارَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ الزخرف٨٨. لم يستعمل (وقوله) بل (وقيله)، فقد أفاد أنّ (القيل) صدر منه مرّةً واحدةً وحسب واستمر، فأراد جعله (قيلاً) ثابتاً ودائماً له.

صوت الحرف المشدّد

قيل إنّ الحرف المشدّد هو عبارة عن حرفين أُدغما ووُضعت الشَدَّة على المُدغم. غير أنّه، وفقاً لمعالجتنا لحركة الحروف ومعاني أصواتها لا يجوز إدغام حرفٍ مستقلٍ أصيلٍ مع آخر مثله. ءَالةُ الصّوت لم تُصمَّم لمثل هذا الأمر وهو محال في ذاته. والصّوت لا يمكن إدغامه، ولا يجوز إهمال بيان حركته. فهو يعرّفنا بغرض وجوده. وما صيغة الكتابة إلّا منظور اختزال مُرمّزٍ للحركة.

أمثلتنا على هذه الحالة استقصيناها مما بيّنه عالم سُبيط النّيليّ في قوله: *«في (عدّة)، فالدّال المشدّدة في (ع ـ دّ): لا فرق من حيث حركة الصّوت بين (عدد) و (عدّ). وتكرار صوتي الدّال واجب النّطق ومنطق الكلام. فإن أخذنا المقطع الأوّل من الفعل (عَدَدَ)، وهو: (عَدَ)، وقارناه باللفظ (عَدَّ) المشدّد، وجدنا أنّ الفرق بينهما لا يكمن في دمج حرفين في المشدّد وانفراد واحد في الأوّل، وإنّما الفرق يكمن في حركات الحرفين ومادة بنائهما فقط. إذ الأوّل حركته هكذا: ع (ءَ) ـ د (ءَ). حيث الفتحة الّتي بين قوسين مرتبطة بالصّوت ارتباط النّهاية بالأصل كما لو كانت جزءاً منه. فحرف الدّال سُكّن ثمّ ابتدأت حركةً جديدةً بفتحةٍ مهموزةٍ. والسّبب في ذلك أنّ التّسلسل نفسه حركةٌ متكاملةٌ بحرفين لا ثلاثة، فهو لا يحتاج إلى ثالث. والتّسكين يستعمل دوماً لقطع الحركة أو استئنافها نفسها من جديد إذا تحرّك ما بعدها. فصيغ الأمر تتوقّف عند السكون، لأنّ المطلوب تنفيذُ ما سبقه من الحركة.»*[1]

---

(١) النّيلي، عالم سُبيط: اللّغة الموحّدة، مرجع سابق ص. ص. ٢٦٦-٢٦٧.

التّردّد والصّدى الصّوتيّ للحروف

قانون البثّ والتّردّد والصّدى الصّوتي، والّذي سمّاه النّحاة حركات إعرابيّة (الضمّة، والفتحة، والكسرة، والسّكون) هي تعابير حركيّة بامتياز. قد سبق وصفها بالموجات الصّوتيّة وتسميتُها بالمعارج. فما هو القانون الّذي يتحكّم بالموجات ويسيّرها؟ وهل يمثّل صوت الحرف في حركته، عند دخوله على أيّ تسلسل، عنصراً يغيّر ويتفاعل معها كوحدات، أم إنّه يفكّك عناصر اللّفظ، ليصوغ تكويناً مُختلفاً؟

تعرج أيونات موجات الصّوت بتوجّهات من الحركات الإعرابيّة المذكورة، إمّا مُفَجِّرَةً، أو مُكرِّرَةً، أو مُتناغمةً، أو مُردِّدَةً إيقاعاً ترادفيّاً، أو أنّها تسكُن أو توقِّف الصّوت، لتعطي للسّامع المعاني الّتي ينشدها التّسلسل. وتوحي أنّ لكلّ حرف حدّاً ولكلّ حدّ مَطلَعاً، كذلك لكلّ حرفٍ قيمةٌ ووزنٌ صوتيّ، يماثل الوزن النّوعيّ لعناصر الطبيعة، أي المعادن والفلزّات.

هذه الأحرف الّتي نحن بصدد دراسة حركات أصواتها هي: إمّا حركات رابطة، أو حركات مؤسِّسة ومولِّدة لقيَمٍ جديدة. سنجد أنّ الصّوت البادئ هو المَعْنيّ بتوجيه حركةٍ ما تلاه، كذلك في تراتب الأدوار، كما توضح المقاربات التّالية:

أوّلاً: نستخدم اختبارياً للمُعاينة حَركةَ تسلسل الثنائي (ك-ل). كاف تكتّل الحركة مع ما يشبهها. واللّام تلاحمٌ لما يمكن أن يكون حَركة واحدة وإيصالاً لتعيين مآلها وغايتها. التسلسل عبارة عن مجموعة متشابهات متكاملة التّوجّه. هو معنى (كُلّ)، الّتي تصف ولا تطلق على المجموعات إن لم تكن مُتآلفة ومتشابهة، مثل: «كُلّ النّاس». وحركة الضمّة مظهر واو التموضع، هي مؤشّر المكان الذي يستوجبه التجمّع. الحركة هنا بطيئة متأنّية، استوجبها اختيار ترتيب المتآلفات، والتأكّد من اجتماعها في المكان. إنْ كانت الكاف بحركة الفتحة، كما في (كَلّ) يكون التوجّه زمكاني بما يفيد التعب والعجز عن متابعة تكتيل المتآلفات، وإن قُلِبَ التّسلسل يصبح (ل-ك)، في اللّفظ: (لَكّ) وقد أخذت حركة اللّام الفتحة مظهر الزّمكان، فاللّام الّتي تفيد التحام حركات، هو الحرف البادئ والمَعنيّ بتوجيه الحركة والأمر لحرف الكاف، الّذي يفيد معنى

تكتّل المتآلفات. ممّا يدل على أنّ الالتحام هو المطلوب من التّكتّل، أي أن يمتزج بحركة اللّام، مع تأكيد الإصرار من خلال الشّدّة على الكاف. الحركة هنا مُسرعةٌ جداً في تقوية بعضها بعضاً. مُعجمياً هي الخلط، ولكّ يلُكّ لكّاً، ضربه ودفعه في صدره. غير أنّه في حال إلغاء الشّدّة عن الكاف، توجّه اللّام التلاحم ليتصل بالمخاطب. كي نستنبط القانون الفيزيائي لحركة الأصوات، سنستخدم الألف الزّمكانية، مع حرفي (ك+ل) ونبادل مواقعها، لمعرفة قِيَم الأحرف ومدى التغيّرات:

أ+ك+ل: أكَلَ مُعجمياً ما يصل الجوف ممضوغاً. فالتّكتّل الملتحم ممضوغاً يتّجه إلى الجوف بأمر وتحفيز من همزة الألف الّتي حدّدت بداية التّسلسل.

ك-ل-أ: كلأ عنت مُعجمياً الرّعاية والعشب. عندما أخذت الكاف المبادرة صار التّكتّل للمتآلفات متوجّهاً بلام التّلاحم زمكانياً، أي (كل) مسترجعاً الهمزة بعد أن أوصلت الحركة لغايتها، وهو ما تتطلبه الرّعاية.

ل-ا-ك: لاكَ مُعجمياً هو أهون المضغ. عندما جرّدت لام التّلاحم مُعيّنة غاية التّكتّل في حركة زمكانيّة وجب التكتل للمتآلفات، أي المضغ للوصول إلى المعدة.

أ-ل-ك: ألَكَ مُعجمياً ألَكَ الفرسُ اللّجام في فيه يَأْلُكه: عَلَكه، والألوك والمَأْلَكة والمَأْلُكة: الرّسالة لأنها تُؤْلَك في الفم. عندما أخذت الهمزة المبادرة مُجدّداً جعلت اللّام مكلّفة أوّلا بتوجيه التّلاحم إلى غرض التّكتل بالكاف. لهذا أخذت عكس مدلول (كلأ). وفي قول المعرّي[1]:

سيموت محمودٌ ويهلكُ آلكٌ وَيَدومُ وجهُ الواحدِ الخلّاقِ

(١) أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعرّي، شاعر وفيلسوف، له مؤلفات عدّة فيها: الحكمة والفلسفة والشعر، منها اللّزوميات، وسقط الزند، عندما توفي وقف على قبره ٨٤ شاعراً يرثونه، (٣٦٣-٤٤٩هـ ٩٧٣-١٠٥٧م).

ل-ك-أ: لَكَأ مُعجمياً أقام بالمكان. وتلكّأ: أبطأ، هنا أخذت اللّام المبادرة لغرض التّلاحم وتكتّل المتآلف في الزّمان والمكان صارت الحركة بطيئة. ولهذا عكست مدلول (أكل).

ك-ا-ل: كالَ مُعجمياً وزن في البيع والشّراء. هنا التّكتل هو المُوجّه لألف الزّمكان ولام التّلاحم، فتعيّن على اللّام نقل الكتلة. إلى مآل وغاية وجهتها. هذه المنظومة الصّوتية متجانسة المدلول، ومعاكسة لحركة ودلالة (لاك).

ثانيا: تسلسل (د-ب): أظهرت حركة الدّال اندفاعاً باتّجاه مقصود والباء ظهوراً وانبثاقاً آخر للحركة. وفي مضمر كلمة ظهور نقيضها هو الخفاء، ومُضمر الانبثاق نقيضها وهو الإغلاق المحكم. فهذه حركة مجرّدةٌ ووصف لكلّ مُتحرّك يقطع مسافة ما. اندفاع حركة الدّال تسير مسرعة بتدبير مقصود إلى جهة مُحدّدة وإلى أبعد مدى بشكل مباشر. نلاحظ عندما قُلب التسلسل (ب-د) أنّ باء الانبثاق هي من حكم حركة دال الاندفاع. مُعجمياً لفظة (بد) تفيد معنى البسط والاتساع والانطلاق والرّحابة والعظَم. الانبثاق هنا حكم تحرّك الدّال لكي تدل على أفق أرحب. فدلالة (بد) معاكسة لدلالة (دب)، الّتي هي مُعاكسة لنشأة الحروف، بما يظهر الاتجاه بالسّالب؛ حيث الدّال تطالب بالتّوجه الانفتاحي دون مقوّمات أو دوافع. وإن أدخلنا صيغها مع حرف الألف صارت كما يلي:

أ-ب-د: همزة الألف تعمل على إنشاء حركة جديدة وتوجيهها والسّيطرة عليها موجّهةً الانبثاق زمنيّاً ومكانيّاً للاتصال بالدّال لكي تسرع بالدّلالة الحركيّة. ومُعجمياً: أوصلت الوحشة إلى ما لا نهاية. وتأبّدت الدّار: خلت من أهلها، وتأبّد فلان: طالت غربته. والأبد: الدّهر مُطلقاً- مدّة من الزّمن الممتد، قال مجنون ليلى[1]:

مضى لي زمانٌ لو أُخيّر بينه وبين حياتي خالداً أبدَ الدّهر

---

(١) قيس بن الملوّح بن مزاحم العامري، هام بحب ليلى وفيها جُلّ شعره، (؟-٦٨هـ، ؟-٦٨٧م).

ب-د-أ: التّسلسل يعني نشوء حركة كاملة ابتداءً لغاية ما بعد انبثاقها، فتصبح همزة الألف محكومة بمتابعة الدّال في اندفاعها بالأمر من انبثاق الباء لولوج الزّمكان. ومُعجمياً: (بدأ) الأوّل في الفعل، و(بدا): ظهر وبان.

ب-ا-د: هنا صار الانبثاق زمكانيّاً مندفعاً إلى أبعد مدى. فهو بادٍ، أي ظاهر.

د-أ-ب: اندفاع الدّال زمكانيّاً بالهمزة، تنبثق من مكمنها الباء لتعين دلالة قصد الحركة. الدّأب مُعجمياً: العادة الملازمة، والدّءوب: المبالغ بالسّير والعمل، وفي قول أبي تمّام:

دأبُ عيني البكاء والحزنُ دابي   فاتركيني وُقيتِ ما بي لما بي

أ-د-ب: هنا همزة الألف اندفعت تحفّز الدّال للاندفاع والضغط، حتّى فتحت الباء لها المجال لتجعل من تردّدها حركة إيجابيّة في قصد مُحدّد في ولوج بابي الزّمان والمكان، إذ هي تضمر تقويم الانحراف؛ فدخول الهمزة على (دب) المعاكسة للنشأة استوجب التّقويم والتّهذيب. صوت الألف البادئ في توجيه الدّال إلى قصد فتح المجال له، وفي المعاجم، الأدب: تعلّم حسن الأخلاق وما يحمد قولاً وفعلاً. والمأدبة: الدّعوة للطعام، قال المتنبّي:

فقرُ الجهولِ بلا عقلٍ إلى أدبٍ   فقرُ الحمار بلا رأسٍ إلى رسَنِ

د-ب-أ: هنا الدّال أوجب فتح المجال لولوج الزّمكان بالألف. والدّب معاكس لنشأة الحروف. فالمعنى يضمر التغطية على الانحراف. دبأ في المعاجم: غطّى عليه، فالدّلالة معاكسة لتسلسل (أ-ب-د). وفي قول أوس بن حَجَر[1]:

وأخرجَ منه القينَ أثراً كأنّه   مَدَبُّ دَبّاً سودٍ سرى وهو مُسهِلُ

---

(١) أوس بن حَجَر بن مالك التّميمي، هو زوج أم زهير بن أبي سلمى، (٩٥-٢ق.هـ. ٥٣٠-٦٢٠م).

خلاصة

قال لنا التردّد والصّدى الصّوتي ما لم تقله أصوات الحروف مُفردّة، ودلّنا على ميزان التصريف والتركيب، وءَالية الإعراب والوضوح، ثمّ بيّن ما رسم وما شكّل من رموز عبر حراك الزّمن، وأنّ ما يحدّد تعاقُب الأصوات هو نوع الحركة وأهدافها واتّجاهها. واتضّح لنا كذلك أنّ لكلّ تسلسل قصدٌ مُحدّد لتوصيل المعنى الّذي أراده المتكلّم، فإن لم يكن ذا مدلول واحد وثابت خلق عند السّامع (المخاطَب) إرباكاً وعدم قدرة على التواصل والتّوصل إلى المعنى. فكلّ تسلسل هو كيانٌ خاصٌ بذاته، وهو حركةٌ مستقلةٌ لها قواعدها الخاصّة بها، مُعلّمٌ بأصواته المرتَّبة والّتي لا تشبه مُطلقاً أيّ تسلسلٍ ءَاخرٍ، لاختلاف جدليّة حركة حروفه.

الباب الخامس

دليل ميزان الحركة الزّمكانيّة

في الحروف

الفصل الأوّل: الاشتقاقات

الفصل الثّاني: الحركات الإعرابيّة

الفصل الثّالث: الكتابة والتّنقيط

الفصل الأوّل

الاشتقاقات

- ميزان الاشتقاقات
- صفات الحركة بالفعل
- صفات مايصدر منه الفعل
- صفات ما يقع فيه الفعل
- صفات ما يقع عليه الفعل
- صفات ما يقع به الفعل

تمهيد

نستند في مسعانا لوضع ميزان لحركة الحروف الزّمكانيّة، إلى ما توصّلنا إليه في الأبواب والفصول السّابقة، كما لو أننا ننتقل من الاستقصاء الدّلاليّ إلى الحراك التداوليّ، وهذا ما يثبّت صحّة منهج الاستدلال نفسه، في البرهنة من الافتراض إلى الواقع الممارس. قلنا إنّ الّذي يحدّد الصّيغ المُختلفة في جميع الاشتقاقات، هو مظاهر الألف ومواضع دخولها على الألفاظ وتقلّبات صيغ حركاتها. ممّا أكسبت المفردة العربيّة قدراً أكبر من المرونة لمقابلة التغيّرات الهائلة، من خلال مواكبة الاحتمالات المتنوعة للعلامات، ودخول الأحرف الخاصّة بالافتعال، والطلب والتّراجع، والتّقليل والتّكثير، والتشديد. واشرنا إلى القوانين الّتي تتحكّم بها الحركة العامّة للتعاقب، وطبيعة هذه الحركة، واتجاهها وزمنها، إنْ كانت مُنقطعة أمْ متصلة، خارجة أمْ داخلة، ذاتيّة أمْ غير ذاتيّة. ءَاخذين بعين الاعتبار أيضاً، أنّ حركة الحرف في أيّ تسلسل، هي كيفٌ للحركة السّابقة وكمٌ للحركة الّتي تلحق بها. لهذا كلّه إرتأينا العبور من العام في صياغة الكَلمة إلى بيان الحراك الخاص الذي تقوله وتعرب عنه حركات حروفها.

ميزان الاشتقاقات

ذكر الشّيخ عبد الله العلايلي في مقدّمة المُعجم[1]، قاعدة لموازين الاشتقاق، باعتبارها في رأيه، تفيد التحرّك من الدّاخل، واضعاً جدولاً بالموازين لصيغ التصريف مبيّناً خصوصيّة دلالات استعمالها. وحيث أنّ الحركة ليست فقط من الدّاخل للخارج، وقد تكون بالسّالب، أو ذاتيّة، رأينا أنّ نقارب بين بعض ما أورده وبيّنه بالقواعد الّتي أوردها عالم سُبيط النيلي[2]، كي نتوصّل من خلالها، إلى فهم أعمق لحركة الحروف، الّتي هي موضوع هذا البحث. وقد اختص «فَعَلَ» بالوزن،

---

(١) العلايلي، عبد الله، **المعجم**، دار المعجم العربي ط٣، ص. ٥، كذلك **مقدمة لدرس لغة العرب، وكيف نضع المعجم الجديد**، دار الجديد، لبنان، ١٩٩٧م ص ص. ١١٤-١٥٠. بتصرف.

(٢) عالم سُبيط النيلي- مقتطف بتصرف من مبحث «**اللّغة الموحّدة**» ص ص. ٣٧١-٤١٣.

حيث يكون فيه حرف من حروف الشّفة والوسط والحلق، الّتي هي المخارج الكلّيّة،[1] لذلك ننتخب القائمة التالية، لاستخراج ميزان الحركة ومدلولاتها، وقد استعنا بـ«كتاب الصّرف»[2]، وكذلك بكتاب: «همع الهوامع في شرح جمع الجوامع»[3]، للإحاطة بالاشتقاقات الممكنة لغويّاً، كما يلي:

صفات الحركة بالفعل

- **فعِل**: وجود كسرة الياء الزّمني تحت فائه مع سكون العين، نحو: «جِسْر، قِدْر، جِذْع، فِكْر، ذِبْح، حِمْل..إلخ». الوزن الحركي هو صياغة اسم لشيء مفرد واحد في وجوده، ولكنّه مديد الأثر ومستمرّ المتابعة بحركة وصيغة الياء. وخصوصيّة الوزن عند العلايلي للدّلالة على المحدود وعلى الضّئيل النّاعم، كما: نِصْل، للنصل، ونِعْم للنّاعم، وتسمّى به البودرة. الوصف هنا تشبيهي لا حركي.
- **فَعْل**: وجود الفتحة، التي هي صيغة الألف تفيد تعامد الزّمان والمكان لإنشاء وجود على أوّله مع حركة السّكون وسطه، نحو: «ضَرْب، حَرْف، سَقْف، نَفْع، رَجْع، سَقْم، حَمْل،حَسْد، بَرْد..إلخ». وهو أحادي الشّخصية والوجود، ولكنّه في كلّ زمان ومكان عام عموماً هو على أصل الحركة، وهو يمثّل الحركة في الفعل نفسه فهو اسمُها.. وهو عند العلايليّ للدّلالة على الاتصاف بوحدة المادّة. نقولُ رَتْج للشيء فيه الغلق، إنْ كانت وحدة المادّة قائمة فيها فذلك بدلالة

---

(١) قال الرضي إنّما اختير ذلك لأنّ الغرض الأهم من وزن الكلمة معرفة حروفها الأصول وما زيد فيها من الحروف وما طرأ عليها من تغييرات بحروفها بالحركة والسّكون. ولا يطرد هذا المعنى إلّا في الفعل والأسماء المتصلة بالأفعال كاسم الفاعل واسم المفعول وباقي الصيغ المشتقة، ولما كان معنى تركيب (ف-ع-ل) مشتركا بين جميع الأفعال والأسماء المتصلة في الهيئة اللفظية فجعلوا الفاء والعين واللام في مقابلة الحروف الأصلية من الكلمة.

(٢) فرحات: جرمانوس: **كتاب بحث المطالب**، المطبعة اللبنانية- بعبدا، ١٩٠٠م.

(٣) السيوطي، جلال الدين: **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، دار الكتب العلمية، بيروت ،١٩٩٨م، مج٣، الكتاب السادس ص ص. ٢٥٥-٤٠٢.

الزّمكان. وقيل في همع الهوامع[1]: فَعَل بالفتح (وفَعِل) بالكسر حال كونهما (متعديين (فَعْلٌ) بالفتح والسّكون صحيحاً كان، كضَرَب ضرباً وجَهل جهلاً، أو مُعْتلاً: كوَعَد وعْداً وباع بيعاً، وقال قوْلاً ورَمى رَمْياً وغزا غَزْواً ووطئ وطئاً وخاف خوفاً وفني فنياً، أو مضاعِفاً كردّ رَدّاً ومسَّ مَسّاً، أو مهموزاً، ورَئِمت الدّابة ولدها رأماً.

- **فُعْل**: بضم الفاء وتسكين العين، نحو: «ضُرّ، خُسْر، حُلْم، كُرْه، سُقْم ... إلخ»؛ فهو أحادى الوجود، لكنّه محدّدٌ بمكانٍ يشير إليه لوجود الضمّة على فائه، ولا يشير إلى الزّمان لكونه مُدرك في الحركة والواقعة. خصوصيّتُهُ عند العلايلي الدّلالة على المتصف بالوحدة في لزوم طبيعي أو ءَالي، تقول: كُلد للشيء المتجمّع بعضه على بعض انجماعاً لا ينفك. يلاحظ هنا أنّ الوصف تموضعي، وأنّ العلايليّ قد بيّن حركة الكاف بما تفيد تكتّل المُتآلف، مع أنّه لم يميّزه حركيّاً في باب الكاف.

- **فَعَلٌ**: تحريك الفاء والعين بالفتحة، مثل: «حَسَدٌ، عَدَمٌ، حَسَبٌ، بَرَدٌ..إلخ». عامٌ في وجوده ومعناه للزّمان والمكان في آنٍ واحدٍ، بدلالة الفتحة ومن ثمّ التنوين.

- **فَعَلْ**: تحريك الفاء والعين بالفتحة، مثل: «حَسَد، عَدَم، بَرَد...إلخ».. عامٌ في وجوده ومعناه للزّمان والمكان في آنٍ واحدٍ، بدلالة الفتحة، خصوصيته عند العلايلي؛ الدّلالة على الاتصاف بالمادة مع توزُّع، تقول: رَعَج لذي المال الكثير الموزّع في أيدي النّاس بالتّرابي. يلاحظ أنّ حركة التّوزّع زمكانيّة.

- **فَعَلَ**: بالفتح للفاء والعين واللّام، على صيغة «فَعَلَ»، نحو: ضَرَبَ، نَهَضَ، عَمَلَ؛ فهو في جوهره اسم للحركة العامّة للفعل في الزّمان والمكان لتتابع الفتحة، وقد استخدم للدلالة على الماضي الممتد. وفَعَلَ ويطّرد (لِفَعِلَ) بالكسر (لازِماً فَعَل)

---

(١) السيوطي، جلال الدين: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، المرجع السابق ص. ٢٨٢. (وشرط ابن مالك لفَعِل) المكسور (أن يفهم عملاً بالفم) كلَقِم لقَماً وشرب شرْباً وبلع بلْماً. (ومنع ابن جودي قياسهما) أي مصدر فعل فقال: لا تدرك مصادر الفعل الثلاثي إلا بالسّماع فلا يقاس على فعل ولو عدم السماع.

بفتحتين صحيحاً كان، كَفَرِح فرحاً، أو مُعتلّا، كجَوِيَ جوىً ووَجِلَ وجلاً وعَوِرَ عوراً ورَدِيَ ردىً، أو مضاعفاً كشل شللاً (إلّا في الألوان والعيوب فَفُعْلة) بالضم مصدره المطرد كسَمِرَ سُمرة وحَمِرَ حُمرة وأدِمَ أُدمة.[1]

- **فَعُلَ**: فتح الفاء زمكانيّاً وضم العين يوضح أنّ الدّلالة في الحركة باتجاه تثبيت استمراريّة التموضع، نحو: عَبُل، كَبُر. وخصوصيّتُه عند العلايلي، على الشّيء ذي الوحدة من الوصف تكون في مُضاعفاتٍ، تقول: رَبُلَ للذي لحمه في طبقات، الوصف يظهر التّموضع.

- **فَعِل**: التّوجّه بحركة الكسرة لإضفاء الاستمرار في الزّمان لتراكم المعرفة والخبرة والمعلومة كما في: خَبِرَ، عَمِلَ، سَئِمَ. خصوصيّته عند العلايلي الدّلالة على الشّيء الذي يكون أكثر انفعالاً بالوصف، أو هو مصدر الانفعال، تقول: نَفِق لمصدر النّفوق.

- **فُعُل**: هنا التّوجّه الحركي مُتموضع في الانطلاق والقصد، لوصف ما استقر عليه الحال ماديّاً ومعنوياً، نحو: غُبُن، ظُلُم، حُزُن. خصوصيّتُه عند العلايلي الدّلالة على الشّيء المتصف بالصّفة العَجلى من المعنى على لزوم، تقول: سُبُح للمنطلق الشّديد في البحر.

- **فُعَل**: القصد تموضع حركي يأخذ بعدي الزّمكان، لابتداء التسلسل بالضّمة وجعل العين مفتوحة، نحو: دُرَر، قُبَل. وخصوصيّتُه عند العلايلي الدّلالة على الذي يأتي الوصفَ من أخفى وجوهه، حقيقةً أو على التّنزيل مع المبالغة، تقول: خُدَع للذي يخدع خدعة خفيفة.

- **فِعِل**: في التوجّه المنطلق بالكسرة بالفاء والعين، يضفي على الاتجاه الاستمراريّة قصداً وحاجة، خصوصيّتُه عند العلايلي الدّلالةُ على الشّيء الذي يتعدّدُ فيه نظير الوصف، تقول: بِهِز للآلة الّتي لها عدّةٌ دُفعاتٍ عنيفة بالتّوالي.

---

(١) همع الهوامع، مصدر سابق، ج ٣، ص. ٢٨٣.

- **فِعَل**: التّوجه زمكاني بحَضٍ وتحفيزٍ على الاستمراريّة، نحو: قِدَم، نِعَم. خصوصيتُّه عند العلايلي الدّلالة على اقتران المُتَعَدِّد في الوصف اقترانَ خليط، أو اقتران إزاء، تقول: إبَز للشيء يكونُ على أطرافٍ تتوثّبُ على اقترانٍ.

- **فُعُول**: مضموم الفاء والعين، جاءت الواو بعد الصّوت الثاني، ليفيد التّركيز على الواو وانفراده بالعلامات، على كينونة كاملة وتامّة في المكان وحده، مع إهمال تام للزّمان. والسّبب في ذلك أنّ هناك تسلسلات تحمل زمنها معها، لأنّها عبارة عن حركة خارجيّة محضة، فلا بدّ من ظهورٍ للمكان بنفس القوّة. ومثال ذلك «خرَج ـ خُروج، رَجع ـ رُجوع، دخَل دُخول. .إلخ». فإنّ كانت في جملة ظهر الزّمان فيها ظهوراً كافياً، وإن كانت خارج التركيب فلا سؤال عن ذلك، لأنّ غاية الاشتقاق هو الاستعمال، فإذا تجرّد عن الاستعمال، بقي يشير إلى كيانه وحقيقته من خلال صورته المجردّة الّتي تتضمّن المكان. فهذه التسمية هي لحركة الفعل. وهي بطبيعتها واحدة وإن تعدَّد الفاعل، لذلك عوّضت في الأحادي التكوين عن صيغة «فُعُل»، إذ ليس من حاجةٍ إليها إلّا في مثل هذه الحركات. خصوصيتُّه عند العلايلي الدّلالةُ على المتكثّر تكثّراً غير منفصل، أو المُوحّد من أشياء كثيرة، كما في رُمول، للرّمل الذي يُعبأ تعبئةً على هذا النّسق.

- **فُعْلان**: وهي من صيغة الأحادي، على زنة «فُعْل»، مثل: «خُسْر»، ويضاف إليها مقطعٌ من الألف والنّون فيكون على زِنة «فُعْلان»، أي بدخول ألف التعامد لإنشاء مستمر بمتابعة من نون التكوين، مثل: «خُسْران، غُفْران، خُذْلان». فالمعنى في الأحادي قد ذكرناه آنفاً (الصّورة الثالثة)؛ إذ هو محدّدٌ بالمكان، حيث صيغة «فُعْل» تجعل الاسم متجسّداً في مكانٍ معيّنٍ وله موضوع محدّدٌ، أمّا زمانه فمفتوح. فإذا أردنا الإشارة إلى حدوث حركة سريعة، جئنا بمقطع «آن» ليفيد أنّ الخسارة تنشأ كلّ مرّةٍ بسرعةٍ كلّما تكرّرت الحركة. فهي حركةٌ متوالدةٌ؛ أي أنّ الخسارة تتراكم، فالمعنى خسر مرّات ومرّات وبسرعة فائقة، في كلّ واقعةٍ وخسارته متراكمة. كما نرى في التّنزيل، إذا حدّد الواقعة وزمنها جاء «بالخُسر»، وإذا تحدّث عن مجموع الأعمال جاء بالخُسران: فالأوّل: ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْراً﴾ الطلاق٩، والثّاني: ﴿..قُلْ إِنَّ

الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾الزمر١٥. ولهذا فالقرءان الذي يقرأ في كلّ آنٍ ومكانٍ، هو على وزن فُعلان، يدل دلالة قاطعة على آلية الحركة الزّمكانيّة في تركيب ألفاظه وحروف كلماته، لاسيّما وجود الألف والنّون في آخر الكلمة. خصوصيتّه عند العلايلي الدّلالةُ على الوحدة والأصل في الوصف، تقول: نُهران للّذي كأنّه وحدة الأنهر أو مصدرها.

- فَعَلان: خصوصيّتُه عند العلايلي الدّلالةُ على تكامل الوصف في الشّيء تكاملاً من كلّ الجهات، تقول: رَوَنان، أي صوت متكاملٌ وآلة ذات رَوَنان. فهو للدّلالة على التفعُل والاضطراب، تقول: هَرَمان للمضطرب من الهرم، وهو عندنا وصف زمكاني مستمر في حالة الهرم كلّ آن.

- فَعَال: وهي من صيغة الأحادي، على زنة (فَعَلَ)، أي مثل: «خَسار، كَلام، تَمام، المأخوذ من الثلاثي «تمّمَ» المضعّف الميم وليس من (تمّ): تمّ - تمّاً، وتمّم: تماماً، فهو اسم للحركة. وهو يتضمن آليّة انفتاحها. فحينما فتح الفاء أشار ذلك إلى احتواء الزّمان والمكان. ولمّا دخلت الألف بعد الحرف الثّاني أفادت تنشيط الحركة مجدّداً، وصاغت اسماً يتّسم بالفاعلية والنّشاط. والصيغة تشير إلى نشاط الفعل ووجود الحركة، بحيث تقوم بعملها كلّما دعت الحاجة. نلاحظ مثلاً، كيف استعمل «الخَسار» في التّنزيل: ﴿..وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلَّا خَسَاراً﴾ الإسراء٨٢. فإنّ زيادة الخسارة تحتاج إلى اسم نشيط الحركة عظيم الفاعلية، وهذا ما تصنعه الألف إضافة إلى فتحة الفاء. عند العلايليّ الدّلالةُ في (فَعال) على ما تدل عليه «فاعل» بمُلاحظة المَلَكة، ويدل على الخاصيّة أيضاً.

- فِعال، على زنة فِعل، أي مثل: خِطاب، دِفاع، كِتاب، نِظام ..إلخ. نلاحظ فاعليّة دخول الألف وعمل الكسرة. فالكسرة تحت الفاء جعلت للاسم بُعداً زمنياً وأُغفل المكان، لأنّ الحركة نفسها مكانيّة تحمل مكانها في ذاتها. فالخطاب له موضع والكتاب هو موضوع ومكان نفسه، وكذلك النّظام والدّفاع، فهو يتضمن آلية نظامها. أمّا عند العلايلي فخصوصيّته الدّلالةُ على شدّة التكاثف، تقول: منظرٌ ظِهار، أي ظاهرٌ من خلال كُشوفات.

- **فُعال**، مثل: رُقاد، نُعاس، دُوار... إلخ. فالضّمة وهي جزء من واو المكان، تشير إليه وتهمل الزّمان، وتجعل من فاعلية ألف الزّمكان، ملحقة لتحقيق التواصل الإنشائي المستمر باللّام، ولتدل على الحركات الّتي تكون عامّةً وفاعلةً. لكنّها تطرأ على الأفراد فرداً فرداً. وهذا هو ما يفيد وجود الألف، ويهمل الزّمان لأنّه ظاهرٌ في موضوع الحركة، ولا يمكن تحديده إلّا من خلال التّركيب عند انطباقه في الخارج. نلاحظ أنّ المشترك في تلك الحركات هو الطّروء المفاجئ فيها. فالزّمن معلوم بصورةٍ عامةٍ ويتمّ تحديد المكان بضمِّ الحرف الأوّل. بهذه الدّلالة تشير حركة الحروف إلى عملها ونفسها، وهي تجسّد حركتها بالصورة الّتي يمكن للمرء أن يستعملها للتخاطب والإشارة إلى المجهولات، من خلال ذكرها للمجهول وتركها للمعلوم. خصوصيّته عند العلايلي الدّلالةُ على مثل لاحقه، تقول (رُوان) للفونوجراف.

نلاحظ مما ذكرنا سابقاً: في مضموم الفاء، مثل: (نُعاس، سُعال، دُوار) أنّ الحركة تضمر أساساً البحث عن موضعٍ لها، أي (مكان)، فابتدأت مُسبقا بالضمّة كمنطلق لها، تأتي وتدخل مواضعها المكانيّة إضماراً في الفكر. أمّا في مكسور الفاء، مثل: (خِطاب، كِتاب، جِهاد ...إلخ). فالمُضمر هو البحث عن زمان للخروج؛ فالحركة كامنةٌ ولها موضعها الّذي هي فيه. وأمّا مفتوح الفاء مثل: (كَلام، خَسار، تَمام ...إلخ)؛ فالحركة فيه داخلةٌ خارجةٌ، والفاعل يتناوبها، أخذاً وعطاءً، أو إدخالاً وإخراجاً. الحركة هنا في إضمار البحث عن ظرفي الزّمان والمكان في آنٍ واحدٍ.

صفات ما يصدر منه الفعل

- **فاعِل**: دخول الألف بعد الحرف الأوّل يعطي دلالةً على أنّ جوهر الحركة لا يتمّ ما لم يأت ألف الزّمكان، فكان ذلك دليلاً على الفاعل. مثل: (كاتب، عامل، خالق ...) لأنّ الألف هو فاعل الأصوات.

- **فَعّال**: هذا الشدّ في النّطق ليس بسبب ما يظن أنّه دمج حرفين، كما في مثال: (عدّ) و(عدد) وإنّما مردّه إلى التوقّف والسّكون بعد العين. فالحركة الجوهرية

ابتدأت بالتكوّن وتوقّفت فجأةً، فأعطت بذلك دلالةً تؤكّدُ على إمكانية وقوع الفعل بغير الألف. من هنا كان الفعّال أنشط من الفاعل. ولكن القائم بالفعل في صيغة (فعّال) يتأخّر زمنياً في الواقع . كما هو متأخر بالتعاقب . فقوّته كامنة فيه منتظرة عجز القوى الأخرى عن إتمام الفعل. وهذا هو معناه الدّقيق، حيث يبدأ عمله بعد توقّف الحركة فوراً، ويُتمّها بسرعة فائقة: مثل (قسّام، خلّاق، حَلّال، كَفّار، كشّاف... إلخ). ذلك لأنّ حركة الألف لا تدخل إلّا بعد عين الفعل والذي يمثل الحركة الجوهرية، وهو عكس الفاعل المرتبط بالفعل بنوعٍ من السّببية والعِلّيّة. خصوصيّتُه عند العلايليّ الدّلالَةُ على المبالغة في الفاعل، والمراد منه ظهور الملكة والتخصّص.

- **فَعول**: يمثل دخول الواو بعد وسط الحركة بالمكانيّة، وارتباط الحركة بالحيّز المكاني بصورةٍ شاملةٍ، فهي تشير إلى المتّصف بهذه الحركة في كلّ مكان. لذلك لا تشتق هذه الصيغة إلّا من الحركات المرتبطة بوقائعٍ منفردةٍ تتكرّر، ولكنّها غير متصلة زماناً مثل: (عَجول، كَتوم، شَكور، حَسود..إلخ). خصوصيّتُه عند العلايليّ الدّلالة على التفضيل في الطبيعة، تقول (طَيور) لأعظم الطَّير سرعة.

- **فَعيل**: تكون صيغةً لمن اتّصف باستمرار الحركة وبصورةٍ دائمة غير منفصلة في وقائع محدّدةٍ. فهي له كالطبع والصّفة الدّائمة لوجود ياء الزّمان، مثل: سَميع، عَليم، حَكيم، جَسيم، عَظيم، كَريم ...إلخ. ولكنّنا نلاحظ أيضاً أنّ هذه الصيغة مستعملة هي نفسها في وصف من وقع عليه الفعل، وليس من وقع منه الفعل فقط. ويعتبر هذا الأمر غريباً. ومن أمثلة هذا الاستعمال: (قَتيل)، حيث وقع عليه القتل بخلاف الحَليم الذي وقع منه الحلم. ويمكن تفسير هذا السّلوك، كما يلي:

أوّلاً: أنّ الصّيغ مثل: (كريم، حليم، سليم ... إلخ)، الفاعل فيها هو نفس الموصوف، وهي أفعال لازمةٌ غير متعدّية. وحينما ظهرت الحركة من الفاعل لم تنقطع عنه وإنّما كانت ملازمةً له. فالحركة ذاتيةٌ داخليّةٌ فيها. الحليم يكون حليماً في كلّ الأوقات. هكذا منحت الياء الحركة صفة الديمومة والاستمرار.

ثانياً: حينما تكون الحركة خارجه من الفاعل ومستمرّة على المفعول يكون هناك تصوّران: الأوّل أن تنفصل الحركة عن المفعول وتظل ملازمة للفاعل مثل: (سَمِعْتُ فلاناً)، فإنّ السّماع وقع على فُلان بالصيغة فقط ولكنّه بقي ملازماً للفاعل. فالسّميع هو الفاعل لا المفعول، وذلك حينما يتّصف السّامع بالسّماع دوماً. والتصوّر الآخر أن يحدث العكس، فتنتقل الحركة إلى المفعول ويفرغ الفاعل من الفعل. الحركة تظل ملازمةً للمفعول مثل: (جَرحَ) فالجارح فرغَ من العمل بينما ظل المجروح يلازمه الفعل؛ فإذا كان الجرح بليغاً، واستدام مدّة طويلة، سُمِّيَ الواقع عليه الفعل بصيغة (فَعيل) حيث يفيد الياء استمرار وجود الأثر عليه من الفعل فيقال: (جَريح). ومن هنا ينتفي الالتباس. كذلك القتل، فإذ يفرغ القاتل من الفعل وتظل الحركة ملازمة للمفعول فَيُقال (مَقتول)، إذا كانت الغاية هي للتعبير عن وقائع معينة في ظرفها فيقال: (..فدخلنا المكان فإذا الرّجل مَقتول) ولا يُقال (قتيل). ولكن إذا كان المتكلّم يريد الإشارة إلى مرور زمن طويل يقول: (.. فإذا نحن برجل قَتيل)؛ أي هو مَقتولٌ قبل دخولنا بمدةٍ طويلة. فإذا قال العبارة الأولى فإنّه لا يأتي بعد ذلك بصيغة (مقتول)، بل يسمّيه قتيلاً، لأنّه قد أشار إليه بتلك الصفة في الواقعة فيقول: فدخلنا المكان فإذا نحن برجل مقتول، فدعوت أصحابي وحملنا القتيل لندفنه. فغيّر التسمية من (مقتول) إلى (قتيل)، لأنّ الصفة الجديدة ملازمة بالزّمن، وهي الملائمة لحمله ودفنه. فالقتيل وصف زماني والمقتول وصف مكاني. ففي قولك: سمعت فُلاناً، صحيحٌ أنّ (فُلاناً) هو مفعولٌ به على قواعد النّحو ولكن الحركة هي بعكس قولك (أعطيت فلاناً). فإنّ (فلاناً) الأوّل كان يتكلّم وأنت كنت تسمع، والحركة وقعت عليك منه. أمّا أنت فقد وقعت حركة السّماع فيك وجاءك الكلام من خارجك. وفَعيل عند العلايلي خصوصيته الدّلالَةُ على لزوم الوصف لُزوماً لا ينفكُ إذا سُمّيَ به، تقول (صَنيم) لخُبثِ الرّائحةِ التي تلزمُ بسبب عِلَلٍ فيزيولوجيّة في الجسم.

■ **مُفعِل**: أصل الصيغة (أفعَلَ)، مثل: (أرشَدَ - مُرشِد). والأصل هو الثلاثي:

(رَشدَ). ودخول الألف أعطى دلالةً على كون الرَشد يحدث بقوّةٍ وعن سابق تخطيط، وهو الفرق بين (رَشدَ) و(أرشدَ)، حيث انتزعت همزة الألف فتحة صوت الحرف الأوّل، وقامت بتوجيه قصد الحركة مُلزمة إيّاه بالسّكون للسّماح لها بالعبور. فلمّا صيغ من ذلك لفظٌ للصفة، جيء بالميم بدلاً عن الألف للدلالة على إمكانية الموصوف على إتمام الحركة، كونها صفة فيه، ثمّ أعطت للعين علامة الكسرة للدّلالة على أنّ تلك الصفة دائمة في الزّمان. أمّا الضّمّة على الميم فهي الواو الصغرى، وهي علامةٌ على أنّ الحركة لا تكون إلّا ولها موضوع خارجي، لذلك لا يصاغ هذا الاشتقاق ما لم يوجد طرف آخر يقع عليه الفعل.

- **مُفَعِّل**: هذه الصّيغة هي صفه من حركة الفعل فَعّل، مثل: (حطّم، دمَّر)، والماضي (فعّل). حيث المشدّد توقّف وسكونٍ مفاجئ ثُمَّ متابعة بعد وسط الحركة، وابتداء حركة الحرف الثالث بفتحة منشطة جلبت معها قوّة جزئية من الألف، أتمّت بها عمل التسلسل بعد توقّفٍ مفاجئ. والفرق بين حَطمَ ـ حَطْما، وحطّم ـ تحطيماً، هو كالفرق بين أسمائهما. فالأوّل بالفتحة كحركة عامة مستمرة، والثاني المشدّد حدث فيه توقّفٌ ثمّ عودةٌ بقوىً مضاعفةً. فإذا قلت: حطَمتُ الشّيء بالتخفيف، يكون عملك غيرَ مقصود، يحدث بشكل عادي وانسيابيٍ طبيعيّ. وإذا قلت: حطّمتُ الشّيءَ بالتشديد، فإنّ العمل هذا كان مقصوداً واستعملت معه جميع القوى الممكن استعمالها. كصيغة وصفة للفاعل، فقد أخذت الميم لإفادة إتمام العمل، مع كسر العين بالياء لإظهار ديمومة الصفة، مثل: مدمّر، مصوّر، مكسّر... إلخ.

- **مُتَفاعل**: هذه صيغة (فاعل) أضيف لها ابتداءً ميم وتاء. فالميم أفادت قدرة الموصوف على اتّصافه بهذه الحركة وإمكانية إتمامها، والتاء أفادت استجلاب جميع الحركات الممكنة لإنجاز هدف الحركة، وإظهار أنّ لا قدرة له على إتمامها إلّا بتلك الحركات، مثل: (مُتَعاون، مُتَناسق، مُتَطاول. إلخ).

- **مُفتَعِل**: وهي صفة لفاعل فعل إفتعَلَ. فتمّ إدخال الهمزة على الفعل أوّلاً وأخذت الهمزة علامتها، وفتحت السّكون للفاء كما بيّناه، ثمّ أُدخلت التاء بعد

الفاء لاستجلاب الحركات الممكنة كي تنجز الحركة الهدف وتكمّلها. عموم هذه الحركة يفيد مع كسرة الهمزة وجود قوّة ذاتية للفاعل في البدء بالحركة، ولكنّه يعجز عن إتمامها بعد الخطوة الأولى، فيحتاج إلى عونٍ خارجيٍ لاستمراره بإنجازها، وهذا ملاحظ على معاني الألفاظ بهذه الصّفة مثل: (ارتزق - مرتزِق، اشتعل - مشتعِل، انفتح - منفتِح، اعتمد - معتمِد ... إلخ).

- **مُتَفعِّل**: نلاحظ أن الترتيب هنا انعكس فدخلت التاء قبل فاء الفعل. وهذا يعني أنّ الموصوف لا يقدر على البدء بالحركة إلّا باستجلاب القوى الممكنة لمعاونته على إنجازها. ويبدو أنّ ذلك لا يحدث إلّا في الحركات التي غالباً ما تكون فيها مغايرةٌ لطبيعة الأشياء، فيظهر عجزه لمجابهته النّاموس، مثل: (مُتحكّم، مُتَسلّط، مُتَقلّب، متطوّر، متغيّر، متعجّب..إلخ). تظهر المقاربة بين (مُفتعِل) (مُتفعِّل)، مثل: معتمِد ومتعمِّد، ومعتدي ومتعدّي[1]. أنّ لفظ (المعتدي) له صفةٌ خارجيةٌ، ولفظ (المتعدّي) صفته متقطّعةٌ في الزّمان.

- **مُفاعِل**: حركة التموضع بالضمة على ميم الإتمام أكسبت الفاعل آلية التثبّت المكاني، كما في: (مُقاتِل، ومُثابِر). خصوصيته عند العلايلي الدّلالَةُ على المتصف بالفاعلية بين منفعلين؛ تقول مُداوِر، للذي يدير شيئاً آخر في حركة دورانه، كما في المسنّنات المتعاشقة.

- **فاعُول**: صيغةٌ تجمع ما بين (فاعل) و(فعول) لتؤكّد مسألتين هما: تجسيد الحركة في الفاعل زماناً ومكاناً، وتطابق الفاعل مع حركته بالواو، بحيث أصبحت الحركة جزءاً من سلوكه المعتاد مثل: ناموس، قاموس، ...إلخ. خصوصيّتُه عند العلايلي الدّلالةُ على الأشدّ كثرةً، في الحسّ والمعنى، وهو (فَعول وفَعُل).

- **فاعوت**: هي صيغة تجمع بين (فاعول)، و (فعلوت) مع إلغاء لام (فعل). هنا

---

(١) دلالة حركة معاينة الاتضاح بالعين عندما استجلبت تاء الجهد هي مدركة لحاجتها لجهد إضافي، أما استجلاب الجهد الخارجي قبل المعاينة فهو غير واعي. استعمل لفظ (المعتدي) لوصف المجرم. بينما استعمل لفظ (المتعدّي) لوصف المتجاوز على الحدود من المجموعة المشرّع لها.

الموصوف بدأ الحركة كفاعل، وعند العين لم يتصل به عمله ويلتحم باللّام، بل توجّه فوراً إلى الواو ليجسِّد حركةً. ثمّ طلب الإحاطة بها واستجلاب القوى الخارجية الممكنة لحمايتها بالتاء. فالموصوف بها لم يرد في اللّغة إلّا في القرءان بصيغة: (طاغوت). ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَؤُلاء أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ سَبِيلاً﴾النساء٥١.

صفات ما يقع فيه الفعل

- **مُنفَعِل**: إنّ دخول نون التكوين بعد ميم الإتمام يفيد في إنشاء حركة جديدة، ومع حركة الضم استجلبت قوّةً ناشئةً تطلبُ حصولَ الفعل. فهذه الحركة الكلّية صفة تفيد أنّ الموصوف بها ابتدأ بحركةٍ معيّنة، ولم يزل عليها، وهو في طريقه لإتمامها مثل: مُنكَسِر، مُنجَبِر، مُنفَتِحٍ، ...إلخ. فتلك الصّفات اشتركت في كونها تمتلك حركة ناشئة بالنّون ومستمرة في اكتمالها بالميم.

- **فَعَلوت**: حيث بقي (فَعَلَ) كما هو، وبقيت حركاته لتدلّ على القيام بالفعل بصورةٍ عادية في البدء، كما لو كان الفعل قد مضى. لكنّه لاحق فعله بالواو، ليحقّقه وجوداً متجسّداً أو متمثّلاً في المكان، وأردف ذلك بالتاء لاستجلاب القوى الممكنة لحمايته والإحاطة به، ومثال ذلك: رَحَموت، مَلَكوت، جَبَروت، ... إلخ

- **مَفْعَل**: ميم إتمام العمل تفصل وتفرّق بالفاء المهام للمعاينة بالعين قبل التوصيل والتلاحم زماناً ومكاناً، ذلك أنّها، تلاحق توجّهات فعَل، نحو: مَشغَل، مَعمَل؛ فالعمل متابع إتمامه.

صفات ما يقع عليه الفعل

- **مَفْعول**: دخول الميم هو إشارةٌ إلى تكامل الحركة. لأنّ المفعول إنّما وقع عليه الفعل. لذلك تدخل ميم أوّلاً وفقاً للتصوّر الذّهني أنّه زمان مضى. وإذ أتت الواو بعد ثلاثة حروف أفادت تموضع الحركة في حيّز بعد تمامها. هكذا دلّ

ورود الواو بعد وسط الحركة على تجسّد الحركة في المكان؛ مما جعل الحركة ظاهرةً في كونها قد فُعلت وأنّها منفعلة، فهي متّجهة نحو المكان بسكونٍ وضمّةٍ وواوٍ يلحق بعضها بعضاً. مثل: مضروب، معلوم، متروك ...إلخ.. خصوصيّته عند العلايلي الدّلالة على ظاهرِ الخصوصيّة.

- **مُفعَّل**: صيغة مُفعَّل مثل مُحطَّم، هي صفةٌ لفاعل التحطيم مُحَطِّم[1]. لماذا يتحوّل المعنى في (مُحطَّم) ليشير إلى من وقع عليه الفعل؟ الجواب: أنّه ليس للحركة وجودٌ مكانيٌ تتموضع فيه. هي حركة فاعل وليست حركة من وقع عليه الفعل. هذا الفاعل يحمل في ذاته صفة التحطيم الشديد، وهذه الصّفة متكاملة ومتموضعة فيه بالميم الذي استقبل الحركة كلّها ابتداءً. وأمّا وسط الحركة فليس له موضع، فهي لم تخرج بعد من الفاعل. وحينما تجعل وسط الحركة مفتوحاً والفتحة هي صيغة الألف تعامد بين الزّمان والمكان. فالحركة مَوجودةٌ في موضوع، ولهذا الموضوع مكانٌ وزمانٌ محدّدان. هذا يعني أنّ هناك جسماً مُعيّناً وقع فيه التحطيم، ويكون اللّفظ (مُحطَّم)هو صفة لهذا الجسم.

صفات ما يقع به الفعل

- **مَفْعَل**: دخلت الميم، الّتي تفيد أداة العمل ووسيلته، في حركة جديدة بالفتحة الزّمكانية على فَعَل، فأكسبتها قدرة مستمرة في الزّمان والمكان على إتمام العمل، نحو: مَقْتَل، مَحْبس، مَشْغل..إلخ.
- **مُفْعَل**: هنا الضّمة على حركة الميم تجعل التوجّه في إتمام العمل مكانيّاً؛ مما استبعد الزّمن، كونه ملازم لحركة العمل الجوهرية في داخلها، نحو: مُقعَد، مُنجَز..إلخ.
- **مِفْعَل**: أُلزمت ميمُ الإتمام بحركة الكسرة، لتجعل المتابعة مستمرة في الزّمن، والتوجّه قاصداً لإتمام العمل وإنجازه. لهذا استُخدم (مِفْعَل) للدّلالة على أدوات العمل، مثل: مِبْرَد، مِنْجَل، مِعْصَم..إلخ. خصوصيّته عند العلايلي

(١) مُفَعِّل: الميم أداة الإتمام، والتشديد توقّف ثُمّ تتابع، وعمل الكسرة جزءٌ من الياء الزّماني تشير إلى الزّمان في وسط التسلسل، وبذلك أُهمل المكان إهمالاً تاماً.

للدّلالة على ما يعمل عملاً ذاتياً وعلى طريق الشيء وطريقته.

- **مِفْعال**: هنا هي صيغة مِفْعَل السّابقة تتابع فيها ألف الزّمكان مطلب ميم التكامل والإتمام الملزمة باستمرارية العمل، استوجبتها ضرورة مُلازمة الإتمام لموضوعه مكانيّاً، في كلّ مرّة وحالة، وبنفس الوتيرة. مما أكسبت التسلسل القدرة والمتابعة، كدلالة على أداة العمل نحو: مفتاح منشار، محماس،..إلخ، وكذلك أكسبت الفاعل قدرة المتابعة في كلّ مرّة بنفس الصيغة والإمكانيّة، نحو: مِقدام، مِعراج، .. إلخ.

- **تِفْعال**: تاء الجهد بدل ميم الإتمام في صيغة (مِفْعال) السّابقة، من خلال حركة الكسرة وفّرت لألف الزّمكان الجهد المطلوب للاستمرارية فيه كصفة ملازمة نحو: تِحنان. خصوصيته عند العلايلي الدّلالَةُ على تجَسُم المعنى كما في «تِمثال» أي صورة شاخصة. وفي تِظْلال على وزن تِفعال، فالظل يتجسّم فيصير صورة.

- **تَفْعال**: هنا تاء الجهد بالفتحة فرضت توجّه الجهد لولوج بابي الزّمان والمكان. خصوصيته عند العلايلي، في غير ما يكون مصدراً، الدّلالة على جميع أجزاء المعنى في نقطة أو بؤرة، تقول: تَظْلال: اسماً لمحل اجتماع أجزاء الظل في آلة التصوير، وعلى الاجتماع أيضاً. وعلى الخفي واللّطائف والأفكار، كما في «تَمثال»؛ أي تمثيل.

الفصل الثاني

دلالة الحركات الإعرابيّة

- المنصوبات
- المجرورات
- المرفوعات

تمهيد

قيل في حروف المعاني إنّها دالّة على معانٍ في غيرها . وقيل هي اصطلاحٌ ما دلّ على معنى غير مستقل بالفهم بل ءَالة لفهم غيره[1]، وهذا ما ذهب إليه عبد الهادي الفضيلي كما ذكر أحمد كروم، في أنّ الحرف (حرف المعاني) ***«لا معنى له أصلاً ولا وضعاً ولا استعمالاً، أو أنّ الحرف معناه في نفسه، وقيل في غيره»***[2]. وقد توصّل علماء النّحو من قبل إلى وضع القواعد المُنظمة والمفسّرة لهذه الحركات، على اعتبار أنّها تغيير أواخر الكَلِم لاختلاف العوامل الدّاخليّة عليها لَفظاً أو تقديراً، بقصد إزالة الفساد أو تحسِين الإبانة وإظهار ما يبطن اللّفظ. كي لا نعتاض عن دلالة جدليّة حركة الحرف بمسميّات أخرى موجوده فيها، ولم تخرج لفظاً عن القصد المضمر، وهو الوضوح بدلالة إعراب جدليّة مسار حراك اللّفظة، إرتاينا إرجاع الدّلالة الإعرابيّة إلى الحركة الزّمكانيّة، وبيان جدليّة اللّفظة وتأثُّرها بحراكها الزّمكاني.

بعد أنْ توصّلنا إلى قواعد الصّيغ السّابقة للأفعال والمصادر، وبما أنّ صيغ الحركات: الفتحة والضمّة والكسرة، تمثّل العلاقة بين الزّمان والمكان في التعامد الإنشائي للألف وقد أُطلق على هذه الصّيغ صفة الحركات الإعرابيّة. يمكن لنا استخلاص أنّ المُسمّى يعبّر عن هذه الحقيقة تعبيراً صادقاً، وأنّ ما توصّلنا إليه يدلّنا على قاعدة لميزان نعاير من خلاله هذه العلاقة كما يلي:

المنصوبات

لمّا كانت الفتحة تمثل حركة في الزّمان والمكان، فهي تدل على أنّ المتعلّق بها وحيثما كان سببه أو مصدره هو تعلّق زمكانيّ، ومثال ذلك:

المفعول به: اسم ما وقع عليه فعل الفاعل، فالعلاقة بين الفاعل والمفعول فيه علاقة زمانيّة مكانية؛ نحو: زار الرّجل المدينةَ؛ ففعل الزّيارة أخذ حركة زمانيّة في

---

(١) السفرجلاني، محمد أديب: **القطوف الدّانية في العلوم الثمانية**، مطبعة نظارة المعارف العمومية في ولاية سورية، ٩ رجب ١٣١٣هـ. ص. ٥٦.

(٢) أحمد كرّوم **الاستدلال في معاني الحروف**، مرجع سابق، ص ص. ١١-١٥-١٧ . بتصرّف.

مكان مُحدّد هو المدينة. أكل الولد الطّعامَ؛ فالعلاقة بين فعل الأكل والمفعول به علاقة زمكانيّة أيضاً؛ لذلك تكون الحركة هي الفتحة؛ فهي توضّح الزّمكان كونها صيغة الألف.

المفعول فيه (الظرف): هو ما يفعل فيه مضمون عامله من زمان أو مكان، نحو: تلاقينا قُربَ الدّار، وموعدنا عندَ الظهيرة، فالحركة الإعرابيّة زمكانيّة بامتياز.

المفعول لأجله: ما فعل لأجله مضمون عامله، نحو: ضربته تأديباً، وإن تقدم على عامله نحو: جبناً قعد عن الحرب، فحركة الإعراب الفتحة الزّمكانيّة؛ كون الحالة مكانية في زمن محدّد.

المفعول معه: هو المذكور بعد الواو لمصاحبة معمول عامل لفظاً أو معنى، نحو: جئت أنا وزيد، وسرت والنّهر. فالمصاحبة مكانية زمانيّة، لذلك تظهر حركة الإعراب هذه الحقيقة.

المفعول المطلق: هو اسم ما فعله الفاعل، ويكون لتأكيد النّوع والعدد، نحو: جلست جلوساً، ونحو: أنبت الله بياتاً. فالحالة متموضعة في زمن محدّد، والفتحة بيان إعراب ذلك.

الحال: وهو ما يبيّن هيئة الفاعل أو المفعول به لفظاً أو معنى، وهي إمّا دائمة، أو مُتنقلة، نحو: رأيت زيداً قائماً، أو مؤكّدة نحو: زيد أبوك عَطوفاً، أو مقدّرة نحو: فادخلوها خالدين، أو موطئة نحو: إنّا أنزلناه قرءاناً عربياً، أو مترادفة نحو: اذهب راشداً مهديّاً، ومتداخلة، نحو: جاءنا زيدٌ راكباً منحرفاً، فالحال كما يصف نفسه لفظاً قرينة متموضعة والعلاقة حركيّة زمنيّة، فالإعراب الزّمكاني هو حال أبرزته الفتحة.

التمييز: هو ما يرفع الإبهام المستقر عن ذات مذكورة أو مقدّرة، نحو قوله تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى الْمَاء عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ القمر١٢. وإذ اشترط أن يكون التمييز نكرة، فإن الحال من منظور المتكلّم زمكانيّة بحكم وجود مُبهم في وقت مُعيّن، فالإعراب بالفتحة الزّمكانية.

المنادى: هو المطلوب إقباله بحرف ناب مناب (أدعو لفظاً أو تقديراً)، وهو بأدوات النّداء يا، وأيا، وهيا للبعيد، وأي للقريب، والهمزة للقريب، نحو يا رجلَ، يا طالعاً جبلاً؛ فحال العلاقة زمكانيّة بين المنادي والمنادى، والفتحة دالّة ومعرية عنها.

التحذير والإغراء: هو تنبيه المخاطب على أمر مكروه أو مذموم، وهو إمّا بتقدير محذوف تقديره اتق، وما كان بإيّاك نحو: إيّاك إيّاك أن تبتل بالماء، الدّلالة عن حالة معترضة زمكانيّة مكانية بين المخاطِب والمُخاطَب، والفتحة هي ما يعرب عن الحالة.

المستثنى: هو المذكور بعد إلّا وإحدى أخواتها (لَمّا، بيد، حاشا، سوى، سواء، غير، ليس، لا يكون، خَلا، عَدا، ما خَلا، ما عَدا) نحو: فشربوا منه إلّا قليلا، ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾ طه١١٦، الحالة هنا مكانية في زمن مواكب والفتحة تُعرِب عن هذه الحالة.

خبر كان وأخواتها: هو المسند بعد دخول أيّ منها عليه، كقوله تعالي: ﴿. وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ الفتح١٤. العلاقة غير منقطعة لا زمنيّاً ولا مكانيّاً، لذلك أعربت الفتحة عن هذه الحالة.

إسم إنّ وأخواتها: هو المسند إليه بعد دخول أيّ منها عليه، نحو: إنّ الأمرَ لبيّن، فالحالة من منظور المخاطب زَمكانيّة، والفتحة تعرب عنها.

إسم لا التي لنفي الجنس: هو المسند إليه بعد دخولها، نحو: لا حولَ ولا قوّةَ إلّا بالله. فما يطلب نفيه واقع زمكاني، تعرب الفتحة وتفسّر علاقته في ذهن المتكلّم.

المجرورات

لمّا كانت الكسرة تمثّل صيغة من صيغ الياء الزّمانيّة، كما أسلفنا، فالعلاقة الّتي تبيّنها المجرورات هي زمانيّة وإنْ استبطنت المكان، حيث لا زمان بلا مكان

ولا مكان بلا زمان، وما الحركة إلّا قياس البُعد الزّمني للمكان، والمجرورات هي على قسمين:

أوّلاً: مجرورات بأحد حروف الجر؛ وهي ما وضع لإفضاء الفعل أو شبهه أو معناه إلى الاسم أو المؤوّل به أو حمل عليه، وعددها عشرون هي: الباء، ومن، وإلى، وعن، وعلى، واللام، وفي، والكاف، وحتّى، وواو القسم، وتاؤه، ومذ، ومنذ، ولولا، وكي، ولعل. وربّ، وخلا، وعدا، وحاشا.[1]

الباء: تأتي لمعاني الإلصاق، والمصاحبة، والقسم والتعدية، والظرفيّة، والزّيادة، والسّببية، والتصوير ونحو ذلك. تظهر هذه المعاني علاقة زمانيّة، قد تنقطع في أيّ وقت إذا انتفت الحاجة، أو تمّت المهمّة التي فتحت الباء لها المجال الانبثاقي. لذلك أعربت الكسرة عن مضمون حركة هذه العلاقة.

مِن: وتأتي للابتداء في الزّمان والمكان نحو: من أوّل يوم، فهي تنبئ عن استمرار في المتابعة بحركة الإعراب الزّمنيّة.

إلى: تأتي للانتهاء في المكان وفي الزّمان، نحو: ثُمّ أتمّوا الصّيام إلى اللّيل، فالملازمة زمانيّة، والإعراب بحركة الزّمن الكسرة.

عن: تأتي للبعد والمجاوزة نحو: أخذت عنه العلم، وأدّيت عنه الدّين. رأيته عن بُعدٍ، فالدّلالة الإعرابية زمانيّة بالكسرة.

على: تأتي للاستعلاء، نحو: جلس على الكرسي، وعلى قدرِ أهل العزم. تبدو هنا العلاقة مكانيّة، لكنّها إذ تستبطن المكان إنّما لبدء علاقة ومهمّة زمانيّة، ذلك أنّ الاستعلاء لا يكون أبدياً، وينبئ عن مرحلة حركية، فالإعراب توضيحاً بالكسرة.

في: تأتي للظرفية حقيقيّة، نحو: الرّجل في الدّارِ، أو مجازيّة، نحو: النّجاة في الصدقِ. هنا المكان مستبطن في فاء الفصل والتفريق والزّمان متابع في الياء،

---

(١) رُبّ، وخلا، وعَدا، وحاشا، هي حروف الجرّ الشبيه بالزائد، هو ما يمكنُكَ الاستغناء عنه لفظاً ولا معنى، غير أنّه لا يحتاج إلى ما يتَعَلّقُ به. وحكمه أن يكون مجرور لفظاً، غير أنّه يكون منصوب المحل على الاستثناء. أنظر: الغلاييني، مرجع سابق، ج٣، ص. ١١٨.

الّتي تشير إلى المدّة الّتي هي بمنظور المتكلّم ابتدأت منذ علم بذلك، فالإعراب الحركي زماني بالكسرة.

اللّام: تأتي للتعليل والتخصيص نحو قوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً ..﴾ القصص٨. فهي تدل على أنّ مدخولها علّة متعلّقها وهو ما يحتاجه الشيء وجوداً أو علماً أو ذهناً، مما يضمر المتابعة والملاصقة الزّمنية، فالإعراب بحركة الكسرة الزّمانيّة.

الكاف: تأتي للتشبيه، نحو: عادل كأخيه جمالاً، وتأتي للتعليل كقوله تعالى: «ليس كمثله شيء». في الكاف تَكَتُّل المتشابهات فهي تشير إلى عوامل ظاهرة للمتكلم أو تعبّر عن رأيه في هذه المتشابهات، لكنّها ليست قاطعة وملازمة، فهي من منظوره مصاحبة زمنية الإعراب.

حتّى: تأتي لانتهاء الغاية كقوله تعالى: ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ القدر٥. فالزّمن هو مضمر في الغاية.

ربّ: تأتي للتقليل أو للتكثير في مقام المدح أو الذم نحو: رُبَّ قلّة غلبت كثرة بإذن الله. هنا المكان مستبطن في القلّة والحركة زمانيّة كونها تعبّر عن عمل أو مطلب الغلبة في زمن محدّد، أو في حال خاصّة هي الإيمان.

واو القسم: الأصل هي الباء التي تختص بالظّاهر والباطن، نحو ءَامن بالله، وكذلك ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ العلق١، بينما تختص الواو بالظّاهر،[1] نحو: والله لا أقول إلّا الصّدق، والتاء التي تختص بلفظ الجلالة كقوله تعالى: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم﴾ الأنبياء٥٧. في حالة الباء كونها انبثاقية فهي توضّح باطن لحركة المتكلم وقناعاته، بينما الواو التي لها خاصية مكانية فهي ظاهر مكانة، بينما التاء الّتي تجتذب الجهد الخارجيّ فهي استدعاء زماني، ومن منظور الذي؛ أيّ من الحروف الثلاثة، فهو استدعاء زمانيّ لحاجته للبرهنة والتأكيد.

---

(١) أنظر معالجتنا مدارج ومعارج الحروف ص. ٩٣، وكذلك باب حرف الباء، وباب حرف الواو.

حاشا[1]، **وخلا، وعدا**: تختص لاستثناء ما بعدها عمّا قبلها؛ أي تنزيه المستثنى عمّا نسب إلى المستثنى منه، نحو: (خلا الله لا أرْجو سواكَ وإنّما) - (عدا الشّمْطاء والطّفل الصّغير) (مَنْ رامَها حَاشَا النّبيِّ وَرَهْطِه) وفي هذه الحالات تكون الدّلالة الإعرابية زمنية لارتباطها بالمستثنى.

مذ، ومنذ: كونان لابتداء الفعل في الزّمان الماضي، نحو: وما رأيته مذ غادر سنة كذا، وأنا هنا منذ شهرِ حزيران. فالحركة تعرب زمنيّاً بالكسرة، بدلالة توسّط الجملة زمنيّا.

لولا: لامتناع شيء لوجود غيره، نحو: لولاك يا رحمة الله لهلك النّاس. التلازم علاقة زمانيّة، فالإعراب بالكسرة.

كي: تأتي للتعليل إذا دخلت على ما الاستفهاميّة، نحو: كيمه فعلت؛ إذ علامة جرّها هي حذف ألف ما كما. فالإعراب بالكسرة الزّمنيّة.

لعلّ: تأتي للترجّي، بما يستبطن حدوث الرّجاء والأمل في مدّة زمنيّة، نحو: أدع له لعلّ أبي يسامحه. نحو: لعلّ أبي يسامحني. فالإعراب بالكسرة الزّمنيّة.

ثانيا: مجرورات بالإضافة

المضاف إليه: ما نسب إليه شيء بواسطة حرف الجر لفظاً أو تقديراً مراداً، والإضافة هي نسبة تقييديّة بين شيئين تقتضي إنجرار الثاني بالأوّل. العلاقة هنا نسبيّة وظرفيّة بين المضاف والمضاف إليه، فالحركة الإعرابيّة بالكسرة الزّمانيّة للتلازم الحركيّ.

---

(١) حاشا، اختلف النحويون فيها فذهب سيبويه ومن تابعه من البصريين إلى أنّها حرف جر وليس بفعل والدّليل على ذلك أنّه لو كان فعلاً لجاز أن يدخل عليه (ما) كما يجوز أن تدخل على الأفعال فيقال ما حاشا زيداً كما يقال ما خلا زيداً فلمّا لم يقل دلّ على أنّه ليس بفعل فوجب أن يكون حرفاً، وذهب الكوفيون إلى أنّه فعل ووافقهم أبو العباس المبرد من البصريين. إذا جرّ ب(حاشا) فالكلام على ما يتعلق به كالكلام على ما يتعلق به خلا وعداً. انظر السيوطي: **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، دار الكتب العلمية، بيروت ،١٩٩٨م، ج٢، ص ص: ٢٠٩-٢١٢.

المرفوعات

لمّا كانت الضمّة مظهر مكانيّ للحركة، تمثّل صيغة من صيغ الواو المكانيّة، فالعلاقة الّتي تبيّنها المرفوعات هي مكانيّة وإن استبطنت الزّمان، حيث لا زمان بلا مكان ولا مكان بلا زمان. والمرفوعات هي ما اشتمل على علم الفاعليّة:

الفاعل: ما اسند إليه الفعل التّام المعلوم، نحو: أكل الرّجلُ الطعامَ، فالرّجل من منظور المتكلم له وجود مادّي ملحوظ عندما التهم الطعام. الدّلالة الإعرابيّة أظهرتها الضمّة المكانية لتواجد المتكلّم والملتهم في موضع عند حدوث الفعل.

نائب الفاعل: وهو ما أسند إليه الفعل التّام المجهول وقام مقام الفاعل؛ وحيث أنّ الفاعل لم يعد منظوراً، بل هو مجهول بينما الطّعام هو الموضوع المادّي الذي كان متموضعاً، فالإعراب عن الحركة هو بالضمّة المكانيّة.

المبتدأ: هو الاسم الصّريح أو المؤوّل به المسند إليه المجرّد عن العوامل اللّفظيّة، وهو محكوم عليه موصوف بالخبر، والموصوف مقدّم على الوصف وجوداً نحو: المكانُ رحبٌ. فما قام عليه الإسناد إخباراً له دلالة الوجود في نظر المُتكلّم، بما يفسّر حركة الإعراب بالضمّة المكانيّة.

الخبر: هو المجرّد عن العوامل اللّفظيّة المسند إليه المغاير للصفة المذكورة، والقصد فيه التعريف، وهو في المثال السابق (رحبٌ) بما يؤكّد المنظور المكانيّ إعراباً بالضمّة.

اسم كان وأخواتها: هو المسند إليه بعد دخولها، وحكمه حكم الفاعل في أنّه لا يكون إلّا إسماً أو مؤوّلا به، وفي كونه مظهراً أو مُضمراً أو مستتراً أو بارزاً وفي وجوب رفعه، للدلالة الإعراب عن وجود من هو في حكم الفاعل عند الإخبار، نحو: كان عليٌ أميراً للمؤمنين.

خبر إنّ وأخواتها: هو المسند بعد دخولها، وحكمه حكم خبر المبتدأ، فحركته تعرب عن إسناد الخبر بما يظهر حقيقته المتموضعة.

الفصل الثّالث

الكتابة والتنقيط

- الكتابة والخط العربيّ
- التنقيط معنى ومفهوم حركيّ

تمهيد

يمكن القول إنّ الإشارات الصّوتية الّتي ترسلها الأحرف استودعها الكلام المحكيّ قبل الترميز بالشّكل والتّجريد الكتابيّ. وأنّ اللّغة كانت في البداية أصواتٌ، قبل أن تتشكّل أحرفاً ورسوماً مجرّدة. فصَرَفت منطوقَ التّداول، رموزاً مُستخدمة إيحاء الصّوت ومدلول المعنى الذّهني الأوّلي. لذلك لا يمكن الفصل بين الشّكل الكتابي ودلالة الرّمز الصّوتيّ. هكذا تعبّر المسمّيات بإيحاءاتها، وترميز معانيها المختزنة، بشكل ساطع عن بيئة الفعل. ولأجل الإحاطة بتأريخ تطوّر الكتابة والخط، لا بُدّ من دراسة مظاهر أشكال الحروف وكيفيّة ترتيبها وكيفيّة النّطق بها من خلال البحث عن الرسوم والرّموز والإشارات الّتي سجّلها الإنسان البدائيّ للتعبير عن نفسه وما كان يدور بخلده، ومقاربة ذلك بمعاني مسمّيات الحروف.

الكتابة والخط العربيّ

استقصى علماء اللّغة، وعلماء الآثار بدايات كتابة اللّغة، والبحث عن معاني رموز وصور حروفها، فرمز إليها في نقوش طور سيناء كما يلي: «الألف، يعني الثّور، رمز إليه بشكل رأس ثور. الحرف الثّاني، وهو الباء، يعني (بيتاً)، وقد صور في كتابة طور سيناء بشكل يصوّر مقدمة بيت. وأمّا الحرف الثالث، وهو الجيم، فإنه (كمل) (كيمل)؛ أي: الجمل، وصورته ترمز إلى سنام الجمل رمزاً تامّاً. الدّال، (دالت)، ومعناه باب. حرف الهاء بمعنى شباك. وأمّا الواو؛ فهو يشير إلى وتد. وأمّا الزّاي؛ فإنّه من زين بمعنى سلاح. وأمّا الحاء؛ فإنّه من (حيث) بمعنى حائط. وأمّا الياء؛ فإنّه من (يود)؛ بمعنى يد أو يد مفتوحة. وأخذ حرف الكاف من (كاف) (كف)؛ بمعنى كف اليد، أو يد مقبوضة. وأمّا حرف اللّام؛ فإنّه من (لمد) (لامد)؛ ومعناه عصا لضرب الثور. وأمّا الميم؛ فإنّه من (ميم) بمعنى ماء. وأمّا النّون؛ فإنه من نون بمعنى سمكة. وأمّا حرف السّين؛ فهو سامخ؛ بمعنى آلة يعتمد عليها كالعصا. وقد أخذ حرف العين من عين، عين الإنسان. وأخذ الفاء بمعنى فم، وأخذ حرف الصاد من (صادى)؛ بمعنى صياد. وحرف القاف من قوف؛ بمعنى الرأس إلى الخلف،

وحرف الرّاء، من ريش؛ بمعنى رأس، وحرف الشّين من (شين) (شن)؛ بمعنى سن. وأمّا التّاء، فمن كلمة (تاو) (تو)؛ بمعنى علامة أو صليب، وهكذا.»[١]

	شكل	مصري مقدس هيروغليفي	مصري العامة هيراطيقي	مصري العامة ديموطيقي	فينيقي	آرامي	سطرنجيلي	نبطي	عبري أركوني	الحروف العربية
١	ا									ا
٢	ب									ب
٣	ج									ج
٤	د									د
٥	ه									ه
٦	و									و
٧	ز									ز
٨	ح									ح
٩	ط									ط
١٠	ي									ي
١١	ك									ك
١٢	ل									ل
١٣	م									م
١٤	ن									ن
١٥	س									س
١٦	ع									ع
١٧	ف									ف
١٨	ص									ص
١٩	ق									ق
٢٠	ر									ر
٢١	ش									ش
٢٢	ت									ت

تبيّن من دراسة النّصوص الجاهليّة، أنّ العرب كانوا يدوّنون بـ(القلم المُسند)[١] الذي ظهر في اليمن، والّذي أطلق عليه أهل الأخبار (قلم حمير)[٢]. وهو

(١) أنظر الفهرست «ص٦ فما بعدها»، صبح الأعشى مج٣/ ص١١، **الصّاحبي في فقه اللّغة**، لابن فارس «ص٧ وما بعدها»، البلاذري، فتوح «٤٧٦ وما بعدها»، الجهشياري، الوزراء «١٢٠١ وما بعدها»، السجستاني، كتاب المصاحف «٤ وما بعدها». الصولي، أدب الكتاب، ص ص. «٢٨-٣١»، القاهرة ١٣٤١هـ، الأبحاث، السنة ١٩٥٢م، الجزء الأول «ص١١ وما بعدها»، العقد الفريد مج٤ «ص ٢٤٠ وما بعدها». انظر كذلك محمد عقل: **ابجدية القرءان من مملكة سبأ**، م.س..

قلم يباين القلم الّذي نكتب به الآن. ثمّ تبيّن أنّهم صاروا يكتبون بقلم آخر، أسهل وألين في الكتابة من القلم المسند، أخذوه من القلم النّبطي المتأخّر على ما يظهر. كما تبيّن أنّ النّبط وعرب العراق وعرب بلاد الشام كانوا يكتبون أمورهم بالإرميّة وبالنّبطيّة، وذلك لشيوع هذين القلمين بين النّاس، حتّى بين من لم يكن من «بني إرم» ولا من النّبط، كالعبرانيين الذين كتبوا بقلم إرمي إلى جانب القلم العبرانيّ. أثّر اختلاط العرب الشّماليين ببني إرم، فظهرت الكتابات القليلة الّتي وصلت إلينا مدوّنة بنبطية متأثرة بالعربيّة.[٣]

تطور صُور حروف الأبجدية العربية من العمودي إلى الأفقي (٨٠٠ ق.م/١٠٠ ق.م)

الأبجدية السبئية 1500 ق.م	وضعياتها وقواعدها الأفقية	الثمودية، اللحيانية، الصفوية 800 ق.م - 100 ق.م.
ا [illegible]	[illegible]	[illegible]
ب [illegible]	[illegible]	[illegible]
ج [illegible]	[illegible]	[illegible]
د [illegible]	[illegible]	[illegible]
ه [illegible]	[illegible]	[illegible]
و [illegible]	[illegible]	[illegible]
ز [illegible]	[illegible]	[illegible]
ح [illegible]	[illegible]	[illegible]
ط [illegible]	[illegible]	[illegible]
ي [illegible]	[illegible]	[illegible]
ك [illegible]	[illegible]	[illegible]
ل [illegible]	[illegible]	[illegible]
م [illegible]	[illegible]	[illegible]
ن [illegible]	[illegible]	[illegible]

الأبجدية السبئية 1500 ق.م.	تحويراتها الأفقية	الثمودية، اللحيانية، الصفوية 800 ق.م - 100 ق.م.
س [illegible]	[illegible]	[illegible]
ع [illegible]	[illegible]	[illegible]
ف [illegible]	[illegible]	[illegible]
ص [illegible]	[illegible]	[illegible]
ق [illegible]	[illegible]	[illegible]
ر [illegible]	[illegible]	[illegible]
ش [illegible]	[illegible]	[illegible]
ت [illegible]	[illegible]	[illegible]
ث [illegible]	[illegible]	[illegible]
خ [illegible]	[illegible]	[illegible]
ذ [illegible]	[illegible]	
ض [illegible]	[illegible]	[illegible]
ظ [illegible]	[illegible]	
غ [illegible]	[illegible]	[illegible]

---

(١) الأقلام ألسنة الإفهام: ءَالة اللّفظ اللّسان وءَالة الخط القلم، وكل منهما يفعل فعل الآخر في الإبانة عن المعاني... فتقاسمت الآلتان الدّلالة وناب أحدهما مناب الآخر، فأوقعوا اسم اللّسان على القلم. صبح الأعشى مرجع سابق، ج ٣، ص. ١٠.

(٢) الكردي، محمد بن طاهر بن عبد القادر الخطاط، **تاريخ الخط العربي وآدابه**، المطبعة التجارية الحديثة بالسكاكيني، القاهرة، ١٩٣٩م، ص. ص. ٣٦، ٤٣.

(٣) يرى البطريرك أغناطيوس يعقوب الثالث، بطريرك أنطاكية وسائر المشرق، عضو مجمع اللّغة العربية بدمشق، في كتابه **البراهين الحسّية على تقارض السّريانية والعربية**، الصادر في دمشق ١٩٦٩، ص. ١٠: أنّ اللّغة السّريانية الآرامية نسبة إلى آرام، لا إلى إرم كما ارتأى انسطاس الكرملي. أو راما العالي في السريانية، وآرام هو الإبن الخامس لسام ابن نحوح، كما في سفر التكوين.

عثر الباحثون[1] على كتابات مدوّنة بالمسند في مواضع متعددّة من جزيرة العرب، ومنها سواحل الخليج العربي، بعض منها قديم وبعض منها قريب العهد من البعثة الإسلامية؛ ممّا يؤكّد أنّ قلم المُسند، كان القلم العربي الأصيل والأوّل عند العرب. وقد كتب به كلّ أهل جزيرة العرب، غير أنّ التبشير بالنّصرانيّة الذي دخل جزيرة العرب، وانتشر في مختلف الأماكن، أدخل معه القلم الآرامي المتأخّر، قلم الكنائس الشّرقية، وأخذ ينشره بين النّاس؛ لأنّه قلمه المقدّس الّذي به كان يكتب رجال الدّين. ولَمّا كان هذا القلم أسهل في الكتابة من المسند، وجد له أشياعاً وأتباعاً بين من دخل في النّصرانيّة وبين الوثنيين أيضاً، غير أنّه لم يتمكّن مع ذلك من القضاء على المسند إذ بقي النّاس يكتبون به. وهناك أقلام عثر عليها المستشرقون في أعالي الحجاز، تشبه القلم المسند إلى حَدٍّ كبير. لذا رأى الباحثون أنّها من صلب ذلك القلم ومن فروعه للشبه المذكور؛ ولأنّها متأخّرة بالنّسبة له، فلا يمكن أن تكون هي الأم. وقد سمّي قلم منها بالقلم الثّمودي نسبة إلى قوم ثمود، وسمي قلم ءَاخر بالقلم اللحياني، نسبة إلى لحيان. وعرف القلم الثّالث بـ(الكتابة الصفويّة)، نسبة إلى أرض الصّفاة، الأرض الّتي عثر بها على أوّل كتابة مكتوبة بهذا القلم. وقد تكلّم الهمدانيّ ومشايخه من قبله عن المسند، كما أشار إليه ابن النّديم، وذكر أنّ نماذج منه كانت في خزانة الخليفة المأمون. غير أنّ علمهم به لم يكن مُتقناً ولم يكن لهم إدراك عن كيفية تطوّره. وقد دعوه بالخط الحمْيَريّ. وعرّفوه بأنّه خط مخالف لخطنا هذا، كانوا يكتبونه أيّام ملكهم فيما بينهم. قال أبو حاتم: ***«هو في أيديهم إلى اليوم باليمن، هذا ولم أجد في المؤلّفات الإسلامية المعروفة اليوم، ما يفيد بأنّ أحداً من العرب الإسلاميين كان على علم متقن بالعربيات الجنوبيّة، أو كان له علم بتاريخ العربيّة الجنوبيّة القديم، وفي الذي ذكروه عن الخط المسند وعن***

---

(١) منهم سليمان بن عبد الرحمن الذييب، في دراساته المتعدّدة لنقوش نبطية بالجوف وسكاكا، ونقوش صفوية، في مواقع ام سحب وبالجواء في منطقة القصيم، وفي أم سلمان في حائل. في كتاباته ودراساته المتعددة في الدوريات السعودية: مجلة الدارة، ومجلة جامعة الملك سعود، ومؤلّفاته المتعدّدة منها ما نشر من خلال مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية، ٢٠٠٥/١٤٢٤. وكذلك مختارات من النقوش اليمنية القديمة لمحمد عبد القادر بافقيه ورفاقه، الصادر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٨٥. وكذلك بحث السعيد، سعيد بن فايز بن إبراهيم في مجلة العصر، المجلد الثاني عشر، الجزء الثاني، يونيو ٢٠٠٢، التي تصدر عن دار المريخ، لندن. وبحث سليمان الذييب مج٧، ج٢، ١٩٩٢.

لغات العرب الجنوبيين وتأريخهم تأييد لما أقوله. والعرب تسمي (الكتاب العربي)؛ أي خطنا: (الجزم)، وذكروا أنه إنما سمّي جزماً؛ لأنه جزم من المسند أي: قطع منه، وهو خط حمير في أيّام ملكهم، ولا أستبعد احتمال كون كلمة (الجزم) تسمية ذلك القلم في الجاهلية.»[1]

أرجع محمد علي مادون نشأة الهيئة التصويريّة للأبجديّة، إلى مصدر تصويتيّ وصولاً إلى الرمز، الذي يمثّل هيئة تصويريّة، مرجعاً اقتباسه من الطبيعة المحيطة بالإنسان اليمنيّ، موضحاً ذلك في جدول تفصيليّ.[2]

ويرى عبد السّلام المسدي في أهمية الكتابة: *«أنها تبرز النظام الخطّي باعتباره الركيزة الأساسية في عملية التدوين الذي يخترق حواجز الزمن، ويسمح للتراث بأن يتوثّق عبر التاريخ. وبينما يجسّم الحرف المنطوق صورة التواصل اللّغوي المباشر والذي ينقضي بانقضاء لحظته، فإن الحرف المكتوب يمثل التواصل الدّائم لأنه يضطلع بوظيفة التثبيت عبر الزمن.»*[3]

أشرنا إلى أنّ الحرف الملفوظ يمثل هيئة الصوت، وهو واحد كحالة صوتية لفظية. وأنّه قبل أنْ يدوّن كان صوتاً، والصّوت غير مرئي، لذلك ينبغي أن تمثل الرّموز الكتابيّة النُطق تمثيلاً دقيقاً. والمعروف أنّ معظم الأبجديات قد رُوعي فيها هذا المبدأ عند وضعها. ولكن اللّغة، بمرور الزّمن يُصيبها التّغيُر والتّطوُر. في حين تبقى الأبجدية على صورتها الأولى دون تغيير، من هنا يظهر القُصور في الأبجديات، والاختلاف بين المنطوق والمكتوب. هذه مشكلة تعانيها معظم النُظم الكتابيّة كما أشرنا. ولعلّ العربيّة أقلُ اللّغات قصوراً في هذا المجال. ومن أهم أوجه القصور في الأبجديّة العربيّة عدم وجود رموز مُستقلّة لرسم الصّوائت القصار، ووجود رموز

---

(١) تاج العروس مج٢، ص ٣٨٢، «سند». اللّسان مج ١٢، ص.٩٧، وما بعدها، «جزم»، تاج العروس «مج٨، ص٢٢٨»، «جزم». جواد علي: **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام** مج١٥، ص ١٥٤، وقد عالج محمد عقل حديثاً هذه الأبحاث ودقّق في ما تجمّع وذكره الأوّلون، في بحثه المشار إليه سابقاً (**ابجدية القرءَان من مملكة سبأ**)، دار المحجّة البيضاء بيروت.

(٢) **خط الجزم ابن الخط المسند**، مرجع سابق ص.ص. ٣٩-٤٢.

(٣) المسدي، عبد السلام: **ما وراء اللّغة**، بحث في الخلفيات المعرفية، منشورات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، تونس ١٩٩٤، ص. ٨٥. بتصرف.

تُكتب ولا تُنطق كما في عمرو. كما أنّ هناك أصواتاً تُنطق ولا تُوضع لها رموز كما في طه وعبد الرَّحمن وهذا وهذه...إلخ. حيث لم يُوضع رمز للصائت الطويل. إلّا أنّ اختلاف تصوّر هيئة الحرف أدّى لاختلاف شكل صورته بين الشعوب. ومن أسباب الاختلاف في شكل صورة الحرف الواحد، عدم الوحدة في الكمّيّة الصّوتيّة، ومجاراة أصوات الطبيعة، وكمّيات الانفعال واختلاف البيئة الحاضنة. كلّ ما تختلف به الألفاظ عن بعضها هو في نوع الحروف المترابطة وطريقة ترابطها؛ أي تسلسلها. وفي رأي عالم سُبيط النيليّ، ***«يجب أن نفرّق بين الصّوت باعتباره حركة جامدة وبين الحرف الكتابيّ. فالحرف الكتابيّ قد أصبح رمزاً لتلك الحركة الجامدة، ومع ذلك فهذا الرّمز لم يكن عشوائياً لأنّه انعكاسٌ لنظام الأصوات والمفردات.»***[1].

أفصحت لنا أحرف الأبجديات القديمة: اليمنيّة الجنوبيّة، والهيروغليفيّة، والآراميّة، والكنعانيّة الفينيقيّة، أنّها محمولة بالطّاقة الكامنة بالصّوت حيناً، ومدلول مصدر الصّوت حيناً ءاخر. وهذا ما تظهره أشكال الحروف. إذ هي أحياناً رسم صورة من البيئة، مما يقارب المعنى الاستدلاليّ لصوت الحرف، وأحياناً رمز

تطور الخط العربي عبر التّاريخ (1)

ARABE	غ	ظ	ض	ذ	خ	ث	ت	ش	ر	ق	ص	ف	ع	س	س	ن	م	ل	ك	ي	ط	ح	ز	و	هـ	د	ج	ب	ا	العربية
L'ÉGYPTE – HIÉROGLYPHES	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	الهيروغليفية
L'ÉGYPTE – HIÉRATIQUE	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	الهيراطيقية
L'ÉGYPTE – DÉMOTIQUE	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	الديموطيقية
L'ARABIE DU SUD – LIHYANIDE	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	اللحيانية
L'ARABIE DU SUD – THAMOUDIQUE	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	الثمودية
L'ARABIE DU SUD – SAFAÏTE	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	الصفائية
L'ARABIE DU SUD – SABAÉEN	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	سبئي - معيني
UGARIT 1400-1300 AV.J.-C.	[illegible]	[illegible]		[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	الأوغاريتية ١٤٠٠-١٣٠٠ق.م
BYBLOS 1000-900 AV.J.-C.						[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]		[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	الكنعانية (جبيل) ١٢٠٠-١٠٠٠ق.م
ARAMÉEN 900 AV.J.-C. - 100 AP.J.C.							[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]		[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	الآرامية ٩٠٠ق.م-١٠٠م
GREC 700 AV.J.-C.					X	Θ	T		P			Φ		Σ		N	M	Λ	K		Θ	H	Z	Ω	H	Δ	Γ	B	A	اليونانية ٧٠٠ق.م
NABATÉEN 500 AV.J.-C. - 106 AP.J.C.							[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]		[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	النبطية ٥٠٠ق.م-١٠٦م
LATIN 500 AV.J.-C.	GH	Ẓ	DAD	Z	K	TH	T	SH	R	Q	Ṣ	F	ʿ	S	S	N	M	L	K	Y	Ṭ	Ḥ	Z	W	H	D	G	B	A	اللاتينية ٥٠٠ق.م
PALMYRÉNIEN 44 AV.J.-C. - 273 AP.J.C.							[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]		[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	التدمرية ٤٤ق.م-٢٧٣م
SYRIAQUE 200 AP.J.C.							[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]		[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	السريانية ٢٠٠م

(١) اللّغة الموحّدة، م. س. ص. ١٥٨.

موجز لِمَا يستوحى من البيئة، مع الأخذ بالكتابة المسماريّة كاستثناء تصويريّ لمجسّمات. إلّا أنّها جسّدت أشكالاً مُرمّزة تناسب أسلوب الكتابة على الطين قبل تعريضه للنّار. نستنتج ممّا توصّل إليه السّلف، أنّ الحرف في الحقيقة، عبارةٌ عن حركةٍ تجسّدت في صوتٍ أوّلاً، وفي رمزٍ كتابيٍ ثانياً. وعلى سبيل المثال لا الحصر حرفٌ A في اللّغات الأوروبيّة، هو في خط المسند والجزم من الإنسان الرّافع يمينه هكذا: ㅐ ، بينما الكنعانيّ الفينيقيّ، صوّر برأس العنز (∀) كرمز لصوته. ونجد هذا الشكل في الألواح والنّقوش المنتشرة في بلادنا، وفي الأبجديّة الّتي انتقل استخدامها إلى اللّاتينيّة. وعندما تطوّرت الكتابة من الأثر على الطّين والنّقش على الجدران وغيرها، إلى التسطير بالقلم والرّيشة، نحى إلى اختصار الشّكل بتجريده.[1] وربّما يمكن القياس أنّ حروف الأبجديّة المسماريّة الأكّديّة والبابليّة والأوغارتيّة، استخدمت إشارات قصف صوتيّة، تماثل كتابة النّوتة الموسيقيّة للقياس والدّلالة على مخارج الحروف من ءَالة النُطق، ذلك أنّ وضع إشارات (المسمار) فوق بعضها بشكل تراتبيّ أو بتتابعٍ تكراري، يفرض تساؤلاً عن سرّ شكل المسمار، وعلاقته بالنّبضة الصوتيّة (قصف شدّة انعتاق الصوت) وتموضع التّتابع والحراك بين المائل والعموديّ والأفقيّ، وهذا ما يتطلّب دراسة متأنيّة ومتخصّصة.[2].

يقول (إخوان الصّفاء وخلّان الوفاء)، قياساً إلى تسطير الكتابة العربيّة: إنّ الصّورة الكتابيّة نفسها ليست عشوائيةً أيضاً. فهي تخضع ***«للنّسبة الفاضلة[3] ومقادير حروفها بعضها من بعض، وأساس الخطوط أجمعها خطّان لا ثالث لهما، ومن بينهما ومنهما وعنهما تركّبت هذه الحروف... الخط المستقيم الذي هو قطر الدّائرة والخط المقوس الذي هو محيطها، فإن أوّل الحروف هو الخط المستقيم الذي هو الألف، والثاني الباء.. يبتدئ الخطّاط فيخط الألف بأيّ قدر شاء، ويجعل غلظه مناسباً لطول الألف، ويلحظ تلك الدّائرة التي الألف مناسب لقطرها، فيجعل***

---

(١) مادون، محمد علي: **خط الجزم ابن الخط المسند**، م. س. ص. ٩١-٩٧، كذلك ص.ص.١٦٠-١٦٧.

(٢) انظر لمزيد من التمعّن حنون، نائل: **دراسات في علم الآثار واللّغات القديمة**، جزءان، هيئة الموسوعة العربية، دمشق ٢٠١١، وكذلك عامر سليمان: **اللّغة الأكّديّة**، الدار العربية للموسوعات، بيروت ٢٠٠٥.

(٣) **النّسبة الفاضلة**، هي نسبة واحد إلى ثمانية لسماكة الخط، عند الكتابة بالقلم.

الباء وأختيها، كل واحدة طولا ما ولطول الألف ورأسيها إلى فوق ثمن طولها .»[1]

وأرى ولا أجزم، أنّه على هذا الأساس ووفقاً لإملاءات تسطير كتابة الحرف العربي وُضع نسق (ألف، باء، تاء،..وهكذا ..إلخ)، وفق تتابع ترتيب الأبجديّة بعد أن صارت كلاماً مُسطّراً في سطور كتابيّة. بينما كانت مرتّبة على نسق (أبجد، هوز..) عندما نشأت صوتاً وفق حركة نشأة وجودها وكينونتها .

عند مقاربة حروف الكتابة الأمازيغيّة، في شمال إفريقيا، كما يظهر في الجدول المقابل، بالحرف السّبئي القديم، نجد تشابهاً كبيراً، كما الثمودية، وإن بدّلت بعض المسميات والأشكال. مع الملاحظ أنّ التقويم الأمازيغي يبدأ ٩٥٠ ق. م. وهي مرحلة شيوع الحرف الثمودي، وقد ذكر الأرضي مبارك[2] في بيان قواعد كتابة وقراءة الأمازيغيّة بالحرف العربي أنّ الألف والواو والياء تقوم مقام الفتحة والضمّة والكسرة في الكتابة الأمازيغية، وتسمّى حروف التّحريك.

ⵜⵉⴼⵉⵏⵏⴰⵖ

TIFENNARH					تيفنّاغ
A	ⴰ	أ	qà	ⵇ	قـ
ĀA	ⵄ	عَـ	ha	ⵀ	هَـ
BA	ⴱ	بـ	ḣa	ⵃ	حَـ
PA	ⵒ	پـ	i	ⵉ	إيـ
E	ⴻ	أو	ja	ⵊ	جَـ
DA	ⴷ	دَ	dj	ⴵ	دْجْ
ZHA	V	ذَ	ma	ⵎ	مَـ
ḌA	ⴹ	ضَ	na	ⵏ	نَـ
ṢA	ⵚ	صَ	la	ⵍ	لَـ
ZA	ⵣ	زَ	ou	ⵓ	أو
SA	ⵙ	سَـ	rha	ⵖ	غَـ
TS	Ł	تْسْ	ra	ⵔ	رَ
CHA	ⵛ	شَـ	ta	ⵜ	تَـ
TCH	ⵞ	تْشْ	tta	ⵟ	طَـ
FA	ⴼ	فـ	tha	X	ثَـ
GA	ⴳ	ڭـ	va	4	ڤـ
KHA	ⵅ	خَـ	ya	Π	يَـ
KA	ⴽ	گـ	wa	ⵡ	وَ

(١) مقتطف من رسائل «إخوان الصفاء وخلان الوفاء» الرسالة ١٧، ج٣، ص.ص ١٤٣-١٤٥ .

(٢) الأرضي، مبارك، **المعجم الأمازغي الوظيفي**، عربي أمازيغي، مطبعة النجاح الجديدة الدّار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٨م، ص ص ٧، ٨. والخضير بلاري، **التعريفات**، المعارف الجديدة، الرباط،٢٠٠٩ .

مع الاختلاف الشّديد للصّور الكتابيّة في مختلف اللّغات، تبقى أشياءٌ مشتركةٌ بينها. كما إنّ هناك جذوراً ذات صلةٍ بالحركة. وربّما تبتعد الصّورة الكتابيّة عن الأصل، ولكنّها لا تفقد الصّلة مع الحركة الجامدة بشكلٍ تامٍ. فالفتحة حركةٌ جزئيةٌ من الألف، والكسرة حركةٌ جزئيةٌ من الياء، والضمّة حركةٌ جزئيةٌ من الواو. عند محمد عقل أنّ الخط هو (صورة الحروف)، وهي خمس:

- ***الألف: وفيها أحد عشر صورة هي: ألف قائمة، وسبع لفّات مسطوحة (ب ت ث ك ل ي ط ظ لا)، وهما صورتان مجردتان: (ا ب).***
- ***الجيم: وفيها سبع صور وهي: (ج ح خ، د ذ، ع غ) ومجموعها صورة مجرّدة هي (ح).***
- ***الرّاء: وفيها ثلاث صور: (ر ز و) ومجموعها صورة مجردة هي (ر).***
- ***النّون: وفيها ست صور هي: (ن س ش ص ض ق) والصورة المجرّدة (ن).***
- ***الميم: وفيها صورتان هما: (م ة) وصورتها المجرّدة (م).***

يضيف محمد عقل: «*حركية الخط العربي تنطلق من علاقة الزّمان بالمكان. فهي نقطة تحرّكت بين موقعين في فراغ مطلق على الورق. وهي فنّ إشاري، وإيقاع تواصلي في الظاهر، مُتناغم مع الحركة الكونية (الموجة الكهرومغناطيسية). الحرف العربي تجريدي، والفينيقي اللّاتيني تجسيمي.*»[1].

الحروف عند ابن عربي: «*مثل العالم المكلّف الإنسانيّ، المشاركةَ له في الخطاب لا في التكليف، لقبولها جميع الحقائق كالإنسان. إنّ الألف قطب تنحل إليه جميع الحروف وتتركب منه، والإمامان من الحروف، هما الواو والياءُ المُعتلّتان، اللّذان هما حرفا المد واللّين، لا الصحيحتان.*

الأوتاد: الألف والواو والياء والتنوين، الذين هم علامات الإعراب.

(١) عقل، محمد، أبجدية القرءان من مملكة سبأ- م. س. ص. ١٢١. أنظر ص ٢١٣.

والأبدال من الحروف سبعة: الألف والواو والياء والنّون وتاء الضمير وكافهُ وهاؤه. فالألف ألف «رَجُلان» والواو، واو «العَمّرُون» والياءَ، ياءَ «العَمّرَين» والنون نون «يَفْعَلُون».[1]

التنقيط معنى ومفهوم حركي

نبدأ من العلاقة بين نُطق، ونُقطة[2]. هل التّنقيط تمييز للحركة أم للصوت؟ هل هو إظهار لموقع النّطق أم لمخرج الحرف؟ تجدر الإشارة إلى أنّ ترابطاً بين الحركات الّتي يُراد بيانُها وبين الفتحة والضّمة والكسرة، هي معروفة ومشهورة قديماً،[3] غير أنّ رموزها تلك لم تكن كرموزها المعروفة اليوم. وعند تفحّص ءَالية تنقيط الحروف العربيّة، من خلال دلالة الصّوت والحركة، يتضح لنا أنّها مُنسَجمةً تماماً مع الإيحاء والتوجّه الصّوتي. قال عبد السّلام هارون: ***«وفي الإعجام؛ أي الشّكل والضّبط، يحتاج المحقّق كذلك إلى خبرة خاصّة، وهذا هو الذي كان يسميه أبو الأسود: «النّقطَ»؛ قال أبو الأسود لكاتبه القيسي: «إذا رأيتني قد فتحتُ فمي بالحرف فانقط نقطةً على أعلاه، وإن ضممتُ فمي فانقط نقطة بين يدَي الحرف، وإن كسرتُ فمي فاجعل النّقطة تحت الحرف، فإن أتبعتُ ذلك شيئاً من غنّة فاجعل مكان النّقطة نقطتين»؛ فهذه طريقة أبي الأسود يراها القارئ في المصاحف العتيقة.»***[4] ولبيان ذلك وفق دلالة الحركات نتناول الحروف المنقّطة للمقارنة والمقاربة كما يلي:

---

(١) ابن عربي، محي الدّين: **الفتوحات المكيّة**، تحقيق عثمان يحيى، ومراجعة إبراهيم مدكور، المجلس الأعلى للثقافة بالتعاون مع معهد الدراسات العليا بالسوربون، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥م، السِّفر الأوّل ص.ص. ٢٣٥-٢٣٦.

(٢) يمكن الرجوع لمعاينة المعنى الحركي في باب النون، ففي تسلسل (ن-ق-ط): تكوين إنشائي مستمر بيّن في احتواء متضخم، وفي تسلسل: (ن-ط-ق) حيث الطاء سبقت القاف، فالتكوّن الإنشائي محتوى بالتضخم لبيان الفصل.

(٣) في الكتابة المسمارية تختلف كتابة الهمزة باختلاف حركتها، أنظر حنون، نائل: دراسات في علم الآثار واللّغات القديمة، مرجع سابق، وكذلك عامر سليمان: **اللّغة الأكّديّة**، مرجع سابق.

(٤) هارون: (تحقيق النصوص ونشرها) ص٥٤.

- **الباء**: وُضعتْ النّقطة في أسفل وخارج صحن الحرف[1]، قياساً على الكسرة، ذلك لأنّ الانبثاق من الشّفتين هو للخارج، وحيث أنّ الباء ذراع وأداة العمل، يحتاج إلى زمن ومكان لتثبّت الإنجاز وإظهاره؛ فكانت النّقطة أسفل الحرف كمعيار زمنيّ للانبثاق.
- **التّاء**: وُضعتْ نقطتان في داخل الصّحن للتدليل على أنّ النّقطتين توصّلتا إلى التقاء الجهد المجتذب بالإتمام في سقف الحنك وتثبيت اللّسان. وهذه الحركة تأخذ البعد الزّمكانيّ، بالفتحة وتوسّط الألف؛ فالاجتذاب يحتاج إلى زمن ومكان.
- **الثّاء**: ثلاثُ نقط تكاثُرٍ وتثنية خرجت من بين الأسنان بدفق من اللّسان، وضعت فوق الصحن على شَكل تثليث للدلالة على الزّمكان، إذ حركة الثّاء بالفتحة، والتكاثر زمنيّ مكانيّ، والتثبيت غير مُنفلت، لذلك توسّط المسمّى الألف الزّمكانيّة.
- **الحاء**: حركة توسّع وتعاظم داخلي. لم تنقّط. فالتّوسع بالحاء هو فعل من الدّاخل وبالدّاخل، فلا تنقيطٌ ظاهر.
- **الخاء**: وضعت النّقطة فوق الحاء لخروجها من آخر الحلق، بينما الحاء من أوّله. فمسمّى الخاء توسّطُ ألف الزّمكان والفتحة مظهرُه؛ ولأنّها حركة خروج مُبطن بالإخماد لحركة التّوسّع الذّاتي في الزّمان والمكان، ظهرت النّقطة أعلى خارج شكل الحرف (ح) بما يقارب صيغة الفتحة.
- **الجيم**: حيث مُسمّى الحرف بالياء الزّمانية، والكسرة علامة البداية لحركته، وضعت النّقطة في أسفل حاء التّوسّع كما الكسرة، للتعبير عن الدّمج والجمع، الذي يتحرّك مسمّاه بالياء الزّمانية، فمخرجها يجمع الأسنان ويضم الحنك ويسحب الصّوت إلى الدّاخل.
- **الذّال**: مُسمّى الذّال بحركة الفتحة، والبروز الحسّي متوجّه لأخذ مكانه ومكانته بألف الزّمكان للتوصيل والتواصل باللّام. حركة البروز الحسّي أخرجت اللّسان

---

(١) أنظر تسلسل (ح-ص-ن) و(ص-ح-ن). لفهم التحصين والاستقرار.

من بين الأسنان؛ لذلك وضعت النّقطة لإظهار البروز بالصّوت فوق الدّال المندفعة.

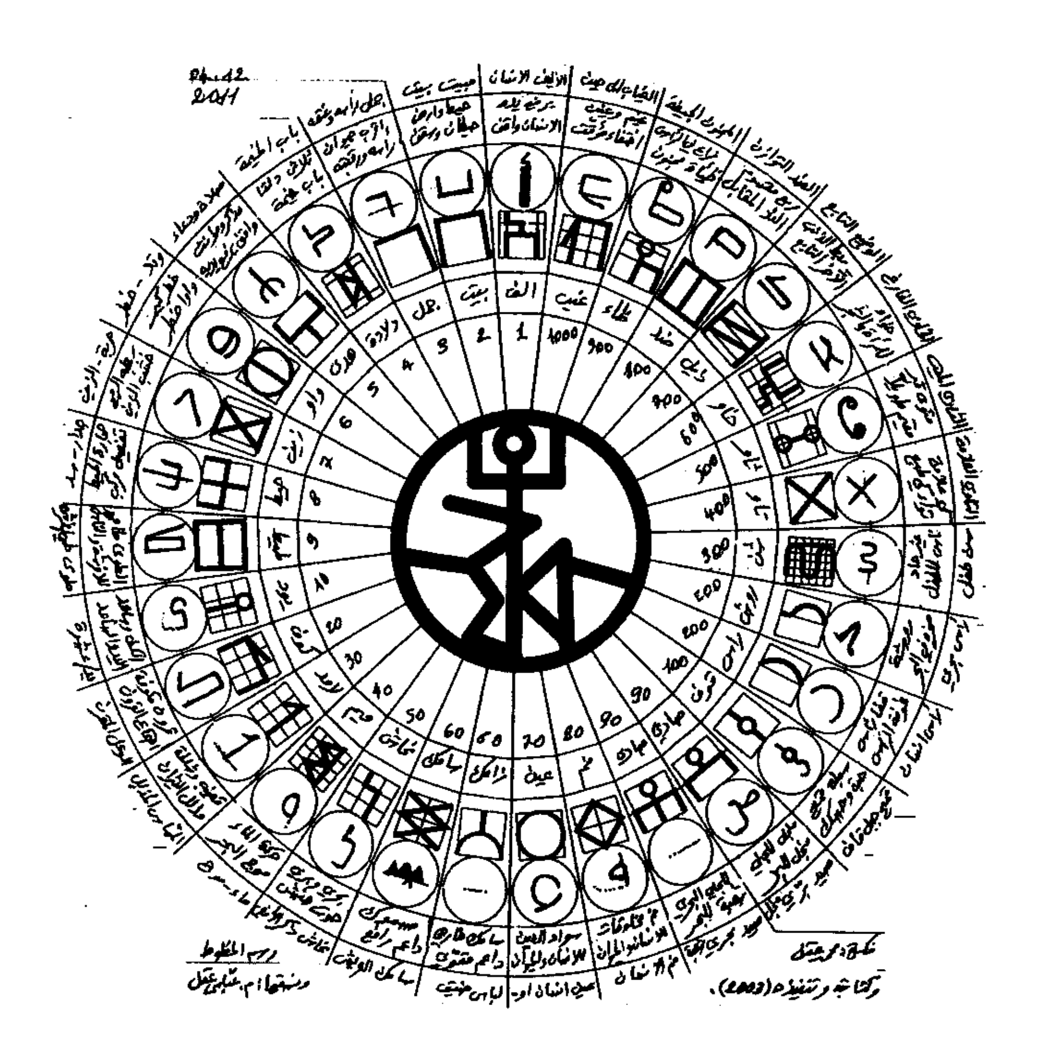
- **النّون**: حركة الحرف بالضّمّة في مواكبة الواو، النّقطة متموضعة في وسط الصّحن. وهي واحدة لا اثنتان كما في التّاء؛ ذلك لأنّ التّكوين يبدأ من نُقطة ومن نُطفة ليتسع في حضن الوجود.
- **الزّاء**[1]: ابتدأت حركتها بالفتحة الزّمكانية، مع متابعة من ألف التكوين لإظهار البروز المادي الّذي يحتاج إلى تكرار وزمن ومكان ليبرز ماديّاً، لذا كانت النّقطة فوق الرّاء.
- **الفاء**: اسم الفاء بالفتحة وبدلالة الألف الزّمكانية، وضعت النّقطة فوق دائرة؛ للدلالة الزّمكانية، وكونه يخرج من الاحتكاك الخفيف بين الشّفتين، ويقوم بالفصل بينهما؛ فمظهر النّقطة منفصل عن الدّائرة.
- **القاف**: مُسمّى القاف بالفتحة وبدلالة الألف الزّمكانيّة، وضعت نقطتان جمعتا القوّة للإبانة فوق الدّائرة؛ كي تتفاعل مع محيطها الخارجي.
- **الضّاد**: مُسمّى الضّاد بالفتحة وبدلالة الألف الزّمكانيّة، وحيث الالتزام زمكاني وضعت النّقطة فوق صاد الصّلابة؛ كعلامة للممانعة.
- **الظّاء**: النّقطة فوق طاء التضخيم كما الضّاد؛ لإظهار الضّخامة.
- **الشّين**: ثلاث نُقط فوق سين الهيمنة؛ كما الثلاث نُقط التكاثر فوق الثّاء؛ لإظهار التّشعّب والانتشار. مع أنّ المُسمّى يستخدم الياء الزّمانية إلّا أنّ التشعّب يخرج من أرومة واحدة يضمر التضليل لينتشر في الزّمكان.
- **الغين**: النُقطة فوق عين المعاينة للغباش والتّشويش على المعاينة. ومع أنّ المسمّى يستخدم الياء الزّمانيّة إلّا أنّ المضمر هو تحريف الحركة والمعاينة للوجود نفسه، فالتّوجّه زمكاني.
- **الياء**: نقطتان وضعتا أسفل رمز الحرف؛ بدلالة زمنيّة المتابعة.

---

(١) هناك اختلاف في تسمية هذا الحرف، عند المهندس سلطان (زاي) وعند محمد عقل (زين) وعند عالم سُبيط النيلي (زاء)، يمكن الرجوع إلى ما وضّحناه في باب حرف (الزّاء).

خلاصة

في البداية اتخذت أشكال الأحرف أوعية صوتيّة. وعندما حاولت التمرّد على المعنى، اختفى التّشكيل بالمجرّد. ما كانت الأحرف تلقائيّة وعفويّة، أو انبثقت قصد الدّلالة، لتحتل المخزون المستعمل والمتجلّي بالكلمات. فهي، أي الأحرف، تماثل وتشابه حركة انبثاقها الأوّل من مكمن معاني الرّمز المعاش آنئذ. وهذا ما يجيب عن السّؤال: لماذا نرى في الأبجديات نفس الأصوات ومدلولاتها؟ غير أنّ التنقيبات الجغرافيّة والتاريخيّة، ومتابعة تطوّر كتابة حروف الأبجديّة السبئيّة، والخط الحميريّ والنّبطيّ، والآراميّ، والكنعانيّ الفنيقيّ والعبريّ وغيرها، كالمسماريّ. أظهر لنا العلاقة بين الرّمز الكتابيّ والمعنى الأبجديّ، وبين أسباب الانتقال بالحرف من الشكل إلى الرّمز، وهو ما تكشفه الرّسوم الواردة في المتن وفي التشكيل التالي.



الباب السّادس

تطبيق منهجيّة الاستدلال

نُلفت النَّظرَ إلى أنّه قد يكون من الصّعب في البداية الإحاطة بمعاني كُلّ الحروف دفعةً واحدةً، وأنّ ما سنسوقه من ألفاظ في هذا الباب كما في غيره، يحتاج عند قراءَة كلّ تسلسل إلى الاسترشاد بالقائمة الموجزة لمعاني حروف الأبجديّة، أو الانتقال إلى نافذة الحرف المنشود لاستطلاع معنى حركته. كما نُلفت النَّظر هنا إلى أنَّ ما نقصده في مُسمّى الألف هو الألف المُكلّلة بالهمزة؛ كونها تجمع الهمز والمد مَعاً.

الألف

الف+ لام+ فاء

المُسمّى الأبجديّ المتعارف عليه لصوت: أ-ل-ف

مخرج صوت الألف: الصّدر (الجوف)، ذكر الخليل بن أحمد الفراهيديّ في (كتاب العين) ***«إنّ مخرج صوت الألف لا يقع في مدرجة من مدارج اللّسان، ولا مدارج الحلق، ولا مدارج اللّهاة، إنّما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيّز تنسب إليه إلّا الجوف»***[1].

ترتيب نشأة الألف[2]: هي الأوّل بين الحروف[3]، وأرى أنْ ليس لها أوّل، وإنّما وفقاً لإدراكنا للحروف وحركتها أوّل ما ظهر بعد الانفجار بالباء، فقد كانت طاقتها كامنة في جوف الباء.[1]

---

(١) الخليل بن أحمد الفراهيديّ- «**كتاب العين**»، سلسلة المعاجم، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، بغداد، دار مكتبة الهلال ١٩٨٥، ص. ٥٧.

(٢) الألف تؤنث ما لم تُسمّ حرفا، أنظر إسماعيل بن حماد الجوهري، «**تاج اللّغة وصحاح العربية**»، (الصحاح) حقيق محمد تامر، ومراجعة أنس الشامي، وزكريا جابر أحمد. دار الحديث، القاهرة ٢٠٠٩، ص. ١٧.

(٣) نعتبر أن الألف ليس حرفاً، وإنّما ناقل الحروف على مَوْجاته الصّوتية فإن ورد في أي مكان في هذا البحث ما يشير إلى أنه حرف، فذلك تجاوز لما درجت عليه بعض المراجع.

همزة الألف: تُمثّل الهمزة بدء صوت الألف ابتداءً وكذلك انتهاءً عند الاسترجاع. لذلك تكون في تحفيزها خفيفة، ومكانُ انطلاقها التقاءُ القصبة الهوائيّة بالحلق، وفي الإسترجاع تستقر في موضع أقرب ما يكون لمخرج الهواء من الرّئة. فَرَّقَ علماءُ اللّغة الأوائل بين الهمزة والألف، فكانت عدّة الحروف العربيّة عندهم تسعة وعشرين حرفاً. بينما لا يعدّ علماء العربيّة المحّدثون الألف حرفاً هجائياً. كما لم يعتبرها حساب الجُمّل حرفاً أبجديّاً. وفي الترتيب الصّوتي القديم ـ كما صنّفه الخليل بن أحمد في معجمه العين ـ فإنّها تقع في الترتيب التّاسع والعشرين، وكذلك عند ابن جنّي. وفي الترتيب الصّوتيّ الحديث عند علماء الصّوتيات المعاصرين تقع في الترتيب الثّامن والعشرين.

سبب حدوث صوت الهمزة: في نُطقها تُسد الفتحة الموجودة بين الوترين الصّوتيين وذلك بانطباق الوترين أدنى الحُنجرة انطباقاً تامّاً، فلا يُسمح للهواء بالمرور من الحنجرة. ثمّ ينفرج الوتران فيخرج الهواء مُحدثاً صوتاً انفجاريّاً شديداً. ووضع الأوتار الصّوتيّة حال النّطق بصوت الهمزة يجعلها بين المجهور والمهموس. وعند ابن سينا ***«أنّ الهمزة تحدث عن حفزٍ قويّ من الحجاب وعضل الصّدر لهواء كثير، من مقاومة الطرجهالي[2] الحاصر زَماناً قليلاً لحفز الهواء ثُمّ اندفاعه، إلى الانقلاع بالعضل الفاتحة وضغط الهواء معاً ... وأمّا الألف المصوّتة وأختها الفتحة، فإنّ مخرجهما مع إطلاق الهواء سلساً غير مزاحم، وأعلم يقيناً أنّ الألف المصوّتة تقع في ضعف أو أضعاف الفتحة.»***[3]

صفات الهمزة الصّوتيّة، كما في الموسوعة العربيّة العالميّة: ***«الهمزة صوت حنجريّ انفجاريّ،[4] لا هو بالمهموس ولا بالمجهور، فهي صوت مائع، تكون الأوتار الصّوتيّة عند نُطقها في وضع بيْن بين؛ أي بين الانغلاق والانفتاح.»*** وقد ذكر

---

(١) إن صورة حرف المد (ا) بلا همزة؛ أي مهملة، شكل صورتها تكرار عمودي للهمزة ذاتها (مدّ لصوت بالفتحة) ولهذا اختلف القدماء والمعاصرون حولها ...

(٢) وردت أيضاً في المصدر نفسه، ص. ١٠٨«القرجهار والقرجهاري» وهو: غضروف الحنجرة الثالث كقصيعة مكبوبة عليه منفصل عن الدرقي مربوط بعديم الاسم من ورائه بمفصل مضاعف تظهر منه زائدتان.

(٣) ابن سينا، م. س. ص. ٧٢- ٨٣.

(٤) يلاحظ أنّها صوت صدري وليس حنجرياً، كما ورد في الموسوعة هنا.

أحمد زرقة «***هذه الألف الموصوفة بهذا الشكل ليست بحرف على الإطلاق، وإنما هي مقطع صوتيّ يرافق إخراج جميع الأصوات اللّغويّة، المحدّدة المخرج والصفة، لذا فإن لها وظائف صوتيّة وصرفيّة ونحويّة وقاموسيّة وكتابيّة انعكست سلباً على طريقة رسمها وأحدثت إرباكاً لمتعلمي هذه اللّغة ومعلميها***». فما انتهى إليه أحمد زرقة هو كمن وضع إصبعه على الجرح، حين يقول أيضاً في الهمزة: «***الألف هي المقطع الصوتيّ الذي يعبّر اللّفظ به عن صوته، وأنّه لا يجوز تسميتها باسم آخر غير الهمزة. وهي تمثل النّواة الأصلية لدراسة الصّوت الجسيم الذي تتألف من الصّائت والصّامت، مُعتبراً أنّها هي الميزان الذي يقيس كلّ الأصوات.***»[1]

الاستخدامات الصّرفيّة للهمزة، كما ورد في الموسوعة العربيّة العالميّة: من الحروف الحلقيّة[2] السّتة الّتي لها تأثير كبير في وجود الباب الثّالث من أبواب الفعل الثّلاثيّ المُجرَّد، باب: فَعَل: يَفْعَل (بفتح العين في الماضي والمضارع معاً)، إذا كانت عين الفعل أو لامه حرفاً حلقيّاً مثل، نَشَأ: يَنْشَأ، سَأل: يَسْأل. وفي الكَلِم العربيّ:

- تُقْلَب ألفاً كما في: آمَن، وأصلها: أأمَنْ، وآبى، وأصلها: أأبى (منه) في التفضيل، وآجَال وأصلها: أأجال في جمع التكسير، وآمُر وأصلها: أأمر.
- وتقلب واواً كما في: أومن، وأصلها: أأمن. و: أوتي، وأصلها: أأتي. وفي مثل: صحْراوان، وأصلها: صحراءان، وصحْراوات، وأصلها: صحْراءات، وصحْراويّ، وأصلها: صحْرائي. وكما في: هَرَاوَى، وأصلها هَرَائوْ في جمع التكسير لـ: هِرَاوة.
- وتُقلب ياءً كما في: أيتلف، وأصلها أأتلف، و: إيمان، وأصلها: إئْمان. و: إيت، وأصلها: إئْت، و: قضايا، وأصلها: قضائي، في جمع التكسير. وهي أيضاً

---

(١) زرقة، أحمد: **ميزان الألف العربية**، م. س. ص. ١٥-١٦.

(٢) يلاحظ أنّها صوت صدري وليس حلقياً، كما ورد في الموسوعة هنا.

من الحروف القمريّة؛ تظهر معها لام (أل) التعريف نُطقاً وكتابةً مثل: الأحمر.[1]

الاستخدامات النّحويّة للهمزة: الهمزة من حروف المعاني. وتَرد مصدريّة مثل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ البقرة٦، وترد للسؤال عن أحد الشّيئين أو الأشياء، مثل: أأخوك مسافر أم أبوك، أم عمّك؟ وجوابها يكون بالتعيين. ويُسأل بها في الاستفهام عند إسناد الحدَث إلى الفاعل، مثل: أسَافَر أخوك؟ والجواب بـ: نعم، في الإثبات، وبـ: لا، في النّفي. ومثل: ألم يسافر أخوك؟ والجواب بـ: نعم، في النفي، وبـ: بلى، في الإثبات. وترد الهمزة أيضاً لنداء القريب، مثل: أبُنيّ. وإذا مدَّت همزة النّداء فصارت: آ، صار النّداء بها للبعيد مثل: آ رجلُ.

الصّفات الكتابيّة للهمزة: الهمزة تُكتَب في أوّل الكلمة بصورة الألف مُطلقاً فوقها همزة وفتحة مثل: أكل، أو ضمّة مثل: أُكل، وتحتها همزة وكسرة مثل: إذن، وتسمّى: همزة قطع. وتكون الهمزة همزة وصل في أحد عشر اسماً هي: (إسم، إست، إبن، إبنُم، إبنة، إمرُؤ، إمرأة، إثنان، إثنتان، إيمُن، إيّم).[2] وتكون همزة وصل أيضاً في حرف واحد هو: (أل) التّعريف. وتكتب ألفاً بدون همزة أو توضع فوق الألف صاداً صغيرة. وتكون الهمزة همزة قطع في جموع الأسماء، مثل: أحلام، أماجد، آجال. وهمزة القطع تُفْتَح قياساً في ماضي الرّباعي وأمره مثل: أكرَمَ، أكرِم، في غير ذلك ففتحها وكسرها على حسب السّماع. وتكون أصليّة كما في: أخذ، وزائدة كما في: أكرمْ. وتقع الهمزة في أوائل الكلم، وأواسطه، وأواخره مثل: أذن، سأل، قرأ. همزة الوصل تُضَم في مجهول ماضي الخماسي مثل انتخب، والسداسي مثل: استُخرج، وتفتح وجوباً في: أل، ويترجح فتحها في: أيمُن، وأيم، وتكسر في معلوم الماضي الخُماسي والسُداسي وأمرهما

---

(١) الأمثلة الإستشهادية ليست دقيقة مثل المد في (آمن) لأننا نلفظ الهمزة عملياً ونحذفها رسماً، فالأصل صوتاً هو (ءَامن)، وقرآن، هو (قُرءَان)، وءَاجال، واستشهاد على ذلك بصيغ كتابتها في التنزيل.

(٢) تلغى همزة هذه الأمثلة لمجرّد ورودها في سياق الكلام.

ومصدرهما مثل: احْتملَ، احتملْ احتمال. ومثل: استخرَجَ، استخرِج، استخراج. وفي أمر الثلاثي مثل: إلعَبْ إلّا في المضموم العين فتضم مثل: أُقْعُد. وتكسر في المصادر المشار إليها قبلاً. وتكسر ترجيحاً في الماضي المجهول الأجوف مما على وزن: إفتعل، وإنفعَل، مناسبة لكسر ثالثه مثل: إقتيد، إنقيد. وتكتب همزة القطع الممدودة مَدَّة هكذا: آ، في مثل: آمن، آية[1]. وتُحذَف همزة الوصل بعد الفاء والواو الدّاخلة على مصحوب بأل، مثل: فالرّجل، والرّجل.

وتكتب الهمزة في وسط الكلمة حسب قوّة حركتها، أو حركة ما قبلها. وترتيب قوّة الحركة تنازليّاً هو: الكَسْرَة، الضَمَّة، الفَتْحَة، السُكون. مثل: سُئل، فئة، بئْر، يئس، ومثل: سؤال، سُؤْدد، ومثل: كأس، تساءَل، مروءَة، بيئة، بناءَيْن، قرءان، منشآت.

وقد تكتب الهمزة على السّطر في مثل: تساءَل كراهية لتوالي الألفين. وتكتب الهمزة في طرف الكلمة، بصورة الحرف المتجانس مع حركة ما قبلها، مثل: ظمئ، جرُؤ، قرأ، شيْء، نشْء، أصدقاء، شاطئ، وإذا أضيف إليها لاصق بها كُتبَت وكأنّها في وسط الكلمة مثل: جزْءان، شيؤها، شيئه.

وتكتب الهمزة المنوَّنة بفتحتين، على نبرة إذا سُبقت بياء مثل: بريئاً، شيئاً، ومفردة إذا كان ما قبلها ألفاً مثل: أسماء، وعلى ألف إذا كان ما قبلها فتحة مثل: نبأ، ومفردة بعدها ألف إذا سُكّن ما قبلها مثل: جُزءاً، وعلى واو وبعدها ألف إذا كان ما قبلها ضمَّة مثل: لؤلؤاً، وعلى ألف إذا كان ما قبلها فتحة مثل: نبَأً، وعلى نبرة إذا سُبقَت بكسرة مثل: ناشئاً. فصور كتابة الهمزة العربيّة كلّها هكذا: ء، أ، إ، ؤ، ئ، ئـ، ئا. وذلك حسب ما سبق.[2]

حيث أنّ مشكلة وصف وكتابة الهمزة والألف، لا تزال ترافق كتّابنا صدراً وحشواً وطرفاً، ولمّا كان بحثنا يبحث عن معنى الحرف وليس كتابته، وإن كانت

---

(١) الملاحظة نفسها في الصفحة السابقة، لا وجود للمد فوق حرف المد، المفترض أن تبدأ الحركة همزاً لتستمر مدّاً، فتكتب حركياً كما في كتابة خط التنزيل، ءَا، ءامن، ءاية.

(٢) الاستخدامات الصّرفية والنّحوية وكذلك كتابات الهمزة مقتطف الحروف العربية؛ الأبجدية؛ الألفباء من **الموسوعة العربية العالمية** ١٤٦/ مج ١، ٣، ٤.

الكتابة دلالة على المعنى، فإنّنا غير مطالبين هنا لإضافة إشكالية تفسيرية بالتعليق على ما ورد في هذا السّياق، لذلك نستشهد بما قاله أحمد زرقة: ***«ليس لدينا في العربية ألف واحدة، بل ألفات متعدّدة لكلّ واحدة منها وظائف وصفات تختلف فيها عن الأخرى، لكنّها مجموع في رسم كتابيّ واحد أدى إلى إشكاليتها، وإلى عدم الوصول إلى تحديد تعريف دقيق لها.»***[1].

نسوق هذه الاستخدامات، لما شكّلته وتشكّله الهمزة كتابة ولفظاً ونُطقاً منذ العهد السّومريّ كما أشرنا في مقدّمة البحث. ولأنّ في الاختلاف الكتابيّ دلالةً على أنّها ليست حرفاً وإنّما هي من تنشئُ الحروف، لذلك يتغيّر منظور كتابتها وفقاً لنسق موقعها ودورها في تحريك أصوات الحروف الأخرى.

دلالة اسم الألف من خلال حروفه

- الألف: من التّأليف؛ أي التّشكيل، والتّآلف؛ أي التّوفيق، والألفُ؛ ألكثرة.
- اللّام: لَمْ؛ بمدلول الجمع، والنّفي للماضي، والتّقريع؛ أي اللّوم، ولا إتمام؛ أي (لا+م).
- الفاء: الرّجع والرّجوع، بعد الفصل أو الفراق.

ملاحظة اقترانات حروف أيّ تسلسل، تمثل آليّة تركيبه الدّلاليّ، ومقاربة حركة حروفه فيما تمثّل من تناسق أو تعارض، هي من يرشد إلى القصد والمُضمر. وحيث الاسم وصف دلاليّ للمُسمّى، فاستخدام ال(ألف) اللّام والفاء لتعين اسمها، وهما حرفان متعارضان في القصد بين التأليف والفصل، يوجهنا كي نتساءل: لماذا الوسط هو حرف اللّام، وانتهاء التسمية هو بالفاء؟ لذلك ننظر في دلالة جدليّة تناقض هذين الحرفين، كونهما عناصر مسمّى الألف المكلّلة بالهمزة، للمقاربة مع دورها في تحفيز التأليف.

يدلّنا التّناقض والتآلف في ترتيب حروف مسمّى الألف، إلى اختلاف في المعنى عند قلب تسلسلها، مثل: (أ-ل) و(ل-ا) وكذلك (أ-ف) و(ف-ا) وأيضاً (ل-ف) و(ف-ل)، نجد أنّ (أل) تفيد التّعريف، بينما (لا) تفيد النّفي، و(أف) تفيد النّفر

---

(١) زُرقة، أحمد: **ميزان الألف العربيّة**، م. س.، ط ١، ١٩٩٠م، ص. ١٩.

بينما (فا) تفيد التّراجع، و(لف) تفيد الدّوران، بينما (فل) تفيد الافتراق. نستنتج أنّ مسمّى الألف يحوي تناقض السّالب بالموجب وتوازنهما في آن، في حركة الإنشاء والتّعامد بين الزّمان والمكان، وهو بالضّبط حال التّأليف والخلق الكونيّ، كما بيّنا في معالجتنا الزّمان والمكان في حركة الحرف صفحة ٩٣ وما بعدها. تنبئنا حروف الألف الثّلاثة إن تغيّرت مواقعها، عن طبيعة ودلالة اقتراناتها، لذلك نتابع الاحتكام إلى التّسلسلات التّالية، لمعاينة النّتائج:

ل-ف: اللّام حركة تلاحم ونسج ودمجٍ وتوحيدٍ للأجزاء لإنتاج حركةٍ واحدة، والفاء تفرّق الحركة إلى كافّة الاتجاهات المادّيّة والمعنويّة، كما سبق ذكره. فكلّما أرادت اللّام أن توجّه الحركة باتجاهٍ عمدت الفاءُ إلى حرفها، ونتج عن ذلك حركة مداورة باللّف، والالتفاف هو بهذه الحركة، في معجم مقاييس اللّغة: اللّام والفاء أصلٌ صحيحٌ يدلُ على تلوّي شيء على شيء. يقال: لففْتُ الشّيءَ بالشّيء لفّاً. ولففت عمامَتي على رأسي. ويُقال: جاء القومُ ومَن لَفَّ لَفَّهم، أي من تأشَّبَ إليهم، كأنّه التفَّ بهم. والألفاف: الشَّجرُ يلتفُ بعضه ببعض. كما في التنزيل: ﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافاً﴾ النبأ١٦، قال الأعشى[1]:

وقد ملأت قيسٌ ومن لَفَّ لَفَّها نُبَاكاً فَقوّاً فالرَّجا فالنَّواعصا

وقال المُتنبّي[2]:

لولا اللّئامُ وشيءٌ من مشابَهة لَكانَ ألأمَ طفلٍ لُفَّ في خرَقِ

ويقال للعَييّ: ألَفُّ، كأنَّ لسانَه قد التفَّ، وفي لسانه لَفَفٌ. والألَفُّ: يقال للرّجُل الثّقيل البطيء الذي تَدانى فَخِذاه من سِمَنه، كأنَّهما التفّتا؛ وهو

(١) الأعشى: هو ميمون بن قيس بن جندل من بني قيس بن ثعلبة الوائلي، أبو بصير، المعروف بأعشى قيس، من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية وأحد اصحاب المعلقات، عاش عمرا طويلا وأدرك الإسلام ولم يسلم، مولده ومماته في قرية منفوحة باليمامة، قرب الرياض، (؟-٧هـ، ؟-٦٢٨م)

(٢) المتنبّي: هو أبو الطّيب، أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمّد الجعفي الكوفي الكندي، وهو الشاعر الحكيم أحد مفاخر الأدب العربي. (٣٥٤-٩١٥هـ، ٩١٥-٩٦٥م).

اللّفَف: ألَفُ، وفي التّنزيل: ﴿وَالْتَفَّت السَّاقُ بالسَّاقِ﴾ القيامة٢٩، وفسّر بأنّها حال الميّت. قال الأقرع بن معاذ القشيري[١]:

عراض القَطَا ملتفّةٌ رَبَلاتُها وما اللُّفُ أفخاذاً بتاركةٍ عَقْلاً

قال الطّرمّاح[٢]:

وَلَقَدْ عَرَتْني منْكَ جَدوى أَنْبَتَتْ خُضْراً إلى لَفَفٍ من الأشْجَارِ

ومن المجاز: التفّوا عليه وتلفّفوا: اجتمعوا، وتلفّف له على حنقٍ. قال النّابغة[٣]:

وَقَدْ تَلَفَّفَ لي عَمْرو على حَنَقٍ عن قول عَرْجَلة ليسوا بِأخيارِ

وأضيف أنّه ليس مجرّد جمع، وإنّما بالاحتيال والدّوران.

فـ-ل: الفاء تفريقُ وفصلُ ما هو متلاحم، واللّام تلاحم وتوصيل، في معجم مقاييس اللّغة: الفاء واللّام أصلٌ صحيح يدلُ على انكسارٍ وانثلام. والفَلُ: القومُ المنهزمون. والفُلولُ: الكُسور في حدّ السّيف، الواحدُ فَلٌ. قال النّابغة:

ولا عيبَ فيهم غير أنَّ سُيوفَهم بهنَّ فُلولٌ من قِراعِ الكَتائبِ

فَلَّ في المعاجم أيضاً: إذا سافر وترك، وفي قول صَردَر بن صريعر[٤]:

إن رثّ غمدي لم ترّث مضاربي أو فُلَّ عَزمي لم تُفلَّ بصائري

وقال المُتنبّي:

إذا فُلَّ عَزمي عن مدىً خوفَ بُعدِهِ فأبعدُ شيءٍ ممكنٌ لم يجد عزما

---

(١) الأقرع بن معاذ: هو الأشجع بن معاذ بن سنان بن حزن، لقّب بالأقرع لقول له يهجو بني معاوية بن قشير، لم يعرف له تاريخ ميلاد أو وفاة. وقيل أن هذا البيت لنصر بن سيّار ملك خراسان يصف نساءً.

(٢) الطّرمّاح: هو الطّرمّاح حكيم بن الحكم من طي، شاعر إسلامي، ولد ونشأ في الشام، وانتقل إلى الكوفة، اعتنق مذهب الأزارقة، (الخوارج)، (؟-١٢٥هـ، ؟-٧٤٣م).

(٣) النّابغة الذبياني: هو زياد بن معاوية بن ضباب الذبيانيّ المضريّ، شاعر جاهليّ من الطبقة الأولى، أحد أصحاب المعلّقات، وله قصيدة المتجرّدة في زوجة النعمان، (؟-١٨ ق هـ، ؟-٦٠٥م).

(٤) صَردَر بن صريعر: علي بن الحسن بن علي الفضل البغدادي أبو منصور، وقيل سمي أبوه (صريعر) لبخله، شاعر مجيد وكاتب، (؟-٤٦٥هـ، ؟-١٠٧٣م).

أ-ل-ف: الهمزة تحفّز اللّام للتواصل بما هو مُنفصل ومُتفرّق، في مسعى لولوج بابي الزّمان والمكان. قيل في تهذيب اللّغة: ألفتُ الشيء، وآلفته بمعنىً واحد، أي لَزِمْتُه؛ فهو مُؤْلَف، ومألوف. ألفت الشيء: وألفت فُلاناً، إذا أنسْتُ به. وآلَفَت الظِّباء الرّمل، إذا ألفَتْها؛ وألّفتُ بينهم تأليفاً، إذا جمعتُ بينهم بعد تفرُق. وألّفْتُ الشيء: وصلت بعضه ببعض؛ ومنه: تأليفُ الكُتب. وءالَفْتُ فلاناً الشيء، إذا ألزمته إيّاه، أُولفه إيلافاً. وفي التّنزيل: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ قريش١، ﴿إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ قريش٢، المعنى: لتؤلف قريش الرّحلتين فيتّصلا ولا ينقطعا. وقال ذو الرّمة[1]:

من المُؤْلفات الرَّمْلِ أدْماءُ حُرَّةٌ شُعاعُ الضُحَى في مَتْنها يَتَوَضَّحُ

ف-ل-ا: ترتيب التسلسل هنا بدلالة التّباعد ومنع التّلاحم، كون الفاء سبقت اللّام، وإمعان الفصل والتّفريق بالتواجد زماناً ومكاناً، لورود ألف المد بعد اللّام. فحركة فصل التّلاحم ولجت بابي الزّمان والمكان، تَحرّرت ولم يعد ما يعيق وجودها. في لسان العرب: فَلا الصَّبِيَّ والمُهْرَ والجَحْش فَلْواً وفلاءً وأفْلاه وافْتلاه: عَزَلَه عن الرَّضاع وفصلَه، وفَلَوْتُه عن أمه وافْتَلَيْته إذا فطمته، وافْتَلَيْته اتخذته. وقال بشامة بن حَزن النّهشلي[2]:

وليس يهلِكُ منّا سيّداً أبداً إلّا افتلينا غلاماً سيّداً فينا

قال الشّاعر:

نَقُودُ جيادَهُنَّ ونَفْتَليها ولا نَغْذُو التُيُوسَ ولا القهادا

فلا في المعاجم؛ إذا سافر، والفلاية وفلي الرّأس من القمل وغيره، وفلى: قطع وانقطع، ومنه فلى رأسه بالسّيف: ضربه، وفليت الأمر تدبّرته ودقّقت به، والفلاة: المفازة والقفر من الأرض الّتي لا ماء فيها، وقول حميد بن ثور[3]:

---

(١) ذو الرّمة: غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي، من مضر، كان شديد القصر دميما، عشق ميّة المنقريّة، كان يخرج من البادية إلى البصرة قليلا، (٧٧-١١٧هـ، ٦٩٦-٧٣٥م).

(٢) بشامة بن غدير بن عمرو بن معاوية بن الغدير بن هلال المرّي، ويقال أنه خال زهير، (؟-١٤ق. هـ، ؟-٦١٨م). وقيل أن هذا البيت لنصر بن سيّار ملك خراسان يصف نساءً.

(٣) حميد بن ثور بن حزن الهلالي العامري، ابو المثنى، شاعر مخضرم، (؟- ٣٠هـ، ؟-٦٥٠م).

وتأوي إلى زُغبٍ مراضع دونها فَلاً، لا تخطّاهُ الرّقابُ، مهوبُ

فلان وفلانة، حركة فصل وتفريق المتلاحم وولوج بابي الزّمان والمكان لإنشاء وجود، ومع نون الإنشاء تمّ إضفاء صفة المخلوق المنشأ على أيّ صفة له، وفي التّنزيل: ﴿يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً﴾ الفرقان٢٨.

يلاحظ أنّ الهمزة في تسلسل (فـ-ل-أ) لا مجال لفعلها، فماذا تحفّز وقد فلّ وتفرّق ما يفترض أن يحفّز، وقيل في العباب الزّاخر أنّ فلأ بمعنى أفسد. وكذلك في المحيط في اللّغة: فَلأَ مالَه وحافرَه: أفسَدَه.

ل-ف-ا: حركة التلاحم المتابعة من فاء الفصل تحفّزها الهمزة لولوج بابي الزّمان والمكان. فحركة المداورة والالتفاف غير مستقرّة، وفي لسان العرب: لَفَأَت الرّيحُ السَّحابَ عن الماء والترابَ عن وجه الأرض تَلْفَؤُه لَفْأً فَرَّقَتْه وسَفَرَتْه ولَفَأَ اللّحمَ عن العظم يَلْفَؤُه لَفْأً ولَفأً والْتَفَأَه كلاهما قَشَرَه وجَلَفَه عنه والقطْعةُ منه لَفيئَةٌ؛ أي الهبرة من اللّحم لا عظم فيها، ولَفَأَه بالعَصا لَفْأً ضرَبَه بها، وفلاناً: اغتابه؛ كأنّه قشره، وفلاناً ردّه وصرفه عمّا أراده، ويُقال: لفأت الإبل: عدلت بها عن وجهها، واللَّفَاءُ دون الحَقِّ، ويقال: لا أَرْضَ مِن الوَفاء باللَّفَاء؛ أي بدون الحَقّ. قال أبو زيد الطّائي[1]:

فما أنا بالضَّعيف فَتَزْدَريني ولا حَظِّي اللَّفَاءُ ولا الخَسِيسُ

حيث اللّام سبقت الفاء في النشأة، والمفترض أنْ تظهر اختلاف ترتيب التسلسل عمّا هي عليه في (فـ-ل-ا) تعارضاً في المعنى، حيث أظهرت لنا حركتي (لف) و(فل) معنىً متعارضاً، لهذا، أجد أنَّ المعنى المُعجمي يحتاج إلى التحقّق في ديوان العرب وغيره من الموروث. تقول العامّة في الرّيف السّوري: لفا علينا الضّيف؛ أي حطّ في ديارنا. ممّا يفيد أنّه غريب وأنّ الاتصال لم يكن مسبوقاً. ما يهمّنا هنا هو الإشارة إلى التعارض البَيِّن بين الالتحام باللّام والتفريق بالفاء.

---

(١) أبو زيد الطائي، هو حرملة بن منذر بن معدي يكرب بن حمظله، شاعر جاهلي من طي، عمّر طويلاً وأدرك الإسلام (؟- ٤١هـ، ؟- ٦٦١م).

أ-ف-ل: هنا لام التلاحم هي من تسعى الهمزةُ لتوصيل حركة تردّدها، ومن خلال الفصل والتفريق إلى التثبّت الزّمكاني. فالألف أخذت همزتها المبادرة لدفع الفاء باتجاه الافتراق، وألزمت اللّام بالـ(لا إتمام)، فالتلاحم يأبى التردّد، ففيه عدم استقرار، كما في تسلسل (ف-ل)؛ فكأنّ الاسترجاع في أفل وهو الغياب كما تقول المعاجم، لكنّه يضمر العودة كالقول: أفل راجعاً. وفي التنزيل: ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَـذَا رَبِّي هَـذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ الأنعام٧٨، ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَـذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ﴾ الأنعام٧٦، يلاحظ أنّ التّنزيل لم يستخدم لفظة أخرى كالغياب، لما في القول من إضمار التردّد بين الظّهور والغياب؛ حيث أنّ الأفول ليس الغياب النّهائي، وإنّما يضمر العودة للظهور مُجدّداً حيث الهمزة تسترجع الحركة واللّام تتابع التواصل، قال امرؤ القيس[1]:

أَيَخْفَى لَنَا إنْ كانَ في اللّيلِ دفنُهُ   فَقُلْنَ وهلْ يَخْفَى الهلالُ إذا أفَل

وقال مجنون ليلى[2]:

أَنيري مَكانَ البَدْرِ إنْ أفَلَ البَدْرُ   وَقومي مَقَامَ الشَّمسِ ما اسْتَأخَرَ الفَجْرُ

ل-أ-ف: اللّام هنا تدفع بهمزة الألف للتوصيل والإيصال، والفاء مُلتزمة بإتمام الفصل، فالحركة استرجاعية فرضتها الهمزة، وفي لسان العرب: فلان يَلأفُ الطّعام لأفاً إذا أكله أكلاً جيّداً. ويلاحظ دلالة نقيضه في معنى تسلسل (ف-أ-ل).

ف-أ-ل: هنا الفاء أخذت زِمامَ المبادرة، والهمزة تسترجع من اللّام التواصل، فهي انفصال لحركة إنشاء وجود، اللّام هنا (لا إتمام) لانتفاء وجود زمكانيّ؛ فالمعنى يفيد التردّد في العمل رغمَ التحفيز، إذ يضمر الشّك وعدم اليقين،

---

(١) أمرؤُ القيس: أمرؤُ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، أشهر شعراء العرب على الإطلاق، يماني الأصل، مولده في نجد، أبوه ملك أسد وغطفان، وأمّه أخت المهلهل، وسيرته مع الثأر لدم أبيه واستنجاده بملك الرّوم معروفة، (١٣٠-٨٠ق هـ. ٤٩٦-٥٤٤م).

(٢) مجنون ليلى هو قيس بن الملوّح بن مزاحم العامري، من شعراء الغزل المتيّمين، من أهل نجد، (؟- ٦٨هـ. ؟- ٦٨٧م).

فالتلاحم المنشود باللّام لنسج علاقة موضوعيّة غير مكتملة، بدون حيّز مكانيّ وبعد زمانيّ، وهو ما يؤمل به، حيث المضمر أنّ التوصّل إلى نتيجة لم يتحقّق وما زال مأمولاً ومجالاً لتحفيز الهمزة. وفي تاج العروس من جواهر القاموس: الفأْلُ: ضدُّ الطِّيَرَة، وهو فيما يُستَحَبُّ، والطِّيَرَةُ لا تكونُ إلّا فيما يَسوءُ، يُستعمَلُ الفأْلُ في الخير والشَّرِّ، وفيما يَحسُنُ وفيما يسوءُ. والتفاؤل: الاستبشار بالخير، ونقيض التشاؤم. قال الكُمَيْتُ يصفُ خَيلاً[1]:

إذا ما بدَتْ تحتَ الخَوافقِ صَدَّقَتْ بأيمنِ فأْلِ الزَّاجرينَ افْتَالَها

هكذا تظهر المقاربات عند تغيير مواقع حروف التسلسلات السّابقة، وجود تعارض بين حركتي اللّام الّتي تُوصل، والفاء الّتي تُفرّق. وأنّ الألف تقوم بوضع الحركة في محوري الزّمكان، سواء أكان ذلك إنشاءً أو متابعةً وفقاً لموقعها.

الاقتران[2] الثّنائي الّذي تبتدئ به الألف بصفتها متبوعاً

وفق منهجنا في استقصاء معاني حركات الحروف، نعاين بعض الاقترانات الّتي تبدأ بالألف، وننظر في اتّجاه حركة المعنى ظاهراً وباطناً لكلٍ من هذه الاقترانات، من خلال الاستعانة بالتّنزيل والشّعر وما شاع من معنىً استخداميّ. ثُمّ نعاير التّوجّه بتغيير حركة الحرف البادئ، وفقاً لما سبق وأسميناه حركات العروج؛ أي مظاهر الألف: (الفتحة، والضّمة، والكسرة، والسّكون). نبدأ بالفتحة الزّمكانيّة الّتي هي أُسُّ الصّوائت. ثُمّ نستبدلها بالضّمة، لاكتساب معنى التّموضع المكاني. وبعد ذلك بالكسرة لمعاينة التّوجّه الزّماني. ثُمّ نواكب التّغيير في المعنى بملاحقة واستقصاء تغيير الحرف اللّاحق، كما يلي:

أ-ب: أبا، أبو، أبي. من المعلوم أنّ كلمة (أبٌ) هي للدّلالة على رعاية من يعود إليه الطّفل. والأُبُوّة صفة لمن أوكلت إليه الرّعاية. حركة الفتحة على الهمزة في

---

(١) الكُمَيتُ: بن زيد بن خنيس الأسدي، شاعر الهاشميين من أهل الكوفة، (٦٠-١٢٦هـ، ٦٨٨- ٧٤٤م).

(٢) الاقتران والاقترنات هنا للحروف في تشكيلها اللّفظ والكلمات، كما لو أنّه تزاوج لإنشاء علاقة مترابطة، وقد استخدمنا هذه الكلمة لما تدل عليه حروف اقترن.. فالقاف قوّة الإبانة التي تسعى بجذب الجهد بالتاء، وتكرار حركتيهما بالرّاء، لإدامة إنشائها بالألف والنون، أي ولوج الزّمكان في تكوين مستمر.

(أبَ) تستخدمها للتحفيز والضغط لفتح المجال الانبثاقي بحرف الباء. التوجّه القصدي، يستدعي أحياناً ووفقاً لرغبة الألف الزّمكانيّة، صيَغاً ثلاثة هي: الواو في أبو، والياء في أبي، والألف في أبا. المعنى الحركي هنا يتطلّب منّا التّوقّف والمراقبة. فإنْ قلنا (أبو) فالواو الّتي لحقت بباء الانبثاق تدلّ على تموْضع الحركة الانبثاقيّة في المكان، ذلك لأنّ اللّفظة هنا منسوبة لحضور فاعل، أو مبتدأ لا بُدّ من حيّزٍ مكاني تشير إليه الواو لتؤكّده. وعندما تكون الصّيغة (أبي)، لتشير إلى انتساب من يتجه إليه المعنى، وكون الانتساب يستدعي استمراراً زمانيّاً، فإنّ الياء تسارع ديمومة الحركة؛ وهي هنا محور الزّمان. يلاحظ أنّ كلمة (أبي) لا تستدعي حضوره أمام المخاطب من منظور الإعراب. أمّا (أبا) الدّالة إعرابيّاً على المفعوليّة لا الفاعليّة، فلا تستدعي حضوراً مُشَخّصاً يستلزم (الواو)، وكون المنسوب إليه غير موجود، فلا يتوجّب الاستعانة بالياء لاستدامة زمن الانتساب، فكان للزّمكان في الألف دور تكرار الإثبات المتلازم. يقتضي الأمر منّا، عند متابعة الحركة، مُلاحظة مُتغيّرات ظهور الصّوت في حركة الألف أيضاً، لأهمّية القصد الأساس للمعنى. ذلك أنّ ما عالجناه هنا كان تحريك الألف بالفتحة؛ الّتي تعني أيضاً صيغة زمكانيّة، وهي تختلف عن التّحريك بالضّمة؛ الّتي تفيد الحيّز المكانيّ كالأُبُوة. وإن نحن حرّكناه بالكسرة مثل (إب)، كما في قولنا (الإبة)؛ فهي تعني مُعجميّاً الخزي، كما في قول ذي الرّمّة[1]:

إذا المرئيُ شبَّ له بناتٌ   عَصَبْنَ برأسه إبَةً وَعَارَا

يُظهر تفاعل وتناغم الأصوات والاختلاف في حركات الحروف، توجّه قصد المُتكلّم، فخضوع الألف مُسبقاً للزّمن يفقدها تطاولها على المكان، فتنعت بالتقصير والخزي، كمقصد ومنتهى وحالة ملازمة زمنيّاً.

أ-ل: دلالة هذا التسلسل وفقاً لما ورد في المعاجم وما استقصيناه من الاستخدام، تفيد استمرار الارتباط الزّمكاني. لذلك تبدأ باسم الجلالة (الله)، وءالاء ربّي، وما يُستثنى بإلّا، وآل إليه الأمر. و(أل) التّعريف، والقرابة، ومن الآلية والآلة.

---

(١) ذو الرّمة: هو غيلان بن عقبه بن نهيس بن مسعود العدوي، (٧٧-١١٧هـ، ٦٩٦-٧٣٥م).

لذلك تظهر (أل) في الجنس والعهد والتّعريف والتّعظيم. وفي المعاجم: المَثَلُ: الذي يقع في النّاس؛ والألُ، أيضاً: الطَّرد. الألاءُ: شَجَرٌ مُرٌ دائمُ الخُضْرَة واحدَتُهُ: ألاءَةٌ وألاءٌ أيضاً. وسقاءٌ مَألوءٌ ومَألِيٌ: دُبِغَ به. وألاَ ألْواً وأُلُوّاً وأُلِيّاً وأَلّى واتَّلَى: قَصَّرَ وأبطَأ وتَكَبَّرَ وما ألَوْتُهُ: ما استَطَعْتُهُ، أو ما تَرَكْتُهُ. والألْوَةُ والآلِيَةُ والألِيَّا: اليَمينُ. وءالَى وائْتَلَى وتَألَّى: أقْسَمَ. والألُوَّةُ: الغَلْوَةُ والسَّبْغَةُ والعُودُ يُتَبَخَّرُ به. ووردت (إل) في التنزيل بالكسرة في ﴿سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ﴾ الصافات١٣٠، ممّا يظهر أهمّية الحركة في الدّلالة على التخصيص الزّمني بشخص إلياس، بينما التتابع كسلالة زمكانيّة كما في ءَال إبراهيم وءَال عمران.

أ-ي: توجّه الحركة هنا زماني. ذلك أنّ خروج الهمزة من الجوف وصولاً إلى الياء دون مدارج الفم في حركة لمواكبة الزّمن. دلالتها ظاهراً: فَسّرَ، وإجابة لاستفهام. غير أنّ ءاليتها وإنْ كانت زمانيّة بالياء المشدّدة، إلّا أنّ الياء الثّانية بعد توقّف الأولى، قد تأخذ إحدى حركات العروج الثّلاثة، ما يستوجب التّمييز؛ إنْ كانت بالفتحة الزّمكانيّة؛ فهي تطلق على التّرابط الزّمكانيّ، وإنْ كانت بالضّمة المكانيّة؛ فهي تُعطي معنى الاستفسار عن تموضع الجماعة، وإنْ كانت بالكسرة؛ فهي تُفصح عن بعد زمانيّ للاستفهام. الحالة الرّابعة من حركات العروج هي السُكون كما في (أيْ)؛ حيث سكّنت الياء لتوقّف الزّمن لحظة النّداء بانتظار الاستجابة. كما القول: أيْ بني. يلاحظ كذلك إذا عكسنا الترتيب صارت (يا) وللمنادى أيضاً.

إ-ي: إيِ: قيل: هي إشارة إلى القبول بنعم؛ ذلك أنّ التّأليف والإنشاء بالألف مستمرّ بحركة الياء الزّمانيّة. وفي التّنزيل: ﴿..قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌ..﴾ يونس٥٣، والمضمرات «إيّاي، وإيّاك، وإيّاكم»، قيل: هي إمّا للتنبيه أو للتخصيص، وأرى أنّ التخصيص هو حركة الياء الزّمانيّة تثبت العلاقة الجدليّة والمستمرّة بين كُلّ من طرفي المخاطِب والمُخاطَب. كما في التّنزيل: ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ البقرة٤١.

أَ-و: خروج الهمزة من الجوف إلى ظاهر الشّفتين بالفتحة الزّمكانيّة للتموضع والثّبات بمكانيّة الواو السّاكنة، وجه فيه توقّف مُفاجئٌ لاعتراض مادّيّ أو معنويّ. والتوقّف فيه دلالة التموضع.

أُ-و: (أُ-و-و): لم تستعمل، ربّما لكراهة ورود الواو بعد الضّمّة نُطقاً. فأنْ تبدأ الهمزة بحركة الضمّة المكانيّة للتموضع بالواو يماثل نفي الحركة بلْ أسرها وتثبيتها.

أ-ن: أنّ: حركة النّون، المفترَضُ أنْ تخرج من طرف غار الفم، وزلق الشّفتين، ساكنة؛ أي لا هي سالبة إلى الدّاخل ولا مُوجبة إلى الخارج. هنا ارتدّ خروج الهمزة من الجوف لغرض تحفيز نون الإنشاء لعدم تُفاعل النّون. دلالة أنْ مُعجمياً: أكّد وعلم. وفي (أنّ) حيث النّون مشدّدة بالفتحة، التحرّك إنشائي منفتح على الزّمكان. توقّفت النّون ثُمّ تابعت؛ أفادت التوجّع والأنين. وتأتي همزة الألف في (إنْ) مكسورة إذا لم يقع عليها القول، كحالة زميّة، كما في التّنزيل ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَّفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ الأعلى٩. نلاحظ ملازمة الاستمرارية الّتي عبّرت عنها حركة الكسرة، ملازمة لِمَا يُضمَر فيما يؤكّد، فالمؤكّد يستوجب الثّبات الزّمني.

أ-ن-ن-ى: أنّى بتشديد حرف النّون؛ توجّه ألف التعامد في الولوج الزّمكانيّ لإنشاء وجود مستمر بالنّون، تتابع مُجدّداً النّون الثّانية تأكيداً للاستمرار الإنشائيّ؛ مما يعبّر عن تحدٍ يستدعي تثبيت الولوج وعدم التراجع، فأتت الياء بصيغة (الألف المقصورة) لتجعل من الاستمراريّة الزّمانيّة خاصّية المتابعة. أنّى في المعاجم: هي من الظروف لبيان المكان والزّمان والحالة، وفي هذه الخاصيّة تساؤل مُحق لِمَن يريد أنْ يتأكّد من الولوج والتثبّت الإنشائيّ حالةً ومكانةً وزماناً؛ كالقول: أنّى تكون أكون، أنّى تراني أراك، أنّى لكَ أنْ تنجح. كما في التّنزيل: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ[1] فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى[1] شِئْتُمْ﴾ البقرة٢٢٣، ﴿وَقَالُوا ءَامَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ سبأ٥٢، قال المعرّي[2]:

---

(١) «حرثٌ لكم»: أي مكان الحرث لكم، أي مكان زرع الولد، لما يلقى في أرحامهن من النّطف، لأنّ في النساء بقاء نوع الإنسان كما أنّ في بزرع الأرض وحرثها بقاء نوع النبات، كما في تفسير عبد الرؤوف المصري (أبو رزق)، معجم القرءان، مطبعة حجازي- القاهرة، طبعة ثانية، ١٣٦٧هـ، ١٩٤٨م. ص. ١٨٣.

ولم تَدْرِ منْ أنّى تُعَدُّ لنا الخُطَا، ولا أينَ تُقضَى للجُنوبِ المَضاجعُ

التَّوجّه العام لتسلسل (أ-ن) هو للتأكيد والعلم، والتّمني والظّن. إنْ عكسنا التّرتيب يفيد البعد في (نأى)، والوجه المقابل لبَعُدَ هو الحضور المُثبت والمتواجد. لذلك اتخذت ضّمائر المخاطب صيغ (أنْ) كما يلي: أنا، وأنت، أنتما، وأنتم، وأنتن؛ حيث اتجه تحفيز همزة الألف بالفتحة الزّمكانيّة لإنشاء وجود مُكوّن بالنّون مباشرة. من الملاحظ في هذه الضّمائر حركات العروج؛ أي (الفتحة والضّمة والكسرة والسّكون)، وهي صيغ الألف الّتي قلنا إنّها تُؤلّف؛ فهي تشير بوضوح إلى فاعليتها؛ ذلك أنّ الفتحة على الألف والنّون وكذلك الألف المخفّفة في (أنا)، والفتحة على الألف والتّاء في (أنتَ)، تشير إلى الزّمكان، فالزّمان والمكان شاخصين بين المتكلّم والمخاطب. بينما في (أنتُم)، و(أنتُنّ)؛ الضّمّة تشير إلى المكان الّذي يفترض أنْ يجتمع فيه أكثر من شخص لمخاطبتهم بالجماعة، وفي (أنتِ)؛ الكسرة تشير إلى الأنثى الّتي تستودع زمن التّكاثر وحركة الاستمراريّة في صيغة الياء الزّمانيّة. كما يلاحظ استجلاب الجهد الخارجيّ في تاء المخاطب، بينما لا اجتلاب لجهد خارجيّ في ضمائر المتكلّم. وهذا ما ستوضحه لنا المعاني الحركيّة للضمائر في تسلسل حرف التّاء.

أَ-م: دلالة أم، ظاهراً: قصد وتوجّه، وباطناً: احتار وتحيّر. خروج الهمزة بالفتحة الزّمكانيّة من أقصى الحلق إلى إطباق الشّفتين باتجاه تعامد زمكانيّ، تبحث لها حركة الميم عن تكامل ما ينقص الإتمام. فالقصد والتّوجّه والإمامة؛ هي للتكامل بما تطلبه ألف التّعامد بين الزّمان والمكان. وأم، في المعاجم: الحين والقرب والأمر اليسير. وأُم بالضّمة على الألف تفيد التّوجّه المكانيّ؛ حيث

لقد مهدّ التنزيل بالقول (نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ)؛ لكي ينتقل إلى استعمال أنّى فلا يختلط الإسقاط على غير مكان الزّرع.

(١) «أنّى»: في الزّمان بمعنى متى شئتم، للزمن؛ وكيف شئتم للحال، حيث شئتم في المكان المعد شرعاً للمباضعة، وهو محل الحرث وغراس الولد. عبد الرّؤوف المصري، أبو رزق: المرجع السابق ص. ٨٧.

(٢) المعرّي: أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعرّي، شاعر وفيلسوف، له عدّة مؤلفات فيها الحكمة والفلسفة والشعر منها اللزوميات وسقط الزند، عندما توفي وقف على قبره ٨٤ شاعراً يرثونه، (٣٦٣-٤٤٩هـ، ٩٧٣-١٠٥٧م).

يفترض في الأم تحديد الوجهة والقصد مُسبقاً لغرض الوصول إلى نتيجة. كذلك في الأُمّة موطن وهدف واحد يجمعهم. ومعنى الأم والإمامة في المعاجم: القصد والأصل. أمّا الإِم بالكسر؛ فزمانيّة الارتباط في إتمام أي هدف أو مشروع وبما يتطلب من زمن؛ كون الميم هي ما اتجهت همزة الألف إلى تحفيزها. والمعنى كما في المعاجم: النّعيم والمُلك، والطّريقة والهيئة.

لاحظنا في التّسلسلات السّابقة أنّ «همزة الألف»[1] قد اندفعت من «الجوف (الصدر) وأقصى الحلق»[2] لتوجيه الحروف اللّاحقة بها إلى وجهتها؛ فهي كانت كامنة قبل انفجار الباء بالنّطق، وحالها كحال الطّاقة الكامنة في التركيب الكيمائيّ للمادّة المتفجّرة، تفاعلت وفاعلت حتّى فجّرت فأظهرت وجودها بالحروف والحركات، وهي حال الوجود نفسه، حيث يصعب على الحروف، وإن كانت على مدارج آلة (ءَالة) النّطق من الحلق إلى الشّفتين، الانطلاق بدون همزة الألف. فلا يمكن لأيِّ صوتٍ أن ينطلق بدون ألف التّأليف. هذه الألف ليست عشوائيّة التّوجّه. الهمزة الّتي يحملُ اسمها مدلولها بدقّة، تحركّت هَمزاً لا اندفاعاً ولا تباطُؤاً، لتعطي هذه التّسلسلات دورها في تشكيل النّسيج اللّغويّ. لام الألف هنا تشبه نول الحائك، تتحرّك على المحور الأفقيّ ذهاباً وإياباً، مُتَسارعة حيناً، ومُتباطئة إن اقتضى النّسيج اللّغويّ ذلك، والحَكَمُ هو معراج المحور العموديّ المُمَثل بالحركات الأربعة الّتي هي صيغ الألف نفسها: (الفتحة، والضّمة، والكسرة، والسّكون). الألف هنا ليست بهذه البساطة، هي المتحكّمة بالموجة الصّوتيّة، وفيما يمثّله قوس الظّاهر وقوس الباطن، وشدّة الحركة اندفاعاً تصاعديّاً أو أُفقيّاً[3]. كذلك تكون خيوط النّسيج بما يتوافق مع حركة الحروف متانةً وألواناً. الألف هي بحق، تعامد بين

---

(١) قَصدنا في «همزة الألف»، التمييز بينها وبين الألف بصيغها الحركية (الفتحة والضمة والكسرة والسكون)، تسليطَ الضوء على تحفيز الحركة همزاً، ويلاحظ أنّ الألف المهملة، الّتي صورتها تكرار عمودي للهمزة ذاتها؛ أي (مدّ لصوت الهمزة) هو الفتحة الزّمانية الممتدة، وتأتي كما الواو والياء في تشكيل المعتل.

(٢) أنظر مدخل هذا الباب في وصف مخرج صوت الألف عند الفراهيدي، وابن سينا وغيرهما، وتعليقنا على ذلك.

(٣) أنظر التفاصيل ص ص ٣٥، ٦٦، ٨٥ وما بعدها.

الزّمان والمكان، لكنّها غير جامدة أو مظهريّة، بل تأخذ ما يتفق ويتوافق من أصوات. وتَلفظ ما لا ينسجم مع القصد. فهي تُؤالف بالزّمكان وبالمكان. هذا هو اسم الألف. فلو لم يكن من اختلاف بين الأصوات والحركات؛ شدّة وضَعفاً، نُطقاً ومَنْطقاً، لما استدعى الأمر إلى التّآلف، وإلى من يقوم بترتيب الأماكن والأدوار في التّشكيل اللّغويّ. لهذا كانت اللّام وسطاً بين همزة الألف والفاء الّتي تفصل الأمر في كلّ إشكال. يَدُ اللّام ليست مُطلقة الحرّية، بل مُقيّدة بما تفصل به وتُفصّله الفاء. فمسمّى الألف، يتضمّن فلسفة التّكوين كلّه، لغة ومنطقاً وحياة، ومادّة وحركة. هذا التّعامد بين الزّمان والمكان هو تعامد شبيه لحركة الزّوبعة، الّتي يرمز بها إلى الجهات الأربع والعناصر الأربعة، لكن في حركة مستمرّة، ينقل الأصوات ويحرّكها وفقاً للحركات الأربعة. قد تبيّن لنا في معنى حركات الحروف، أنّ مكوّنات حروف الألف؛ الّتي هي حرفي اللّام والفاء، هما حرفان متعارضان حركيّاً؛ إذ اللّام تفيد التّلاحم والفاء تفيد الفصل. فكلّما لاحقت اللّام الفاء للتلاحم انفصلت كما في تسلسل (ل-ف)، وإنْ كانت الفاء البادئة، كما في (ف-ل)؛ فالفصل هو التّوجّه الّذي لا يمكن أن تقبل به اللّام. لذلك تفيد الخروج من القيد ورفض البقاء. أمّا فلسفيّاً فإنّ التّأليف والتآلف يفترض أن يكون بين توجّهين أو أكثر، متعارضين غير متّفقين، فدخول التعريف بـ(أل) لإظهار الجهد في التّوفيق لما كان مجهولاً، كما لو ءَالفنا بين ألوان مختلفة لتشكيل لون مقبول، أو للتّوفيق بين قوى متصارعة ومختلفة؛ كما في التّنزيل: ﴿ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ..﴾ ءال عمران١٠٣.

ندلّل على ما توصّلنا إليه بما قاله أحمد زرقة، في أنّ: ***«صوت الألف الّذي يصفونه بأنّه: يحدث من انفجار شديد يقوم خلاله لسان المزمار بفتح الوترين الصّوتين وإغلاقهما بشكل مفاجئ في وجه تيّار الهواء القادم من الرّئتين، كما يحدث في بداية السّعال، هو حكاية صوتيّة لهذا المقطع اللّغوي، الّذي فيه حفز قوي، من الحجاب وعضل الصّدر لهواء أكثر. وهذه الألف الموصوفة بهذا الشّكل ليست حرفاً على الإطلاق، ولا يمكن أن تكون لا من ناحية المخرج ولا من ناحية الصّفة،***

وإنّما هي مقطع صوتيّ يرافق إخراج جميع الأصوات اللّغويّة الأخرى المحدّدة المخرج والصّفة، الّتي تأتلف معه في الكلمة العربيّة.»[1]

الاقتران الثنائي للألف بصفته تابع

إذا عكسنا ترتيب التّسلسلات السّابقة تتحوّل الألف من متبوعة إلى تابعة. فبدل أنْ توجّه هي حركة الحرف المتبوع، صار مُساكناً ومسكّناً. فالألف الّتي كانت حركة معراجها متحرّكة- إمّا بالفتحة، أو بالضّمّة، أو بالكسرة- لحمل الحركة على أخذ مكانها ومكانتها في النّسيج اللّغوي، تحدّد كطلب الحرف البادئ بإفساح وإتاحة المجال له ولوج بابي الزّمان والمكان. طبعاً من خلال حركة التّعامد، كما في التسلسلات: با، لا، نا، ما، وا، يا.

ب-ا: سنجد عند معالجتنا لمعنى حركة حرف الباء، تفسيراً يوضّح أنّها حركة فتح مجال انبثاقي مُرتد باسترجاع الهمزة في مسمّاها لموقعها انتهاءً. في تسلسل (ب-ا) أوصلت الألف الباء إلى دخول بابي الزّمان والمكان، وصار وجوداً واقعاً. حدّدت الألف هنا دور ومهمّة الحرف (باء) الّذي يمثّل حركة زمكانيّة مُنبثقة ومرتدّة في ءَان، كما لو أنّها هي حركة الانفجار العظيم على ما هو عليه من استمرار مُنضبط ومُنتظم. إنْ تفحّصنا مدلول معنى تسلسل (ب-ا-ء)، الباء: حركةُ انبثاقٍ من نقطةٍ أولى، والألف الأولى مُكلّفة لتعلو بها زمانيّاً ومكانيّاً، كي تتيح لها ولوج بابي الزّمان والمكان، ثمّ لتسترجع الانبثاق بالهمزة المرتدّة إلى المكان الّذي انطلقت منه.

ل-ا: لام الاتصال، لا شيء هنا يسبقها لكي تعمل على توصيله ونسج تلاحم مع غيره. فدخول الألف لولوج الزّمان والمكان صار وهماً، حيث لا وجود لحركة تتصل وتوصل. فاللّام هي (لا إتمام)، والألف أولجت أل(لا إتمام) في الزّمكان، وهذا ما دلّت عليه لا النّافية. ذلك أنّ أل(لام) مكوّنة من (لا+م). والميم كما بيّنا في بابها تقوم بإتمام النّواقص وتدلّ على العمل وءَاليته إنْ كانت تعمل إيجاباً، وأنْ كانت تعمل بالسّالب تدل على التقاعس.

---

(١) زرقة، أحمد: م. س.،ص. ١٥.

ن-ا: نون التّكوين مثلها كالميم في الحركة الّتي تعمل بالسّالب والموجب. للتأكيد على المحتوى الدّلاليّ، نتابع التّسلسل بإضافة الهمزة فتصير: (ن-ا-ء)، كما في (ب-ا-ء)؛ فالمكان الّذي ارتحلت به ألف الزّمكان بـ(نون) التّكوين، استقرّ بعيداً.

م-ا: (ما) هي على نسق (لا) السّابق توضيحه. فميم التّكامل لا مهمّة لها هنا لتتصل بها وتتمّها. هي تبحث وتتساءل عن وظيفتها وعن النّواقص، بعد أنْ ولجت بها الألف بابي الزّمان والمكان، فنقول معها: ماذا، ولماذا، وما انفك وما برح.. إلخ.

و-ا: كيف للواو أن تُدخلها الألف بابي الزّمان والمكان وهي حيّز ومكمن ءَانيّ لتموّضع الحركات كلّها؟ فكأنّما الحركة فيها إجبار وإنكار، وهي لذلك أداة استغاثة واستغراب. قال المتنبّي:

وا حَرَّ قلباهُ ممّن قلبُه شَبِمُ ومن بجسمي وحالي عِندَهُ سَقَمُ

ي-ا: الياء على عكس الواو المحدّدة بالمكان، هي محور زمانيّ تنتقل عبرها وبها الحركات. إذ استخدمت الألف لولوج بابي الزّمان والمكان، تحوّلت إلى أداة استقطاب ونداء.

معاينة توجّه المعنى، إذا تمّ إدخال حرف ثالث، ابتداءً، وتوسّطاً، وانتهاءً

د-أ-ب: الدّال، اندفاعٌ إلى هدف مقصود، وهمزة الألف تفاعل مطلب حركة الدّال مُحفّزة ومُتيحة لها ولوجٍ بأبي الزّمان والمكان. الباء فتحت لهما المجال لتعيّن قصد الحركة. الاندفاع تواصل في بعديه الزّمنيّ والمكانيّ ضاغطاً كي يحقّق انبثاق الحركة المُضمرة والكامنة، حيث قامت الهمزة باسترداد الدّال كُلّما اندفعت لإعادته مُجدّداً جيئةً وذهاباً. دأب في معجم مقاييس اللّغة: الدّال والهمزة والباء أصلٌ واحد يدلُ على ملازَمةٍ ودوام. فالدأبُ: العادةُ والشّأن. قال الفرّاء: الدأب، أصله من دَأَبْتُ، إلّا أنّ العربَ حوّلت معناه إلى الشّأن. ودأبَ الرّجُل في عمله، إذا جَدَّ. وأدْأَبْتُهُ أنا إدآباً. والدّائبان: اللّيلُ والنّهار. دأب مُعجمياً: جدّ وتعب، والدّءوب: المبالغ بالسّير والعمل. وفي التّنزيل: ﴿مِثْلَ دَأْبِ

قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِّلْعِبَادِ﴾ غافر٣١،

قال الطّغرائي[1]:

والرّمي في الأحداقِ دأبُ رُماتِهم والرّاميات سهامُها الأحداقُ

ولأبي تمّام[2]:

دأبُ عيني البكاءُ والحزنُ دابي فاتركيني وُقيتِ ما بي لِما بي

ر-أ-ب: حركة التّكرار المُنظّم بالرّاء فيما تضمره من وجود ممانعة، في مسعى لولوج بابي الزّمان والمكان، تُجدّد المحاولة بتحفيز الهمزة وتسخير باء الانبثاق لتفعيل ما عجزت عن إتمامه سابقاً. فالانبثاق فَتَحَ لها المجال بضغط من حركة التكرار المُنظّم وسمح بولوج بابي الزّمكان لتحقّق مأربها. في تاج العروس: رَأَبَ؛ إذا أصلح، ورَأَبَ الصَّدْعَ والإِنَاءَ كمَنَعَ يرْأَبُهُ رَأْباً: أصْلَحَه إذا جمعه وشدّه برفق، وشَعَبَه، ورَأَبَ بَيْنَهُمْ يَرْأَبُ: أصْلَح ما بينهم وكلُّ ما أصْلَحْتَه فقدْ رَأَبْتَهُ، والرّؤبة: القطعة الخشب الّتي يرأب بها؛ أيْ الرّقعة الّتي يرقع وتصلح بها الثّلمة، ربّما هي ما يعرف اليوم بالجبصين لتقويم الكسور.

وقال الفرزدق[3]:

وإنّي مِنْ قَوْمٍ بهِمْ تُتَّقَى العدا وَرَأْبُ الثَّأي والجَانبُ المُتَخَوَّف

والمرْأَب: المِشْعَبُ، ورَجُلٌ مِرْأَبٌ وَرَآبٌ كشدَّاد؛ إذا كان يَشْعَبُ صُدُوعَ الأَقْدَاحِ ويُصْلِحُ بَيْنَ القَوْمِ أو يُصلِحُ رَأْبَ الأَشْيَاء، وقَوْمٌ مَرَائِيبُ. قال الطِّرِمَّاحُ:

نُصُرٌ للذَّليلِ في نَدْوَةِ الحَ يِّ مَرَائِيبُ للثَّأي المُنْهَاضِ

أ-ر-ب: تكرار حركة الهمزة المتوثّبة وانبثاقها بالباء، فيه إضمار جعل التردّد ظاهراً في الهمزة والتّكرار، كدلالة على توجّه لملاقاة أمر مُبهم أو مُعَقّد، يحتاج إلى

---

(١) الطغرائي: هو الحسين بن علي بن محمد عبد الصمد أبو إسماعيل الأصباهي الطغرائي، من وزراء السلاجقة، له: لامية العجم، الإرشاد للأولاد، (٤٥٥-٥١٣هـ. ١٠٦٣-١١٢٠م).

(٢) أبو تمّام: أبو تمّام، حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، أحد أمراء البيان، ولد في حوران سورية، (٦٠-١٢٦هـ. ٦٨٠-٧٤٤م).

(٣) الفرزدق: همّام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي، أبو فراس، من نبلاء أهل البصرة، لقب بالفرزدق لجهامة وجهه، عظيم الأثر في اللّغة، مهاجته لجرير والأخطل معروفة، (٣٨-١١٠هـ. ٦٥٨-٧٢٨م)

عزم وفّرته وفتحت له الباء المجال. معاودة التكرار تضمر ممانعة أو ما يبرّر عدم اكتمال التحضير للإنشاء؛ فكأنّ المسعى تفريق وتجزئة للوصول إلى غاية الألف. في معجم مقاييس اللّغة: الهمزة والرّاء والباء لها أربعةُ أصولٍ إليها ترجع الفروع: وهي الحاجة، والعقل، والنَّصيب، والعَقْد. فأمّا الحاجة كالقول: وما أَرَبُك إلى هذا، أي ما حاجتك. والمأْرَبة والمَأْرُبَة والإرْبة، كل ذلك الحاجة. وفي التنزيل: ﴿..غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ..﴾ النور ٣١. وأيضاً: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ طه١٨، وفي المثل: «أرَبٌ لا حَفَاوَةٌ»؛ أي حاجةٌ جاءت بك ولا وُدٌ ولا حُبّ. وفي شعر جرير[1]:

هاجَ الخيالُ على حاجاتِ ذي أربٍ   تكادُ تنفضُ منهنَّ الحَيازيمُ

والأرب: الفَوز والمهارة بالشَّيء، يقال أرِبْتُ بالشيء أي صرتُ به ماهراً. قال قيس بن الخطيم[2]:

أرِبْتُ بدَفْعِ الحَرْبِ لَمّا رأيتُها   على الدّفْعِ لا تزدَادُ غير تقارُبِ

وكذلك المُؤَارَبة وهي المُداهاة، وجاء في الحديث: «مُؤَارَبَةُ الأرِيبِ جَهْل».
ويقال عضو مُؤَرَّب أي موفّر اللّحم تامُهُ. قال الكُميت:

ولأنْتَشَلَتْ عُضْوين منها يُحَابرٌ   وكانَ لعبْد القَيْس عُضوٌ مُؤَرَّبُ

وأمّا العَقْد والتشديد أَرَّبَ الرّجلُ تَأَرَّب؛ إذا تشدَّدَ وضَنَّ وتَحَكَّر. ومن هذا الباب، التأريب، وهو التحريش، يقال أرَّبت عليهم. وتَأَرَّب فلانٌ علينا إذا التوى وتَعَسَّر وخالَف، وأرّبّت العقدة؛ أي شدّدتها. وهي الّتي لا تَنْحلُ حتّى تُحَلّ حَلاً. وإنّما سُمّيت قلادة الفرَس والكلب أُرْبَةً؛ لأنّها عُقدَتْ في عُنُقهما. قال المتلمّس[3]:

لو كنتَ كَلْبَ قنيصٍ كنت ذا جُدَدٍ   تكون أُرْبَتُه في آخر المَرَسِ

---

(١) جرير: جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي، بن بدر الكلبي اليربوعي، أبو حزرة، من تميم، أشعر أهل عصره، ولد ومات في اليمامة، (٢٨-١١٠هـ، ٦٤٨-٧٢٨م).

(٢) قيس بن الخطيم: قيس بن الخطيم بن عدي الأوسي، شاعر الأوس وأحد صناديدها، (؟-٢هـ، ؟-٦٢٠م).

(٣) المتلمس الضبعي: جرير بن عبد العزّي أو عبد المسيح، من بني ضبعة من ربيعة، من أهل البحرين، وهو خال طرفة بن العبد (؟-٤٣ق هـ، ؟-٥٨٠م).

وأمّا قول ابن مُقْبِل- تميم بن أُبي[1]:

شُمُّ العَرانِين يُنْسِيهِمْ مَعَاطِفَهُمْ ضَرْبُ القداح وتأريبٌ على الخَطَر

لاَيَفْرَحُونَ إِذَا مَا فَازَ فَائِزُهُمْ وَلا تُرَدُّ عليهمْ أُرْبَةُ اليَسَر

فقيل يتمّمون النَّصيب، وقيل يتشدّدون في الخطر. قال الخليل وغيرُه: الأُرْبَة نَصيب اليَسَر من الجَزُور. أي هم سمحاء لا يَدْخُل عليهم عَسرٌ يفسد أمورَهم. قال ابنُ الأعرابي: رجل أرِبٌ إذا كان مُحكَم الأمر. ومن هذا الباب أرِبْتُ بكذا أي استعنتُ. قال أوس بن حجر[2]:

ولقد أرِبْتُ على الهُمومِ بجَسْرة عَيْرَانَة بالرِّدف غيرِ لَجُون

ومن هذا الباب الأُرَبَى، وهي الدّاهية المستنكَرة. وقالوا: سمّيت لتأريب عَقْدها كأنّه لا يُقدَر على حلّها، قال الشاعر:

فلما غَسا ليلي وأيقنْتُ أنّها هي الأُرَبَى جاءَتْ بأُمِّ حَبَوْكَرَى[3]

وفي المعاجم أيضاً: قطعته إرَبَاً؛ وهي أعضاء الإنسان السّبعة؛ والأُرْبةُ: العروة الّتي في الحبل، تقول: خذه بإربةٍ ما يعرفها؛ وهي شيء يخدعه به؛ وهو يُؤَرِّبُ على القوم، إذا حمل عليهم، وأربت معدته: فسدت، وإرب: جذم، (لاحظ معنى الجذام)؛ حيث يصيب مريضه تآكل وتساقط الأطراف، في هذه الاستعمالات ما يتضمّن التحفيز المُتكرّر لفتح المجال؛ كما لو أنّ المُضمر هو الحصار والإغلاق، كما في العَقل القيد، وفي الحاجة وإلحاحها ما ينطوي على العجز، وهو قيد، وكذلك في النّصيب وما يرتبط بالعضو موفور اللّحم، كاستعمال مجازي، لذلك يتوجّب مقاربة تسلسلي (ب-ر) و(ر-ب).

---

(١) تميم بن أبيّ: بن مقبل من بني العجلان من عامر بن صعصعة، شاعر جاهلي أدرك الإسلام (٧٠ق.هـ -٣٧هـ، ٥٥٤- ٦٥٧م).

(٢) أوس بن حَجَر: أوس بن حجر بن مالك التميمي، ابو شريح، من كبار شعراء الجاهلية، ابوه حجر زوج أم زهير بن ابي سلمى، اقام عند عمر بن هند في الحيرة، عمّر طويلا ولم يدرك الإسلام (٩٥-٢ق.هـ، ٥٣٠-٦٢٠م).

(٣) حَبَوْكَرُ: دَاهيَةٌ، وكذلك جَبَوْكَرى، أُمُ حَبَوْكَران - أيضاً - . والحَبَوْكَرُ من النّاس: القَطُوْفُ المَشْيِ القَضيْفُ. كما في المحيط في اللّغة.

أ-ب-د: همزة ألف الزّمكان؛ كونها المُحفّزة بدأت التسلسل لذلك غيّرت تركيب وسير وتردّدات الأصوات، فوضعت الحركة في مجال محوري الزّمان والمكان تثبيتاً وإنشاءً. لذلك تغيّر المعنى، فالانبثاق زمانيّاً ومكانيّاً اتصل بالدّال الّتي تفيد اندفاع الحركة بتدبيرٍ مقصودٍ إلى أبعد مدى، ولأنّها جاءت في نهاية اللّفظ، أوصلت الوحشة إلى ما لا نهاية.. أُبِّدَت النّاقة تَأْبُداً. وأُبُوداً مُعجميّاً: إذا فردت وحدها وتعوَّدت أن تُأبَّد؛ أي: تُفرَّد. وفي معجم مقاييس اللّغة: الهمزة والباء والدّال يدلّ بناؤها على طول المدّة، وعلى التوحّش. قالوا: الأبد الدّهر، وجمعه آباد (ءاباد). والعرب تقول: أبدٌ أبيدٌ، كما يقولون دهرٌ دَهير. والأَبَدَةُ الفَعْلَة تبقى على الأبَد. وتأبّد البعير توحّشَ. وتأبّد فلان: طالت غربته، وتأبّد المنزلُ خَلا. قال لَبيد[1]:

عفَت الدّيارُ مَحلُها فمُقامُها بمنىً تأبّدَ غَوْلُها فرجامُها

وقال ابنُ الأعرابي: الإبد ذات النّتاج من المال، كالأمَة والفرس والأتان، لأنّهن يَضْنَأن في كلّ عامٍ، أي يلدْن.

استخلاص النّتيجة بمعيار العقل

الوصول إلى قيمة العنصر الفاعل في الألف، ومُعايرة دلالته الحركيّة من حيث تأثيره وتأثّره، نجده في حركة «همزة الألف» فهي من يؤلّف ويوالف، ومن بها تحرّكت الأصوات ونطقت الألسن، وهي بخلاف بقيّة الأحرف ليست حرفاً كما أوضحنا، وإنّما ناقلة إيّاها على مَوْجاتها الصّوتية، بين قوسي الباطن والظّاهر، لإنشاء الحركة، وتعني تعامداً بين الزّمان والمكان لإنتاج وجود إن بُدِئَ بها، أمّا إنْ كانت لاحقة لحرف، فهي تُفاعل الحركة وتُنشطها متيحة لها ولوج بابي الزّمان والمكان. وعلى هذا فكلّ صوت فيه مظهر من مظاهر الألف، وهي من ينشئ الحركة بصيَغها التّالية، وبحركات الضّم والفتح والكسر؛ كمظهر لها:

الهمزة: أوّل حركة في النّطق في محور الصّوت: أنا، أنت. وآخر (وءاخر) صوت عند التوقّف على المحور مثل: داءْ، وفاءْ.

---

(1) لَبيد: لَبيد بن ربيعة بن مالك العامري، وهو أحد أصحاب المعلقات، أدرك الإسلام ووفد على النبي، يعد من الصحابة، (؟-٤١هـ، ؟-٦٦١م).

ألف المد: (ألف الزّمكان اللّينة)، ومظهرها الفتحة مثل: عَمَلَ.

الواو: حيّز المكان؛ أي تموضع الحركة في المكان. مثل: وطن، كون، صور، ومظهرها هي الضّمة مثل: مُخيّم، مُصوّر، مُعيّن.

الياء: محور الزّمان، يعني ديمومة الحركة في الزّمان، كما في: يجري، حين. أبي، ومظهرها الكسرة مثل: عند، دِراية، وِصاية.

السكون: انقطاع الحركة. قفْ، شَرُبْ.

التّنوين: هو تأكيد على الانطلاق المُحقّق بعروج الحركات في نهاية الكَلْمة. ولذلك لا يكون في بداية أيّ تسلسل ولا في مَتنه. قيل: «التنوين علم التّنكير وتركه علم التّعريف»[1].

دخول مظاهر الألف الأربعة على أصوات الحروف لا يغيّر حركتها الجوهريّة وإنّما يظهرها للنّطق، ولا يضفي عليها خصائصها؛ من مكان، أو زمان، أو ابتداء، أو توقّف. وفي هذا يقول عالم سُبيط النّيليّ: ***«لقد تكوّنت أصوات الحروف بالألف بالضّرورة القصوى. فهمزة الألف مُنفصلة تماماً عن الحركات، ولم تتكوّن هي من الألف مُطلقاً بل بها فقط. الحرف البادئ مُنفتح على ما يليه وكلّ صوت يُبنى على السّابق، والهمزة تُعبّر عن ارتباط الزّمان بالمكان، ذلك أنّ الألف الحقيقي الّذي يستبطن الهمزة جوهرٌ فرد، لا يكون زوجياً مُطلقاً، ولا يمكن بالتّحليل الوصول إليه، إذ يبقى دوماً ألفاً منفرداً يحمل صفة اللّانهائية.»***[2] الهمزة الّتي تهمز الحركة وفق ما شرحنا في مدخل البحث، تستبطن إذا مُدّت حركتها لتصير ألفاً ممدودة وذلك بمدّ الفتحة الزّمكانيّة؛ أي متابعة تعامد بين الزّمان والمكان كموجة صوتيّة. وصفة التّفضيل هي من مدلولات استخدام الألف: الأوّل، الأعلى، الأحسن. لذلك ***«هي ميزان أصوات الحروف العربيّة، وجرس نُطقها.»***[3]

ليس اعتباطاً أنْ يدخل حرفا اللّام والفاء في اسم الألف، كون (اللّام) موصلاً رابطاً و(الفاء) فاصلاً يتابع تناغم حركة انطلاق الصّوت، لذلك يبقى صوت همزة

---

(١) أنظر **كتاب العين**. م. س..

(٢) **اللّغة الموحّدة**، م. س، ص. ١٧٦، بتصرف.

(٣) **ميزان الألف العربية**، م. س، ص. ١٤، بتصرف.

الألف هو وحده الّذي لا يطرأ عليه أيّ تغيير، هذا الصّوتُ لم يَنتُج من حركةٍ في المراكز المذكورة لآلة النّطق، وهذا هو يميّزه عن جميع الأصوات فهو أجلى مظاهر الألف الحقيقي الآتي إلى آلة (ءالة) النُطق، لأنّه المادّة الجوهريّة..

ويبقى السؤال عن سبب ابتداء ضمائر المخاطب بالألف، ثُمّ بالنّون، ثُمّ بنون أُلحقت بالتّاء، مثل: أنتَ، أنت، أنتما، أنتم، أنتنّ. توضّح الألف لنا الإجابة، بما تمثّل من تعامد بين الزّمان والمكان، وبين السّالب والموجب للموجة الصّوتيّة في الظّاهر والباطن، فعندما يخاطب الإنسان غيرَه مُجابهةً فالوجود مُحدّداً ومعلوماً بنون التّكوين، الّتي تستبطن المكان كما يدل مُسمّاها. نتساءل أيضاً عن عدم دخول التّاء إلى ضميري المتكلّم (أنا، نحن)، حيث أنّ الهاء أداة حمل ونقل لتوصيل واتصال وقد أتمّت التّوصيل فتحولّت إلى تاء -كما نشير إليه في حرف الهاء-، يصير المعنى (أنتَ) إنّ كان ذكراً، و(أنت) إن كانت أُنثى. قد سبق وأشرنا أنّ الكسرة تمثّل حركة الياء وهي محور زمانيّ، والأنثى هي من يواصل ويستبطن الزّمن من خلال استمرار الحياة بالتّوالد؛ والإشارة إليها تكون بالمعيار الزّمنيّ. وأمّا عندما زاد عدد المخاطبين إلى اثنين وأكثر، استدعى ميم الإتمام، لأنّ الاتصال تمّ بين المتكلّم والمخاطبين. وإذا كُنّ إناثاً، مُيّزن بنون النّسوة، لأنّ النّون كما قلنا تستبطن التّكوين واستمراره. ومن خلال هذه المقاربة تتّضح الإجابة عن سبب الاستغناء عن التّاء في الضّميرين (أنا) و(نحن)؛ فالمُتكلّم تحضُره الألف، كما قلنا، والشّاهد الثّاني هو ما وفّرته الألف الثّانية في (أنا)، الّتي أتت بعد النّون على حركتها بالفتحة، في ولوج بابي الزّمان والمكان، أمام المخاطَب. أمّا ضمير نحن؛ فهو يبدأ بنون التّكوين وينتهي بها، تتوسط بينهما الحاء، الّتي هي حرف تعاظم لحركة النّون؛ أي التكوين، فالجماعة متكوّنة ومتعاظمة تموضعاً وظاهرة للمخاطبين.

يُستَدلّ كما أشرنا في مطلع البحث، على أنّ الحروف الّتي تنتهي بألف وهمزة والّتي هي: باء تاء حاء خاء ثاء فاء راء، زاء، طاء، ظاء، هاء، ياء، هي حروف حركيّة، تتضمّن السّعي والتّواصل، تتناقض مع السّكون وتستبطن التّراجع الّذي تمثّله الهمزة المستردّة للنّفَسّ. ويدل عدم ثبات كتابة صِيغ الهمزة المتوسطة على علاقة موضعها

المتوسّط بين حرفين بالحركات الزّمكانيّة. وكونها غير مُستقرّة فالحركة الأقوى تحكم الدّلالة كما يلي:

- سُؤال: التّوجّه مكانّيّ مُحدّد بعلامة الضّمّة فتكتب على الواو المكانيّة، انظر «الميزان» ءَاخر البحث؛ حيثُ توضّح دلالة وعلاقة الحركة بالزّمن.
- ساءَلَ وتساءَل: مُنفتح من الماضي إلى المُستقبل بعلامة الفَتحة؛ فهو في تحيّر استيعابي للزّمكان؛ فالحركة غير مُستقرّة، فهي سابحة، بوجود حركة المد العمودي؛ أي ألف المد المهملة قبل الهمزة.
- مُتسائِل، بائِس: حركة الهمزة بصيغة الياء الزّمانيّة؛ أي الكسرة، فتكتب على كرسي، لاستغراق التساؤل واستمراره في الزّمن.

– إن سبقتها حركة الفتحة، فهي بدلالة الزّمكان، فهي من جهة تأخذ الاستمراريّة في الزّمان والمكان، مما يتطلّب وضعها على الألف نحو: سَألَ، سَألتم، سَألنا.

– إن سبقتها حركة الضمّة، توضع على الواو المكانيّة، نحو: سُؤال، مُؤمن، ذُؤَابة، بُؤساء.

– إن سبقتها حركة الكسرة، نحو: بِئسَ، توضع على كرسي لحاجة استمرارها إلى زمن طويل.

– وإن سبقها سكون؛ وهي حركة ضعيفة، نحو: مُطَمْئِن، مسْؤول، قُرْءان، فتتبع وضع حركتها.

نذكر فيما يلي بعض ما قيل عن معنى الألف، للمقاربة مع ما توصّلنا إليه، تاركين للقارئ ملاحظة التوافق أو الاختلاف، وما ذلك إلّا لكي نُفاعل القراءة النّقديّة، في مسعى لكي نتوصّل معاً إلى استخلاص النّتيجة.

الألف عند ابن عربي،[1]: هي قطب، وإنّ الإمامين هما الواو والياء، اللّذان هما حرفا المدّ واللّين. وأنّ قطب الوجود المُطلق هو الألف، وهو ليس من الحروف، وله

(١) **الفتوحات المكيّة**، م. س. السّفر الأوّل، ص.ص. ٢٣٥-٢٩٦،٢٣٦ - ٢٩٥.

مجموع عالم الحروف ومراتبها؛ ليس (هو) فيها ولا خارجٌ عنها: نقطة الدّائرة ومحيطها، ومركب العوالم وبسيطها. سرّ لا ينكشف، إلّا لِمَن أقام الألف من رقدتها، وحلّ اللّام من عقدتها.

ألف الذّات تنزّهت فَهلْ ... لَكَ في الأكوان عينٌ ومَحَلْ
قَال: لا، غير التفاتي فأنا ... حرف تأبيد تضمّنتُ الأزلْ
فأنا العبد الضعيف المُجْتَبَى ... وأنا من عزّ سلطاني وجَلْ

والهمزة عنده أيضاً: سريانها من أقصى المخارج الّذي هو مَبعثُ النَّفَسِ، إلى آخر المنافس، ويمتد الهواء الخارج وأنت ساكت، «الصّدى». جميع الحروف تنحل إليه وتتركب منه، وهو لا ينحل إليها، وهو ينحل إلى روحانيّته؛ أي النُقطة.

همزة تقطع وقتاً وتُصلْ ... كُلَّ ما جاورها من مُنفَصلْ
فهي الدّهر عظيمٌ قَدْرُها ... جَلّ أن يَحْضُرَه ضربُ المَثَلْ

الوصف هنا تأويلي مُبطَّن المعاني، غير صريح لكي نتواصل معه، فهو لا يفصح لنا مباشرة عن الدّور الذي يتخذه في تأليف الكَلام.

تدلُ الهمزة عند الشّيخ العلايليّ: ***«على الجوفيّة، وعلى ما هو وعاءٌ للمعنى، وعلى الصّفة تصيرُ طَبعاً.»***[1] الوصف بالنسبة إلينا لا يساعد على بيان دوره الهمزة في بناء الكَلام. وعند زكي الأرسوزي[2]، «***تفيد قصد الحركة***». ربّما كما قلنا تهمز حركة صوت الحرف على محور الموجة، أو تسترجعها. وهي عند حسن عبّاس: ***«من الحروف البصريّة؛ حيث الصّورة البصريّة تتصف بالحضور والوضوح والعيانيّة، وصوتها في أوّل اللفظة يضاهي نتوءاً في الطبيعة. وهو يأخذ في هذا الموقع صورة البروز كمن يقف فوق مكان مرتفع، فيلفت الانتباه كهاء التنبيه. ولكن بفرق أنّ الهاء شعوريّة والهمزة بصريّة.. مشيراً أيضاً إلى أنّ الألوان بدأت بهمزة الألف مثل: أبيض أسود، أصفر،.. إلخ. أمّا الهمزة في وسط الكلمة أو في آخرها، فلا تأثير لها يذكر في معانيها وإن ظلّت توحي للسامع بالبروز والنّتوء كما في (سأل. جأر. يدأب. يسأم.***

---

(١) العلايلي، عبد الله «مُقدّمة لدرس لُغة العرب، وكيف نصنع المعجم الجديد»، م. س، ص. ٢١٣.

(٢) الأرسوزي زكي نجيب، «المؤلّفات الكاملة»، م. س.ص. ١٥١.

ذئب. بؤيؤ)».[1] أمّا الألف اللينة الّتي تقع في أواسط المصادر أو أواخرها، فيقتصر تأثيرها في معانيها على إضفاء خاصيّة الامتداد عليها في المكان أو الزّمان. كما في (باب- سماء- كافة- إلى- على....).[2] غير أنّه ذكر في معالجة تسلسل (الأنفة) قوله: الهمزة (للبروز). والنّون (للصميميّة والبطون). والفاء في نهاية اللّفظة (للرّقة) ليصبح معنى الأنفة (موقف تعالٍ نابع من الصّميم بلا عنف)، فكأنّ الدّلالة الوضوح والعيانيّة هي البروز!.

يدل حرف الألف عند إياد الحصني: *«على معنى التفضيل، فكلّ كلمة تحوي حرف الألف في أوّلها تعني أنّها اسمٌ لشيء مادّي أو حسّي يتمتع بأكثر وأعلى الصّفات من بين الصّفات التي تحدّدها الحروف الأخرى الموجودة في الكلمة، مثال: (أب) كون الألف في أوّلها تعني إسم لأعلى بانٍ.»*[3] وعند محمد عقل: *«الأليف، الثّور، ورمزه قرن الثّور، ورسم بخط المسند على صورة مجرّدة للإنسان الأليف واقفاً يرفع إحدى يديه، هكذا: 𐩱.»*[4] تحوّل فيما بعد بأن إلتصقت رجلا الإنسان ويده صارت همزة.

عالجنا فيما سبق بعض التّسلسلات الّتي ابتدأت بحرف الألف، بهدف الاستدلال والتّوضيح للمعنى الحركيّ، مُقارنة بالمعنى المُعجميّ، وبما ورد في التّنزيل وديوان العرب. وعندما نتناول الحروف الأُخرى، سنتبيّن من خلال معالجتها، سلوك حركة حرف الألف عندما يكون تابعاً لها. يلاحظ عند التحاق الألف الّتي تؤلّف الحركة، بأيّ حرف كما في: با، تا، ثا.. إلخ، تعمل على نقلها وبيان اتجاهها، تشكّل معها مقطع لفظي لا كلمة تامّة. والاستثناء هو بالإضافة إلى: اللّام والميم والنّون والفاء، الّتي سنعالجها في موضعها. كذلك فإنّ دخول صيغ الألف نفسها وما يسمى حروف العلّة وهي: الألف الواو والياء، كما في التّسلسلات الممكنة وهي: وا، يا، وكذلك مقلوبها مثل: أو، وأي، وأيضاً (ألف المد)، هناك من اعتبرها حروفاً، وهي

---

(١) لم نجد لهذا القول معنى فكيف تكون الهمزة في وسط الكلمة أو أواخرها بلا تأثير يذكر في معانيها، وهي مكوّن أساسي في الكلمة، وفي مقاربة بين (سأل) و(سال) ردّ مباشر على هذا القول.

(٢) عبّاس، حسن: «**خصائص الحروف العربية**»، م. س، ص.ص ٩٤،٩٦، بتصرف.

(٣) الحصني، إياد: «**معاني الأحرف العربيّة**»، سندس للفنون المطبعية والإشهار، ٢٠٠٦م ص. ٩٠. بتصرّف.

(٤) عقل، محمد، **أبجدية القرءان من مملكة سبا**، م. س، ص. ٤٥.

تكون بمعنى المنادى والاستغاثة، في المجموعة الأولى، وبمعنى الاستطراد إمّا للتوقّف والمتابعة، وإمّا لغرض التّفصيل، لذلك فإنّ توجّهها الحركيّ زمانيّ مكانيّ. وسيكون لنا توضيحاً على هذا الاستخدام في مواضع أُخرى من هذا البحث، وذلك مع كلّ حرف على التّوالي.

حرف الباء

باء+ ألف ممدود+ همزة

المسمّى الأبجدي المتعارف عليه للحرف: ب-ا-ء

مخرج الباء: من بَين الشّفتين في حالة انفجار. تُفَسَّر بالإجبار والإكراه. بسبب كمون الألف في داخله.

ترتيب الحرف حسب النّشأة: هو الأوّل، وهو الثّاني هجائيّاً وأبجديّاً. ويساوي عَدديّاً الرّقم (٢) في حساب الجُمَّل. ويقع في التّرتيب السّادس عشر حسب التّرتيب الصّوتيّ القديم عند الخليل بن أحمد، والثّالث عند ابن جنّي. وفي الترتيب الصّوتيّ الحديث يقع في الترتيب الأوّل عند عُلماء الصّوتيات المعاصرين.

سبب حدوثه: عند نُطق الباء يقف الهواء الصّادر من الرّئتين وقوفاً تامّاً عند الشّفتين، وتنطبق معه الشّفتان انطباقاً كاملاً، ويضغط الهواء مُدّة من الزّمن، ثُمّ تنفرج الشّفتان فيندفع الهواء فُجأةً من الفم، مُحدثاً صوتاً انفجاريّاً، وتتذبذب معه الأوتار الصّوتيّة أثناء النُطق، ومن هنا كان جَهْره. وورد عند ابن سينا: ***«إذا كان حبس الهواء بأجزاء ليّنة من الشّفة حبس تام وإطلاق في تلك الجهة بعينها حدث الباء، ونسبة الباء إلى الفاء عند الشّفة نسبة الهمزة إلى الهاء عند الحنجرة»***[1].

---

(١) إبن سينا، م. س. ص. ٨٢.

الصّفات الصّوتية لحرف الباء: الباء صوت شفويّ مجهور، يصدر من مخرج الشّفتين فهو انفجاريّ مفاجئ، يستلب معه الميم في (بُم). وقد نصَّ اللّغويّون على وجوب تحريك الباء بصُوَيْت (قلقلة) إذا كانت ساكنة في وسط الكلمة حتّى يتحقّق الانفجار والجهر التّامَّان بهذا الصّوت. والباء من الحروف القمريّة تظهر معه لام (أل) التعريف نُطْقاً وكتابة، مثل: البحر.

الاستخدامات النّحويّة: *«الباء من حروف المعاني العاملة للجر فيما بعدها من الأسماء. وترد للإلصاق وهو المعنى الأصلي لها، وهو معنى لا يفارقها في جميع معانيها الأخرى. والإلصاق حقيقي مثل: أمسكت بيدك، أو مجازي مثل: مررت بدارك. وترد للاستعانة إذا دخلت على المستعان به مثل: كتبت بالقلم. وتَرد للسببية والتعليل، إذا دخلتْ على سبب الفعل وعلّته مثل: مات بالجوع، وترد للتعدية، وتسمّى: باء النَّقْل، فَتُصَيِّر الفعلَ اللّازم متعدياً، فيصير الفاعل مفعولاً مثل: ﴿ذهب الله بنورهم﴾ البقرة: ١٧ . وترد للقَسَم وهي أصل حروفه سواءً ذكَرَ معها فعل القسم أو حذف مثل: أقسم بالله، وبالله لأجتهدن. وتدخل علَى الظاهر والمضمر مثل: بالله لأجتهدن، وبك لأفعلن. وترد للعوض أو المقابلة، مثل: بعتك هذا بهذا، وخُذ الدّار بالفرس، وتدخل في هذه الحالة على المتروك، كما في قوله تعالى: ﴿.. قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُواْ مِصْراً فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ البقرة٦١ . وترد للبدل، وتدل على تفضيل أحد الشيئين على الآخر بلا عوَض ولا مقابلة، مثل: ما يسُرني بها حُمْر النَّعَم؛ أي بدلها . وترد للظرفية بمعنى في، مثل: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ ..﴾ آل عمران١٢٣؛ أي فيها . وترد للمصاحبة بمعنى: مع، مثل: بعتك الفرس بسرجه، واهبط بسلام. وترد للتبعيض وتكون بمعنى من، مثل: ﴿عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً﴾ الإنسان٦ . وترد بمعنى عن، مثل: ﴿فَسْئَلْ به خَبِيراً﴾ الفرقان٥٩ . وترد للاستعلاء بمعنى على، مثل: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ آل عمران٧٥. وترد للتأكيد، وهي الزائدة لفظاً في الإعراب، مثل: بحَسبك ما فعلت؛ أي: حسبُك ذلك، ومثل: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ*

اللَّهَ يَرَى﴾العلق١٤ . و﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ التين٨. وللباء شروح أخرى عند النّحويين.»[1]

تعدّد دلالات واستخدامات (الباء) نحوياً لا ينسجم مع منهجنا الّذي بنيناه على قاعدة: أنّ لكل تسلسل دلالته الخاصّة ولا يستعاض عنه بتسلسل آخر. سوف نلاحظ فيما سيأتي أنّ دلالة حرف الباء تضعه كباب للإعلان عن ظهور الحروف وأداة تمييز علاقة تلك الحروف ببعضها. لقد دلّنا التّنزيل بأمر الإلهيّ في ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ العلق١، عن القراءة الثّانية ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ العلق٤، ليتبيّن لنا أنّ القراءة بالباء تفتح المجال لمَا هو مُغلق في عالم الغيب. وتختلف عن القراءة بالتقليم لما هو كائن في حَيّز وله وجود مادّي باستخدام واو (وربّك).

الصّفات الكتابيّة: الباء من الحروف المُعجمة بنقطة واحدة من تحتها. في خط النّسخ يكتب الباء هكذا: ب، في مثل: شرب. ومتصلاً بما قبله هكذا ـب كما في: يكتب. ومتصلاً بما بعده هكذا: بـ كما في: بك. ومتصلاً بما قبله وما بعده هكذا: ـبـ كما في: يبني.

دلالة اسم حرف الباء من خلال حروفه

- باء: تتضمّن لفظة (باء) معنى الرّجوع مقروناً بالفشل، لأنّه لم يحقّق تواصلاً. وهي نقيض معنى تسلسل (ء-ا-ب).
- ألف المد: أشرنا أنّها تؤلّف من خلال تعامد حركتها بين الزّمان والمكان لإنتاج وجود في الحركة النّاتجة.
- الهمزة: وهي تهمز الحركة ذهاباً وإياباً من الجوف. فبعد أنْ أوصلت حركة الباء إلى غايتها في ولوج الزّمان والمكان استرجعت النَّفَسَ إلى حيث بدأ.

ما نستدل به من تناقض أو تآلف ترتيب حروف مُسمّى الباء هو أنّ: أبّ تفيد استعد لينهض، و(بأ) الكبر والفخار، و(باء) رجع فاشلاً. تسلسل حروف

---

(١) **الموسوعة العربيّة العالميّة** مج ٢،١.

الباء يكشف إذن؛ عن حركة قويّة مُفاجئة غير مُسيطر عليها، إلّا إذا اقترن بها حرف ءَاخر بادئاً أو لاحقاً أو مواكباً. وما يظهره الباء الانفجاريّ أنّه لم يفتح المجال إلّا لوجود ضغط داخليّ، وهذا يعني أنّ الإطباق والإغلاق هما في مضمر الحركة. وفي رأي أبن سينا: ***«تنتج عن قلع الأجسام المتلاصقة اللّينة بعضها من بعض.»***

الاقتران الثُنائيّ لحرف الباء بصفتيه كمتبوعٍ وتابعٍ

كما ذكرنا في منهج الاستدلال، سنبحث في تسلسلات مُنتخبة، عن اتجاه المعنى لكلّ اقتران ظاهراً وباطناً، ونستعين بما ورد في التّنزيل، وما قاله الشّعراء وما شاع من معنى استخداميّ. ونقوم بمعايرة التوجّه بتغيير حركة الحرف البادئ، وفق ما أسميناه «حركة العروج»، ونبدأ بعروج حركة الحرف بالفتحة الزّمكانيّة أوّلاً ثمّ نستبدله بالضّمة، لاكتساب معنى التّموضع المكانيّ، بعد ذلك بالكسرة لمعاينة التوجّه الزّمانيّ، ثمّ نعاير التّغيير في المعنى بملاحقة واستقصاء تغيير الحرف اللّاحق وإدخال حرف ثالث؛ ابتداءً وتوسّطاً وانتهاءً. وقد اخترنا لهذه المقاربة حروف تاء اجتذاب الجهد لتناقضه مع الانبثاق، ودال الاندفاع بسبب ما يتيحه له انفتاح الباء، والرّاء لأنّها تكرّر سلوك الباء في إضمار المعترضات، كما يلي:

ب–ت: انبثاق الباء تفتح المجال من مكمن يبدو مضغوطاً ومتحفّزاً. والتّاء وهي هنا اجتذاب الجهد[1] لمَا تسعى إليه حركة الباء المُنبثقة في مجال حركتها، مُعجميّاً بتّ في الأمر: قضى به، وهذا يضمر وجود خلاف أو وجهات نظر تستدعي جهد التّفكّر والفصل، والبتّ في كتاب العين[2]: القطع المستَأصلُ، يقال: بَتَتُ الحَبلَ فانبتَ؛ أي قطعتُه وتقول: أعطيتُه هذه القُطيعة بَتّاً بَتّلاً، والبتّة إشتقاقها من القطع غير أنّه مستعمل في كل أمرٍ لا رجعةَ فيه ولا التواءِ، وأبَتَّ فلانٌ طلاق فلانة؛ أي طَلّقها طلاقاً باتّاً، والمُجاوز منه الأبتات

(١) لمزيد من الإطلاع على معنى حركة حرف التاء أو غيره من الحروف يمكن الرجوع إلى باب الحرف المطلوب معرفته. كما يمكن متابعة قراءة معنى تسلسلي (ب–ت) و(ت–ب) في موضعهما.

(٢) **كتاب العين**، ج ٨ ، ص. ١٠٩.

في كل شيءٍ من هذا، ورجلٌ أحمقُ باتٌ: شديد الحُمق وانقطع فلان من فلان فانبتَّ وانقبض؛ هو القطع لكل أمرٍ لا رجعة فيه؛ كما في القول: حكم حكماً باتّاً ونهائياً. وفي الحديث: «إنَّ المنبتّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى». قال الشّاعر:

فَبتَّ حبالَ الوَصْلِ بيْنى وبَيْنَها   أزَبُ ظُهُورِ السّاعدَيْن عَذَوَّرُ

البتُ هنا هو لحبال الوصل؛ وهذا بمعنى جهد فصل وترابط قوّتها. قال النّابغة الجعدي[1]:

فأعجّلَهُ عن سَبعَةٍ في مَكرِهِ   قَضَيْنَ كما بَتَّ الأنابيشَ لاعبُ

وإذا عكسنا التّسلسل إلى (ت-ب)، هنا الانبثاق يحدث من مكمن التجاذب في جهد التّاء، فيظهر التّنافر والتّعارض بين التّجاذب والانبثاق، كحال المُمانعة في شدٌ وجذبٍ لعدم السّماح للباء بفتح المجال. فالانبثاق يُمثّل خُروجاً عن اجتماع وتآلف المتجاذبات، لا سيّما أنّ الباء مُشدّدة حركتيها في (تبَّ)؛ أي توقّفت ثُمَّ أعادت الكرّة، فالحركة تنبثق والمجال ممتلئٌ بالحركات. إنّ انطلاق الحركة من هذا المجموع بالباء إنّما هو إشارةٌ إلى ما يحوي المركز أيضاً. يظهر لنا أنّ الانبثاق من التّجاذب فيه شدّة في الانفلات، كما يسمعنا إليه لَفظاً. نستدل على ذلك من تسلسل (ب-ت) السّابق معالجته، فالتضاد هنا حركي بين الانقطاع والاتصال، في تناوب دلالي لحرفي الباء والتاء، فاجتذاب لجهد انفتح له المجال في (ت-ب)، بينما في (ب-ت) الانبثاق بالباء هو من اخترق الجهد المتجاذب والمتواصل. وفي معجم مقاييس اللّغة: التّاء والباء كَلمةٌ واحدة، وهي التّباب، وهو الخُسْران. وتبّاً للكافر، أي هلاكاً له. وقد جاءَت في مقابلتهما كَلمةٌ، يقولون استَتَبَّ الأمر إذا تهيّأ. فإن كانت صحيحةً فللتباب إذاً وجهان: الخُسْران، والاستقامة، وفي التّنزيل: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾

(١) النّابغة الجعدي: قيس بن عبد الله بن عُدس بن ربيعة الجعدي العامري أبو ليلى، شاعر مفلق، مخضرم، أدرك معركة صفين، سكن الكوفة وسيره معاوية إلى أصبهان مع أحد ولاتها فمات فيها وقد كفّ بصره وتجاوز عمره المائة، (٥٤ق.هـ- ٥٠هـ، ٥٧٠-٦٧٠م).

المسد١ ﴿..وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ هود١٠١، ﴿..وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ غافر٣٧. قال مجنون ليلى:

يقولونَ تُبْ عن ذكرِ ليلى وحُبِّها   وما خَلدي عن حُبِّ ليلى بتائبِ

لننظر في دخول بعض الحروف على تسلسل (ب-ت)، فحين يكون فيها بادئاً: مثل: بَتَكَ، بتَرَ، بتَعَ، بتَلَ، هي تفيد القطع والانقطاع والتّدمير، وإنْ كان متوسّطاً مثل: بهتً: توقّف استغراباً، وبحَتَ: هو الخالص النّقي، وبرَت: الفأس، وبغت: المفاجأة، وبكت: الضّرب بالسّيف أو بالعصا، وبلت: انقطع. تفيد القطع والفصل، وإن ألحقنا التّسلسل بحرف يسبقه مثل: كبت، ربت، ثبت، تبت فهي تفيد أيضاً القطع والتّثبت. المتضمّر في هذه التّسلسلات، هو وجود جهد بالتّاء مع الخارج؛ أي مع خارج صوت الحرف يستدعي القطع، ذلك أنّه بتحوّل حركة الهاء عند استقرارها إلى تاء، إنّما استقر النّقل جهداً فأتت على نهاية ما سبق وأُضمِرَ، أو حُمِلَ في الأساس.

ب-د: يفيد اندفاع الدّال إلى أبعد مدى بعد أنْ فتحت لها الباء المنبثقة المجال لتسريع انطلاقها؛ قصد المفاجئة وسرعة استدعتها المُهمّة، الّتي هي بدلالة الدّال. فإن كانت الفتحة وهي صيغة الألف، اتجهت إلى تحقيق مطلب زمكاني. وإن كانت الكسرة، وهي صيغة الياء صار المحور الزّماني هو المتوجّب الظّهور. وإن كان بالضّمة، صار التّموضع في حيّز مكاني هو التّوجّه. وإن نحن لجأنا إلى لفظة (بدّ) وحرّكنا الباء بالصّيغ الثلاثة وبتشديد حركة الدّال؛ يقودنا التّوجه في مقاربة المعنى الحركيّ والمعجميّ إلى ما يلي:

- بَدَّ: «بدَّ رجْليه»: وسّع بينهما وفرجهما. أبّد: وهو ما تباعد طيلة الدّهر؛ واستبدّ به الأمرُ: غُلب عليه فلم يقدر أن يضبط اتساعه. قال حسّان[1]:

كنّا ثمانيةً وكانوا جحفلاً   لَجِباً، فشُلُّوا بالرِّماح بَدادِ

---

(١) حسّان بن ثابت: حسّان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصارين ابو الوليد، أحد المخضرمين، شاعر الرسول، يقال عاش ستين سنة في الجاهلية ومثلها في الإسلام، مدح في الجاهلية ملوك الحيرة الغسانيين ومدح الرسول بعد ان أسلم، (؟-٥٤هـ، ؟-٦٧٣م).

- بِدّ: البِدُ والبِدّةُ بالكسر؛ مُعجميّاً: النّد والمثل والنّظير والقوّة؛ وهو مرتبط بدلالة لعلاقة زمانيّة مُنفتحة، وقيل: النّصيب من كُلّ شيء. قال القطامي:

فَثَمَّ كفيناهُ البِدادَ ولم نكن لنُنكِدَهُ عمّا يضِنُ به الصَّدرُ

- بُدَّ: «البُدّ» المناص والمتَّسَع؛ يقال: لا بُدّ لهم من كذا؛ أي لا مناص لهم ولا مهرب، فهم في ضيق؛ وهذا مدلول مكانيّ التموضع؛ والنّفي بلا؛ أي (لا بُدّ): هُوَ للاتساع. وقول المتنبّي:

وإذا لم يكن من الموت بُدٌ فمن العجز أنْ تموتَ جبانا

- بَدّدَ؛ «بدّدَ السّفيهُ المالَ»: توسّع في إنفاقه حتّى نفد. وُقيل في المثل: «أحصاهم عَدَداً وفرّقهم بَددا»؛ أي شتّتهم في متسع من الأرض لا يلتقون فيه؛ وهو يتم بتوقّف ثُمّ متابعة حركة الدّال المندفعة إلى أقصى مَدى؛ فالتبديد لا يتمّ دفعة واحدة.

وإذا عكسنا التّسلسل كما في (د-ب): فالدّال اندفاع باتجاهٍ مقصود والباء فتح باب ظهور ءَاخر للحركة؛ فهذه حركة مُجرّدةٌ ووصف لحركة كلّ متحرّك يقطع مسافة ما. والدّاب: هو كلّ قاطعٍ لمسافة بحركة انتقاليّة، وقيل كلّ سرعة في تقارب خطو، وفي التّنزيل: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ العنكبوت٦٠. قال عمر بن أبي ربيعة[1]:

لقد دَبَّ الهَوى لكِ في فؤادي دَبيبَ دمِ الحياةِ إلى العُروقِ

مُعاينة توجّه معنى ودلالة حركة الباء، إذا تمّ إدخال حرف ثالث، على التسلسلات السّابقة ابتداءً، وتوسّطاً، وانتهاءً:

ع-ب-د: حركةُ مُعاينةٍ مفتوحٌ لها المجال باندفاعٍ مقصود الدّلالة؛ فالحركة العامّة تفيد مُعاينة ووصف المعرفة المتتابعة والّتي لها غاية مُحدّدة، أو الحركة الواضحة المتتابعة ذات الهدف. ونلاحظ في الحركة توجُهَاً قويّاً نحو الهدف

(١) عمر بن أبي ربيعة: عمر بن عبد الله بن ربيعة المخزومي القرشي، رائد من رواد الشعر الغزلي، (٢٣-٩٣هـ ٦٤٣-٧١١م).

منذ البداية والى النّهاية، بدلالة الدّال الّتي انبثقت من الباء فاتحة مجال المعاينة باندفاع، فهي سائرة في طريقها لا تلوي على شيء. يُقال في المعاجم: «ما عَبَدك عني؟»؛ أي ما حبسك عن زيارتي؟ والعَبَدة: القوّة، والعَبَدةُ: البقاء والديمومة. إنّ الفعل عَبَدَ يعني: «عَرفَ اللّه معرفةً تابع من خلالها التوجّه إليه والاندفاع نحوه». عبَدَ اللّه: انقاد وخضع. فهذه نتيجة لـ(عبد)؛ لذلك نلاحظ أنّ التّنزيل يميّز بين العَبيد والعباد، في قوله تعالى: ﴿ذَلكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْديكُمْ وَأَنَّ اللّهَ لَيْسَ بظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ ءال عمران١٨٢، وأيضا: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ. ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً. فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ الفجر ٢٧،٢٩،٢٨. قال المتنبّي:

العبدُ ليس لحرٍ صالحٍ بأخٍ لو أنّه في ثياب الحُرِّ مولود

إنّ نظرنا في لفظة (أبَد) فالهمزة حفّزت انبثاق الباء للدّفع بالدّال إلى أبعد مدى في ولوج بابي الزّمكان. باعتبارها مقطعين (أ+ بد) تغيّر تركيب وسير وتردّدات الأصوات وكذلك المعنى. وإنّ قُمنا بتغيير الترتيب ونقلنا الألف، لتتبّع حرف الدّال، لأصبحت الكَلمة (بدا)، صارت الألف محكومة بمتابعة الدّال في اندفاعها بأمر من انبثاق الباء. وإنّ عدّلنا الترتيب إلى (باد)، حكم الانبثاق زمانيّاً ومكانياً الاندفاع. وإن قلنا (دأب) صار الاندفاع هو المتحكّم في عمل الهمزة زمانيّاً ومكانيّاً لتفعيل الانبثاق.

إذا استعنا بحرف اللّام الّذي يفيد التوصيل والاتصال، كونه من حروف التّأليف، لنستدل من خلال تأثيره على سلوك الباء كما في: لَبَد؛ أفاد هذا المجموع معنى الالتصاق والتّداخل؛ لابتداء التسلسل باللّام، واستعمل لِمَن يكمن في مكانٍ أو يلزم موضعاً. وهذا غير ما شاهدناه في (أ-ب-د) و(ب-د) و(ب-د-أ).

ب-ر: هنا متابعة الرّاء لحركة الباء المُنبثقة لتكرار وتعزيز فعلها الهادف إلى فتح المجال لِمَا هو مُغلق؛ نستطلع المعاجم[1] لتمييز توجّه التّسلسل ونحرّك صِيَغ الباء كما يلي:

(١) تهذيب اللّغة، ج ٥، ص. ١٢٤.

–البَرُّ: خلاف البحر، والبَرِّية: الصَّحْراء. والبرّ: نقيض الكنّ[1]. ويُقال: أفصَح العرب أبرُهم؛ أي أبعدهم في البر والبدو داراً. وقال شُمَّر: البرّية هي الأرض المنسوبة إلى البَرِّ، وهي بَرِّية، إذا كانت إلى البَرّ اقرب منها إلى الماء. البَرُّ في مقابل البحر والجوّ؛ فالجوّ الباطن، (لاحظ لفظة جو)، والبَرُّ المتن الظاهر. نقول خرج إلى بَرِّ الشّام؛ أي الصحراء وخلاف الرّيف، ونقيض الكن. قال مجاهد في قوله تعالى: ﴿..وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ الأنعام٥٩؛ قال: البَرّ: القفار. والبحر: كلّ قَرْية فيها ماء. فالبَرُّ هنا حيث حركة الباء هي الفتحة وجّهت المعنى بحركة الزّمكان نحو المكان المكشوف غير المكنون، وسُمِّيت البَرِّية لاتساعها؛ بَرّ فلان ذا قرابته، يَبَرّ براً. وقد بَرَرْتُه أبره. وبرّ الحجَّ يبرّ براً. وبرّت يمينه تَبَرّ؛ وأبَرَرْتُها. بَرَّ في يمينه: لم يحنث به. والبربرة: كثرة الكلام بلا منطق ويغضب ونفور عصبي.

–البِرُّ بكسر الباء؛ كمون حرف الباء أخذ حركة الكسرة؛ أي الزّمانيّة؛ فالقصد موجّه بكلّية لفاعلية الحركة لا لمكانيّتها. والبِرُّ: الصّلاحُ والخيرُ والصّدقُ والطّاعة؛ بِرُّ: إذا صَلَحَ، وحجٌ مبرور؛ أي بلا كذب ولا رياء والّذي لا يخالطه شيء من المأثم. والبيع المبرور: الّذي لا شبهة فيه ولا كذب ولا خيانة. وفي التّنزيل: ﴿لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ..﴾ ءال عمران٩٢. والبِر: ضد عقوق الوالدين، وجمع البر الأبرار، وجمع البار البررة. والبِرّ: اسمٌ جامع للخيرات كلها. كما في قول لَبيد:

وما البِرُّ إلّا مُضْمَراتٌ منَ التُقَى ... وَما المَالُ إلّا مُعْمَراتٌ وَدائِعُ

–البُرُّ: القمح والحنطة. فالحَبُّ هنا وحدات متماثلة متكرّرة مكانيّاً، شكلاً ومضموناً.

---

(١) الكنُ، بالكسْر في تاج العروس من جواهر القاموس: وقاءُ كلِّ شيء وسِتْرُهُ كالكنّة والكنَان، بكسْرهما. جمعها أكْنانٌ وأكنّةٌ، وفي التّنْزيل: ﴿ وجَعَلَ لَكُم مِّن الجِبالِ أَكْناناً﴾ النحل ٨١؛ وقَوْلُه تَعالَى: ﴿وجَعَلْنا على قُلُوبِهم أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوه..﴾ الأنعام ٢٥.

وإذا عكسنا ترتيب التّسلسل إلى: (ر-ب): الرّاء تكرار الحركة بانتظام لحاجتها لملاقاة ما يستوجب التّكرار؛ فدخول الباء الانبثاقيّة من مكمن التكرار، فيه ما يستوجب ويستدعي هذا الانبثاق؛ تظهر الحركة العامّة الاهتمام والمتابعة للجزئيّات والتفاصيل بحيث لا تفلت حركة حتّى تنبثق منها أخرى. ربّ الأسرة يحاول مثل ذلك بحدود حركاته الخاصّة المحيطة به. بيد أنّ الرَّبّ الحقيقيّ هو الّذي يحيط بالحركات كلّها. لذلك ارتبطت معرفة التّفاصيل والجزئيّات والسّيطرة عليها بالرّبوبيّة بصفة خاصّة، ولهذا ابتدأت سورة العلق، بالتّوجيه والأمر في معرفة الغيب وما يغيب باسم (الرّب) في التّنزيل: ﴿..وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ يونس٦١، ﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ الفجر٢٨، وفي المعاجم: الرَّبّ: هو الله عزّ وجلّ، وكل من ملك شيئاً؛ فهو ربُه، وتطلق على السّيد والمدبّر والمربّي والقيّم، قال تأبّط شرّاً:

هل أنتَ باعثُ دينارٍ لحاجَتنا ... أو عَبدَ رَبٍّ أخا عَونِ بن مِخراقِ

وقول عَلقَمة بن عبدة [1]:

وكنتُ امْرأً أفضت إليكَ ربابتي ... وقَبلَكَ رَبّتني فَضِعتُ رُبوبُ

والرّبيب: المؤدّب، كقول امرئ القيس:

فما قاتلوا عن ربّهم وربيبهم ... ولا آذنوا جاراً فيظعنَ سالما

إذا أدخلنا حرفاً بادئاً على التّسلسل (ب-ر)، كما يلي:

ع-ب-ر: العين اتضاح معالم الحركة، والباء انبثاق الحركة، والرّاء تكرار مُنظّم. فهنا في (عبر) أدخلنا حرفاً بادئاً على التسلسل (ب-ر) الّذي سبقت معالجته في موقعه، فحركة المعاينة لاتضاح المُبهم انبثقت من مكمنها الباء لكي تتيح لها مجال وضوح وتحقق. ثُمَّ تكرَّرت بالرّاء لمزيد من التأكّد والتثبّت. عَبَرَ في المعاجم: اجتياز الحواجز: عبَرَ النّهر: قطعه، عبَرَ الطّريق: قطعه من جانب إلى جانبٍ، وفي التّنزيل: ﴿..أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾

(١) علقمة بن عبدة بن ناشرة بن قيس من بني تميم، كانَ مُعاصراً لامرئ القيس، ويطلق عليه (علقوة الفحل)، (؟-٢٠ق.هـ، ؟-٦٠٣م).

يوسف٤٣؛ أي تفسير الرّؤيا الّذي يجعل جميع تفاصيلها راجعاً إلى كشف المُبهم من خلال عين المعاينة، كما في التّنزيل أيضاً: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي الأَبْصَارِ﴾ ءال عمران١٣؛ فحركة العين في معاينة واتضاح معالم المُبهم، جعلتها الباء الّتي انبثقت وفتح لها المجال من مكمن المعاينة، تتابع الانطلاق كلّ مرّة براء التّكرار، باتّجاهٍ مُعيّنٍ وتكون مَرجعاً مستمرّاً. منها اشتقّت الألفاظ: اعتبر، واستعبر، والاعتبار، والعبارة؛ الّتي تحمل المعنى من شخص لآخر ومن حالة لأخرى متشابهة. وكذلك عَبرة الدّمع؛ الّتي تشير إلى شدّة الاعتبار وتأثُّر بالعبرة. العَبْرَةُ في المعاجم: فُتحةٌ من مصدّ الماء ينبثق منها ويجري من أعلى إلى أسفل. العبرة والعَبّارة: سفينةٌ صغيرةٌ يُجتاز بها النّهر. فتكرار حركة المُعاينة المُنبثقة بشدّة تُمثّل إلحاحاً في التبصّر بما هو مخبوء لحاجة الحركة إلى ما يزيل الإبهام والشّك، وفي قول أبي العتاهية(1):

إضربْ بطَرْفكَ حيثُ شئتَ، فأنتَ في عِبَرٍ لَهُنَّ تداركٌ وتوالِ

وقال النّابغة الذّبيانيّ:

وقفتُ فيها سُراة اليوم أسألُها عن آل نُعمٍ أموناً عبرَ أسفارِ

خ-ب-ر: هنا تنبثق الباء من مكمن حركة الإخماد، فالحركة المُنبثقة تظهر أثر قوّة الإخماد، وتحمل بصمة الضّعف، وما مجيء راء التكرار إلّا لمعاودة المحاولة، كما هي حال المتمرّن على العمل؛ فخاء الإخماد تنبثق وتنطلق من مكمنها حركة تتابع ثُمّ تكرّر بالرّاء ما استوجب إخماده. المُضمر وجود ضجّة أو قلق بانتظار توقّع حصول أو نفي لحدث، فأتى الخبر ليخمد ما كان متأجّجاً في النّفوس. خَبَّرَ وأخْبَرَ واخْتَبَرَ مُعجميّاً: علم وعرف ما صار ووقع أو حصل، وفي التّنزيل: ﴿..ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسْئَلْ به خَبِيراً﴾ الفرقان٥٩، ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ الزلزلة٤، أي يصير نبؤها واقعاً مُخْبَراً به، والخَبَر

(1) أبو العتاهية: إسماعيل بن قاسم بين سويد العيني، العنزي، شاعر مكثر سريع الخاطر، نشأ قرب الكوفة وسكن بغداد، عاصر الخليفة المهدي، (١٣٠-٢١١هـ، ٧٤٧-٨٢٦م).

من عالم الواقع، بينما النّبأُ من الغيب، والمختبَر: المجرَّب والعلم بالشّيء، كما في قول زُهير[1]:

قُلتُ لَها يا اربَعي أقُلْ لَك في   أشياءَ عِندي مِن علمِها خَبَرُ

والخَبار: أرض رخوة، كما في قول الشّاعر:

تَتَعتَعَ في الخَبارِ إذا عَلاهُ،   ويَعثُر في الطَّريقِ المُستَقيمِ

س-ب-ر: إعادة تكرار حركة التّنسيق المُهيمن للمحسوس المُنبثق توضيحاً، يدلُ على صعوبة تعتريه، ممّا استدعى تكرار المحاولة؛ فحركة السّين الّتي تفيد الانسلال للهيمنة، تنفتحُ منها وتنبثق الحركة مُستعينةً بالرّاء للتكرار وتثبيت الهيمنة. في معجم مقاييس اللّغة: السّين والباء والرّاء، فيه ثلاث كلمات مُتباينةُ القياس، لا يشبهُ بعضُها بعضاً. فالأوّلُ السَّبْر، وهو رَوْزُ الأمْرِ وتعرُّفُ قدْرِه. يقال خَبَرْتُ ما عند فلان وسَبَرْتُهُ. ويقال للحديدة التي يُعرفُ بها قدرُ الجِراحة مِسْبار. والكلمة الثانية: السِّبْر بالكسر: الزّي والهيأة، والشّبه، وقيل هو الجمالُ والبهاء. وأمّا الكلمة الثالثة فالسُّبْرَة، وهي الغَدَاة الباردة. والسّبر في المعاجم: التجربة واستخراج كُنه الأمر والمقدار والنّهاية، وهو للأعماق وما هو غير ظاهر، كسبر الغور والجرح، قال ابن الرّومي[2]:

يتقصّاه مُغرقَ النَّزع فيه   كتقصّي الطبيب سَبَرَ الأميم

وقال المَعرّي:

فإن تَرشُدوا لا تخضبوا السّيفَ منْ دَمٍ   ولا تُلزموا الأميالَ سَبرَ الجَرائحِ

استخلاص النّتيجة بمعيار العقل

تدّل الاقترانات السّابقة أنّ التّسلسل البادئ بحرف الباء مُتفجّر الحركة ونهائيّ، باتّاً قاطعاً مُنعتقاً مُنفَتحاً، مُستبداً وقادراً على ولوج كلّ الأمكنة وقطع أيّ

---

(١) زُهير بن أبي سلمى: هو زهير بن ربيعة بن رياح المزني، من أهم الشعراء العرب على الإطلاق، له الحوليات وهو من أصحاب المعلّقات، كان أبوه وخاله وأبنيه كعب وبجير، وكذلك أختاه سلمى والخنساء، من الشعراء المجيدين، (؟-١٣هـ، ؟-٦٠٩م).

(٢) ابن الرّومي: علي بن العباس بن جورجيوس الرومي، شاعر كبير من طبقة بشّار بن برد، مات في بغداد مسموماً، كان بذيء اللّسان هجّاء. (٢٢١-٢٨٩هـ، ٨٣٦-٨٩٦م).

مسافة؛ وإن كان لاحقاً، فهو استرداد صدى صوته للإخبار والسّبر، واتخاذ العِبرة والعُبور والتّعبير عن المكنون.

فمسمّى حركة الحرف (باء) يمثل حركة زمكانيّة مُنبثقة من كمون وبسبب ضغط طاقة الألف، وهي مُرتدّة في ءَان؛ يدل عليها استرجاع الهمزة لموقعها انتهاءً، بعد أنّ أوصلت الألفُ الباءَ إلى دخول بابي الزّمان والمكان، وصار واقعاً؛ كما لو أنّه هو حركة الانفجار العظيم الّذي أوجد الكون على ما هو عليه من استمرار؛ فهو كما يقول عالم سُبيط النّيليّ: *«حركةُ انبثاقٍ لفتح المجال من المركز لتكوين حركة واضحة، هذا إذا لم يسبقه حرف مُعيّن؛ وإلّا صار الانبثاق من مركز الحركة السّابقة لفتح المجال لها بمنزلة نقطة فيها. فالحركة نقلةٌ واحدةٌ سريعةٌ كما لو كانت من العدم إلى الوجود مُباشرة؛ أظهرتها الباء؛ فلا حديث عن زمن للحرف قبل وجودها، لأنّ الزّمن جزء من الحركة. ومع أنّ زمن انبثاق الحركة بالباء لم يوجد قبلها، إلّا أنّ الحركة نفسها باقية بعد أن انبثقت، لذلك لا يمكن تمديد زمن الانبثاق. فجميع الحركات في الحروف تكوّنت بحركة الباء. ومن الباء تكوّنت الحركة وأمكن ملاحظتها، يمكن القول أنّ الوجود كلّه قد تكوّن بحركة الباء، ولكن صُوَر الموجودات استقرّت فيما بعد بالتسلسل (بُمب)، فهذا الانبثاق أكملته الميم، هو مصدر الحركة المستمرّة للآن في الموجودات. من أين تكوّنت الحركة الأولى للباء؟ لا تستطيع تمديد زمن انفجار الكتلة الّتي يكون التفجّر من داخلها كالكتلة الذّرية وغيرها، لكنّ آثار الانفجار تبقى إلى زمن أطول».*[1]

حرف الباء عند ابن عربي[2] له عالم المُلك والشّهادة والقهر، ومخرجه الشّفتان، له بداية الطّريق وغايته، له الحقائق والمقامات والمنازلات، وله الذّات:

الباءُ للعارف الشبلي مُعْتَبَرُ — وفي نقيطتها للقلب مُدّكَرُ
سرُّ العبوديّة العلياء مازجها — لذاك ناب مناب الحقّ فاعتبروا
أليس يَحذِفُ مِن «بِاسم» حقيقَتَهُ — لأنّه بدَلٌ منه فذا وَزَرُ

(١) النّيلي، عالم سُبيط: اللّغة الموحّدة، م. س. ص. ٢٤٤. بتصرّف.

(٢) الفتوحات المكيّة، م. س. السّفر الأوّل، ص.ص. ٢٣٥-٢٣٦، ٣٢١ - ٢٩٥.

المعنى الظّاهر وكذلك المستبطن فيما ذُكر، لا يؤسس عليه في بناء الكَلمَة التي تكون الباء أحد حروفها، وهو ما نسعى لاستخلاصه في سبيل تكوين معالم بُنْيَة الكَلمة العربيّة. النّتيجة التي توصّلنا إليها مُقاربة لما قاله زكي الأرسوزيّ: ***«أنّه يوحي بالوضوح والظّهور.»***[1]، وهي مطابقة كذلك لما عند حسن عبّاس في أنّه: ***«من الحروف البصريّة مُتعدّد الوظائف والخصائص الصّوتية للانبثاق والانفراج والاتساع والشّق. وإذا لفظ في مقدّمة اللفظة دونما مدّ فبحكم خروج صوته من انفراج الشّفتين بعد انطباقهما على بعضها بعضا؛ هو أصلح ما يكون لتمثيل الأحداث التي تنطوي معانيها على الانبثاق والظهور والسّيلان؛ بما يحاكي واقعة انبثاق صوته من بين الشّفتين إيماءً وتَمثيلاً، وليس من الصّميم كالنّون إيحاء وبعضها الآخر إيحائي.»***[2] غير أنّه أضاف (ص ٢٤٦) وفي تسلسل ذبح، ***«أنّ (الذال) للاهتزاز والذبذبة يضاهي صوته بداية النّحر بتكرار حزّ السّكين في العنق. و(الباء) لمضاهاة واقعة الحفر في العنق. و(الحاء) للبحة الصّوتية والحشرجة والمطاوعة»***، فأتت الباء هنا بمعنى الحفر، كما هي عنده في تسلسل (بصق) صفحة: (٢٤٤). وهذا يتناقض مع ما قاله سابقاً، ومع دلالة حركة حرف الباء الانبثاقيّة.

وعند الشّيخ العلايليّ: ***«يدُلّ حرف الباء على بلوغ المعنى في الشّيء بلوغاً تامّاً، ويدلّ على القوام الصّلب بالتفعُل.»***[3] في بلوغ المعنى في الشيء بلوغاً تاماً يماثل بالنسبة للمتلقي استلام الرّسالة الإعلاميّة، الّتي تفتح الباء المجال لتبليغها، وهو يقارب ما تمثله الباء كأداة عمل، غير أنّ ***(القوام الصّلب بالتفعُل)*** بالنسبة إلينا هو مُبهم في مسعى للتأسيس عليه. وعند إياد الحصني: ***«حرف الباء يدل على معنى البناء المادّيّ والمعنويّ، مثل أب»***.[4]، الوصف هنا لا يوفي مستلزمات وشروط التأسيس المطلوبة لبناء الكَلمة العربيّة، ونظامها الصّوتيّ. وعند محمد عقل: ***«الباء بيت، بات وآوى، رسمت في اليمنيّة الجنوبيّة على شكل سقف المنزل، والبيت،***

---

(١) الأرسوزيّ، زكي نجيب: **المؤلّفات الكاملة**، م. س. ص. ٨٨.

(٢) عباس، حسن، **خصائص الحروف العربية ومعانيها**، م. س. ص. ١٠٠، بتصرف.

(٣) العلايلي، عبد الله، **مُقدّمة لدرس لُغة العرب، وكيف نصنع المعجم الجديد**، م. س. ص. ٢١٣.

(٤) الحصني، إياد: **معاني الأحرف العربيّة**، م. س. ص. ٨٧.

هكذا:.Π»[1] ربّما سمّي البيت والبيات من الرّجوع والإياب، لوجود تاء الجهد بعد الياء الزّمانيّة. تحوّل الخط الأفقيّ للبيت ثبت والسّقف مقلوباً.

تبيّن لنا أنّ المستعمل من الاحتمالات الممكنة للثلاثيّ الّذي يبتدئ به الباء لا تتجاوز ما نسبته ٥٠٪ تقريباً، والاحتمالات المتبقية لم تستعمل ولا يمكن أنْ تستعمل. سبب ذلك وفق قراءتنا لمعاني الحروف، أنّ بعض الحروف لا تلتقي ولا تتآلف فيما بينها، مما يحول دون بناء كَلِمٍ منها. لاحظنا أنّ الحرفين اللّذين لا يتفقان ولا يلتقيان مع الباء في اللّسان العربيّ، هما فقط الفاء والميم، فالفاء حرف فصل لا تنبثق منه حركة ولا ينفصل من الباء؛ فهو فاصل ومفرق، وحيث أنّهما يتحدان في مخرج الشّفتين، فلا مجال للحمل أو النّقل فيزيائياً. لذلك نلاحظ أنّهما يتبادلان الأدوار كأداتي عمل. فالباء كساعد ويد تشغيل وتفعيل للعمل، تمنحه الأداة لإخراجه من حيّز الجمود أو المغلق إلى الانطلاق؛ كالقول فتحت بالمفتاح، وقمت بتنفيذ الأمر.. إلخ. بينما الفاء تفصل إنْ أتت مُنفردة لإكساب الحركة السّرعة بالفصل بين حالة وأخرى، أو حدث وءَاخر، إنْ كانا متلازمين مَكاناً وزَماناً، كالقول: فتحت الباب فإذا هو أمامي؛ وإنْ استعانت بياء الزّمان (في)، تصبح أداة عبور لحركة سواء للولوج بها في الزّمن أو في المكان، كالقول في البيت، وفي فترة الصّباح. وأمّا الميم التي تعمل أيضاً كاداة تنفيذ وإتمام بتوفير المستلزمات والأدوات كذلك تلتقي مع (في) مخرج واحد من بين الشّفتين، إلّا أنّ الميم تعمل بالسّالب أيضاً، مما يتعارض مع الانبثاق.

---

(١) عقل، محمد، أبجديّة القرءَان من مملكة سبأ، م. س. ص ٤٦.

حرف الجيم

جيم+ ياء+ميم

المُسمّى الأبجديّ المتعارف عليه للحرف: ج+ي+م

مخرج حرف الجيم: ينطلق من شجرة الفم إلى الأسنان.

ترتيب نشأة الحرف: الجيم الحرف الثّالث في ترتيب الأبجديّة العربيّة والخامس في ترتيب حروف الهجاء العربيّة. ويساوي عدديّاً الرّقم (٣) في حساب الجُمَّل. وفي الترتيب الصّوتيّ القديم يقع حرف الجيم في الترتيب الثّامن عند الخليل بن أحمد، والعشرين عند ابن جِنّي. وفي الترتيب الصّوتيّ الحديث يقع حرف الجيم في الترتيب الثّامن عشر عند أغلب علماء الصّوتيات في العالم العربيّ.

سبب حدوثه الجيم: يُنْطَق برفع مُقدّم اللّسان تجاه مؤخّر اللّثة ومُقدّم الحنك، حتّى يتصل بهما محتجزاً وراءه الهواء الخارج من الرّئتين، ثمّ ينفصل عنهما ببطء، فيعطي الفرصة للهواء فيحتك بالأعضاء المتباعدة، وتتذبذب معه الأوتار الصّوتيّة، فيحدث في نُطقه انفجارٌ ثُمّ احتكاكٌ في مرور الهواء، وهذا الصّوت هو صوت حركة الجيم الفَصيحة. وورد عند ابن سينا ***«وأمّا الجيم فتحدث من حبسٍ لطرف اللّسان تام، وبتقريبِ الجزء المُقدّم من اللّسان من سطح الحنك المختلف الأجزاء في النّتوّ والانخفاض مع سعةٍ في ذات اليمين واليسار وإعداد رطوبة، حتّى إذا ضاق نفذ هذا الهواء في ذلك المضيق نفوذاً يصَفِّرُ لضيق المسلك، إلّا أنّه يَتَشذَّبُ لاستعراضه ويتّم صفيره خلل الأسنان، وينقص من صفيره ويردّه إلى الفرقعة الرّطوبية المُندفقة فيما بين ذلك***

متقعقة، ثُمّ تتفقّع إلّا أنّها لا يمتد بها التفقّع إلى بعيد ولا يتسع، بل تفقّؤها في المكان الذي يطلق فيه الحبس.[1]»

الصّفات الصّوتيّة: الجيم صوت لثويّ حنكيّ مركّب انفجاريّ (احتكاكيّ) مجهور، والجيم من الحروف القمريّة؛ تظهر معه لام (أل) التعريف نُطقاً وكتابة، مثل: ألجواد.

الصّفات الكتابيّة: الجيم من الحروف المُعجمة (المنقوطة) بنقطة من أسفله إلّا إذا كان مُفرداً فيكتب في وسط دائرة الحرف الكبرى (ج). ويكتب الجيم السّائد في خط النّسخ مُفرداً هكذا: ج كما في: خرج، ومتصلاً بما قبله هكذا: ـج كما في: فج. ومتصلاً بما بعده هكذا: جـ كما في: جمل، ومتصلاً بما قبله وما بعده هكذا: ـجـ كما في: مجد.

دلالة اسم الجيم من خلال حروفه

- جيم: من دلالة الجمع والدّمج، والجبل، والجهل، والجهد، ما يفيد التكتّل والتصلّب.
- ياء: حاجة الجهد والتّكتل إلى الزّمن.
- ميم: بالميم يتم التّكتّل ويحقّق مرامَه بما ينقصه.

ما نستدل به من تناقض أو تآلف في ترتيب حروف مُسمّى الجيم هو أنّ: (ج-م) تفيد ازدحاماً وتجمّعاً شديداً، وهي منسجمة مع ترتيب النّشأة، بينما (م-ج) تفيد شفط ولفظ، فهي معاكسة لتريب نشأة الحروف وانسجام التكوين.

تسلسل جيم: الحكمة في استخدام المُسمّى حرف الياء لنقل وبناء حركته مع حرف الميم؛ يفرض ملاحقة حركة الجيم أينما ذهبت وحيثما استعملت، وكشف هدف عملها بالضّبط. اسم الجيم يدلّ فلسفيّاً على حاجة الجهد للجمع والتّماسك إلى زمن باستخدامه لحرف الياء، وإلى أن يتم بالميم الّذي هو حرف تكامل.

---

(١) ابن سينا، م. س. ص. ٧٥.

ج-ب: هنا تعارض بين الدّمج والانبثاق، فجهد الدّمج تفتح له الباء المجال انبثاقاً بسبب ضغطه الدّاخليّ. وكون حركة الجيم جاذبة للدّاخل في تكتّل لا يقبل المرونة فالانبثاق قطعَ التواصل الخارجيّ، وانسحبَ به الدّمج إلى الدّاخل. والجَبّ فعلاً يفيد القطع والاستئصال مع الخارج والاستيعاب في داخله. من المهم مقابلة توجّه (ج-ب) مع تسلسل (ب-ج) لبيان جدليّة تناقض حركتي الباء والجيم، كما يأتي لاحقاً. في معجم مقاييس اللّغة: الجيم والباء في المضاعف أصلان: أحدهما القَطْع، والثّانيّ تجمُّع الشيء. فأمّا الأوّل فالجَبُّ القطع، يقال جَبَبْتُه أجُبُه جَبّاً. وخَصِيٌّ مجبوبٌ بيِّن الجباب. ويقال جَبَّه إذا غَلَبَه بحُسْنه أو غيره، كأنّه قطعَه عن مُساماته ومفاخَرَته. والأصل الثاني الجُبَّة معروفة، لأنّها تشمل الجسم وتجمعه فيها. والجُبَّة ما دَخَل فيه ثَعْلب الرُمح من السِّنان. والجُبْجُبَة: زَبيلٌ من جُلود يُجمَع فيه التُرابُ إذا نُقل. وقيل: الكَرِش يُجعَلُ فيه اللَّحم وهو الخَلْعُ. وجَبَّ الناسُ النّخلَ إذا ألقَحُوه، وذا زمن الجِباب. والجَبُوب: الأرض الغَليظة، سمِّيت بذلك لتجمّعها. قال أبو خراش[1] يصف عقاباً رفَعَتْ صيداً ثمّ أرسلَتْه فصادَمَ الأرض:

فلاقَتْه ببَلْقَعَة بَرَاحٍ فَصادَمَ بين عينيْه الجَبُوبا

المَجَبَّةُ: جادَّة الطّريق ومُجْتَمعُهُ. والجُبّ: البئر البعيدة القعر. ويقال جَبَّبَ تجبيباً إذا فرَّ وذلك أنّه يجمع نفسَه للفرار ويتشمَّر. وقيل: «الإسلام يجبُ ما قبله»؛ أي يقطع ما كان قبله من الكفر، وأحسب أنّه يستوعبه في داخله. جب: الجيب؛ لما يجمع بداخله، وهو بحركة الزّمان.. وفي التّنزيل: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ به وَأَجْمَعُواْ أن يَجْعَلُوهُ في غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ يوسف١٥، وفي قول رؤبة بن العجّاج[2]:

بمُكْرَبِ القينِ قَروعِ القَعبِ صُلْبِ الحَوامي في دَخيسِ الجُبِّ

(١) أبو خراش الهذلي: أبو خراش الهذلي خويلد بن مرة الهذلي المضري، شاعر مخضرم وفارس فاتك مشهور، قيل كان يسبق الخيل، نهشته أفعى فقتلته، (؟-١٥هـ، ؟٦٣٦م).

(٢) رؤبة بن العجّاج: رؤبة بن العجاج بن رؤبة التميمي السعدي، أبو الجحاف، من الفصحاء الموصوفين بإمامته في اللغة،(؟-١٤٥هـ، ؟-٧٦٢م).

ج-د: حيث أنّ جيم الدّمج مُندفعة بالدّال إلى أبعد مدى للدّلالة أنّ جهد الجمع والدّمج فيما أتمّ الله وتابع خلقه. في معجم مقاييس اللّغة: الجيم والدّال أصولٌ ثلاثة: الأوّل العَظَمة، كما في التّنزيل: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ الجن ٣. والثّاني: الغنَى والحظُ، وفي الحديث الشريف: «لا يَنْفَع ذا الجَدِّ منْكَ الجَدُ»، يريد لا ينفَعُ ذا الغنى منك غناه، إنّما ينفعه العملُ بطاعتك. وفلان أجَدُ من فلانٍ وأحَظُ منه بمعنىً. والثّالث القَطْع: يقال جَدَدت الشيءَ جَدّاً، وهو مجدودٌ وجَديد، أي مقطوع؛ قال الشّاعر:

أبَى حُبِّي سُلَيْمى أنْ يَبيدا وأمسَى حَبْلُها خَلَقاً جَديدا

وليس ببعيد أنْ يكون الجدُ في الأمر والمبالغةُ فيه من هذا؛ لأنّه يَصْرِمه صَرِيمةً ويَعْزِمُه عزيمة. ومن هذا قولك: أجدَّكَ تفعلُ كذا؛ أي أجداً منك، أصريمةً منك، أعَزيمةً منك. قال الأعشى:

أجدَّكَ لم تسمَعْ وَصاةَ محمّدٍ نبيِّ الإله حين أوْصَى وأشْهَدا

والجُدُ البئر من هذا الباب، والقِياس واحد، لكنّها بضمّ الجيم (وهي في تموضع بحيّز مكانيّ). قال الأعشى فيه:

مَا يُجْعَلُ الجُدُ الظّنُونُ الّذي جُنِّب صَوْبَ اللَّجب الماطر

وقد ورد في التنزيل: ﴿..وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ فاطر٢٧، فالجِد بالكسر: الاجتهاد في العمل، الجَدّ: أبو الأب أو أبو الأم. والجُدّة: الطّريق في الجبل. وجادّة الطّريق؛ لأنّها مستمرّة تجدّد الخطو، وقيل الجُدّ: شاطئ النّهر أو البحر. والجديد: وجه الأرض. قال تأبّط شراً:

إذا المرءُ لم يَحتَلْ وقد جَدَّ جَدُّهُ أضاعَ وقاسى أمرَهُ وهوَ مُدبِرُ

نعاين المتغيرات أيضاً، إذا عُكس ترتيب الحروف:

ب-ج: حيث أنّ حركة حرف الجيم تفيد الجمع والدّمج؛ يتبيّن لنا أنّ استخدام الباء لها قد حقّق غرضه؛ فمعنى كَلمة بجّ مُعجمياً: الكبَر والعظَمة والاتساع والكثرة. وبجّ الكلأ النّاقة: أسمنها فوسّعت خواصرُها؛ عبّرت عن المعنى الحركي. وتقول العامّة «بجّ الكلام بجّا»؛ أي بجفاء وبلا تنسيق ودفعة واحدة.

في معجم مقاييس اللّغة: الباء والجيم تسلسل يدلّ على أصلٍ واحد وهو التفتُّح. من ذلك قولُهم للطعن بجّ. قال أبو عُبيد: هو طعنٌ يصل إلى الجوف فلا ينفُذ. يقال منه بَجَجْتُه أَبُجُه بَجّاً. ويقال رجلٌ أَبَجُ، إذا كان واسعَ مَشَقّ العينِ. قال ابنُ الأعرابيّ: البجُ القطع، وشقُّ الجلدِ واللّحمِ عن الدَّم. قال جُبيهاء الأشجعي[1]:

فَجاءتْ كأنَّ القَسْوَرَ الجَوْنَ بَجَّها عَسَاليجُهُ والثَّامرُ المُتَناوحُ

ويقال ما زال يَبُجُ إبلَه أي يسقيها. وبَجَجْتُ الإبلَ بالماء بَجّاً إذا أرْوَيتَها. وقد بَجَّها العُشْبُ إذا ملأها شحماً. والبجباج: البَدَنُ الممتلئ.

د-ج: جيم الجمع والدّمج، وهي حركة تتكتّل حول نفسها فلا تقبل المرونة، فكيف تدفعها الدّال لتدل على حركة اندفاعها وتعيين توجّهها؟ لذلك فالمُعطى الحركيّ يفيد بعض التخبّط؛ وفي معجم مقاييس اللّغة: الدّال والجيم أصلان: أحدهما كشبه الدَّبيب، والثاني شيءٌ يُغَشّي ويغطّي. فالأوّل قولهم: دَجَّ دَجيجاً؛ إذا دبّ وسَعَى. وأمّا الدَّجاجَة فمعروفةٌ: لأنَّها تُدَجْدِجُ، أي تَجيء وتذهَب. والدَّجاجة: كُبَّةُ المِغْزَل. فإن كان صحيحاً فهو على معنى التشبيه. وكذلك قولهم: لفلانٍ دَجاجَة، أي عيالٌ. وهو قياسٌ؛ لأنَّهم إليه يدجُون. وأمّا الآخَر فقولهم تَدَجْدَجَ الليل: إذا أظْلَم. وليلٌ دَجُوجيّ. ودَجَّجَت السماء تدجيجاً: تغيَّمت. وتدَجْدَجَ الفارسُ بشكَّته، كأنَّه تغطَّى بها. وهو مدجِّج ومدَجَّج. وقولهم للقُنْفذ مُدَجِّج، قال عَنْتَرَة[2]:

ومُدجَّجٍ كَرِه الكُماةُ نزالَه لا مُمعنٍ هَرَباً ولا مُستَسلم.

وأمّا قولهم للنّاقة المنبسطة على الأرض دَجَوْجَاةٌ، فهو من البابَ، لأنّها كأنّها تُغَشّي الأرض. من المقابلة الجدلية بين (ج-د) و(د-ج) نتذكّر أنّ الجيم

---

(١) جبيهان الأشجعي: يزيد بن خثيمة بن عبيد الأشجعي، شاعر بدوي إسلامي، من شعراء المفضليات،(؟-؟).

(٢) عَنْتَرَة: عنترة بن شدّاد بن معاوية بن قراد العبسي، أشهر فرسان العرب في الجاهلية، واحد أصحاب المعلّقات، كان ابن أمة حبشية، كان مغرما بابنة عمّه عبلة، (؟-٢٢هـ، ؟-٦٠١م).

سبقت الدّال في نشأة وترتيب الحروف، فمدلول (ج-د) توجّه إيجابيّ، بينما توجّه (د-ج) سلبيّ معاكس لتناغم الوجود وحركته.

استطلاع مُتغيّرات بعض الاقترانات الّتي يكون فيها حرف الجيم تابعاً

ف-ج: الفاء تفرّق والجيم تدمج، التفريق هنا غير تام، ينبئ عن فصل عميق، كون الدّمج جاء بعد الفصل؛ أي بعد أنْ أخذت الفاء من الزّمن ما ساعدها على التّفريق، وقبل أنْ دمجت الجيم جزئيّاً ما تمّ تفريقه، مُعجميّاً: الألفج: الوادي والطّريق الواسع بين الجبلين، والفج: المضرب البعيد، وفي التّنزيل: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ الحج٢٧، والفج: ما لم ينضج من الثّمار، وهنا نلاحظ حركة الزّمن الّتي تنتظر النّضج، والفج: الثّقيل والغليظ من النّاس، وقول ليلى الأخيليّة[1]:

لا يأمن النّاسُ ممساهُ ومُصبَحَهُ　　في كلّ فجٍّ وإن لم يغزُ ينتظرُ

نلاحظ، بما أبانته واو التّموضع المكانيّة، في تسلسل (ف-و-ج)، ظهور دلالة مجموعة من المجموعات المنفصلة، فأرتنا الظّاهر، بينما في «فَج» وهي بحركة الفتحة الزّمكانيّة، فقد تمّت الاستعانة بلفظة أخرى لبيان الباطن غير الظّاهر بالحركة، الّتي ما زالت مستمرّة زمناً ومكاناً، فقيل: «فجّ عميق»، و«ثمر فج».

ل-ج: الجمع والدّمج بحركة الجيم هو بتوجّه من حركة التلاحم، وهو إذ تكتّل حول نفسه لا يقبل المرونة، ولحاجة الجمع والتماسك إلى جهد مستمر، أعطى التسلسل معنى الإلحاح؛ فالتوقّف يُضَيِّع كلَّ ما بذل في لمٍّ ولحمِ الأجزاء المتفرّقة، وفي المعاجم: لجّ في الأمر تمادى وأبى أنْ ينصرف عنه، واللّجج: التمادي في الخصومة، والاستمرار في المعارضة ولو تبيّن الخطأ، واللّجج أيضاً المختلط ليس بمستقيم كما لجج البحر والسّيل. قال عروة بن أُذينة[2]:

(١) ليلى الأخيليّة: ليلى بنت عبد الله بن الرّحال بن شدّاد بن كعب الأخيليّة، من بني صعصعة، شاعرة فصيحة اشتهرت بأخبارها مع توبة بن الحمير، وفدت على الحجاج فقرّبها وأكرمها، (؟-٨٠هـ، ؟-٧٠٠م).

(٢) عروة بن أُذينة: عروة بن يحيى بن مالك بن الحارث الليثي، شاعر غزل مقدم، من أهل المدينة ومعدود من الفقهاء، (؟-١٣٠هـ، ؟-٧٤٧م).

وللصُرمِ هَولٌ على ذي الهَوى وإن لجَّ يدعو إليه احتثاثا

إذا تمّ إدخال حرف ثالث، على التسلسلات السّابقة ابتداءً، وتوسّطاً، وانتهاءً تسلسل (ج-ب):

ح-ج-ب: حيث أنّ مضمون التّعاظم بالحاء المُدمج بالجيم هو ذاتي ودفاعيّ التّوجّه وداخليّ يُعبّر عن القصد ولا يظهر أو يُباح به، فأنْ تفاجئ باء الانبثاق من مكمن (حج)، إنّما يضمر تعرّض الحركة لموقف أو قوّة غير متوقّعه، فتمّ تعزيزها بإظهار كمونها الدّاخليّ بانبثاق مسترجع مكاشفته ليمنع الاختراق، فيما يماثل الانغلاق الذّاتيّ. انظر للمقارية تسلسل (ج-ب). في معجم مقاييس اللّغة: الحاء والجيم والباء أصل واحد، وهو المنع. يقال حجبته عن كذا، أي منَعتُه. وحِجابُ الجَوْف: ما يَحْجُبُ بين الفُؤاد وسائر الجَوْف. والحاجبان العظمان فوق العينين بالشّعَر واللّحم. وهذا على التشبيه، كأنّهما تحجبان شيئاً يصل إلى العينين. كذلك الحَجَبة: رأس الوَرك، تشبيهٌ أيضاً لإشرافه. والحجب في المعاجم هو: السّتر وكلّ ما حال بين شيئين. الحجاب: السِتْرُ. وحجَبه؛ أي منعه من الدّخول. وحاجب الأمير جمعه حُجّاب، ومنها احتجب الملك عن النّاس. وفي التّنزيل: ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ ص٣٢. قال تميم بن أُبي[١]:

حَتَّى يُخالفَهُم وقد حَجَبَ الدُجى دونَ الشُخوصِ إلى فُضولِ تَماثلِ

وقال الأخطل[٢]:

إنّي حلفتُ بربِّ الرّاقصات وما أضحى بمَكَّةَ من حُجبٍ وأستارِ

و-ج-ب: واو التّموضع لإظهار الحيّز المكاني لمجال حركتها، واكبتها جيم الجهد لمهمّة الجمع والتماسك للحركة الّتي يُسمعنا إيّاها صوت الجيم، فتحت لها باء الانبثاق المجال ومنحتها القوّة في التّموضع والدّمج، وفي معجم مقاييس

---

(١) تميم بن أُبي: تميم بن ابي بن مقبل من بني العجلان من عامر بن صعصعة، جاهلي أدرك لإسلام فأسلم، (٧٠ ق.هـ-٣٧هـ، ٥٥٤-٦٥٧م).

(٢) الأخطل: غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة بن عمرو من أشهر شعراء عصره هو والفرزدق وجرير، (٩١-٩٠هـ، ٦٤٠-٧٠٨م).

اللّغة: الواو والجيم والباء: أصلٌ واحد، يدلُ على سُقوط الشيء ووُقوعه. ووَجَب البيعُ وُجوباً: حَقَّ ووَقَع. ووَجَب الميِّت: سقَط، والقتيلُ واجب. وفي الحديث: «فإذا وجَبَ فلا تَبكيَنَّ باكية»، أي إذا ماتَ. وفي التّنزيل: ﴿..فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا..﴾ الحج ٣٦. قال قيس بن الخطيم:

أطاعتْ بنو عوف أميراً نهاهُمُ   عن السلْم حَتَّى كان أوَّلَ واجب

وفي المعاجم: وجب الشّيء؛ أي لزم، يجب وجوباً. وأوجبه الله. واستوجبه؛ أي استحقه، وهو الثبوت والواجب لغرض الالتزام واندماج بالمشروع والجماعة. انظر تسلسل (ج-ب). وفي قول العشاري[1]:

بشائرُكُم وافت وقد وَجَبَ الشُكرُ   وأفراحُكم طابت فطابَ لها الذِكرُ

ج-ب-ل: جهد الدّمج غير المرن المفتوح له المجال الانبثاقيّ لمزيد من التكتّل حول النّفس باللّام، الّتي تتابع توصيل ولحم ما تمّ جبّه وقطعه لتشكّل منه حالة ونسيج جديد. هو دمج متراكم. في معجم مقاييس اللّغة: الجيم والباء واللّام أصلٌ يطّرد ويُقاس، وهو تجمُع الشّيء في ارتفاعٍ. فالجبل معروف، والجَبَل: الجماعة العظيمة الكثيرة. قال القطاميّ التغلبيّ[2]:

إلّا وهمْ جَبَلُ الله الذي قَصُرَتْ   عنه الجبالُ فَمَا سَاوَى به جَبَلُ

ويُقال للنّاقة العظيمة السّنام جَبَلَةٌ. وقال قوم: السّنَام نَفْسُه جَبْلَةٌ وامرأةٌ جَبْلَةٌ: عظيمة الخَلْق. ويقال حَفَر القومُ فأجْبَلُوا، إذا بلغوا مكاناً صُلْباً. والجبلّة: الخَليقة. والجبلُ: الجماعة الكثيرة. وفي التّنزيل: و﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الأَوَّلِينَ﴾ الشعراء١٨٤، و﴿قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ..﴾ هود٤٣، والجبل في المعاجم: لكلّ وتد من أوتاد الأرض إذا عظم

---

(١) العُشاري: حسين بن علي بن حسين بن محمد الشعاري البغدادي الشافعي، نجم الدين ابو عبد الله، ولد وتعلم في بغداد، العشارة بلدة على نهر الخابور، (١١٥٠-١١٩٥هـ ١٧٣٧-١٧٨٠م).

(٢) القطامي التّغلبي: عُمير شُييم بن عمرو بن عبّاد، من بني جشم، بن بكر التغلبي الملقب بالقطامي، شاعر غزل فحل، (؟-١٣٠هـ ؟-٧٤٧م).

وطال، وجبلّة الإنسان: طبعه وخلقته، ورجل مجبول: غليظ. قال نهشل بن حَري[1]:

ألا إنّ قومي لا يَجُنُ بُيوتَهُم مَضيقٌ من الوادي إلى جَبَلٍ وَعرِ

ج-ب-ر: هنا الرّاء تُكرّر الدّمج والاستئصال؛ أي الدّمج المفتوح له المجال؛ وإذْ الجهد في الدّمج تكتّل حول النّفس لا يقبل المرونة، فكأنّ المحاولة فيها ممانعة قاسية، تفرض المزيد من القوّة الجاذبة والأنانيّة المفرطة. أمّا في «الجبّار»، فالألف اللّاحقة لحرف الباء، تفاعل الحركة وتنشطها مُتيحة لها ولوج بابي الزّمان والمكان. والجبّار في المعاجم: الذي لا يُنال، والإجبار: القهر. وقيل: الطّول والقوّة والعظم. والجَبْرُ: خلاف الكَسر، لحَمَ ورمّم. الجَبْرُ: أن تغني الرّجل من فقر، أو تصلح عظمه من كسر. يقال: جبرت العظم جبراً. وجبر العظم بنفسه جبوراً؛ أي انجبر والجُبار: الهلاك والإفساد، قال تأبّط شراً[2]:

بِه من نَجاءِ الصَّيفِ بيضٌ أقَرَّها جُبارٌ لصُمِّ الصَّخرِ فيه قَراقِرُ

في معجم مَقاييس اللّغة: الجيم والباء والرّاء أصلٌ واحد، وهو جِنْسٌ من العظَمة والعُلوّ والاستقامة. فالجَبَّار: الذي طَال وفاتَ اليد. وذو الجَبَرُوت: اللهُ جلّ ثناؤه. ويقال أجبرتُ فلاناً على الأمر، ولا يكون ذلك إلّا بالقَهْر وجنسٍ من التعظّم عليه.

ج-ب-ن: حركة الجب؛ أي الدّمج والتصلّب الدّاخليّ والقطع مع الخارج، لحقت بها النّون لتثبيت حالتها التكوينيّة. في معجم مقاييس اللّغة: الجيم والباء والنّون ثلاث كلمات لا يقاس بعضُها ببعض. فالجُبْن: الذي يُؤكل. والجُبْن: صفة الجبان. وجَبُنَ أيضاً بالضّم فهو جَبين، والجَبينان: ما عن يمين الجبهة وشمالها، كلُّ واحد منهما جَبين. والجَبَّان والجَبَّانة بالتشديد: الصحراءَ والأَرض لا آكام فيها، وتسمّى بهما المقابر. والجبهة للإنسان: موقع السّجود

---

(١) نهشل بن حَرّيّ: نهشل بن حَرّي بن ضمرة الدارمي، مخضرم، حارب مع الإمام علي في صفين، (؟-٤٥هـ. ؟-٦٦٥م).

(٢) تأبّط شراً: تأبّط شراً، هو ثابت بن جابر بن سفيان المضري، من فحول الشعراء الصعاليك في الجاهلية. (؟-٨٥ق هـ. ؟-٥٤٠م).

بين الحاجبين. الجَبْه والمجابهة: الاستقبال للمكروه. (أرى خلاف ما قاله ابن فارس، أنّ الثلاث كلمات المشار إليها يقاس بعضها على بعض، حيث التجبّن دمج ما يتخثّر من الحليب. وجَبَن الرّجل فهو جَبان، فهو مقيّد الحركة باندماج تراجعي خوفاً. والجبين فوق الصّدغ فهو يجمع ويدمج المحيّا)، وفي قول أوس بن حَجَر:

وليسَ يُعابُ المرءُ من جُبنِ يومِهِ   وقد عُرِفَتْ منه الشَّجاعةُ بالأمسِ

ج-ذ-ب: بين جهد الدّمج بحركة الجيم والانبثاق وفتح المجال بحركة الباء تناقض تدل عليه توسّط ذال البروز الحسّي. فالحركة بين موقفين أو بُعدين متناقضين إحساساً؛ كالقول يجذبه الحسنُ والجَمالُ؛ فيه إضمار ممانعة يليها قبول؛ كحركة الدّمج يتبعها الانبثاق. في معجم مقاييس اللّغة: الجيم والذال والباء أصلٌ واحدٌ يدلُ على بَتْرِ الشّيء. يقال جَذَبْتُ الشّيْءَ أجذبُه جذْباً. وجذَبتُ المُهر عن أمّه إذا فطمتَه، ويقال ناقة جاذب، إذا قلَّ لبنها، والجمع جواذب. وهو قياس الباب؛ لأنّه إذا قلّ لَبَنُها فكأنّها جَذبته إلى نفسها. وقد شذّ عن هذا الأصل الجَذَب، وهو الجُمَّار[1] الخَشِن، الواحد جَذَبة. التجاذب في المعاجم: التنازع، وقيل جذبه: مدّه، وقيل: انتزعه، وقوّة الجاذبيّة هي بهذا المعنى، يُقال جذبه، وجبذه على القلب، واجتذبه أيضاً. قال البُحتري[2]:

تتجاذبون المجدَ جذبَ تَعَجرُفٍ   وتعَجرُفُ الأمجادِ بعضُ المُنكَرِ

ج-ل-ب: جهد الجمع والدّمج في متابعة لام التّلاحم والاتصال، فُتح لها المجال الانبثاقي، لتوصل وتُلحم ما يتصل وتصل إليه حركتها، أظهرت أنّ الجَلب هو كما تقول المعاجم؛ الإتيان بالشيء وسوقه غَصباً. والجَلَبة: اختلاط الصّوت، والجلبة الازدحام للحركة والصّوت. وجلبت الشّيء إلى نفسي واجتلبته، والجلوبة: ما يجلب للبيع. والجليب: الذي يجلب من بلد إلى غيره، وأجلبوا

(١) الجِمَارِ التي ترمى بمنىً جَمَراتٌ لأن كلَّ مَجْمَعِ حَصًى منها جَمْرَةٌ. لسان العرب، ج ٤، ص١٤٤.

(٢) البُحتري: هو الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي، ولد في منبج قرب حلب، أحد الشعراء الثلاثة المبدعين في عصره، وهما المتنبي وأبو تمّام. (٢٠٦-٢٨٤هـ،٨٢١-٨٩٧م).

عليه، إذا تجمعوا وتألّبوا. وفي التّنزيل: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ..﴾ الإسراء٦٤، قال ابن الأبّار[1]:

أَحدُ لسانُ الشُّكرِ جلبُ المنائحِ فلا غرْوَ أن غارت عيونُ النَّوائحِ

في معجم مقاييس اللّغة: الجيم واللّام والباء أصلان: أحدهما الإتيان بالشيء من موضعٍ إلى موضع، والآخر شيءٌ يغَشّي شيئاً. فالأوّل قولهم جَلَبْت الشيءَ جلباً. قال الشّاعر:

أُتيحَ لها القلَيبُ من بطن قَرْقَرَى وقد تَجْلبُ الشرَّ البعيدَ الجوالبُ

والأصل الثاني: الجُلْبة، جلدةٌ تُجعل على القَتَب[2]. والجُلْبة القشْرة على الجرْح إذا بَرَأَ. يقال جلَبَ الجُرْحُ وأجْلَبَ. وجلْبُ الرَّحْلِ عيدانُهُ؛ فكأنّه سُمّيَ بذلك على القُرْب. والجِلْب: سَحابٌ يعترضُ رَقيقٌ، وليس فيه ماءٌ. قال تأبّط شرّاً:

ولستُ بجِلْبٍ جِلْبِ ريحٍ وقِرَّةٍ ولا بصَفاً صَلْدٍ عن الخير مَعْزِلِ

ومن هذا اشتقاق الجِلباب، وهو القميص، والجمع جلابيب، قالت نَشوب الهذليّة[3]:

تمشي النُسورُ إليه وهي لاهية مَشْيَ العذارَى عليهن الجلاليبُ

التسلسلات السّابقة تظهر أنّ الاستخدام يستبطن الدّمج للعناصر الماديّة داخليّاً، أو في تطلعها المعنويّ؛ أي من حيث مجال الاستخدام واتجاه الغاية.

تسلسل (ج-د):

ج-د-ر: هنا اندماجٌ بالجيم، مندفع القصد بالدّال، مع تكرار بالرّاء لمغالبة حالة مستعصية، أو لفرز مكرّرات متشابهة. في معجم مقاييس اللّغة: الجيم والدّال

---

(1) ابن الأبّار: ابن الأنبار، هو محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، ولد في بلنسية في الأندلس ورحل عنها عند احتلال الفرنجة، إلى تونس، فقربه السلطان أبو زكريا، وبعد أن خلفه ابنه المستنصر وأثر وشاية أمر بقتله قصعاً بالرماح. له عدّة مؤلفات منها :التكملة لكتاب الصلة، والمعجم، (٥٩٥-٦٥٨هـ. ١١٩٩-١٢٦٠م).

(٢) القَتَبُ: إكافُ الجَمَل والتّذكيرُ فيه أعمُ من التأنيث ولذلك أنّثوا المصغر كما في: قُتَيْبة قال لبيد :

حتّى تحيّرت الدّبارُ كأنّها زَلَفٌ وأُلْقيَ قتْبُها المحزومُ..

(٣) نشوب بنت العجلان بن عامر بن برد بن منيه الكاهلية، أخت عمرو ذو الكلب، والشّعر في رثائه. ؟-؟).

والرّاء أصلان، فالأوّل الجدار، وهو الحائط وجمعه جُدُر وجُدْران. والجَدرُ أصل الحائط. ومنه الجَديرة، شيءٌ يُجعَل للغنم كالحظيرة. ومن هذا الباب قولهم هو جديرٌ بكذا. وهو مما ينبغي أن يثبت ويبني أمرَه عليه. يقولون: الجديرة الطبيعة. والأصل الثاني ظُهور الشيء، نباتاً وغيره. والجَدْر النّبات، يقال: أجْدَرَ المكانُ وجَدَرَ، إذا ظهر نباته. قال الجَعْدي:

قد تستحبُونَ عند الجَدْر أنَّ لكم　　　منْ آل جَعْدَةَ أعماماً وأخوالا

جَدَرَ جَدارة في المعاجم: حَريٌّ أنْ يَقدر، أو باستطاعته التَّمكّن من أمرٍ وتنفيذه، كالقول: جديرٌ به أنْ يفعل كذا؛ أي الخليق به، أمّا الجُدري؛ أي بالضّمة على الجيم وبياء الزّمكان؛ فهي قروح البدن، التي تنتشر، وهي قروح ترتفع عن الجلد مشكّلة نُدباً مستمرّة. وجُدُر البيت: جمعُ جدار، هو الحائط؛ فهو جدار لأنّه يرتفع من الأرض؛ وهو حائط لأنّه يحيط بالبيت، وفي قول المعرّي:

أضَرُّ من جُدَرِيُّ شانَ حاملَهُ　　　بحمله جدريٌ جاء من جَدَرِ

ج-د-ل: هنا اللّام تدخل على الحركة المجزّئة بين الاندفاع والدّمج لتدمجها وتكوّن منها حركةً واحدةً كما لو لفّ وكتّل حوله. الجَدْل مُعجمياً: شدّة الفتل، لمجموعة من الخيطان، أو الحبال، أو الشّعيرات لتكوين وحدة لها غاية مختلفة. وجدلت الحبل أو الشّعر أجدله جدلاً؛ فهو جديلة؛ أي فتلته فتلاً مُحكَما. ومنه جارية مجدولة الخلق حسنة الجدل. كما في قول امرئ القيس:

وكَشْحٍ لطيفٍ كالجديل مُخصَّرٍ　　　وساقٍ كأُنبوبِ السَّقي المُذلَّل.

والمجدول: القضيبُ لا من هزال. والمجدل: القصر. والجدول: السّاقية؛ حيث يجدل الماء. يقال: طعنه فجدله؛ أي رماه بالأرض، فانجدل؛ أي سقط. وجادله؛ أي خاصمه، مجادلة وجدالاً: والاسم الجدل؛ المناظرة؛ وهي مقابلة الحجّة بالحجّة، وفي التّنزيل: ﴿ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ..﴾ النحل١٢٥، ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ

بَصيرٌ﴾ المجادلة١. يلاحظ هنا التفريق بين الجدل والحوار، قالت عائشة التّيموريّة(١):

كَمْ بين روحيَ والإئتلاف مُعتَرَكٌ وكمْ لجَفني معَ التَسهيد من جَدَلِ

وفي معجم مقاييس اللّغة: الجيم والدّال واللّام أصلٌ واحدٌ، وهو من باب استحكام الشيء في استرسالٍ يكون فيه، وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام. ويقال للزّمام المُمَرِّ جَديل. والجَدْوَل: نهر صغيرٌ، وهو ممتدٌ، وماؤُه أَقْوى في اجتماع وتجدّل أجزائه من المنبطح السّائح. والدِّرع المجدولة: المحكمة العَمَل. ويقال جَدَلَ الحَبُّ في سُنْبُله: قَوِيَ. والأجدَل: الصَقر؛ سمّي بذلك لقوّته. قال ذو الرّمة يذكر حَميراً في عَدْوها:

كأنَّهُنَّ خوافي أجدَلٍ قَرِمٍ وَلَّى ليسبقَه بالأمْعَزِ الخَرَبُ

و-ج-د: حركة التّموضع هنا، في توجيه اندماجيّ باندفاعٍ إلى أبعد مدى بدلالة القصد؛ وفي التّنزيل: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِن وُجْدِكُمْ..﴾ الطلاق٦، ﴿وَمَا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ الأعراف١٠٢. وفي معجم مقاييس اللّغة: الواو والجيم والدّال، تسلسل يدلّ على أصلٍ واحد، وهو الشي يُلفيه. وَجَدْتُ الضَّالَّة وِجْداناً. وحكى بعضُهم: وجَدتُ في الغضَب وِجداناً. وقيل مُعجميّاً: وجد الشّيء من العدم، ووجد الشّيء عن عدم؛ فهو موجود، وأوجده الله، ولا يقال وجده. فقد اتخذ مَكاناً لوجوده. ووجد عليه في الغضب موجدة، ووجداناً أيضاً، ووجد في الحزن وجداً بالفتح، وجَدَ تَجِدُ جدة؛ أي استغنى غنىً لا فقر بعده. وتوجّدت لفلان؛ أي حزنت له. والوُجْدُ والوَجْدُ والوِجْدُ اليسار والسّعةُ، وفي قول الحلّاج:

سكوتٌ ثُمَّ صمتٌ ثُمَّ خَرسٌ وعلمٌ ثُمَّ وَجدٌ ثُمَّ رَمسُ

والوَجدُ كذلك: الهيام والعشق، وفي قول طَرَفة بن العبد:

فوَجدي بسلمى مثلُ وجدِ مُرَقَّشٍ بأسماءَ إذ لا تستفيقُ عواذلُه

قال المتنبّي:

(١) عائشة التيمورية: عائشة بنت عصمت بن إسماعيل بن محمد تيمور، شاعرة أديبة من نوابغ مصر، باللغة العربية والتركية والفارسية، لها: حلية الطراز، (١٢٥٦-١٣٢٠هـ ١٨٤٠-١٩٠٢م).

وقيَّدتُ نفسي في ذَراكَ مَحَبَّةً ومن وَجَدَ الإحسانَ قيداً تَقيَّدا

قال صخر الغي[1]:

كلانا ردَّ صاحبَهُ بيأْسٍ على حَنَقٍ ووجدانٍ شديدِ

س-ج-د: سين التنسيق وترتيب الهيمنة اندمجت حركتها في اندفاع ذي دلالة، وتماثل الحركة انجذاب الجسد طواعية في نسقٍ مندمجٍ بالأرض ملتصقٍ بها، وذلك للتعارض بين الدّمج والاندفاع. فكأنّ الدّال خضعت لمطلب هيمنة الدّمج. سجد في المعاجم: كتّل نفسه، وَضَعَ جَبْهَتَه بالأرْض. السُجُوْدُ: للَّه عَزَّ وَجَلَّ. والمَسَاجِدُ: السُجُوْدُ وَمَوَاضِعُه من الجَسَد والأرْض، الواحدُ: مَسْجَدٌ. والسُجَّدُ: الفاتِرَاتُ الأعْين. والإسْجَادُ: إدَامَةُ النَّظَر في فُتُورٍ وسُكُون. فهذا صحيحٌ، إلّا أنّ القياسَ يقتضي ذلك في خَفض، ولا يكون النّظرَ الشّاخصَ ولا الشّزْر. يدلُ على ذلك قولُ كُثَيِّر عزّة[2]:

أَغَرَّك منّي أنَّ دَلَّك عندنا وإسجادَ عينيك الصَّيُودَين رابحُ

وفي التّنزيل: ﴿..يَخرُونَ للأَذْقَان سُجَّداً﴾ الإسراء١٠٧، ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لِآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ البقرة٣٤.

والإسجاد: إدامة النّظر في سكون، قال لَبيد:

بينَ الصَّفا وخليجِ العَينِ ساكنةٌ غُلْبٌ سواجدُ لم يدخُلْ بها الحَصَرُ

وفي معجم مقاييس اللّغة: السّين والجيم والدّال أصلٌ واحدٌ مُطّرد يدلّ على تطامُن[3] وذلّ. يقال سَجَدَ، إذا تطَامَنَ. وكلُ ما ذلَّ فقد سَجَد. قال أبو عمرو: أسْجَدَ الرَّجُل، إذا طأطأ رأسَهُ وانحنى. قال حُميد:

فُضُولَ أزمّتِها أسْجَدَتْ سُجودَ النَّصارى لأربابِها

---

(١) صخر الغي: صخر بن عبد الله الخيثمي الهذلي، شاعر جاهلي لقب بصخر الغي لخلاعته، (؟-؟).

(٢) كثير عزّة: كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن مليح من خزاعة، شاعر متيم مشهور، من أهل المدينة، أكثر إقامته في مصر حيث دار عزة بعد زواجها، وعزة هي بنت حميل بن حفص الكنانية، (٤٠-١٠٥هـ، ٦٦٠-٧٢٣م).

(٣) يقال طَامَنَ ظهره إذا حَنى، لسان العرب، ج ١٣، ص. ٢٦٨.

ج-س-د: الاندفاع الدّلالي من حركة الجس؛ أي الدّمج المُهيمن والمؤكّد، هو تثبيت الحالة من منظور الخارج. في معجم مقاييس اللّغة: الجيم والسّين والدّال تسلسل يدلُ على تجمُع الشيء أيضاً واشتداده. من ذلك جَسَدُ الإنسان. والمِجْسَد: الذي يلي الجَسَد من الثّياب. والجَسَدُ والجَسِد من الدّم: ما يَبِسَ، فهو جَسَدٌ وجاسد. قال الطّرمّاح:

فراغٌ، عواري اللّيط، تكسَى ظباتُها سَبَائبَ، منْها جَاسدٌ ونَجيعُ

في المعاجم أيضاً: جَسَدٌ وجاسدٌ. والجِسَاد: الزَّعْفَرَان. والثَّوْبُ المُجسَدُ: المَصْبُوغُ بالعُصْفُرِ والزَّعْفَرانِ. وَصَوْتٌ مُجَسَّدٌ: أي مَرْقُومٌ عَلَى نَغَمات، لكنّنا نلاحظ الفرق بين الجسد والجسم، فالجسم فيه حياة أتمتها الميم، والجسد لا حياة فيه فهو تكتّل مندفع. وفي التّنزيل: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَّهُ خُوَارٌ..﴾ طه٨٨؛ أي بلا نفس وروح ولا حياة. وفي قول ابن بُرد[1]:

شريكُ روحكَ يأوي منكَ في جَسَدٍ ما دام يُرزَقُ منه الرّوحُ والجَسَدُ

ج-ح-د: هنا اندفعت الدّال بحركة (ج-ح) إمتداداً إلى أبعد مدى؛ كي تدل على التناقض بين الدّمج والتعاظم الذّاتي. ومعنى الجُحد مُعجمياً: إنكار الحق والنّعمة، وضيق العيش، وكذلك التّقصير. وجَحدَ الرّجل بالكسر جحداً، فهو جَحد؛ إذا كان ضيِّقاً قليل الخير. ومن هذا الباب الجُحود، وهو ضدّ الإقرار، ولا يكون إلّا مع علم الجاحد به أنّه صحيح. وما جاء جاحدٌ بخيرٍ قطّ. وفي التّنزيل: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ..﴾ هود٥٩ و﴿..جَزَاء بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ فصلت٢٨. قال ابن زيدون[2]:

---

(١) بشّار بن بُرد: بشّار بن برد العُقيلي، أبو معاذ، أشعر المولّدين على الإطلاق، أصله من طخارستان، كان ضريرا، نشأ في البصرة وعاش في بغداد، أدرك الدولتين الموية والعباسية، اتهم بالزندقة ومات ضربا بالسياط، (٩٥-١٦٧هـ، ٧١٣-٧٨٣م).

(٢) ابن زيدون: احمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزومي الأندلسي، وزير، كاتب وشاعر من أهل قرطبة، انقطع إلى ابن جهور أحد ملوك الأندلس، اتهم ابن جهور بالميل إلى المعتضد ابن عباد، فحبسه، ولم يعطف على استعطافاته، فهرب ابن زيدون واتصل بالمعتضد فولاه وزارته إلى أن توفي بإشبيليه، يلقب ببحتري المغرب، له رسالة في التهكم عن لسان ولادة إلى ابن عبدوس، (٣٩٤-٤٦٣هـ، ١٠٠٣-١٠٧٠م).

لكَ النّعمةُ الخضراءَ تَندى ظلالُها　　عليَّ ولا جَحدٌ لديَّ ولا غَمطُ

وفي معجم مقاييس اللّغة: تسلسل الجيم والحاء والدّال أصلٌ يدلُ على قلّة الخير. يُقال عامٌ جَحدٌ قليل المطر. ورجل جَحْدٌ فقير، وقد جَحدَ وأجْحَدَ. قال ابن دُريد: والجَحَّد من كلٌ شيءٍ القلّة. أجحَدَ الرّجلُ؛ إذا أنفَضَ وذهبَ مالُه. قال الفرزدق:

وبيضاء من أهل المدينة لم تذق　　بَئِيساً ولم تتبعْ حُمُولَةَ مُجْحِدِ.

نلاحظ في التسلسلات السّابقة أنّها لم تخرج عن مسعى الدّمج في أيّ منها؛ سواء كان للمادّة المدموجة أم لحركة فعلها أو بقصد استخدامها. وقد أبرزت الدّال مقصد ودلالة ذلك.

استخلاص النّتيجة بمعيار العقل

حركة حرف الجيم تفيد الجمع والدّمج، وهي مؤثّرة غير متأثرة، بل مستقلّة. لذلك تكتّلها حول نفسها لا يقبل المرونة، بل كلّ تغيير في معنى التسلسلات الّتي تدخل في تركيبها حركة الجيم فرضه تغيير في موقعها كما في: جمود، جهل، جبل. وإذا عرفنا ذلك ستظهر حقيقة الأسماء الّتي تكتّلها تلقائياً، مثال: جم، جسم، عجين، جيش، جملة، جامع، جراب، جبر، جسر، حجم، جحم، حجّ– جحّ. يلاحظ كذلك دور حرف الهاء الّذي هو حرف شفافيّ الحركة، فإن سبق الجيم أثّر على جمود معناه، مثل: هجر، هجم، هجع، هجا. وإن لحق به تحرّك بإيحائه مثل جهر، جهز، جهل. وهذا ما سنستعرضه في تسلسلات أخرى.

حرف الجيم عند ابن عربي[1] من عالم الشّهادة والجبروت، وله الحقائق والمقامات والمنازلات.

الجيم يرفع من يريد وصَالَهُ　　لَمشاهَد الأبرار والأخيارِ
فهو العُبَيْدُ القِنُ إلا أنه　　متحقّق بحقيقة الإيثارِ
يرنو بغايته إلى معبوده　　وببدئه يمشي على الآثارِ
هو من ثلاث حقائق معلومةٍ　　ومزاجُهُ بردٌ ولَفحُ النارِ

---

(١) الفتوحات المكيّة، م. س.، السفر الأوّل، ص.ص. ٣٠٤–٣٠٥.

الاستخدام التأويليّ الصوفي هنا بعيد عن مقاربة الدّلالة المباشرة لمعنى الحرف واستخدامه. ويدلُ حرف الجيم عند الشّيخ العلايلي: «*على العظَمِ مُطلقاً*».[1] ربّما في الجمع والدّمج مظهر تعاظميّ، غير أنّ الإطلاق لا ينسجم ودلالة اقترانه بجميع الحروف سواء كان بادئاً أو لاحقاً بها. أمّا عند حسن عبّاس: «*الجيم الشاميّة المعطشة، توحي بالشدّة والقوّة والدّفء والمتانة كأحاسيس لمسيّة، ويطعم الدّسم ورائحته كأحاسيس ذوقيّة وشميّة. أمّا إيحاءاتها البصريّة فهي تتردّد بين الفخامة والعظم والامتلاء. لتقتصر إيحاءاتها السّمعية على شيء من الفجاجة، وهي لا توحي بأيّة مشاعر إنسانيّة أصلاً. والجيم القاهريّة صوتها الانفجاريّ يوحي بالقساوة والصّلابة والحرارة والخشونة كأحاسيس لمسيّة، وبما يدل على أصوات مزيجة من الحدّة والانفجار كأحاسيس سمعيّة، ولا إيحاءات أخرى في صوتها، حسيّةً أو شعوريةً*»[2] هذا علماً أنّ حسن عبّاس قد أدرج الجيم، كما ذكرنا، ضمن الحروف البصريّة. ويدل عند إياد الحصني: «*على الجمع بكافة أشكاله، فكل كلمة تحوي ضمن حروفها حرف الجيم هي إسم لشيء ماديّ أو حسّي مؤلف من مجموعة عناصر متجانسة لتؤلّف جسماً متماسكاً أو جملةً متماسكةً، مثل: جمع، دمج، حج، جيش. إلخ.*»[3] وهو عند محمد عقل: «*جومل، جمل، ورسم في اليمنيّة الجنوبيّة على شكل سنام الجمل، هكذا: 7 .*»[4] تحوّل في الأفقيّ إذ بقيت رقبة الجمل وظهرت الأرض أفقيّة.

الحروف الّتي لا تتبع حركة الجيم في اللّسان العربي، وفق المعنى الفلسفيّ والحركة الفيزيائيّة، هما حرفي: القاف والكاف. هذا أمر منطقي، فبين حركة الدّمج الّتي لا تقبل المرونة، وقوّة القاف المندفعة لتقفّي وبيان المغلق تعارض واضح، كذلك هو قائم بين الكاف والجيم لأنّ الدّمج يلغي خصائص المدموجات، بينما التّكتّل يقوم كما هي حركة الكاف بفرز المتآلفات التي تسمح خصائصها على أن تتكتّلَ في وحدات.

---

(١) العلايلي عبد الله: **مُقدّمة لدرس لُغة العرب**، وكيف نصنع المعجم الجديد، م. س. ص. ٢١٣.

(٢) عبّاس، حسن: **خصائص الحروف العربية ومعانيها**، م. س. ص. ١٠٤.

(٣) الحصني، إياد: **معاني الأحرف العربيّة**، م. س. ص. ٤٧.

(٤) عقل، محمد، **ابجديّة القرءَان من مملكة سبأ**، م. س. ص. ٤٦.

حرف الدّال

دال+ ألف المد+ لام

المُسمّى الأبجديّ المتعارف عليه للحرف: د+ا+ل

مخرج حرف الدّال: من نطع الغار الأعلى مرتد إلى زلق اللّسان.

ترتيب نشأة الحرف: الدّال الحرف الرّابع من حروف الأبجديّة العربيّة، والثّامن من حروف الهجاء العربيّة ويساوي عدديّاً الرّقم (٤) في حساب الجُمَّل. وفي الترتيب الصّوتيّ القديم يأتي في الترتيب الخامس عشر عند الخليل ابن أحمد، والثّاني عشر عند ابن جنِّي، وفي الترتيب الصّوتيّ الحديث يأتي في الترتيب التّاسع عند أغلب علماء الصّوتيات العرب المعاصرين.

سبب حدوث حرف الدّال: في نُطقه يلتقي طرف اللّسان بأصول الثّنايا العُليا ومقدّم اللّثة، ويضغط الهواء عند نُطْقه بُرهةً من الزّمن، ثُمَّ ينفصل فُجأةً تاركاً نقطة الالتقاء فيحدث صوتٌ انفجاريّ، وتتذبذب الأوتار الصّوتيّة عند النّطق به. وعند ابن سينا: ***«الدّال من الحروف الحادثة عن القلع دون القرع، أو مع القرع كالطاء والتّاء، وإنّما تحدث من انطباق سطح اللّسان أكثر مع سطح الحنك والشّجر، وإن كان بحبس مثل حبس التّاء في الكم وأضعف منه في الكيف سمع الدّال»***[1].

---

(١) ابن سينا، م. س. ص. ٧٩.

الصّفات الصّوتيّة: الدّال صوت أسنانيّ لثويّ انفجاريّ مجهور. وهو من الحروف الشّمسيّة، تختفي معها لام (أل) التعريف نُطقاً لا كتابةً، مثل: في الدَّار.

الاستخدامات الصّرفيّة: تُبدّل التّاء دالاً في كلّ صيغ الافتعال ومشتقاته، وتقلب الدّال زاياً في صيغ الافتعال ومشتقاته الّتي تكون فاؤها زاياً، وقد تبقى دالاً كما هي.[1]

الصّفات الكتابيّة: حرف الدّال من الحروف المهملة النّقط. في خط النّسخ يكتب الدّال مفرداً هكذا: د كما في: ورد، ومتصلاً بما قبله هكذا: ـد، كما في: عدّ، ولا يكتب الدّال متصلا بما بعده قط في أيّ كلمة عربيّة.

دلالة الاسم من خلال حروفه

– دال: يدل من خلال الاندفاع على القصد.

– ألف المد: استخدام تعامد الزّمان والمكان لتحقيق وجود مستمر.

– لام: لتوصيل التّلاحم في الدّلالة والموقع.

ما نستدل به من تناقض أو تآلف في ترتيب حروف مُسمّى دال، هو أنّ دلّ بمعنى أشار، بينما لدّ تفيد العداء. لماذا استخدمت الدّال حرف اللّام للتدليل على قوّة الاندفاع، لو لم يحمل ما يناقض حركتها؟ فالالتحام ومبدأ الرّبط بين قوسي الموجة الصّوتيّة ظاهراً وباطناً، لنسج دلالات معنويّة، هو ما تحتاجه الدّال المندفعة إلى توصيله عبرها وبها؛ وذلك لوجهة مُحدّدة أصلاً، وهذا ما يظهره المُسمّى؛ فهو دال على التّوجّه مُسبقاً، وكيفما حلّت حركة الدّال في أيّ موضع وتسلسل. كون الدّال، بمدلول حرف اللّام في ءاخر اسمه؛ يعني التّوصل إلى ربط ولحم؛ فإنّه بمقصده هو دالٌ على الحدّ والعدد، والبُعد، فنجده في تحديد الأزمنة: قديم، جديد، مدّة، ردح، أمد، غد، بدء، وكذلك في العلاقات: حفيد، جد، ولد، بلد، مهد. وفي الصفات: صديق، عدو، قدير، جواد، خدع، دعارة، غدر، دمث، مجد. وفي الأمكنة: بلد، مدينة، دولي، دار، وفي الحركة: دفع، دحر، دمر، دعم، دعس، دهم.

---

(١) الموسوعة العربية العالمية مج ١.

استطلاع متغيّرات اقترانات حرف الدّال

- نماذج عن الاقتران الثّنائي الّذي يبتدئ به الحرف بصفته متبوعاً:

د-ع: دلالة دع، ظاهراً: الدّفع، وباطناً: التّرك أو استكانة ورغد.

- دَعَّ: دالُ الاندفاع القصدي بحركة الفتحة الزّمكانيّة تستعين بعين المعاينة لتعيين وجهة القصد وبيان غرضه، فهي حركة مندفعة قصداً وبإصرار على موقفها. دَعَّهُ يَدُعُّهُ والدَّعُّ في كتاب العين: دَفع في جفوة، أي الطّرد والدّفع بعنف، كما في التّنزيل: ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ الماعون٢، يَعْنُفُ به عُنْفاً شديداً دَفعاً وانتهاراً، أي يَدْفَعه حقَّه وصِلَتَه، ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ الطور١٣. قال الشّاعر:

أَلَمْ أكف أهْلَكَ فقْدانه إذا القوْم في المَحلِ دَعُوا اليتيما

والدَعْدَعةَ تَحريكُك جُوالقا أو مكيالاً ليَكْتنِزَ، أي حَرَّكَ الوعاء بعنف ليكتنز ويمتلئَ بالحَب وغيره، كما في قول لَبيد:

فدعدعها سُرَّة الرّكاء، كما دعدَعَ ساقي الأعاجم الغُرَبا

والدَّعْدعة: أنْ يُقال للرجل إذا عَثَرَ: دَعْ دَعْ أي قُمْ، والدعْدَعَه: عَدْوٌ في بُطْءٍ والتواء والدَعْدَاعُ: الرجُلُ القصير، قال حسّان بن ثابت:

أسْعى على كلِّ قَوْمٍ كان سَعْيُهُمُ وَسْطَ العشيرة سَعْياً غيرَ دَعْدَاعِ

- دِع: من خلال توجّه الدّال بحركة الكسرة الزّمانيّة، جعلت حركة الاندفاع مرتبطة ملازمةً بموضوع مُعاين. الدِعة: الرَّغد في العيش. وفي قول إبراهيم الحضرمي[1]:

ولا تكن راكناً يوماً إلى دِعَةٍ فيها، ودَعها وكن منها على حَذَرِ

- دُع: هنا حركة الضمّة حدّدت التوجّه إلى حيّز مكاني مُعاين قصداً، الدُعاء: طلب المغفرة، ودُعاء العاثر بالنّهوض. وهو أيضاً المسافة بين النّخل، وقال طَرَفة[1]:

---

(١) إبراهيم الحضرمي: إبراهيم بن قيس بن سليمان الهمداني الحضرمي، من أئمة الإباضية، (؟-٤٧٥هـ-؟-١٠٨٢م).

وعذاريكم مُقلّصةٌ   في دُعاع النّخل تصطرِمُه

د-ل: دال الاندفاع (دالٌ) بتدبير مقصود إلى جهة محدّدة وإلى أبعد مدى. حركة اللّام تقوم بتوصيل التلاحم لمَا يمكن أن يكوّن حركةً واحدةً. الحركة على خلاف (دع)، مُنسجمة مشكّلة توجّهاً مشتركاً. في المعاجم، دلّ يدل دَلالةً، على الطّريق: سدّده إليه، وعلم بوصفه، أو تمام وضعه؛ والدّليل: الموجّه إلى المعلومة، والدّالَّة: من يدل عنده منزلة. والدّل: كالهدي والسّكينة والوقار، وحسن الشّمائل، ومنها الدّلال والتدلّل، وفي التّنزيل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ الصف١٠، وقال جميل بُثينة[٢]:

لا حُسنها حُسنٌ، ولا كَدلالِها   دَلٌ، ولا كَوَقارِها توقيرُ

وقال الهُبل[٣]:

فما خدعتني رِقّةٌ من كلامها   ولا دَلَّ قلبي نحوَها مَلَقُ الدَّلِّ

وقال المُتنبّي:

وفي اليمين على ما أنت واعدُهُ   ما دلَّ أنّك في الميعادِ مُتَّهَمُ

وابن عبّاد[٤]:

ولا تملّكني دَلٌ ولا خَفرٌ   ولا سَبى خَلَدي غُنجٌ ولا حَوَرُ

---

(١) طَرَفة ابن العبد: طَرَفة بن العبد بن سفيان بن سعد من بكر بن وائل، من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية وأحد أصحاب المعلّقات، ولد في بادية البحرين وأمر بقتله عمرو بن هند لأنه هجاه. (٨٦-٦٠ق هـ، ٥٣٩-٥٦٤م).

() جميل بُثينة: جميل بن عبد الله بن معمر العذري القضاعي، أبو عمرو، شاعر غزل افتتن ببثينة من فتيات قومه، كانت منازلهم بوادي القرى قرب المدينة، فرحلوا إلى جنوب بلاد الشام، فقصد جميل مصر، زمن عبد العزيز بن مروان، حيث مات، (٩-٨٢هـ،٩-٧٠١م).

(٣) الهُبل: حسن بن علي بن جابر الهبل اليمني، شاعر زيدي عنيف، يسمّى أمير شعراء اليمن. (١٠٤٨-١٠٧٩هـ، ١٦٣٨-١٦٦٨م).

(٤) المعتمد بن عبّاد: محمد بن عباد بن محمد بن اسماعيل اللخمي ابو القاسم المعتمد على الله، صاحب إشبيلية وقرطبة، اتسع سلطانه معظم الأندلس كان شاعرا وكاتبا، شهد له بالشجاعة في معاركة مع الفونس، وقامت في وجهه فتن كان أخرها بقيادة سير بن ابي بكر الأندلسي، فاعتقل وسجن في أغمات حيث مات بعد أن قتل ولديه، (٤٣١-٤٨٨هـ، ١٠٤٠-١٠٩٥م).

عَكسُ ترتيب التسلسلات:

إذا عكسنا تسلسل (د-ع) إلى (ع-د) صارت حركة الدّال مُنطلقة بتوجّيهات من مُعاينة العين للمُبهم وتوضيحه، تأتي بمعنى: أحصى. يفيد التّسلسل معنى التّجاوز أو يفيد الاستثناء إذا أُدخل الألف في ءَاخره نقول: (عَدَا ذلك)، لأنّ الأصل معناه التّجاوز. يُقال: عَدَا عليهم؛ أي تجاوز حدّهم وحده، ومنه العدو والعدوان، كلّها على هذا الأصل.

وإن عكسنا تسلسل (د-ل) إلى (ل-د): لاحقت لام التّلاحم في (لد) دال الاندفاع، فالحركة المتألّفة الآن هي من النّوع السّلطويّ لإلحاح التواصل المندفع. وهي حركة عمياء تريد تحقيق غاية مُعيّنة هي هدف التلاحم، وهنا لم يطرأ أيّ تعديل أو تطوير أو تمحيص للحركة بأيّ حرف ءَاخر. في المعاجم: لَدَه عن الأمر: حبسه عنه. فهو مَلدود، والمَلدود: المقروص والملسوع من مصدر مَجهول، ولدَّ فلاناً: خاصمه فغلَبه. لدَّ لَدَداً: اشتدت خصومته فهو ألَدُّ وهي لدّاء والجمع (لُدّ). وهو الّذي تشتدّ خصومته بعناد مع قسوةٍ وبلا برهان. وحركة معارج الحروف إنّما تُعيّن هذا المعنى بالذّات لا معنى الخصومة بمعناها العام؛ ويؤيده التّنزيل: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْماً لُّدّاً﴾ مريم٩٧. قال لَبيد:

يذكّرني بأربدَ كلُّ خصمٍ ... ألَدَّ تخالُ خُطّتَهُ ضِرارا

لا ننسى بأنّ حرف الدّال سبق حرف اللّام في ترتيب نشأة الحروف، فـ(د-ل) توجّهها إيجابي بينما (ل-د) المُعطى سلبيّ مُعاكس لتناغم الوجود.

مُعاينة توجّه معنى ودلالة حركة الدّال إذا أضفنا حرفاً بادئاً على تسلسل (د-ع):

ب-د-ع: الباء انبثاق الحركة من مركزها بعيداً عنه، والدّال اندفاع مقصود، والعين اتضاح معالمها؛ الحركة منفتحة قصداً في اندفاعٍ واضح. وفي المعاجم، البَدْعُ: إحداثُ شيءٍ لم يكن له من قبلُ خلقٌ ولا ذكرٌ ولا معرفةٌ، والإبداع والابتداع: إيجاد شيء غير مسبوق؛ وفيه معنى الانطلاق. كما في التنزيل: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ البقرة١١٧.

بديعُ السَّموات والأرض ابتدعهما ولم يكونا قبل ذلك شيئاً يتوهّمهما متوهِّم. والبدْعُ: الشَّيء الّذي يكون أوّلاً في كل أمر، كما في التّنزيل: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مِّنْ الرُسُلِ..﴾ الأحقاف٩، أيْ: لَستُ بأَوّل مُرْسَل، قال ابن الخيّاط[1]:

وَلَيْسَ بِبَدْعٍ مِنْكَ حدُ صَرِيمَةٍ   ثَنَتْ نُوَبَ الأيّامِ مَفْلُولَةَ الحَدّ

وفي قول الحيص بيص[2]:

على ثقَة أنّي المشار وأنّني   بديعُ المعاني الرَّائقاتِ غريبُها

قال كشاجم[3]:

نتيجةُ العلم والتَّفكير صوَّره   يا حبّذا بدْعُ الأفكار في الصُوَر

والبدْعَةُ: ما استحدثت بعد رسول الله من أهواء وأعمالٍ ويُجْمَع على البدَع، وأُبْدِعَ البعيرُ فهو مُبْدَعٌ وهو من داء ونحوه، ويُقَالُ هو داءٌ بعينه. وأُبْدِعَت الإبلُ إذا تُركت في الطريق من الهُزال، وأُبْدِعَ بالرّجلِ إذا حَسرَ عليه ظَهْرُهُ.

خ-د-ع: ماذا وراء الإخماد المُندفع لتكلّف العين بمعاينة ما تسعى إليه حركته؟ أوضحت عين المعاينة أنّ مُبهم القصد وهو خلاف ما يبطن، ذلك أنّ الإخماد المُندفع لا يبرّره إلّا الخشية والحذر من مَغبَّة انفعالٍ أو تأثرٍ مقابل. وقيل في معجم مقاييس اللّغة: الخاء والدّال والعين أصلٌ واحد. قال الخليل. الإخداع إخفاءُ الشَّيء. وبذلك سُمِّيت الخزانة المخْدع. وعلى هذا الذي ذكر الخليلُ يجري البابُ. فمنه خَدَعْتُ الرَّجُلَ خَتَلْتُهُ. ومنه: «الحرب خُدْعَةٌ» و«خُدَعَةٌ». ويقال خَدَع الرِّيقُ في الفم، وذلك أنَّه يَخْفَى في الحَلْق وَيغيب، الخداع في المعاجم أيضاً: إظهار خلاف ما نبطن، وكذلك خداع البصائر، والمخدع: وهو بيت صغير داخل البيت الكبير، ويكنى به عرش أو سرير مُحاط ومُغطّى

---

(١) إبن الخياط: أحمد بن محمد بن يحيى التغلبي من أهل دمشق، (٤٥٠-٥١٧هـ، ١٠٥٨-١١٢٣م).

(٢) الحيص بيص: سعد بن محمد بن سعد بن الصيفي التميمي، أبو الفوارس، من أهل بغداد، كان يلبس زي أمراء البادية ويتقلد سيفا ولا ينطق إلّا بالفصحى، (٤٩٢-٥٧٤هـ،١٠٩٨-١١٧٨م).

(٣) كشاجم: محمود بن الحسين بن السندي، من أهل الرملة بفلسطين، فارسي الأصل، تنقل بن القدس وحلب وبغداد، واستقر بحلب عند أبي الهيجا ثم سيف الدولة، وكشاجم هي مما اتقنه: كاف (كتابة، شين (شعر)، ألف (إنشاء)، جيم (جدل)، ميم (منطق). (٩-٣٦٠هـ، ٩-٩٧٠م).

بستائر، فيه يتخادع الزّوجان، وفي التّنزيل: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ..﴾ النساء١٤٢. قال ابن المُعتّز[1]:

يخفي مكيدَتَهُ ويحسبُ رأيَهُ وهو الّذي خَدَعَ الهوى مَخدوعا

ر-د-ع: مُتابعة عين المعاينة لحركة التكرار المُندفعة، ليست مُجرّد كشف داخليّ عن مُبهم، وإنّما عن اندفاع في المجابهة. في معجم مقاييس اللّغة: تسلسل الرّاء والدّال والعين أصلٌ واحدٌ يدلُ على مَنْع وصَرْع. يقال ردَعْتُه عن هذا الأمر فارتدَع. ويقال للصَّريع: الرَّديع. فالمرتدع المتلطّخ؛ ويقال إنّه من الرَّدْع، والرَّدْع: الدّم. قال بعضُ أهل اللُغة. ومنه يقال للقتيل: «رَكِبَ رَدْعَه». إذا خَرَّ لِوَجهه. ومن الباب الرُدَاع وهو وجع الجسم أجْمَع، وهذا صَحيحٌ لأنّ السّقيم صريع. قال قيس بن ذريح[2]:

فواحَزَني وعاوَدَني ردَاعي وكان فِراقُ لُبْنَى كالخِدَاع

والرّدع في المعاجم: المنع والكفّ عن عملٍ أو أذى، وقيل: لطخه، وقيل؛ أن تردع الثوب بالطيب والزّعفران؛ هنا مجابهة رائحة زكيّة برائحة محتملة غير مقبولة، وقيل الرّدع: العنق، وقيل ما مسَّ الأرض من الصّريع حين يهوي إليها، فهو ردع؛ أي يركب ظلّه، وقيل الرّدع: النّكس، قال البُحتري:

كالكاعبِ الرّودِ يخفى في ترائبها ردعُ العَبيرِ ويبدو في تراقيها

وقال ابن عبدون[3]:

أو دفعِ كارِثَةٍ أو ردعِ آزِفةٍ أو قمعِ حادثةٍ تعيا على القُدَرِ

إذا أدخلنا حرفاً متوسّطاً على تسلسل (د-ع):

---

(١) ابن المعتز: عبد الله بن محمد بن المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرّشيد العباسي، شاعر مبدع وخليفة يوم وليلة، وثب عليه غلمان المقتدر فخنقوه، (٢٤٧-٢٩٦هـ، ٨٦١-٩٠٨م).

(٢) قيس بن ذريح: هو قيس بن ذريح بن سنة بن حذافة الكناني، اشتهر بحب لُبنى بنت الحباب الكعبية، (؟-٦٨هـ، ؟-٦٨٧م)

(٣) ابن عبدون: عبد المجيد بن عبد الله بن عبدون الفهري اليابارتي، ذو الوزارتين، أديب الأندلس في عصره، خدم المرابطين بعد انتهاء دولة بني الأفطس، (٤٤٠- ٥٢٩هـ، ١٠٤٨-١١٣٥م).

د-ر-ع: خروج عين المعاينة من حركة الاندفاع بالدّال والمتكرّرة بالرّاء، لكشف المُبهم والمخبوء المعترض والمستبطن أساساً، من خلال قصد ودلالة الدّال وتكرار المحاولة، أوضح مدى المجابهة. في معجم مقاييس اللّغة: تسلسل الدّال والرّاء والعين أصلٌ واحد، وهو شيءٌ من اللّباس ثمّ يُحمَل عليه تشبيهاً. فالدِّرع درْعُ الحديد، والجمع دُروع وأدراع. ودِرع المرأة: قميصُها. وهذا هو الأصل. ثُمَّ يقال: شاةٌ دَرْعاء، وهي الّتي اسوَدَّ رأسُها وابيضَّ سائرُها، وهو القياس؛ لأنَّ بياضَ سائر بدنها كدرعٍ لها قد لبِسَتْهُ. ومنه الليالي الدُّرْع، وهي ثلاثٌ تسودّ أوائلُها ويبيضُ سائرُها، شُبِّهت بالشّاة الدَّرْعاء. فهذا مشبَّهٌ بمشبَّهٍ بغيره. وفي المعاجم أيضاً: اندرع: اندفع. وليل أدرع: انبلج فيه الصبح، وعشب درع: غض، وأدرع الماء: أكل كلّ شيء قُرُب منه. قال صريع الغواني[1]:

تراه في الأمْن في دِرْعٍ مُضَاعَفةٍ لا يأمَنُ الدّهْرَ أنْ يُدْعَى على عَجَلِ

وقال المُتَنبّي:

لَقوهُ حاسراً في درعِ ضَربٍ دقيقِ النَّسجِ مُلتهبِ الحواشي

أرى أنّ المعاينة هي صعوبة الاختراق من منظور خارجيّ؛ فالمقاربة بين المعنيين في المثل القائل «خرج فارع دارع»، مُبهمة؛ وهي في وصف المستغيث: يفيد أنّ المستغيث لا يغطّي رأسه ولا هو محصّن، بينما كلمة «دارع» تدل على من يلبس الدّرع.

د-ف-ع: عين المُعاينة لاحقت حركة الاندفاع المتفرّق، لمعاينة اتجاه الحركة وكشف غوامضها، وحيث أنّ للدّال دلالة في اندفاعها، فصارت المُعاينة هي من متمّمات اسم الدّال؛ وهو الدّفع لغرض التفريق. الحركة هنا قاسية، أشبه بتدافع النّاس لمعرفة ما هو غريب أو مخبوء. في المعاجم: دفعت إلى فلان شيئاً ودفعت الرّجل فاندفع. واندفع الفرس؛ أي أسرع في سيره، واندفعوا في الحديث. والمدافعة: المماطلة. ودافع عنه ودفع بمعنى؛ تقول منه: دافع اللّه عنك السّوء دفاعاً. واستدفعتُ اللّه الأسواء؛ أي طلبتُ منه أنْ يدفعها عنّي.

---

(١) صريع الغواني: مسلم بن الوليد الأنصاري بالولاء، من أهل الكوفة، مدح الرشيد، والبرامكة، أكثر من البديع في شعره، (؟-٢٠٨هـ، ؟-٨٢٣م).

وتدافع القوم؛ أي دفع بعضهم بعضاً. والدُفعة من المطر وغيره بالضّم مثل الدّفقة: والدَّفعة بالفتح: المرّة الواحدة. المُدَفَّعُ بالتشديد: الفَقيرُ والذَّليلُ لأنَّ كُلاً يَدْفَعُهُ عَنْ نَفْسه. المَدْفع؛ الذي يطلق القذائف، هو بدلالة هذا الاستخدام. ودفع: أزالَ بقوّة، وفي التّنزيل: ﴿..وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ..﴾ البقرة٢٥١. قال ابن زمرّك[1]:

فما لجأتُ له في دفعِ مُعضِلَةٍ إلّا وجدتُ جنابَ اللُطفِ منفَسِحا

قال عَنترة:

أُدافِعُ الحادِثاتِ فيكِ ولا أُطيقُ دَفعَ القضاءِ والقدَرِ

د-ل-ع: حركة الدّال تعرف وجهتها وتدلّ عليها. اندفاعها يستعين باللّام، ثمَّ بمتابعة العين إنّما للتدقيق وتوضيح المُبهم. الدّليع في المعاجم: الطّريق الواسع الّذي لا هبوط ولا صعود فيه؛ كما لو أنّ تسوية الطّريق تنسجها وتلحم أجزاءَها باللّام، وتقوم بتوسعته وتوضيحه بالعين؛ فكأنّ المُضمر احتمال ملاقاة الضّيق وعدم الوضوح. والأدلع: الفرس الّذي يدلع لسانه في العدو. وفيه وجهة نظر؛ إذْ يمكن أنْ يكون الواسع الجري الّذي لا يتوقّف. دلعَ لسانه: خرج واسترخى وسقط على العنفقة من ظمأ أو تعب؛ كلسان الكلب؛ إذ ليس هو مُجرّد إخراج، بل إخراجٌ مُستمرٌ، ذلك أنّ اللّسان مخبوء، ومن هنا كانت ضرورة ملازمة حركة العين لكشف المخبوء، وهذا ما أوجب أنْ يكون اندلاعه مستمراً. وفي قول المعرّي:

تَهَزَّمَ الرَّعدُ حتّى خِلْتُهُ أسَداً أمامَهُ من بُروقٍ ألسُنٌ دُلَعُ

- إدخال حرف لاحق على تسلسل (د-ع)

د-ع-م: الحركة هنا اندفاع لِمُعاينة واتّضاح المُبهم في تكامل يُعزّز ما ينقص قصد الدّال في التّحقيق والمعاينة. فالتوجّه يتضمّن المؤازرة خشية السّقوط. قيل في مقاييس اللّغة: تسلسل الدّال والعين والميم أصلٌ واحد، وهو شيءٌ يكون قِياماً

---

(١) ابن زمرّك: محمدة بن يوسف بن محمد الصريحي، ابو عبد الله، وزير من كبار الشعراء والكتاب في الأندلس، كان قد سعى في استاذه لسان الدين بن الخطيب فلقي جزاءه، فقتل خنقا.(٧٣٣-٧٩٥هـ، ١٣٣٣-١٣٩٣م).

لشيء ومساكاً. تقول: دَعَمْتُ الشّيءَ أدعمُهُ دَعْماً، وهو مدعومٌ. والدّعامتان: خشبَتَا البَكَرة. ودعامةُ القوم: سيّدهم. ويقال لا دَعْم بِفلانٍ؛ أي لا قُوَّةَ له ولا سند. قال ابن أبي حصينة[1]:

رماهُمُ بِلُيُوثٍ لو رمى بهمُ دعائم الطَّود لم تثبت لها دَعَمُ

د-ع-ك: تكتّلُ المتآلفات بالكاف تابع حركة الاندفاع المعاين بغرض تمييز المتآلفات. في مقاييس اللّغة: تسلسل الدّال والعين والكاف أصلٌ واحد يدلُ على تمريس الشيء. يقال دَعَكَ الجلْد وغيرَه، إذا دَلَكَه. وتداعَكَ الرَّجُلان في الحرب. وقيل مُعجمياً: ذلّل ودرَّب، وهو التمرّس في الحرب، وأرض مدعوكة: كثر فيها النّاس. الاستخدامات تظهر تأكيد معاينة تآلف المجموعات من خلال التجارب والحروب. قال عبد الرّحمن بن حسّان الأنصاري[2]:

قُلْ للّذي كاد لَوْلا خَطُّ لحيَتِه يَكُونُ أُنْثَى عَلَيْها الدُرُّ والمَسَكُ
هَلْ أَنْتَ إِلّا فَتَاةُ الحَيِّ إِنْ أمِنُوا يَوْماً، وأَنْتَ إذا ما حارَبُوا دُعَكُ

قال عبيد الله بن مسعود الهذلي[3]:

وَطاوَعتما بي داعِكاً ذا مَعاكَةٍ لَعَمري لقد أزرى وما مِثْلُه يُزري

د-ع-س: الحركة هنا اندفاع لمعاينة المُبهم بهدف الهيمنة وبسط النّفوذ بالسّين؛ أي انسلت السّين مُكلّفة بالمحافظة على مظهر استمرار الهيمنة بالدّفع؛ في معجم مقاييس اللّغة: تسلسل الدّال والعين والسّين أُصَيلٌ. وهو يدلُ على دفْع وتأثير. فالمداعَسَة: المطاعَنَة؛ لأنّ الطّاعن يدفَع المطعونَ. ورُمْحٌ مِدْعَسٌ ورماحٌ مداعسُ. والدَّعْس: النّكاح؛ وهذا تشبيهٌ. والدَّعْس: الأثر، وهو ذاك؛ لأنَّ المؤثّر يدفع ذلك الشيءَ حين يؤثّر فيه. وفي المعاجم: هي بمعنى وطأ

---

(١) ابن أبي حصينة: أبو الفتح الشامي، الحسن بن عبد الله بن أحمد بن عبد الجبار بن أبي حصينة، ولد ونشأ في معرّة النعمان، انقطع إل دولة بني مرداس في سوريت، وأوفد إلى المستنصر في مصر، له ديوان شعر بمقدمة من إملاء المعرّي، (٣٨٨-٤٥٧ هـ، ٩٩٨-١٠٦٤م).

(٢) عبد الرّحمن بن حسّان: عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري الخزرجي، ابن الصحابي حسان بن ثابت، من أهل المدينة، (٦-١٠٤هـ، ٦٢٧-٧٢٢م).

(٣) عبيد مسعود الهذلي: عبيد الله بن عتبه بن مسعود الهذلي، (؟-٩٨هـ، ؟-٧١٦م).

الأرض بشدّة، وهو أيضاً الحشو في الوعاء، والطّعن بالرّمح. وفي قول عمرو بن معدي الزّبيدي[1]:

ديارٌ أقفرت من أمِّ سَلمى   بها دَعسُ المُعَزَّبُ والمراحُ

استخلاص النّتيجة بمعيار العقل

نستدل من مُجمَل ما سبق، استناداً لتوضيح عالم سُبيط النّيلي[2]: «*أنّ الدّال حركةٌ واعيةٌ لأهدافها، غير عشوائية، ولا يمكن أن تكون عشوائيةً مُطلقاً؛ فهي حركة دالّة مندفعة وبتدبير مقصود إلى أبعد مدى؛ وحركة عنيفةً وسريعةً جداً. لأنّه ليس ثمّة من شيءٍ يصدّها عن الهدف الواضح والمحدّد. فزمان التّسلسل الذي تؤالفه وتتالف منه هو معدل الزّمان المتحصّل من التسلسل المقترن بها. ولكن يتوجّب علينا التّفريق بين الدّال كحركةٍ مفردة، وبينها عند مجيئها في التّسلسلات. إذا جاءت أوّلاً فالحركة العامّة تعتمد أيضاً على ما يلحق بها من أصوات، أمّا إذا جاءت متأخّرة؛ أي في نهاية اللّفظ، حيث الدّال تابع، فهي تسرع بالحركة، مثال التسلسلات: (ب-د)، (ر-د)، (ن-د)، (هـ-د).. إلخ.*» نستدل منها على توجّه دلالة اندفاع الدّال وفق محتوى الحرف السّابق، كما يلي تباعاً: فالانبثاق، في (بد) مُندفع الدّلالة بلا توقّف، وفي (رد)، الاندفاع مُكرّر صدى الرّاء، وفي (ند)، الاندفاع من الإنشاء لمقابلة ما يعترضه، وفي (هد)، الاندفاع من هاء المناولة لإيصال المتردّم أو المعلومات. الدّال ثبّتت التوجّه الحركي. الاندفاع بالدّال هو إلى أبعد مدى في توجّه وقصد التحامي لتأسيس حركة واحدة.

حرف الدّال عند ابن عربي[3] «*من عالم الملك والجبروت، له غايته الطّريق*»:

الدّال من عالَم الكون الذي انتقلا   عن الكيان فلا عينٌ له ولا أثرُ
عَزَّتْ حقائقه عن كل ذي بَصَر   سبحانه جَلّ أن يحظَى به بَشَرُ

---

(١) عمرو بن معد كرب الزّبيدي: عمرو بن معدي كرب بن ربيعة بن عبد الله الزبيدي، فارس اليمن، وفد على النبي وأسلم مع قومه، ثم ارتد بعد وفاة النبي، وتراجع عن ارتداده فشارك في اليرموك والقادسية، (٧٥ق هـ-٢١هـ، ٥٤٧-٦٤٢م).

(٢) **اللّغة الموحّدة**، م. س. ص. ١٨١-١٨٥. بتصرف.

(٣) **الفتوحات المكيّة**، م. س. السّفر الأوّل، ص. ٣١٠.

فيه الدوام فجودُ الحق مَنْزِلُه   فيه المثاني ففيه الآيُ والسّوَرُ

هذا الوصف مرمّز تأويلي، وما نبحث عنه هو بيان الدّلالة المباشرة للحرف.

يدل عند الشّيخ العلايلي: «***على التصلُّب وعلى التغيُّر المُتوزّع***»[1]. الوصف مبهم بالنسبة إلينا، فالتصلّب متناقض مع التغيير والتوزّع. وعند حسن عبّاس: «***صوت الدّال أصمّ أعمى مُغلق على نفسه كالهرم، لا يوحي إلّا بالأحاسيس اللّمسيّة وبخاصّة ما يدل على الصّلابة والقسوة وكأنّه من حجر الصّوان. فليس في صوت (الدّال) أيّ إيحاء بإحساس ذوقي أو شمّي أو بصري أو سمعي أو شعوري، ليكون بذلك أصلح الحروف للتعبير عن معاني الشّدّة والفعاليّة الماديتين.***»[2]. ليبدّ كما قال: «***حرف (الدّال) في هذا المضمار حرفَ الغين المختص أصلاً بمعاني الغيبوبة والغؤور والظّلام، ذلك أنّ انغلاق صوت (الدّال) على نفسه قد جعله في عزلة عمياء صمّاء عن أي إحساس آخر أو مشاعر إنسانية.***»[3] هذا التساؤل مُحق، لا سيّما أنّ حرف الغين هو للتمويه والتحريف كما أوضحنا، بينما حرف الدّال فيه اندفاع دلالي يؤكّده نسق الحرف التابع له فإن كان من حروف الدّمج والإخماد والتغييب والتمويه فمسعاه في استخدامها هو التدليل عليها. ويدل عند إياد الحصني: «***على معنى الحد والحدود وتحديد الشيء المادّي والحسّي.***»[4] وعند محمد عقل على: «***الباب (دلات) وأقدم صورة له باب الخيمة، وكذلك رسم في اليمنية الجنوبية هكذا: ◁.***»[5] في الخط الأفقي بقيت الدُلادة كما هي.

تبين لنا أنّ ما نسبته ٥٠٪ تقريباً من الاحتمالات للثلاثيّ التي يمكن أنْ تبدأ بحرف الدّال، هي المُستخدمة. أمّا النسبة الباقية فهي لم تستخدم في اللّسان العربيّ، ولا يمكن أن تستخدم لتعارض المعنى بين مكوّنات حروفها، وأنّ الحروف الّتي لا تلحق بحركة الدّال هي: التّاء، والذّال، والضّاد، والطاء، ففي تسلسل (د–ت)

---

(١) العلايلي: **مُقدّمة لدرس لُغة العرب، وكيف نصنع المعجم الجديد**، م. س. ص. ٣١٣.

(٢) عبّاس، حسن: **خصائص الحروف العربية ومعانيها**، م. س. ص. ٦٧، بتصرف.

(٣) عبّاس، حسن: **خصائص الحروف العربية ومعانيها**، م. س. ص. ٦٨، بتصرف.

(٤) الحصني، إياد: **معاني الأحرف العربيّة**، م. س. ص. ٦٣.

(٥) عقل، محمد، **ابجديّة القرءان من مملكة سبأ**، م. س. ص. ٤٦.

مثلا، اندفاع الدّال المقصود مُسبقاً لا يستدعي اجتذاب جهد خارجي لمواكبته. والذّال كذلك؛ فسرعة الاندفاع لا تسمح لبروز حسّي من حركتها؛ كما أنّ مقاربة المخرج لكليهما لا تتيح مجالاً للانتقال والحمل بأيٍ من حركات العروج. أمّا الضّاد؛ فهي متعارضة ومعارضة أساساً للاندفاع، فلا تتيح للدّال المرور، وهي كما سنرى توجّهها الحركي في معالجة حرف الضّاد، تحيط بالحركة وتوجيهها بوجهة محدّدة، مع تقييد وتكثيف وبروز لإظهار الالتزام بعدم الانحراف أو الميل، وهذا ما لا تقبله الدّال؛ إذْ لها قصدها ودلالتها، والطاء المتضخمة في فراغ تأبى الاندفاع، وليس من مسعاها الانتقال أو الخضوع لمطلب الدّال.

حرف الهاء

هاء+ ألف المد+ همزة

المُسمّى الأبجديّ المتعارف عليه للحرف: هـ-ا-ء

مخرج حرف الهاء: أدنى الحَلق وفْقَ ترتيب المدارج. أو «أقصى الحلق» إنْ نظرنا من الخارج إلى الدّاخل.

ترتيب نشأة الحرف: الهاء هو الحرف الخامس في ترتيب الأبجديّة العربيّة، والسّادس والعشرون في الترتيب الهجائيّ العربيّ، ويساوي عدديّاً الرّقم (٥) في حساب الجُمَّل. وفي الترتيب الصّوتيّ القديم، يأتي في الترتيب الثالث عند الخليل بن أحمد، والسّابع والعشرين عند ابن جنِّي، وفي الترتيب الصّوتي الحديث، يأتي في الترتيب الثامن والعشرين عند أغلب علماء الصّوتيات المعاصرين.

سبب حدوثه صوت الحرف: يُنطَق باتخاذ الفم الوضع الصالح لنُطقِ حركةٍ، كالفتحة مثلاً، ويمر الهواء خلال الانفراج الواسع النّاتج عن تباعد الوترين الصّوتيين بالحنجرة، مُحْدِثاً صوتاً احتكاكياً، يرفع الحنك اللّين فلا يمر الهواء من الأنف، ولا تتذبذب الأوتار الصّوتيّة. ورد عند ابن سينا: ***«وأمّا الهاء فإنّها تحدث من حفزٍ قويٍ من الحجاب وعضل الصّدر في الكم والكيف مثل الهمزة، إلّا أنّ الحبس لا يكون حبساً تامّاً بل تفعله حافّات المخرج، وتكون السّبيل مفتوحة، والاندفاع يماس حافاته بالسّواء غير مائل إلّا إلى***

الوسط»[1]. وهو أن يُدفع الهواء من الرّئتين دفعا قويّاً، فيدعك جوانب أقصى الحلق.

الصّفات الصّوتيّة: الهاء من الحروف القمريّة؛ تظهر معه لام (أل) التعريف نُطقاً وكتابةً، مثل: ألهرم.

الصّفات الكتابيّة: حرف الهاء من الحروف المهملة النّقط. ويكتب في خط النّسخ مُفرداً هكذا: ه كما في: يتوه. ومتصلاً بما قبله هكذا: ـه، كما في: منه، ومتصلاً بما بعده هكذا: هـ، كما في: هذا، ومتصلاً بما قبله وما بعده هكذا: ـهـ كما في: لها.

دلالة الاسم من خلال حروفه

- هاء: حركة هواء الرّئة، تحمل ولا تُرى.
- ألف المد: التّأليف من خلال تعامد حركته بين الزّمان والمكان لإنتاج وجود.
- همزة: تهمز الحركة ذهاباً وإياباً، مسترجعة النَّفَس.

ما نستدل به من تناقض أو تآلف في ترتيب حروف مُسمّى الهاء، هو أنّ (هـ-ا-ء) تفيد معنى خذ، وهي مناولة، بينما (ء-ا-هـ) تفيد التحسّر، وهو أنْ لا ننال ما نأمل.

تسلسل هاء: يفيد الحركة الخفيفة، والّتي تحيط بالمحمول وتحتضنه، في مسعى لإيصاله إلى بغيته.

استطلاع اقترانات حرف الهاء بصفته متبوعاً

هـ-د: هنا حمل حرف الهاء حركة دال الاندفاع بتدبير مقصود إلى جهة مُحدّدة وإلى أبعد مدى، فهي تسارعها لتحقيق مقصدها. هل هناك أوضح من تلاقي الحركتين في هذا التسلسل؟ ففي معجم مقاييس اللّغة: تسلسل الهاء والدّال

(١) إبن سينا، م. س. ص٧٢.

أصلٌ صحيح يدلُ على كَسْر وهَضْم وهدم. وهَدَدْتُهُ هَداً: هَدَمتُه. ويرجع الباب كلُه إلى هذا القياس. فالهَدُ من الرِّجال: الضَّعيف والجبانُ، وقيل: الجواد الكريم كأنَّه هُدٌ. فإن كان كذا فالجبان هدٌ، أي مهدود، كذبْحٍ للمذبوح. والهَدّ: الكريم الهادُ لماله. ومما يجري مجرى الأصوات الهَدَّة: صوتُ وقع الحائط. والهُدْهُد معروف. ففي الهَد والهَدم، نقض البناء. وقال العبّاس بن عبد المطّلب:

ليسوا بهَدّينَ في الحروب إذا   تُعقدُ فوق الحَراقفِ النُطُقُ

الهُدْبُ: شعر أشفار العينين. قال كُثَيِّر عَزَّة[1]:

فلو كان ما بي بالجبال لَهَدَّها،   وإن كان في الدُنيا شَديداً هُدودُها

قال الهُبل:

لا كُنتُ إن مَلكَ الغرامُ مَقادتي   أو هَدَّ رُكنَ سَكينتي وَوَقاري

هِد، الهد مُعجمياً: الرّجل الضّعيف، والهدء الخوف. حركة الهاء هنا زمانيّة غير معنية بالمكان لوجود الكسرة، لذلك فحركة الدّال هي للدّلالة، وكأنّها غير قادرة على الاندفاع الّتي هي ميّزتها وصفتها ومسمّاها.

هُد: هُدى: ضدّ الضّلال كما في المعاجم، وفي التّنزيل: ﴿..قُلْ إنَّ هُدَى اللّه هُوَ الْهُدَىَ.﴾ الأنعام٧١، حركة الهاء هنا مكانيّة التّوجّه، فالدّال مغلوبة على أمرها بملازمة الثّبات في الموقف والمكان.

هـ-م: الميم تكامل الحركة بإتمام ما ينقُصها، والهاء الّتي حمّلتها الرّسالة والمسؤوليّة لإيصال الحركة إلى نهايتها، ألقت بالمسؤوليّة والجهد لتعيين الهدف، وفي المعاجم: هَمَّ يَهمُ؛ إذا عزم، أو حدّث به نفسه، وفي التّنزيل: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ به وَهَمَّ بهَا ..﴾ يوسف٢٤. هنا الميم مشدّدة، ففيها توقّف ثمّ تجدّد متابعة التّكامل، ولكن دون إتمام، وفي قول الشّنفري[2]:

---

(١) كُثَيّر عزّة: هو بن عبد الرحمن بن الأسود بن مليح، اشتهر بحبه لعزّة بن جميل بن حفص (٤٠-١٠٥هـ، ٦٦٠-٧٢٣م).

(٢) الشّنفري: عمرو بن مالك الأزدي من قحطان، يماني من فحول الدرجة الثانية، من الصعاليكن كان عدّاء، صاحب لامية العرب، (؟-٧٠ق هـ ؟-٥٥٤م).

إذا هَمَّ لم يَحذَر من اللَّيل غُمَّة   تُهابُ، ولم تَصعُب عليه المَراكِبُ

وهمّه الحزن: أذابه، وهمت الشّحمة في النّار: أذابتها، والهمام: ما ذاب من البَرَد. والهمّة: الّتي يحيلها الإنسان في خلده. هَمَا وانْهَما: انقطع وبلى، الهمّ في المعاجم، أيضاً: ما حفظ في النّفس لأمر يفعله أو يخفيه. وفي هَمَا المطر: نزل؛ فحرف الألف قد أولج الحركة بابي الزّمان والمكان. وألهَمَ إلهاماً، وجّهه وجهة تنقذه أو تفيد مسعاه، والإلهامُ كما هو معروف حالة معرفيّة منقولة من خلال مرتقبات ومراقبات خارجيّة. الهُمام: المذاب من الثلج والشّحم. قال مجنون ليلى:

فيا حبَّذا إعراضُ ليلى وقولُها   هَمَمتَ بهجرٍ وهي بالهجر هَمَّت

والهمّة في المعاجم: القدرة والعزم. هنا الميم مُشدّدة للمفاعلة في التّكامل والإتمام، والهاء زمانيّة الحركة بالكسرة. وفي قول صريع الغواني:

ومن المروءة قانعٌ ذو همَّة   يسعى لها فإذا نبت لم يقنعِ
ما كنتُ إمَّعةً ولكن همّةٌ   تأبى الهوانَ وفُسحَةٌ في المَنجَعِ

حيث حرف الميم تبع الهاء في ترتيب نشأة الحروف، فالمعطى في (هـ-م) حملت الهاء العبء المعنويّ في توصيل الإتمام، وبالمقابلة مع تسلسل (هـ-د) إذ الدّال سبقت الهاء في الترتيب فتوجّه سلوك التسلسل تدميريّ.

إن أضفنا حرفاً بادئاً إلى تسلسل (هـ-د)، مثل:

ع-هـ-د: عين المُعاينة لكشف واتضاح المُبهم داخليّاً وخارجيّاً مع حركة الفتحة الزّمكانيّة، توجّه الهاء لتحمل وتنقل الأمر والوجهة باندفاع الدّال القصديّ وتسيّرها للالتزام بالبحث والمعاينة في محوري الزّمان والمكان. وفي معجم مقاييس اللّغة: تسلسل العين والهاء والدّال أصلٌ دالٌ على معنىً واحد، أصله الاحتفاظُ بالشَّيء وإحداثُ العهد به. فمن ذلك قولهم عَهد الرّجل يَعْهَدُ عَهْداً، وهو من الوصيّة. وإنّما سمِّيت بذلك لأنَّ العَهدَ مما ينبغي الاحتفاظُ به. ومنه اشتقاق العَهد الذي يُكتَب للوُلاة من الوصيّة، وجمعه عُهود. والعَهْد: المَوْثق. ومن الباب العَهْدُ الذي معناه الالتقاء والإلمام، يُقال: هو قريبُ العَهْد به، وذلك أنّ إلمامَهُ به احتفاظٌ به وإقبال. وفي التّنزيل: ﴿..وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ

الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً﴾ الإسراء٣٤، وأيضاً الوصيّة: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ يس٦٠، والوصية هنا بما لدى وعند بني ءَادم من إمكانيات كي لا يضيّعها. وفي قول زُهير[1]:

ولكلِّ عهدٍ مُخلَفٍ وأمانَةٍ   في النَّاسِ من قِبَلِ الإله رِعاءُ

م-هـ-د: ميم التكامل هي من حكم حركة الهاء كي لا تكون عشوائيّة، بل تتكامل بما ينقص وجهتها. كذلك إحكام حركة الدّال وفقاً لحاجة التّكامل وإتمام نواقصه. مهّدَ في المعاجم: وطّأ وسهّلَ، وهو إضمار الصعوبات الّتي تحتاج إلى تذليل. وفي معجم مقاييس اللّغة، تسلسل الميم والهاء والدّال كلمةٌ تدلُ على توطئةٍ وتسهيلٍ للشّيء. ومنه المَهْد. ومهَّدْتُ الأمرَ: وطّأته. وتمَهَّد: تَوطّأ والمِهاد: الوِطاء من كلِّ شيء. وامْتَهَدَ سَنَامُ البعير وغيره: ارتفع وتَسوّى وصار كالمِهاد. وجمع المِهاد مُهُدٌ. وفي التّنزيل: ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيداً﴾ المدثر١٤، والمَهْدُ: الفراش: ﴿..كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً﴾ مريم٢٩، قال أبو النَّجم العجلي[2]:

وقام جِنِّيُ السَّنام الأميَلِ   وامْتَهَدَ الغاربَ فِعْلَ الدُمَّلِ

وفي قول ابن عربي[3]:

شَهدتُ الّذي قدْ مَهّدَ الأرضَ لي فرشا   شهودَ إمامٍ حاكمٍ حكمَ العرشا

ج-هـ-د: في جَهَدَ مع حركة الفتحة الّتي هي زمكانيّة، الدّمج والجمع يسعى، عبر تحريك الهاء، لمُفاعَلَة اندفاع الدّال قصداً في البعدين الزّماني والمكاني. وفي تاج العروس من جواهر القاموس، الجَهد بالفتح: المَشقَّة، وقيل المُبالغةُ والغاية. وبالضّمّ: الوُسْعُ والطّاقَةُ، فجيم الدّمج والجمع في توجّهها بالضّمة

---

(١) زهير ابن أبي سلمى: هو زُهير بن ربيعة بن رياح المزني، من أهم الشعراء العرب على الإطلاق، له الحوليات وهو من أصحاب المعلّقات، كان أبوه وخاله وأبنيه كعب وبجير، وكذلك أختاه سلمى والخنساء، (؟-١٣هـ، ؟-٦٠٩م).

(٢) أبو النَّجم العجلي: الفضل بن قدامة العجلي، ابو النجم، من بني بكر بن وائل، من أكابر الرّجاز، حضر مجالس عبد الملك بن مروان وابنه هشام، (؟-١٣٠هـ، ؟-٧٤٧م).

(٣) ابن عربي: هو محمد بن علي بن محمد بن عربي، فيلسوف من أئمة المتكلمين له نحو أربعمائة كتاب منها الفتوحات المكيّة، ولد في الأندلس (٥٦٠هـ، ١١٦٤م)، وتوفي في دمشق (٦٤٠هـ، ١٢٤٢م).

المكانيّة، تحكم حركة الهاء لتعزيز الدّاخل وأنْ لا تُشتّت اندفاع الدّال ليحكم الدّمج قواها في الحيّز المكاني. وفي التّنزيل: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ..﴾ التّوبة٧٩. وقال المعرّي[1]:

وهو الزّمان قضى بغير تناصُف   بين الأنامِ وضاعَ جُهدُ الجاهد

وقيل: هما لغتان في الوُسْع والطّاقَة، فأمّا في المَشقّة والغاية فالفتحُ لا غَيرُ، وفي التّنزيل: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ..﴾ النور٥٣. وجَهَدَ، يَجْهَد جَهْداً: جَدَّ، كاجْتَهَدَ. قال الأعشى:

فجَالَتْ وَجَالَ لَهَا أَرْبَعٌ   جَهَدْنَ لها مَعَ إجْهَادهَا

والمجهود: المُشتَهَى من الطَّعَام واللَّبَن الّذي يُلَحُ في شُرْبِه. قال الشَّمَّاخ[2] يَصف إبلاً:

تُضْحي وقد ضَمِنَتْ ضَرّاتُهَا غُرَقاً   من ناصِعِ اللّون حُلْوِ الطَّعْمِ مَجهودِ

إذا أدخلنا حرفاً متوسّطاً على تسلسل (هـ-د)، كما في:

هـ-م-د: هنا دال الاندفاع تسعى بتدبير مقصود مُتجّهة لكي توصل حركة (هم) إلى مُبتغاها. المُضمر في هَمَدَ، أنّه وبسبب توثّبها المضطرب، تدخّلت الدّال فأسكنت حركتها كُلّيّاً، فحمل الهاء بحركة فتحتها الزّمكانيّة حركة ميم التّكامل عشوائيّاً، كمن ينتقل في المجهول، أو كمن يندب حظّه فلا مستقر ولا أمل في الحصول على متمّمات التّكامل. فقد استنفذت الهاء كُلّ طاقتها من خلال اندفاع الدّال بميم الإتمام إلى أقصى مدى. وهذا بدلالة (مد) الّتي حملت مطلب الهاء. في معجم مقاييس اللّغة، تسلسل الهاء والميم والدّال: أصلٌ يدلُ على خمود شيء. هَمَدت النّار: طَفِئَتْ البَتّة. وأرضٌ هامدَةٌ: لا نباتَ بها. ونباتٌ هامدٌ: يابسٌ. والإهمادُ: الإقامَةُ بالمكان والسّكن والسّكون. وهَمَدَ في المعاجم: سَكَنَ، والهُمود: موت الحياة. والهَمدَةُ: السَّكتة، وفي

---

(١) المعرّي: أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعرّي، شاعر وفيلسوف من مؤلفاته: **اللزوميات وسقط الزند**، (٣٦٣-٤٤٩هـ،٩٧٣-١٠٥٧م).

(٢) الشمّاخ المازني: الشمّاخ بن ضرار بن حرملة بن سنان المازني الذبياني، (؟-٢٢هـ، ؟-٦٤٢م).

التّنزيل: ﴿..وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ الحج٥، وفي قول يزيد بن الحكم الثقفي:

ويرى القُرونَ أمامَهُ　　　هَمَدوا كما هَمَدَ الهَشيمُ

وفي قول إبراهيم عبد القادر المازني[1]:

خَلَعَ الحِمامُ على الظَّلامِ سُكونَهُ　　　فكَأنَّما هَمَدَ الوجودُ كَلالا

هـ-ر-د: حركة تنقّل الهاء المُتكرّرة، كلّفت الدّال المُندفعة بمتابعة وبتدبيرٍ مقصودٍ إلى جهةٍ مُحدّدة وإلى أبعد مدى. الحركَةُ هنا قويّة بجدّيتها واندفاعها، تفصحُ عن حركة عشوائيّة مُتخبّطة. في معجم مقاييس اللّغة، الهاء والرّاء والدّال كلماتٌ تدلُ على معالجة شيءٍ بصبْغٍ أو أشبهَه. وثوبٌ مَهرودٌ: صُبِغَ أصْفَرَ. وهَرَّدْتُ الثّوبَ شققته. وهَرَدْت عرضَه: ثَلَبتُه. وهَرّدْتُ اللّحمَ: أنضجتُه تهريداً. وفي المعاجم، هَرَدَ: هَتَكَ ومزّق، الهَرد بالفتح: الاختلاط، وهو أيضاً الإرهاق والإفساد، في قولِ ساعدةَ بن العجلاَن يخاطبُ حصيباً[2]:

غداةَ شُواحِطٍ فنجوتَ شداً　　　وثوبُكَ في عماقيَةٍ هَريدُ

هـ-ج-د: هجد حركة الانتقال بالهاء استوعبت حركة الجيم دمجَ تنقلّها، لكي توصل وتواصل بعد ذلك بدال اندفاع إلى القصد، وفي معجم مقاييس اللّغة: الهاء والجيم والدّال أُصَيْلٌ يدلُ على ركودٍ في مكان. يقال: هَجَد، إذا نامَ هُجُوداً. والهاجد: النَّائم؛ وإن صلَّى ليلاً فهو متهجّد، كأنَّه بصلاته تركَ الهجودَ عنه. وهذا قياسٌ مستعمَل، كما يقال رجلٌ آثم؛ فإذا كَرِهَ الإثمَ وانتَفَى منه قيل مُتأثِّم[*]. والعرب تقول: أهْجَدَ البعيرُ: ألقَى جِرانَهُ بالأرض. اعتبرت المعاجم

---

(١) إبراهيم عبد القادر المازني: إبراهيم بن محمد بن عبد القادر المازني، من المنوفية بمصر، عمل بالتدريس والصحافة والترجمة، وهو من أعضاء المجمع اللغوي العربي، له: حصاد الهشيم، وقبض الريح، وغيرها من الترجمات والشعر، (١٣٠٨-١٣٦٨هـ، ١٨٩٠-١٩٤٩م).

(٢) ساعدة بن العجلان من بني هذيل، له شعر في ديوان الهذليين، (؟-؟). ويومُ شواحط: من أيام العرَب وشوّاحط: حصْنٌ بها مطلٌ على السحوَلُ. وشوّاحط – أيضاً – : جبلٌ قربَ السّوارقية كثيرُ النمورِ والأراوى، وعباقيةٍ بلَدٌ. وعباقيةُ: شجرةٌ، ويرْوى: «عماقيةً».

(*) وفق المعنى الحركي، ميم الإتمام تتابع بتاء الجهد لتفعيل حراك الإثم، وربّما وجهة نظر ابن فارس تحتاج إلى تدقيق.

كذلك أنّها من الأضداد، غير أنّه وفقاً للمعنى الحركي، تماثل استراحة المحارب أو المتعب، ذلك أنّ حركة الهاء الهوجاء هي من استدعى الجيم للدّمج والجمع، ومن طالبها بملاحقة الدّال للمتابعة بالقصد رغم الإرهاق، وأمّا في «تهجّد»، كما في التّنزيل: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ..﴾ الإسراء٧٩. فهي تبدأ باستجلاب تاء الجهد، فلا أحسب أنّ الدّعوة لاستجلاب الجهد يكون للنّوم وإنّما للمرهق، وفي قول لَبيد:

قُلتُ: هَجِدنا فقد طال السُرى وقَدَرنا إن خَنا الدَّهرُ غَفَلْ

إذا أدخلنا حرفاً لاحقاً على تسلسل (هـ-د)، مثل:

هـ-د-ر: هنا حركة الهاء الّتي تحمل وتنقل دال الاندفاع على هواها، تُكرّر الرّاء هذه الحركة العشواء. ويلاحظ أنّ حركة حرف الهاء تُحدّد توجّه الاندفاع وقصده، وكذلك مسعى التكرار. في معجم مقاييس اللّغة، تسلسل الهاء والدّال والرّاء يدلُ على سقوط شيء وإسقاطه، وعلى جنسٍ من الصَّوت. وهَدَرَ السُلطانُ دمَ فلانٍ هَدْراً: أباحَه. وبنو فلان هَدَرَةٌ، أي ساقطون. ورجُلٌ هُدَرة. وبعضٌ يقولون: هَدَرةٌ: ساقط. والمعنى الآخر هَدَرَ الفحلُ هديراً، وهدَرَ العَصيرُ في غَلَيانه. وهَدَر العَرْفَج: عظُم نَباتُهُ فإذا وقعت فيه الرِّيحُ كان له كالهدير، وهدر في المعاجم: أبطل وأباح، وهو أيضاً الإسراف، والهِدر بالكسر: الّذي لا خير فيه، قال ابن معصوم[1]:

لَمْ تخشَ ثأراً بما أرْدَتْ لواحظُها دمُ المُحبّين في شرعِ الهَوى هَدْرُ

هـ-د-ل: لام التّلاحم أبدل حركة الانتقال المُندفعة عشوائياً في (هـ-د) لتتصل وتلتصق مُجبرة، وأيضاً من غير اكتراث. في معجم مقاييس اللّغة، تسلسل الهاء والدّال واللّام: أصلان صحيحان؛ أحدُهما يدلُ على استرخاء في شيء. الهَدَل: استِرخاء مِشْفَر البعيرِ وكلّ شيءٍ. يقال منه هَدِلَ. وهَدَلتُ الشَّيءَ

(١) ابن معصوم: علي بن أحمد بن محمد معصوم الحسيني المعروف بعلي خان ميرزا، عالم بالشعر والأدب شيرازي الأصل، ولد بمكة، وأقام بالهند، من كتبه: سلافة العصر في في محاسن أعيان العصر، والطراز في اللغة، وأنوار الربيع، (١٠٥٢-١١١٩هـ. ١٦٤٢-١٧٠٧م).

أهْدلُه، إذا أرسلتَه إلى أسفل. والهَدَال: كلُ غصنٍ نَبَتَ مُستقيماً ﻓﻲ أراكةٍ أو طلحةٍ. قال النّابغة الجعدي:

يدعُو الهديلَ وساقَ حُرُ فوقَه أُصُلاً بأودية ذَوات هَدَال

والأصل الآخر على ضربٍ من الصوت. ويقال الهَديل: فَرخ الحمام. فإنْ كان كذا فكأنَّه سمّي بصوته. قال أبو وجزة السّعدي[1]:

فقلتُ أتَبكي ذاتُ شجوٍ تذكَّرتْ هَديلاً وقد أوْدَى وما كان تُبَّعُ

قال العبّاسُ بن الأحنف[2]:

وكَأنّها جِنّيَّةٌ وكأنَّما هُدلُ الكُرومِ تلوحُ تحت قِناعِها

هـ-د-ف: هنا فاءُ الفصل والتّفريق هي من تولّى متابعة حركة الانتقال والاندفاع العشوائي للدّال، مدلول معنى لفظة (فاء) هي الرّجوع إلى الرّشد، فكأنّ الفاء هي من استّرد الحركة وفصل ﻓﻲ وجهتها وتوجّهها. ﻓﻲ مُعجم مقاييس اللّغة، تسلسل الهاء والدّال والفاء: أصَيْلٌ يدلُ على انتصابٍ وارتفاع. والهَدَف: كلُ شيء عظيمٍ مرتفع، لذلك سمّي الرَّجُل الشَّخيص الجاﻓﻲ هَدَفاً. قال أبو ذُؤيب الهذلي[3]:

إذا الهَدَفُ المعزالُ صَوَّبَ رأسَه وأعجبهُ ضَفْوٌ من الثَّلَّة الخُطّلِ

والهَدَف: الغرض. والمقصد والتّوجّه ومرمى السّهم، وقال إبراهيمَ الرّياحي[4]:

كلُ الورى هَدَفٌ لسهمِ حمامِ حُكمٌ جرى حَتّى على الحُكّامِ

وركَب مُستَهْدِف: عَرِيض. وامرأة مُهْدِفَة: لَحيمة. وأهْدَفَ لك الشّيءُ: انتصب. قال النّابغة:

---

(١) أبو وجزة السّعدي: يزيد بن أبي عبيد السلمي السعدي، نشأ ﻓﻲ بني سعد، سكن المدينة وانقطع إل ابن الزبير، له قصائد نادرة من كتاب منتهى الطلب ﻓﻲ أشعار العرب، (؟-١٣٠هـ، ؟-٧٤٧م).

(٢) العباس بن الأحنف: العباس بن الأحنف بن الأسود، من اليمامة- نجد، كان أهله ﻓﻲ البصرة شاعر غزل رقيق، نشأ ببغداد، (؟-١٩٢هـ، ؟-٨٠٧م).

(٣) أبو ذُؤيب الهذلي: خويلد بن خالد بن محرث، ابو ذؤيب من بني هذيل بن مدركة المضري، شاعر فحل مخضرم، اشهر شعره قصيجة رثاء ابنائه الخمسة، شهد فتح إفريقية، (؟-٢٧هـ، ؟-٦٤٨م).

(٤) إبراهيم الرّياحي: إبراهيم بن عبد القادر بن أحمد الرّياحي، التونسي، فقيه، له عدّة مؤلّفات ﻓﻲ الفقه، وديوان شعر، (١٧٦٦- ١٨٥٠م).

وإذا طَعَنْتَ طَعَنْتَ في مستهدفٍ رابي المَجسّة بالعَبير مُقَرمَدِ

قال جبيهاء الأشجعي:

وحَتَّى سمِعْنا خَشْفَ بيضاءَ جَعْدةٍ على قَدَمَيْ مستهدفٍ متقاصرِ

هـ-د-ب: حركة باء الانبثاق من مكمن حركة الدّال المتنقّلة عشوائيّاً، فأقصى ما تصل إليه حركة الدّال، لتكون دالّة على قصدها، هو طَرَفُ ونهاية المنفلت من الثّوب، أو من شعر أشفار العين، وفي معجم مقاييس اللّغة، الهاء والدّال والباء: أصلٌ صحيح يدلُ على طُرَّةِ شيءٍ أغصانٍ تُشبه الطُرّة. منه الهُدْب: طُرَّة الثّوب. والهَدَب: أغصان الأرْطَى، وهي الهُدَّاب. قال امرُؤُ القيس:

فظَلَّ العَذارَى يَرتمينَ بلحمها وشَحمٍ كهُدَّاب الدِّمَقس المفتَّلِ

ويقال: الهَدَب من ورق الشّجَر: ما لم يكن له عَيْر. وهَيْدَبُ السَّحاب: ما تهدَّبَ منه إذا أراد الوَدْقَ، كأنّه خيوطٌ. ورجلٌ أهْدب: كثيرُ أشفار العَين. وهَدَبَ الثّمرةَ، إذا اجتَناها، يَهْدِبُها هَدْباً، كأنّه أخَذَ هُدْبَ الشّجرة. وقال شرف الدّين الحلّي[1]:

يترى بلحظٍ بين هُدْبِ جفونه نَبلٌ أظلُ لوقعه مُسْتَهدَفا

استخلاص النتيجة بمعيار العقل

نستخلصُ أنّ هاء الهواء الّذي ينبثق من الحلق، هو حرف مهموس، ناقلاً النَّفَسَ إلى خارج الفم صوتاً، ثمّ يعود به ليستقر بالهمزة، فحرف الهاء هو من الهواء ويه لُفظ، وأيّ لفظٍ ابتدأ به فهو مُتعلّقٌ بحركته خفةً وشفافيّة، مظهره فراغ بينما حركته سريعة التّأثر خفيفة النّبض، وإذ استعنا بحرف الدّال ليدل عليه في الاقترانات السّابقة، اتضح لنا أنّ الهاء هويّة الصّوت وبصمته. وتبيّن لنا أنّه حرف مناولة، لإيصال الحركة إلى نهايتها، وفعله أشبه بحركة المقص، هو كحامل وناقل للمورثات والصّفات. فعند إتمام المهمّة تنبهنا الهمزة إلى انتهاء غاية الحركة. وأيّ كلمة تتضمّن حرف الهاء، تنبئ بمعنى فيه حركة مثل: هواء، نهر، شهر، لهب، وهج، عهد، هرب، لهف، سهم. همس، نهب.

---

(١) شرف الدّين الحلّي: أبو الوفاء راجح بن أبي القاسم اسماعيل الأسدي الحلّي، شرف الدين، ولد في مدينة الحلة بالعراق، رحل إلى الشام ومصر، (٥٧٣-٦٢٧هـ. ١١٧٦-١٢٢٩م).

يلاحظ كذلك أنّ المفردة المؤنّثة تأخذ الهاء مثل: مدرسه، حبّه، طفله، فالتوقّف عند اللّفظ يستلزم أن يلفظ بالهاء لعدم وجود حركة في ءَاخره، مطلوب استمرار نقلها، والاستمرار يستلزم استمرار الحركة لغرض وضع أبنية أخرى في العبارة. وحينما تضاف أو يستمر الكلام تستبطن تاء لأنّها أوصلت الحركة إلى نهايتها، فالجهد حوّلته الهاء إلى تاء. فتصير مدرسة البلدة، وحبّة القمح.

أشرنا في مدخل البحث إلى سبب بدء الضّمائر للغائبين جميعاً بحرف الهاء، مثل: هو، هي، هما، هم، هنّ. لنسأل مُجدّداً: لماذا سمّيت بالضّمائر، وما هو المضمر فيها، وكيف أضمر، وما هي أداة الإضمار؟ من خلال استشفاف الباطن من الظّاهر، ووعي ما يشير إليه الظّاهر، في معنى الضّمير. نستنتج إجابةً أنّ الضّاد تمثّل الإحاطة بالحركة وتوجيهها بوجهة محدّدة، مع تقييد وتكثيف وبروز لإظهار الالتزام بعدم الانحراف أو الميل عن وجهتها، والميم تكامل الحركة بإتمام ما ينقُصها، ليعطي معنى المكانية، والياء ديمومة الحركة على ما هي عليه في الزّمان، وتمثّل قوّة الاستمرارية، والرّاء إعادة تكرار هذه الديمومة. فالضّمير وإنْ كان غير ظاهر إلّا أنّه هو المحرّك، والموجّه، والمقيّد، والمحيط بالحركة في ديمومة التزامها بالقيم وعدم الانحراف، فالضّمير هو الحق، وما يظهر هو فقط ما يمكن أن يُدرك. الغائب في نظر المتكلّم هو عن المشاهدة العينية بالنسبة إليه فقط، حيث يمكن بالمقابل للسّامع أنْ يستنتج أو يستحضر ذِهنيّاً، وإدراكاً معنويّاً المرموز، والمعني لمَن يشار إليه أو إليهم. ولهذا كانت الهاء هِي من حمل ونقل الصّورة وغلّف حيناً الواو، ليرمز إلى المذكّر، وحينا آخر الياء إلى المؤنث، وأيضاً الميم لاجتماع الإثنين، أو أكثر، ونون النّسوة للدلالة على الإناث، وقد شرحنا ذلك في ضمائر المخاطب.

إذا نظرنا فيما وجّهنا إليه التّنزيل: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ الإخلاص١،(*) فإجابة من يستفسر عن العزّة الإلهية وهو يضمر إنكارها وإنكار أحاديتها، أظهر التّنزيل باطن ذلك، وهذا أيضاً مماثلٌ لما ورد في الردّ على التّشكيك بقيومية العزّة الإلهية،

(*) لم يقل هو الله واحد، وفقاً لمعاني حركة وترتيب الحروف: فالألف، تعني تعامدٍ بين الزّمان والمكان لإنتاج وجود، والحاء تعاظم الحركة في ذاتها والدّال اندفاع بتدبير مقصود إلى جهة محدّدة وإلى أبعد مدى، بينما «واحد»، التّموضع بالواو لولوج الزّمان والمكان في تعاظم واندفاع.

فكانت الإجابة: ﴿اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ..﴾ البقرة٢٥٥، بعد هذا التوضيح نسأل عمّن (هو) غائب؟ وهل هو ضمير؟ يتّضح لنا أنّ لفظة (هو) بالمعنى الحركي: المحيط بواو التّكوين، والمشار إليها في (كون) وفي (نون) منفرداً لا مشاركاً، والحيّ القيّوم هو وفقاً لتسلسل (ق-ا-م)، ما أقام قيامة حركة الوجود المتابع استمراراً ومُطلقاً، وأنّ الرّد عكس ما أُضمر إنكاراً من قبل السّائل.

بعض أسماء الإشارة تبدأ أيضاً بحرف الهاء، هل الهاء أداة تنبيه، أم أنّها ضرورة بنائية في محتوي كلّ ما يشار إليه. اتضح لنا من أسس بناء الإشارة في (هذا) أنّ الهاء تحمل وتنقل حركة الذّال للتدليل على تمرير البروز الحسّي، وهو يلج بابي الزّمان والمكان بالألف، وبذلك نقول إنّ هذا هو اسم إشارة للقريب. وكذلك في باقي أسماء الإشارة مثل هذه، هذان، هاتان، وهؤلاء. بينما لغير العاقل استخدمت تاء اجتذاب جهد الحركة في تلك وتلكما، إذ لا تواصل حسّي، بل التحام كتلوي. أمّا أسماء الإشارة للبعيد، مثل، ذلك، وأولئك، فلا وجود للهاء، وإنما تناولت الألف مهمّة إيلاج لام الالتحام في بعدي الزّمان والمكان إلى تحديد كتلة الشّيء أو الشخص والأشخاص المشار إليها.

حرف الهاء عند ابن عربي[1] هو من حروف الغيب، ولها من العالم الملكوت.

هاءُ الهُويّة كم تشير لكلّ ذي   إِنِّيَّةٍ خفيت له في الظّاهرِ
هَلّا مَحَقْتَ وجود رسمك عندما   تبدو لأوّله عيون الآخرِ.

الوصف كما دأب ابن عربي تأويلي صوفي، نذكره وإن كان لا يلتقي مع قصدنا في دلالة الحرف على تركيب الكَلِم.

يدلُ حرف الهاء عند الشّيخ العلايلي: ***«على التّلاشي.»***[2]. ربّما في التنقّل العشوائي إسقاط على التلاشي. وعند زكي الأرسوزي، ***«فهو ندائي الأصل».***[3] هذا الوصف لا يلتقي مع ما قلناه في استخدام الهاء للمناولة والانتقال إلّا إذا اعتبرنا أنّ المناولة حركة انتقال من إلى. وعند حسن عبّاس: ***«صوت هذا الحرف لا شبيه له***

---

(١) **الفتوحات المكيّة**، م. س. السّفر الأوّل، ص. ٢٩٧.

(٢) العلايلي، عبد الله، **مُقدّمة لدرس لُغة العرب**، وكيف نصنع المعجم الجديد، م. س. ص. ٣١٤.

(٣) الأرسوزي زكي نجيب، **المؤلّفات الكاملة**، المجلّد الأوّل. م. س. ص. ١٥٢.

في الطبيعة، وإن الإيحاءات الصّوتية له تختلف بحسب كيفيّة النّطق بها ... غلب على معاني المصادر التي تبدأ بهذا الحرف طابع الشدّة والفعالية والاهتزاز، الاضطرابات والعيوب النّفسية والعقلية والأخلاقية، التشوّهات والعيوب الجسدية في شكل أو مشية أو حركة نابية، والرّداءة والضّعة والاهتراء، للحزن والخوف والذل، للفرح والهوى والهيام، الاضطراب والارتعاش والتحرك السّريع، وكذلك التخريب والقطع والسّحق والكسر.»[1] الوصف المسهب، الاضطراب، والاهتزاز، والارتعاش، والتحرّك كلّها تظهر الانتقال والتنقّل وإن لم يقل ذلك صراحة.

حرف الهاء عند إياد الحصني[2]: *«يدل على معنى الحركة والتنبيه، مأخوذ من طريقة لفظه وهي حركة الهواء داخل الحلق، فهي تشابه حركة البوق والمزمار، وكل الأشياء المتحركة في الطبيعة بدون استثناء اسمها يحوي حرف الهاء كما في: هواء نهر، نهار، لهب، شهيق.. إلخ.»*

صورة حرف الهاء عند محمد عقل: *«شبّاك، كوّة، هدى وصلاة، وقد اكتشفت عشرات النصاب في وضعية صلاة تشبه حرف الهاء اليمنيّ الجنوبيّ المأخوذة عن لغة طور سيناء شخص يرفع يديه هكذا: ٢ .»*[3] في التحوّل الأفقي أخذ من الهُدى اليدان والرّأس.

الحروف الّتي لا تلحق بحركة الهاء هي: الهمزة والحاء والخاء والعين والغين، والظاء. إذ الهاء حاملة هاوية فلا مبرّر لحمل الهمزة والانتقال بهان فهي أي الهمزة من تحفّز غيرها للحركة، كما أن اتحادهما بالمخرج لا يتيح المناولة، وبما أنّ حاء التعاظم داخلية الحركة فلا قِبَلَ للهاء على حمل حركتها والتنقّل بها، والعين التي مهمّتها المعاينة لا تتحرّك في فراغ وشفافية الهاء ظاهرة بيّنة، والخاء المخمدة تتناقض معها في التّوجه. وظاء إظهار وتضخيم الحركة لا تسلك سلوكاً هوائيّاً، بل هي من يستخدم الهاء لتعتليه والانتقال به، وأمّا حرف الغين فهو مريك لشفافية الهاء ونقاء سلوكه لا يقبله إلّا مُكرهاً..

---

(١) عبّاس، حسن: **خصائص الحروف العربية ومعانيها**، م. س. ص ص. ١٩٠-٢٠٤.

(٢) الحصني، إياد: **معاني الأحرف العربيّة**، م. س. ص ٦٠.

(٣) عقل، محمد، **ابجديّة القرءان من مملكة سبأ**، م. س. ص. ٤٦.

حرف الواو

واو+ ألف ممدودة+ واو

المُسمّى الأبجديّ المتعارف عليه للحرف: و+ا+و

مخرج حرف الواو: الشّفتان في حالة استرخاء.

ترتيب نشأة الحرف: الواو هو الحرف السّادس في ترتيب الأبجديّة العربيّة، والسّابع والعشرون من حروف الهجاء العربيّة، ويساوي عدديّاً الرّقم (٦) في حساب الجُمَّل. وفي الترتيب الصّوتيّ القديم يأتي في الترتيب السّادس والعشرين عند الخليل بن أحمد، والثّالث عند ابن جنّي، وفي الترتيب الصّوتيّ الحديث يأتي في الترتيب الثّالث عند أغلب علماء الصّوتيات المعاصرين.

سبب حدوث حرف الواو: عند النُطق به تُضم الشّفتان ويسد الطّريق إلى الأنف برفع الحنك اللّيّن، ولذلك يوصف بأنّه صوت شفويّ. ورد عند ابن سينا: ***«وأمّا الواو الصّامتة فإنّها تحدث حيث تحدث الفاء ولكن بضغط وحفز للهواء ضعيف لا يبلغ في أن يمانعه في انضغاطه سطح الشفة». «وأمّا الواو المصوّتة وأختها الضّمة فأظن أن مخرجهما مع إطلاق الهواء مع أدنى تضييق للمخرج وميل به سلس إلى فوق. وأعلم يقيناً أنّ الواو المصوّتة تقع في ضعف أو أضعاف الضمّة »***[1].

(١) إبن سينا، م. س. ص. ٨٣-٨٤.

الصّفات الصّوتيّة: الواو صوت انزلاقيّ شفويّ، ينطق مجهوراً من بين أوّل اللّسان ووسط الحنك الأعلى. والواو من الحروف القمريّة؛ تظهر معه لام (أل) التعريف نُطقاً وكتابةً، مثل: ألورق، ألويل.

الاستخدامات الصّرفية: الواو هو من حروف التصريف. وهو حرف أصليّ في مثل: سُوَر، أو زائد في مثل: كسول، أو مقلوب عن غيره في مثل: موقن. وفي الكَلم العربيّ يتعرّض حرف الواو إلى إعلال بالقلب أو بالحذف أو بالتسكين. وتقلب الواو ياءً في مثل: ميعاد، وقيام، وأصلها: موعاد، قوام، وتقلب ألفاً في مثل: قال، وأصلها: قول. كما تقلب همزة في مثل: قائل، رضاء، وأصلهما: قاول، رضاو. وتقلب الواو تاء في وزن افتعل، وتدغم التاءان في مثل: اتفق، وأصلها: اوتفق. وتحذف الواو في مثل: قم، وأصلها قوم، وفي مثل: ادعُ، وأصلها: ادْعُوْ، وفي مثل: يثب، وأصلها: يوثب. وتعل الواو بالتسكين في مثل: يقوم، وأصلها: يقْوُم، وأقام وأصلها: أقْوَمَ، ويدْعُو الدّاعي، وأصلها: يدعُوُ الدّاعي.

الاستخدامات النّحويّة: حرف الواو من حروف المعاني العاملة، إذ يأتي لإفادة العطف مثل: جاء محمد وعلي، ولإفادة الابتداء مثل: ﴿ ..وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ.. ﴾ ءَال عمران١٥٤. ولإفادة الظّرفية مثل: ﴿..فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءكُمْ..﴾ يونس٧١. ولإفادة القسم مثل: واللّه لأخلصنَّ في عملي، وقد يأتي بمعنى: رُبّ، مثل: وليل كموجِ البحر. وقد يرد زائداً مثل: ﴿..حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا..﴾ الزمر٧١. وقد يرد للمعيّة مثل: سرتُ والبحر، وللحال مثل: جاء والطقس عاصفٌ. أو يأتي ناصباً للفعل المضارع بعدها بـ(أنْ) مُضمرة مثل: لا تنْهَ عن خُلقٍ وتأتيَ مثله. ويكون علامة بناء مثل: يا محمدون. ويكون علامة للرفع في جمع المذكر السّالم والأسماء الخمسة مثل: مسلمون، أخوك. وهي من ضمائر الرّفع المتصلة بالفعل المسند لجماعة الذكور مثل: كتبوا، اكتبوا، يكتبون.[1]

---

(١) الحروف العربيّة، الأبجديّة، الألفباء. الموسوعة العربيّة العالميّة، مج ٢٠١.

الصّفات الكتابيّة: حرف الواو من الحروف المهملة النّقط، ويُكتب في خط النّسخ مفرداً هكذا: و، كما في: غزو، ومتصلاً بما قبله هكذا: ـو، كما في: يدعو، ولا يُكتب قط متصلاً بما بعده.

دلالة الاسم من خلال حروفه

- واو: فتح حركة الشّفتين معاً استجابة وملاحقة تموضعيّة.
- ألف المد: التّأليف من خلال تعامد حركته بين الزّمان والمكان لإنتاج وجود.
- واو: الواو الثانية إغلاق حركة الشفتين تؤكّد الحضور لملاقاة الطّلب، أو لسلبه.

ما نستدل به من تناقض أو تآلف في ترتيب حروف مسمّى تسلسل (و-ا-و): هو أنّ حركة الواو لم تستخدم لتسمية نفسها إلّا بنفسها، فهي ليست متناقضة إلّا مع ذاتها، وقد ولجت الواو الأولى بابي الزّمان والمكان بالألف، فهي إذ أخرجت هواء النَّفَس استبطنته بضمّه مُجدّداً بالواو الثّانية كمن يرفض البوح. وهي وفقاً للمهندس سلطان[1] وطبعاً لابن عربي: (و+ ا+ و)، فالواو الأولى روحانيّة متعلّقة بالحق، والواو الثانية متعلّقة بالخلق.

استطلاع متغيّرات اقترانات حرف الواو بصفتي المتبوع والتّابع

نماذج عن الاقتران الثّنائي الّذي يبتدئ به الحرف بصفته متبوعاً: (و-د)، (و-ج)، (و-س).

و-د: دلالة وَدَّ، ظاهراً: أَحَبَّ ورَغبَ، وباطناً: إنساق وأسرَفَ. دال الاندفاع أخذت هنا بيد الواو لإظهار الحيِّز المكاني لمجال حركتها المُعَيَّنَة بالفتحة الزّمكانيّة. أليست القلوب المُحبَّة المكان الأنسب لهذا التّموضع؟ بين دلالتي الودّ والمحبّة، نجد في الودّ مطلبَ وتمنّي تقرّب من شخص أو نوال حاجة، بينما في الحُبِّ أملٌ في تعاظم علاقة كامنة فُتِحَ لها المجال، لذلك نقول: وَدّ لَوْ، وحَبَّ أنْ. في معجم مقاييس اللّغة، الواو مع الدّال: كَلِمةٌ تدلُ على مَحَبَّةٍ. وَدِدْتُه: أحببته.

---

(١) سلطان، م. س. ص. ٧٢.

ووَددْتُ أنَّ ذاك كان، إذا تمنَّيْتَه، أَوَدُّ فيهما جميعاً. وفي المحبَّة الوُدُّ، وفي التَّمنِّي الوَدَادة. وهو وَديدُ فلان، أي يُحبه. فالحُبّ والوُدّ موجّه تموضعاً إلى شخص. وفي التّنزيل: ﴿..يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ..﴾ البقرة٩٦. و﴿..قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى..﴾ الشورى٢٣. هنا حركة الدّال مشدّدة؛ أي متابعة بعد توقّف. وقال عامر بن الطُّفيل[1]:

فلا خيرَ في ودٍ إذا رثّ حبلُه وخيرُ حبال الواصلين جديدُها

قال عمرو بن معدي كرب:

عَشيَّةَ وَدَّ القَومُ لو أنَّ بعضهم يُعارُ جَناحَيْ طائرٍ فيَطيرُ

وُد: في التّنزيل: ﴿..سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً﴾ مريم٩٦، التّموضع بالواو ثمّ بحركة الضمّة إصرار مكاني القصد لمطلب الواو من حركة اندفاع الدّال، وفي الاقتران اللّفظي بين فعل الجعل في الآية ثُمّ في ضمير التّملُك (لهم) هو تدليل على البعد المكانيّ، لا الزّمكانيّ كما في (وَدَّ). قال قيس بن ذريح:

صحا كلُ ذي وُدٍ علمت مكانه سواي فإنّي ذاهبُ العَقْلِ مُغرَمُ

د-و: الواو تسعى كي تموضع حركة اندفاع الدّال في الحيّز المكانيّ لمجال حركتها ولإظهارها. فالدَّوُ والدَّوِّيّة في المعاجم: المفازة. وبعضهم يقول: إنّما سمِّيت بذلك لأنّ الخالي فيها يسمع كالدّويّ، فقد عاد الأمرُ إلى ما قلناه من أنّ الأصواتَ لا تُقاس. قال الشّمّاخ الذّبيانيّ في الدَّوّيّة:

وَدوِّيّة قفرٍ تَمَشّى نَعَامُها كَمَشْيِ النَّصارى في خفاف اليَرَنْدَجِ

والدَّأْدَأَةُ: السَّير السريع. والدأدأة: صوتُ وَقْع الحجارة في المَسيل. فأمّا الدءَادئ فهي ثلاثُ ليالٍ في ءَاخر الشهر، قبل ليالي المُحاق. فله قياسٌ صحيح؛ لأن كلّ إناء قارَبَ أن يمتلئَ فقد تدأدأ. وكذلك هذه اللّيالي تكُونُ قاربَ الشّهرُ أن يكمُل. وأمّا الدَّوادي فهي أراجيح الصِّبيان. وقيل في المعاجم، رجل دوي: وخم ثقيل. قال المعرّي:

---

(١) عامر بن الطّفيل: عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر العامري، من بني صعصعة، فارس قومه وأحد فتّاك العرب، نشأ بنجد، ورد على الرسول بالمدينة بعد فتح مكه، ووضع شروطا كي يقبل الإسلام ورفضت، (٧٠ق هـ -١١هـ، -٥٥٤-٦٣٢م).

نشأنَ مع النَّعامِ بكُلِّ دَوٍّ فقد ألفتْ نتائجُها الرِّئالا

و-ج: واو التّموضع لإظهار الحَيِّز المكاني لمجال حركتها، واكبتها جيم الجهد لمُهمّة الجمع والتماسك للحركة الّتي يسمعنا إيّاها صوت الجيم، فالواو تموضع الحركة في مسعى إلى تفعيل الدّمج وكَنُّه، مما يضمر عنفوان أو تشتّت وارتباك في مسعى التموضع. ربّما استعير تسمية الوجه من حركة الوَجّ، لأنّ ما يحويه الوجهُ من تقاسيمٍ متكاملة هي الّتي تتحرّك وتبدي وتدمج الانفعال والتفاعل. والوَجُ في المعاجم: عيدانٌ يُتبخّر بها، والوَجُ خشبة الفَدَّان، الوَجُ: السُرعة، والوُجُجُ: النّعام السّريعة العَدْو كما توصف به حركة القطا، وحركة النّعام لسرعة العدو المفاجئ، وكما في قول طَرفة[1]:

وَرِثْتُ في قَيسَ مَلْقَى نُمْرُقٍ ومَشَتْ بين الحَشايَا مَشْيَ وَجّ

قال أبو الهندي[2]:

فَإِنْ تُسْقَ مِنْ أَعْنَابِ وَجٍّ فَإِنَّنَا لَنَا الْعَيْنُ تَجْرِي مِنْ كَسِيسٍ وَمِنْ خَمْرِ

ج-و: جيم الدّمج الّتي لا تقبل المرونة، ولحاجة الدّمج والجمع إلى الجهد، استعانت بواو التّموضع لإظهار الحيّز المكانيّ لمجال حركتها؛ فالجو لا يعني الفراغ، وإنّما المحيط والمجال الحيويّ للحركة. والجوّة: النّقرة، والأرض الغليظة، وعند العامّة الجوّة والجوّانيّ: ما هو في الدّاخل، قال عَنْتَرَة:

مقامُكَ في جوِّ السَّماءِ مكانُهُ وبَاعي قصيرٌ عن نَوالِ الكواكبِ

و-س: انسلال حركة السّين لإظهار وبسط فعلها بالحس، تعطي معنى الاستواء والهيمنة لحركة الواو في الحيّز المكانيّ لمجال حركتها. هنا الحركة داخليّة، والمكان الّذي تسعى إليه مازال مَطلباً منظوراً به، فالوسوسة هي في النّفس، لم تنطلق خارج الصّدر. والمعنى المُعجميّ: الهمس الخفيّ، ومن يحدّث نفسه

---

(١) طَرَفة بن العبد بن سفيان بن سعد من بكر بن وائل، من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية وأحد أصحاب المعلّقات، ولد في بادية البحرين وأمر بقتله عمرو بن هند لأنّه هجاه. (٨٦-٦٠ق هـ، ٥٣٩-٥٦٤م).

(٢) أبو الهندي: غالب بن عبد القدّوس بن شبث بن ربعي الرياحي اليربوعي، شاعر مطبوع أدرك الدولتين الأمويّة والعباسيّة، قيل كان مخموراً سقط عن سطح فمات. (١٠٠-١٨٠هـ، ٧١٨-٧٩٦م).

أو تحدثه نفسه، وفي التّنزيل: ﴿من شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ الناس٤ . اقتران الوسواس الّذي يوسوس في صدور النّاس، باستخدام (في) للدلالة على التّموضع داخل الصدور وإلحاقاً بالخنّاس الّذي يخمد التكوين ويخنس، وإن كان يمثل حراكاً وتردّداً بين الإيمان والكفر. قال المعرّي:

أبلَستُ من وَساوسِ حَليٍ خلتُهُ   إبليسَ وسوَسَ في صُدورِ النّاسِ

وقال ابن الرّومي:

قُلْتُ لِمَن قال استَزِدْ فضلَهم   جاهِرْ بتهديدِكَ أو وَسْوِسِ

س-و: السّين حركة الهيمنة وبسط النّفوذ بنسق وترتيب، والواو تموضع في حيّز مكاني، الحركة تركّز على أهمية السّيطرة وإظهار بسط النّفوذ على الحيّز المكاني. السّو في المعاجم: هو السّوء محذوفة الهمزة. والسّوء نعت لكل شيء رديءٍ ساء يَسُوءُ لازمٌ ومجاوزٌ، وساء الشيء قَبُح فهو سَيِّءٌ، والسُوء اسم جامعٌ للآفات والدّاء، كقول البُحتري:

إنّ الزَّمَانَ زمَانُ سَوٍّ   وجميعَ هذا الخَلْقِ بَوّ

وقال تأبّط شرّاً:

إذا لاقيتَ يومَ الصّدق فارْبَع   عليه ولا يَهمّك يومُ سَوٍّ

نلاحظ في (س-و) أنّ السّين لحقت الواو في ترتيب النّشأة، فالتوجّه سلبي، أمّا في (ج-و) فالواو هو من لحق الجيم في الترتيب فتوجّه السّلوك إيجابي، وإن عكس إلى (و-ج) تحول إلى السّلبية.

إذا أضفنا حرفاً بادئاً على تسلسل (و-د):

ز-و-د : في التّنزيل: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى..﴾ البقرة١٩٧ . قيل في المعاجم: الزّاد ما تحمله من طعام وشراب للسفر. (زوّد) وفقاً للمعنى الحركيّ، هو بروز ماديّ مستمّر لمَسعى مُجدّد للتّموضع، في اندفاع نحو قصد مُعيّن إلى أبعد مدى؛ فهل أنّ الزّاد من الزيادة غير الضّرورية، أم هو ما يعزّز القدرة على الوصول إلى الهدف، ومنه استعير لتمكين من يسعى إلى تحقيق هدف من أهداف البروز الماديّ. وفيما جاء في ءاية التّنزيل أعلاه اجتلاب الجهد في مطلب (تزوّدوا) هو التّوجّه لمرضاة الله ألا وهو اتقاء الخطأ والخطيئة

وتدارك الوقوع فيهما. البروز المادّي في (زُوْد) فهو متموضّع ومندفع إمّا كميةً ظاهرةً أو مظهراً، والزّيادة أخذت الياء الزّمانيّة لإعطاء معنى استمرار التكاثر الكمّي. قال المُتنبّي:

لَقَدْ لَعِبَ البَيْنُ المُشِتُّ بِها وبي وزَوَّدَني في السَّيرِ ما زَوَّدَ الضَّبَّا

أ-و-د: هنا تحفيز همزة ألف الزّمكان في مسعى إلى إنشاء وجود متموضع ومندفع الدّلالة، رغم احتمالات الصّعاب الممكنة، ومنها صعوبة الانحراف وصعوبة الاستمرارية. في مُعجم مقاييس اللّغة، الهمزة والواو والدّال أصلٌ واحد، وهو العطف والانثناء. أُدْتُ الشّيءَ عطفتُه. وتأوّدَ النّبْتُ مثلُ تعطّفَ وتعوّجَ. قال العوام بن عقبة [1]:

فلو أنّ ما أبقيت منّي معلّقٌ بعُودِ ثُمامٍ ما تأوّدَ عُودُها

وإلى هذا يرجع آدَني الشّيءُ يؤُودُني، كأنّه ثقُل عليك حتّى ثَنّاك وعَطَفَك. وفي القول: أنّ التؤدة هي التّأني؛ فيه معنى تعزيز حركة التّأني للتثبّت من صحة الخطوات. وفي التّنزيل: ﴿..وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ البقرة٢٥٥. ويُقال أقام أوَدَه، وقيل الأوَد الاعوجاج، قال أبو العتاهية:

دع عنك تقويمَ من تُقَوِّمُهُ وابدأ فقَوِّم ما فيكَ من أوَدِ

وفي معنى (الوأد) وهو الثّقل، والدّفن حيّاً، ما يدلّل على انقلاب الصّورة؛ إذ انتقل حرف الواو ليكون هو ما ابتدأ به التسلسل لتعين التموضع في حيّز، وكذلك في لفظة (الواد)؛ حيث فيه انحدار لا إقامة.

إضافة حرفٍ لاحقٍ على تسلسل (و-د)، كما في:

و-د-ر: واو التّموضع مُندفعة لأبعد مدى، ثمّ مُكرّرة المحاولة، فهي تضمر صعوبات تنمّ عن جهد خائب ممّا استدعى تكرار المحاولة بشكل مُنظّم. راء التكرار كرّرت حركة (ود)، ولكن بترتيب مُعيّن لمقابلة مطلب التّموضع المندفع. وحيث أنّ الوُدّ حركة عاطفية عامرة ومغامرة، فقد اتجه الترتيب إلى الإسراف العاطفي، والّذي، حسب المعاجم: وَدَّر الرجلَ تَوْديراً: أوقعه في مَهْلَكَة، وقيل:

---

(١) العوّام بن عقبة بن كعب بن زهير بن ابي سلمى، نبغ في العصر الأموي، (مولده ووفاته غير معروفين).

هو أن يُغْرِيَهُ حتّى يتكلّف ما يقع منه في هَلَكَة يكون ذلك في الصدق والكذب، وقيل: ودَرَ مالَه: أسرفَ وبذَّرَ وأضاعَ فيماً لا فائدة. ربّما يفسر بعضهم التسلسل أنّه من (در)، المسبوقة بالواو، لتعطي معنى التراجع، أي أدر، لجعل واو التّموضع ليست هي المتحكّمة بالتسلسل الحركي. قال المعرّي:

وما نلتُ مالاً قطُّ إلّا مالَ بي ولا درهَماً إلّا وَدَرَ بيَ الهَمُّ

و-د-ك: هنا التّموضع المندفع بالدّال لهدف مُعيّن هو استجلاب المتآلفات للتكتّل بالكاف، فقد اتجه لتوحيد كتلة المتآلفات. الوَدَكُ في المعاجم: الدّسم، والوَديك السّمين، وربّما سُمّيَ الدّيكُ باسمه لتميزه بسمنه عن الدّجاج. يقال دَجاجةٌ وَديكةٌ، أي سمينة. ورجلٌ وادكٌ: له وَدَكٌ، وقول ابن الرّومي:

فكفّيَ الدّهرَ لا تُنقى أناملُها من لحمك الغثّ أو من عرضك الوَدِكِ

و-د-ف: الحركة هنا تفيد تموضع مندفع ومنفصل، فمجيء فاء الفصل والتّفريق لمتابعة حركة الوَدّ؛ أي الرّغبة، كما أشرنا في تسلسل (و-د) أعلاه. تظهر تفريق وفصل حركة التموضع المندفعة، تسارع بها الحركة بعد التوصّل إلى قصدها بالدّال. في المعاجم: وَدَفَ الإناءُ: قَطَر، والشحْمُ ونحوه يَدِف: سالَ، واسْتَوْدَفْت الشحمة؛ أي اسْتَقْطرْتها فوَدفت. واسْتَوْدفَت المرأةُ ماءَ الرّجل إذا اجتمعت تحته وتقبّضت لئلاً يفترق الماء فلا تحمل. والوَدْفة والوَديفة: الرَّوْضة النّاضرة المُتَخيِّلة، في الاستخدامات تظهر حالة التموضع في الاندفاع المفارق كقول أوس بن حَجَر في وصف حمار وحشي يسوق أتانه[1]:

تُواهِقُ رجلاها يداها ورأسُهُ لها قَتَبٌ خَلْفَ الزَميلة وادفُ

ومعنى البيت أنّ هذه الأتان تكاد رجلاها تسبق يديها لشدة سُرعتها، ورأس الحمار أصبح كالقتب لها لملازمتها إيّاها.

إدخال حرفاً متوسّطاً على تسلسل (و-د) كما في:

و-ر-د: الاندفاع بتدبيرٍ مقصودٍ استدعته وبتكرارِ الرّاء واوُ التّموضع ليسارع لإظهار الحيّز المكاني لمجال حركتيهما، فالحركة مُتموضعة ومكرَّرة المحاولة في

(١) من مجلة اللّسان العربي - مج ٣، ص ٦.

إصرار لاندفاع مقصود، في معجم مقاييس اللّغة، تسلسل الواو والرّاء والدّال: أصلان، أحدهما الموافاة إلى الشيء، والثاني لونٌ من الألوان. فالأوّل الوِرْد: خلاف الصَّدَر. ويقال: وَرَدَت الإبلُ الماءَ تردُهُ ورْداً. والوِرْدُ: وِرْدُ الحُمَّى إذا أخَذَتْ صاحبَها لوقتٍ. والموارد: الطُّرق، وكذلك المياه المورودة والقُرَى، قال جرير:

أميرُ المؤمنينَ على صراط   إذا اعوجَّ المواردُ مستقيمِ

والوريدان: عرقان مُكتنفا صَفْقَي العُنُق مما يلي مقدَّمَه غليظان. ويسميَّان من الورود أيضاً، كأنَّهما تَوافَيا في ذلك المكان. والأصل الثاني الوَرْد؛ يقال فَرَسٌ وَرْد، وأسدٌ وَردٌ، إذا كان لونُه لونَ الورد. مُعجميّاً، وَرْدُ كلّ شجرة نَوْرُها. والمَواردُ المَناهلُ واحدُها مَوْرِدٌ، والمَوْردةُ: الطريق إلى الماء، والوِرْدُ وقتُ يومِ الوِرْد، والمَصْدَرُ الوُرُودُ، والورود هو للشيء من الخارج إلى الدّاخل، وأورد الخبر: قصّه. وفي التّنزيل: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ..﴾ مريم٧١، ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ..﴾ القصص٢٣. قال زُهير:

فَلَمّا وردنَ الماءَ زُرقاً جمامُه   وضعن عصيَّ الحاضر المتخيِّم.

نلاحظ في الورد والوُرود الموافاة إلى مكان وحيّز مماثل لتعين الواو مطلب حيّز التموضع في متابعة متكرّرة بالرّاء وإندفاع قصدي بالدّال. غير أنّ في الذّهن تساؤل عن سبب تسمية نوار الشّجر وزهره بالوَرد، فهل لاستجلابه النّظر واستدعائه للحواس دور في هذه التسمية؟

و-ع-د: اندفاع حركة الدّال بتدبيرٍ مقصودٍ إلى جهةٍ مُحدّدة وإلى أبعد مدى، لتدل وتدلّل على ما تسعى إليه واو التّموضع وقد استعانت قبل ذلك بعين المعاينة، في محاولة هادفة لتحقيق المكانة والتمكّن، فواو التّموضع تسعى لمعاينة المُبهم لتوضيح قصد واندفاع دلالة الدّال. فالوعد حركيّاً ليس مُجرّد زمن مؤجّل كما يتبادر إلى الذّهن، بل هو تموضع مؤكّد ثبوته إذا ما تمّ اتضاح المعاينة، وهذا ما يتطابق مع القصد المحتّم. ففي التّنزيل: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ الملك٢٥. والموعد في المعاجم: وقت للعدة. ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ..﴾ التوبة١١٤، وأيضاً:

﴿السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً﴾ المزمل١٨، والوعد بالخير، والوعيد للشر. وفي قول عَنْتَرَة:

وتُوعِدُني الأيَّامُ وَعداً تَغُرُّني وأعلَمُ حَقّاً أنّهُ وعدُ كاذبِ

و-ج-د: دال الاندفاع ليست هوائية هنا، فاندفاعها بتدبيرٍ مقصودٍ إلى جهةٍ مُحدّدة وإلى أبعد مدى، لكي تُلَبّي تموضع حركة الواو وجهد جيم الدّمج، فالمعنى المعجميّ يتفق مع المعنى الحركي. في المعاجم، وجد الشّيء والضّالة: ظهر له وكشف عن مكانه بعد ضياع. والوَجْدُ: الغنى والسّعة، وفي التّنزيل: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ..﴾ الطلاق٦، وفي التّنزيل أيضاً: ﴿قَالُوا وَجَدْنَا ءَابَاءنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾ الأنبياء٥٣. قال المتنبّي:

وقيّدتُ نفسي في ذَراكَ مَحَبَّةً ومن وَجَدَ الإحسانَ قيداً تَقيَّدا

قال الحلّاج[1]:

سكوتٌ ثُمَّ صمتٌ ثُمَّ خرسٌ وعلمٌ ثُمَّ وَجدٌ ثُمَّ رَمسُ

والوَجدُ كذلك: الهيام والعشق، وفي قول طَرَفة بن العبد:

فوَجدي بسلمى مثلُ وجدِ مُرَقِّشٍ بأسماءَ إذ لا تستفيقُ عواذلُه

قالت شاعرة من العرب وكان تزوجها رجل من غير بلدها فَعُنِّنَ عنها:

مَنْ يُهْدِ لي من ماءِ بَقْعاءَ شَرْبَةً فإنَّ له منْ ماءِ لينةَ أَرْبعَا

لقد زادَني وَجْداً بِبَقْعاءَ أنّني وَجَدْتُ مَطايانا بلينةَ ظُلَّعا

فَمَنْ مُبْلِغٌ تِرْبَيَّ بالرَّمْلِ أنَّني بَكَيْتُ فَلَمْ أترُكْ لِعَيْنَيَّ مَدْمَعا

استخلاص النّتيجة بمعيار العقل

نَستخلصُ ممّا سبق أنّ الواو رابط مكاني، وواسط بين الكاف والنّون في (كُن) و(كون)، وقد سُمِّيَ باسمه أي (واو) التكوين. وأنّ حركة الشّفتين تؤلّفان مكوّناً واحداً؛ أي أنّهما جُزءٌ واحدٌ فقط من أجزاء ءَالَة النُطق؛ لأنّه عندما تتحرّك الشُفّة السّفلى، تتابعها الشُفّة العليا في الحركة، فهي كما قال عالم سُبيط النّيليّ: «***تموضع***

(١) الحلّاج: هو الحسين بن منصور الحلّاج، متصوف زاهد، قتله المقتدر العباسي، بعد أن عذب فحز رأسه وقطعت أطرافه وأحرق جسده، له عدة مؤلفات منها: الكبريت الأحمر، قرآن الفرقان، هو هو، اليقين. (٢٤٤-٣٠٩هـ، ٨٥٨-٩٢٢م).

الحركة في مكان لإظهار الحيّز المكانيّ لمجال حركتها.»[1] وقد بيّنا ذلك في صيغ حرف الألف.

حرف الواو عند ابن عربي[2] «***من عالم الملك والشّهادة والقهر، له العلو، وغايته الطّريق والأعراف، مقدّس موحش، وهو الواسطة بين علم الظّاهر وعلم الباطن.***»

واو «إيّاك» أقدَسُ	من وجودي وأنفَسُ
فهو روحٌ مُكمّلٌ	وهو سرٌ مُسَدّسُ
حيثما لاح عَينُهُ	قيل: أرضٌ مُقَدّسُ
بيته السِّدرة العَلـ	يّةُ فينا المؤَسَّسُ

الوصف هنا تأويليّ، غير مُنسجم مع مسعانا في استنطاق الدّلالة الحركيّة لتركيب الألفاظ. حرف الواو عند زكي الأرسوزيّ: «***(للفعالية) والتجانس***»[3] الوصف هنا لا يدلّنا على القصد من الفاعلية، وإن كان في وصف التجانس تلاقي في الصّفات لكن لم يحدّد له مجالاً. والواو عند الشّيخ العلايلي: «***يدُلّ على الانفعال المُؤثّر في الظّواهر.***»[4] الانفعال والتأثير إسقاط شعوريّ، لا يدلنا على حراك الحرف وعلاقته بالحروف الأخرى. ويقول حسن عبّاس: «***هو حرف بصري، يوحي بالبعد إلى الأمام. بالرّجوع إلى المعجم الوسيط عثرت على ثلاثمئة وخمسة عشر مصدراً تبدأ بالواو، لم أجد بين معانيها وبين الإيحاءات الصّوتية للواو رابطة واضحة. أمّا الاستعاضة عن (الألف والواو والياء) بالفتحة والضّمة والكسرة فلم تكن لإماتتها كما زعم (العلايلي) في مقدمته ص (٥٠)، وإنّما لتطويرها والخلاص من غوغائيتها.***»[5] هنا أيضاً لم يجد حسن عبّاس رابطاً بين ما يوحي به صوت الحرف والاستخدامات، فهو لم يقدّم لنا توضيحاً لمعنى الحرف.

---

(١) **اللّغة الموحّدة**، م. س. ص. ١٦٩.

(٢) **الفتوحات المكيّة**، م. س. السفر الأوّل، ص. ٣٢٣.

(٣) الأرسوزيّ، زكي نجيب، **المؤلّفات الكاملة**، مج١. م. س. ص. ١٥٢.

(٤) العلايلي: **مُقدّمة لدرس لُغة العرب**، وكيف نصنع المعجم الجديد، م. س. ص. ٣١٤.

(٥) عبّاس، حسن: **خصائص الحروف العربية ومعانيها**، م. س. ص. ٩٦-٩٧.

حرف الواو عند محمد عقل: ***«وتد، رزّة، رسمت في اليمنيّة الجنوبيّة على شكل محور الدّائرة هكذا: ⊘ .»***[1] فليس هناك أكثر التصاقاً بالمكان من الوتد. واسم الوتد وفقاً للمعنى الحركي يطابق ثبات تموضعه في حيّز. تحوّلت من الشكل القائم إلى الأفقي.

كافّة الحروف يمكن أنْ تلحق بحركة الواو الّتي تؤكّد على التّموضع في حيّز مكانيّ، فالحركات كلّها في مسعى لهذا التّوجه، وكون الواو صيغة من صيغ الألف، فهي تتآلف معها وتؤلّف معها في البعدين الزّمانيّ والمكانيّ بياناً لوجود الحركة.

(١) عقل، محمد، **أبجديّة القرءَان من مملكة سبأ**، م. س. ص. ٤٧.

حرف الزّاء

زاء+ألف المد+ همزة

المُسمّى الأبجديّ المتعارف عليه للحرف: ز+ا+ء(*)

لاحظنا اختلافاً في تسمية هذا الحرف، فأحياناً هو «زاي» و«زاء»، وأحياناً «زين»، ولذلك يُراعى النّظر إليه من خلال تعدّد مُسمّياته؛ فما من اختلاف إلّا وفيه جدليّة ووجهة نظر مَعرفيّة. ربّما يتسنّى لنا من خلال ذلك اكتشاف دلالة اسمه، ووجهة حركته. أورد تاج العروس: عن ابن الأنْبارِي أنّ فيه لغات خَمْسة:

«الأُولى: الزايُ بتَصْريحِ الياء وهي المَشْهورَةُ.

والثّانيَة: الزاءُ بالمَدِّ، قالَ اللّيْثُ: ألفُهما في التّصْريف ترجعُ إلى الياء؛ وقالَ ابنُ جنّي: الزّايُ حَرْفُ هجاء مَنْ لَفَظَ بها ثُلاثيَّة فألفُها يَنْبغي كَوْنها مُنْقَلبَة عن واوٍ ولامُه ياءً، فهو من لَفْظِ زَوَيْت إلا أنّ عَيْنَه اعتلّت وسَلِمَتْ لامُه، فلحقَ بباب غاي وطاي وراي وثاي في الشّذوذ لاعْتلال عَيْنه وصحّة لامه، واعْتلالُها أنّها متى أعْربَت فقيلَ هذه زايٌ حَسَنَةٌ، وكُتبَتْ زاياً صغيرَةً أو نحْو ذلكَ فإنّها بعْدَ ذلكَ مُلْحَقَةٌ في الإعْلال بباب رايٍ وغايٍ، لأنّه ما دامَ حرفَ هجاءٍ فألفه غَيْر مُنْقَلِبَة، فلهذا كانَ عنْدي قوْلُهم في التّهَجّي زايٌ أحْسَن من

(*) اعتمدت مسمّى (الزّاء) هنا قياساً على مسمّى (الرّاء)، وذلك بالمقارنة مع (دال) و(ذال)، وكذلك (عين، غين)، و(سين) (وشين). وكذلك في ما ورد في بعض المراجع ومنها تهذيب اللّغة لابن فارس.

غاي وطاي، لأنّه ما دامَ حرفاً فهو غيرُ مُتَصَرف، وألفُه غَيْرُ مَقْضيّ عليها بالانْقلاب، وغايٌ وبابُه يَنْصرفُ بالانْقلاب، وإعلالُ العَيْن وتصحيحُ اللامِ جارٍ عليه ومَعْروفٌ فيه، انتَهى.

والثّالثة: الزّيُ، كالطّيّ.

والرّابعَةُ: زَيٌ، ككَيّ.

والخامسَةُ: زاً، مُنَوَّنَةً، مجراة.»[1]

وفي تاج العروس من جواهر القاموس: *«والزايُ: حَرْفٌ يُمَدُّ ويُقْصَرُ ولا يُكْتَبُ إلّا بالياء بَعْدَ الألف، تقولُ: هي زايٌ فزَيِّها. وقالَ المصنِّفُ: إذا مُدَّ كُتبَ بهمزةٍ بعدَ الألفِ؛ هذا الكَلامُ أوْرَدَه الصّاغانيُّ في التكْمِلَة بعدَ أنْ ذَكَرَ كَلامَ الجوهريِّ، وقالَ: وليسَ كذلكَ، فإنّه إذا مُدَّ لا بدَّ وأن يُكْتَبَ بهمْزة بعدَ الألف لأنّها من نتائجِ المَدِّ ولوَازمِه، انتَهى. ووَهِمَ الجوهريُ؛ أي في قَوْله: يُمَدُّ ويُقْصَرُ ولا يُكْتَبُ إلّا بياءٍ بعدَ الألف. وأقَرَّه المقدسيُ في حَواشيه، وقد يقالُ: إنّ قَوْلَهُ: ولا يُكْتَبُ راجعٌ للقصْر، والمُرادُ به زاي فلا وهمَ إذاً لقَصْرِ خلاف المَدِّ كما للمصنِّفِ، وإن كانَ المَقْصورُ عنْدَ النُحاة الاسمَ الذي آخرَه ألفٌ لازِمَة فتأمّل.»*[2]

مخرج صوت الزّاء: من بين الأسنان.

ترتيب نشأة الحرف: الزّاء (الزّاي) الحرف السّابع في ترتيب الأبجديّة العربيّة، والحادي عشر في الترتيب الهجائيّ العربيّ، ويساوي عدديّاً الرّقم (٧) في حساب الجُمَل. وفي الترتيب الصّوتيّ القديم، يأتي في الترتيب الثالث عشر عند الخليل بن أحمد، والتاسع عند ابن جنّي. وفي الترتيب الصّوتيّ الحديث، يأتي حرف الزّاي في الترتيب السّابع عشر عند أغلب علماء الصّوتيات المعاصرين.

---

(١) تاج العروس: مج ١، ص. ٨٤٢١.

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس، مج ٣٨، ص. ٢٢٨.

سبب حدوث الحرف: يُنطق بجعل طرف اللّسان خلف الأسنان العُليا مع التقاء مقدّمته باللّثة العُليا، ومع وجود مَنفذ ضيّق للهواء، فيحدث الاحتكاك. ويرفع أقصى الحنك عند النُطق به، حتّى يمنع الهواء من المرور من الأنف. وتتذبذب الأوتار الصّوتيّة عند نُطقه. ورد عند ابن سينا: «***وأمّا الزّاي فإنّها تحدث عن الأسباب المصفّرة إلّا أنّ الجزء الحابس فيها من اللّسان، يكون ما يلي وسطه، ويكون طرف اللّسان غير ساكن سكونه الذي في الشّين، بل يمكّن من الاهتزاز، فإذا انفلت الهواء الصّافر عن المحبس اهتز له طرف اللّسان، واهتزت رطوبات تكون عليه وعنده ونقص من الصفير؛ إلّا أنّه باهتزازه يحدث بالهواء الصّافر المنفلت شبه تدحرج في منافذه الضّيّقة بين خلل الأسنان، فيكادُ أن يكون فيه شبه التكرير الذي يعرض للرّاء[1]، وسبب ذلك التكرير أهتزاز جزء من سطح طرف اللّسان خفي الاهتزاز***[2]»..

الصّفات الصّوتيّة: (الزّاي) صوت لثويّ احتكاكيّ مجهور. والزّاي من الحروف الشّمسيّة، تختفي معها لام (أل) التعريف نطقاً لا كتابةً، مثل: الزّرع.

الاستخدامات الصّرفيّة: حرف (الزّاي) ليس من حروف المعاني ولا من حروف التصريف، لكن قد تقلب إليه تاء الافتعال، إذا كانت فاء هذا الوزن ومشتقاته زاياً وتدغم الزّايان.[3]

الصّفات الكتابيّة: حرف (الزّاي) من الحروف المعجمة (المنقوطة) بنقطة فوقها هكذا: ز. كما: حرز، ومتصلاً بما قبله هكذا: ـز، كما في هزّ. ولا يكتب متصلاً بما بعده قط في أيّ موقع من الكَلمَة العربيّة.

دلالة الاسم من خلال حروفه

- (زاء) مُعجميّاً: يفيد المظهر المهيب أو المربك للنّاظر. زأزأه الخوف جعله يتصاغر ويختبئ. تقول العامّة زأزأ عقله، بمعنى أهبلته المفاجأة.

---

(١) هذا ما يؤكّد أنّ الرّاء تكرار، وأنّ الزّاء تكرّر البروز.

(٢) ابن سينا، م. س. ص. ٧٨.

(٣) الحروف العربيّة؛ الأبجديّة؛ الألفباء. **الموسوعة العربية العالمية مج ١**

- ألف المد: التأليف من خلال تعامد حركته بين الزّمان والمكان لإنتاج وجود.
- همزة: تؤكّد الحضور لملاقاة الطلب وتحفيز الحركة واستردادها.

تسلسل (ز-ا-ء): احتاج لإيصال حركته إلى الألف الممدودة لولوج بابي الزّمان والمكان، وإلى الهمزة لتثبيت أصل ومكان انطلاقه، هنا يظهر أنّه حرف مُتحرّك بارتداد الهمزة إلى الجوف.

إنّ ما نستدل به من تناقض أو تآلف في ترتيب تسلسل (ز-ا-ء) هو أنّها تفيد الاهتزاز المتقارب، بينما (ء-ا-ز) تفيد شدّة اصطكاك الحركة. وإن كان المُسمّى (زين)، فالمتغيّر هنا هما حرفي الياء والنّون. الياء الّتي بخلاف ألف الزّمكان، هي بُعدٌ زماني التوجّه بالحركة، وحرف النّون الّذي يشير إلى التكوين، وهو القصد من مظهر المتزيّن بالزّينة. وإن كان المسمّى (زاي)، فالاختلاف عن (زاء) هو في الياء بدل الهمزة، فكأنّ الحركة مستمرّة في ولوج بابي الزّمان والمكان بدل التردّد والرّجوع. والزأي في المعاجم بمعنى التكبّر.

هذه الاختلافات لا تبدّل شيئاً من دلالة صوت وحركة الحرف. فهو ينبئ عن توجّه للبروز والظّهور مادّياً. غير أنّ المسمّى (زاء) يعطيه بُعداً حركيّاً، بينما المسمّى (زين) يعتني بتثبيت مظهره وإبراز مكانته، ومسمّى (زاي) يجعل البروز مستمراً زمناً بلا توقّف.

استطلاع متغيّرات اقترانات حرف الزّاء بصفتي المتبوع والتابع

ز-ب: المعنى الحركي بروز مادّي زمكاني؛ فدخول الفتحة على حرف الزّاء الّتي تسعى للبروز المادّي الدّائم، في (زَب)، وقّرتها الباء بالانبثاق من مكمن حركة الزّاء؛ بفتح المجال لتكوين حركة واضحة. في معجم مقاييس اللّغة، الزّاء والباء أصلان: أحدهما يدل على وُفُورٍ في شَعَرٍ، ثمّ يحمل عليه. فالزَّبَب: طُول الشَّعَر، وكثرتُهُ. ويقال بعيرٌ أزَبُّ. ومن ذلك عامٌ أزَبُّ، أي خصيب. قال النّابغة الذّبياني:

أثَرْت الغَيَّ ثُمَّ نزَعْت عَنْهُ كما حادَ الأزبُّ عن الطِّعان

والأصل الآخر: الزَّبيب، وهو معروف، ثُمَّ يشبَّه به، فيقال للنُّكتَتَيْن السَّوداوين فوقَ عينَي الحيّة زبيبتان؛ وهو أخبثُ ما يكون من الحيّات. وربّما سمَّوا

الزَّيدَتَيْن زَبيبتين، يقال أنشَدَ فلانٌ حتَّى زَبَّبَ شدْقاه، أي أزبدا. وممّا شذَّ عن الباب الزَّيَاب: الفارُ، الواحدُ زيابة. وقد يحتمل، وهو بعيدٌ، أن يكون من الزَّبيب، ومُعجميّاً: والزَّبّاء كثيرة شعر الحاجبين. وقدْ زَبَّ القرْيَةَ، زَبّاً: مَلأَهَا إلى رأسها فازْدَبَّتْ. قال الخطيب الحصفكي[1]:

به زَبَبٌ قد عَمَّ أكثرَ جلْدَهُ ... ولكن فشافي نَبْت عارضه المَرْطُ

وإن حرّك حرف الزّاء في (زب) بالضّمة صار البروز المادّي مكاني التوجّه من كمون ضاغط للانبثاق بالباء. الزُب مُعجمياً: هو ذَكرُ الإنسان. وأيضاً؛ الّذي تدق أعاليه مفاصله وتعظم سفلته.

ز-ج: دلالته حاجة حركة الزّاء للبروز المادي المستديم إلى جهد الدّمج بالجيم، وحيث الجمع والدّمج لا يقبل المرونة؛ لذلك تكتلت حول نفسها. في المعاجم، الزّج وزجّه يزجّه زجّاً: رماه وطعنه بالشّيء. الزُجُّ بالضّم: طرف المرفَق وإبرة الذّراع. والزُجُّ أيضاً: الحديدة التي في أسفل الرمح، أزْجَجْتُ الرّمح فهو مُزَجٌ، إذا عملت له زُجّاً. والمِزَجُّ، بكسر الميم: رُمْحٌ قصيرٌ كالمِزْراق. والزّجاج القوارير (الزّجاجية)، والزَجَجُ: دقَّةٌ في الحاجبَين وطولٌ. وزَجَّجَت المرأة حاجبَها: دَقَّقَتْهُ وطَوَّلَتْهُ. والزّج: رقّة مخَطِّ الحاجبين ودقتهما وطولهما وسبوغهما واستقواسهما، كما في قصيدة الدُرّة اليتمية. الّتي تنسب إلى أبي الشيص الخزاعي[2]، أو إلى دوقلة المنبجي[3]:

وجَبينُها صَلتٌ وحاجِبُها ... شَخْتُ المخَطِ أزجُ ممتَدُ

قال أوس بن حَجَر:

إذا ما الغانياتُ خَرَجْنَ يوماً ... وزَجَّجْنَ الحَواجبَ والعُيُونا

---

(١) الخطيب الحصفكي: هو يحيى بن سلامة بن الحسين، أبو الفضل، معين الدين، ولد بطنزة من ديار بكر، له ديوان رسائل وديوان شعر، وعمدة الاقتصاد. (٤٥٩-٥٥١هـ، ١٠٦٧-١١٥٦م).

(٢) أبو الشيص الخزاعي: محمد بن علي بن عبد الله بن رزين بن سليمان بن تميم الخزاعي، من أهل الكوفة عاصر أبي نواس وصريع الغواني، (١٣٠-١٩٦هـ، ٧٤٧-٨١١م).

(٣) دوقلة المنبجي: الحسين بن محمد المنبجي، المعروف بدوقلة، شاعر مغمور، مولده ووفاته غير معروفين، تنسب إليه القصيدة المعروفة باليتيمة، على رأي ثعلب المتوفى سنة، ٢٩١هـ.

يمكن للمقاربة الجدلية مع تسلسل (ج–ز) فحركة الزّاء والّتي هي مَعنية بضمان الاستمراريّة في البروز المادّي خضعت هنا لحركة جيم الدّمج، فصار الدّمج قطع الشّعر البارز. فالجَزّ مُعجمياً: حلاقة الصّوف والشّعر. وفي قول الفرزدق:

إذاً فأصابَتكُمُ من اللهِ جَزّةٌ   كما جَزَّ أعلى سُنبُلٍ كَفُ حاصدِ

ز–ف: الفاء تُفرّق حركة بروز مادّي مستديم للزّاء إلى كافّة الاتجاهات المادّية والمعنويّة؛ فالحركة بارزة الظّهور متفرّقة. في معجم مقاييس اللّغة تسلسل: الزّاء والفاء أصلٌ يدلُ على خفّة في كل شيء. يقال زَفَّ الظَّليم زفيفاً، إذا أسرع. ومنه زُفّت العَروسُ إلى زوجها. وزفَّ القومُ في سَيرهم: أسرَعُوا. والزَّفْزافة: الرِّيح الشديدة لها زفزفةٌ، أي خفّة. وكذلك الزَّفزَف. ويقولون لمن طاشَ حلْمُهُ: قد زَفَّ رَأْلُه. وزفُ الطائر: صغَار ريشه؛ لأنّه خفيف. والزّف في المعاجم: خفّة السّرور في زَفّة العروس والفوج بعد الفوج؛ وهو الإسراع ومقاربة الخطو. وفي التّنزيل: ﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ﴾ الصافات٩٤، والزّفة الزّمرة، وزفّ البرق لمع. ومنها زفّ البُشرى، وهي الإسراع في توصيلها، وفي قول أميّة بن أبي الصّلت[1]:

خَذٌ مناكِبُهُم على أكتافهم   زفٌ يَزِفُ بهم إذا ما استُنجِدوا

قال لَبيد:

ولو كان مولايَ إمرأً ذا حَفيظَةٍ   إذاً زَفَّ راعي البَهمِ والبَهمُ نافِرِ

عند عكس تسلسل (ز–ف) إلى (ف–ز) للمقاربة الجدليّة: الفاء تفريق وفصل إلى كافّة الاتجاهات المادّيّة والمعنويّة، والزّاء بروز مادّي، التّوجّه تفريق مع مسعى إلى البروز، فزّ واستفز في المعاجم: بمعنى فزع وخاف وأُخرج عن طوره، وقيل: ختله وألقاه في مهلكة، وفي التّنزيل: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ..﴾ الإسراء٦٤، والفزفز: الثديان، والمستوفز: غير المطئن، وفزّ عند العامّة: بمعنى قام فجأة، وفي قول زُهير:

---

(١) أميّة بن أبي السلط: أميه بن عبد الله أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي، من أهل الطائف، قدم دمشق قبل الإسلام كان مطلعا على الكتب القديمة، رحل إلى البحرين، (؟-٥هـ، ؟٦٢٦م).

كما استغاث بسيئٍ فزُ غيطلةٍ		خاف العيونَ فلم يُنظر به الحشكُ

نلاحظ في (ز-ف) أنّ الزّاء سبقت الفاء في الترتيب فالتوجّه فيه إيجابيّ وانسجام كما قلنا، بينما في (ف-ز) التّوجّه فيه اضطراب تفريق مع مسعى إلى البروز. وكذلك في تسلسل (ز-ج) حيث الجيم سبق الزّاء في النّشأة فالتوجّه مُعاكس للتناغم الوجوديّ، كما قلنا، بينما في (ج-ز) فالاستمراريّة في البروز المادّي خضعت هنا لحركة جيم الدّمج، فصار الدّمج قطع الشّعر البارز.

إذا أضفنا حرفاً بادئاً على تسلسل (ز-ب):

ع-ز-ب: تظهر عين المعاينة حركة البروز المادّي مع فتح المجال بباء الانبثاق؛ فالقصد إظهار ما هو مستغرب وتعرية الموقف المُستهجَن. في المعاجم، رجل عَزَبٌ ومعْزابة لا أهل له وهو ترك النّكاح، وامرأة عَزَبَةٌ وعَزَبٌ لا زَوْجَ لها. وعَزَبَ يَعْزُب ويَعْزِبُ إذا غابَ وبعُدَ عن الأنظار، وفي التّنزيل: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ..﴾ سبأ٣. هنا المعنى مطابق للمعنى الحركيّ فهو بالتّالي تأكيد الإيضاح البيّن، لاقتران علم الغيب المطلق، بقوله تعالى «لا يعزب» فلا شيء يمكن أن يخرج من إحاطته سبحانه بعلمه. وفي معجم مقاييس اللّغة تسلسل، العين والزّاء والباء أصلٌ صحيحٌ يدلُ على تباعدٍ وتنَحٍّ. يقال: عَزَب يعزُبُ عُزُوباً. والعَزَب: الذي لا أهلَ له. وقالوا: والمعزَابةُ: الذي طالت عُزّبته حتى ما لَه في الأهل من حاجة. يقال: عَزَب حلْمُ فلانٍ، أي ذهب، وأعْزَبَ اللهُ حلْمَه، أي أذهَبَه. والعازب من الكلأ: البَعيد المَطْلَب. وكلُ شيء يفوتُك لا تَقْدر عليه فقد عَزَب عنك. وأعزب القومُ: أصابوا عازباً من الكلأ. قال النّابغة الذّبياني:

شُعَبُ العلافيَّات بين فروجهم		والمُحصَنَاتُ عوازبُ الأطهار

وقال الجعدي:

إذا عَزَبَ النّاسُ أحلامَهُم		أراحُوا الحُلومَ فلم تَعزُبِ

ل-ز-ب: باء الانبثاق الّتي فتحت المجال لحركة التلاحم البارزة مادّيّاً، أوجدت مَجالاً للتمادي بالخروج من الدّوائر المُغلقة، فيه إضمار المفارقة. فالتّلاحم باللاّم

فيه توجّه البروز المادّي بالزّاء للتمادي بالانبثاق المنفتح. في معجم مقاييس اللّغة تسلسل، اللّام والزّاء والباء يدلُّ على ثبوتِ شيءٍ ولُزومه. يقال: للّازِمِ لازب. وصار هذا الشيءُ ضربةَ لازب، أي لا يكاد يفارق، واللّزب في المعاجم: الضّيق والشّدة، ولزبته العقرب لَزباً: لسبته وزناً ومعنى، ولزب: لصق، والطّين: يلزب لزباً فهو لازب؛ أي لاصق. وفي التّنزيل: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَم مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ الصافات١١، قال النّابغة:

ولا يَحسَبون الخيرَ لا شرَّ بعدَه ولا يَحْسَبون الشَّرَّ ضربةَ لازبِ

وقال أبو تمّام:

من المَطَرِيَّين الأُلى ليس ينجلي بغيرِهِمُ للدَّهرِ صَرفٌ ولا لَزبُ

إذا أضفنا حرفاً لاحقاً على تسلسل (ز-ب):

ز-ب-ر: تُرتّب الرّاء حركة (زب)، الّتي تسعى إلى البروز المادّي الدّائم، وتعمل على انتظام بروزها بتكرار مُعيّن بعد أنّ تمّ فتح المجال الانبثاقي. في معجم مقاييس اللّغة تسلسل، الزّاء والباء والرّاء أصلان: أحدهما يدلُّ على إحكام الشيء وتوثيقه، والآخَر يدلُّ على قراءةٍ وكتابةٍ وما أشبه ذلك. فالأوّل قولهم زَبَرْت البئر، إذا طويتَها بالحجارة. ومنه زُبْرة الحديد، وهي القطعة منه، كما في التّنزيل: ﴿ءاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيد حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ..﴾ الكهف٩٦، والجمع زُبَر. ومن الباب الزُّبْرة: الصّدر. وسُمّي بذلك لأنّه كالبئر المزبورة، أي المطويّة بالحجارة. ويقال إنَّ الزُّبْرة من الأسد مُجتمع وَبَره في مرفقيْه وصدره. وأسد مَزْبَرانيٌّ، أي ضخم الزُّبْرة. ومن الباب الزَّبير، وهي الدَّاهية. ومن الباب: أخَذَ الشَيءَ بزَوْبَره، أي كُلِّه. ومن الباب: ما لفلانٍ زَبْرٌ، أي ما له عقلٌ ولا تماسُك. ومنه ازبأَرَّ الشّعر، إذا انتفَش. والأصلُ الآخر: زَبَرْتُ الكتابَ، إذا كتبتَه. ومنه الزبور. كما في التّنزيل: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ..﴾ الأنبياء١٠٥. وفي المعاجم: الزِّبر: الصّبر، الأزبر: الضخم، وأزبار الثّياب: الوبر، وأزبر الرّجل؛ إذا عَظُمَ جسمُه. وأيضاً العقل والرّأي والتّماسك؛ ذلك أنّه ينهى عن الإقدام على ما لا ينبغي عمله، وأيضاً في

التنزيل: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ المؤمنون٥٣. وفي قول أبي العتاهية:

لعمرك ما الدُنيا بدارِ إقامةٍ وقد زَبَّرَ الغاوون فيها وزَبرجوا

ز-ب-ع: هنا حركة المعاينة لاتضاح المُبهم، لحقت البروز المادّي في توجّهه الانبثاقي المنفتح لمجال البروز. تأثير هذه الحركة شكلي. في معجم مقاييس اللّغة تسلسل، الزّاء والباء والعين يدلُ على تغيُظ وعزيمةِ شرّ. يقال تزبّع فلانٌ، إذا تهيَّأ للشر. وتزبّع: تغيَّر. وهو في شعر متمّمٍ(١):

وإنْ تَلقَه في الشَّرْب لا تَلقَ فاحشاً من القوم ذا قاذُورة متزبّعَا

قال الشيبانيّ: الأزْبَع: الدّاهية، والجمع الأزابع. ٢وأنشد:

وعَدّتَ ولم تُنْجزْ وقدْماً وعدتَني فأخلفْتَني وتلك إحدى الأزابعِ

التزبيع مُعجمياً، هو التّغيظ والغضب. والزّوبعة: تحمل الغبار وترتفع به. قال إلياس أبو شبكة(٣):

مهما طغى اللّيلُ لا تُشقيكَ زوبعةٌ ولا يُجَهّمُ في أجفانكَ الحَوَرُ

ز-ب-ن: حركة البروز المادّي مُنبثقة بالباء فاتحة المجال للمتابعة مع حركة النّون في توجّه لإنشاء واقع مستمر لبروزها الواضح. في معجم مقاييس اللّغة تسلسل، الزّاء والباء والنّون أصلٌ واحدٌ يدلُ على الدّفع. يُقال ناقة زَبُون، إذا زَبَنَتْ حالبَها. والحرب تزبنُ النّاسَ، إذا صَدَمتهم. وحربٌ زَبُون. ورجلٌ ذو زَبُونةٍ، إذا كان مانعاً لجانبه دَفُوعاً عن نفسه. قال سَوّار بن المُضرّب(٤):

بذَبّي الذَّمَّ عن حَسَبِي بمالِي وزَبُوناتِ أشْوسَ تَيّحانِ

---

(١) متمّم بن نويره اليربوعي: متمّم بن نويرة بن حمزة بن شداد التميمي، شاعر فحل صحابي، كان قصيرا أعور، اشتهر بقصيدة في رثاء أخيه مالك، (؟-٣٠هـ، ؟-٦٥٠م).

(٢) عن مقاييس اللغة – هو من قصيدة في المفضليات (٢: ٦٥-٧٠) وجمهرة أشعار العرب ١٤١- ١٤٣. (٣) لم أجدها في المعاجم المتداولة. لكن في اللسان: «الزوابع: الدواهي».

(٣) إلياس أبو شبكة: شاعر لبناني، كثير النظم بالعربية، اشترك في تحرير بعض الصحف اللبنانية، نقل على العربية تاريخ نابليون، وعدد من المسرحيات. (١٩٠٣-١٩٤٧م).

(٤) سَوّار بن المُضرّب السعدي من تميم، وقيل من بني كلاب، شاعر إسلامي زمن الحجّاج، له شعر في الأصمعيات.

ويقال فيه زَبُونَةٌ، أي كِبر، ولا يكونُ كذا إلّا وهو دافعٌ عن نفسه. والزَّبانيَةُ سُمُوا بذلك، لأنّهم يدفعون أهلَ النّار إلى النّار. فأمّا المُزابَنَة فبيع الثمر في رؤوس النّخل، وهو الّذي جاء الحديث بالنَّهي عنه. وقال أهل العلم: إنّه ممّا يكون بعد ذلك من النِّزاع والمدافَعة. ويقولون إنّ الزِّبْن البُعْد. وأمّا زُبَانَى العقرب فيجوز أن يكون من هذا أيضاً، كأنّها تدفَع عن نفسها به، ويجوز أن يكون شاذّاً. مُعجمياً: الزّبن السّير والنّشاط، ومنه بلغ السّيل الزُبى، جاوز الحزام. في التّنزيل: ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ العلق١٨؛ وهم الغلاظ الشّداد؛ أي ملائكة غلاظ شداد. قال بشّار بن برد:

فوطأنَ ممشاها بما لو كَسبنَه كفاهُنَّ من زَينِ الخُروجِ الحَواشِدِ

ز-ب-ح: لا استعمال لها، فحاء تعاظم وتمدّد الحركة في ذاتها إلى حدّها الأقصى، وقفت في وجه إدامة وانبثاق وفتح المجال لحركة البروز.

إذا أدخلنا حرفاً متوسّطاً على تسلسل (ز-ب):

ز-ع-ب: حركة البروز المادّي الّتي تواكبها العين لكشف المُبهم وتوضيحه، ضغطت لكي تفتح لها باء الانبثاق المجال بسرعة خارجة عن المألوف، فأوضحت العين مجال البروز بما شرّعته. في معجم مقاييس اللّغة تسلسل: الزّاء والعين والباء أصلٌ واحد يدلُ على الدَّفْعِ والتّدافع. يقال من ذلك الزَّعْب: الدَّفْع. يقال زعَبْتُ له زَعْبَةً من المال. ويقال إنَّ الزَّاعب: السَّيَّاح في الأرض. قال ابن هَرْمَة: «يكادُ يَهْلكُ فيها الزّاعبُ الهادي». ويقولون: الزُعْبُوب القصير من الرِّجال، ولعلَّهُ أنْ يكون الذُعبوب. وفي المعاجم: زَعَبَ الإناءَ يَزْعَبُهُ زَعْباً ملأه، ومَطَرٌ زاعبٌ يَزْعَبُ كلَّ شيء أي يَملَؤُه، وزَعَبَ السَّيْلُ الواديَ يَزعَبُه زَعْباً: ملأه، وزَعَبَ الوادي نفسُه يَزْعَبُ: تَملّأَ ودَفَعَ بعضُه بعضاً. والزّعبوب عند العامّة: مخرج الماء إذ يتدفّق من الإبريق. وتقول العامّة زعب بمعنى طرد. وزعبر، بمعنى احتال وغش. قال نسيب أرسلان[1]:

---

(١) نسيب أرسلان: بن حسن بن يونس أرسلان، من الأمراء الأرسلانيين، ولد في بيروت وتعلم في مدرسة الشويفات وأتم دراسته في مدرسة الحكمة، انتخب رئيساً لجمعية الاتحاد والترقّي، ثم ترك الجمعية وانضم إلى طلاب اللامركزية له عدة مؤلفات وديوان شعر، (١٢٤٨-١٣٤٦هـ، ١٨٦٧-١٩٢٧م).

لقد زَعَبَ الوادي بأنقَرَةٍ دَماً وكانت عليهم كَسرَةً ووَبالِ

وقال الشّاعر:

ما جازَتِ العُفْرُ من ثُعالةَ فالرَّ وْحاء منه مَزْعُوبةُ المُسُلِ

إذا أضفنا حرفاً لاحقاً على تسلسل (ز–ب):

ز–ف–ت: أمّا هنا فالتاء جهد اجتذاب الحركة لأمثالها لتشكيل حركاتٍ مُترتبةٍ معها، زفّت إلينا حالة الغضب والحدّة، كما أوضحت المعاجم لمعنىً زفت: الملء والغيظ، والطرد والدّفع والمنع، والإرهاق والإتعاب، وأيضاً أنّ زفت: أفرغ، وقيل: «زفت الحديثَ في أذن الأصم زفتاً» وهو إتمام لحالة الزّف. والزّفت كما هو معروف: القار.

ز–ف–ر: راء التكرار، تعيد حركة (ز–ف) بترتيب آخر، وحيث الفاء تُفرِّق حركة البروز المادّي للزّاء إلى كافّة الاتجاهات المادّيّة والمعنويّة، فالترتيب المتكرّر هنا هو أخراج النَّفَس مع صوت ممدود، حين يملأ الإنسانُ صدرَه غمّاً ثُمَّ يزفر من شدّة الأنين. والزّفير: مقابل الشهيق، وهو كذلك صوت توقّد النّار. كما في التّنزيل: ﴿فَأَمَّا الَّذينَ شَقُوا فَفي النَّارِ لَهُمْ فيهَا زَفيرٌ وَشَهيقٌ﴾ هود١٠٦، وفي معجم مقاييس اللّغة تسلسل، الزّاء والفاء والرّاء أصلان: أحدُهما يدلُ على حمْل، والآخر على صَوْتٍ من الأصوات. فالأول الزِّفْر: الحمْل، والجمع أزفار. وازْدَفَرَه، إذا حمله، وبذلك سمّي الرجل زُفَر، لأنّه يزدَفر بالأموال مطيقاً لها، ومن الباب الزّافرة: عشيرةُ الرَّجُل؛ لأنّهم قد يتحمّلون بعضَ ما ينُوبُهُ. وزُفْرَة الفَرس: وسطُه. والزَّفْرُ: القرْبة، ومنه قيل للإماء الّتي تحمل القرَب زوافر. ويقولون: الزُفَر: الرجل السيِّد. قال تأبّط شرّاً:

أخُو رغائبَ يُعطيهَا ويُسألُهَا يأبى الظُلامةَ منه النَّوْفلُ الزُفَر

وزِفْر المسافر: جهازه. ويقال الزُفَر: النَّهر الكبير، ويكون سُمّي بذلك لأنّه كثير الحمل للماء. وقال ابن الرّومي:

يُقاسي زَفيراً دائباً في صُعودهِ يراحُ ودَمعاً دائبِاً في انحدارهِ

وقال الحلاّج:

ونُطقُه زُفَرٌ تُنبيكَ عن حُرَقٍ فيَنثني نَوحُهُ نُطقاً بإضمارِ

استخلاص النّتيجة بمعيار العقل

يستدل ممّا سبق أنّ حركة حرف الزّاء تشير إلى بروز مادّي مستديم. وإذ يحتاج البروز إلى زمكان؛ فاسمه يتضمّن الألف الزّمكانيّة والهمزة الارتدادية، فهو يشير إلى الاستمراريّة في البروز، فتمثّل حركته- إن ابتدأ بها- إزاحة أيّ حركة مشابهة لها، كي لا تنافسها أو تعيق بروزها، وإن كانت (الزّاء)، لاحقة، فهي تقوم بإلحاق نفسها بدور من سبقها لإبراز فاعليتها.

حرف الزّاي، عند ابن عربي[1]: من عالم الشهادة والجبروت والقهر، له الخُلق والأحوال والكرامات.

في الزاي سرٌ إذا حققتَ معناه	كانت حقائق روح الأمر مغناهُ
إذا تجلّى إلى قلبٍ بحكمته	عند الفناء عن التّنزيه أغناه
فليس في أحرف الذّات النزيهة مَنْ	يُحَقّقُ العلم أو يدريه إلّا هو

الوصف هنا تأويليّ غيبيّ لا يمكن اعتماده لاستقراء المعنى الدّلاليّ للحرف. أمّا حرف الزّاء عند الشّيخ العلايلي؛ ***«فيدلّ على التّقلّع القويّ.»***[2] ربّما في التقلّع ما يدل انتزاع ما هو بارز. وعند حسن عبّاس: ***«الزّاي أحدّ أصوات الحروف قاطبة، وأشدها التزاما بطبقته الحسّية السّمعية، حدّته الّتي تحاكي صوت حزّ الحديد على الحديد، أوحى بالاضطراب والتحرّك والاهتزاز، وفي المصادر التي تنتهي بالزّاي تدل معانيها على الشدّة والعنف والقوة.»***[3] وكما قلنا أنّ الزّاء تفيد البروز المادّي المستمر، فإنّ تأثير صوته على حاسة السّمع هو في تأكيد إبرازه مادّيّاً لدى السّامع، ولكنه يفيد استمرار الحالة الّتي يسعى إلى إبراز تأثيرها. وعند إياد الحصني هو ***«كحرف الذّال يدل على معنى البروز للشيء المادّي والحسّي، وتمييز شيء عن مجموعة أشياء، مثل: برز، زل، زها .. إلخ.»***[4]

---

(١) **الفتوحات المكيّة**، م. س. السفر الأوّل، ص.ص. ٣١٧- ٣١٦.

(٢) العلايلي: **مُقدّمة لدرس لُغة العرب، وكيف نصنع المعجم الجديد**، م. س. ص. ٣١٣.

(٣) عبّاس: حسن: **خصائص الحروف ومعانيها**، م. س. ص. ١٣٨.

(٤) الحصني، إياد: **معاني الأحرف العربيّة**، م. س. ص. ٢٦-٢٧.

صورة حرف الزّاء عند محمد عقل هو: «*زين، رسمت على شكل ربطة قويّة لرأس الرّمح، هكذا: X*.»[1] فهو مقارب لمعنى البروز المادّي كرأس الرّمح، وإظهار الزّينة.

الحروف الّتي لا تلحق بحرف الزّاء هي حروف الثّاء والسّين والشّين والصّاد والضّاد والظّاء. فتقارب المخرجين بين الزّاء والثّاء لا يتيح مجال التنقّل والحمل للحركة. كما أنّ التّناقض بين البروز واستدامته مع التّكاثر الّذي يشتت المظهر المادّي للبروز، وكذلك مع صوت حرف السّين والزّاء المتقاربين في المخرج، حيث السّين تسعى لبسط النّفوذ كحركة لا تتيح البروز لحركة الزّاء. وبما أنّ حركة الشّين ومسعاها التشعّب كالثّاء؛ لا تتيح البروز المنفرد. أمّا الصّاد، فهي تكتل التّرابط والتّطوّر والمواجهة، لا تسمح لبروز حركة الزّاء. كذلك الضّاد، الّتي تحيط بالحركة لمنع انحرافها وتماديها.

(١) عقل، محمد، ابجديّة القرءَان من مملكة سبأ، م. س. ص. ٤٦.

حرف الحاء

حاء+ ألف المد+ همزة

المُسمّى الأبجديّ المتعارف عليه للحرف: ح+ا+ء

مخرج حرف الحاء: من سقف الحلق. تنتج عن احتكاك الهواء بسقف الحلق.

ترتيب نشأة الحرف: الحاء هو الحرف الثّامن في ترتيب حروف الأبجديّة العربيّة، والسّادس في ترتيب حروف الهجاء العَربيّة. ويساوي عدديّاً الرّقم (٨) في حساب الجُمَّل. وفي الترتيب الصّوتيّ القديم يأتي في الترتيب الثّاني عند الخليل بن أحمد، والحادي والعشرين عند ابن جنّي، وفي الترتيب الصّوتيّ الحديث يأتي في الترتيب الحادي والعشرين عند أغلب علماء الصّوتيات المعاصرين.

سبب حدوثه: يُنطَق بتضييق المجرى الهوائيّ في الفراغ الحلقيّ عند النُطق به، بحيث يحدث مرور الهواء احتكاكاً، ولا تتذبذب الأوتار الصّوتيّة حال النُطق به. ورد عند ابن سينا ***«والحاء مثل (العين) التي يفعلها حفز الهواء مع فتح الطرّجَهالي مُطلقاً، وفتح الذي لا اسم له متوسّطاً، وإرسال الهواء إلى فوق ليتردَّد في وسط رطوبة، يتدحرج فيها من غير أن يكون قبل الحفز خاصة بجانب. إلّا أنّ فتح الذي لا اسم له أضيق، والهواء ليس يحفّز على الاستقامة حفزاً، بل يميل إلى خارج حتى يَقسرَ الرّطوبة ويهزّها إلى قُدّام، فتحدث من انزعاج أجزائها إلى قُدّام هيئة الحاء»***[1]. ***فالحاء وإن شاركت العين فإنّها تخالفها في هيئة المخرج، وفي المحبس وفي القوّة، وفي جهة تخلّص الهواء، فإن***

---

(١) إبن سينا، م. س. ص. ٧٢-٧٣.

الفرجة بين الغضروفين الأسفلين تكون أضيق، والهواء يندفع أمْيَل إلى قدّام ويصدم حافّة التقعير الذي كان يصدمه هواء العين عند الخروج، وتلك الحافة صُلبة والدفع منها أشد، فيقسر الرطوبة ويميلها إلى قدّام، ويحدث فيها من التّشظّي والتشذّب ما كان لا تحدثه العين، فلسبب ذلك تسمع خشونة، تحدث من أصوات حادّة ضعيفة تخالط النّغمة، والعين في الموضع الذي يناله هواء التهوّع أدخل إلى الحلقوم، والحاء في موضع الذي يناله هواء التنحنح.»[1].

الصّفات الصّوتيّة: الحاء صوت حلقيّ احتكاكيّ مهموس، والحاء من الحروف القمريّة، تظهر معه لام (أل) التعريف نُطقاً وكتابة، مثل: ألحق.

الصّفات الكتابيّة: حرف الحاء من الحروف المُهملة؛ أي غير المنقوطة. يكتب الحاء في خط النّسخ مفرداً هكذا: ح، في مثل: فرح، ومتصلاً بما قبله هكذا: ـح، في مثل: فتح، ومتصلاً بما بعده هكذا: حـ، في مثل: حمل. ومتصلاً بما قبله وما بعده هكذا: ـحـ، في مثل: فحل.

دلالة اسم الحاء من خلال حروفه

–حاء: الحاء حرف حركيّ الاحتواء والنّمو.

–ألف المد: هي ألف التّأليف من خلال تعامد بين الزّمان والمكان لإنتاج وجود.

–الهمزة: تؤكّد الحضور لملاقاة الطّلب، وبعد أنْ أوصلت الحرف إلى ولوج الزّمان والمكان استرجعت النّفَسَ إلى نقطة الانطلاق..

ما نستدل به من تناقض أو تآلف في ترتيب حروف مُسمّى الحاء هو أنّ (ح–ا–ء) تفيد التّمدّد، بينما (ء–ا–ح) تفيد التّقلّص والتّقليل.

تسلسل حاء: نُلاحظ كيف سُمّيَ الحلق مُستخدماً الحاء واللّام؛ أي مخرجي الصّوت من الحلق وتلاعب اللّسان للتّعبير عن مصدر الحركة وآليتها؛ فهو يشير إلى كلّ ما هو حيّ ينمو.

---

(١) إبن سينا: المرجع نفسه، ص. ١١٥–١١٦.

استطلاع مُتغيّرات اقترانات حرف الحاء بصفتيه كمتبوعٍ وتابعٍ

نماذج عن الاقتران الثّنائيّ، الذي يبتدئ به حرف الحاء، بصفته مَتبوعاً:

ح-ب: الحاء تعاظم الحركة، والباء انبثاق من مكمن الحاء. يفيد التسلسل؛ فتح المجال لتنامي القوّة الدّاخليّة للأمر أو الشّيء ثُمَّ ظهوره مُتنامياً مُتطاولاً. والحركة مُطابقةٌ للقوّة في (الحُب)؛ حيث دلالة الضّمّة توجّه مكانيّ، فالحُب مخصص بمكان كالوطن أو شخص بعينه؛ ويعني شدّة التّعلّق باستبطان تعاظم العلاقة، وهي كذلك مُطابقةٌ للقوّة الكامنة في حَبَّة الزّرع؛ لأنّ الفتحة الّتي تفيد التّوجّه الزّمكانيّ هي مثال لاستبطان الزّمان والمكان في آن؛ فهي تحوي مكانيّة الإنشاء إن زُرعت وزمانيّته إنْ نَمَتْ. وفي التّنزيل: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبّاً جَمّاً﴾ الفجر٢٠، قال طَرَفة بن العبد:

وأنّى اهتدت سَلمى وَسائلَ بينَنا بَشاشَةُ حُبٍ باشرَ القلبُ داخلُه

ح-ج: الحاء منغلقة حركتها في ذاتها تعاظماً، والجيم دامجة ومكرّسة لهذا الانغلاق من دون السّماح بالمرونة؛ فتولّتْ هنا الجيم مُهمّة تتابع التعاظم المطلوب؛ وهو تأكيد دمج التعاظم في حركة واحدة وهذا هو الحَجّ.[1] إذا أدخلنا راء التكرار كما في (ح-ج-ر)، أظهر لنا تعاظم الدّمج في الحَجَر، والحَجْر، والحُجْر. في معجم مقاييس اللّغة تسلسل، الحاء والجيم أصولٌ أربعة. فالأوّل القصد، وكلّ قَصْدٍ حجٌ. ثُمّ اختُصَّ بهذا الاسمِ القصدُ إلى البيت الحرام للنُسُك. قال عمر بن أبي ربيعة[2]:

فقلت: لا والّذي حجَّ الحجيجُ له ما معجّ حُبُك من قلبي ولا نَهَجا

ومن الباب المحَجَّة، وهي جَادَّة الطريق. قال الأعشى:

ألا بَلِّغا عَنّي حُرَيثاً رِسالةً فإنك عن قَصد المَحَجَّة أنكَبُ

---

(١) قيل إنّ الحج، هو بمعنى الرّقص والدّوران، ورقص الحنجلة، عند الشعوب والطقوس القديمة، قياساً كذلك على لفظة (حجل)، هذا وفق الأب مرمجي الدّومنكي، في كتاب **المعجميّة العربيّة على ضوء الثنائيّة والألسنيّة السّاميّة**، الصادر من مطبعة الآباء الفرنسيين في القدس ١٩٢٧م. ص.ص. ٣٧-٥٠.

(٢) عمر بن أبي ربيعة: هو عمر بن عبد الله بن ربيعة المخزوميّ القرشيّ، رائد من رواد الشعر الغزلي، (٢٣-٩٣هـ، ٦٤٣-٧١١م).

وممكن أن يكون الحُجَّة مشتقّةً من هذا؛ لأنها تُقْصَد، أو بها يُقْصَد الحقُ المطلوب. يقال حاججت فُلاناً فحجَجْته أي غَلبتُه بالحُجَّة، وذلك الظّفرُ يكون عند الخصومة، والجمع حُجَج. والمصدر الحجَاج. ومن الباب حَجَجْت الشَّجَّة، وذلك إذا سَبَرْتَها بالميل، لأنّك قصدت معرفةَ قَدْرِها. قال المخَبَّل السّعدي[1]:

يَحُجُ مأمُومَةً في قَعْرها لَجَفٌ   فإسْتُ الطّبيب قَذاها كالمغاريد

والأصل الآخر: الحِجَّة وهي السَّنَة. وقد يمكن أن يُجمع هذا إلى الأصل الأوّل؛ لأنّ الحجّ في السّنة لا يكون إلّا مرّةً واحدة، فكأنَّ العام سُمّي بما فيه من الحَجّ حجّة. وفي قول لَبيد:

يَرُضْنَ صعابَ الدُرِّ في كل حجَّةٍ   ولو لم تكن أعناقُهن عَواطلا

قال قوم: أراد السَّنَة؛ وقال قوم: الحِجَّة ها هنا: شَحْمة الأذن. ويقال بل الحجَّة الخَرزَة أو اللّؤلؤة تعلّق في الأذن. وفي القولين نظرٌ. والأصل الثالث: الحِجَاجُ، وهو العظْم المستدير حَولَ العَين. يقال للعظيم الحجَاجِ أحَجُ، جمع الحجَاج أحجَّة. والأصل الرّابع: الحَجْحَجة النُكوص. يقال: حَمَلوا علينا ثمَّ حَجْحَجُوا. والمُحَجْحِج: العاجز. ويقال أنا لا أُحَجْحِجُ في كذا، أي لا أشكّ.

عكس ترتيب الحروف التسلسلات:

ب-ح: حرف الحاء الّذي يفيد تعاظم الحركة في ذاتها إلى حدّها الأقصى يعطي الاتساع والتميز، انقاد هنا لإظهار المجال الواسع الذي فتحته الباء انبثاقاً. في معجم مقاييس اللّغة الباء والحاء أصلان: أحدهما أن لا يصفُوَ صوتُ ذي الصّوت، والآخَر سعَة الشيء وانفساحُه. فالأوّل البحَحُ، وهو مصدر الأبَحّ. تقول منه بَحَّ يَبُحُ بَحَحاً وبُحوحا؛ وإذا كان من داءٍ فهو البُحاح. قال عمرو بن عبد ود[2]:

(١) المَخَبَّل السعدي: ربيع بن مالك بن ربيعة بن عوف السعدي، من بني أنف الناقة من تميم، شاعر فحل مخضرم، (؟-١٢هـ، ؟-٦٣٣م). والمخبّل ثلاثة: القريعي والسعدي والثمالي.

(٢) عمرو بن عَبْد وُدّ: عمرو بن عَبْدِ وُدّ بن حارث بن كعب بن الوكّاء، كان هجّاءً، يعرف بابن شعاث وهي أمّه، (؟-٤٥هـ، ؟-٦٦٥م).

ولقد بَحَحْتُ من النِّدا ء بجمعكُمْ هَل من مُبارزْ

والأصل الآخر البُحْبُوحة وَسَط الدار، ووَسط مَحَلّة القوم. قال جرير:

قومي تَميمٌ هُمُ القومُ الذين هُمُ يَنْفُونَ تَغلبَ عن بُحبُوحَة الدَّار

والتَّبَحْبُح: التمكُن في الحُلول والمُقام. قال الفراء: يقال نحن في باحَة الدّار، وهي أوسعُها. ولذلك قيل فلانٌ يتبحبح في المجْد أي يتّسع. والبوح: إظهار السّر. البحّ والبحّة: عند العامة تستخدم في الإشارة إلى تنظيف الملابس..

ج-ح: حرف الجيم الّذي يفيد الجمع والدّمج، وهو حرف مؤثّر، مستقل؛ إذ هو تكتّل حول نفسه لا يقبل المرونة؛ بينما حرف الحاء تعاظم الحركة في ذاتها إلى حدّها الأقصى. نلاحظ هنا تناقضاً بين الدّمج وبين التعاظم. في معجم مقاييس اللّغة، الجيم والحاء يدلُ على عظَم الشيء، يقال للسيِّد من الرّجال الجَحْجاح، والجمع جَحاجحُ وجَحاجحةٌ. قال أميّة:

ماذا ببَدْرٍ فالعَقَنْـ قل من مَرازبة جَحاجحْ

ومن هذا الباب أجَحَّت الأُنثى إذا حَمَلت وأَقْرَبت، وذلك حين يعظُمُ بطنُها لكبَر ولَدها فيه. والجمع مَجَاحُ. جَحَّ الشيءَ إذا سحَبَه، «لغة يمانيّة». والجُحُ: صغار البِطّيخ. والجَح مُعجمياً: بسط الشّيء، وكلّ شجر انبسط على وجه الأرض، كالبطّيخ وغيره. وقيل الجحاح، والجحجحة: الهلاك. ومنها الجحيم كما في التنزيل: ﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ الحاقة٣١، وفي قول الحبسي[١]:

جُحَّ في بيتك تغنم إنَّني مُعدمٌ والفقرُ من ذلّ الرّجال

حيث سلوك الحاء استيعابيّ داخليّ، وعلاقته بترتيب النّشأة فيها معارضة للتناغم الموضوعيّ. فمن سبقه من الحروف في النّشأة، يعاكسها ومن لحقه منها تعاكسه. لذلك تسلسل (ج-ح)، متناقض مع النّسق التكوينيّ، بينما تسلسل (ح-ج) مُتفق بياناً وسلوكاً، والحال كذلك في (ب-ح)، و(ح-ب). و(ز-ح) و(ح-ز). أمّا التسلسل في (ح-ر) حيث الرّاء لحقت الحاء فمتناغم على خلاف تسلسل (ر-ح) حيث التكرار يتجه بالحاء إلى كلّ الأبعاد. وفي رحرح وترحرح:

---

(١) الحبسي: راشد بن خميس بن جمعة بن أحمد الحبسي النّزوي العماني، (١٠٨٩-١١٥٠هـ، ١٦٧٨-١٧٣٧م).

الواسع. وطست رحراح: مُنبسط لا قعر له؛ كأنّ التعاظم باتجاه واحد. وكذلك في (ل–ح) و (ح–ل)، ويمكن القياس على ذلك.

إذا أُدخل حرف ثالث، على التسلسلات السّابقة ابتداءً، وتوسّطاً، وانتهاءً

إذا أضفنا حرفاً بادئاً على تسلسل (ح–ب):

ر–ح–ب: من حركة التكرّار المُتعاظمة انبثقت الباء فاتحة المجال لمساحة في حركة الرّح ولمنحها المدى وتكوين حركة واضحة؛ اتجاه المعنى تكوين حركة واضحة المدى؛ بما يفيد الاتساع الماديّ والمعنوي. في معجم مقاييس اللّغة تسلسل: الرّاء والحاء والباء أصلٌ واحدٌ مطّرد، يدلُ على السَّعَة. من ذلك الرُحْب. ومكانٌ رَحْبٌ. وقولهم في الدعاء: مَرْحَباً: أتيتَ سَعةً. والرُحْبَى: أعرض الأضلاع في الصَّدر. والرَّحيب: الأكُول؛ وذلك لسَعة جوفه. ويقال رَحُبَت الدّارُ، وأرْحَبَت. والرَّحْبة: الأرضُ المحلالُ المِئْناث. ويقال للخيل: «أرْحبي» أي توسّعي. الرّحب والرّحابة في المعاجم: الواسع الممتد مادّيّاً ومعنوياً، وفي التّنزيل: ﴿وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ..﴾ التوبة١١٨، وقال زُهير:

رَحبُ الفناءِ كما لو أنَّ النَّاسَ كُلُهمُ   حلّوا إليه إلى أن ينقَضي الأجلُ

ل–ح–ب: اللّام تلاحم، والحاء تعاظم، والباء فتح مجال انبثاقيّ للحركة المتعاظمة. هنا لام التّلاحم الملتصقة بحركة حاء التّعاظم وفتح مجال إنبثاقيّ بالباء، لتكوين حركة واضحة. نلاحظ في هذا الترتيب ظهور حقيقة مكوّنات الشّيء من خلال الانبثاق من الأجزاء المتّحدة والمتعاظمة باللّام والحاء؛ فالشّيء اللّاحب: هو الظّاهر والواضح وضوحاً كافياً على حقيقته. في لسان العرب: اللَّحْبُ: قَطْعُكَ اللَّحْمَ طُولاً. والمُلَحَّبُ: المُقَطَّعُ. و لَحَبَه و لَحَّبه: ضربه بالسيف أو جَرَحَه، قال أبو خراش:

تُطيفُ عليه الطيْرُ وهو مُلَحَّبٌ   خلافَ البُيوت عند مُحْتَمل الصِّرْم

ورَجُلٌ مَلْحوبٌ: قليل اللّحم كأنّه لُحِبَ، و لَحَبَ اللّحمَ عن العظم يَلْحَبُه لَحْباً: قَشَره. وقيل: كلّ شيءٍ قُشِرَ فقد لُحِبَ. و لَحَبَه يَلْحَبُهُ لَحْباً: بيّنه. وقيل:

الملحُب: اللّسان الفصيح، وكلّ ما يقطع به ويقشر. وحركياً يقشر فقط. والطّريق: لَحَبَه يَلْحَبُهُ لَحْباً؛ إذا وَطئَه ومَرَّ فيه ويقال أيضاً: إذا مَرَّ مَراً مُسْتقيماً. ولَحَبَ الطريقُ يَلْحُبُ لُحوباً: وضَحَ كأنّه قَشَر الأرضَ. أوضحه وبيّنه كالطّريق المستقيم الواضح كأنّها قشرت وسهّلت. ولحب فلان لحباً: أنحله الكبر والضّعف. وهذا الأخير أخذوه من ظهور حقيقته بعد ابتلائه بالكبر والضّعف. وقال عَبيد بن الأبرص[1]:

أقفرَ من أهله مَلحوبُ فالقُطَّبيّاتُ فالذّنوبُ

ولَحَبَ مَتْنُ الفرس وعَجُزُه: امّلاسَ في حُدُور كما في وصف الشّاعر:

فالعَيْنُ قادحةٌ والرِّجْلُ ضارِحةٌ والقُصْبُ مُضْطَمرٌ والمَتْنُ مَلْحوبُ

إضافة حرف متوسّط على تسلسل (ح-ب):

ح-ر-ب: القوّة متجمّعة ومتكاثفة في تعاظم بالحاء، ومتوترة تكراراً بالرّاء؛ فإذ انفجرت من مكمنها الباء وانبثقت، فيكون خروجها شديداً وقاسياً. والمحارب على أصل الحركة في التسلسل حاقدٌ غضوبٌ ذو عدوان؛ وهي تضمر بالأساس حقداً مُجذّراً متعاظماً ومتنامياً بخلاف القتال. وفي مقابلة مع تسلسل (ب-ر-ح) حيث انبثاق الباء هو من يوجّه التسلسل إلى التعاظم كان منه البراح. مما يظهر أن في (ح-ر-ب) تعاظم مكرّر الضغط لفتح المجال الانبثاقيّ، ومنه وصف الحَرْبَة، بفَتْحٍ فسُكُون: الآلَةُ دُونَ الرُمْحِ هو العَرِيضُ النَّصْل. الحرب في المعاجم: الويل والهلاك. وحَرِبَ: اشتد غضبه. وفي التّنزيل ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ الأنفال٥٧. قال لَبيد:

لَشَتَّانَ حَربٌ أو تَبوؤاً بخزيَةٍ وقد يَقبلُ الضَّيمَ الذّليلُ المُسيَّرُ

في معجم مقاييس اللّغة، الحاء والرّاء والباء أصولٌ ثلاثة: أحدها السّلْب، والآخر دويْبَة، والثالث بعضُ المجالس. فالأوّل: الحَرْب، واشتقاقها من الحَرَب وهو السّلْب. يُقال حَرَبْتُه مالَه، أيْ سَلَبْتُه. ورجل محْرَابٌ: شجاعٌ قَؤُومٌ بأمر الحرب مباشرٌ لها. وحَريبة الرَّجُل: مالُه الذي يَعيش به، فإذا

(١) عبيد بن الأبرص بن عوف بن جشم الأسدي، (؟-٢٥هـ، ؟-٥٩٨م).

سُلَبَه لم يَقُمْ بعده. ويقال أسَدٌ حَرِبٌ، أي من شدّة غضبه كأنّه حُرِب شيئاً أي سُلِبه. وكذلك الرجل الحَرِب. يظهر المعنى الحركيّ توجّها فيه حقد مُضمر ومتعاظم، ولذلك اختلفت أسباب استعمال ودلالة كلّ من الغزو والسّلب والقتال. (يلاحظ في وصف الحرب بالسّلب، حركة الحاء الدّاخليّة الذاتيّة).
الأصل الثاني عند ابن فارس هو الدويّبَة، فالحِرباء. يقال أرض مُحَرْبِئة، إذا كثُر حِرباؤها. وبها شبِّهت الحرْباء، وهي مسامير الدُروع. وكذلك حَرَابيّ المَتن، وهي لَحَماتُهُ. والثالث: المِحراب، وهو صدر المجلس، جمعه محاريب. ويقال: محراب المُصلّى مأخوذ من المحاربة، لأنّ المُصلّي يحارب الشّيطان ويحارب نفسه بإحضار قلبه. وفي التّنزيل: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ﴾ مريم ١١. وقال وضّاح اليمن[1]:

رَبَّةُ مِحرابٍ إذا جئتُها ... لم ألقَها أوْ أرتَقي سُلَّمَا

ح-ز-ب: بين التعاظم الدّاخلي والبروز الماديّ بمظهر خارجيّ تعارضٌ يتطلّب تحويله إلى قوّة تنسيق مرحلية لتحقيق الخروج من المأزق. القوّتان المتناقضتان داخليّاً تضغطان على الباء لفتح مجال الانبثاق مظهرة التوفيق والتجميع ولكن في كتلة الحاء لاحتواء الخلافات. والحزب لا يتشكّل إلّا لغرض الحفاظ على ما لديه وما في نيّته لمقاومة الخارج، وتوسيع مساحة ومجال حركته.
الحزب في المعاجم: تجمّع القوم على أمر ورأي، لإبراز قوّة المجال المندفع لتحقيق مآرب جماعية. وفي التّنزيل: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ المؤمنون٥٣، وقيل الحزابي: الغليظ من الرّجال والحمير، والأرض الغليظة الشّديدة الحزية. قال المُتنبّي:

هَنيئاً لِأَهلِ الثَّغرِ رأيكَ فيهِم ... وأنَّكَ حِزبَ اللهِ صِرتَ لَهُم حِزبا

ح-ج-ب: مضمون التّعاظم المُدمج هو ذاتيّ ودفاعيّ التّوجّه وداخليّ يُعبّر عن القصد ولا يظهر أو يُباح به، فأن تفاجئ باء الانبثاق من مكمن الحج، إنّما يضمر تعرّض الحركة لموقف أو قوّة غير متوقّعه، فتمّ تعزيزها بإظهار كمونها

---

(١) وضّاح اليمن: عبد الرحمن بن اسماعيل بن عبد كلال من آل خوذان الحميري، شاعر رقيق جميل الطلعة يتقنع في المواسم، تغزل بأم البنين زوجة الوليد بن عبد الملك فقتله، (؟-٩٠هـ؟-٧٠٨م).

الدّاخليّ بانبثاق مسترجع مكاشفته ليمنع الاختراق، فيما يماثل الانغلاق الذّاتيّ. أنظر للمقاربة تسلسل (ج-ب). الحجابُ في المعاجم: السِّتْرُ، حَجَبَ الشيءَ يَحْجُبُه حَجْباً وحجاباً وحَجَّبَه: سَترَه، وقد احْتَجَبَ وتحَجَّبَ؛ إذا اكْتَنَّ من وراء حجاب، وامرأة مَحْجُوبةٌ: قد سُتِرَتْ بستر، وحجابُ الجَوْف ما يَحْجُبُ بينَ الفؤاد وسائره. والحاجبُ: البَوَّابُ وفي التّنزيل: ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ ص٣٢. وفي قول تميم بن أُبي:

حَتَّى يُخالِفَهُم وقد حَجَبَ الدُجى ... دونَ الشُخوصِ إلى فُضولِ تَماثِلِ

وقال الأخطل:

إنّي حلفتُ بربِّ الرّاقصات وما ... أضحى بمَكّةَ من حُجْبٍ وأستارِ

إضافة حرف لاحق على تسلسل (ح-ب):

ح-ب-ل: حركة اللّام الّتي تتابع توصيل الحَبّ؛ أي التعاظم المنفتح له المجال، مع نسجٍ ودمجٍ وتوحيدٍ للأجزاء لإنتاج حركةٍ واحدة، يفيد المعنى الرِبّاط المادّي الممتد، كالقول: مدّ له الحبل، والمعنوي؛ كحبلِ الوُدّ. قال العبّاس بن الأحنف:

سَأكفُ عنكَ وفي يَدَيَّ بَقيَّةٌ ... من حبلِ وصلكَ قبل أن يتَصَرَّما

وفي التّنزيل: ﴿في جيدهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ المسد٥، وأيضاً: العهد كرابط معنوي: و﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّه جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّه عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ..﴾ ءَال عمران١٠٣، وفي معجم مقاييس اللّغة: الحاء والباء واللّام أصلٌ واحدٌ يدلُ على امتداد الشيء. ثمّ يحمل عليه، ومَرْجِع الفروع مرجعٌ واحد. فالحبل الرَّسَن، معروف، والجمع حبال. والحبل: حبل العاتق. والحَبل: القطعة من الرّمل يستطيل، والمحمول عليه الحَبْل، وهو العهد. قال الأعشى:

وإذا تُجَوِّزها حبالُ قبيلة ... أخذت من الأخرى إليك حبالَها

والحِبالة: حِبالة الصائد. ويقالُ احتَبَلَ الصّيدَ، إذا صادَهُ بالحبالة. قال الكميت:

ولا تجعلوني في رجائيَ وُدَّكُمْ كَراجٍ على بيض الأنوق احتبالَها

ويقال للواقف مكانَه لا يفرّ. «حَبيلُ بَرَاحٍ»، كأنّه محبولٌ، أي قد شُدّ بالحبال. وزعم ناسٌ أنّ الأسدَ يُقالُ له حَبيلُ بَرَاحٍ. ومن المشتق من هذا الأصل الحِبْل، بكسر الحاء، وهي الدّاهية؛ أي أنّ الإنسان إذا دُهي فكأنّه قد حُبِل، أي وقع في الحبالة، كالصّيد الذي يُحبَل.

ح-ب-س: إنسلال سين الهيمنة وبسط النّفوذ لمتابعة التعاظم المتنامي هَيمَنةً، يعطي معنى التحكّم والإحاطة والهيمنة والإمساك. والحبس في المعاجم، هو: المنع، يقال حَبَسْتُه حَبْساً. والحَبْس: ما وُقف. والحِبْسُ: مَصنعةٌ للماء، والجمع أحباس. وفي التّنزيل: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ..﴾ هود٨، وفي قول البُحتري:

يظَلُّ لساني يشتكي الشَّوقَ والهَوى وقَلبي كَذي حَبْسٍ لِقَتلٍ مُراقَبِ

استخلاص النّتيجة بمعيار العقل

نستخلصُ ممّا سبق أنَّ حركة الحاء تعاظم ونمو لها في ذاتها إلى حدّها الأقصى، كما بيّن عالم سُبيط النّيليّ، في قوله: ***إنّ المثال المادّيّ لهذه الحركة هو في كلّ ما ينمو ويحيا؛ إذ يتمّ بحركة الحاء. ولكنّ الزّمان مختلفٌ في كلّ منها تحدّده طبيعة حركتها الدّاخلية؛ لا من حيث الحجم المادّيّ فقط، وإنّما من حيث الحجم المعنوي أيضاً؛ فالعداوة الّتي تتنامى وتبلغ درجة الحقد، إنّما تتمّ بمثل حركة الحاء؛ فالحاء حركةٌ جوهريةٌ لكن بطيئةٌ جداً، ولذلك فهي شديدة الخطورة؛ لأنّها تتنامى أحياناً من غير أن يُنتَبه لها. الحاء مكاني الحركة، ولكنّه يستبطن الزّمان؛ وذلك لأنّ كلّ تعاظم يحتاج إلى مرور زمان، والزّمان في الحروف مختلف جداً؛ فهو في الحاء مثلاً بطيء جداً، ولكنّ الحركة بالمقابل لها قوّة ذاتيّة كبيرة حيث لا يمكن حدوث تعاظم إلّا في حركةٍ ما، والحركة تتضمّن المكان؛ فإنّ كلّ الأصوات الأصيلة متشابهةٌ من هذه الناحية حيث تنطوي على المكان.»***[1]

---

(١) اللّغة الموحّدة، م. س. ص. ١٩١.

حرف الحاء عند ابن عربي[1] من عالم الغيب، وله بداية الطريق، وله من العالَم الملكوت. وهو كامل يرفع من اتصل به.

حاءُ الحواميم سرُّ الله في السُوَرِ أخفى حقيقته عن رؤية البشر

فإن تَرَحّلْتَ عن كَوْنٍ وعن شبحٍ فارحل إلى عالم الأرواح والصُوَرِ

وانظر إلى حاملات العرش قد نظرت إلى حقائقها جاءَت على قَدَرِ

تجد لِحائك سلطاناً وعزَتُهُ أن لا يُدانَى ولا يَخْشَى من الغيَرِ.

هنا الوصف تأويلي، لا يساعد على إبراز الدّلالة الحركيّة.

يدلُّ حرف الحاء عند الشّيخ عبد الله العلايليّ: «*على التماسك البالغ، وبالأخصّ في الخفيّات، ويدل على المائيّةِ.*»[2] وهنا في التماسك حركة داخليّة التوجّه، تمنح قوّة التعاظم.

عند حسن عبّاس «*إذا لفظ صوت الحاء مُشدّداً مُفخّماً عالي النّبرة، أوحى صوته بمشاعر إنسانية لا تخلو من الحدّة والانفعال. لذلك كثيراً ما تنعدم الرّابطة الحسّية أو المعنوية، سواء بين معاني المصدر الواحد أم بين معاني مشتقاته. أمّا إذا لفظ صوته كما نلفظه اليوم بحناجر حضارية رخوة مُرقّقاً مُرخّماً، أوحى لنا بملمس حريري ناعم دافئ، ويطعم بين الحلاوة والحموضة، وبرائحة ذكية ناعمة، وهو بحفيف النَفَس أثناء خروج صوته من أعماق الحلْق، يرفد اللّسان العربي بأعذب أصوات الدنيا قاطبة، وأوحاها بمشاعر الحب والحنين، زمرة الحروف الشعورية كالحرارة والميل والانحناء والفتل والدوران والرّبط والإحاطة والجمع والحيازة، يجمع بينها حَدْس مشترك من حركة تدور حول محور، منها ما لم تكتمل حركته فظل في مرحلة الميل والانحناء والاعوجاج، ومنها ما اكتملت حركته فأخذ صوراً من الفتل والدوران والإحاطة والجمع والعقد والربط والحيازة.*» [3]

وفيما قلناه عن إنّ حرف الحاء يفيد التعاظم والنّماء سواء للمشاعر الإيجابيّة كالحُب والحياة أو السّلبيّة كالحقد والحرارة والحمأ، أو غيرها من

---

(١) **الفتوحات المكيّة**، م. س. السفر الأوّل، ص. ٢٩٩.

(٢) العلايليّ، عبد الله، **مُقدّمة لدرس لُغة العرب**، وكيف نصنع المعجم الجديد، م. س. ص. ٢١٣.

(٣) عبّاس، حسن: **خصائص الحروف العربية ومعانيها**، م. س. ص. ص. ١٨٠-١٨٩. بتصرّف.

الحالات غير الحسيّة كالحيط والحط والحج، والحد، بما يجيب على دهشة عبّاس، مع ملاحظة أنّ التركيب اللّفظيّ يغيّر دور ونسبة تأثير الحرف وتأثره بغيره في التسلسلات، وفقاً لانسجام نشأتها، ولمدلول عملها، كما العلاقة بين الحاء والفاء والحاء والدّال؛ فالفاء تفصل التعاظم، والدّال تدل على نهايته، بينما في حَبّ؛ الباء تفتح لها المجال انبثاقاً.

حرف الحاء عند إياد الحصني: «*يدل على معنى الحُبّ، وما هو محبّب لدى الإنسان، مثال: حسن، حلو، حي، صحة، روح.. إلخ.*»[1] وعند محمد عقل: «*حيط بمعنى الحائط، رسم كما تبنى السدود؛ كأنّه مقطع تفصيليّ من حائط، هكذا: ᛘ .*»[2] تحوّل إلى الأفقيّ بأن أُلغيَ جزؤُه الأسفل.

الحروف الّتي لا تتبع حركة الحاء ولا تلتقي بها هي: الهمزة والخاء والعين والغين والهاء؛ فهي تتنافى أو تتناقض أهدافها؛ حركة الحاء داخلية فالحاء لا تستدعي الهمزة لتقوم بتحفيز حراك خارجي. ذلك أنّ كلّ حرفٍ يحمل حركةً مناهضة لمسعى تعاظم الحاء يتجنّب هو والحاء أن يتلاقيا؛ الخاء الّتي تخمد لا تسمح للحاء بالتعاظم، كما أنّ تقارب المخرجين لا قِبَلَ لآلة النّطق الفصل بينهما، والعين تعاين من الدّاخل، بينما تعاظم الحاء داخلي فالمعاينة مُستدركة مُسبقاً. والغين، الّتي تموّه وتعمل على منع الحركة من الظّهور مُتناقضة تماماً مع حركة التعاظم. ومخرجي الحاء والهاء متجاورين؛ فلا قدرة للهاء على حمل ما هو متكتّل حول نفسه، ولا تحمل ما هو نماء وتعاظم داخلي.

---

(١) الحصني، إياد: **معاني الأحرف العربيّة**، م. س. ص. ٢١. بتصرّف.

(٢) عقل، محمد، **ابجديّة القرءان من مملكة سبأ**، م. س. ص. ٤٧.

حرف الطّاء

طاء+ ألف المد+ همزة

المُسمّى الأبجديّ المتعارف عليه للحرف: ط-ا-ء

المخرج: من نطع الغار الأعلى.

ترتيب نشأة الحرف: الطّاء هو الحرف التاسع في ترتيب الأبجديّة العربيّة، والسّادس عشر في الترتيب الهجائيّ العربيّ، ويساوي الرّقم (٩) في حساب الجُمَّل. وفي الترتيب الصّوتيّ القديم يأتي في الترتيب الرّابع عشر عند الخليل بن أحمد والحادي عشر عند ابن جنّي. أمّا في الترتيب الصّوتيّ الحديث فهو الصّوت الحادي عشر عند أغلب علماء الصّوتيات المعاصرين في البلاد العربيّة.

سبب حدوث صوت الطّاء: يلتقي طرف اللّسان عند نُطقه بأصول الثنايا العُليا ومقدّم اللّثة، ويضغط الهواء مدّة من الزّمن، ثمّ ينفصل فجأةً تاركاً نقطة الالتقاء فيحدثُ صوت انفجاريّ. ويرتفع مؤخّر اللّسان نحو الحنك الأقصى ويتأخّر قليلاً نحو الجدار الخلفيّ للحلق. ولا تتذبذب الأوتار الصّوتيّة عند نُطقه. ورد عند ابن سينا ***«وأمّا الطّاء فهي من الحروف الحادثة عن القلع دون القرع، أو مع القرع، وإنّما تحدث عن انطباق سطح اللّسان أكثره من سطح الحنك، والشّجر، وقد يبرأ شيء منهما عن صاحبه، وبينهما رطوبة، فإذا انقلع عنه وانضغط الهواء الكثير سُمع الطاء.»***[1]

---

(١) إبن سينا، م. س. ص. ٧٩.

الصّفات الصّوتية: الطّاء صوت انفجاريّ مهموس لثويّ، يرى بعض علماء الأصوات أنّه في حال النّطق بصوت الطّاء يكون اللّسان مُقعَّراً؛ أي يرتفع أقصاه وطرفه مع تقعير وسطه، وهذا هو المقصود بالإطباق عند علماء العربيّة القدماء. والطّاء من الحروف الشّمسيّة، تختفي معها لام (أل) التعريف نُطقاً لا كتابة، مثل: الطَّير.

الاستخدامات الصّرفية والنّحويّة: حرف الطّاء ليس من حروف التصريف وتبدّل تاء الافتعال ومشتقاتها طاءً في أحوال بعينها.[1]

الصّفات الكتابيّة: حرف الطّاء من الحروف المهملة (غير المنقوطة). يكتب في خط النّسخ مفرداً هكذا: ط في مثل: خطوط، ويتصل بما قبله هكذا: ـط في مثل: بط، ويتصل بما بعده هكذا: طـ في مثل: طبل، ويتصل بما قبله وما بعده هكذا: ـطـ في مثل: خطوط.

دلالة الاسم من خلال حروفه

- الطاء: الطّاء حرف حركيّ متضخّم للتاء يستبطن ويطوي.
- ألف المد: التّأليف من خلال تعامد حركته بين الزّمان والمكان لإنتاج وجود.
- الهمزة: تؤكّد الحضور لملاقاة مطلب الطّاء عند ولوج بابي الزّمان والمكان، فبعد أنْ تعبر بها، ترجع الهمزة بالنَّفَسِ إلى موضعها.

ما نستدل به من تناقض أو تآلف في ترتيب حروف مُسمّى الطّاء: هو أنّ (ط-أ) تفيد الخضوع والتّراجع كما في طأطأ رأسه، بينما (أ-ط) هو صوت التمدّد أو الأنين.

تسلسل طاء: صورة عن تضخيم حرف التّاء كصوت، كما في: طبل، طمع، وإن ألحقته بحرف آخر استبطنته وطوته في فراغها مثل: بطن، بطّة، بطّيخ، خطأ، غلط، خطر. حيث أنّ حرف التّاء يفيد اجتذاب الحركة فالتضخيم

---

(١) الحروف العربيّة؛ الأبجديّة؛ الألفباء. **الموسوعة العربية العالمية** مج ١ .

ينفرها، وحيث أنّ التّاء تضمر حرف الهاء صوتاً، فالطّاء تجرّ معها هواء الهاء عند لفظها.

استطلاع متغيّرات اقترانات حرف الطّاء بصفته كمتبوعٍ وتابعٍ ومخترقٍ

نموذج عن الاقتران المبتدئ به حرف الطّاء بصفته متبوعاً بحرف آخر مثل: (ط-ب)، (ط-ج)، (ط-ح):

ط-ب: حركة الانبثاق وفتح المجال من مكمن طاء التّضخّم والإحاطة، هي كحال من يبحث عن مخرج لما هو مُغلق عليه في تمادي. المعنى المُعجمي للطّبّة والطّابة هو ما خبئ. وطبّ الإناء أو الجرّة: قلبها على وجهها، والطّبيب: المقلّب الأمور على وجوهها متفكّراً مراراً. وفي قول عَنْتَرَة(1):

إن تُغدِ في دوني القناعَ فإنّني طَبٌ بأخذ الفارس المُستَلئمِ

ط-ج: طاء التّضخّم تنفر من قبول الدّمج. وفي المعاجم الطّاء والجيم لا يجتمعان، ولكن عند العامة الطّج حركة ضرب الطّابة بالأرض واستردادها. وهذا تعبير حركة رفض وممانعة دّمج الطّابة المنتفخة. كلمة طجن وطاجن، في بعض المعاجم، واستخدام العامة: هي بمعنى قلي اللّحم أو مقلاته؛ ونحسب أنّه سمّي طاجن كونه يكمر إذا طُبخ. وقول الجزار السرقسطي(2):

كأنّ فراشي تحت جنبيَ طاجنٌ وزريعةُ الكتّان فيه تُحمصُ

ط-ح: حركة الطّح تظهر تعارض بين توجّهين التّضخّم الاستيعابيّ والتعاظم الذّاتيّ، وهي حالة مغالبة استيعابيّة غير متوازنة. الطَّحُ في المعاجم: أن تسحَجَ الشيء بعَقبك. ويقال طَحْطَح بهم، إذا بَدّدهم. وطَحْطَحَهم: غَلَبَهم. الطّح: البسط، طَحّه طحّاً: شجّه، الطوطح: غير المتوازن. وفي قول أبي تمّام(3):

---

(1) عَنْتَرة بن شدّاد بن عمرو بن معاوية بن قراد العبسي، كان بن أمة ولم يعترف بأوبته والده شدّاد إلا بعد مجهدة، أحب ابنة عمه عبلة، وهو من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية ومن أهم فرسانها، (؟-٢٢ق هـ، ؟-٦٠١م).

(2) الجزار السرقسطي، هو أبو بكر يحيى بن الجزار السرقسطي: (؟-٦٠٦هـ ؟-١٢٠٩م).

(3) أبو تمّام، حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، أحد أمراء البيان، ولد في حوران سورية، (٦٠-١٢٦هـ، ٦٨٠-٧٤٤م).

فَوَربُّ البيت العتيق لقد طحـ   طحت منهم رُكن الضَّلال العتيق

ح-ط: حيث الحاء سبقت الطاء في الترتيب الأبجديّ ومن لحق بها تعاكسه في التناغم كما أسلفنا، فإن كان الطّح هو المغالبة الاستيعابيّة، فحركة تسلسل (ح-ط) هنا ضاغطة بعبء وثقل ما تحتويه. والحَطُّ: الوَضْعُ الأحْمال والأثقال من أعلى إلى أسفل؛ وكلُّ ما أنزله عن ظهر فقد حَطّه، فالوزر يحطّ عن حامله. يقال حطَطْت الشيءَ أحُطّه حَطّاً. وفي التنزيل: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ هَـذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ البقرة ٥٨، قالوا: تفسيرها اللّهم حُطّ عنا أوزارَنا.

اتجاه المعنى إذا كان تسلسل (ط-ب) تابعاً:

و-ط-ب: الحركة هنا تمثّل تموضعاً مُتضخّماً مُنبثق المجال. فواو التّموضع تحكم حركة التّضخم في الدّفع بانبثاق الباء المفاجئ من مكمن الاستبطان. مُعجمياً: الوطب والوطاب زق من جلد يجعل فيه اللّبن، يلاحظ في (وطاب) أنّ باء الانبثاق قد أتت بعد الألف الّتي أولجت الحركة بابي الزّمان والمكان، فهي منبثقة من حجم متضخّم وحركة متموضعة زمكانيّاً لمفاعلة وزيادة تضخّمه. في تاج العروس: الوَطْب: الرَّجُلُ الجافي، والثَّدْيُ العَظِيمُ، تَشبيهاً بوَطْب اللَّبَن. ويُقَال للرَّجُل: صَفِرَتْ وِطَابُهُ، إذا ماتَ، أو قُتِلَ. وقيل: إِنَّهُمْ يَعْنُونَ بذالك خُروجَ دَمه من جَسَده. وقال تأبّط شراً[1]:

أَقُولُ للحَيَانِ وقد صَفِرَتْ لَهُمْ   وِطابي ويَوْمِي ضَيِّقُ الحَجْرِ مُعْوِرُ

وقال امْرُؤُ القَيْس:

وأَفْلَتَهُنَّ عِلْبَاءُ جَرِيضاً   فلو أَدْرَكْنَهُ صَفِرَ الوطابُ

ق-ط-ب: القاف قوّة فصل وإبانة، والطّاء تضخّم وإحاطة، والباء انبثاق وفتح المجال من مكمن. الحركة مُندفعة بقوّة لتميّز ما تسعى لإحاطته بالطّاء، في

---

(١) تأبّط شراً: هو ثابت بن جابر بن سفيان المضري، من فحول الشعراء الصعاليك في الجاهلية. (؟-٨٥ق هـ، ؟-٥٤٠م).

ترقّب كمونيّ مُنبثق لغرض تفعيل الإحاطة. مُعجمياً: قَطَبَ: جَمَعَ ومَزَجَ وخلَط، ومنها قُطبة الحائك. في معجم مقاييس اللّغة تسلسل: القاف والطّاء والباء أصلٌ صحيح يدلُ على الجمع. يُقال: جاءت العربُ قاطبةً، إذا جاءت بأجمعها. ويقال قطَبْتُ الكأسَ أقطبُها قطباً، إذا مزجتُها. والقطّاب: المزاج. ومنه قولهم: قَطَب الرّجُلُ ما بينَ عينَيه. والقطيبة: ألوان الإبل والغنم يُخلَطان. ومن الباب القُطب: قُطب الرَّحَى، لأنَّه يجمع أمرَها إذْ كان دَوْرُه عليها. ومنه قُطْبُ السَّماء، نجمٌ يدور عليه الفَلَك. ويستعار هذا فيقال: فلانٌ قطبُ بني فلانٍ، أي سيِّدُهم الذي يلوذون به. ومما شذَّ عن هذا الباب القُطْبة: نَصْلٌ صغير تُرمَى به الأغراض، فأمَّا قولُهم: قَطَبت الشَّيءَ، إذا قطعتُه، فليس من هذا، إنَّما هو من باب الإبدال، والأصل الضّادُ قضبت. وفي قول طَرفة[1]:

رحيب قطاب الجيب منها رقيقةٌ بِجَسِّ النّدامى، بضّةُ المُتجرِّدِ

اتجاه المعنى إذا كان تسلسل (ط–ب) متبوعاً:

ط–ب–ل: هذا التسلسل هو المثال الأقرب لحركة الطّاء، فقد تعزّز الفراغ الدّاخليّ بانبثاق وتمّ فتح المجال لتوحيد الأجزاء باللّام لإنتاج حركةٍ واحدةٍ. والطّبل كما هو معروف: الأجوف. وفي قول بكر بن النّطّاح:

كأنّكَ طبلٌ رافعُ الصَّوتِ مُعجَبٌ خَلاءٌ من الخيرات قَفرٌ مداخلُه

قالَ لَبيدٌ:

ثُمَّ جَرَيْتُ لانْطِلاقِ رِسْلِي سَيَعْلَمُونَ مَنْ خِيَارُ الطَّبْلِ

ط–ب–ق: ضغط طاء التضخّم فتحت الباء المجال الانبثاقيّ باستدعاء القاف لبيان المُغلق، فعزّزت من احتواء الطّاء على ما كان مُغلقاً أمامها. في معجم مقاييس اللّغة تسلسل: الطّاء والباء والقاف أصلٌ صحيحٌ واحد، يدلُ على وضع شيء مبسوط على مثله حتى يُغطِّيَه؛ من ذلك الطَّبَق. تقول: أطبقْت الشيءَ على

(١) طَرَفة بن العبد بن سفيان بن سعد من بكر بن وائل، من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية وأحد أصحاب المعلّقات، ولد في بادية البحرين وأمر بقتله عمرو بن هند لأنّه هجاه. (٨٦–٦٠ق هـ، ٥٣٩–٥٦٤م).

الشيء، فالأوّل طَبَق للثاني؛ وقد تطابَقَا. ومن هذا قولهم: «أطبَقَ الناسُ على كذا، كأنَّ أقوالهم تساوَتْ حتى لو صُيِّرَ أحدُهما طبْقاً للآخر لَصلَح». والطَّبَق: الحال، وقولهم: «إحدى بنات طَبَق» هي الدّاهية، وسمّيت طَبَقاً، لأنّها تعمُ وتشمل. ويقال لمَا علا الأرضَ حتّى غطّاها: هو طَبَق الأرض. ومنها طوابق البناء والسّكن، وفي التّنزيل: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً﴾ نوح١٥، وأيضاً: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَن طَبَقٍ﴾ الانشقاق١٩. ومنه قول امرئ القيس يصف الغيث:

ديمةٌ هطلاءُ فيها وَطَفٌ طَبَقُ الأرضِ تَحَرَّى وتَدُرّْ

وقال البُحتري:

من زيادات النَّقيصات له طَبَقٌ يركَبُه بعد طَبَقْ

اتجاه المعنى إذا اختُرِق تسلسل (ط-ب):

ط-ر-ب: طاء التّضخّم تعاود التّكرار بشكل مُنظّم بتوجّه انبثاقيّ، فتفتح لها الباء مجالاً أوسع، وتخرجها إلى العلن. قيل في معجم مقاييس اللّغة تسلسل: الطّاء والرّاء والباء أُصَيْلٌ صحيحٌ. يقولون: إنَّ الطّرَب خِفّة تُصيب الرَّجُلَ من شدّةِ سرور أو غيره. قال ابن عمّار[1]:

وقالوا قد طربْتَ فقلتُ كلاَّ وهل يبكي من الطَّرَب الجليدُ

قالوا: وطرَّب في صوته، إذا مدّه. وهو من الأوّل. والكريم طَروبٌ. ومما شذَّ عن هذا الباب المَطَارِب؛ وهي طرقٌ ضيِّقة متفرِّقةٌ. وأراها من باب الإبدال، كأنّها مدارب، مشتقة من الدَّرْب. وقولهم في الطُرْطُبّ، إنَّه الثّدي المسترخي، والطّرب مُعجمياً: حركة المد والرّجوع للصوت وتحسينه، وخصّ لطرد الحزن، كما في قول الكميت:

ولم تُلهني دارٌ ولا رسمُ منزلٍ ولم يتطرّبني بَنانٌ مُخضّبُ

وقيل: هو في شدّة الهم، كما في قول النّابغة الجعدي:

وأُراني طَرِباً في إثْرِهِمْ طرَبَ الواله أو كالمُخْتَبَلْ

(١) ابن عمّار: أبو بكر محمد بن عمّار بن الحسين المهدي، أندلسي من شلب، وقد لقي حظوة ومهلكة على يدي المعتمد بن عبّاد قبل ولاية ملك إشبيلية، (٤٢٢-٤٧٩هـ، ١٠٣١-١٠٨٦م).

استخلاص النّتيجة بمعيار العقل

نستدل ممّا سبق أنّ حركة حرف الطّاء تفيد الضّخامة والتّضخّم، وهو صورة عن تضخيم حرف التّاء كصوت وإن ألحقته بحرف ءَاخر استبطنته وطوته في فراغها. لكن هذه الضّخامة باطنية بخلاف حرف الظّاء. ويلاحظ عند دخول حرف الفاء، كما في شفط، يعني تفريغ الزّيادة.

وصَفُ حرف الطّاء عند ابن عربي[1] تأويلي لا يساعدنا على مقاربة المعنى الدّلالي، إذ هو عنده من عالم المُلك والجبروت، له غايته الطّريق، وسلطانه في الجماد وله الأعراف.

في الطاء خمسة أسرار مخبأة — منها: حقيقة عين المُلك في المَلك
والحق في الخلق والأسرارُ نائبةٌ — والنورُ في النّار والإنسانُ في المَلَك
فهذه خمسةٌ مهما كلفْتَ بها — علمتَ أنّ وجود الفُلْك في الفَلك.

يدلُ حرف الطّاء عند الشّيخ العلايلي: «*على الملكة في الصِّفة وعلى الالتواء والانكسار*.»[2] هنا الوصف غير مُحدّد لمعرفة علاقته بالحروف الأخرى. وعند حسن عبّاس: «*صوت هذا الحرف، إنّما هو تفخيم للتاء الرّقيقة. وعندما ينفخ في الرّقيق ويضخّم، لا بدّ أن نحصل منه على ما هو مجوّف كالطّبل..*»[3] يهمّنا مما أشار إليه هو وصفه بالمجوف والمضخم.

يدل عند إياد الحصني: «*على معنى الضّخامة والتضخّم، وهو مأخوذ من طريقة لفظه، فهو تضخيم حرف التّاء. كما في طول، مط، بطن، طيز، طم.. إلخ.*»[4]
و عند محمد عقل: «*طث، حية، وطط، طي، رسم على طبقتين، هكذا: Ш .*»[5] تحوّل إلى الأفقية بأن تحرّر خطه على فوق.

---

(١) **الفتوحات المكيّة**، م. س. السفر الأوّل ص. ٣٠٩.

(٢) العلايلي، **مُقدّمة لدرس لُغة العرب، وكيف نصنع المعجم الجديد**، م. س. ص. ٢١٣.

(٣) عبّاس، حسن، **خصائص الحروف العربية ومعانيها**، م. س. ص. ١١٨-١١٩.

(٤) الحصني، إياد، **معاني الأحرف العربيّة**، م. س. ص ٥١.

(٥) عقل، محمد، **ابجديّة القرءَان من مملكة سبأ**، م. س. ص. ٤٧.

الحروف الّتي لا تلحق بحرف الطّاء هي: الذّال والصّاد والضّاد والظّاء والكاف؛ فالبروز الحسّي تطويه الطّاء ولا تظهره، والطّاء لا تقرب الصّاد الّتي تصد طموح استيعابها، والضّاد الّتي لا تسمح لها بالتطاول، والتعاظم بالظاء يتناقض مع الاستيعاب بالفراغ، والكاف في تكتلها تحدّ من تضخّم الطّاء.

حرف الياء

ياء+ ألف المد+ همزة

المسمّى الأبجدي المتعارف عليه للحرف: ي-ا-ء

مخرج حرف الياء: شجرية هاوية من وسط اللّسان وبينه وبين وسط الحنك، تقرع من بين الحنكين.

ترتيب نشأة الحرف: الياء الحرف هو العاشر في ترتيب الأبجديّة العربيّة، والثّامن والعشرون في الترتيب الهجائيّ العربيّ. يساوي عددياً الرّقم (١٠) في حساب الجُمَّل. وفي الترتيب الصّوتيّ القديم، هو الحرف الثّامن والعشرون عند الخليل، والعشرون عند ابن جنّي، أمّا في الترتيب الصّوتي الحديث، فهو الحرف العشرون عند علماء الصّوتيات، في كثير من البلاد العربيّة. وبعض القدماء يعدّون الياء الحرف التاسع والعشرين في الترتيب الصّوتي، بعد عدّ الألف حرفاً يوضع بين الواو والياء.

سبب حدوث الياء: يُنطَقُ باتخاذ الأعضاء وضع نطق الكسرة، ثُمّ تترك هذا الوضع إلى حركة أخرى بسرعة ملحوظة. ويتجه وسط اللّسان نحو الحنك الأعلى وتنفرج الشّفتان ويسد الطّريق إلى الأنف. ورد عند ابن سينا، ***«وأمّا الياء الصّامتة فإنّها تحدث حيث تحدث السّين والزاي، ولكن بضغط وحفزٍ للهواء ضعيف لا يبلّ أن يُحدثَ صفيرا». وأمّا الياء المصوّتة وأختها الكَسرة، فأظن أنّ مخرجهما مع إطلاقَ الهواء مع أدنى تضيق للمخرج وميل به سلس إلى أسفل، وأعلم يقيناً أنّ الياء المصوّتة تقع في ضعف أو أضعاف الكسرة.»***[1]

---

(١) إبن سينا، م. س. ص. ٨٤.

الصّفات الصّوتية: الياء صوت انزلاقيّ مجهور حنكي. والياء من الحروف القمريّة؛ تظهر معه لام (أل) التعريف نُطقاً وكتابة، مثل: أليَمّ.

الاستخدامات الصّرفية: الياء من حروف التصريف. يكون في المثال اليائي، مثل: يَبسَ، والأجوف اليائي، مثل: يبيع، والنّاقص اليائيّ، مثل: هويَ، وزائداً مثل: عنِيف، ومقلوبا مثل: ميزان. ويعلُ الياء بالقلب والحذف والتسكين، فيقلب واواً في مثل: يوسر، شروى، طوبى، وأصلها: ييسر، شريا، طيبى. ويقلب همزة في مثل: بناء وأصلها: بناي. يقلب تاء في أوزان الافتعال مثل: اتسر، وأصلها: ايتسر. ويحذف في مثل: بع وأصلها بيع، واقْضِ، وأصلها: اقْضي، (فعل أمر). يسكّن الياء في مثل: يبيع، وأصله: يَبيعُ، بنقل حركته إلى ما قبلها.

الاستخدامات النّحوية: تردُ الياء ضميراً للمخاطبة في الأفعال الخمسة، مثل: تكتبين، اكتبي، وضميراً للمتكلم مثل: أكرمني. وهي علامة نصب فرعية في المثنى مثل: رأيت الولدين، وفي جمع المُذكّر السّالم مثل: رأيت القادمين، وعلامة جر في المثّى وفي جمع المُذكر السّالم وفي الأسماء الخمسة مثل: نظرت إلى الولدين، وإلى القادمين، وإلى أبيك.[1]

الصّفات الكتابيّة: حرف الياء من الحروف المعجمة (المنقوطة) بنقطتين أسفله للتفريق بينه وبين الألف المرسومة ياءً في الأفعال النّاقصة الماضية والمضارعة، مثل: سعى: يسعى. وقد أهملت كتابة هاتين النّقطتين في كثير من الأقطار العربيّة، وتمسّكت بها أقطار أخرى. وفي خط النّسخ العربي يكتب الياء مُفرداً هكذا: ي كما في: يدي، ومتصلاً بما قبله هكذا: ـي كما في: يمشي، ومتصلاً بما بعده هكذا: يـ كما في: يعد، ومتصلاً بما قبله وما بعده هكذا: ـيـ كما في: جيد.

دلالة الاسم من خلال حروفه

– الياء: حرف حركي مُتَعلّق بالزّمن.

---

(١) الحروف العربية؛ الأبجديّة؛ الألفباء. الموسوعة العربية العالمية، مج ١/.

- ألف المد: التّأليف من خلال تعامد حركته بين الزّمان والمكان لإنتاج وجود.
- الهمزة: تؤكّد الحضور لملاقاة مطلب الياء عند البدء في (أيا) والتّوقّف في (ياء). فهي بعد أن توصل الحركة ترجع إلى موقعها وبسرعة.

تسلسل (ي-ا-ء): هنا حركة استيعاب منفتحة على زمن غير مُحدّد، ومكان غير مُعيّن، بفعل قوّة الاستمرارية في ألف المد. الياء على عكس حركة الواو المحدّدة بالمكان، هي محور زماني تنتقل عبرها وبها الحركات. وإذا استخدمت الألف لولوج بابي الزّمان والمكان، تحوّلت إلى أداة استقطاب ونداء. نستدل من تناقض أو تآلف في ترتيب حروف مسمّى الياء، أنّ الحركة الزّمانيّة تسعى لولوج الزّمان والمكان واسترجاع قواها بالهمزة. إن لم تنته بالهمزة، كما في (ي-ا) فألف المد تتابع بالفتحة المتكرّرة ولوج الزّمكان بلا توقّف، بما يفيد النّداء. إن عكس التّسلسل وابتدأت بالهمزة كما في أيّ (ء-ا-ي) فتفيد الاستدراك.

استطلاع متغيّرات اقترانات حرف الياء بصفته متبوعاً وتابعاً ومخترقاً

الاقتران الثّنائيّ الّذي يبتدئ به حرف الياء بصفته متبوعاً:

ي-ب: دلالة اتجاه المعنى لهذا الاقتران ظاهراً: الخراب، وباطناً: القوّة الكامنة. بهذا الانبثاق انفتحت الياء وفتحت المجال على جميع الحركات، ووجودها صار مُشاراً إليه فقط، فهي غير منظورة ولا ملاحظة. ولو رجعتَ للباء لوجدتَ الانبثاق يمثّل انفجاراً يحدث أيضاً من نقطة غير منظورة، فيكونُ حركةً عنيفةً بسرعة فائقة. في معجم مقاييس اللّغة: الياء والباء كلمة واحدة وهي اليَبابُ، إتْباع للخراب، وربّما أفردُوها فقال الكميت:

أخْبَرَتْ عن فعاله الأرضُ واستَنْـ ... ـطَقَ منها اليَبَابَ والمعمورا

وصف الأرض اليَباب بالخراب والخالية، إنّما وفق المعنى الحركيّ فيها قوّة كامنة، بملازمة باء الإنبثاق لياء الزّمان.

ي-م: هنا انفتاح على الممكنات وتكامل مبنيٌ عليه. فهذه الحركة ضخمةٌ وواسعةٌ جداً وحاويةٌ على ممكنات كثيرة، اكتملت حركتُها بالميم. وهو اسم للبحر ولكن يبدو أنّه مُحدّد بالبحر الشّديد الحيويّة المليء بالحركة. في معجم مقاييس اللّغة، الياء والميم: كلمةٌ تدلُ على قَصْد الشيء وتعمُده وقصده. ومنه قوله تعالى: ﴿..فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً..﴾ النساء ٤٣، المائدة ٦. قال الفراهيدي: يقال تَيمَّمْتُ فلاناً بسَهمي ورُمْحي، إذا قَصَدته دون مَنْ سواه. قال عامر بن مالك مُلاعب الأسنة[1]:

يَمَّمْته الرُمْحَ شَزْراً ثمّ قلتُ له   هذي البَسالَةُ لا لِعْبُ الزّحاليقِ

قال اللّواح[2]:

كأنّما الأفقُ يَمٌ ظلَّ مُضطَرِباً   حيثُ الشّمال بكفّيها تصافقُه

ي-د: الحركة العامّة تفيد معنى القوّة المتعدّدة الأغراض، والمتعدّدة الانفتاح بالأصل بحركة الفتحة الزّمكانيّة. وأصلها مستمرٌ بالياء، وغرضها مُتعدّد باندفاع الدّال ودلالته الّذي لم يأت بعده صوت. وقد استعملت استعمالات عديدةً لا تخرج عن هذه الحركة كما سيتضح لاحقاً. وفي قول عَنْترة:

سقى اللّهُ عَمّي من يَدِ الموتِ جَرعَةً   وشُلّت يداهُ بعد قطعِ الأصابعِ

تسلسل (ي-ب) تابعاً:

ع-ي-ب: عين المعاينة لكشف المُبهم واتضاحه في متابعة زمانيّة بالياء وتوجّه انبثاقي بالباء. هنا الانبثاق جاء بعد تسلسل (ع-ي)، وهي حركة غير مدعومة ولا متوسّطة ولا موصولة بحركة أخرى، جعلت الباء في تسلسل (ع-ي-ب)، التّوصّل إلى نتيجة غير محدّدة بدقّة وفيها تسرّع انبثاقيّ. العي في المعاجم: العجز والإعياء، ومن يتكلّف عملاً فيعيا به وعنه إذا لم يهتد لوجهته. والعي كذلك: خلاف البيان والوضوح. العيب: الوصمة في الشّيء أو

---

(١) مُلاعب الأسنة: عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب، تنازع الزعامة مع علقمة بن علاثة، تفاصيل قصة هذا البيت في ديوان المعاني، (ج ١، ص ٧١)، أنظر كذلك عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر العامري، من بني صعصعة، فارس قومه وأحد فتّاك العرب، نشأ بنجد، (٧٠ق.هـ -١١هـ، -٥٥٤-٦٣٢م)

(٢) اللّواح: سالم بن غسان بن راشد بن عبد الله بن علي الخروصي، وخروص مولده بجانب الجبل الأخضر، (٨٦٣-٩٢٠هـ، ١٤٥٧-١٥١٤م).

العمل. وفي التّنزيل: ﴿أمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُ أَنْ أَعِيبَهَا ..﴾ الكهف٧٩. والعيب: الصدر يخفي في الإنسان أسراره، وربّما هو من ألعُب. وفي قول إبراهيم طوقان[1] في وصف الفدائي:

قُلْ لمن عابَ صمتَه   خُلقَ الحزمُ أبكما

في تاج العروس: العَيْبُ والعَيْبَةُ والعَابُ: الوَصْمَةُ. قال الشّاعر:

أنَا الرَّجُلُ الَّذي قد عِبْتُمُوهُ   وما فيه لعَيَّابٍ مَعَابُ

والعَيْبَةُ: زَبِيلٌ مِنْ أَدَم، مُحَرَّكة يُنْقَل فيه الزرْعُ المحْصُودُ إلى الجُرْن، في لغة هَمْدَان. والعَيْبَةُ: من الرَّجُل هو مَوْضِعُ سرِّه، على المَثَل. والعيابُ: الصُدُور والقُلوبُ، كنَايَةٌ؛ أي أنّ العرب تَكْني عن الصُدُور والقُلُوب التي تَحْتَوي على الضَّمَائر المُخْفَاة بالعياب، وذلك أنَّ الرّجلَ إنَّمَا يَضَعُ في عَيْبَته حُرَّ مَتَاعه وثِيَابه، وَيَكْتُم في صدره أخصَّ أسراره الّتي لا يُحبّ شُيوعَها، فسُمِّيت الصدُورُ عِيَاباً تَشْبيهاً بعِيَاب الثِّيَاب. ومنه قولُ الكميت:

وكادَتْ عِيابُ الوُدِّ مِنَّا ومنْكُمُ   وإنْ قيلَ أبنَاءُ العُمُومَة تَصْفَرُ

من المناسب مقاربة جدليّة هذا التسلسل بنقيضه (ب-ي-ع).

ج-ي-ب: حركة الجيم تتابع من خلال الياء الزّمانيّة الضّغط على الباء لفتح المجال لدمج وجمع المستجدّات، فأوْلَت باء الانبثاق هنا مُلاحقة زمن الدّمج، لكن حيّز المكان الّذي استتجدت به الحركة هو محدود وغير واضح وهو سبب الضغط. في معجم مقاييس اللّغة تسلسل: الجيم والياء والباء أصلٌ يجوز أن يكون من باب الإبدال. فالجَيْبُ جَيب القميص. يقال جبْتُ القميص قوّرت جَيْبه، وجَيَّبْتُه جعلت له جَيباً. وهذا يدلُ أنّ أصله واو، وهو بمعنى خَرَقْتُ. ومُعجمياً، جاب يجوب جيباً، فجيب الأرض: مدخلها. وفي التّنزيل: ﴿..وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ..﴾ النور٣١. قال طَرَفة:

رحيبٌ قِطابُ الجَيب منها رقيقةٌ   بجَسِّ الندامى، بضّةُ المُتجرّدِ

تسلسل (ي-ب) متبوعاً:

---

(١) إبراهيم طوقان: إبراهيم عبد الفتّاح طوقان، شاعر نابلس- فلسطين، تميّز شعره بالغزل والوطنية، (١٣٢٣-١٣٦٠هـ، ١٩٠٥-١٩٤١م).

ي-ب-س: حركة السّين تحافظ على القوّة الكامنة في اليَب واليَباب من خلال ترتيب وبسط نفوذ مُهيمن، ومظهرها هنا وفْقاً للمعنى المُعجمي، اليابس: ما كان رطباً وصار يباباً؛ أي جفّ. وفي معجم مقاييس اللّغة تسلسل، الياء والباء والسّين: أصلٌ صحيح يدلُ على جفاف. يقال: يَبِس الشّيءُ يَيْبَس ويَيْبِس. واليَبْس: يابس النَّبت. قال ابن السُّكّيت: هو جمع يابس. واليَبَس بفتح الباء: المكان يفارقه الماء فيَيْبَس. ويقال يَبِسَت الأرضُ: ذَهَبَ ماؤها ونَداها؛ وأيْبَسَتْ: كَثُر يَبْسها. وقال الشَّيبانيّ: امرأة يَبَسٌ، إذا لم تَنَلْ خيراً. ويَبيس الماء: العَرَقُ إذا يَبِس. والأيْبَسان: ما لا لحمَ عليه من السَّاق والكَعْب. وفي قول المُتنبّي:

يبسَ النَّجيعُ وهو مُجرَّدُ ... من غمدِه وكأنَّما هو مُغمَدُ

تسلسل (ي-ب)، مخترقاً:

ي-ل-ب: حركة الزّمان بالياء في توجّه لنسج تلاحميّ مفتوح لها المجال بحركة الانبثاق، في معجم مقاييس اللّغة تسلسل: الياء واللّام والباء: كلمةٌ واحدة قد اختُلفَ في معناها. وهي اليَلَبُ، قال قومٌ: اليَلَب: البيْضُ من جُلودِ الإبل. وقال قومٌ: اليَلَب: التُّرْس. وقال الخليل: اليَلَب: الفُولاذ. قال الشّاعر:

عَليْهمْ كلُّ سابغَةٍ دِلاصٍ ... وفي أيديهم اليَلَبُ المُدَارُ

قال عمرو بن كلثوم(1):

عَلَينا البيضُ واليَلَبُ اليَماني ... وأسيافٌ يَقُمنَ وينحنينا.

تسلسل (ي-م)، مُخترقاً:

ي-و-م: الياء ديمومة زمانية، والواو تموضع في حيّز مكاني، والميم تكامل. فتموضع ديمومة الحركة المُنفتحة قد تكاملت بإتمام ما ينقُصها، ليعطي معنى المكانيّة. فآلية إتمام العمل من طلوع الفجر إلى إتمام دورة كاملة، هو يوم، قال عمرو ابن كلثوم:

وَأَيَّامٍ لَنَا غُرٍّ طِوَالٍ ... عَصَيْنَا المَلِكَ فِيهَا أَنْ نَدِينَا

---

(1) عمرو بن كلثوم: عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتّاب، من بني تغلب، وهو من فحول الدرجة الأولى ومن أصحاب المعلّقات، (؟-٣٩هـ. ؟-٥٨٤م).

ك-ي-د: أضفنا هنا حرفاً بادئاً على تسلسل (ي-د)، الكاف وقد فرزت المتآلفات وتحرّكت كتلتها مسابقة الزّمن بالياء، ومندفعة بالدّال، فسرعتها هي لمقابلة ومواجهة خطرة. الكَيْدُ في تاج العروس: المَكْرُ والخُبْثُ، كالمَكيدَة، وظاهرُ الكلام أنْ الكَيْدَ والمَكْرَ مُترادفان، وقد فَرَّق بينهما بعضُ فُقَهَاء اللُّغَة، فقال: الكَيْدُ: المَضَرَّة، والمَكْرُ: إخفاءُ الكَيْد وإيصالُ المَضَرَّة. قيل: الكَيْدُ: الأخْذُ على خَفَاء، ولا يُعْتَبر فيه إظهارُ، وفي التّنزيل: ﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى﴾ طه٦٠، وهو مطابق تماماً لسلوك الحركة، وهو خلاَف ما أبْطَنَه، ويُعْتَبر ذالك في المَكْر، وقيل: الكَيْدُ: الحيلَةُ، وبه فُسّر قَولُه تعالى: ﴿...فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا..﴾ يوسف ٥. كلّ شيْء تُعالجه فأنت تَكيدُه. والكَيْد: الاحتيالُ والاجتهاد، وبه سُمِّيت الحَرْبُ كَيْداً، قال جرير:

إذا جمعَ الأعداءُ أمرَ مَكيدَةٍ لِغدرٍ كفاك اللّهُ كيدَ المُكايدِ

ح-ي-د: هنا الحرف البادئ هو حاء التعاظم، فالاندفاع مستمر زمناً وفي تمادي داخليّ ومفتوح للتصادم مع الخارج. في المعاجم: الحيد، ما شخص من الجبل والموج، كالحيد البحريّ، والضلع شديد الاعوجاج. وحاد عنه: مال، وحيّده: أبعده. وفي معجم مقاييس اللّغة تسلسل: الحاء والياء والدّال أصلٌ واحد، وهو المَيْل والعُدول عن طريق الاستواء. يقال حادَ عن الشيء يَحيدُ حَيْدَةً وحُيوداً. والحَيُودُ: الّذي يَحيد كثيراً. وفي التّنزيل: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ ق١٩، قال الهذلي:

أو أصْحَمَ حامٍ جَرَاميزَهُ حَزَابيةٍ حَيَدَى بالدِّحال

الحَيْد: النادر من الجَبَل، والجمع حُيُودٌ وأحياد. والحُيُود: حُيود قَرْن الظَّبي، وهي العُقَد فيه. وفي قول ابن أبي البشر[1]:

فوَلّوا فِراراً والرِّماحُ تنوشُهم لهم حَيَدٌ عن وقعِها ونِفارُ

استخلاص النّتيجة بمعيار العقل

---

(١) ابن أبي البشر: علي بن عبد الرحمن بن أبي البشر الكاتب الصقلي الأنصاري، هاجر منها بعد احتلال النورمنديين لها. (؟-٤٦٥هـ، ؟-١٠٧٢م).

نستخلصُ أنّ حرف الياء يمثّل كما قال عالم سُبيط النّيليّ: ***«ديمومة الحركة على ما هي عليه في الزّمان، وإنّ عدم التّغيير خلال الزّمان هو بحركة الياء، كما بفعل المضارعة، والانتساب بفعل إكساب الاستمرارية لما يبدأ به أو ينتهي إليه. فالياء يمثّل قوّة الاستمرارية وقانونها وبيان آليتها.»*** [1] كما في الاستخدامات التالية الّتي أشار إليها عالم سُبيط النّيليّ أيضاً:

- للمضارعة: (يعمل، يكتب، يقاوم، يداوم...) كون حركة الياء تعبّر عن الاستمراريّة والدّيمومة، فقد جعلت حركة الأفعال تشير إلى زمنها الحاضر، لتشير إلى استمرار الحركة في الزّمن المنظور. وفي تخصيصها للغائب، إضمار بين المتخاطبين لعلاقاتهما معا بالزّمن الحاضر، وفي حلول التّاء محل الياء في حال المخاطب، مثل: (تعمل، تكتب، تقاوم..) فالجهد أيضاً ملاحظٌ أمام المُتَخاطبَيْن.
- ياء المتكلم: (كتابي، دوامي..)، فهي لإثبات استمرار العلاقة بين المتكلم والحركة أو مادتها. فالزّمان مفتوح ومستمر بهذه العلاقة، فإن انتهت، انسحبت الياء، فصار القول: (كتاب، عمل، دوام..).
- ياء النّسب: مثل (مصري، لبناني،..) هنا تشير الياء إلى أنّ الترابط الزّمنيّ دائم ومستمر مادام الشخص المعني لم يتنازل عن جنسيّته إلى أخرى.
- ياء الاختصاص: تشير الياء إلى الارتباط الدّائم زماناً بين الشّيء والشّيء الآخر، كالقول: طبيب نسائيّ، بيطريّ، عمل تعاونيّ... إلخ.

لاحظنا ممّا سبق، أنّ حركة الياء تعمل نفس العمل في كافّة التسلسلات، مثلها مثل أيِّ صوتٍ آخرٍ. والمعاني المتعدّدة الّتي وضعت لها كانت معاني التراكيب الّتي دخلتها، والمشتقّات التي أضيف عليها فَحرّكَتها، ولم تكن معاني صوت حرف الياء نفسه.

حرف الياء عند ابن عربي،[2] من عالم الشّهادة والجبروت، له الغاية والمرتبة السّابعة، له الحقائق والمقامات والمُنازلات، له من الحروف الألف والهمزة.

---

(١) اللّغة الموحّدة، م. س. ص.ص ٤١٥-٤٢٤. بتصرف.

(٢) محي الدين ابن عربي- **الفتوحات المكية**، ج٦ من الكتاب الأوّل ص ٣٠٦.

ياءُ الرّسالة حرف في الثّرى ظهرا	كالواو في العالم العلوي مُعتَمرا
فهو المُمدُ جسوماً ما لها ظُلَلٌ	وهو المُمدُ قلوباً عانقت صُوَرا
إذا أراد يناجيكم بحكمته	يتلوا فيَسمُ سرَّ الأحرف السُورا

لا قبل لنا لتفسير وتأويل هذا الوصف للاستعانة بعلاقة الياء في تكوين الكَلام. ويدلُ حرف الياء عند الشيخ العلايليّ: ***«على الانفعال المُؤثّر في البواطن».***[1] الوصفُ هنا لا يفصح عن سلوك الحرف مع الحروف الأخرى. وعند زكي الأرسوزي، ***«تفيد حركة الياء الاستقرار للحالة.»***[2] ربّما يمكن استعارة مفهوم الاستقرار من خلال المتابعة الزّمانيّة لسلوك الياء. وعند حسن عبّاس صوت بصري، كأنّه يصعد من حفرة بشيء من المشقّة والجهد، مستنتجاً أنّ الأفعال التي تبدأ بهذا الحرف معظمها من الأفعال اللّازمة. وأنّ إيحاءات صوت الياء يحدّده الموقع تبعاً لحركتها وحركة ما قبلها كما يلي: ***«إذا كانت متحركة بالفتح وما قبلها فتحة أخذ صوت الياء صورة المطبّ الهوائيّ الصّغير يعترض مسار طائرة: طيران. حيدان. غثيان. أمّا إذا كانت الياء ساكنة وما قبلها متحرك بالفتح، فان صوتها يأخذ صورة الحفرة أو حفنة اليد. وهو يصلح أن يكون مقرا للمعنى، على مثال ما تصلح الحفرة على سطح الأرض أو في باطن اليد أن تكون مقراً ومستقراً للماء أو الأشياء: بَيّت. عَيّب. وإذا تحرك ما قبل الياء السّاكنة بالكسر، فإنّها تعطينا صورة الحفرة العميقة والوادي السحيق (كريم، فهيم. فقيه. نبيء. لئيم)، لتشف الياء في هذه الحالة عمّا في صميم الإنسان أو الأشياء من الخصائص المتأصلة فيها. والياء في مختلف وظائفها الصّرفية، سواء بإلحاقها بالمثنّى أو جمع المذكر السّالم في حالتي النّصب والجر، لا تخرج في إيحاءاتها عما ذُكر عنها من حيث استكانة هذه الأسماء في حفرها الصّوتية لفعل الاعتداء.»***[3] ليس فيما قاله عباس ما يساعدنا على استشفاف معنى حركتها في سياق تركيب الكَلام.

---

(١) العلايلي عبد الله: **مُقدّمة لدرس لُغة العرب**، وكيف نصنع المعجم الجديد، م. س. ص. ٣١٤.

(٢) الأرسوزيّ، زكي نجيب، **المؤلّفات الكاملة**، م. س. ص ١٦٠. بتصرف.

(٣) عبّاس، حسن: **خصائص الحروف العربية ومعانيها**، م. س. ص. ٩٨-٩٩.

صورة حرف الياء عند محمد عقل: ***«يود، يد رسمت دائرة صغيرة مع الساّعد، هكذا: ۹ والدّائرة هي رقم عشرة في الخط المسند لحساب الجمّل، وهذا يعكس جذور حساب الجُمّل أهمّية المسند العربيّ ومعطياته.»***[1] بقيت اليد عند التحوّل الأفقي وانفتحت حلقتها للإتصال.

حرف الياء من صيغ الألف، وهو من ضرورات الحركة الزّمانيّة لبقية الحروف، فلا يستغنى عنه لا بصفته حرفاً أصيلاً في اللّفظ أو حرفاً بدلالة الإنشاء والتّكوين الزّمني، كما أشرنا سابقاً.

---

(١) عقل، محمد، **ابجديّة القرءَان من مملكة سبأ**، م. س. ص ص. ٤٧-٤٨.

حرف الكاف

كاف+ ألف المد+ فاء

المُسمّى الأبجديّ المتعارف عليه للحرف: ك-ا-ف

المخرج: عُكدة[1] اللّسان وبين اللّهاة في أقصى الفم.

ترتيب نشأة الحرف: الكاف هو الحرف الحادي عشر في ترتيب الأبجديّة العربيّة، والثاني والعشرون في الترتيب الهجائيّ العربيّ. يساوي عدديّاً الرّقم (٢٠) في حساب الجُمَّل. وفي الترتيب الصّوتيّ القديم هو الحرف السّابع عند الخليل بن أحمد، والثالث والعشرون عند ابن جنّي. أمّا في الترتيب الصّوتيّ الحديث، فيأتي في الترتيب الثالث والعشرين عند أغلب علماء الصّوتيّات المعاصرين.

سبب حدوثه: يخرج صوت الكاف من أقصى الحنك، برفع أقصى اللّسان تجاه أقصى الحنك الأعلى (الحنك اللّين) والتصاقه به مع ارتفاع أقصى الحنك الأعلى نفسه، ليسد مجرى الهواء من الأنف، ثُمّ يضغط الهواء مدّة من الزّمن، ثُمّ يُفتح المجرى الهوائيّ، فيَحدُث انفجار. ولا تتذبذب الأوتار الصّوتيّة عند نُطق الكاف. ورد عند إبن سينا، «***وأمّا الكاف فإنّها تحدث حيث تحدث الغين، وبمثل سببه، إلّا أنّ حبسه حبس تام، ونسبة الكاف إلى الغين هي نسبة القاف إلى الخاء.***»[2]

الصّفات الصّوتيّة: الكاف صوت انفجاريّ مهموس وهو من الحروف القمريّة؛ تظهر معه لام (أل) التعريف نُطقًا وكتابة، مثل: ألكتاب.

---

(١) الْعُكْدَة بالضمّ وبالتّحْريك: أصلُ اللّسانِ والذَّنَب وعُقْدَتُه، والجمْع: عُكَدٌ. وعَكَدٌ. وقيل: عَكَدَة اللّسَانِ: مُعْظَمُه وقيل: وسَطُه تاج العروس من جواهر القاموس، مج ٨، ص. ٤٠٤.

(٢) إبن سينا، م. س. ص ٧٤.

الاستخدامات النّحويّة: حرف الكاف من حروف المعاني العاملة للجر في مثل: عليٌ كالأسد، ويفيد التشبيه في مثل: تضحك هند عن أسنان كالبَرَد؛ أي مثل: البَرد. ويرد ضميراً منصوباً أو مجروراً في مثل: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ الضحى٣. ويرد حرف خطاب مع إسم الإشارة مثل: ذلك هو هَمّي، ويلحق الضّمير المنفصل للنصب: إيّاك، وبعض أسماء الأفعال مثل: دُونَكَ القلم.[1]

الصّفات الكتابيّة: حرف الكاف من الحروف المهملة (غير المنقوطة)، ويكتب في خط النّسخ مُفرَداً هكذا: ك، في مثل تحرك، ومتصلاً بما قبله هكذا: ـك في مثل: ملك ومتصلاً بما بعده هكذا: كـ، في مثل: كتب ومتصلاً بما قبله وما بعده هكذا: ـكـ، في مثل: حكم.

دلالة الاسم من خلال حروفه

- كاف: الكاف يكفّ عن التّمادي.
- ألف المد: التّأليف من خلال تعامد حركته بين الزّمان والمكان لإنتاج وجود.
- الفاء: فصل وتفريق.

ما نستدل به من تناقض أو تآلف في ترتيب حروف مُسمّى الكاف هو أنّ تسلسل (ك-ف) يفيد منع التّمادي، بينما إذا عكس إلى (ف-ك) أفاد فصل المتكتّل.

تسلسل الكاف: لماذا استخدم مسمّى الكاف، مثله مثل القاف، حرف الفاء ليدل على توجّهه. ألا من علاقة بين هذه الحروف لتدلنا على مسمّياتها. أظهرت الفاء في مسمّى ألف التأليف التناقض بين التلاحم المتمادي والفصل. فألف المد هنا متوسّطة بين كلٌ من الكاف والقاف وبين الفاء. كما نجد تقارباً بين القاف والكاف على اعتبار أنّ القوّة والتكتل يمثلان الممانعة ونقيضهما هو التفريق. أعطت لنا حركة الفاء دَليلاً على أنّ القوّة والتّكتل تتناقضان مع الفصل الّذي يحدّ من تماديهما.

---

(١) الحروف العربيّة، الأبجديّة، الألفباء. الموسوعة العربيّة العالمية، مج ١.

استطلاع متغيّرات اقترانات حرف الكاف بصفته كمتبوعٍ وتابعٍ ومُخترقٍ

نموذج عن الاقتران الثّنائيّ الّذي يبتدئ به حرف الكاف بصفته متبوعاً:

ك-ن: دلالة اتجاه المعنى لهذا الاقتران، ظاهراً: هدأ، وباطناً: أخفى. وإذ الكاف تكتّل المتآلفات، والنّون حركة إنشاء مستمرّ، فالتّوجّه حركة تكتّل مستمر للمتآلفات. كَنَّ الشيءَ يَكُنُه كَنّاً وكُنوناً وأكَنَّه وكَنَّنَه في المعاجم: ستره وكَنَّ الشيءَ في صدره يَكُنُه كَنّاً وأكَنَّه واكْتَنَّه؛ كذلك وكَنَّ أمْرَه عنه كَنّاً أخفاه واستَكَنَّ الشيءُ استتَر، قالت الخنساء[1]:

ولم يتَنوَّرْ نارَه الضيفُ مَوْهِناً ... إلى عَلَمٍ لا يستَكِنُ من السَّفْر

كَنّ أيضا: نشأ واستقر به المقام، فما تزحزح، وهدأ بعد قلق واضطراب؛ والكانون الموقد تكنّ النّار فيه، ويكنّون حوله في الشّتاء، وفي التّنزيل: ﴿..وَجَعَلَ لَكُم منَ الْجِبَالِ أَكْنَاناً..﴾ النحل٨١، ﴿..أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ..﴾ البقرة٢٣٥. قال التّهامي[2]:

وجَلَونَ من خَلَلِ البراقِعِ أوجُهاً ... كالوَرد بين أكنَّة الأكمام

كُن: بالضّم، وكون، هي بصيغة الواو المكانيّة، لإبراز الحيّز المكانيّ للتوجّه الإنشائيّ. في التّنزيل: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ يس٨٢. قال عنترة:

وإذا بُليتَ بظالمٍ كُنْ ظالماً ... وإذا لَقيتَ ذَوي الجَهالة فاجهَلي

والكُنَّةُ، بالضَّمّ: جَناحٌ يَخْرُجُ من حائط وشبْهه، أو هي سَقيفَةٌ تُشْرَعُ فَوْقَ باب الدّار، أو ظُلَّةٌ تكونُ هنالكَ؛ أو مَخْدَعٌ، أو رَفٌّ يُشْرَعُ في البَيْت، أو كالصُفَّة بينَ يَدَي البَيْتِ؛ جمعها كِنانٌ، بالكسْر، وكُنَّاتٌ، بالضمّ.

---

(١) الخنساء: تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد، من قيس عيلان مضر، اشهر شواعر العرب، كان أشهر شعرها رثاء أخويها صخر ومعاوية، وردت على الرسول مع قومها بني سليمن فاسلمت، وكان لها أربع بنين استشهدوا في القادسية، (؟-٢٤هـ، ؟-٦٤٤م).

(٢) التهامي: أبو الحسن علي بن محمد بن فهد التهامي، من كبار شعراء العرب، أصله من اليمن، سكن لاشام مدة، قصد العراق والتقي لاصاحب بن عباد، تقلّد الخطابة في جامع الرملة، كان من أعوان الوزير المغربي في الثورة على الفاطميين، فاستولى على أموال مصر، وغدر به بعض أعوانه، فسجن وقتل، (؟-٤١٦هـ، ؟-١٠٢٥م).

كِن: بحركة الكسرة، للدّلالة على متابعة زمانيّة لتكتيل المتشابهات. في المعاجم، كلُّ شيءٍ وَقَى شيئاً فهو كِنُه وكِنانُه، والفعل من ذلك كَنَنْتُ الشيء؛ أي جعلته في كِنٍّ، والكِنّة المرأة تُستر في رعاية أهل الزّوج. والكنانة جعبة السّهام. والكِنُّ أيضاً البيت والجمع أكْنانٌ. الاستخدامات تظهر ملازمة انتسابية بين الكن ومتعلقه. وفي التنزيل: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ..﴾ الإسراء٤٦، ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ الصافات٤٩. قال ذو الإصبع العدواني[1]:

قد كُنتُ أُعطيكُمُ مالي وأمنَحُكُم   وُدّي على مُثبَتٍ في الصَّدرِ مكنون

في الاستدلال على الفرق بين كان وكون، يتضح أنَّ تسلسل (ك-ا-ن) تَكَتُّلٌ للمتآلفات زمكانيّ الإنشاء لتوسّط ألف التّأليف بين كاف التّكتُّل ونون الإنشاء المستمرّ، بينما تسلسل (ك-و-ن) تكتّل مكانيّ الإنشاء لتوسّط واو التّموضع.

ك-ف: دخول فاء الفصل لإيقاف عمل الكاف، على اسمها، كما بيّنا أعلاه، ما يدلُّ على أنّ حرف الكاف هو رابط تكتّلي للمتآلفات أثبت معناه اتصال اسمه زمكانيّاً بالفاء. في معجم مقاييس اللّغة تسلسل: الكاف والفاء أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على قبض وانقباض. من ذلك الكَفُّ للإنسان. سمِّيت بذلك لأنَّها تَقبض الشّيءَ، تقول: كففت فلاناً عن الأمر وكفكَفتُه. ويقال لرجل يَسأل النّاسَ: هو يَستكفُّ ويتكفَّف. هذا هو الأصل، ثمّ يَفرقون بين كلمات تختلف في بعض المعنَى والقياسُ واحد، فقيل: كلُّ ما استطالَ فهو كُفّة بضم الكاف، نحو كُفّة الثَّوب ونحوه وهو حاشيته، وإنّما قيل لها كفّة لأنَّها مكفوفة؛ وكذلك كُفّة الرَّمل. قال: وكلُّ ما استدارَ فهو كِفّة، نحو كفَّة الميزان وكِفَّة الصَّائد، وهي حبالتُه. والكلمتان وإن اختلفتا في الّذي قيل فقياسهما واحد. والمكفوف: الأعمى. فأمَّا الكفَف في الوَشْم، فهي داراتٌ تكون فيه. ويقال: استكفَّ القومُ حولَ الشيء، إذا دارُوا به ناظرينَ إليه. وعن ابن مقبل:

غدا وهو مجدولٌ فراحَ كَأَنّهُ   من الصَّكِّ والتقليب في الكفِّ أفطحُ
خروجٌ من الغمَّى إذا صُكَّ صكةً   بَدَا والعيونُ المستكفَّةُ تلمحُ

---

(١) ذو الأصبع العدواني: حرثان بن الحارث بن محرث بن ثعلبة، من قيس عيلان، كان فارسا وله غارات كثيرة، عمر طويلا حتى بلغ المائة والسبعين، (؟-٢١ق هـ، ؟-٦٠٢م).

ومعجمياً: كفْكَفَ الدّمع ارتد، وكافّة؛ أي كلّهم. وفي قول إبراهيم طوقان:

كَفْكِفْ دُموعَكَ ليس ينـ ـفَعُكَ البُكاءُ ولا العَويلُ

ك-م: هنا تُكتِّلُ الكاف المتشابهات، وتتابع الميم إتمام وتوفير مستلزمات الفرز والتكامل. هذان الحرفان متجسّدان في صورتهما الحركيّة بشكل كامل في وصف الثّمر، بلفظة (كم)، حيث تجتمع الأجزاء المتماثلة فقط، وتكتمل بالنّضوج، لتكوين الثّمرة. وعندما تكرّر ميم أخرى لوجود الشّدة على حرف الميم، يكون الأمر أكثر اكتمالاً. والآن تظهر دقّة الاستعمال القرءاني، حيث زاوج بين ذكْر الثّمرة وذكْر الأكمام في قوله: ﴿.. وَمَا تَخْرُجُ من ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا..﴾ فصلت٤٧. فالأكمام هنا ليست الأوعية والأغلفة مثل: غلاف طلع النّخيل، وإنّما هي حركةٌ عامةٌ جوهرية داخل النّبات لتكوين نسيج الثّمرة. وفي قول اللّواح:

وفيه فَتقُ أكمامِ النَّبات فَمِنْ قانٍ وأحوى ومأكولٍ وملموحِ

- إذا كان تسلسل (ك-ن)، تابعاً:

س-ك-ن: سكن في المعاجم: استقرَّ وهدأ، والسّكن الرّماد لأنّه سكون وانطفاء النّار. فدخول حركة سين الهيمنة وانسلالها لبسط النّفوذ، جعل حالة الكنكنة مسيطر عليها، مما يوحي باضطراب سبق ذلك. والسّكن والمساكن مكان الإقامة الدّائمة، وهو بعد الحركة في العمل. والمسكين لأنّه مُسيطر عليه الوهن والضّعف. وفي التّنزيل: ﴿..فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ..﴾ القصص٥٨، ﴿وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَناً..﴾ النحل٨٠، وفي قول مجنون ليلى:

ومَا حُبُّ الدّيار شَغلنَ قَلبي ولكن حُبُّ من سَكَنَ الدّيارا

ر-ك-ن: حركة التّكرار هي من وجّه كاف التّكتل للمتآلفات في تثبيت إنشائيّ بالنّون، فهي استقرار بعد طموح وجهد. ركَنَ إليه يَرْكُنُ وركَنَ يَرْكَنُ رُكوناً في المعاجم: مالَ إليه وسَكَنَ. وفي التّنزيل: ﴿وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ..﴾ هود١١٣. والرُكْنُ، بالضّمّ: الجانبُ الأقْوى من كلِّ شيءٍ، وقيل: الأَمْرُ العظيمُ، وبه فسَّرَ أبو الهَيْثَم قوْلَ النَّابغَة:

لا تَقْذفَنّي بركْنٍ لا كفاءَ له   وإن تأثفك الأعداء بالرّفد

الرُكْنُ: ما يُقَوَّى به من مَلك وجُنْد وغيره؛ وبذلكَ فُسِّر قوْلُه تعالَى: ﴿فَتَوَلَّى بِرُكْنِه وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ الذاريات٣٩، ودَليلُ ذلك قَوْله تعالَى: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ الذاريات٤٠، أي أخذْناه ورُكْنَه الذي تَوَلَّى به. والرُكْنُ: العزُ والمَنَعَةُ، وبه فُسِّرَت الآيَةُ: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ..﴾ هود٨٠. وقيلَ: رُكْنُ الإنْسان: قُوَّتُه وشدَّتُه؛ وكذلكَ رُكْنُ الجَبَلِ والقَصْرِ، وهو جانبُه. ورُكْنُ الرَّجل قوْمُه وعَدَدُه ومادَّتُه. يلاحظ أنّ حركة الضمّة على حرف الرّاء، قد ميّزت توجّه التكرار المنظم إلى التموضع في حيّزٍ مكانيٍ فيه تكتيل للمتآلفات إنشاءً وتكويناً، فرضت الخشية والتوقّعات التكرار لحاجة الكنكنة إلى الهدوء والطمأنينة. أمّا في الركْنُ، بالفتح: الجُرَذُ والفارُ كالرُكَيْن، وتَركَّنَ الرَّجُلُ: اشْتَدَّ وامْتَنَعَ؛ وأيْضاً: تَوَقَّرَ وتَرزَّنَ، ففيها متابعة زمانيّة للتكرار. قال الهبل:

لا كُنتُ إن مَلَكَ الغرامُ مَقادَتي   أو هَدَّ رُكنَ سَكينَتي وَوَقاري

- إذا كان تسلسل (ك-ن) متبوعاً:

ك-ن-ز: هنا أظهرت حركة زاء البروز الماديّ ما حاولت حركة التّكتل المنشأ كنّه وستره، وهو ظهور بعد إخفاء وستر. حركة الاكتناز تظهر امتلاء الجسم المكتنز لحماً، وكذلك الخزائن المكتنزة بالمال. في معجم مقاييس اللّغة، الكاف والنّون والزّاء أُصَيلٌ صحيح يدلُ على تجمُع في شيء. من ذلك ناقة كِنَازُ اللّحم، أي مجتمعة. وكَنَزت التَّمْرَ في وعائه أكنزُه. وكَنَزت الكنْزَ أكنزه. وفي التّنزيل: ﴿..وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا..﴾ الكهف٨٢، وقال أبو العتاهية:

رجُ العُقولَ الصّافياتِ فإنّها   كَنزُ الكُنوزِ ومعدنُ الإفضالِ

- إذا كان تسلسل (ك-ن)، مُختَرقاً:

ك-م-ن: توسّط ميم تكامل الحركة بإتمام ما ينقصها لملاقاة مطلب تكتّل المتآلفات بنون الإنشاء المستمرّ، فيه توجّه لتعزيز حركة التّكتّل في مسعاها لترتيب المتآلفات والتحكّم بحركة الإنشاء والتكوين. في معجم مقاييس اللّغة تسلسل: الكاف والميم والنّون، أصيلٌ يدلُ على استخفاءٍ. يقال: كَمَنَ الشَّيء كُموناً؛

واشتقاقُ الكَمين في الحرب من هذا. وزعم ناسٌ أنَّ النّاقةَ الكَمُونَ: الكَتُومُ اللِّقاح، إذا لَقِحَت لم تَشُل بذَنبها. وحُزْنٌ مُكتمنٌ في القَلب كأنَّه مُستَخفٍ. والكُمْنة: داءٌ في العين من بَقيَّة رمَد. قال أبو تمّام:

عَبَأ الكمينَ له فَظَلَّ لحينه وكَمينُه المُخفى عليه كمينُ

- إذا أضفنا حرفاً لاحقاً على تسلسل (ك-ف):

ك-ف-أ: هنا استرداد الهمزة حركة الكفكفة المتردّدة في ولوج الزّمان والمكان، فلم يعد من تكتّل لمتماثل أنْ يثبت. فالكف عن الحركة تراجع مكاناً وزماناً. كفأ مُعجمياً: القدر أو الإناء، قَلَبَه، والكفاء والاكتفاء التّوقف عن الاستزادة، والكُفء النّظير، وفي التّنزيل: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ الإخلاص٤. وفي قول أمّ كلثوم بنت عبد ود[1]:

أسَدان في ضيق المكرّ تجاوَلا وكلاهُما كفؤٌ كريمٌ باسلُ

ك-ف-ت: تاء اجتذاب الحركة لأمثالها لتشكيل حركات مُترتبة معها كفّتْ ووفّتْ عملها، بأنْ أتمّتْ حركة فصل تكتّل المتآلفات، فأفَلَتْ ولم يعد من حركة متابعة باتّجاه التّكتّل والجمع، فهي إبطان لما هو ظاهر. يماثل المعنى حركياً المتدهور انكساراً وتراكماً وبسرعة. والكفتة مظهر واضح الدّلالة لفظاً وحركة؛ أي اللّحمة المفرومة إمّا من توزيع كتلتها، أو من قلبها ظهراً على بطن عند شوائها. الكَفْتُ في المعاجم: صَرْفُكَ الشيءَ عن وَجْهه، كَفَته يَكْفِتُه كَفْتاً فانْكَفَتَ؛ أي رَجَعَ. والكَفْتُ: تَقَلُّبُ الشيء ظَهْراً لبَطْنٍ وبَطْناً لظَهْر، وانْكَفَتُوا إلى منازلهم: انْقَلَبُوا. والكَفْتُ المَوْتُ. وعَدْوٌ كَفيتٌ أي سَريع، الكَفْتُ السَّوْقُ الشَّديد ورجل كَفْتٌ وكَفيتٌ سريع خفيفٌ دَقيقٌ. وفي التّنزيل: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتاً﴾ المرسلات٢٥. الكفاتَ هنا مصدر من كَفَتَ إذا ضَمَّ وقَبَضَ وكفاتُ الأرض ظَهْرُها للأحْياء وبَطْنُها للأمْوات، ومنه قولهم للمنازل كفاتُ الأحياء، وللمقابر كفاتُ الأمْوات. وفي التهذيب تَكْفتُهم أحياءً على ظَهْرها في دُورهم ومَنازلهم وتَكْفِتُهم أمواتاً في بَطْنها، قال زُهير:

---

(١) أمّ كلثوم بنت عبد ودّ: أم كلثوم بنت عبد وُدّ العامريّة أخت عمرو بن عبد ودّ الذي قتله الإمام علي، والبيت في رثائه، غير معروف تاريخ ميلادها ووفاتها.

مرّاً كِفاتاً، إذا ما الماءُ أسهَلَها، حتّى إذا ضُربت بالسَّوطِ تبترِكُ

ك-ف-ر: إعادة تكرار حركة الكّف، وتفرقة المتآلف وعدم السّماح بالتّكتّل، يمثل إصراراً ومعاندة. وقد أظهرنا أنّ الكفيف هو وصف العمى. فالإصرار على الكّف فيه جحد. معجم مقاييس اللّغة، الكاف والفاء والرّاء أصلٌ صحيحٌ يدلُ على معنىً واحد، وهو السّتْر والتّغطية. يقال لمَن غطّى دِرعَه بثوبٍ: قد كَفَر درعَه. والمُكَفَّر: الرّجل المتغطّي بسلاحه. قال لَبيد:

حتّى إذا ألقَتْ يداً في كَافِرٍ وأجَنَّ عَوراتِ الثُّغورِ ظَلامُها

ويقال للزّارع كافر، لأنَّه يُغطِّي الحبَّ بتُراب الأرض. كما في التّنزيل: ﴿...كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ..﴾الحديد٢٠، والكُفْر: ضدّ الإيمان، سمّي لأنَّه تَغْطِيَةُ الحقّ. وكذلك كُفْران النّعمة: جُحودها وسَتْرُها. والكافور: كِمُّ العنَب قبل أن يُنوّر. وسمّي كافوراً لأنَّه كفَر الوَليع، أي غطّاه. وكذلك القول اكفهرت السّماء، وقد أطلقت لفظة (كفر) على بعض القرى ككُفر الدّوار في مصر، وكُفر قاسم في فلسطين، وكُفر كلا في لبنان، لأنّها مُغطاة بالشّجر أو مستورة الموقع، قال لَبيد أيضاً:

يعلو طريقَةَ مَتنِها مُتَواتِرٌ في ليلَةٍ كفرَ النُّجومَ غَمامُها

ك-ف-ل: حركة (كف) وتوقّف تكتّل المتآلفات بسبب الفاء، تتابعها لام التّلاحم لما يمكن أن يكوّن حركةً واحدةً. الحركة هنا ليست منسجمة الاتجاه بل هي متعارضة، لذلك أفادت اللّام معنى ال(لا إتمام) لحركة الكّف، واستندت بذلك على اللّم؛ أي لا للتفريق. للمقاربة يمكن القياس مع تسلسل (ف-ل-ك). في معجم مقاييس اللّغة، الكاف والفاء واللّام أصلٌ صحيحٌ يدلُ على تضمُن الشّيء للشيء. من ذلك الكفْل: كساءٌ يدار حَولَ سَنام البعير. ويقال هو كساءٌ يُعقَد طَرَفاه على عَجُز البعير ليركبَه الرَّديف. وفي الحديث: «لا تَشْرَبوا من ثُلْمة الإناء فإنَّه كفْلُ الشَّيطان»، فأمَّا قولُهم للرّجل الجَبان كِفْل، وهو الذي يكون في آخرِ الحرب إنَّما همَّتُه الإحجام، فهذا إنَّما شبه بالكِفْل الذي ذكرناه، أي إنَّه محمولٌ لا يَقدرُ على مَشْيٍ ولا حركة، شَبَّهوه بالكِفْل. وقيل في المعاجم: الكَفَل بالتحريك هو العجز، ما يحفظ الرّاكب من خلفه،

والكفْل: المثل، ولرُبَّما استعير للدّلالة على إليتي العجز، فهما متماثلتان. والكَفيل، وهو الضامن، تقول: كَفَل به يَكفُل كَفالةً. والكَافل: الذي يكفُل إنساناً يَعُوله. وفي التّنزيل: ﴿..يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ من رَّحْمَته..﴾ الحديد٢٨، وتكفّل: التزم وألزم نفسه، وفي التّنزيل: ﴿..وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا..﴾ ءَال عمران٣٧. وفي قول امرئ القيس:

لها كَفَلٌ كالدِّعصِ لَبَّدَهُ النَّدى   إلى حارِكٍ مثلَ الغَبيطِ المُذَأَّبِ

- إذا كان تسلسل (ك-م) متبوعاً:

ك-م-د: في كمد اندفاع الكتلة المتكاملة بتوجّه مقصود، له دلالة على ما يكمُه، أو ما يتفاعل داخل حركة التّكتل والتّكامل، لبيان سبب استعانتها بالدّال، وهو ما تعبّر عنه اللّفظة، الكَمْدُ والكُمْدَةُ في المعاجم: تغيرُ اللّونِ وذَهابُ صفائه، ورجل كامدٌ وكَمِدٌ عابِسٌ. والكَمَدُ: الحُزنُ المكتوم، وتَكْميدُ العُضْوِ: تسخينه بخرَق ونحوها، في القول أنّ الكمد هو الحزن الشّديد المكتوم. يفيد المعنى الحركي أنّ الحزن تكتّل واكتمل في (كُم) الإنسان، كما أكمام التّوالد في الزّهرة؛ حيث تدلّ عليه الدّال بما في الكمّادة؛ أي الخرقة المبلّلة للترطيب أو للتسخين، وما في اللّام من تلاحم أيضاً. وفي قول وضّاح اليمن[1]:

قد يكتمُ المرءُ حُبَّهُ حقِبَاً   وهوَ عميدٌ وقلبُه كَمِدُ

عند مقاربة المعاني الحركيّة لتسلسلات تنتهي بحرف الكاف، مثل: هَتَك، فَتَك، رَتَك، وَتَك، يدلّنا التوجّه إلى أنَّ استدعاء الكاف بعد استجلاب جهد التّاء ما يبرز مقابلة وممانعة تبيّن أنَّ الكاف يحتاج إلى جهد لفكفكة ترابط تكتله.

استخلاص النّتيجة بمعيار العقل

نستدلّ ممّا سبق أنّ الكاف يمثّل كما قال عالم سُبيط النّيلي: ***«تكتّلُ الحركة مع من يُشْبِهُها، فتتشكّل بحركته وحداتٌ متآلفةٌ ومنسجمةٌ مع بعضها البعض، مثل: كم، كل، كن.. ونظراً لقدرة الكّاف على فرز المتآلفات مع بعضها على شكل***

---

(١) وضّاح اليمن، هو عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد كلال من آل خوران الحميري، كان بهيّ الطلعة، قتله الوليد بن عبد الملك لأنّه تغزّل بأم البنين زوجته عندما شاهدها في الحجّ. (٩-٩٠هـ، ٩-٧٠٨م).

مجموعات، فقد استُخدم كأداةٍ تفيد التشبيه بل هي من عيّنت ودلّت على المتشابه وشبه المتماثل، وعلى المتآلف. وهو عند التشبيه لا يعوّض عن العبارة وحدها، بل وعن الطرفين المكتفين للعبارة أيضاً. فهو حركةٌ تامّةٌ تستبطن ظرفي الزّمان والمكان. وقد استخدمت الكاف للدّلالة على التّركيب، والكبر، والتكثيف، كما في: كون، فلك، كثير، كامل، مركّب. من المهم ملاحظة أنّ حرف الفاء عند دخوله على الكاف قد أوقف أو حرف عملها مثل: تفكيك، كفاية، كف، كيف.»[1]

معنى حرف الكاف عند ابن عربي[2] تأويلي، لا يساعد في التعرّف على سلوك الكاف مع بقية الحروف ونسوقه لمن يتمكن من معرفة أسراره: «***هو من عالم الغيب والجبروت، له الخاصّة وخاصّة الخاصّة، مفرد موحش.***»

كاف الرّجاء يشاهد الإجلالا	من كاف خوف شاهد الإفضالا
فانظر إلى قبضٍ وبسطٍ فيهما	يعطيك ذا صداً وذاك وصالا
اللّه جلّى لذا إجلالَهُ	ولذاك جلّى من سَناه جمالا.

يَدلُ حرف الكاف عند الشيخ العلايلي: «***على الشّيء ينتّج عن الشيء في احتكام.***»[3] الوصف هنا يقارب ما توصّلنا إليه. وعند زكي الأرسوزيّ: «***للاحتكاك.***» ربّما استعارة من تسلسل (ح-ك) في مقاربة الحاء مع كاف تكتّل المتآلفات، وهو مظهر تناقضي بين التعاظم والتكتل. أمّا حسن عبّاس، فيقول: «***إنّ صوته موزع الانتماء بين حاستي اللّمس والبصر، وصوته في حالة الاحتكاك يوحي بشيء من الخشونة والحرارة والقوّة والفعالية، مما يؤهله للانتماء إلى حاسّة اللّمس. أمّا إذا لفظ بصوت عالي النّبرة وبشيء من التفخيم والتجويف، فإنّه يوحي بالضّخامة والامتلاء والتجميع، ممّا يؤهله للانتماء إلى زمرة الحروف البصريّة. للشدّة والفعاليّة، الكثرة والضخامة والتجميع. أمّا في آخر المصادر فكان يلفظه العربيّ مخفوتاً به بعض الشيء وممطوطاً أيضاً، ليكون صوته بذلك أوحى بالاحتكاك والحرارة***»[4]. كذلك الاحتكاك هو ما توصّل إليه من مقاربة مع الحاء.

---

(١) **اللّغة الموحّدة**، م. س. السفر الأوّل ص ص. ٢٢١-٢٢٥، بتصرف.

(٢) **الفتوحات المكيّة**، م. س. ص. ٣٠٣.

(٣) العلايلي عبد الله: **مُقدّمة لدرس لُغة العرب، وكيف نصنع المعجم الجديد**، م. س. ص ٢١٣.

(٤) عبّاس، حسن: **خصائص الحروف العربية ومعانيها**، م. س. ص ص. ٦٩-٧١، بتصرف.

حرف الكاف عند إياد الحصني: «*يدل على معنى الكبر والتركيب والكمال؛ أي التركيب للأجزاء الصغيرة مع بعضها أو فوق بعض فتكبر وتقترب من الكمال كما في: كبر، كمال، كثيف، ملك، كون، ودخول حرف الفاء على كلمات فيها كاف، يفرغ ويفكك عملها كما في: فك، كفاية، كف، كفر.. إلخ.*»[1] هنا يقارب الوصف المعنى الّذي توصّلنا إليه، وهو تكتّل المتآلفات. ودلالته عند محمد عقل: «*كف، وكُف، وتكوّف الرّمل استدار، والكوف الاجتماع والتجمّع، وقد اتخذ الكاف شكل التكوّف في الخط المسند، وكأنّ قرون الوعل الجبلي شعار المعينيين قد اجتمعت وتكوّفت وظهرت رسم هكذا: h.*»[2] الوصف هنا فيه دلالة على معنى التكتّل والتّآلف. وعند التحوّل إلى الأفقي أُلغيت يَدا الوعل الأماميّتان.

الحروف الّتي لا تتبع حرف الكاف، هي الجيم والطّاء والقّاف، والخاء والضاد والغين، فالدمج بالجيم هو من مقوّمات التكتّل للمتآلفات، والتضخيم بالطاء لا ينسجم مع التّكتّل لا غرضاً ولا حركة، كذلك التّكتّل لا يستدعي قوّة الإبانة الّتي مُهمّتها فضح كلّ مستور ولو بالقوّة، والإخماد لا يلتقي مع مطلب التآلف والتكتّل بما يضمر من منعة وصلابة، والتزام الضّاد هو في صلب التكتل، أمّا الغين وهي لا تساعد على تمييز المتآلفات نراها في محاولة الطفل التمييز..

---

(١) الحصني، إياد: معاني الأحرف العربيّة، م. س. ص ٥٨.

(٢) عقل محمد: أبجدية القرءان من مملكة سبأ، م. س. ص ٤٨.

حرف اللّام

لام+ ألف المد+ ميم

المُسمّى الأبجديّ المتعارف عليه للحرف: ل-ا-م

مخرج صوت اللّام: يخرج من جميع حافّة اللّسان، وبينه وبين ما يليه من مقدم الحَنَك الأعلى فُويق الضّواحك والأنياب والثّنايا، من طرف غار الفم، وزلق الشّفتين، فيجري الهواء من جانبيه.

ترتيب نشأة الحرف: اللّام هو الحرف الثاني عشر في ترتيب الأبجديّة العربيّة، والثالث والعشرون في الترتيب الهجائيّ العربيّ، ويساوي عدديّاً الرّقم (٣٠) في حساب الجُمَّل. أمّا في الترتيب الصّوتي الحديث فيأتي في الترتيب الثّاني عشر عند أغلب علماء الصّوتيات المعاصرين.

سبب حدوث اللّام: يُنطَق باعتماد طرف اللّسان على أصول الأسنان العليا مع اللّثة، بحيث توجد عقبة في وسط الفم تمنع مرور الهواء منه، ولكن مع ترك منفذ لهذا الهواء من جانبي الفم أو من أحدهما، وهذا هو معنى الجانبيّة في نُطقه. ورد عند ابن سينا قوله: ***«وإن كان حبس بطرف اللّسان رطبٌ جداً ثمّ قُلع، والحبس معتدل غير شديد، وليس الاعتماد فيه على طرف اللّسان بل على ما يليه لكي لا يكون مانعاً عن التزاق الرّطوبة ثمّ انفلاقها حدث اللّام»***[1].

وكان العرب يسمون صوت اللّام الصّوت المنحرف، لأنّ اللّسان ينحرف فيه مع الصّوت، وتتجافى ناحيتا مُستَدَقّ اللّسان عند اعتراضهما الصّوت فيخرج

(١) إبن سينا، م. س. ص. ٨٢.

الصّوت من هاتين الناحيتين ومن فوقهما. وتتذبذب الأوتار الصّوتيّة عند نطقه.[1]

الصّفات الصّوتيّة: اللّام حرفاً إنحرافيّاً مائعاً، صوته لثوي مجهور جانبي، ومن خصائص اللّام أنّه يأتي مفخماً في لفظ الجلالة (الله) ما لم يسبق اللّفظ كسرة، حيث نقول والله وعبد الله بلام مفخّمة وبالله بلام مرقّقة.

الاستخدامات الصّرفيّة: حرف اللّام من حروف الزّيادة المجموعة في كلمة (سألتمونيها). والصَّرفيون يجعلونه أحد حروف الصّيغة المُثْلَى للميزان الصَّرفي (فعل). قد تُبَدَّلُ اللّام نوناً في بعض كلام العرب نحو: جبرين، وإسرائين؛ والأصل جبريل وإسرائيل. وحرف اللّام من حروف المعاني، يعمل إذا كان مكسوراً ولا يعمل إذا كان مفتوحاً. وهو يفيد الابتداء مثل: ﴿..وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ النحل١٢٤. ويقوم بالجر مع الظرفية مثل: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ..﴾ الأنبياء٤٧. والجر مع التعجب مثل: للّه دَرُّهُ شَاعراً. ويعمل الجزم مع إفادة طلب الفعل مثل: لتَكْتُبْ دَرْسَك، ويعمل النصب مع إفادة التعليل مثل: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا ..﴾ البقرة٢٠٥. ويكون زائداً مثل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ..﴾ الفرقان٢٠. ويكون في جواب لولا، مثل: ﴿..وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ.﴾ البقرة٢٥١. ويكون لام البُعد فيلحق أسماء الإشارة مثل: هنالك، ذلك. ويكون مُوَطِّئَةً للقَسَم مع إنّ الشرطيّة مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ..﴾ إبراهيم٧. ويكون حرف جر مع الضمير مثل: لك الحَمد. ويكون ناصباً إذا جاء بعد كون منفي، ويسمّى لام الجُحُود، مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ..﴾ الأنفال٣٣.[2]

---

(١) أنظر، كانتينو، جان: دروس في علم الأصوات العربية، ترجمة صالح القرمادي، الجامعة التونسية، ١٩٦٦، ص ٣٨، ٧٨.

(٢) الحروف العربية، الأبجدية، الألفباء. الموسوعة العربية العالمية مج ٢.

الصّفات الكتابيّة: حرف اللّام من الحروف المهملة غير المنقوطة، ويكتب في خط النّسخ مُفرداً هكذا: ل، كما في: يقول، ومتصل بما قبله هكذا: ـل، في: يقبل، ومتصل بما بعده هكذا: لـ، في مثل: لنا، ومتصل بما قبله وما بعده هكذا: ـلـ كما في مثل: بلبل.

دلالة الاسم من خلال حروفه

- لام: يلم ويجمع، ويمكن أنّ يعني: (لا+ ميم)؛ أي لا تكامل وإتمام، حيث يعتبر (لا) هو الحرف رقم ٢٩، ويأخذ قيمةً في حساب الجُمَّل وهو ٢٤.
- ألف المد: التّأليف من خلال تعامد حركته بين الزّمان والمكان لإنتاج وجود.
- ميم: حركة الميم هي من أسْمَت نفسها بنفسها مستخدمة الياء، فتناقضها داخلي. وهو إتمام وترميم، يتابع أو ينفي ويرفض حركة الّلام.

ما نستدل به من تناقض أو تآلف في ترتيب حروف مُسمّى اللّام، هو أنّ (ل-م) يفيد معنى التقط وجمع، بينما عكسه (م-ل) يفيد السّأم والضّجر. في (لَمّ)، حيث حركة اللّام تلحم وتوصل فقد كلّفت الميم بجمع النّواقص وترتيبها. بينما في (ملّ) فالتكامل والسّعي لتوفير النّواقص يحاول التواصل السّلبي؛ إذ أنّ ترتيب نشأته باللّام قبل الميم، فتعاكس ترتيب التسلسل أفاد تعاكس قانون الترتيب.

تسلسل اللّام: نتساءل: لماذا استخدم اللّام الميم. أليس لأنّ الالتحام لفظاً ومعنىً مشتمل على الميم؟ وبما أنّه لا يمكن الوصل والتّلاحم أنْ يتمّ دون توفير المستلزمات والانتقاء من بين الاختيارات الممكنة والمعروضة فكان وجوباً اختيار الميم في مُسمّى اللّام للدّلالة على مهمّة توصيل الحركة وإتمام العمل. إذا حذفنا الميم من الاسم (لام) فإنّه يصبح (لا)، فاسمه نفسه أصبح أداة للنفي عند نقصان الميم. أعني أنّ (لا) هو: لام لم تتمّ حركته، لذلك أفاد النّفي أو النّهي.

استطلاع متغيّرات اقترانات حرف اللّام بصفته كمتبوعٍ وتابعٍ ومخترقٍ

نماذج عن الاقتران الثّنائيّ الّذي يبتدئ به الحرف بصفته متبوعاً:

ل-ب: دلالة اتجاه المعنى لهذا الاقتران ظاهراً: (أطاع)، وباطناً: (احتفظ بالحياة).

لُب: حيث أنّ المادة المتجمّعة في بعض الثّمار تكون جاهزة لانبثاق نبات جديد منها وهو لُب الثّمرة. استعمل لإفادة معنى الكمون والاستقرار مثل (لَبَّ في المكان) إذا أقام فيه. فلام التواصل والالتحام فتحت لها الباء المجال تلبية لإلحاحها على توصيل رسالتها. في مُعجم مقاييس اللّغة تسلسل: اللّام والباء. أصلٌ صحيح يدلُ على لزومٍ وثبات، وعلى خلوص وجَوْدة. فالأوّل ألَبَّ بالمكان، إذا أقام به، ويُلِبُ إلباباً. ورجلٌ لَبٌ بهذا الأمر، إذا لازَمه. حكى الفرّاء: امرأةٌ لَبَّةٌ: مُحبَّةٌ لزوجها، ومعناه أنّها ثابتة على وُدِّه أبداً. ومن الباب التلبية، لَبَّيْك. قالوا: معناه أنا مُقيمٌ على طاعتك. ونُصب على المصدر، وثنّي على معنى إجابةً بَعْد إجابة. واللّبيب: المُلبِّي. قال المُخبَّل السّعدي:

فقلت لها فيئي إليكِ فإنَّني حرامٌ وإنِّي بعدَ ذاك لبيبُ

ومن الباب لبْلَبَ من الشَّيء: أشفق، فهو ملبلب. ويكون ذلك من الثَّبات على الوُدّ. والأصل الثّاني اللُب معروف، من كلِّ شيء، وهو خالصه وما يُنتَقَى منه، ولذلك سمِّيَ العقلُ لُبّاً. ورجل لبيب، أي عاقل ذكي. ولُبّ كلّ شيء: حقيقته، وهو يستبطن إخفاء السّر. كقول أبي بكر الصّديق:

عَجِبتُ بإزراء العَيِّيُّ بنفسه وصمت الّذي كان بالقول أعلما
وفي الصَّمت سَترٌ للعييّ وإنّما صحيفَةَ لُبٌ المرءِ أن يَتَكلَّما

ومن الباب اللَّبَّة، وهو موضعُ القلادة من الصّدر، باعتباره مركزاً للقلب، ويقولون للمتحزِّم: مُتلبِّب، كأنَّه شدَّ ثوبَه إلى لَبَّته مشمِّراً. ولبّى أطاع. يقال: لبِبتُ الرّجُل: ضربت لَبَّتَه. وعلى معنى التشبيه اللَّبَب من الرَّمل: ما كان قريباً من جبل مُتّصلاً بسهل. قال ذو الرُمة:

بَرّاقة الجيد واللّباتُ واضحةٌ كأنَّها ظبيةٌ أفضَى بها لَبَبُ

ومما شذَّ عن هذا قولهم: إن اللَّبَاب: الكلأ. واللَّبلاب: نَبْت.

ل-ح: حركة التّلاحم باللّام مستدركة لمقصد التّعاظم الذّاتي بالحاء، والتّعاظم مسعى داخلي؛ أي حركة لحم داخلية، ولحركة واحدة؛ هنا تعارض بين التّلاحم وما يتطلبه من ثنائيّة لما يتوجّب الالتحام به؛ أي بين حركتين أو مادّتين، وهذا غير متوفّر، إلّا بدخول حرف ءَاخر، نجد تفسيره باحتياج

تسلسل (ل-ح) إلى الألف، لولوج بابي الزّمان والمكان؛ ابتداءً كما في (ألح) أو توسّطاً كما في (لاح): هنا تسلسل (ل-ح)، إن لم يلج بابي الزّمان والمكان، ومهما جاهد، وإن أعاد الحركة كما في لفظة (لحلح)، لتغيّر توجهه إلى التّفرقة. في مُعجم مقاييس اللّغة، اللّام والحاء أصلٌ صحيح يدلُ على ملازمة ومُلازَّة. يقال: ألَحَّ على الشّيء إلحاحاً، إذا أقبَلَ عليه ولم يَفتُر. ويقال: لَحِحَتْ عينُه، إذا التصقَتْ. ومنه قولهم: هو ابنُ عَمّه لَحّاً، أي لاصق النَّسب. والمِلْحاح: القَتَبُ يَعَضُ على غارب البعير. ويقال ألحّ السّحابُ، إذا دامَ مطرُه. ويقال: تَلحلحَ القومُ، إذا أقاموا مَكانَهم لم يبرحوا. وأنشد ابن مقبل:

بحيٍ إذَا قيلَ اظْعَنُوا قَدْ أُتيتُمُ أقاموا على أثقالهمْ وتلَحْلَحُوا

ويقال: مكانٌ لَاحٌ: ضيّق. ورَحَىً ملحاحٌ على ما تطحنه. ويَقال: ألحَّ الجمل، كما يقال خَلأت النّاقة، وحَرَن الفرسُ، وذلك إذا لم يكد يَنْبعثُ. وفي المعاجم أيضاً: ألحّ في السّؤال وهو: الإصرار وملاحقة الطّلب، وتلحلح: تفرّق وتحرّك، ولاح: بدا من بعيد. وفي قول امرأة دعت على زوجها بعد كبره:

تقول وَرْيَاً كُلّما تنحنحا: شيخاً إذا قلبته تلحلحا

وفي قول عدي بن الرّقاع العاملي[1]:

لمّا تلحلَحَ بالبياض عَماؤُه حول الغريفَة كاد يثوي أو ثَوى

إذا عكسنا ترتيب التّسلسل إلى (ح-ل): الحاء تعاظم الحركة، والأخذ بالاعتبار أنّ الحاء سبقت اللّام في النشأة، ممّا يفيد التناغم في (حل) والتعارض في (لح). اللّام التحام لأجزائها لتشكّل حركة واحدة من مجموعة متعاظمة من الحركات وهذا ما يعطي معنى: (الحَل) بالفتح، للقضية المعقّدة، حيث يمثّل المدخل إليها. و(الحِل) بالكسر، عنصر الزّمان، على الحاء حيث الياء استمرار الحركة. وهذا معنى يفيد الإقامة والاستمرار في الموضع. ولكن المعنى الدّقيق، هو السّيطرة على الموضع ومعرفة مداخله ومخارجه، كما في التّنزيل: ﴿وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ البلد٢. و(الحُل) بالضّم: يفيد الإشارة إلى

---

(١) عدي ابن الرّقاع العاملي: عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن مالك من عامله، شاعر دمشقي يكنى أبا داوود، عاصر جرير مهاجيا ومدح الوليد بن عبد الملك، (؟-٩٥هـ، ؟- ٧١٤م).

المكان. فالحركة المتعاظمة ظهرت في موضعٍ مُعيّنٍ أو موضوعٍ مُعيّنٍ، وهي متلاحمة الأجزاء قطعةً واحدةً. هذا المعنى العام يشير إلى موضوع مدرك بصورة مركّزة. فجميع الاستعمالات داخلة تحت هذه الثّلاثة. وفي التّنزيل: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾ طه٢٧، و﴿..وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ..﴾ النساء٢٣. قال كُثَيِّر عزّة:

فَوَاللّهِ ثُمَّ اللّه لا حَلَّ بعدَها ولا قبلها من خُلَّةٍ حَيثُ حلَّتِ

ل-د: اللّام تلاحم ما يمكن أن يكون حركة واحدة، وقد اندفعت بالدّال لأقصى حدّ. وهذه الحركة الآن مُنفتحة على جميع الحركات الممكنة، تُشكّل من بعضها حركةً واحدةً. واندماج الحركات في الطبيعة ممكنٌ بلا حدود، ويمكن أن تتشكّل من هذا الاندماج قوىً مُتعدّدةً مدمّرةً أو مطوّرةً، أو غير ذلك فيما هو بينها. لدّ في المعاجم: تلفتت وتلدّد، يميناً وشمالاً. في الرّيف الفلسطيني لد، بمعنى أنظر وتمعّن. واللّديدان جانبا الوادي وجانبا كلّ شيء. والتّلدّد التّلفّت يميناً وشمالاً تحيّراً، ومن اشتدت خصومته، فهو ألد وهي لدّاء والجمع لُد. وأحسب وفقاً للمعنى الحركي، يصف مَنْ تشتدّ خصومته بعنادٍ مع قسوةٍ وبلا برهان. وحركة الحروف إنّما تعيّن هذا المعنى بالذّات، لاندفاع الدّال القصدي من مكمن تلاحم مُسبق ومُلزم. ويؤيد التّنزيل هذا التّوجّه: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْماً لُّدّاً﴾ مريم٩٧. فالإنذار لا يتم إلّا للمعاند بإصرار، قال المُتنبّي:

لهم أوجُهٌ غُرٌ وأيدٍ كريمةٌ ومعرفةٌ عُدٌ وألسنَةٌ لُدُ

وفي المعاجم أيضاً: ألَدّه: ماطل وسوّف. ولَدَه المريض: إذا صُبَّ الدّواء في شقّ فمه بعد أنْ أخذه بلسانه إلى الشّقّ الآخر. نلاحظ القسريّة في الحركة في جميع الاستعمالات. لَدَه عن الأمر: حبسه عنه. فهو ملدود، ولدَّ فلاناً: خاصمه فغلَبه. نؤكّد هنا أنّ الأمر ليس كذلك. فالغلبة هنا غلبة القهر والسّلطة لا غلبة الحجّة والبرهان، أو المنافسة الرّياضية.

إذا عكسنا ترتيب التسلسل إلى (د-ل): الدّال اندفاع الحركة بتدبير مقصود إلى جهة مُحدّدة وإلى أبعد مدى، بمقصده هو (دالٌ)، وتلاحم لما يمكن أن يكوّن حركةً

واحدةً. وحيثُ الدّال سبقت اللّام في النشأة، فالدّل متناغم مع النسق التكويني بينما (لد) مخالف. دَلّ يَدُلُ دَلالةً مُعجمياً، على الطّريق: سدّده إليه، وعلم بوصفه، أو تمام وضعه، والدّليل الموجّه إلى المعلومة. والدّالة من يدل عنده مَنزلة. والدّل كالهدي والسّكينة والوقار، وحسن الشّمائل، ومنها الدّلال والتدلّل. وفي قول الهُبل:

فما خدعتني رِقَّةٌ من كلامها ولا دَلَّ قلبي نحوَها مَلَقُ الدَّلِّ

إذا كان تسلسل (ل-ب) تابعاً:

ق-ل-ب: القاف قوّة الفصل والإبانة لما هو مُغلق، واللّام تلاحم لنسج حركة واحدة انبثقت منهما حركة الباء لوضعها في بُعدٍ وأفقٍ أرحب. في المعاجم: قَلَب: حوّل ظهراً على بطن، أو بَطناً على ظهر. المعنى ظاهري يدلّ على البحث وكشف ما هو مَخبوء، ولو بقوّة التقليب، لإظهار وبيان ما يعمد إلى عدم التصريح به، أو ما تَحولُ عن بيان حقيقته معيقات وصعاب تستدعي تقليب الأمر ووجهات النّظر وإمعان التفكّر. في معجم مقاييس اللّغة. القاف واللّام والباء أصلانِ صحيحان: أحدهما يدلّ على خالص شَيءٍ وشَريفه، والآخَرُ على رَدِّ شيءٍ من جهةٍ إلى جهة. فالأوَّل القَلْبُ: قلب الإنسان وغيره، سمّي لأنَّه أخْلصُ شيء فيه وأرفَعُه. وخالصُ كلِّ شيءٍ وأشرفُه قَلْبُه هو الفؤاد، وهو مضغة معلّقة بالنّياط. وفي التّنزيل: ﴿..يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾ النور٣٧. ويقولون: عربيٌ قُلْبٌ. قال الكميت:

فلا تُكثروا فيها الضَّجَاجَ فإنَّني تخيَّرتُها منهم زُبيريّةً قُلْبَا

والأصل الآخَر قَلَبْتُ الثَّوبَ قَلْباً. والقَلَب: انقلابُ الشَّفَة، وهي قَلْباءُ وصاحبُها أقْلَب. وقَلَبْتُ الشَّيء: كبَبتُه، وقلّبته بيديّ تقليباً. وقولهم: ما به قَلبَةٌ، قالوا: معناه ليست به علّة يُقْلب لها فيُنْظَر إليه. وقال الراجز:

ولم يقلّب أرضَها بيطارُ ولا لحبلَيْه بها حُبَارُ

أي لم يقلّب قوائمها من علّةٍ بها. والقَليب: البئرُ قبل أنْ تُطوَى؛ سمّيت قليباً لأنَّها كالشَّيء يقلَب من جَهةٍ إلى جهة، وكانت أرضاً فلمّا حُفرت صار ترابُها كأنَّه قُلِب. فإذا طُوِيت فهي الطَّوِيّ. ولفظ القليب مذكّر. والحُوَّلُ القُلَّب:

الذي يقلّب الأمور ويحتال لها. والقياس في جميع ما ذكرناه واحد. قال امْرُؤُ القيس:

وما ذَرَفَتْ عيناك إلّا لتضربي　　　بسهمَيك في أعشارِ قَلبٍ مُقَتَّلِ

غ-ل-ب: هنا غين تمويه وتغييب وردّ الحركة إلى مكمنها، موجّهة لامَ التّلاحم، ثُمّ باء الانبثاق لإطاعة أمرها. غين التمويه في (غل)، أغلقت وغلّفت حركة اللّام، بتقييدٍ على إمكانية كشف المموّه، وانبثاق الباء من هذه الحركة أفسح لحركة التمويه المجال للسيطرة على كلّ من يحاول معرفة الحقيقة، أو الدّخول معها في منازلة. غَلَبَ مُعجمياً: قهَرَ وانتصرَ وفازَ. وفي التّنزيل: ﴿..وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ الروم٣، وفي قول امرئ القيس:

وإنّك لم يفخر عليك كَفاخرٍ　　　ضعيف؛ ولم يغْلبك مثل مُغَلَّب

والأغلَبُ: الغَليظ الرّقَبة. يقال: غَلِبَ يَغْلَبُ غَلَباً. وهضْبةٌ غَلباء، وعِزَّةٌ غلباء. وفي التّنزيل: ﴿وَحَدَائِقَ غُلْباً﴾ عبس٣٠. قيل هي الملتفة، وهنا يظهر التمويه على من يسعى للمكاشفة. قال امْرُؤُ القيس:

وشَبَّهْتُهُمْ في الآلِ لمّا تَحَمَّلوا　　　حَدائقَ غُلْباً أو سَفيناً مُقَيَّرا [1]

إذا كان تسلسل (ل-ب) متبوعاً:

ل-ب-ن: حركة التّلاحم لتشكيل حركة واحدة معها، متّجهة بانبثاق الباء للإفساح بإنشاء مُستمرّ بالنّون. فهي تتم بتشكيل لبنة البناء؛ أي (طوبة، طوب)، ولبن في المعاجم: التّلدن والتّمكّث والتّلبّث. واللّبان الصّدر ووسطه. واللَّبْنَةُ، الّتي يبنى بها وتجمع من طين وقش وتبن، تطرق ثمّ تجف، وهي في شكل مربّع أو طولي. قال أبو العتاهية:

وغودرَ في لحدِ كريه حُلولُه　　　وتُعقَدُ عليه من لبنٍ عليه السّقائفُ

اللّبن في المعاجم أيضاً: الحليب، وهو أساس بناء جسم وكيان المولود. وفي معجم مقاييس اللّغة تسلسل: اللّام والباء النّون أصلٌ صحيح يتفرَّع منه

---

(١) هذا كما ورد في لسان العرب في تسلسل (غلب) بينما ورد البيت في ديوان امرؤ القيس على رواية مختلفة كما يلي: فشَبّهتُهُم في الآل لمّا تَكَمّشُوا　　　حدائق دوم أو سفيناً مُقيّرا

كلمات، وهو اللّبن المشروب. يقال: لبنتُه ألبِنُهُ، إذا سقيته اللَّبن. والمُلبنُ: الكثير اللَّبَن. وناقة لَبنة: غزيرة. وإذا نَزَلَ لبنُها في ضرعها فهي مُلْبن، وإن كانت ذاتَ لبنٍ فهي لَبُون، وفلانٌ لابنٌ، أي عنده لبن. قال ابن عبد ربّه الأندلسي[1]:

وغَرَرتَني وزعمتَ أنَّكَ لابنٌ بالصَّيف تامرٌ

ل-ب-د: لام التلاحم والتواصل فتحت لها حركة الباء المجال مُتابعة بدال الاندفاع لأقصى مدى. الاندفاع المقصود لأبعد مدى من حركة (لب)، هو بمثابة تلبية مُندفعة لتحقيق غاية وقصد مكمور كما هو لُبُ الثّمرة أو لُبُ الإنسان. أفاد هذا المجموع معنى الالتصاق والتداخل، واستعمل لمن يكمن في مكان أو يلزمُ مَوضعاً. كذلك استعمل في التّنزيل: ﴿..كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْه لبَداً﴾ الجن١٩؛ أي تجمّعٌ شديدٌ لغايات مختلفة. ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُبَداً﴾ البلد٦، واستعمل أيضاً للمادّة المتكاثفة الملتزق بعضها في بعض. كما في: تلبّد الصّوف، وتلبّدت الحركة. أنظر للمقاربة لفظتي: (بلدة)؛ حيث يتجمع النّاس، و(بليد)؛ حيث تتقلص الحركة. وفي قول ذي الرّمة:

ومنهلٍ آجنٍ قفرٍ محاضرُهُ خُضرٍ كواكبُه ذو عَرمَضٍ لَبِد

وفي معجم مقاييس اللّغة تسلسل: اللّام والباء والدّال، كلمةٌ صحيحة تدلُ على تكدُس الشَّيء بعضه فوقَ بعض. من ذلك اللِّبَد، وهو معروف. وتلبَّدت الأرضُ، ولبَّدها المطر. ويقول المثل: «هو أمْنَعُ من لِبدة الأسَد». قال الأعشى:

كَسَتْه بَعوضُ القريتين قَطيفةً متَى ما تَنَلْ من جلده يتَلبَّد

ومن الباب: ألْبَدَ بالمكان: أقام به. واللُّبَد: الرّجلُ لا يفارقُ منْزِلَه. ويقال: لَبَدَ بالأرض لَبوداً.

إذا كان تسلسل (ل-ب) مُخترقاً:

ل-ج-ب: من حركة باء الانبثاق وبها تمكّن التّلاحم المندمج من الطّغيان، بإفساح الباء المجال للجَّة وإلحاح لام التّلاحم في دمج قُوَىً مختلفة بالجيم. وفي تاج العروس: اللَّجَبُ، مُحَرَّكَةً: الغَلَبَةُ مع اختِلاط، وكأَنَّه مقلُوبُ الجَلَبَة، والصِّيَاح:

---

(١) إبن عبد ربه الأندلسي: أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير سالم، صاحب العقد الفريد، من أهل قرطبة، (٢٤٦-٣٢٨هـ، ٨٦٠-٩٣٩م).

واضْطِرَابُ مَوْجِ البَحْرِ. والفعْلُ منه: لَجِبَ، بالكَسْر. واللَّجَبُ ارتفاعُ الأصوات واختلاطُهَا؛ هذه المادّةُ، كَيْفَمَا كانتْ حُرُوفُهَا، لَهَا دلالةٌ على الصِّيَاحِ والاضطِرَاب. واللَّجَبُ: صَوْتُ العَسْكَرِ، وصَهِيلُ الخَيْلِ. و جَيْشٌ لَجِبٌ: عَرَمْرَمٌ. وكذا رَعْدٌ لَجِبٌ، وبَحْرٌ ذُو لَجَبٍ: إذا سُمِعَ اضطرابُ أمْوَاجِه، قال زُهَيْرٌ:

عَزِيزٌ إذا حلَّ الحَليفَانِ حَوْلَهُ بذِي لَجَبٍ لَجَّاتُه وصَوَاهِلُهْ

ل-ع-ب: اللّام التحام الحركات المكنة، وهي حركة دمجٍ وتوحيدٍ للأجزاء لإنتاج حركةٍ واحدة. وحرف العين يضفي إلى اتّضاح ما التحم منها، وهو حرف معاينةً للمُبهَم واتضاحه وكشفه، والباء انبثاق حركة من مكمن مُتَخَفٍّ لغاية المفاجأة، قبل انفلات ما تسعى للالتحام به. هذا في الواقع (لعب) فعلاً؛ إذْ لا يوجد هدف سوى انبثاقها في كلّ مَرّةٍ مستمدّةً وجودها من قضايا حقيقية. فماذا بعد التّلاحم والاتضاح؟ ليس من هدف جاد أو قصد مُحدّد منهما. في المعاجم: اللّعب هو لكلّ عملٍ لا يجدي نفعاً. اللّعب ضد الجَد، ويضمر كلّ منهما الآخر في انطلاقه. إنْ أخذ أحدنا حاجة من حاجات صاحبه وأخفاها، أو لاعبه في الورق والنّرد، فهو يضمر أنْ يغيظه أو أنْ يظهر الغَلبة، وفي هذا السّلوك والقصد مُنتهى الجد، وقول عبيد بن الأبرص[1]:

قد بتُّ أُلعبها وهْنَاً وتُلعبُني، ثُمَّ انصرفت وهي منّي على بال

لئن كانت الملاعبة هنا بينه وبين الفتاة مُجرّد تسلية، فالنّتيجة أنّ الأثر كان جادّاً وباقياً في باله. واللُّعبة، بضم الفاء، متموضعة حركياً في شيء أو مكان، فهي التّمثال أو المظهر أو مادّة اللّعب. من ذلك الشّطرنج والنّرد والدّمية، وأيّ نوع من أشكال اللّعب. واللّعاب هو الرّيق مازال في الفم يتلاعب به اللّسان، وملاعب الرّيح منازلها، والملاعب أماكن اللّعب والرّياضة، ومنها ملاعب وملاعبة الصّغار، كما في قول لَبيد[2]:

---

(١) عبيد بن الأبرص بن عوف بن جشم الأسدي، من معاصري امرئ القيس، (؟-٢٥ق هـ، ؟- ٥٩٨م).

(٢) لَبيد بن ربيعة بن مالك العامريّ، وهو أحد أصحاب المعلقات، (؟-٤١هـ، ؟-٦٦١م).

لَعبتُ على أكتافهم وحُجورِهم وَليداً وسمَّوني مُفيداً وعاصما

وما يظهر إضمار الجد اللّعب هو نفي صفة اللّعب عنه، كما قال النّابغة[1]:

تَّجَنَّبتُها، إنّي امرؤٌ في شَبيبَتي وتِلعابتي، عن ريبَةِ الجارِ، أنكَبُ.

إذا عكسنا ترتيب حروف التسلسل لتصبح (ب-ع-ل)، هنا تحكّمت حركة الباء لتجعل من معاينتها مُحدّدة بلام الالتحام والدّمج، فأوقفت قدر الحركة إلى (البعل)، بينما في (لعب) كانت تابعة لتوصيل اللّام إلى هدفها، فلفظة (بعل) تعني (رب) في الحضارات السّابقة، ومنها اتخذ اسم (بعل بك)، ويقال (أرض بعل)؛ أي لا يتصل أو يصلها جهد إنسان في رعايتها، فتفيد التّوقّف عن الاتّصال والتّواصل. وفي التّنزيل: ﴿..وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُواْ إِصْلاَحاً..﴾ البقرة٢٢٨، فبعول المُطلّقات أحقّ من غيرهم في ردّهنّ إلى عصمتهم، فالبعل هو الزّوج مع وقف التنفيذ. قال ابن الرّومي:

وما كنتُ للزّوجات قِدماً بِضَرَّةٍ فيهجُرني بعلٌ فترضى عن البعلِ

استخلاص النّتيجة بمعيار العقل

نستخلص أنّ حركة اللّام تمثّل كما قال عالم سُبيط النّيلي[2]: ***«توصيل وتوحيدٌ للأجزاء لإنتاج حركةٍ واحدة، فتعمل على نسج الحركات ببعضها، وإعادة تشكيل ما تفرّق وانقسم بالقوى الأخرى المختلفة. وأنّها تفيد مآل وغاية التّسلسل أينما وقعت، كما تفيد الانزلاق لأنّها تنزلق في اللّسان. وأيّ شيء ليس له وجود حقيقي تقوم حركة اللّام بإلغائه، ورفض نسجه.»*** حرف اللّام مُتّصلٌ بجميع الحروف بحذرٍ شديد كما في: صلة، لمس، كلام، علم، ألم، حمل، لفت، أل، والأسماء الموصولة الّذي والّتي. يؤكّد معنى الاتصال حرف الفاء عندما يدخل على استخدامات اللّام مثل: (قفل)، واشتقاقاته: فلق، قلف، لقف. لأنّه يعمل في الظّاهر خلاف ما في الباطن. ويمكن القول إنّه هو القوّة الرّابطة بين السّالب والموجب. ففي الوقت الّذي يلغي فيه المتناقضات الخارجيّة فإنّه يبقي التّناقض الجوهري قائماً.

---

(١) النّابغة الذّبياني: هو زياد بن معاوية بن ضباب الذبيانيّ المضريّ، شاعر جاهليّ من الطبقة الأولى، أحد أصحاب المعلّقات، وله قصيدة المتجردّة في زوجة النعمان، (؟-١٨ ق هـ، ؟-٦٠٥م).

(٢) اللّغة الموحّدة، م. س. ص. ص ٣٠٥-٣٢٨، بتصرف.

إنّ دخول اللّام في التّسلسلات قليلٌ قياساً ببقية الحروف، أي دخوله كأصلٍ في الوحدات البنائيّة، ولكنّه عوّض ذلك باستعمالاته المتعدّدة في الحروف والمقاطع، فقد اقترن بحروفٍ معيّنةٍ ليشكّل أدواتٍ خاصّة في اللّغة العربيّة لا يمكن تقدير أهميتها، وأهمّها (ألـ) التّعريف، ليوصل ما كان مجهولاً إلى العلن. ومن تلك الأدوات أيضاً: لا، لم، لو، لولا، لوما، لات، لم، لمّا، لمّا، لنْ، ليت، لكنّ، كلّما، كلّ، كلّا، كلتا، على، بل، بلى، ألا، إلّا، خلا، علّ، لعلّ. مردّها جميعاً إلى المعنى الحركي الّذي يتألّف منه التسلسل. لذلك فحركة اللّام مأذونٌ لها بالدّخول على جميع التسلسلات تقريباً، وبسبب هذه الخاصّية الحركيّة فقد استعمل في اللّغة العربيّة لأداء هذه المهمّة، فدخل على الأسماء والأفعال والحروف والصّفات، لإبراز الحركة الواحدة، الّتي هي غاية الانتهاء للحركة العامّة التي يتألف منها التّسلسل أو التّعاقبات المختلفة، فهو يدخل على:

- الأسماء: الحمد لله، ويل للمطفّفين، أم للأنثى ما تمنى، لأجل مسمّى.. إلخ.
- الأفعال: ﴿وَجَعَلُواْ للّه أنداداً لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِه﴾ إبراهيم٣٠.
- أفعال الكينونة: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ..﴾ ءَال عمران١٠٤.
- إنْ: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ بِكُلِّ ءَايَةٍ﴾ البقرة١٤٥.
- حروف المعاني: ﴿ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ﴾ البقرة١٠٢ ﴿يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ..﴾ الحج١٣، ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم٤.
- قد وسوف: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ..﴾الأعراف١٧٩ و﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ الضحى٥.
- الأسماء الموصولة: ﴿ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ ءَال عمران٨١.
- أسماء الإشارة: ﴿ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ ﴾ هود١١٩.
- الضمائر: ﴿لأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي..﴾ الحشر١٣، ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا ..﴾ الأعراف١٧٩، ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ﴾ البقرة ٢٢٨، ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ الكافرون٦.

- الصفات: ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ البقرة٤٥
- كي: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ الحديد٢٣.
- علَّ: ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً﴾ المؤمنون١٠٠.
- لو: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُواْ واتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّه خَيْرٌ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ البقرة١٠٣.

حرف اللّام عند ابن عربي[1]: من عالم الشّهادة والجبروت، وميل إلى الوجود المقيّد إلى الإيجاد، له الغاية والأعراف.

اللّام للأزل السَني الأقدس	ومقامه الأعلى البهي الأنفسِ
مهما يَقُم تُبدى المكوّن ذاتُه	والعالَمَ الكونيَّ مهما يجلس
يعطيك روْحاً من ثلاث حقائقٍ	يمشي ويَرْفُل في ثياب السُنْدُس.

كما دوماً عند إبن عربي فالوصف تأويليّ وغير صريح، لا يساعد معرفة الدّلالة الحركيّة. وهو عند الشّيخ العلايليّ: ***«يدلُ على الانطباع بالشّيء بعد تكلّفه.»***[2] هل يمكن أنْ نستنتج من أنّ الانطباع بالشّيء يفيد التواصل والتلاحم؟ ربّما الانطباع من خلال المنظور الدّاخلي. وحرف اللّام عند حسن عبّاس: ***«صوت هذا الحرف يوحي بمزيج من اللّيونة والمرونة والتماسك والالتصاق. وهذه الخصائص الإيحائيّة لمسيّة صرفة. لذلك استخدمه العربيّ للنسبة والتملّك.»***[3] وقد استخلص من المصادر التي نقّب فيها عن دلالة وخصائص اللّام أنّه مختص بعمليات الأكل والتذوق وأنواع الأطعمة وأوصافها. وأنّ غالبية المصادر الّتي تبدأ (باللّام) قد اقتصرت مَعانيها على اللّمسيات من التصاق وتماسك وليونة، وعمليات مضغ وبلع وما إليها من مُتعلّقات الأطعمة. أمّا عند وروده في ءَاخر التسلسل فلم تتأثر معاني الألفاظ بخصائص اللّام إلّا بنسبة (٨٪). وذلك لأنّ اللّسان حسب ما قال، لا يتلاعب بحرف اللّام في نهاية الألفاظ كما يفعل في بدايتها، فتخلّى هنا عن وظيفته

---

(١) **الفتوحات المكيّة**، م. س. السّفر الأوّل ص. ٢٠٧.

(٢) العلايلي، عبد الله، **مُقدّمة لدرس لُغة العرب**، وكيف نصنع المعجم الجديد، م. س. ص ٢١٢.

(٣) عبّاس، حسن: **خصائص الحروف العربيّة**، م. س. ص.ص ٧٩-٨٢، بتصرف.

التمثيليّة الإيمائيّة ممّا أفسح المجال للحروف الأخرى الّتي شاركت في تراكيب هذه المصادر. وإذْ أشار إلى الالتصاق في خصائص اللّام إلّا أنّ وصفه للاستخدام لم يوصلنا إلى المعنى الصريح والدّلالة الحركيّة للحرف. يدل عند إياد الحصني: ***«على معنى الاتصال بكافة أشكاله وأدواته، مثل: لغة، كلمة، رسول، قلب، عائلة، حبل..إلخ. وهو مُطابق تقريباً لما توصلنا إليه.»***[1] وهو عند محمد عقل: ***«لامد، لوماد، ويقال «لامد جامد» أي يابس، وهو قضيب يابس طويل برأسه شلفة (قاموسية) مستعرضة، يستعمله الفلّاح لنهر الثيران حين الحرث. وصورته في المسند مستوحاة من معناه هكذا: 1.»***[2] بقي شكل اللّام عند التحوّل الأفقي كما هو عموديّا واقفاً. ربّما يمكن الرّبط بين هذه الأداة وما يتصل بها من الحث على العمل والمتابعة، مُقاربة مع التواصل والاتصال الذي أشرنا إليه.

الحروف الّتي لا تلحق باللّام هي الرّاء، لتقارب المخرجين فيزيائيّاً، ولكون لام التلاحم لتشكيل حركة واحدة من حركات مجزأة لا تحتاج لتكرار المحاولة بعد التّلاحم، لأنّها تصير حركة جديدة بمواصفة واتجاه مُختلف، والشّين التي هي للتشعّب والتضليل لا تتفق مع اللام في نسج حركة جديدة يعتمد عليها، وإن ورد في لسان العرب في تسلسل (ل-ش-ش)، على لسان الخليل: ليس في كلام العرب شين بعد اللام، إنّما أورد الأزهري وابن الأعرابي أنّ اللّشلشة: كثرة التردّد عند الفزع والاضطراب، ورجل لشلاش، إذا كان خفيفاً.

---

(١) الحصني، إياد: **معاني الأحرف العربيّة**، م. س. ص ٣٨.

(٢) عقل محمد: **أبجدية القرءان من مملكة سبأ**، م. س. ص ٤٨.

حرف الميم

ميم+ياء+ميم

المسمّى الأبجديّ المتعارف عليه للحرف: م-ي-م

المخرج: حالة السّلب التّام لمراكز الحركة، والإطباق التّام للفم، وإسكات ءالة النّطق وسحب الهواء للدّاخل ينتج ميماً واضحاً.

ترتيب نشأة الحرف: الميم هو الحرف الثّالث عشر في ترتيب الأبجديّة العربيّة والرّابع والعشرون في الترتيب الهجائيّ العربيّ. ويساوي عدديّاً الرّقم (٤) في حساب الجُمّل. وفي الترتيب الصّوتيّ القديم، يقع في الترتيب الخامس والعشرين عند الخليل بن أحمد، والثاني عند ابن جِنّي. وفي الترتيب الصّوتيّ الحديث يقع في الترتيب الثّاني.

سبب حدوث حرف الميم: يحدث عندما يحبس الهواء حَبْساً تامّاً في الفم، ويخفض الحنك الأقصى (اللّين) ويتمكّن الهواء الخارج من الرّئتين من المرور عن طريق الأنف بسبب ما يعتريه من ضغط. وتتذبذب الأوتار الصّوتيّة عند نُطقه. وعند ابن سينا: «***وأمّا إذا كان حبسٌ تامٌ غير قويٍّ، وكان ليس الحبس كلّه عند المخرج بين الشّفتين، ولكن بعضه إلى ما هناك وبعضه إلى ناحية الخيشوم حتى يُحْدِثَ الهواءُ عند اجتيازه بالخيشوم والفضاء الّذي في داخله دويّاً، حدث الميم.***»[1]

---

(١) إبن سينا، م. س. ص. ٨٣.

الصّفات الصّوتيّة: الميم صوت شَفَويّ أنفيّ مجهور، يُنطَقُ بانطباق الشّفتين انطباقاً تامّاً، والميم من الحروف القمريّة؛ تظهر معه لام (أل) التعريف نُطقًا وكتابة، مثل: المدح.

الاستخدامات الصّرفيّة والنّحويّة: الميم من حروف الزّيادة المجموعة في: (سألتمونيها). هو علامة التثنية والجمع في الضّمائر مثل: أنتما، هما، إيّاكما، إيّاهما، أنتم، هم، إيّاكم، إيّاهم، ومع الأفعال مثل: كتبتما، كتبتم.[1]

الصّفات الكتابيّة: الميم من الحروف المهملة النّقط ويكتب مفرداً هكذا: م، كما في: يصوم، ومتصلاً بما قبله هكذا: ـم، كما في: نمتم. ومتصلاً بما بعده هكذا: مـ، كما في: مع. ومتصلاً بما قبله وما بعده هكذا: ـمـ، كما في: صمت.

دلالة الاسم من خلال حروفه

- ميم: أسمت نفسها بنفسها مستخدمة الياء، فتناقضها داخليّ، وهي إتمام وترميم.
- ياء: استمرار حركة الميم بالزّمان بين السّالب شَفطاً للنَّفَسِ والإتمام.
- ميم: الميم الثانية بإطباق الشّفتين، تكون ءَالة النُطق قد أتمّت وظيفتها وضَبَّت عدّتها وأعادتها مُحَمّلة بالألف السّالبة إلى مخزنها.

لماذا استخدمت حركة الميم تسمية نفسها بنفسها إنْ لم تكن مُتناقضة مع حركتها؟ فهي حركة زوجيّة مع نفسها ولا تسمّى إلّا باسمها، وقد تجعلها الألف من جملة أسمائها، ولكنّها تبقى لا وجود لها إلّا بصيغة من صيغ الألف؛ أي الياء في (م-ي-م). فهي تستبطن الزّمان أوّلاً: لوجود (الياء) في اسمها، وثانياً: كلّ تكامل في الحركة يستلزم عملياً مرور زمان، فهذا الزّمان داخلي. إذْ أنّه يمكن مدّها صوتياً لآخر نقطة من هواء الصّدر، بخلاف بقيّة الأصوات. كذلك يمكن النُطق بها في حالة أخرى، وهي حالة السّلب التّام لمراكز الحركة، أي الإطباق التّام للفم، فالميم مقيّدٌ بالألف. وقد لاحظنا في باب حرف الباء، كيف أنّ الانفجار في (بُم) أتم بالميم فتح المجال مُظهراً طاقة الألف المكوّنة

---

(١) الحروف العربية، الأبجدية، الألفباء. **الموسوعة العربية العالمية**، مج ١.

للحروف. والميم الّتي لها مُهمّة الإتمام، عند إغلاق الشّفتين. فحركتها تستبطن الألف الّتي تؤلّف، وكأنّ الحركة العامّة والمطلقة للميم على جميع الحركات، تُنبئُ من طرف آخر، أنّه إذا كان الأمر كذلك، فما دور الألف الّتي تسلبها الميم بياء الزّمان؟ فهي كصوتٍ يمكن أن يتشكّل بصورة (نبضة)، وتأخذ زمناً مُحدّداً كزمن الأصوات الأخرى، ولكنّه يمكن أن يمتدّ مع امتداد الألف، وهو أنّ صوت الألف وإن كان هو الّذي ألّف الميم، فإنّه يعلن بهذا العمل أنّه ما كان ليُعرف، وما كان ليُسمّى، وما كان له أن يكوّن الحروف لو لم يستبطن الميم.

استطلاع متغيّرات اقترانات حرف الميم بصفته كمتبوعٍ وتابعٍ ومخترقٍ

الاقتران الثّنائيّ لحرف الميم بصفته مَتبوعاً:

م-ر: الميم تكامل الحركة بإتمام ما ينقصها، والرّاء تكرّر الحركة تباعاً. التكرار هنا يضمر استعصاء جمع النّواقص لكي تتكامل. دلالة اتجاه المعنى لهذا الاقتران، ظاهراً: الاجتياز، وباطناً: اللّقاح، والنّسمة. في معجم مقاييس اللّغة: الميم والرّاء أصلان صحيحان، يدلُ أحدهما على مضيٍّ شيء، والآخر على خلاف الحلاوة والطِّيب. أمّا المَرمر فضربٌ من الحجارة أبيض صافٍ. والمَرْمَرَة أيضاً: نَعمة الجِسم وتَرجرُجُه. وامرأة مَرْمارة، إذا كانت تترجرج من نَعمتها.

مَر: هنا حركة الفتحة الزمانية اتجهت بميم الإتمام إلى تفعيل التكرار المنظم باتجاه ولوج بابي الزّمان والمكان. مَرَّ الشيء يمُرُ مُعجمياً، إذا مضَى. ومَرُ السَّحاب: انسحابُه ومضيُه. ولقيته مرّةً ومرّتين إنّما هو عبارة عن زمانٍ قد مرَّ. يجمعون المرّة على المَرّ: اجتاز المكان والحالة. في هذا الوصف دلالة على الزّمكان في الحركة. وفي التّنزيل: ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفيفاً فَمَرَّتْ به..﴾ الأعراف ١٨٩، ﴿..نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ..﴾ الأحزاب ٣١. قال جرير:

تمرّون الدّيارَ ولمْ تَعوجوا ... كلامُكم عليَّ إذاً حَرامُ

مُرّ: هنا الحركة متموضعة تراوح مكانها رغم تكرار الرّاء، ثُمّ توقُفاً ومتابعةً بحركة الشّدّة، فإصرار الميم على عدم مبارحة المكان فيه تأثُرٌ وتأثيرٌ ماديٌّ ومعنويٌّ

بحركة الرّاء. المُرُ بضم حركة الميم: ضد الحلو، أمَرَّ الشَّيءُ يُمرّ ومَرّ، إذا صار مرّاً. ولقيت منه الأمرّين، أي شدائد غير طيّبَة. والأمرّان: الهمّ والمرَض. والأمرّ: المصارين يجتمع فيها الفَرث. قال الشّاعر:

إذا استُهديت من لحمٍ فأهدى   من المَأنات[1] أو طَرَف السَّنامِ

ولا تُهَدي الأمَرَّ وما يَليه   ولا تُهدنّ معَروقَ العظامِ

وسُمّي الأمرَّ لأنّه غير طيّب. ثُمّ سُمّيت بعد ذلك كلُ شدّةٍ وشديدة بهذا البناء. يقولون: أمررت الحبلَ: فتَلتُه، وهو مُمَرّ. والمرّ: شدّة الفَتْل. والمرير: الحبل المفتول. وكذلك المريرة: القُوّة منه. والمَريرة: عزّة النَّفس. وكلُ هذا قياسُه واحد. والمُرَار: شجرٌ مُرّ. وفي التّنزيل: ﴿..وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾ القمر٤٦، قال الحبسي[2]:

فَإني حَسَوتُ الماءَ عَذْباً وآجناً   وقد ذُقتُ في أيّامي المُرَّ والحَلوى

مِر: المِرّة بكسر الميم هي حركة زمانيّة لا تكلّ، وهي مُلحّة بتكرار المتابعة بعد التّوقف. وفي المعاجم: الشدّة والقوّة والعزيمة. وفي التّنزيل: ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾ النجم٦. قال لَبيد:

وخَصمٍ كنادي الجِنّ أسقَطتُ شأوَهُمُ   بِمُستَحصِدٍ ذي مِرّةٍ وَصُرُوع

م-د: الميم حركة تكامل بإتمام النّواقص باندفاع مقصود الدّلالة وإلى أبعد مدى، فمهمّة تأمين النّواقص مُندفعة قصداً. التمدّد مُعجميّاً: الجذب والمطل، والمديد الطّويل. في معجم مقاييس اللّغة، الميم والدّال أصلٌ واحدٌ يدلُ على جَرّ شيء في طول، واتّصال شيء بشيء في استطالة. تقول: مدَدْت الشيءَ أمدُه مَداً. ومَدّ النهرُ، ومَدّهُ نهرٌ ءَاخر، أي زاد فيه ووَاصله فأطال مدّته. وأمْدَدْتُ الجيشَ بمدَد. ومنه أمَدّ الجُرْح: صارت فيه مِدّةٌ، وهي ما يخرج. ومنه مددت الإبل مدّاً: أسقيتها الماء بالدَّقيق أو بشيءٍ تمدّه به. والاسم المَديد. ومدُ النهارِ: ارتفاعُه إذا امتدّ. والمِداد: ما يكتب به، لأنَّهُ يُمَدُ بالماء.

---

(١) قيل هي السُرّة وما حولها وقيل هي لحمة تحت السُرّة إلى العانة، لسان العرب، ج ١٣، ص ٣٩٥.

(٢) الحبسي: راشد بن خميس بن جمعة بن أحمد الحبسي، النزوي العماني، رمد وعمي في طفولته، (١٠٨٩-١١٥٠هـ،١٦٧٨-١٧٣٧م).

ومددت الدّواةَ وأمددتها. ومن الباب المُدُّ من المكاييل، لأنّه يمدّ المكيل بالمكيل مثله. وفي التّنزيل: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ البقرة١٥، و﴿فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ الهُمزة٩. ﴿لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً..﴾ الحجر٨٨. والمدى: الأفق الواسع. قال لسان الدّين ابن الخطيب[1]:

فإذا ظَلامُ اللّيلِ مَدَّ جناحَهُ   كَحلُوا جفونَ عيونهم تَسهيدا

م-س: سين الهيمنة وبسط النّفوذ متّجهة بأمر حركة التّكامل بالنّواقص في الميم، لإتمام تكامل بسط النّفوذ، وهو ما يستدعي الإلمام بكافّة الجزئيّات. يُقال مُعجميّاً أنّ مسّ بمعنى لَمَس. وفي معجم مقاييس اللّغة، الميم والسّين أصلٌ صحيح واحدٌ يدلُ على جَسِّ الشّيء باليد. ومَسِسْتُهُ أَمَسُّهُ. وربما قالوا: مَسَسْتُ أَمُسُ. والممسُوسُ: الذي به مَسٌ، كأنَّ الجنّ مسّته. والمَسُوس من الماء: ما نالته الأيدي. غير أنّ ورود اللاّم في لمس يعطي معنى تلاحم، والجيم في جس يعطي معنى الدّمج لا تجدهما في مس، وهذا لايتفق مع القول إنّه جَسّ الشّيء باليد. وفي التّنزيل: ﴿لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ الواقعة٧٩، فلم يقل لا يلمسه، وكذلك قوله: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً﴾ المعارج٢٠. هذه الاستعمالات ليست مادّية، لعدم دخول حرف لام التّلاحم ولا جيم الدّمج. المقاربة بين لمس ومسّ في حاجة ماسّة للبحث والتّأمل. قال تأبّط شرّاً في المس:

ويومكَ يومُ العَيْكتين وعَطفَةٍ   عَطَفْتَ وقد مسَّ القُلوبَ الحناجرُ

تسلسل (م-ر) تابعاً:

ط-م-ر: الطّاء تضخّم مُجتذب للاستبطان في فراغه، والميم تكامل الحركة بإتمام ما ينقصها، والرّاء تكرار حركة الطّم. استدعاء الميم لتوفير مستلزمات الاستيعاب داخل الطّاء استوجب التكرار المُنَظّم، ممّا يوحي بوجود عدّة مكوّنات وأجزاء مختلفة مطلوب استيعابها في فراغ الطّاء. في معجم مقاييس

---

(١) لسان الدّين ابن الخطيب: محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني الأندلسي، الملقب بذي الوزارتين، نشأ في غرناطة، ترك الاندلس خلسة بعد أن استوزره سلطانها إلى جبل طارق، واستقر بفاس، إلى أن تم تدبير اتهامه بالزندقة، فسجن وخنق في السجن، (٧١٣-٧٦٦هـ، ١٣١٣-١٣٧٤م).

اللّغة تسسلسل: الطّاء والميم والرّاء أصلٌ صحيحٌ يدلُ على معنيين: أحدهما الوثب، والآخر وهو قريبٌ من الأوّل: هَويّ الشّيء إلى أسفل. فالأوّل: طَمَرَ: وثَب فهو طامر. كما قال أبو كبير الهذلي[1] يمدح تأبّط شرّاً:

وإذا قَذفتُ له الحصاةَ رأيتُه ينزو لوَقعَتها طُمورَ الأخيَل.

ويقال للفرس طمرٌ، كأنَّهُ الوثّاب. وطامرُ بن طامر: البرغوث. والأصلُ الآخر طَمَرَ، إذا هَوَى. والأمر المطمّر: المهلك. والجمع المُطَمِّرات. وطمار: مكان يُرْفَع إليه الإنسان ثُمّ يُرْمَى منه. قال ابن الزّبير الأسديّ[2]:

إلى رجلٍ قد عَقَرَ السَّيْفُ وجهَه وآخرَ يَهوي من طَمَارِ قتيل

ومن هذا الباب: طمرت الشَّيءَ: أخفيتُه. والمطمورة: حفرةٌ تَحتَ الأرض يُرمى فيها الشيء. ومن الباب: طَمَرت الغرارةَ، إذا ملأتَها؛ كأنَّ الشيءَ قد رُميَ بها. وممّا شذَّ عن الباب الطِّمْر: الثّوبُ الخَلَق. وفي قول المعرّيّ:

فليُغنِ عن لُبسِ الشُفوفِ نَسائجاً بالتّبرِ، لُبسُكَ رَثّةَ الأطمار

غ-م-ر: حركة الغين تسعى لتمويه وإعادة الحركة إلى مكمنها. والميم تكامل الإنشاء بالنّواقص. والرّاء تكرار حركة (غ-م). في معجم مقاييس اللّغة تسلسل: الغين والميم والرّاء أصلٌ صحيح، يدلُ على تغطيةٍ وسَتْرٍ في بعض الشِّدّة. من ذلك الغَمْر: الماءُ الكثير، وسمّي بذلك لأنّه يغمرُ ما تَحتَه. ويقال للرَّجُل المعطاء: غَمْر، وهو غَمْرُ الرِّداء. قال كُثيِّر:

غَمْرُ الرِّداء إذا تبسَّمَ ضاحكاً غَلقتْ لضَحْكته رقابُ المال

ومن الباب: الغَمْرة: الانهماك في الباطل واللَّهو. وسمِّيت غَمرةً لأنّها شيء يستُر الحقَّ عن عين صاحبها. وفي التّنزيل: ﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ﴾ المؤمنون٥٤، وأيضاً: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا..﴾ المؤمنون٦٣. وغَمَرات الموت: شدائدُه الّتي تَغْشَى. وكلُ شدّة غَمرة، سمّيت لأنَّها تَغْشَى. ويقال: دخَلَ في غِمار النّاس، وهي زَحْمتُهم، وسمّيت لأنَّ بعضاً يستُرُ بعضاً.

---

(١) أبو كبير الهذلي: هو عامر بن حليس بن السهلي، من شعراء الحماسة، تزوج أم تأبّطَ شرّاً، أدرك الإسلام وأسلم.

(٢) ابن الزبير الأسدي: عبد الله بن الزبير، بن الأشيم بن الأعشى بن بجرة بن قيس بن طريف الأسدي، شاعر هجاء كوفي النشأة والإقامة، مدح مصعب بن الزبير، (؟-٧٥-هـ. ؟-٦٩٥م).

وفلانٌ مُغامرٌ: يَرمي بنفسه في الأمور، كَأنَّه يقع في أُمورٍ تَستُره، فلا يَهتدي لوجه المَخْلَص منها. ومنه الغمْر، وهو الذي لم يجرّب الأمورَ كأنَّها سُترتْ عنه. والغمْر: الحقْد في الصَّدر، وسمّي لأنَّ الصَّدرَ يَنطوي عليه. والغَمْر: العَطَش، وهو مشبَّه بالغمْر الذي هو الحقد، والجمع الأغمار. غَمَرَ بالفتح: غطّى من يدخل إليه، ومنها غمار الحرب والمغامر والغُمر بالضّم: قدح صغير للشرب القليل توضع به حصاة ليغمرها الماء، وتقليل حصّة كلّ من يأتي دوره للشرب أثناء السّفر بالصّحراء. قال المُتنبّي:

تَباعدَ ما بين السّحابِ وبينَه　　　فنائلُها قَطرٌ ونائلُه غَمرُ

قال الأخطل:

الخائِضُ الغَمْرِ، والمَيْمُونُ طائِرُهُ　　　أَغَرُ أَبْلَجُ يُسْتَسْقَى به المَطَرُ

تسلسل (م–ر) متبوعاً:

م–ر–ض: إحاطة الضّاد بحركة التّكامل المتكرّر وتوجيهها بوجهةٍ مُحدّدة، مع تقييد وتكثيف لإظهار الالتزام بعدم الانحراف أو الميل عن وجهتها، يفيد التوجّه تثبيتاً وتقييداً لمرونة ومرور حركة (م–ر). المرض مُعجمياً: السّقم والضّعف في البدن والفكر والدّين. وفي التّنزيل: ﴿لَّيْسَ عَلَى الضُعَفَاء وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى..﴾التوبة٩١ وهو أيضاً الشّك، كما في التّنزيل: ﴿في قُلُوبِهم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً..﴾البقرة١٠، والمرض أيضاً: النّقصان والفتور والوهن. قال ابن الرّومي:

ألا عُقُولَ، ألا أحلامَ تزجُرُهُم　　　بلى عُقولٌ وأحلامٌ بها مَرَضُ

م–ر–ج: هنا تابعت جيم الدّمج تفعيل حركة الاكتمال المتكرّر، فدمجت ما كرّرته الرّاء في محاولة تنفيذه كمطلب لميم الإتمام؛ فالحركة هنا توجيه الإتمام وجهد التّكرار لدمج ما يصعب دمجه؛ وهي تضمر انتشاراً نامياً بتكاثر، تحاول دمجه. في مُعجم مقاييس اللّغة، الميم والرّاء والجيم أصلٌ صَحيح يدلُ على مجيءٍ وذَهابٍ واضطراب. ومَرِج الخاتَم في الإصبع: قَلِقَ. وقياس الباب كلِّه منه. ومَرِجَت أَماناتُ القوم وعُهودُهم: اضطربت واختلطت. والمَرْج: أصلُه أرضٌ ذاتُ نَباتٍ تَمْرُجُ فيها الدّوابُ. وقيل في المعاجم أيضاً، مرَجَ: التبسَ

واختلطَ. والمريج: الملتوي الأعوج. وقيل المحتك والملتوي. ومرج فسد ومنه الهرج والمرج. والمرج اختلط واضطرب، كما في التّنزيل: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ الرحمن١٩، والمارج الشّعلة السّاطعة اللّهب كما في التّنزيل: ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ الرحمن١٥، والمرجل هو الإناء الّذي يغلى فيه الماء.
وقال أبو الفضل الوليد[1]:

لها الهامُ يوم السِّلمِ والحربِ تنحَني سنابلُ مَرجٍ رنَّحتها النَّياسِمُ

تسلسل (م-ر) المخترق:

م-ط-ر: في (م-ط) استبطان الطّاء لحركة تكامل الإتمام بالميم، ومن ثمّ السّعي لطويه في فراغها. فيه تنازع في التّوجه بين الجذب والمد. ومطّ الشّيء يمطه مطاً في المعاجم: مدّه. وفي التّنزيل: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾ القيامة٣٣؛ أيّ يتبختر، والمطي جمع مَطيّة، وهو إذ يمطتيها يَمطي بها السّير يمتد ويبتعد. قال امرؤُ القَيس:

مَطوتُ بهم حَتّى تَكلَّ غَريُهُم حَتّى الجيادُ ما يُقدنَ بأرسان.

التكرار الّذي تلجُ عليه الميم إنّما لفرض التكامل، بإعادة تكرار حركة المط، وهي حال المطر، لأنّها حركة تجاذب بين الأرض والسّماء، بين السّحاب والودق المعصرات. في مُعجَم مَقاييس اللّغة، الميم والطّاء والرّاء أصلٌ صحيحٌ فيه معنيان: أحدهما الغَيث النّازل من السَّماء والآخر جِنْسٌ من العَدْو. فالأوّل المطَر، ومُطِرْنا مَطراً. وقال ناسٌ: لا يقال أُمْطِرَ إلّا في العَذاب. كما في التّنزيل: ﴿أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ﴾ الفرقان ٤٠. و﴿..وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾ هود٨٢، والمطر في المعاجم: الماء المنسكب من السّحاب، أرى أنّه ليس مجرّد انسكاب، وإنّما فيه مطّ متكرّر تأثّراً بفعل البرودة والتّكاثف، ومن ثمّ التّجاذب مع جاذبية الأرض وسُرعة الرّياح. وفيه توجّه وقصد وليس مجرّد انسكاب. والمعنى الثاني قولُهم: تمطَّرَ الرَّجُل في الأرض،

---

(١) أبو الفضل الوليد: إلياس بن عبد الله بن الياس بن فرج بن طعمة، من أدباء لبنان في المهجر، ولد في المتن، ودرس بمدرسة الحكمة، هاجر إلى امريكا الجنوبية، وأصدر جريدة الحمراء بالبرازيل واتخذ لنفسه اسم ابو الفضل الوليد، (١٣٠٣-١٣٦٠هـ، ١٨٨٦-١٩٤١م).

إذا ذَهَب. والمتمطِّر: الرَّاكب الفرس يجري به. وتمطَّرَتْ به فرسُه: جَرَتْ. قال جرير:

عَفّى المَنَازِلَ بَعْدَ مَنزِلنا بها مَطَرٌ وَعاصِفُ نَيْرَجٍ مِجْفَالِ

م-هـ-ر: إعادة تكرار حركة الإتمام المحمولة بشفافية الهاء، في (مه)، دلالة على سعيها المستمرّ لجعل التّكامل خالص النّقاء، في معجم مقاييس اللّغة تسسلسل: الميم والهاء والرّاء أصلان يدلُ أحدهما على أجرٍ في شيء خاص، والآخر شَيء من الحيوان. فالأوّل المَهْر: مَهرُ المرأة أجرُها، تقول: مَهَرْتُها بغير ألف، فإذا زوَّجتَها من رجلٍ على مَهْرٍ قلت: أمْهرتُها. والأصل الآخر المُمْهِر: الفرسُ ذات المُهْر. والمُهر ولد الفرس. والمهارة الحذق، قال المعرّي:

مَهرُ الفَتاةِ إذا غَلا صَونٌ لَها من أنْ يَبِتَّ عَشيرُها تَطليقَها

عند عكس ترتيب حرفي (م-ر) لتصبح (ر-م)؛ تتولى حركة التّكرار الأمر بتوجيه الميم في مهمّة الإتمام ومتابعة ما ينقصها لتحقيق التّكامل؛ فكأنّ الحركة تتابع النّواقص مرّة بعد أخرى. الرَم معجمياً: إصلاح ما فسد، رمَّم، والرُمة بالضم ما بقي من الحبل، وأعطى الشّيء برُمَّته؛ أي بحبله، تَمَثُلاً للمقيّد للقصاص، أو الدّابة بقيدها. والرَّم: الأكل لما يسقط، والرِّم بالكسر: الثّرى أو ما تحمله الرّيح. وأرَم: سكت. والرمّة: العظام البالية، كما في التّنزيل: ﴿..قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ يس٧٨. قال لَبيد:

والنِّيبُ إنْ تعرُ مِنّي رَمَّةً خَلَقاً بعدَ المَماتِ، فَإنّي كُنتُ أَتَّئِرُ

تسلسل (م-د) متبوعاً:

م-د-ح: حركة المد اتجهت بحاء التّعاظم، لتأكيد التّكامل المتمادي وتغليفه بالإطار الذّاتي. وهل غير المدح ما يعبّر عن تعاظم ذاتي؟ المَدْح في المعاجم: نقيض الهجاء وهو حُسْنُ الثناء وقيل نقيض الذّم. والمدح من الأرض؛ إذا اتسعت. وتمدّحَت خواصر الماشيةَ: اتّسعت شبعاً. فالاتساع هنا للتكامل المندفع، وهو

معنى حركة هذا التسلسل، وفي المدح توسيع مجال الشّكر وتعظيم الحَسَنات.

قال البرعي[1]:

إذا مَدَحَ الشُعراءُ أربابَ عَصرِهِمُ   مَدَحتُ الَّذي من نورِهِ الكونُ ينهَجُ

م-د-خ: خاء الإخماد أطاعت وخضعت لدال الاندفاع المأمورة بحركة ميم التّكامل، كأنّ حركة المدّ الّتي تمادت وصلت إلى مُبتغاها فأخمدتها الخاء. المَدْخ في المعاجم: العظمة. والتَّمادُخ: البَغي. حكى ابنُ دريد: تمدَّخَت النَّاقة: تلوَّتْ في سَيرِها. وتمدَّخَت: امتلأتْ شَحماً. المادخ العظيم العزيز. وقال ساعدة الهذَلي[2]:

مُدخاء كلُّهمُ إذا ما نوكروا   يُتَّقى كما يتّقى الطَّليُ الأجربُ

وقيل المدخ المعونة التّامة، وقيل التّثاقل والتّقاعس، وقيل التّمادخ: البغي والعدوان، وهو الأقرب للمعنى الحركي: قال الشّاعر:

تمادَخُ بالحمَى جَهْلاً علينا   فَهَلاًّ بالقَنَانِ تَمادخينا

وفي قول الزّفيان[3]:

فَلا ترى في أمرِنا انفساخا   عن عُقَدِ الحَقِّ ولا امتداخا

م-د-ر: من الممكن أنْ نقول أنّ هذا التّسلسل يعني اتساع الشّيء وتكاثره، وذلك لتكرار وإعادة التّكرار لحركة المد بالرّاء. مُعجمياً: استعمل اللّفظ كاسم للحجارة الأرضيّة، وهذا واضح إذ الأرض واسعةٌ. والحجارة كثيرةٌ، ولكنّه أطلق على الاتساع باتّجاهات أُخرى أيضاً. المَدَر: الطّين اللّزج، والقطعة مدرة. وأهل المَدَر والوبر هم أهل القرى والبدو. الأمدر: الممتهن الّذي لا يتعهّد نفسه بالنّظافة. مَدَرَ مدّراً: انتفخ جنباه وضَخُم بطنه. يظهر أنّ جميع الاستعمالات تصويريّةٌ، إذْ لا يوجد استعمال فيها يطابق الحركة نفسها وإنّما يلائم صفاتها فقط. في معجم مقاييس اللّغة، الميم والدّال والرّاء أصل

(١) البرعي: عبد الرحيم بن أحمد بن علي البرعي اليماني، نسبة إلى بُرع جبل في تهامة، متصوف من سكان النيابتين، أفتى ودرس وشعره في المدائح النبوية، (؟-٨٠٣هـ، ؟-١٤٠٠م).

(٢) ساعدة الهذلي: ساعدة بن جُؤيَّة بن كعب بن كاهل بن سعد بن هذيل، جاهلي مخضرم (؟-؟)

(٣) الزّفيان: عطاء بن أسيد السعدي، من زيد مناة بن تميم، أبو مرقال الزفيان، (؟-؟)

صحيح يدلُ على طينٍ متحبّب، ثم يشبَّه به. فالمَدَر معروف، والواحدة مَدَرَةٌ، وربَّما قالوا: سمِّيت البلدة مَدَرة. والمَدْر: تطيينُك وجهَ الحَوض بالطِّين، وهو المَدَر المبلول بَلأً بالماء. ومكان ذلك الطِّين مَمْدَرةٌ. ويقال: رجلٌ أمدَرُ: عظيم الجَنْبَين، وأظنُّه من تَراكُم اللَّحم عليه، كأنَّه مَدَرٌ. قال أبو العتاهية:

ثوبُ من مات على وارثِه   وعلى من ماتَ ثَوبٌ من مَدَرْ

وقال الصّرصري:

لمْ يبقَ من حَجَرٍ ولا مَدَرٍ ولا   شَجرٍ ولا جَبلٍ ولا كثبان

تسلسل (م-س) متبوعاً:

م-س-ح: حاء التّعاظم والتّمدّد الذّاتيّ متّجه بحركة التّكامل المعزّزة بسين الهيمنة لبسط النّفوذ، ممّا أوجب كما قلنا متابعة الجزئيّات المادّية والمعنويّة. فحركة المسح والمساحة هي بهذا التّوجّه. فلا تأسيس لتكامل عمل مُتقن ومُسيطر عليه دون عمليّة المسح. مُعجميّاً: المسح إمرار اليد على الشّيء السّائل والملطّخ تريد إذهابه. ومسح التّراب: أزاله بخرقة. وفي التّنزيل: ﴿..وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ..﴾ المائدة٦، و﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ﴾ ص٣٣. قال ذو الرمّة:

ومستامةٍ تُستامُ، وهي رخيصةٌ   تُباعُ بساحات الأيادي وتُمسَحُ

والمسيح لأنّه كان يمسح بيده على العليل والأبرص فيبرئه. وقيل لأنّه مسح بالبركة؛ أي: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ ءال عمران٤٥. والماسحة الملاينة والملاطفة بقلوب غير صافية. والتّمسّح الّذي يلاينك ويغشّك. ومسحة من جمال مظهر من الحسن، كما قال ذو الرّمة:

على وجه ميّ مسحةٌ من ملاحةٍ   وتحت الثّياب الخزيُ لو كان باديا

استخلاص النّتيجة بمعيار العقل

نستخلص ممّا سبق أنّ حركة الميم كما قال عالم سُبيط النّيليّ: ***«مادّة التّكوين الجوهريّ الأوّل المرافق لخروج مظهر الألف من الفم عند السّلب التّام***

لمراكز الحركة، أي الصّوت المغلق، كما يطلق عليه علماء اللّغة. حركة الميم حركةٌ معقّدةٌ جدّاً بخلاف سلوكها الظّاهري كصوتٍ لها حركةٌ مبسّطةٌ وواضحةٌ. والميم تسلك سلوكين أحدهما ظاهري؛ وهو عملها كصوتٍ ذي حركةٍ بسيطةٍ، والآخر باطنيّ؛ فهي حركة عامّة تصلح نموذجاً لعددٍ لا يحصى من الحركات في الطبيعة. لكن مظهر هذا السلوك المعقد مظهرٌ واضحٌ، إذ أن صوت الميم عبارة عن ألفٍ مقصورٍ عن بلوغ الظهور التّام، فهو أكثر بساطة من الحروف ويخلو من أي تعقيد تميّزت به مظاهر الألف الأربعة الظاهريّة، بما في ذلك ألف المد. فالميم بمثابة (روح) للحروف لا تظهر حركاتها إلّا به. مظهر الألف نفسه لا يخرج حتّى تفتح فمك، بينما الميم يمكن نطقه ولو لم تقم بإطلاق صوت نبضي. فإذا أغلقت فمك نطقت الميم ممتداً أيسر من نطق مظهر الألف. وبين الألف (المظهر) والميم فرق كبير، فحيث يظهر الألف يختفي الحقيقي، وحيث يظهر الميم يمكن تذكّر الحقيقي كونه لا يدرك.»[1]

كي نفرّق بين حركتي الميم والنّون، اللّتان تعملان بالسّالب، ندخل عليهما حرف اللّام ليدل على قصد الاتصال والتواصل. حيث الميم تفيد التكامل الحضوريّ والآنيّ، ففي (لَمْ) هي بدلالة نفي الحاضر المتوقّع إتمامه، لذلك تستعمل في الإجابة على أسئلة منها: هل أتى فُلان، وهل تمّ العمل؟. بينما في (لَنْ) تستعمل في نفي النّشوء والتوالد في المستقبل مثل الإجابة على أسئلة منها: هل سيأتي فلان، وهل تقوم السّاعة؟ أمّا الفرق بين سلوك حركتي الحاء والميم، هو أنّ الحاء تعاظم الحركة أو النّمو من الدّاخل، بينما الميم تكمّل وتتمّم أي نقص أو بناء دون أن تزيد في حجمه. حركة الحاء لا تستطيع الإتمام وإنّما تنمّيه وتعظّمه إلى أقصى حدّ ممكنٍ. حركة الميم متجسّدة في مكانٍ، وتشير ظاهريّاً إلى الموضع الّذي تكتمل فيه حركتها. لهذا السّبب تدخل على أوّل التسلسلات لتعطي معنى المكانيّة. مثل: (معمل)، (مصنع)، (مكتب)،.. إلخ.

---

(١) اللّغة الموحّدة، م. س. ص.ص ٢٣١-٢٤١، بتصرف.

حرف الميم عند ابن عربي[1] لا يوصلنا إلى الدّلالة الحركيّة في قوله: الميم من عالم الملك والشهادة والقهر، له الغاية، وله الأعراف.

الميم كالنّون إنْ حقّقت سرّهما	في غاية الكون عيناً والبدايات
فالنّون للحق والميمُ الكريمة لي	بدءٌ لبدءٍ وغاياتٌ لغايات
فبرزخ النّون رُوح في معارفه	وبرزخ الميم ربٌ في البريّاتَ

ويدلُ عند الشّيخ العلايلي: «***على الإنجماع.***»[2] ربّما يكون في الإنجماع تكامل وإتمام، مع أنّه يستبطن جمع ودمج المتفرق كما في دلالة (ج-م-ع). وعند زكي الأرسوزيّ، ***يفيد المحدوديّة والإغلاق،***[3] مقارناً بين لفظتي (بهي) و(بهم)، وكذلك لفظتي (غض) و(غم)، وهذا ما يفسر قولنا أنّ الميم تفيد الإتمام، فما كان منفتحاً بالبهاء تمّ وانتهى وأبهم بالميم. وعند حسن عبّاس: «***خصائص صوت هذا الحرف موزّعة بين اللّمسي الإيحائي والبصري الإيمائي؛ أي من الحروف الإيمائيّة غير الشاعريّة، مع ملاحظة وجود التناقض بين الانغلاق والانفتاح في خصائصه الإيمائيّة، فانطباق الشّفة على الشّفة في حرف الميم يماثل الأحداث الطبيعية التي يتم فيها السدّ والانغلاق. كما أنّ ضم الشفة على الشفة بشيء من الشدّة والتأنّي قبيل خروج صوت الميم يمثّل بداية الأحداث التي يتم فيه المص بالشفتين والجمع والضم. أمّا انفراج الشفتين أثناء خروج صوت الميم، فهو يمثّل الأحداث التي يتم فيها التوسّع والامتداد.***»[4] في الوصف هنا ما يدل على التناقض، ولم يوصلنا إلى استنباط دلالة حركيّة تخرجنا عن دائرة الإيحاء. يدل حرف الميم عند إياد الحصني: «***على كلّ شيء ماديّ أو حسّي موجود أو آتي من السّماء، كما في: سماء نجم، شمس، مطر، موت، الم ، نعمة.. إلخ.***»[5] الوصف هنا أيضاً لا يلتقي مع ما توصّلنا إليه. وحرف الميم عند محمد عقل: «***مياه، أمواج متتالية، ماء الحياة الذي يستخدم للتحنيط (ربّما هو القار) رسم في الخط المسند الإنسان ميتاً ومحنّطاً،***

---

(١) **الفتوحات المكيّة**، م. س. السفر الأوّل ص.ص ٢٣٥-٢٣٦ ،٣٢١ – ٢٩٥.

(٢) العلايلي عبد الله: **مُقدّمة لدرس لُغة العرب**، وكيف نصنع المعجم الجديد، م. س. ص ٣١٤.

(٣) الأرسوزيّ، زكي نجيب، **المؤلّفات الكاملة**، م. س. ص ١١٠.

(٤) **خصائص الحروف العربية ومعانيها**، م. س، ص.ص ٧١-٧٨، بتصرف.

(٥) الحصني، إياد: **معاني الأحرف العربيّة**، م. س. ص ٤١.

هكذا: ﻫ .»[1] تحوّل شكل الميم أفقيّاً بأن أُلغي التكرار. ربّما في الموت إتمام دورة الحياة، وفق مفهوم حرف الغين وتسلسل النّظام الأبجديّ نفسه.

الحروف الّتي لا تتبع الميم في تشكيل الاشتقاقات، هما الباء والفاء لاشتراكهما بمخرج واحد مع الميم، إلّا أنّ صوت الميم يخرج في حال إغلاق الشّفتين، وبالسّالب أيضاً، بينما الباء تنبثق وتنفجر منهما، فحركة الميم تكامل بينما الباء تفجّر وتفتح المجال، كما أنّ الباء يتضمن الميم صوتاً كما في (بم). وفي حركة الفاء التي هي للتفريق لا تتابع ولا تلتقي مع مطلب الإتمام الذي يسعى لجمع النواقص لا تفريقها. ويلتقي الحرفان مع مسعى الميم في حال كانت الميم أداة للعمل كما في: مِبرد، ومفصل، أو إسماً لمفعول كما في: مَبروم، ومَفصول.

---

(١) عقل محمد: ابجدية القرءان من مملكة سبأ، م. س. ص ٤٩.

حرف النّون

نون+ واو+ نون

المُسمّى الأبجديّ المتعارف عليه للحرف: ن-و-ن

المخرج: طرف اللّسان ومغارز الثّنايا عند غار الفم، إلى زلق الشّفتين.

ترتيب نشأة الحرف: النّون هو الحرف الرّابع عشر في ترتيب الأبجديّة العربيّة، والحرف الخامس والعشرون في الترتيب الهجائيّ العربيّ. ويساوي عدديّاً الرّقم (٥٠) في حساب الجُمَّل. وفي الترتيب الصّوتيّ القديم يأتي في الترتيب الثاني والعشرين عند الخليل، والرّابع عشر عند ابن جنّي، وفي الترتيب الصّوتيّ الحديث يأتي في الترتيب الثّالث عشر عند أغلب علماء الصّوتيات المعاصرين.

سبب حدوثه: يُنطق باعتماد طرف اللّسان على أصول الثنايا العُليا من اللّثة، عندما يخفض الحنك اللّين فيتمكّن الهواء الخارج من الرّئتين من المرور عن طريق الأنف. وتتذبذب الأوتار الصّوتيّة عند نُطقه. ورد عند ابن سينا: ***«وإذا كان حبسٌ تامٌ غير قويّ، وكان ليس الحبس كلّه عند المخرج، وإن كان بدل الشّفتين كما في الميم، طرف اللّسان وعضو آخر حتى يكون عضو رطب أرطب من الشفّة يقاوم الهواء بالحبس، ثمّ يُسرّب أكثره إلى ناحية الخيشوم، كانت النّون»***[1].

الصّفات الصّوتيّة: النّون صوت لثويّ أنفيّ خيشوميّ مجهور، والنّون من الحروف الشّمسيّة، تختفي معها لام (أل) التعريف نُطقاً لا كتابة، مثل: النَّحل.

---

(١) إبن سينا، م. س. ص. ٨٣. بتصرف.

الاستخدامات الصّرفيّة والنَّحويّة: حرف النّون من حروف التصريف العربيّة. هو علامة المضارعة للمتكلمين كما في: نحن نكتبُ، وضمير النّسوة كما في: النّسوة يكتبن، ويكون مع الأفعال الخمسة: يكتبان تكتبان يكتبون تكتبون تكتبين، ويكون للوقاية في مثل: يضربني، ويكون للتوكيد عند اتصاله بالفعل المضارع كما في قوله تعالى: ﴿..لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُوناً مِّنَ الصاَّغرينَ﴾ يوسف٣٢. ويكون ضميراً لجماعة المتكلمين في مثل: لنا، إننا، كنا. وقد يبدّل النّون من اللّام في مثل: جبرين، ومن الميم في مثل: الغين وهو الغيم. وهو من حروف الزّيادة المجموعة في قولهم: (سألتمونيها). ويأتي النّون للدّلالة على التنكير فيسمّى تنويناً. أُنظر: التنوين.[1]

الصّفات الكتابيّة: حرف النّون من الحروف المُعْجَمة (المنقوطة) بنقطة أعلى دائرته المفتوحة، ويكتب النّون في خط النّسخ، مفردة هكذا: ن، كما في: يكون، ومُتصلاً بما قبله هكذا: ـن كما في: كن، ومتصلاً بما بعده هكذا: نـ، كما في: نلعب، ومتصلاً بما قبله وما بعده هكذا: ـنـ كما في: لنا.

دلالة الاسم من خلال حروفه

- نون: توازن التّناقض المكانيّ والإنشائيّ.
- واو: الواو حيّز مكانيّ.
- نون: حركة أسمت نفسها بنفسها مستخدمة الواو، فتناقضها داخليّ، وهي تتابع طلب النّون الأولى، في التّواجد والإنشاء، والّذي لا يتم إلّا بتوازن التّناقض.

نتساءل: لماذا سمّي الحرف «نون» هكذا: (ن+و+ن) وليس: (ناء) مثل تاء وباء وثاء؟ ولماذا لم يسمّى هذا الحرف (نيم) ولا (ناف) على غرار قاف، كاف؟ لماذا لم يستَعن بحرف آخر لتسمية نفسه، ولماذا اتخذت حركة النّون الأولى الواو؛ أي الضَمّة (نُ)، وكذلك التّواصل بين النّونين بالواو؟ إن أمعنا التّفكّر، تدلّنا الواو وتشير إلى أهميّة الحيّز المكانيّ لحركتها، بين النّون الأولى والثّانية. فمخرج

---

(١) الحروف العربية، الأبجديّة، الألفباء-[الموسوعة العربية العالمية مج ١٠٢].

الحرف وقدرته على مدّ الصّوت وسماع رنينه والفم مُطبق الشّفتين، يدل على مكانته وموضوع حركته. للتوجّه إلى الحيّز المكانيّ في مضمون مسمّاه أهمية في الاستدلال على معناه. فما حاجة النّون إلى الحيّز المكانيّ إنْ لم يكن هو موضوعها، لا سيّما أنّ النّون الثاني أكّد التزامه بالمكان.

تسلسل النّون: هذه التسمية متّصلة بالحركة الدّاخلية للأصوات، وتنوّه في حقيقة أمر هذه الحركة. فالموجودات المنشئة للوجود مثل، نواة، نطفة، تبدأ بالنّون. كما نجد أنّ حرف النّون يدخل في مُسمّيات الكائنات: إنسان، حيوان، نبات، نار، جن، طين، دنيا جنّة، كذلك للأجزاء المُكوّنة للأجسام والمواد مثل: نُقطة للماء، نُطفة للإنسان، نواة للمادة، وأيضاً لمسمّيات أجزاء جسم الإنسان: بطن، عنق، جبين، لسان؛ والطير مثل: جناح، ذنب، زعنفة. والجنس، والنّوع، واللّون، والنّسل، والنّسق، والصنع، سمن، جبن، دهن، تين، نفس. في إلحاق حرف الفاء لحرف النّون في نفّ ونفا، تعطي حركته دلالة إلغاء وإبعاد مشاركة في الإنشاء المجتمعي مع الآخرين، وفي حال ألحقناه بحرف الهاء كما في نها، نجد أنّ الهاء حملت على كف يد وإبعاد وليس نفي.

استطلاع متغيّرات اقترانات حرف النّون بصفته كمتبوعٍ وتابعٍ ومخترقٍ

ن-س: حركة نون الإنشاء المستمر، تتابع من السّين للمحافظة على مظهرها وسلوكها وهيمنتها. الحركة انسلال سريع كالمحافظة على السّرية والترقّب وحسن التنسيق والترتيب. التّوجّه خروج إنشائيّ متسلّل بتنسيق. النّسُ في المعاجم: سرعة الورد. وسُرعَة المَضَاء في كُلّ أمرٍ، والنَّسيْسَة: الإيكال بين النّاس، والبَلَلُ الّذي يكون برأس العُوْدِ إذا أُوْقِدَ. والنسناس: الصّبر والجهد والانسلال. ربّما تفيد الحركة كثرة الحَذر المنفلتة من الرّقابة. قال أبو حِزامٍ غالبُ بن الحارث العُكْليّ[1]:

نَسَّ آلي فَهَادَ هِنْداً نُسُوْساً ... واسْتَشَاطَ القَذَالُ مِنّي خَلِيْساً

(١) أبو حِزامٍ غالبُ بن الحارث العُكْليّ: راوي، ذكر البيت في الأصمعيات، والعباب الزاخر. ورد اسمه في كتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٨م. مج٩، ص ٢٥٥، مج ١٨، ص ١٢.

والنَّسِيْسُ: الجوعُ الشديدُ. وقيل: غايَة جُهد الإنسان. وبَقِيَّةُ الروح، والمنسوس: المطرود، قال الحُطَيْئَة يهجو الزِّبْرِقان:

وقد نَظَرتُكُمُ إعشاءَ صادرَةٍ   للخِمسِ، طالَ بها حَبسي وَتَنساسي

عند النّظر في تناقض (ن-س) مع (س-ن)، نجد أنّ سن فيها تثبيت مهيمن إنشاءً، بينما (ن-س) تفيد المضاء والسّرعة والطرد، وهذا ما يبين جدليّة العلاقة بين حرفي السّين والنّون، في تبادل المواقع. في تسلسل (س-ن). سين الهيمنة هي من تحكم التوجّه، في ترتيب مُنسّق للخروج وللهيمنة وبسط النفوذ. توجّهه الظّاهري النّسق التكويني. في التّنزيل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ من صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ الحجر٢٦؛ أي له سنّة تطور، و﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ من قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾ الفتح٢٣، وفي معجم مقاييس اللّغة تسلسَل: السّين والنّون أصلٌ واحد مطّرد، وهو جريَان الشّيء وإطرادُهُ في سهولة. والأصل قولهم: سَنَنْتُ الماءَ على وجهي أَسُنُّهُ سَنّاً، إذا أرسلتَه إرسالاً. ثمَّ اشتُقَّ منه رجل مسنون الوجه، كأنَّ اللّحم قد سُنَّ على وجهه. والحَمَأُ المسنون من ذلك، كأنّه قد صُبَّ صَبّاً. ومما اشتقَّ منه السُنَّة، وهي السِّيرة. قال أبو ذؤيب الهذلي:

فلا تَجْزَعَنْ من سُنَّة أنت سِرْتَها   فأوّلُ راضٍ سُنَّةً من يسيرُها

وإنّما سمِّيَت بذلك لأنّها تجري جرياً. ومن ذلك قولهم: امضِ على سَنَنك وسُنَنَك، أي وجهك. وجاءت الريح سَنائنَ، إذا جاءتْ على طريقة واحدة. ثمَّ يحملَ على هذا: سَنَنْتُ الحديدة أسُنُّها سَنّاً. إذا أمْرَرْتَها على السِّنان. والسِّنَان هو المِسَنّ. والسِّنان للرُمح من هذا؛ لأنّه مسنون، أي ممطول محدّد. وكذلك السَّناسِنُ، وهي أطراف فَقار الظهر، كأنَّها سُنّت سَنّاً. ومن الباب: سِنُّ الإنسان وغيره مشبّه بسنان الرّمح، قال زُهير:

نُعوِّدُها الطّراد فكلّ يوم   تُسنُّ على سنابكها القُرونُ

النّون تعمل أيضاً بالسّالب ولها توجّه باطني كما في التنزيل: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا ءَالَ فِرْعَونَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّن الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ الأعراف١٣٠. قال الطّرماح:

بِمُنخَرِقٍ تحنُّ الرّيحُ فيه   حنينَ الجُلْبِ في البَلدِ السَّنِين

ن-ف: النّون حركة إنشاء وتكوين مُستمر، والفاء تفريق وفصل الحركة، أعاقت المتابعة. الحركة الكلّيّة فيها خروج بإنشاء مُنفصل، فالنَّف والنَّفف، والنَّفنف والنّفناف في المعاجم: الهواء بين شيئين، وقيل: المفازة، وقيل: الشّيء بينه وبين الأرض فهوى، ومنه نفّ الأنف، وفي قول ذي الرّمّة:

ترى قُرطها من حُرَّة اللّيث مُشرفاً على هلَك، في نَفنفٍ يتطوّحُ

والنّفيف: سفّ السّويق، كما في قول الشّاعر:

وكانَ نصيري مَعشَراً فَطَحا بهم نَفيفُ السوُيقِ والبُطونُ النَّواتِقُ

عند قلب حرفي التسلسل إلى (ف-ن). حيث ابتدأ التّسلسل بفاء الفصل الّتي تفرّق الحركة إلى كافّة الاتجاهات المادّية والمعنوية، توجّهت حركة نون الإنشاء والتكوين إلى متابعة هذا التّفرق. الحركة فصل وتفريق نشأة الخروج، بما يماثل خروجاً عن المألوف. الفن في المعاجم: النّوع والحال. والتّفنُن: تعدّد الأساليب. والفّنَن: الغُصن وما تشعّب منه وقيل ظلّه. وقيل الفن تعدّد الألوان. وفي التّنزيل: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ الرحمن٤٨. قال عَنترة:

في مَربَعٍ جَمَعَ الرَّبيعَ بربعه من كلِّ فَنٍّ لاحَ في أفنانه

ن-م: حركة الإنشاء والتّكوين هنا اتجهت بها النّون لكي تتابع الميم وتكامل الحركة بإتمام ما ينقُصها، فهي خروج تكويني يتطلّب متمّمات ومستلزمات من الميم لتكامل حركتها. النّم مُعجمياً: التّوريش والإغراء والإفساد، وتزين الكذب، كما في قول الفرّاء:

بَكَتْ من حديثٍ نَمَّهُ وأشاعه ولَصَّقهُ واشٍ من القوم واضِعُ

الاتجاه الحركيّ للمعنى يتناقض مع الاتجاه المعجميّ هذا. وإذْ قيل في المعاجم إنّ النّميمة هي الهمس والصّوت الخفيّ، فهذا يصح لأنّ النّون والميم تناقضهما ذاتيّ وداخليّ، ويخرجا الصّوت ويمدانه بالسّلب والفم مطبق. حركة النّون هي من يحكم حركة الميم لمتابعة ترتيب ما ينقص من مستلزمات الإنشاء، ولكن بمراقبة وتسخيرٍ واعٍ لموضع كلّ خطوة، ووضعها في مكانها المناسب، وهذا ما يتطابق مع النّمنمة، وهي نوع من التّزين والنّقش والزّخرفة، وفي قول أبي الفضل الوليد:

كأنّها مُخمَلٌ زانتهُ نَمنَمةٌ أو نورُ بدرٍ حَلا في ليله الأرَقُ

معجم مقاييس اللّغة، النّون والميم أصلٌ صحيح له معنيان: أحدهما إظهار شيء وإبرازُه، والآخر لونٌ من الألوان فالأوّل ما حكاه الفراء، يقال: إبلٌ نمّة: لم يَبْقَ في أجوافها الماء. والنَّمَّام منه، لأنَّه لا يُبقي الكلام في جوفه. ورجلٌ نَمَّام. ويقولون: أسْكَتَ الله نَامَّتَه: ما ينمُ عليه من حركته. والنَّميمة: الصَّوت والهَمْس، لأنَّهما يَنُمّان على الإنسان. ومنه النَّمَّام: رَيحانٌ يدلُ عليه رائحتُه. ومنه قولهم: ما بها نُمّيٌ، أي أحد، كأنهما يريدون ذو حركة تدلُ عليه. والأصل الآخر النَّمنَمة: مُقارَبَة الخطوط. والنُّمنِم: البياض يكون على الأظفار، الواحد نُمنُمة.

عند قلب حرفي التسلسل إلى (م–ن). صار منسجماً مع النشأة والتكوين، على خلاف تسلسل (ن–م). الميم التي توفّر حركتها مسعى التكامل هي من يحكم توجّه تسلسل (م–ن)، وحيث النّون إنشاء حركة مستمرّة، لذلك صار المطلوب تكامل نشأة الخروج، وهذا أقرب ما عليه صورة حركة تشكّل المَنين وهو الغبار. ومنّ عليه منّاً في المعاجم: أحسن وأنعم. منّ عليه بيد أسداها إذا قرّعه بها، فكأنّ المعروف أصبح هباء، كما في التّنزيل: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ التين٦، ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ المدثر٦، وقيل غير مقطوع، قال الشّاعر:

فترى خلفَهم من سرعة الرّ جع منيناً كأنّه أهباءُ.

وفي قول لَبيد:

لَمُعَفَّرٍ فهدٍ تنازعَ شلوَه غُبسٌ كواسبُ لا يُمَنُّ طعامها

والمَنيّ مُشدّد الياء منه يتكوّن الجنين. المَن: الكمأة من المَن والسّلوى، كما في التّنزيل: ﴿..وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى..﴾ البقرة٥٧، والمُنّة: القوّة، وخصّ بها قوّة القلب، وقيل: هي الوجهة، وقيل: هي من الأضداد؛ أيْ القوّة والضعف. والمَنون: الموت، لأنّه يضعف كلّ شيء، وقيل: هو الدّهر والزّمان، والمنايا والأحداث، والحمام والأجل، والحتف. وفي التّنزيل: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾ الطور٣٠. وفي قول النّابغة:

وكلّ فتىً، وإن أمسى وأثرى، ستخلجُه عن الدّنيا المَنونُ

إضافة حرف بادئ إلى التسلسلات:

خ-ن-س: استلام خاء الإخماد زمام المبادرة، جعل من حركة النّس مُخمدة وفيها ترقّب وخشية وتخفّي؛ هي إخماد لأيّ خروج يسعى للإنشاء ملتزم باسط للنّفوذ. والخُنوس. في معجم مقاييس اللّغة، الخاء والنّون والسّين أصلٌ واحد يدلُ على استخفاء وتستُر. قالوا: الخَنْس الذهاب في خفْية. يقال خَنسْتُ عنه. وأخْنَسْتُ عنه حقَّه. والخُنَّس: النُجوم تَخْنس في المَغيب. وقال قوم: سُمِّيت بذلك لأنّها تَخفَى نهاراً وتطلُع ليلاً. والخنّاس في صفة الشّيطان؛ لأنّه يَخْنسُ إذا ذُكر الله تعالى. ومن هذا الباب الخَنَسُ في الأنف. انحطاط القصَبة. وفي التّنزيل: ﴿من شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ الناس٤، قال الحارث بن حلّزة[1]:

أنمي إلى حَرفٍ مُذَكَّرَةٍ تَهِصُ الحَصا بِمواقعٍ خُنُسِ

ك-ن-ف: الكاف فرز وتكتّل المتآلفات، والنّون إنشاء مستمرٌّ للحركة، والفاء الفصل والتفريق في حركة تكتل إنشاء المتآلف، إذن الحركة كتلة خارجة لإنشاء منفصل. الكنيف في المعاجم: من يعيش في كنف العائلة، هو من كنكنته إلّا أنّ منزلته مختلفة، وقد ميّزته حركة الفاء وفرزته عن الأولاد في الرّعاية والمسؤوليّة، لكون الأولاد مسؤوليّة تكوينيّة، ومن تضمهم إلى الرّعاية مسؤوليّة تآلُفيّة، في معجم مقاييس اللّغة، لكاف والنّون والفاء أصلٌ صحيح واحد يدلُ على سَتْر. من ذلك الكَنيف، هو السَّاتر. وكلُ حظيرةٍ ساترةٍ عند العرب كَنيف. قال عُروة بن الورد [2]:

أقولُ لقومٍ في الكنيف تَروَّحُوا عشِيَّةَ بتنا عند ماوَانَ، رُزَّحِ

---

(١) الحارث بن حلّزة اليشكري: الحارث بن حلّزة بن مكروه بن يزيد اليشكري الوائلي، شاعر جاهلي من أهل بادية العراق، أحد أصحاب المعلقات، ارتجل معلقته أمام ملك الحيرة وهو مضرب المثل في الافتخار، (؟-٥٤ق.هـ، ؟-٥٧٠م).

(٢) عروة بن الوَرد: عروة بن الورد بن زيد العبسي، من غطفان، من شعراء الجاهلية وفرسانها وأجوادها، (؟-٣٠ق هـ، ؟- ٥٩٣م).

ومن الباب كَنَف فلاناً: ضمّه وجعله في عياله، وكَنَفَا الطّائر: جناحاه، لأنّهما يستُرانه. ومنه الكنْف، لأنّه يستُر ما فيه. وناقةٌ كَنوفٌ: يصيبها البردُ، فهي تَستَتِرُ بسائر الإبل. ويقال: حظَرت للإبل حظيرةً، وكنَفْتُ لها وكَنَفْتُها أكنُفها. فأمَّا قولُهم: كَنَفتُ عن الشَّيء: عدلت، والكنافة حلويات كنفت الجبن بين طيّتين من السّميد أو ما فُرِكَ من خبيز الدّقيق. قال عروة:

سَقَوني النَّسءَ ثُمَّ تَكَنَّفوني   عُداةُ اللهِ من كَذِبٍ وزورِ

غ-ن-م: حركة الغين تعمل على إرجاع الحركة الّتي تسعى إلى الظّهور إلى مكمنها، أو تمويهها، وإخفاء معالمها، والنّون إنشاء مستمرّ للمتآلفات، والميم تكامل هذا الإنشاء وإتمامه. التّوجّه فيه إبهام وتمويه لما خرج بإنشاء متكامل، وهو أشبه بسلوك المختلس. الغَنَمْ معجمياً: اسم جنس قطيع الشاة، وغَنِمَ غنيمة وغانم: فاز وكسب بدون مشقّة بل هي بانتهاز الفرصة كما في: (اغتنم الفرصة)، وأيضاً المغانم بما كسب وأصاب بالحرب من غنائم وأرزاق. وفي التّنزيل: ﴿فَكُلُواْ ممَّا غَنِمْتُمْ حَلاَلاً طَيِّباً وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ الأنفال٦٩، وفي قول المحبي[1]:

مَنْ غَنِمَ الفُرصَةَ أدركَ المُنى   ما فازَ بالكَرْمِ سوى الّذي جَنا

إضافة حرف لاحق على التسلسلات إيّاها:

ن-س-ل: هنا متابعة اللّام كحركة تلاحم ونسج لتوصيل حركة الإنشاء والتّكوين، الّتي تنشدها النّون، تحافظ على مظهرها حركة السّين، إذْ تعطينا معنى التّنسيق والتّرتيب في الهيمنة، والتّمادي في بسط النّفوذ، فهي خروج بإنشاء مُلتزم المواصفات في مسعى لنسج حركة جديدة ملتحمة، هو ما يتم بتسلسل (نسل). في معجم مقاييس اللّغة، النّون والسّين واللّام أصلٌ صحيح يدلُ على سَلٍّ شيءٍ وانسلاله. وهو وفق المعنى الحركيّ يتمّ باهتمام وتركيز. والنَّسْل:

---

(١) المحبي: محمد أمين بن فضل بن محب الله بن محمد المحبي، الحموي الصل الدمشقي، مؤخ باحثن سافر إلى الأستانة وبروسيا، وتولى القضاء في القاهرة، له عدة مؤلّفات منها: خلاصة الأثر في أعيان القرن الثاني عشر، وقصد السبيل في اللّغة من الدخيل، وجنى الجنتين في تمييز نوع المثنيين، (١٠٦١-١١١١هـ، ١٦٥١-١٦٩٩م).

الولَد. لأنَّه يُنْسل من والدته. وتناسَلُوا: ولد بعضُهم من بعض. ومنه النَّسَلان: مشية الذِّئب إذا أعْنَقَ وأسْرَع. والماشي يَنْسلُ، إذا أسرع، والنُسَالة: شَعر الدَّابّة إذا سقطَ عن جَسده قطَعاً. ونُسَال الطَّير: ما تحاتَّ من أرياشها. ونَسلَ الثَّوبُ عن الرّجل: سَقَط. وفي التّنزيل: ﴿..فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ يس٥١، وقال أبو العتاهية:

ألا كُلُّ شيءٍ سِوى اللّهُ زائِلٌ ألا كُلُّ ذي نَسلٍ يموتُ ونَسلُهُ

س-ن-د: حركة التّنسيق لبسط الهيمنة والنّفوذ في اتجاه إنشاء مُعزّز في دقّة توجيه الدّلالة على الاندفاع؛ فحركة الهيمنة مندفعة بالدّال للتدليل على الهيمنة المستمرّة إنشاءً، السّند والمسند والمستند، وفي معجم مقاييس اللّغة، السّين والنّون والدّال أصلٌ واحدٌ يدلُ على انضمام الشّيء إلى الشّيء. يقال سَنَدتُ إلى الشّيء أسْنُدُ سنوداً، واستندت استناداً. وأسندتُ غيري إسناداً. والسِّناد: النّاقة القويّة، كأنها أُسندت من ظهرها إلى شيءٍ قويّ. والمُسْنَدُ: الدّهرُ؛ لأنّ بعضَه متضامّ. وفَلان سَنَدٌ، أي معتمَدٌ. والسَّنَد: ما أقبل عليك من الجبل، وذلك إذا علا عن السَّفْح. فأمّا السِّناد الذي في الشعر فيقال إنَّهُ اختلافُ حركتي الرِّدفين. وفي المعاجم؛ هو المعاضدة والمؤازرة، قال عَلقمة الفحل[1]:

قطاةٌ ككردوس المَحالة أشرفت إلى سند مثل الغبيط المذأب

والسّند: الوثيقة المعتمدة الّتي يستند إليها صاحب الحق في المطالبة. والمسند في الحديث ما اتصل تواتراً إلى النّبي؛ أي كلّ مرجع ورواية سندت وأيّدت الأخرى تتابُعاً. وفي قول العُشاري:

ضاقَ الخِناقُ فلا ذُخرٌ ولا سَندُ وكم عليَّ ذنوبٍ صِرتُ أخشاها

س-ن-ح: حركة الهيمنة في الخروج الإنشائيّ تتعاظم ذاتيّاً بالحاء؛ فهي توجّه لاستيعاب كلّ مناسبة وحالة مُتاحة، في سبيل غايتها ومقصدها؛ يفيد التسلسل هنا أنّ حركة التّنسيق للهيمنة وبسط النّفوذ في توجّه لإنشاء متعاظمٍ داخليّ. في معجم مقاييس اللّغة، السّين والنّون والحاء أصلٌ واحدٌ

(١) علقمة الفحل: علقمة بن عبدة بن ناشرة بن قيس من بني تميم، شاعر جاهلي من الطبقة الأولى،عاصر امرؤ القيس وله مع سجالات، (؟-٢٠ق.هـ ؟- ٦٠٣م).

يُحمَل على ظهور الشّيء من مكانٍ بعينه، وإن كان مختلَفاً فيه. فالسّانح: ما أتاك عن يمينك من طائرٍ أو غيره، يقال سَنَحَ سُنُوحاً. والسانح والسَّنيح واحد. قال ذو الرّمة:

ذكَرْتُك أنْ مَرت بنا أُمُّ شادنٍ أمام المطايا تشرئبُّ وَتسنَحُ

السّانح في المعاجم: وما والاكَ ميامنه؛ والبارح: ما ولاك مياسره، وسنح: بمعنى تيسّر، وسنحت لي الفرصة: أُتيحت. وقول سوّار بن المضرب[1]:

وحاجة دون أخرى قد سنحت لها جعلتها للّتي أخفيت عنوانا

وقال زُهير:

جرت سُنُحاً فَقُلتُ لها: أجيزي نَوىً مشمولةٌ، فَمَتى اللّقاءُ؟

ن-ف-ذ: حركة الإنشاء والتكوين بالنّون، استعانت بفاء الفصل والتفريق للمتابعة، ثُمّ أتت بالذّال لإظهار وتمرير البروز الحسّي للحركة. التّوجه يذلّل مرور الحركة من خلال إضمار وجود مُعيقات بل حواجز، فهي حركة خروج لإنشاء منفصل محسوس، فإن كان النّف والنّفف، الهواء بين شيئين، فالنّفاذ وفتح النّافذة جعل الفصل بيّناً محسوساً. أوصلت الذّال حركة الإنشاء المنفصلة والمتفرّقة الاتجاه إلى المجال الحسّي، فأتاحت للحواس استبيان وملامسة التوجّه وأحياناً المعاناة، وتعينه حسب الموقع المقابل لمن يحسّ به، النّفاذ في المعاجم: يدلُ على مَضاء في أمْرٍ وغيره. ونَفذ السَّهمُ الرّمية نَفاذاً. وأنْفذْتُه أنا. وهو نافذٌ: ماضٍ في أمره، والنّفاذ: الخروج من الشّق الآخر، كما النّافذة، والنّفاذ: الحدّة والمضاء، وطريق نافذ: سالك، والنّفوذ: القطع والسّلوك. والنّافذ أمره: المطاع، كل متعدٍ ومتجاوز وفيه معنى الإفراط والحدّة بفاء الفصل، ونفذ الواجب والأمر: أنهاه وخلصّه وأنجزه. وفي التّنزيل: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ الرحمن٣٣. قال تأبّط شراً:

وطَعنة خَلسٍ قد طَعَنتَ مُرِشَّةٍ لها نفذٌ تَضلُ فيه المسابرُ

---

(١) سوّار بن المضرب: سوّار بن المُضرّب السعدي، من بني تميم وقيل من بني كلاب، شاعر إسلامي قيل هرب من الحجّاج، (؟-؟).

قال ابن الدّهان[1]:

ورمى فأنفَذَ في الحَديدِ مُسَرَّداً   سَهماً، وما نفذَ الحريرَ مُستَرا

ن-م-ط: اتجهت حركة نون الإنشاء والتّكوين لكي تتابع الميم تكامل الحركة بإتمام ما ينقُصها، فتولّت الطّاء استبطان واحتواء التّوجّه في فراغها لتجعل منه نموذجاً. والمعنى الحركي هو خروج ناشئ متكامل مستبطن التّضخّم. والنّمط معجمياً: هو الطريقة والنّوع والفن والزّي إذا كرّر واتخذ طِرازاً. قال ابن خاتمة الأندلسي[2]:

لكنّهم من ذَرا علياكَ في نَمَطٍ   سامٍ رفيعِ الذُرى ما فَوقَه نَمَطُ

إضافة حرف إلى وسط التسلسلات في مثالنا الأوّل:

ن-ك-س: توسّط حركة كاف التّكتل للمتآلفات، بين توجّه حركة الإنشاء المستمر، وقدرة السّين في الانسلال للمحافظة والهيمنة على مظهر التّنسيق والترتيب، انتزعته حركة الكاف وفرضت على السّين أنْ تواكب حركتها هي. التوجّه خروج إنشائيّ متكتّل محافظ غير مرن. النّكس مُعجمياً: يدلُ على قَلْب الشّيء. منه النُّكس: قَلبُك شيئاً على رأسه. والولاد المنكوس: أن يَخرُج رجلاهُ قَبْلَ رأسه. والنِّكسُ: السَّهم الذي ينكسر فُوقُه، فيُجعلُ أعلاه أسفلَه. ويقال للمائق: إنَّه لنكْسٌ، تشبيهاً بذلك. ومنه تنكيس الرّاية، وهي تنكيس وطأطأة الرّؤوس ذُلّاً أو حُزناً. وانتكست صحّة المريض عاودته علّته. وفي التّنزيل: ﴿وَلَوْ تَرَى إذ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عندَ رَبِّهِم..﴾ السجدة١٢، و﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ في الْخَلْقِ أفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ يس٦٨. وقال البُحتري:

أسوأُ العَواقِبِ يأسٌ قَبلَهُ أمَلٌ   وأعضلُ الدّاءِ نَكْسٌ بعدَ إبلالِ

---

(١) ابن الدّهان: عبد الله بن أسعد بن علي أبو الفرج مهذب الدين الحمصي، ولد بالموصل واقام في مصر، ثم في الشام، حمص حيث توفّي فيها، سجل في ديوانه الحروب الصليبية، (٥٢١-٥٨١هـ، ١١٢٧-١١٨٥م)

(٢) ابن خاتمة الأندلسي: أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن خاتمة الأنصاريّ الأندلسيّ، طبيب مؤرّخ من أهل المرية بغرناطة، له مؤلّفات عدّة وديوان شعر، في خزانة الرّباط، (٧٠٠-٧٧٠هـ، ١٢٩٩-١٣٦٩م).

س-م-ن: التّوجّه هنا بحركة السّين في نسق للهيمنة متكامل في الخروج الإنشائيّ مستمرّ لبسط النّفوذ. في المعاجم: السّمين: جسيم البدن، خلاف المهزول، والسَمن: الدّهن، وسلاء الزّبد، كقول امرئ القيس:

فتملأ بيتنا أقطاً وسمناً   وحسبك من غنى شِبَعٌ وريُ

والسّمين: عظيم القفا رخو الخواصر. وفي قول ابن قلاقس:

الخصرُ ذو وَهَنٍ والردِفُ ذو سِمَنٍ   والنَّاسُ من زَمنٍ ماضٍ لها شَهِدوا

ن-ت-ف: إذْ واكبت التاء جهد النّون في الإنشاء والتّكوين، في مسعى لاجتذاب الحركة لأمثالها لتشكيل حركات مترتّبة معها، أتت الفاء لفصل وقطع المتابعة. يظهر التوجّه جهد ممانعةً مُتجاذبة لعملية التّفريق. النّتف معجمياً: للشّعر: شدّه ونزعه. والنُتف: القطع الصغيرة المتفرّقة والشّيء القليل وما يُلتَقطُ بالأصابع. وقول الفرزدق:

بَكَرَتْ عليَّ نَوارُ تَنتُفُ لِحيَتي   نَتْفَ الجَعيدَة لِحيَةَ الخَشخاشِ

ن-ج-م: النّون للتّكوين والإنشاء المستمرّ، والجيم حاجة الجهد للجمع والدّمج، وهي بحركة التّماسك الّذي لا يقبل المرونة، والميم تكامل الحركة بإتمام ما ينقُصها؛ فالتّسلسل يفيد الجهد المتابع والمتماسك لحركة التّكوين بإتمام ما ينقصها ليدمج بها إنشاءً. إذن هي خروج إنشائيّ مدمج متكامل، وفي المعاجم: نجم ينجم نجوماً: يدلُ على طُلُوعٍ وظهور. ونَجَمَ النَّجمُ: طَلَعَ. ونَجَمَ السِّنُ والقَرْنُ: طَلَعَا. والنّجم: الثُّرَيَّا، اسمٌ لها طلع وظهر. كما ظهور النّجوم والكواكب. وكذلك ما نجم عن رأي. وأيضاً: النّبات الّذي لا ساق له كالزّهر، وفي التّنزيل: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ النجم١، و﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ الواقعة٧٥، ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ الرحمن٦. وقال زُهير:

مُكَلَّلٍ بأصولِ النَّجمِ تنسُجُهُ   ريحٌ خريقٌ لضاحي مائه حُبُكُ

بين تسلسلي (ن-ج-ح) و(ن-ج-ع) تشابه متابعة لحركة الإنشاء مع تسلسل (ن-ج-م)، غير أنّه في الأوّل الحاء تتابع حركة جهد النّون في الإنشاء والتّكوين، لإعطاء معنى التّعاظم والتّغلّب على المعيقات، بينما في تسلسل (ن-ج-ع) جاءت حركة العين للمعاينة فالاستدامة لجهد إنشاءٍ معنيٍ باتضاح المُبهم،

وفي ذلك إضمار لاحتمال أن يكون الإنشاء عديم الفائدة من حيث التّوجّه، أو غير منّسق ومتقن نوعية ومتانة عناصر الإنشاء الضّرورية لاستدامة فائدته. فالنجاح يضمر تجاوز المعيقات والصعوبات والتغلّب عليها، بينما في النّجاع إضمار تحقيق الفائدة المرجوة.

استخلاص النّتيجة بمعيار العقل

نستدل ممّا سبق أنّ حركة النّون متّصلة بالحركة الدّاخلية للأصوات، وتتوّه في حقيقة الأمر عن هذه الحركة. فالنّون حركة إنشاء مستمر، والإنشاء فيه خروج النّشأة الأولى الّتي بدأ بها الكون، والنّشأة تشكّل خروجاً للحياة أو بعثها سواء في المادّة أو في الحركة. فالتّشكّل والإنشاء مرتبط بالمواد والعناصر الحركيّة المساعدة والمواكبة لها حركياً، والّتي تلحقها لمتابعة خروجها إلى الوجود، أو الّتي هي من بعد مكوّنات حركتها. ووفقاً للمعنى الحركيّ، فهي خروج متشعّب ومنتشر يلج بابي الزّمان والمكان، ولذلك اتخذ التعبير طريقه ءَاليّاً للاستدلال به على معنى حركة النّون؛ ذلك أنّ الوجود هو بقوّة حركة النّون، الّتي هي قوّة الإنشاء والتّكوين، وهي الطّاقة الكامنة في الحركة المنشئة للمكوّن ظاهراً وباطناً. ولأنّ صوت النّون إنشاء مستمر لذلك يشير إلى جماعة النّسوة، للدّلالة على حقيقة دورهن في التّكوين.

عند المهندس سلطان[1]: حرف «نون» الّذي هو (ن+و+ن)، حرف دوري ينقلب أوّله على ءَاخره، فالنّون الأولى روحانية مُتعلّقة بعلم الباطن، والثّانية جسمانية مُتعلّقة بعلم الظّاهر، والرّابط بينهما هو حرف واو الإلقاء، وهو واسط بين النّونين، فيلقى إلى النّون الجسمانيّة ما تتلقاه من الرّوحانيّة. وحرف النّون عند ابن عربي[2]: من عالم الملك والجبروت له غاية الطّريق ويتميّز في الخاصّة وخاصّة الخاصّة، وله الخُلُق والأحوال والكرامات وله الذّات.

نون الوجود تدل نقطة ذاتها ... في عينها عيناً على معبودها
فوجودها من جوده ويمينه ... وجميعُ أكوان العلَى من جودها
فانظر بعينك نصف عينِ وجوده ... من جودها تعثر على مفقودها

(١) للمزيد: فاضل سلطان: **اسم الله الأعظم، وهندسة الكون**، م. س.ص ٢٣..

(٢) **الفتوحات المكيّة**، م. س. السّفر الأوّل ص. ص ٣٠٨-٣٠٩.

لا يساعدنا هذا الوصف في معرفة الدّلالة الحركيّة.

يدل حرف النّون عند الشّيخ العلايليّ: ***«على البُطون في الشّيء، أو على تمكّن المعنى تَمكّنًا تظهر أعراضُه.»***[1] التمكّن من مقوّمات التكوين، وهذا مقارب لما قلناه. وعند زكي الأرسوزي: ***«إنّها للتعبير عن الصميمية»***،[2] مسترشداً بكلمة (نبّ) ليقول إنّها: تفيد الانتقال من الدّاخل إلى الخارج. لا يفيدنا هذا الوصف ولا يتقارب مع ما توصّلنا إليه. واستخلص حسن عبّاس خصائص هذا الحرف ودلالته: ***«بأنّ صوته انبثاق من الصّميم، ويدل على الاهتزاز والاضطراب الخروج وتكرار الحركة، وكذلك على النّفاذ في الأشياء، والرّقة والأناقة والضّعف بلا عيوب نفسيّة أو جسديّة، كما يدل على الإقامة والاستقرار والإحاطة والخفاء.»***[3] يوحي ما استنتجه أنّ للنّون حركة من الدّاخل للخارج وأخرى من الخارج للدّاخل، لكن ما استخلصه لا ينسجم مع ما توصّلنا إليه. ويدل عند إياد الحصني «***على معنى الصغر والتصغير، وبما أنّ أجزاء الشيء أو أقسامه أو المواد التركيبية التي يتألف منها هي أصغر من الشيء الذي تدخل في تركيبه لذا يكون حرف النّون أحد حروف الكلمة الدالة على أنواع وأصناف الشيء وأجناسه، كما في: نطفة، نواة، نبات، إنسان .إلخ.***»[4] في هذه المقاربة لم يتوصّل إلى مفهوم التكوين وإنْ قارب المعنى. وصورة حرف النّون عند محمد عقل: ***«حوت، سمك- محبرة، تمثل حركة الحنش- ذكر الأفعى***، هكذا: ٦..»[5] عند التحوّل الأفقي أجلس الشكل، وبقي كما هو.

يمكن لكل الحروف أنْ تلحق بحرف النّون وأنْ يستخدمها ويسخرّها لخدمة مشروع إنشائه، فهو إذ يعمل بالسّالب والموجب يستوعب الاحتمالات الممكنة.

---

(١) العلايليّ، عبد الله: **مُقدّمة لدرس لُغة العرب، وكيف نصنع المعجم الجديد**، م.س، ص ٣١٤، بتصرف.

(٢) الأرسوزيّ، زكي نجيب، **المؤلّفات الكاملة**، م. س. ص. ١٢٦.

(٣) عبّاس، حسن، **خصائص الحروف العربية ومعانيها**، م. س. ص ص ١٥٩-١٦٨، بتصرف.

(٤) الحصني، إياد، **معاني الأحرف العربيّة**، م. س. ص ٦٦-٦٨، بتصرف.

(٥) عقل، محمد، **ابجدية القرآن من مملكة سبأ**، م. س. ص ٤٩.

حرف السّين

سين+ ياء+ نون

المُسمّى الأبجديّ المتعارف عليه للحرف: س-ي-ن

المخرج: منبت السّين من بين الأسنان، والأسنان مفردها سِن.

ترتيب نشأة الحرف: السّين هو الحرف الخامس عشر في ترتيب الأبجديّة العربيّة، والثّاني عشر في الترتيب الهجائيّ العربيّ. يساوي عدديّاً الرّقم (٦٠) في حساب الجُمَل. وفي الترتيب الصّوتي القديم يأتي في الترتيب الثّاني عشر عند الخليل بن أحمد، والثّامن عند ابن جنِّي. وفي الترتيب الصّوتيّ الحديث يأتي في الترتيب السّادس عشر عند أغلب علماء الصّوتيات المعاصرين.

سبب حدوثه: يُنطق حرف السّين باعتماد طرف اللّسان خلف الأسنان العليا، مع التقاء مقدّم اللّسان باللّثة العليا، ومع وجود مَنْفَذ للهواء فيحدث الاحتكاك، وبرفع أقصى الحنك حتّى يمنع مرور الهواء من الأنف. ولا تتذبذب الأوتار الصّوتية عند النّطق به. وعند ابن سينا: ***«وأمّا السّين فتحدث مثل حدوث الصّاد، إلّا أنّ الجزء الحابس من اللّسان فيه أقل طولاً وعرضاً، وكأنّها تحبس العضلات الّتي في طرف اللّسان لا بكلّيتها بل بأطرافها»***[1].

---

(١) إبن سينا، م. س. ص. ٧٧.

الصّفات الصّوتيّة: السّين صوت لثويّ احتكاكيّ مهموس، ولعيوب خَلْقيَّة في اللّسان ينطق بعض النّاس السِّين ثاءً ويسمى ذلك لثغة. السّين من الحروف الشّمسيّة، تختفي معها لام (أل) التعريف نُطقاً لا كتابةً، مثل: السُّوق.

الاستخدامات النّحويّة: حرف السّين من حروف المعاني غير العاملة؛ فهو يرد قبل المضارع لمعنى الاستقبال مثل: سأكتب.

الصّفات الكتابيّة: حرف السّين من الحروف المهملة (غير المنقوطة). ويكتب في خط النّسخ، مُفرداً هكذا: س، كما في: نفوس. ومتصلاً بما قبله هكذا: ـس، كما في: نفس، ومتصلاً بما بعده هكذا: سـ، كما في: سماء، ومُتصلاً بما قبله وما بعده هكذا: ـسـ، كما في: نسيم.

دلالة الاسم من خلال حروفه

- السّين: سَنة: مدّة زمنية، وسُنّة: أي ما يسنّ من قوانين، وسَنا: أي بهاء.
- الياء: حرف حركي متعلّق بالزّمن.
- النّون: الرّنين واضطراب هو كتصادم أو تعارض السّالب بالموجب قبل الالتحام، فالنّون الثّانية أكّدت تثبيت مطلب التّكوين في الأولى. تسمّت باسمها واستخدمت واو التّموضع المكانيّة، كحركة في إنشاء الكينونة والتكوين.

نتساءل: لماذا أُطلق عليه هذا المسمّى؟ وماذا يعني أن يُكنى بالنّون؟ وما هو حرف النّون ودلالته؟ وما دور الياء ليستعين بها المُسمّى، ولماذا هو وليس غيره من حروف العلّة؟ توضيح الإجابة على هذه التساؤلات، يفسّر لنا أنّ دلالة مُسمّى السّين هي التّآلف والتّنسيق بين ما يُسنُ من قوانين الإنشاء في الزّمان والوجود الكونيّ. ويُظهر ترتيب حروف المسمّى تآلفاً وتناقضاً كما في (س-ن) وضع القوانين، بينما (ن-س) تسلّل خفية. وفي مدلول تكرار حرف السّين في سمسم، ومسمسم، تأكيد على توجّه وانسلال السّين وفقاً لتوجّه الحرف اللّاحق أو السّابق بنعومة وبلا ريبة. نستخلص أنّ حرف السّين حيث ينتهي اسمه بحرف النّون الّذي يعطي معنى الخروج للإنشاء والتّكوين،

مستعيناً بحرف الياء الزّمانيّ لحاجة حركته إلى زمن، يُمثّل انسلال الحركة لإظهار وبسط فعلها بالحس. وحركة السّن وزمنه ومعناه كلُها بدلالتها.

استطلاع متغيّرات اقترانات حرف السّين كمتبوعٍ وتابعٍ ومخترقٍ

حرف السّين كمتبوع:

مقاربة بعض الاقترانات الشّائعة الاستخدام، للحصول على نسق وتكوّن نشاط حركة حرف السّين، من خلال معاينة تأثيرها وتأثّرها ببعض حروف الأبجديّة، ولغرض التّمهيد، نستعرض بهذه التسلسلات توجّه حركة السّين. نُركّز على المعنى الحركيّ، فنجد أنّها انسلال بالحسّ؛ أي بالحواس بنسق وبترتيب مُحدّد، وفق كلّ حرف دخلت لمعايرة اتجاه المعنى للتسلسلات التالية:

س-ل: إنسلال حركة سين الهمينة لبسط النّفوذ، تتابع اللّام التوصيل والتلاحم لإنشاء حركة ونسيجاً جديداً مُحكماً. التّوجّه تسلّل خفية في نسق متصل. في معجم مقاييس اللّغة تسلسل: السّين واللّام أصلٌ واحد، وهو مدُ الشيء في رفْق وخَفاء، ثمّ يُحمَل عليه. وفي التّنزيل: ﴿..قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذاً..﴾ النور٦٣. فمن ذلك سَلَلْتُ الشيء أسلُه سَلاً. والسَّلَّة والإسلال: السَّرقة، ومن الباب: السَّليل: الولد؛ كأنّه سُلَّ من أُمّه سَلّا. وفي التّنزيل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ المؤمنون١٢، وفي شعر هند بنت النُعمان، وروي أنّه لأمّها حميدة بنت النُعمان بن بشير[1]:

وما هندُ إلّا مُهرَةٌ عَرَبِيَّةٌ سَليلَةُ أفراسٍ تحلَّلَها نَغلُ

قالت امرأةٌ من العرب في ابنها:

سُلَّ مِنْ قلبي ومن كبدي قمراً مِن دونه القَمرُ

---

(١) حميدة بنت النّعمان بن بشير الأنصاري الخزرجي، مولدها المدينة، كان أبوها والياً على حمص، تزوّجت في دمشق المهاجر بن عبد الله، وطلّقها فهجت، ثمّ تزوجت الحارث المخزومي، وبعده روح بن زنباع، وبعدهما فيض بن الحكم بن أبي الثقفي، فأنجبت منه ابنة تزوّجها الحجاج بن يوسف الثقفي. (؟-٨٥هـ، ؟-٧٠٤م).

وقال بعضُ أهل اللّغة: السَّلْسَلَة اتّصال الشّيء بالشّيء، وبذلك سُمّيت سلسلة الحديد لأنّها ممتدة في اتّصال. ومن ذلك تَسَلْسَل الماء في الحَلْق، إذا جرى. وماءٌ سَلْسَلٌ وسَلْسَالٌ وسُلاسِل، سُلالة وسَليل: نسق وترتيب في الانسلال المتلاحم، قال الأخطل:

إذا خاف مِنْ نجمٍ عليها ظَمَاءَةً أمَالَ إليها جدولاً يَتَسَلْسَلُ

قال زُهَير:

كأنَّ عيني وقد سالَ السَّليلُ بهِم وجيرةٌ ما هُمُ لو أنَّهم أمَمُ

س-ح: السّين صوت انسلال الحركة كما سبقت الإشارة، لإظهار وبسط فعلها بالحس، ولإعطاء معنى التنسيق والترتيب، والحاء تعاظم وتمدّد الحركة في ذاتها إلى حدّها الأقصى، بالتالي حركة التنسيق داخليّة التّوجّه في مسعى لبسط النّفوذ داخل التعاظم نفسه؛ أي نسق هيمنة بترتيب متعاظم. في معجم مقاييس اللّغة تسلسل: السّين والحاء أصلٌ واحد يدلُ على الصَّبّ، يقال سححت الماء أسُحُ سَحّاً. وسَحَابَةٌ سحوح؛ أي صَبَّابة، وشاةٌ ساحٌ، أي سمينة، كأنّها تَسُحّ الودكَ سَحّاً. وفرس مِسَحٌ، أي سريعةٌ يشبه عدوُها انصبابَ المطر. ويقال سَحسَح الشيء، إذا سال. وساح يسيح على وجه الأرض. والسّح والسّاحة: عرصة الدّار. قال دُريد ابن الصِّمّة[1]:

فرُبَّةَ غارَةٍ أوضعتَ فيها كَسَحِّ الهاجريِّ جريمَ تمر

س-د: ظاهراً النَّسق والتّرتيب في الهيمنة وبسط النّفوذ مُندفع الدّلالة، لتسديد الخَلل، ودقّة التّوجيه. بسط النّفوذ والهيمنة تمثّل الانتباه لكافّة الثّغرات الممكنة الّتي تعمل السّين بترتيب على إغلاقها أمام أيّ احتمال خارجي؛ فهو هنا إضمار الحيطة، وحركة التنسيق لبسط النّفوذ والهيمنة، مُندفعة بقوّة الدّال، تستنفر في ملاحقة الخلل والتسرّب لمنع أي هروب أو تجاوز لسلطتها ونفوذها. السّد في المعاجم: إغلاق الخلل وردم الثلم، وسداد القارورة، الصّواب تسديد الخلل، ودقّة التوجيه، والسَداد بالفتح: الإصابة في المنطق

---

(١) دريد بن الصِّمّة: دريد بن الصِّمّة الجشمي البكري، من هوازن، الأبطال المعمرين في الجاهلية، كان سيد جشم، أدرك الإسلام ولم يسلم وقتل يوم حنين، (؟-٨هـ ؟-٦٢٩م).

والقصد والتوفيق، والسّدة: كالصُفّة، تكون بباب الدّار، وهي في بلاد الشّام مكان خزين يعلو فوق المطبخ أو الحمام. وفي التّنزيل: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْماً لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً﴾ الكهف٩٣، و﴿وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً..﴾ يس٩. وقول الأعشى:

ماذا عَلَيها وماذا كان ينقُصها يوم التَّرحّلِ لو قالت لنا سَدَدا

وقال العرجي[1]:

أضاعوني وأيَّ فَتىً أضاعوا ليومِ كريهَةٍ وسِدادِ ثأرِ

س-م: حركة الهيمنة وفق ترتيب وتنسيق، تسعى للتكامل بما ينقصها، فالتّوجّه فيه أوّلاً إدراك النّواقص، ومن ثُمّ العبور إلى المتمّمات لإلحاقها بالمشروع، وليصار إلى التكامل معها في الهيمنة ونسج التلاحم. السّم في المعاجم: القاتل، وأهل المسمّة: الحسّاد، كقول إبراهيم الحضرمي:

فلما رأى الحُسّاد صبري على الأذى سقوا من كؤوس الغيظ سُمّ الأراقم

والسَّم: الثّقب والخرق، وفي التّنزيل: ﴿..وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ..﴾ الأعراف٤٠، وفي الحديث: «***فأتوا حرثكم أنّى شئتم سماماً واحداً***»، وهي محاولة اختراق أضيق المعابر، وقيل في المعاجم: إنّ كُلَّ خَرق هو سم. أحسب أنّ ورود ميم التكامل والإتمام يعارض هذا المعنى، ذلك أنّ الاقتران القرءانيّ جعل السّم لإبرة الخيط الّتي تقوم بالحياكة والتّكامل، وكذلك هو فَلهمُ المرأة الّذي من خلاله ينشأ الجنين والتّزاوج؛ فهو ليس مُجرّد خرق أو ثقب، ولهذا استخدمه التّنزيل والحديث للحرث الّذي يفيد الزّرع، في توجّه فضّ الفرج لوضع البذار، كما تزرع الأرض. فكلّ تسلسل له دلالته الحركيّة المختلفة عن غيره، معنىً ومقصداً، لذا؛ هو يبطن العمل المكلّفة بإتمامه حركة الميم من قبل السّين. قال حميد ابن ثور:

على كلِّ نابي المحزِمين ترى لَهُ شراسيفَ، تغتال الوَضين المُسمَّما

وقول ابن رشيق القيرواني[1]:

---

(١) العرجي: عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان، شاعر غزل مطبوع، صحب مسلمة بن عبد الملك في وقائعة بأرض الروم، (؟-١٢٠هـ، ؟-٧٣٧م).

يدنو فيوسعُ لي سُمّ الخياط كما　　يضيق بي حين ينأى السَّهلُ والجبل

وقيل: سَموم الإنسان: فمه، ومنخريه، وأُذنيه، ومسام الجلد، وسمَمَ: أصلح وشدّ. قال الكميت:

وتنأى قعورُهُمُ في الأمور　　على من يسُمُ ومن يسمُل

والسَّموم: الرّيح الحارّة، والسُمسم: الحَب الصّغير المعروف، والسُمو والسَّماء: الارتفاع، وسماء كلّ شيء: أعلاه، كالسَّماوات السّبع. وفي التّنزيل: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ الذاريات٤٧. والمسملك: الضّامر.

س-ع: تسلّل حركة بسط النّفوذ والهيمنة، بتنسيق وترتيب بما توفّره عين المعاينة من كشف المُبهم، فيها توجّه انتقائي لا عشوائي الهيمنة، كذلك البحث عن النّخبة واستيعابها وتسخيرها. السّعسع في المعاجم: الزؤان وأردأ الطعام. وسعسع: كبر وأسن وهَرِمَ واضطرب وقارب الفناء. والتسعسع: الفناء والذّهاب. نلاحظ في (س-ع-ا) كيف أنّ دخول ألف الزّمكان على تسلسل (س-ع) حولها لمتابعة العزم بدل الانهزام. قال سبيع التّيمي[٢]:

حلّت به بعد الهُدُوّ نطاقها　　مِسعٌ مسهِّلة النتاج زَحوفُ

وقال عمرو بن شأس الأسدي[٣]:

مازال يُزجي حُبُّ ليلى أمامَهُ　　وليدين، حتّى عُمرُنا قد تَسَعْسَعا

مُعاينة حرف السّين كتابع من خلال قلب التسلسلات السّابقة:

ل-س: لام التّلاحم والاتصال وقد انسلّت إليها السّين لبسط هيمنة فعل التّلاحم بالحس، هنا التّلاحم باتجاه التّنسيق والهيمنة لإنشاء حركة واحدة، وفي المعاجم، اللَّسُ: اللَّحْسُ، يقال: لَسَّتِ الدّابَّةُ الكَلأَ تَلُسُه لَسّاً: إذا نَتَفَتْهُ بِمُقَدَّمِ

---

(١) ابن رشيق القيرواني: الحسن بن رشيق القيرواني، أبو علي، أديب وناقد باحث، من مواليد السميلة بالمغرب، من كتبه: العمدة في صناعة الشعر، ولاشذوذ في العلّة، العمدة في صناعة الشعر، وديوان شعر، جمعه عبد الرحمن ياغي، (٣٩٠-٤٦٣هـ، ١٠٠٠-١٠٧١م).

(٢) سبيع التيمي: سُبيع بن الخطيم التيمي بن عبد المناة، جاهلي عاصر بعض الإسلاميين، (؟-؟)

(٣) عمرو بن شاس الأسَدي: عمرو شأس بن عبيد بن ثعلبة الأسدي، مخضرم، (؟-٢٠هـ، ؟-٦٤٠م).

فَمها، وقيل: اللَّسُ أصلُه الأخْذُ باللّسان من قَبْلِ أنْ يطولَ البَقْلُ، كما في قول المتلمّس الضبعي:

لسَسنَ بُقوْلَ الصَّيفِ حتّى كأنَّما بألسُنها من لَسٍّ حُلَّبِها الصَّقرُ.

وقول الكميت:

لَسَّ الغميرَ بها مُستقبلاً أُنفاً من الرَّبيع حتّى أغلولب العُشب

ج-س: حركة الجيم، انسلت خلفها السّين للمحافظة وبسط النّفوذ والهيمنة على مظهر الدّمج والتّأكيد عليه، وجيم الدّمج وجّهت السّين بترتيب مُحدّد؛ فحركة الجس ليست كما اللّمس للظّاهر والتّحسيس بأطراف البَنان، وإنّما التأكّد بالقبضة، وكذلك بكلّ أدوات الإدراك والحواس من الامتلاء والدّمج. نرى ذلك كما يحدث في سوق الحلال حيث تُجسّ الحيوانات جسّاً، وتستخدم مجازاً للتجسّس والمعاينة. كما في التنزيل: ﴿..وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً..﴾ الحجرات١٢، و﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ طه٦٧. قال ابن الرّومي:

كأنّي في جسّ مكنونها بُعثتُ لأسبرَ إيمانها

ح-س: توجّه حركة الحاء الّتي تسعى إلى تعاظم وتمدّد حركتها في ذاتها إلى حدّها الأقصى، استنفرت سين الهيمنة بترتيب ونسق محدّد؛ أدواتها الحواس الخمسة تمدّ الحاء بمجسّات التمدّد. الحركة هنا داخلية حذرة منتبهة بامتياز، تعمل لخدمة بسط سيطرة التعاظم الذّاتي. وفي المعاجم: حس والحسس وحسست الشّيء: شعرت به، الحَسُ: القتل الذّريع والمريع والاستئصال. وفي التّنزيل: ﴿..إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِه..﴾ ءَال عمران١٥٢. والحسّ بالكسر: وهو للإحساس بالحركة لا سماعها صوتاً، والحَسيس: الصّوت الخفي، والمحسوس: المشؤوم، والإحساس: العلم بالحواس، كما في التّنزيل: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ من يُوسُفَ وَأَخيه..﴾ يوسف٨٧. والسّنَةُ الحوسة: هي الّتي تأكل كلّ شيء. وفي قول النّابغة الذّبياني:

أصاخَ من نبأةٍ أصغى لَها أُذناً صماخُها بدَخيس الرّوق مستورُ

من حِسٍّ أطلسَ تسعى تحته شرَعٌ كأنَّ أحناكَها السُّفلى مَآشيرُ

وقال المعرّي:

لا حِسٌ للجسمِ بعد الرُّوحِ نَعلَمُهُ   فهل تَحسُ إذ بانَت عن الجَسَدِ

د-س: حركة السّين هنا، لحقت بدال الاندفاع، فالجهة مُحدّدة سَلفاً؛ لهذا انسلت تتابع ووفقاً لحركة الدّال للمحافظة على مظهر الاندفاع. وفي التّنزيل: ﴿..أيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ..﴾ النحل٥٩. والدّس مُعجميّاً: الوضع خَلسة، ووضع شيء تحت شيء، والدّفن. واستعملت الدّسيسة في التّأليب، قال النّابغة الذّبياني:

وذلك من قولٍ أتاكَ أقولُه   ومن دسٌ أعدائي إليك المآبرا

والدّست: اللّباس، وقدرُ النّحاس الكبير، وصدر المجلس. والدّسر: الطّعن؛ وهو المسمار. كما في التّنزيل: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾ القمر١٣، يلاحظ فيه تكرار حركة الدّس لمقابلة الاستعصاء والممانعة، فالمسمار يندس بشكل متتابع.

م-س: سبق وعالجنا هذا التسلسل في موضعه، وقلنا في سياق تسلسل (ل-م-س)، أنّه في حاجة ماسّة للبحث والتّأمل، ونورده هنا للمقاربة الدّلالية. التوجّه تكامل الحركة بما ينقصها للهيمنة بنسق وترتيب؛ فسين الهيمنة وبسط النّفوذ متّجهة بأمر ميم حركة التّكامل بالنّواقص، لإتمام تكامل بسط النّفوذ، وهو ما يستدعي الإلمام بكافّة الجزئيات؛ يقال مُعجميّاً إنّ مسّ بمعنى لمس، غير أنّ ورود اللّام في لمس يعطي معنى تلاحم لا يوجد في مس، وفي التّنزيل: ﴿لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ الواقعة٧٩؛ فلم يقل لا يلمسه، وكذلك قوله: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً﴾ المعارج٢٠، وهذه الاستعمالات ليست ماديّة لعدم دخول حرف لام التّلاحم، كالقول: مسّ شغاف القلب. قال تأبّط شراً:

ويومكَ يومُ العَيْكتين وعَطفَة   عَطَفْتَ وقد مَسَّ القُلوبَ الحناجرُ

نتوقف عند المس بالبنان في بيت المُتنبّي، إذ قال:

ويَبينُ فيما مسَّ منه بنانُه   تيهُ المُدلِّ فلو مشى لَتَبختَرا

وإذْ هو من فحول الفصاحة والدّراية اللّغوية، حيث الباء في (بنان) فتح المجال الانبثاقي لنون التكوين والإنشاء في مسعى لولوج بابي

الزّمكان، ممّا يدل أنّ البنان هو كما في معجم مقاييس اللّغة، كلُّ ما يُعْتَمَدُ به للإقامة والحياة، بما يفسّر أنّ حركة المس هي غير اللّمس، تشير إلى عمل ذهني.

ع-س: العين مُعاينة واتضاح، والسّين بسط النّفوذ والهيمنة بنسق وترتيب. التّوجّه يتطلّب مُعاينة المُبهم والإبهام في التّوجه للهيمنة. عَسَّ مُعجمياً: وهو طلب الصّيد باللّيل، والعس والعسّاس والعسس؛ الّذي يطوف اللّيل للحراسة والتجسّس والتّثبّت، وعَسعَس اللّيل: أقبل مُهيمناً في ظلامه. وفي التّنزيل: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ التكوير١٧ . قال الزّبرقان[1]:

وردتُ بأفراسٍ عتاقٍ وفتيةٍ   فوارطَ في أعجازِ ليل مُعسعسِ

وعسعس الأمر: لبسه وعماه، والعاس: الطّالب، كقول الأخطل:

مُعَفَّرةٌ لا يُنكه السَّيفُ وسطها   إذا لم يكن فيها مَعَسّ لحالب

والعسس: الخفيفُ من كلّ شيء، والعس: الذّكر، كقول أبي الوازع[2]:

لاقَتْ غُلاماً قد تَشظّى عُسُه   ما كانَ إلّا مَسُه فدسُه

قال امرُؤ القيس:

أَلَمَّا على الرَّبعِ القَديمِ بعسعسا   كَأنّي أُنَادي أَوْ أُكَلِّمُ أخرَسَا

وفي قول الشّنفري:

فَقَالُوا: لَقَدْ هَرَّتْ بِلَيْلٍ كِلاَبُنَا   فقلنا أذئبٌ عسَّ أم عسَّ فُرْعُلُ[3]

إضافة حرف لاحق إلى التسلسلات:

س-ل-ب: الانبثاق بفتح المجال من حركة السّل، فيه توجّه عنيف متدارك الاقتحام للهيمنة والالتحام. السّلب في المعاجم: السّرقة عنوة، بالغزو والحرب. والأسلوب: الطريق والمنهج. والسّالب: نقيض الموجب، وقول المُتنبّي:

---

(١) الزّبرقان البهدلي: الزيرقان بن بدر، حصين بن بدر بن خلف بن بهدلة، من تميم بن عوف بن كلب، صحابي مخضرم، أحد رؤساء تميم المشهورين، سمي بالزبرقان لجماله الشبيه بالقمر، أمّه عمة الفرزدق، (؟-٤٥هـ، ؟-٦٦٥م).

(٢) أبو الوازع: أبو الوازع الراسبي، شاعر من مجتهدي الخوارج، قتله ابن زياد، (؟-؟).

(٣) الفُرْعُل بالضّمّ : ولَدُ الضَّبُعِ كما في الصّحاح.

يرى النّجومَ بعيني من يُحاوِلُها كأنّها سَلَبٌ من عين مسلوبِ

س–ح–ق: حركة التّنسيق وبسط النّفوذ الحسّيّ والمتعاظمة داخلياً، مُعزّزة بقاف بيان القوّة الفاصلة؛ وهي حركة شديدة عنيفة بوجه مَنْ تُصادمه في مسعى لبسط نفوذها. السّحق في المعاجم: الدّق أشد الدّق، والسّحق؛ إذا بلي الثّوب، والسّحق: البُعد، وقيل: هو للوادي، وسُحقاً: بُعداً، وفي التّنزيل: ﴿..وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاء فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ الحج٣١، و﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقاً لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ الملك١١، والسَّحق: البلى واليبس والضّرع جفّ، وقول لَبيد:

حتّى إذا يبست واسحق حالقٌ لم يبله إرضاعُها وفطامها

س–د–ا: ولوج حركة بسط النّفوذ المندفعة، بابي الزّمان والمكان، هو تثبيت المكانة، وتعزيز الموقف، يفصح عن وجود ثغرات أو خلل في السّيطرة. السّدا والسّدو في المعاجم: مدّ اليد نحو الشّيء للمناولة، وللمتابعة واتساع الخطو في السّير؛ وما هو وفق المعنى الحركيّ، إلّا اندفاع للسبق في السّيطرة، وقول الشّاعر:

سدى بيديه ثمّ أجّ بسيره كأجّ الظّليم من قنيصٍ وكالبِ

ومن ذلك السَّديد، ذُو السَّداد، أي الاستقامة؛ كأنّه لا ثُلْمة فيه. والصَّواب أيضاً سَداد. يقال قلتُ سَدَاداً. وسَدَّدَهُ اللّه عزَّ وجلَّ. ويقال أسَدَّ الرجلُ، إذا قال السَّداد. ومن الباب: «فيه سدادٌ من عَوَز» بالكسرة. وكذلك سداد الثُّلمة والثَّغر. قال أمية بن ابي السّلط:

أضاعُوني وأيَّ فتىً أضاعُوا ليومِ كريهةٍ وسدَاد ثغرِ

واستدَّ الشيء، إذا كان ذا سَداد. ويقال: السُدَّة الباب. وقال الشّاعر:

تَرَى الوفودَ قياماً عند سُدَّته يَغْشَوْنَ بابَ مَزُورٍ غير زَوَّارِ

وفي معجم مقاييس اللّغة، السّين والدّال والواو أصلٌ واحد يدلُّ على إهمال وذَهاب على وجه. من ذلك السَّدْو، وهو ركوبُ الرّأس في السَّير. ومن الباب: أسْدَى النّخلُ، إذا استرخت ثُفاريقُه، وذلك يكون كالشّيء المخلَّى من اليَد، والواحدة من ذلك السَّدية. والسَّدَى: النَّدَى؛ يقال سَدِيَتْ ليلتُنا، إذا كثُر نَداها. وهو من ذاك، لأنَّ السّحاب يُهمِله ويُهمَل به. ومن الباب السَّدَى، وهو

ما يُصطنع من عُرْف؛ يقال أسدى فلانٌ إلى فلان معروفاً. والسُدى هو المهمل، وما ضاع سدى؛ أي بلا فائدة، وفي التّنزيل: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ القيامة٣٦، وقول لَبيد:

فلم أُسدِ ما أرعى، وتَبلُّ رَدَدتُه   فأنجحتُ بعد الله من خير مطلب

وأسدى أسفَل الثّوب، والحائك يسدي الثّوب؛ وهو النّسج، وأسدى المعروف، وهو من سدى النّدى ليلاً، وأسدى: أصلح بين اثنين؛ وهو ما يتفق مع المعنى الحركيّ في إحكام سدّ الخلل للسّيطرة.

س-م-ك: الهيمنة بتكامل ما ينقصها في تكتّل، والتكتل هنا يفصح عن حاجة تكامل وإتمام لوجود متّفرّق، أو لبُعد المنال. في معجم مقاييس اللّغة، السّين والميم والكاف أصلٌ واحدٌ يدلُ على العُلُوّ. يقال سَمَك، إذا ارتفَعَ. والمسموكات: السّماوات. ويقال سَمَكَ في الدَّرَج. واسمُكْ، أي اعْلُ. وسَنَامٌ سامك، أي عالٍ. والمِسْمَاك: ما سَمَكْتَ به البيتَ. قال ذو الرّمة:

كأنَّ رِجلَيْه مسماكان منْ عشَرٍ   سَقْبَانِ لم يتقشَّرْ عنهما النَّجَبُ

والسِّماك نجم. ومما شَذَّ عن الباب وباين الأصل: السَّمَك. الحوت، ربّما لوجوده في سُمك ماء البحر. وسُمك الشّيء: رفعه، والسّمك: السّقف وهو من أعلى البيت إلى أسفله، والسُمك: البُعد الثّالث للطول والعرض، وسمك السّماء: قيل رفعها؛ كما ورد في التّنزيل: ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا﴾ النازعات٢٨، وقول جرير:

إنَّ الّذي سَمك السَّماءَ بنى لنا   بيتاً دعائمه أعزُ وأطول

س-ع-ر: إعادة تكرار مسعى الهيمنة والاستيعاب الانتقائي، تضمر مُجالدةً وانتزاعاً لمجابهة صعاب يعتريها، مما يتطلّب دفع ثمن، أو خوض غمار وتحمّل التبعة والمشقّة. السّعر؛ هو الّذي يقوم عليه الثّمن، وسعّر النّار والحرب: أوقدها وهيّجها، وفي التّنزيل: ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ التكوير١٢، و﴿فَقَالُوا أَبَشَراً مِّنَّا وَاحِداً نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذاً لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ القمر٢٤. والسُعار: شدّ الجوع والهيبة، وقال المعرّي:

ولا ألوم أخا الإلحاد بل رجلاً   يخشى السَّعيرَ وما ينفكُ في سُعرِ

إضافة حرف متوسط إلى التسلسلات السّابقة:

س-ح-ل: حركة التّنسيق لبسط النّفوذ والمتعاظمة ذاتيّاً، تعزّزت بلام التلاحم، فتحوّلت إلى حركة عنيفة في ملامستها لأيّ جسم أو اقترابه منها بغرض استيعابه مهما كانت ممانعته. قيل في المعاجم هو القشر. والسّاحل: الشّاطئ لأنّ الماء تقشره. وقيل: هو النّحت بالمبرد. والمسحل: الجلاد. وعند العامّة وخاصّة في العراق: السّحل جر الإنسان وغيره على الأرض بعد ربطه بعربة أو وراء الخيل. وفي قول طَرفة:

فذالت كما ذالت وليدَةُ مجلسٍ ... تُري ربَّها أذيالَ سَحلٍ مُمَدَّدِ

وقيل: هو الغزْل الّذي لم يبرم، كما في قول زُهير:

يميناً لنعم السيّدان وجدتُما ... على كلّ حالٍ من سحيلٍ ومُبرَمِ

س-م-ح: حركة الهيمنة بتكامل ما ينقصها، وجدت في حاء التعاظم الذّاتي بُعداً جديداً لبسط نفوذها؛ فحركة بسط النّفوذ تتمّ بترتيب ونسق، فيه لطف وإغراء. السّمح والسّماحة في المعاجم: يدلُ على سَلاسةٍ وسُهولة. يقال سَمَح له بالشيء. ورجلٌ سَمْحٌ، أي جواد، في قول لَبيد:

فضلاً وذو كرمٍ يُعينُ على النَّدى ... سمحٌ كسُوبُ رغائبٍ غنّامُها

والمسامحة: المساهلة، والوجه السّمح: البشوش، وفي قول عَنترة:

أثني عليّ بما علمت فإنّني ... سمحٌ مخالقتي إذا لَمْ أُظلم

س-م-د: هنا حركة الهيمنة مُندفعة في تكاملها مع ما ينقصها إلى أبعد مدى، ممّا أكسب اندفاعها في المدى المنظور فقط، القوّة والتكبّر؛ أمّا إنّ كان الاندفاع يستغرق وقتاً أطول أو مسافة ومساحة أبعد مما تقدر عليه حركة الهيمنة فتصيبها الإرباك. في معجم مقاييس اللّغة، السّين والميم والدّال أصلٌ يدلُ على مضيُ قُدُماً من غير تعريج. يقال سمَدت الإبلُ في سيرها. إذا جَدّتْ ومَضَت على رؤوسها. والسُمود الذي هو اللّهو. والسَّامد هو اللّاهي، وقيل هو رافع الرّأس الشّامخ المتكبّر. وفي التّنزيل: ﴿وَأَنتُمْ سَامِدُونَ﴾ النجم٦١، أي لاهون. وقيل السّمود الغناء واللهو، في لغة حمير. كما ورد عند أبو البركات

الأنباري، وهو قياس الباب؛ لأنَّ اللّاهي يمضي في أمره غير معرِّج ولا مُتَمَكِّث.

قال المبرّد: السامدُ: القائمُ في تَحَيُّرٍ وأنشد لهُزَيْلَةَ بنت بَكْرٍ[1] تبكي عاداً:

قَيْلُ قُمْ فانْظُرْ إليهمْ ثُمَّ دَعْ عنكَ السُّمُودَا

وسَمُدَ: ثَبُتَ في الأرض ودام عليه، والسَّماد للأرض، والسَّميد: الطّعام الدّقيق، والمُسمد: الوارم، والسُمود: ما يتراءى للإنسان بسبب ضعف النّظر، أو السّكر. وقول الغشري:

ولكنهم في غفلةٍ قرقفيّةٍ سُكارى حيارى في سُمودٍ وما دروا

س-ل-م: حركة الهيمنة وبسط النّفوذ في التجاذب والتلاحم لإنشاء نسيج جديد تكاملت بما ينقصها، وهو في نسق انسلاليّ للمّ ما يمكن أن يفلت أو ينفصل. السّلام والسّلامة في المعاجم: البراءة والعافية، وفي التّنزيل: ﴿إِلَّا قِيلاً سَلَاماً سَلَاماً﴾ الواقعة٢٦، وقول الخنساء:

وَقَدْ جعلتْ في نفسهَا أنْ تخافهُ وليسَ لها منهُ سَلامٌ ولا حَرْبُ

والسّليم؛ الّذي سلم من مرض أو إصابة، والمسالمة: المصالحة، والاستسلام: الخضوع؛ أي والتسليم بالقهر والغلبة والإذعان للخصم. وقيل الإسلام: إظهار الخضوع والالتزام بالشّريعة، وفي التّنزيل: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَّكَ..﴾ البقرة١٢٨. والسّلامي: عظام الأصابع في اليد والرّجل، والسّلّم: الّذي يرتقى عليه لأنّه يؤدي إلى السّلامة. قال ابن مُقبل:

لاَتَمْنَعُ المَرْءَ أَحْجَاءُ البِلاَدِ،ولاَ تُبْنَى لهُ في السموات السَّلاليمُ

س-ك-ع: معاينة حركة التحكّم بالمنافذ من داخلها، تستدعيها حالات صعبة التمييز، وفرزها ووضعها في نسق يسمح بإيجاد وسيلة تناسبها؛ فهي حالات متحيّرة، ومتأرجحة وغير واعية. سكع في المعاجم: مشى متعسّفاً، ولم يهتد لوجهته؛ وهو التحيّر والتمادي في الباطل، سَكَعَ في الظّلماء: خَبَطَ فيها كتَسكّع، ومنه قول سليمان بن يزيد العَدَوِيّ: «ألا إنّه في غَمْرَةٍ يتَسكَّعُ».

(١) هُزيلة بنت بكر: لم أجد ترجمة لهذه الشاعرة، وقد وردت عند أبو البركات الأنباري، وكذلك في تاج العروس.

والتسكّع ركوب المخاطر على غير علم بها، كما في قول المعرّي في «الفصول والغايات»: فانقلب يتسكع في رمال الدّهناء.

استخلاص النّتيجة بمعيار العقل

حركة السّين تتحرّك إنشاءً وفق معاني حروفها، لإعطاء معنى التّنسيق والتّرتيب المُهيمن إنْ ابتُدئ بها. مثل: سماء، سهل، سمع، سعد، سلم، سلطة، سيّد، سارية. وإنْ لحقت بحركة حرف آخر فهي مُكلّفة بمتابعة حركة الحرف السّابق للمحافظة على مظهره ووجهته، فتعطي، معنى حسّ الاستواء والتّكوين إنْ كانت لاحقة لحرف الباء، ولتعطي معنى الجمع والكثرة الّتي يطلبها الرّاء. وإن وضعت السّين بعد النّون تعطينا معنى التّنسيق والتّرتيب مثل: نسأ، نسبَ، نسجَ، نسخَ، نسقَ، نسل. لكنّنا حين نضع الفاء كحرف أخير في هذا التّنسيق كما في (نسفَ)، فإنّه يعطي معنى معاكساً يبعثر ويفجّر المعنى. كذلك دأبها مع باقي الحروف الّتي تستعين بها مثل: إنس، جسم، لمس، مس، همس، بسمة، جس، دس.

حرف السّين عند ابن عربيّ تأويليّ:[1] من عالم الغيب والجبروت، له الغاية والأعراف.

في السّين أسرار الوجود الأربعُ ... وله التحقّق والمقام الأرفعُ

من عالَم الغيب الّذي ظهرت به ... آثار كونٍ شمسُها تتبرقعُ

يدلُ حرف السّين عند الشّيخ العلايليّ، «***على السّعة والبسطة من غير تخصُص***»[2]. ربّما يمكن القياس على أنّ السّعة والبسطة تضمر الهيمنة والنّفوذ، ولا تكون من غير تخصص. وقال الأرسوزيّ عن حرف السّين: «***إنّه للحركة أو للطلب، وهو يحدّد المضارع نحو المستقبل.***»[3] في الحركة والطلب دلالة سعي، وفي المضارع دلالة متابعة، غير أنّ القصد هنا لا يدل صراحة على الهدف. وقال حسن عبّاس: «***نستطيع أن نقرّر مع العلايليّ والأرسوزي: أنّ حرف السّين يوحي فعلاً بالحركة***

---

(١) **الفتوحات المكيّة**، م. س. السفر الأوّل ص. ٣١٧.

(٢) العلايلي عبد الله: **مُقدّمة لدرس لُغة العرب**، وكيف نصنع المعجم الجديد، م. س. ص ٢١٣.

(٣) الأرسوزيّ، زكي نجيب، **المؤلفات الكاملة**، م. س. ص. ٨٧.

والطلب والبسط، ولكن عندما يقع في أوائل الألفاظ ، أمّا عندما يقع في أواخرها فهو هناك أوحى بالخفاء والاستقرار والضّعف والرّقة، صوته المتماسك النّقي يوحي بإحساس لمسيّ بين النّعومة والملاسة، وبإحساس بصري من الانزلاق والامتداد، وبإحساس سمعي هو أقرب للصّفير. وليس في صوته ما يوحي بأيّ إحساس ذوقي أو شمّي أو مشاعر إنسانية. تدل خاصية الانزلاق في صوته على معاني التحرّك والمسير، وعلى الخفاء والاستقرار، وعلى التعالي بما يتوافق مع خاصيّة الامتداد إلى أعلى بما يتوافق مع خاصيّة الانزلاق. أمّا في حالة كونه تابعاً فهو يدل على الشدّة والفعاليّة ماديّهما ومعنويّهما، بما يتعارض مع خاصيّة الرّقة والسّلاسة في صوت السّين.»[1] يمكن ردّ اختلاف دلالات معنى صوت حرف السّين في هذا السّياق، إلى التشكّل السّلس ودور ومعنى حركة الحروف الّتي لحقت بالسّين أو تبعها؛ كونه حرف هيمنة وبسط نفوذ فإنّ سلوكه يختلف مع كلّ حرف، ومع غرض استدعائه لمواكبة النّسيج البنائيّ، وهذا ما شرحناه في القراءات السّابقة وما سنلحظه فيما بعد. وحرف السّين عند إياد الحصني: «***هو حرف إحساس سوي، فإذا كان الشيء ماديّاً فهو مستقيم أو مستوي.***»[2] لم يستفد الحصني من دلالتي المستقيم والاستواء في استمرارية الهيمنة، سواء على ما تحس به، أو ما تعمل على استدامة تقويمه وإقامته. ومعنى حرف السّين عند محمد عقل: «***سامك، سمك السّماء، وسمك الشيء رفعه دعامة، أخذت تسمية الخط المسند تيمّنا بهذا الحرف، يعود إلى طبيعة حروفه المتساندة كالأعمدة، المدعومة أي المسموكة، هكذا: ⅃ .***»[3] إذا لفظ بالزّاء (زامك) أو على شكل (متقاطعان فوق بعض، هكذا: X)، إذا لفظ بالسّين (سامك). تحوّل شكل السّين إلى الأفقيّة تسعين درجة.

الحروف الّتي لا تتبع حرف السّين هي: الثّاء والزّاء والصّاد والشّين والذال والضّاد والظاء. مخرج السّين متقارب مع الثاء والزّاء والشّين والصّاد. وحركة ثاء التّكاثر بثبات تتناقض مع ما تطلبه السّين من هيمنة وبسط نفوذ. كذلك حركة

(١) عبّاس، حسن، **خصائص الحروف العربية ومعانيها**، م. س. ص ص ١٠٩-١١٣.

(٢) الحصني، إياد، **معاني الأحرف العربيّة**، م. س. ص ٨٣-٨٤.

(٣) عقل، محمد، **ابجدية القرءان من مملكة سبأ**، م. س. ص٤٩ -٥٠، بتصرف.

البروز المادّي بالزّاء، لا تتفق مع الهيمنة والخضوع. وأيضاً حركة الشّين؛ فالتشعّب والانتشار كالتكاثر، لا قبَل على سين الهيمنة الإحاطة به، والظهور مقصد الهمينة وبسط النفوذ لا يسمح لغيره بالتفرّد، والذال التي تمرّر البروز الحسّي لا يتم بدون موافقة السين، والصّاد هي في صدود وممانعة لأيّ هيمنة، فكيف بالضّاد الّتي تلزم غيرها بالضّوابط السّلوكية؟

حرف العين

عين-ياء-نون

المُسمّى الأبجديّ المتعارف عليه للحرف: ع-ي-ن

المخرج: أجمعَ مُعظمُ عُلماء اللّغة العربيّة على جعل مخرج العين بعد مخرج الهاء، وشذّ عنهم الفراهيديّ وابن جنّي والعلايليّ فجعلوه في أوّل الحلق من الدّاخل قبل مخارج الحروف جميعاً.

ترتيب نشأة الحرف: العين هو الحرف السّادس عشر في ترتيب الأبجديّة العربيّة، والثّامن عشر في الترتيب الهجائيّ العربيّ. ويساوي عدديّا الرّقم (٧٠) في حساب الجُمَّل. وفي الترتيب الصّوتي القديم يأتي في الترتيب الأوّل عند الخليل بن أحمد، والسّادس والعشرين عند ابن جنّي. وفي الترتيب الصّوتيّ الحديث يأتي في الترتيب السّادس والعشرين عند بعض علماء الصّوتيات، والثّاني والعشرين عند آخرين منهم.

سبب حدوثه: يُنطق صوت حرف العين بتضييق مجرى الهواء في الفراغ الحَلقيّ، بحيث يحدث مرور الهواء احتكاكاً. وورد عند ابن سينا: ***«(العين) الّتي يفعلها حفز الهواء مع فتح الطرجهالي مُطلقاً، وفتح الذي لا اسم له متوسّطاً، وإرسال الهواء إلى فوق ليتردّد في وسط رطوبة، يتدحرج فيها من غير أن يكون قبل الحفز خاصّاً بجانب»***[1].

الصّفات الصّوتيّة: العين صوت حلقيّ احتكاكيّ مجهور، وهو من الحروف القمريّة، تظهر معه لام (أل) التعريف نطقًا وكتابةً، مثل: ألعرب.

---

(١) إبن سينا، م. س. ص ص. ٧٢،٧٣.

الصّفات الكتابيّة: حرف العين من الحروف المهملة النّقط، ويكتب في خط النّسخ، مُفرداً هكذا: ع، كما في: ينبوع. ومتصلاً بما قبله هكذا: ـع، كما في: نبع، ومتصلاً بما بعده هكذا: عـ، كما في: عنب، ومُتصلاً بما قبله وما بعده هكذا: ـعـ، كما في: لعب.

دلالة الاسم من خلال حروفه

- العين: معاينة وتحقّق، وأيضاً تساؤل: عَ أين؟.
- الياء: حرف حركيّ مُتعلّق بالزّمن، فالمعاينة تحتاج إلى زمن تستغرقه الدّقة والتّبصّر.
- النّون: الرّنين والاضطراب هو كتصادم أو تعارض السّالب بالموجب قبل الالتحام. أكّدت النّون أنّ المعاينة هي في التثبّت من صحّة التّكوين.

مدلول جدليّة ترتيب حروف المُسمّى تآلفاً وتناقضاً كما في (ع-ن) يفيد الخضوع وألَمه، بينما (ن-ع) يفيد الضّعف والغضّ الطّري.

تسلسل العين: حركةٌ العين ذاتيةٌ ذات طبيعة مُتناقضة بين شدّة وضوحِ ما تفعله في الخارج، وشدّة إبهامِ ما يحدث في الدّاخل. حرف العينَ يُعطي مَعنى العمل والفعل كما في: صنع، رعى، زرع، علم، عقل، عضل، عد، عبر، شعر، شعل، هرع، عشق، عتب، عزف. ويستخدم في الاستفسار عن المُبهم كما في (عمّا)، وهو إذ أتى في لفظة (عَمَى) جعل التّساؤل عن المُبهم كناية عن عَمَى النّظر والبصر. ويمكن القول باختصار أنّ العين قوّة تطوّريّه، متنامية، مرنه، وفعّاله، بما يكفي للاعتقاد أنّها تحقّق ما تريد فعله ولو بعد حين، بسبب اتصالها بالنّون في مسمّاها، وهي القوّة الجبّارة الّتي تتحكّم بالإنشاء والتّغيير من خلال سيطرة الأخير على الزّمان.

معاينة متغيّرات اقترانات حرف العين بصفته كمتبوعٍ وتابعٍ ومخترقٍ

الاقتران الثّنائي للحرف بصفته مَتبوعاً: (ع-م)، (ع-ش)، (ع س). معاودة تذكّر ما قلناه في مدخل البحث من أنّ اتجاه المعنى للاقترانات، مزدوج؛ أي ظاهر وباطن. وأنّ ما يفيد بيان الظّاهر هو الضّمة الّتي لها خاصّية التّموضع

المكاني، بينما الباطن فهو بخاصّية الكسرة الّتي هي حركة زمانيّة لا مظهر لها سوى حركتها الخفيّة.

ع-م: دلالة عَمّ، ظاهراً: هيمن وغطّى، وباطناً: تساءل. اتصال العين بالميم للتكامل بتوفير مستلزمات، فيه توجّه ومسعى للخير. العين اتضاح حركة المُبهم. وقد ذكرنا أنّ حركة العين تعاين داخليّاً وخارجيّاً، وحركة الميم تكامل الإتمام بالنّواقص، تعمل داخل حركات الحروف بالسّالب كما بالموجب لترميم النّواقص. فحركة العين تستبطن الميم، لأنّ اتضاح الحركة لا يتمّ داخليّاً إلّا بها، ومجيء الميم ظاهراً بعدها معناه أنّها تُتمّم الأمر بحركات خارجية فقط. وهذا رمزٌ واضحٌ في التسلسل، يشير إلى أنّه في هذا الوضع مُتجاذبٌ مع جميع الحركات، وهو ما تنطوي عليه فكرة (العَميم)، وما اشتق منها من ألفاظ. في مُعجم مقاييس اللّغة، العين والميم أصلٌ صحيح واحد يدلُ على الطُول والكَثرة والعُلُوّ. قال الخليل: العَميم: الطّويل من النَّبات. يُقال نخلةٌ عَميمة، والجمع عُمٌ. ويقولون ويقال: جارية عَميمة، أي: طويلةٌ. وجسم عَمَمٌ. قال عمرو ابن شأس:

وإنَّ عراراً إنْ يكنْ غير واضح   فإنّي أحبُ الجَوْنَ ذا المَنكبِ العَمَم

يقال للنَّخلة الطويلة عَمَّة، وجمعها عَمٌ. قال لَبيد:

سُحُقٌ يمتّعُها الصَّفَا وَسريُهُ   عَمٌ نواعمُ بينهن كرومُ

ويقال عُمّمَ الرجُل: سُوِّد؛ وذلك أنّ تيجان القوم العمائم، والعمامة، معروفة، وجمعها عمامات وعمائم. ويقال تعمَّمت بالعمامة واعتممت، وعمَّمني غيري. وهو حسن العِمَّة، أي الاعتمام. قال ذو الرّمة:

تنجو إذا جَعلَتْ تَدْمَى أخشّتُها   واعتمّ بالزَّبَد الجعد الخراطيمُ

ومن الجمع قولهم: عَمَّنا هذا الأمر يُعُمّنا عموماً، إذا أصاب القَوم أجمعين. والعامَّة ضدّ الخاصّة. ومن الباب قولهم: إنّ فيه لعُمِّيَّةً، أي كبْراً. وإذا كان كذا فهو من العلوّ. والعين في (عَمّ) هي مُعاينة داخليّة للتكامل، تبحث عن التّفاصيل والجزئيّات، ومن جهة ثانية مُعاينة خارجية للعموم. قال صريع الغواني:

وإنْ خَصَّ لَمْ تعدُ الصَّنيعةُ أهلَها وإنْ عَمَّ أعطى غيرَ نَزْرٍ مُقَلَّلِ

وفي قول إبراهيم طوقان عن السّماسرة:

يتنعَّمونَ مُكَرَّمين كأنَّما لنعيمهم عَمَّ البلادَ شقاؤُها

ويصحّ الحرف أيضاً كأداة للتساؤل عن جميع الأشياء كما في التّنزيل: ﴿عَمَّ يَتَسَاءلُونَ﴾ النبأ١. وفي قول الأعشى:

فما أنا عَمّا تعملونَ بجاهلٍ ولا بِشَباةٍ جَهلُهُ يتدفَّقُ

والعام: هو الحول، تنسب إلى حدث، كعام الفيل، بخلاف السّنة الّتي هي وحدة زمنية متعارف عليها. قال النّابغة الذّبياني:

توهَّمتُ ءَاياتٍ لها فعرفتها لستَّةِ أعوام وذا العام سابعُ

ع-ش: دلالة عُش، ظاهراً: تراكم، وباطناً: نمو. العين اتضاح الحركة بعد المعاينة والتدقيق، والشّين انتشار وتشعّب تضليليّ. هنا حركة المعاينة لما أُبهمَ وكان منتشراً ومتشعّباً. كأنّ حركة العين منقسمة في المعاينة على نفسها في حركة التشعّب، داخلياً أو خارجياً. حركتها حركة مُعاينة مُتشعّبة ومطلب البحث مثلاً عن الرّزق وبناء العُش. عشّ وعشعش: تراكم فوق بعضه، وعُش الطائر: وُكْرُه وكُنُّه وموضع بيوضه ورعاية فراخه. قال اللّواح:

فغودرتُ من لَسعِ الكُروش كأنَّني فريخٌ من النّيرانِ مُلقى بلا عُشٌ

في معجم مقاييس اللّغة، العين والشّين أصلٌ واحد صحيح، يدلُ على قلّة ودقَّة، ثمَّ يرجع إليه فروعُه بقياسٍ صحيح. قال الخليل: العشُ: الدّقيقُ عظام اليدين والرِّجلين، وامرأة عَشَّة. قال الشّاعر:

لعمْرُك ما ليلَى بورهاءَ عنْفصٍ[1] ولا عَشَّةٍ خلخالُها يتقعقَعُ

والعَشَّة: شَجرةٌ دقيقة القُضْبان، مُتفرِّقة الأغصان، قال جرير:

فما شَجراتُ عِيصِكَ في قريشٍ بعَشَّات الفُروع ولا ضَواحِ

ع-س: سبق وعالجنا هذا التسلسل. لكن نعود إليه هنا لمقاربة له مع التسلسلات الأخرى لبيان حركة السّين. العين معاينة واتضاح، والسّين بسط النّفوذ

---

(١) العنْفصُ المرأةُ القليلةُ الجسم ويقال أيضاً هي الداعرةُ الخبيثة وقال ابنُ دُرَيْد: هيَ الكَثيرَةُ الحَرَكَةِ في المَجيءِ والذَّهاب.

والهيمنة بنسق وترتيب. التّوجّه يتطلب معاينة المُبهم والإبهام في التّوجه للهيمنة. عسّ مُعجمياً: وهو طلب الصّيد باللّيل، والعَس والعَسّاس والعَسس؛ الّذي يطوف اللّيل للحراسة والتجسّس والتّثبّت، وعَسعَس اللّيل: أقبل مُهيمناً في ظلامه.

تسلسل (ع-ش) تابعاً:

ر-ع-ش: الرّاء تكرّر مطلب مُعاينة المُبهم المتّشعّب بالشين، الحركة غامضة منفتحة على احتمالات مُتشعّبة تضليلاً للاتجاه ممّا يجعل المعاينة متحيّرة ومربكة التّوجه في سلوكها. في المعاجم: رعش وارتعشت اليد ارتجفت؛ هذه الحركة فيها تكرار، ربّما لغموض أو خوف من مجهول. وإذا تمّ قلب التسلسل إلى (ش-ع-ر): وهو الشّعر والشّعر، والشُعور. أظهر لنا هذا التسلسل مقاربة تشعّب المشاعر وتكرار ما عاينته العين. قال عمرو القنا العنبري[1]:

عادوا فعادوا كِراماً لا تنابِلَةً   عندَ اللّقاء ولا رُعشٌ رعاديدُ

وقال الطّباطبائي:

أخطُ لكَ الرّثاء وهنّ رعشٌ   ولا قَلَمي يمدُ ولا مدادي

ن-ع-ش: هنا خروج للإنشاء والمعاينة في اتضاح التّشعّب بما فيه من إبهام، يمثّل عدم وضوح خارجي بسبب حركة التّشعّب المضلّل. وفي معجم مقاييس اللّغة، النّون والعين والشّين أصلٌ صحيح يدلُ على رَفعٍ وارتفاع. قال الخليل: النّعْش: سَرير الميّت، كذا تعرفه العرب. وميّتٌ منعوشٌ: محمولٌ على النَّعش. وانتَعَش الطّائر: نهض عن عَثرته. يقال: نَعَشَه اللّهُ وأنعَشَه. قال ابن السّكّيت: لا يقال أنْعَشَه. قال: أبو بكر: النَّعش شبه مِحَفّةٍ يُحمَل عليه المَلك إذا مَرِض، ليس بنَعْش الميّت. وفي قول النّابغة:

أَلَمْ ترَ خيرَ النّاسِ أصبَحَ نعشُه   على فتيةٍ قد جاوَزَ الحيَّ سائرا

تسلسل (ع-ش) متبوعاً:

---

(١) عمرو القنا: عمرو بن عميرة العنبريّ السعديّ التميميّ، يعرف بعمرو القنا من شعراء الخوارج ورؤسائهم، (؟-٧٧هـ، ؟-٦٩٦م).

ع-ش-م: حركة المعاينة هنا مُنقسمة على نفسها في اختيار مُستلزمات التّكامل والإتمام. والمُعاينة إيضاح ما يضلّله التشعّب، فمهمّة الميم هنا أنْ تمّم وتكامل الحركة بما ينقصها، وهو البصيرة واليقين والوضوح، وجلّ ما ينتج من ذلك، ليس إلّا التوقّع والأمل، إمّا بسبب العجز عن المتابعة، أو إبهام في التّوجّه المتشعّب. قيل في تاج العروس: العَشَمُ والعَشَمَةُ ، مُحَرَّكَتَيْنِ: الطَّمَعُ، قالَ ساعدَةُ بنُ جُؤَيَّة الهُذَليّ:

أَمْ هَلْ تَرَى أَصَلاتَ العَيْشِ نافِعَةً   أم في الخُلُودِ ولا بِاللهِ منْ عَشَمِ

قال عبد الله بن فريج[1]:

يا مَن يُرَجِّي خُلودَ العَيشِ من عَبَث   أقصر عَنَاكَ فما في الخُلد من عَشَم

وعَشِم عَشَمًا، مُحَرَّكَةً وعُشُومًا بالضَّمِّ، وتَعَشَّمَ: يَبِسَ منَ الهُزَالِ. والعَشَمَةُ، مُحَرَّكَةً: الرَّجلُ اليَابسُ هُزالاً، وزَعَمَ يعقوبُ أنَّ ميمَها بَدلٌ منْ باء عَشَبَة. والعَشَمَةُ: الشَّيخُ الفَاني الهمُ، (للذكَر والأُنْثى)، وقيل هو المَتقاربُ الخَطْوِ المُنْحَني الظَّهْر كالعَشَبَة. والعَشَمَةُ: الخُبْزَةُ اليَابسَةُ، فيُقالُ: خُبْزٌ عَيْشَمٌ. وقيل السِّين المُهْمَلَةُ لُغةٌ فيه، والعُسُومُ، بالسِّين المُهْمَلَة: كسَرُ الخُبْز اليَابسَةُ. الأَعْشَم: كُلُ شَجَرَةٍ يابسُها أَكْثَرُ من رَطْبها. وقيل هو نَبْتٌ دُقاقٌ طُوالٌ، يُشْبه الأَسَلَ تُتَّخَذُ منه الحُصُرُ المُصَبَّغَةُ الدِّقَاقُ، قال ذُو الرُمَّة:

لِلجِنِّ بِاللَّيْلِ في حافَاتِها زَجَلٌ   كمَا تَنَاوَحَ يومَ الرِّيحِ عَيْشُومُ

ع-ش-ق: حركة المعاينة مُتشعبة التوجّه استبدلت هنا القاف بدل الميم في التسلسل السّابق. صار مطلب تقفّي وفصل ما أغلق أو ما هو مضمر هو القصد، وليس الإتمام. بيان قوّة الجانب الملاحق والمتجّه إليه حركة (عش)، أي المعاينة واتضاح ما يبهمه التّشعّب المضلّل، استدعت قاف قوّة الفصل في الأمر بتحديد هدف التسلسل وتقفّي نتائجه. فالعشق: الإفراط في الحُبّ والالتصاق بالمحبوب، وعدم المفارقة، ولزوم الشّيء والآخر بلا مُفارقة، وحال الإفراط على ما فيها وصف، تمثّل الوَلَه غير المفسّر ولا دواء له، وقيل إنّ العشقة: اللّباب المتسلق يلصق بالشّجر يذبل إذا فارقه. قال مجنون ليلى:

(١) عبد الله فريج: عبد الله فريج أفندي، من أدباء وشعراء مصر، (؟-١٢١٠هـ، ؟-١٨٩٢م).

فما خيرُ عِشقٍ ليس يقتلُ أهلَهُ كما قَتَلَ العُشّاقَ في سالف الدَّهرِ

قال زُهير:

قامت تبدّى بذي ضالٍ لتحزنني ولا محالةَ أنْ يشتاقَ من عشقا

تسلسل (ع-ش) مُخترقاً:

ع-ي-ش: الاستمرار في اتضاح المعاينة بالياء الزّمانية للمتشعّب هو ما تستوجبه الحياة بمقابلة مستمرّة بين حركة السّالب والموجب، والدّاخل والخارج. في معجم مقاييس اللّغة تسلسل: العين والياء والشّين أصلٌ صحيح يدلُ على حياةٍ وبقاء. المعيشة: الذي يعيش بها الإنسان: من مطعمٍ ومشربٍ وما تكون به الحياة. وفي التّنزيل: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ الحاقة٢١ و﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً..﴾ طه١٢٤، وفي قول ابن زيدون:

ما لَذَّ لي قُربُ أُنسٍ أنت نازِحَةٌ عَنه، ولا ساغَ عيشٌ لستِ فيه معي

ع-ر-ش: حركة التشعّب متابعة لمعاينة اتضاح وكشف ما هو مستور. واستدعاء التّكرار يوحي بالإبهام من أمر في اتجاه المعاينة، سواء القدرة الدّاخلية أو منظور المتشعّب الّذي تتابعه. والعرش: سرير المَلكِ، كما قيل في المعاجم، أرى أنّه ليس سريراً ومجرّد مكان جلوس وراحة، وإنّما مركز سيطرة وتحكّم تستدعي المعاينة؛ سواء لمَا تحت سيطرتها، أو أدوات ووسائل استدامتها؛ أي أنّها السّيطرة التّامة والمتمادية إلى كلّ مجال ومكان متشعّب ومضلّل. وفي التّنزيل: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ التكوير٢٠ و﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ طه٥. وعرش البيت: سقفه، وعرش الكرم: مظلّته، ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ..﴾ الأنعام١٤١، وقول الخنساء:

كانَ أبو حسّانَ عرشاً خوى ممّا بناه الدّهرُ دانٍ ظليلْ

قال إبن الرّومي:

فَكَأنّها من فَوقِ عَرشِ زُجاجها بلقيسُ تُجلى في حُلَى حَسناءِ

ع-م-ش: حركة المعاينة لتوفير مستلزمات متآلفة للتكامل، والمتجّه تشعُباً مضلّلاً توحي بالإرباك. حيثُ مستلزمات الإتمام غير متوفّرة بل هي في تشعُب، والتشعّب والانتشار مضلّل. وفي تسلسل (ع-م) قلنا فيه عموم وعَمى، لحركة

معاينة اتضاح لمُبهم يتكامل. وقلنا أنّ اللّفظ، وكذلك الحرف يعاين ويستنبط من تناقضه، أيْ يستبطن نقيضه. وهذا ما توضّح في معجم مقاييس اللّغة تسلسل: العين والميم والشّين كلمتان صحيحتان، متباينتان جداً. ضعفٌ في البصر، وصلاحٌ للجسم. الأوّل، العَمَش: العينُ تسيل دمعاً، ولا يكاد الأعمش يُبصر بها، والمرأةُ عَمّشاء، والفعل عَمِشَ يَعْمَشُ عَمَشاً. الأصل الثاني: العَمّْشُ، بسكون الميم: ما يكون فيه صلاحُ البدن؛ ويقولون: الختَانُ عَمّش الغُلام؛ لأنّك ترى فيه بعد ذلك زيادةً. وهذا طعام عَمّشٌ لك؛ أي صالح مُوافق. العمش هو أيضاً التّغافل، وقول ابن قلاقس[1]:

للكاتب الشّيخ عينٌ مسّها عمشٌ   كأنّها كوّةٌ دارت بها النّخلُ

قال قيس لُبنى:

فأُقْسِمُ ما عُمْشُ العُيُونِ شَوَارِفٌ   رَوائمُ بَوْ حائماتٌ على سَقبِ

قلب تسلسل (ع-ش) ليصبح (ش-ع): دور العين هُنا متابعة التشعّب فهي محكومة بهذا التشعّب. فالشّع والشّعاع انتشار ضوء الشّمس وأشعتها. وقول ابن جُبير[2]:

لِحَالي أبدى الرَّعدُ أنّةَ موجَعٍ   وَلي البرقُ شعٌ في التّرامي مع السُحبِ

استخلاص النّتيجة بمعيار العقل

نستخلصُ أنّ حركة حرف العين تُمثّل كما قال عالم سُبيط النّيليّ: ***«اتضاح معالم الحركة المُبهمة، فمهمّتها البحث المتواصل عمّا هو مخبوء ومعاينة كلّ معنى ومورد؛ فالعين حركة تنطوي على الزّمان والمكان ويتقدّم فيها الزّمان على المكان حيث الياء في التّسلسل قبل النّون، الّتي ينطوي في مضمونها ومسمّاها واو التّموضع المكانيّ.»***[3]

---

(١) ابن قلاقس: نصر بن عبد الله بن عبد القوي اللّخمي الإسكندري الأزهري، (٥٣٢-٥٦٧هـ، ١١٣٨-١١٧٢م).

(٢) ابن جُبير: محد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، ولد في بلنسية، ومات في الاسكندرية، له: نظم الجمان في التشكي من إخوان الزمان، (٥٤٠-٦١٤هـ، ١١٤٥-١٢١٧م).

(٣) اللّغة الموحّدة، م. س. ص ٢٦٣-٢٦٥، بتصرف.

يتوجب عدم إغفال مسار موقع حرف العين من الحروف المكوّنة للتسلسل وفاعليته، وملازمة الاتجاه إنْ كان داخلياً أو خارجياً. ذلك أنّ حركة العين نشيطةٌ جداً لا تستقرّ في موضعٍ مُعيّنٍ، ويمكن القول إنّها دائمة التدقيق لأنّها إذا فصلت عن لواحق اسمها أنتجت ألـ(أين)، فعملها كعمل الطبيب المشخّص لمرض، وكالقاضي والمحقّق العدلي.[١]

حرف العين عند ابن عربي[٢]، من عالم الشّهادة والملكوت، وله من الحركات الأفقية وهي المعوجّة. وهو من الحروف الخالصة.

عينُ العيون حقيقةُ الإيجادِ فانظر إليه بمنزل الأشْهادِ
نبصره ينظر نحو موجد ذاتِه نظر السّقيم مَحاسنَ العُوّادِ
لا يلتفتُ أبداً لغير إلهه يرجو ويحذر شيمةَ العُبّادِ

لا قِبَل لنا على تأويل ما يقصده ابن عربي، كي نستخلص المعنى الحركي للحرف.

يدلُ حرف العين عند الشيخ العلايليّ على «***الخلوّ الباطنِ أو على الخُلوّ مُطلقاً***».[٣] بما أنّ الوصف هنا يمثّل الخلو المطلق، فهو فعل معاينة لمبهم. أمّا حسن عبّاس فقد رجّح أنّ حرف العين كان آخر ما أبدعه الإنسان العربي في هذه المرحلة من أصوات الحروف؛ إذ قال: «***إنّ دلالة العين هي: العظم والظّهور والعلو، الشّدة والفعاليّة والصّلابة والقطع والغلظة وسرعة العدو والطول والنّحافة، والعيوب النّفسيّة والجسديّة، والرّقة والّلطافة والضّعف بلا عيوب، والصّفاء والضّياء والعيانيّة، والعقد والرّبط وأدواتهما، وعلى الميل والعوج، وعلى الفتل والدوران.***»[٤] هذه المعايرة الاستقصائيّة كما فهمناها قادت إلى أهم ما في معنى حركة العين هو مسمّاها؛ أي المعاينة والعيانيّة، فالمدلولات جميعها هي بحركة المعاينة والتقصّي

---

(١) يلاحظ وفق ما ذكرناه من علاقة تراتب حروف أبجد هوّز حطي كلمن .. إلخ، تنم عن تسلسل تكوين الكون وابتداعه أوّل مرّة، فالياء إذ وردت قبل النّون تفيد أن حركة الزمن كانت سبقت نون التكوين أي أنّ الزمن سبق النّون في استمرار الإنشاء مكانياً.

(٢) **الفتوحات المكيّة**، م. س.، السفر الأوّل. ص. ٢٩٨.

(٣) العلايلي عبد الله، **مُقدّمة لدرس لُغة العرب**، وكيف نصنع المعجم الجديد، م. س. ص. ٢١٣.

(٤) عبّاس، حسن، **خصائص الحروف العربية ومعانيها**، م. س. ص. ص. ٢٠٤- ٢٢٥، بتصرف.

الوصفي وكشف المبهم كما أسلفنا. ويدل حرف العين عند إياد الحصني[1]: «*على معنى الفعل والعمل، مثل: صنع، عمل، فعل، عقل، .إلخ*. والمعنى هنا مخالف لما توصلنا إليه. وصورة الحرف عند محمد عقل: «*عين تشبه عين الإنسان، ورسمت في الخط المسند على شكل دائري أو لوزي، هكذا: ٥*.»[2] بقيت العين كما هي في التحول إلى الأفقيّة وفُتحت أوّل وآخر الكلمة. الدّلالة هي نفس ما توصّلنا إليه من أنّها عين المعاينة.

الحروف الّتي لا تلحق بالعين هي: الخاء، فالإخماد لا تحتاجه عملية المعاينة بل تعيق مهمّة التّحقيق والكشف. والغين؛ وهي أساس التآمر في التمويه والتحريف للمعاينة. وكما أشرنا فيما سبق إلى استحالة التقاء بعض الحروف واقترانهما أو اجتماعهما في تسلسل إن التصقت المخارج. وأيضاً أشرنا إلى سبب ءَاخر، وهو وجود تنافر في الدّلالة، كما بين (العين والحاء)، فالحاء تعاظم الحركة إلى حدّها الأقصى. ومن الواضح أنّ الحركة إذا كانت متناسقةً ومترابطةً داخليّاً في تعاظم بحركة الحاء، فلا من مبرّر لعمل العين، لأنّ عمله مرتبط بما هو مبهمٌ من الحركات. فالحاء متضمّنٌ للعين أصلاً، لذلك لا يأتي حرف العين بعد الحاء مُطلقاً حتّى لو جعلت بينهما صوتاً آخراً أو اثنين. ولا يأتي الحاء بعد العين في أي تسلسل. ولذا تمّ اختيار تعريف كُلّ حرف بعناية استوجبتها دلاليّة الحركة في بعديها الفلسفيّ والتّناقضيّ، لذلك انطوى تعريف العين على الحاء في أنّه (اتضاح)، وانطواء تعريف الحاء على العين في أنّه (تعاظم).

---

(١) الحصني، إياد، **معاني الأحرف العربيّة**، م. س. ص ٧٩.

(٢) عقل، محمد، **ابجدية القرءَان من مملكة سبأ**، م. س. ص ٥٠.

حرف الفاء

فاء-ألف المد-همزة

المُسمّى الأبجديّ المتعارف عليه للحرف: ف-ا-ء

المخرج: إطباق على الأسنان من الشّفّة السّفلى.

ترتيب نشأة الحرف: الفاء هو الحرف السّابع عشر في ترتيب الأبجديّة العربيّة، والعشرون في الترتيب الهجائيّ العربيّ. يساوي عدديّاً الرّقم (٨٠) في حساب الجُمَّل. وهو الحرف الثّالث والعشرون في الترتيب الصّوتيّ القديم عند الخليل والرّابع عند ابن جنّي، والرّابع في الترتيب الصّوتيّ الحديث عند أغلب علماء الصّوتيات المعاصرين.

سبب حدوث الحرف: ينطق بوضع أطراف الثّنايا العليا على الشّفة السّفلى بصورة تسمح للهواء بالنّفاذ من خلالها ومن خلال الثّنايا. وعند ابن سينا: ***«إذا كان حبس الهواء بأجزائه ليّنة، وتسريبه بأجزاء ليّنة من غير حبس تام، حدث الفاء»***[1].

الصّفات الصّوتيّة: الفاء صوت أسنانيّ شفويّ احتكاكيّ مهموس، وهو من الحروف القمريّة؛ تظهر معه لام (أل) التعريف نُطقاً وكتابةً، مثل: ألفضل.

---

(١) إبن سينا، م. س. ص. ٨٢.

الاستخدامات النّحويّة[1]: حرف الفاء من حروف المعاني العاملة فيما بعدها، ويأتي في الابتداء كما في أوّل قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ غافر٦٨، ويأتي الفاء عاطفاً، فيفيد الترتيب والتعقيب مثل: درس فنجح، وجاء محمد فعَليّ. ويأتي حرفاً زائداً مثل: علي فلا تؤخره. ويأتي للاستئناف مثل: سافر فليتني ودعته. ويأتي حرفاً رابطاً للجواب مثل: إنْ تأكل فلا تكثر، وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ الضحى٩. ويأتي للسببيّة فتنصب المضارع بعدها كما في قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً﴾ الإسراء٢٩.

الصّفات الكتابيّة: حرف الفاء من الحروف المعجمة (المنقوطة) بنقطة فوق دائرته في كلّ أوضاعها، ويكتب في خط النّسخ، مفرداً هكذا: ف، كما في: خاف، ومُتصلاً بما قبله هكذا: ـف، كما في: يخيف، ومُتصلاً بما بعده هكذا: فـ، كما في: فجر، ومُتصلاً بما قبله وما بعده هكذا: ـفـ، كما في: صفر.

دلالة الاسم من خلال حروفه

- الفاء: الرّجوع من غير إنجاز.
- ألف المد: تعامد بين الزّمان والمكان لإنتاج وجود، ألّف يؤلّف.
- الهمزة: تؤكّد الحضور لملاقاة مطلب الفاء في استرجاع الحركة لموضعها.

تسلسل الفاء: من المُهمّ الملاحظة أنّ حرف الفاء عند دخوله على حركة الكاف قد أوقف عملها: تفكيك، كفاية، كف، كيف. والفاء في (حرف) أوقفت التعاظم المتكرّر وحرفته كذلك في: فرق، فرع فرش، فرط، فرغ، فرج. ومع سين الهيمنة يُغيّر حرف الفاء قدرتها ويفسد مشروعها كما في: فسد، نسف، كسف، خسف، فسق، سفح. وأيضاً في تفرّق هواء الألف كما في: نفخ، نفس، هفا، وفي تفريق المندمج في فج، وفجر، والمخمد في: فسخ، والمترابط في فصل، والمتكتل في فك، وكف.

---

(١) الحروف العربية، الأبجدية، الألفباء.الموسوعة العربية العالمية مج ١.

متغيّرات اقترانات حرف الفاء بصفته كمتبوعٍ وتابعٍ ومُختَرقٍ

حرف الفاء بصفته متبوعاً: (ف-ك)، (ف-ت)، (ف- ر). للاستدلال على اتجاه المعنى لهذه الاقترانات ظاهراً وباطناً:

ف-ك: دلالة فك، ظاهراً: خلّص وفصل، وباطناً: فرج. الفاء تفصل وتُفرّق والكاف تُكتّل المتآلفات المستعصية والمترابطة. ففاء الفصل والتّفريق تعمل بجهد، لدخولها على ما هو متكتل. بما أنّ نشأة حرف الكاف كانت قبل نشأة الفاء، فحركة الفك سلبية. فكّ في المعاجم: يدلُ على تفتُّح وانفراج. من ذلك فَكَاك الرَّهْن، وهو فَتْحُه من الانغلاق. وحكى الكسائي: الفكّاك بالكسر. ويقال: فَكَكْتُ الشَّيءَ أفكّه فكّاً. وسقط فلانٌ وانفكَّت قدمُه، أي انفرجت. وقولهم: لا ينفكُ يفعل ذلك، بمعنى لا يزال. والفكُ: انفراج المَنْكِب عن مَفْصله ضَعْفاً. الفَكَّان: مُلتقى الشِّدْقين. وسمّيا بذلك للانفراج، والانفكاك: التّزايُل للترابط، فالفك هو للعقد والمعقّد والمقيّد، تخليصه وفصل تشابكه، وفك الرّقبة: تخليصها من الرّق، وكذلك فك الرّهن، والفكّان: ملتقى الشّدقين. وفي التّنزيل: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ البلد١٣. وفي قول الطّرمّاح:

طعائنٌ يَستحدثنَ في كُلِّ مَوطنٍ رَهيناً ولا يُحسنّ فَكّ الرّهائن

وفي التّنزيل أيضاً: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ البينة١، وقول المعرّي:

إلى ما أجرُ قيودَ الحياة ولا بُدَّ من فكِّ هذا الإسار

ف-ت: الفاء حركة فصل وتفريق إلى كافّة الاتجاهات المادّية والمعنويّة. والتّاء جهد اجتذاب الحركة لأمثالها. التّوجّه الحركيّ هو في تفريق كلّ جهد متماسك. فالمضمر ذهنيّاً، حالة أو شيء متماسكة أجزاؤه، والمطلوب فصلها وتفريقها. في المعاجم: فتّ يفتّ فُتاتاً وفَتيتاً: كسر وحطّم إلى قطع صغيرة. ودقّ وكسر بأصابعه، والفُتات ما بقي من الخبز وغيره. فالمحطّم والمفتّت كان مُتماسكاً. قال زُهير:.

كَأَنَّ فُتاتَ العِهْنِ في كُلِّ مَنزِلٍ نزلنَ به حَبُّ الفَنا لم يُحَطَّمِ

فـر: الفاء هنا تفرّق الحركة لكافّة الاتجاهات، والرّاء لم تكرّر سوى موضوع الحرف الّذي يسبقه؛ أي أنّه يكرّر عملية التفرّق في إضمار معاندة ما هو مترابط، كما في التّنزيل: ﴿..لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً﴾ الكهف١٨ . إنّ تكرار التفرّق قد شكّل مفهوم الفرار. ولكن إذا اكتنفه زمان دائم وأعفي من المكان، تكون الحركة حرّة طليقة. تدل نشأة الفاء قبل الرّاء؛ أي الفصل قبل التكرار، على تمييز الاتجاه الإيجابي عن السّلبي. افترّ الثّغر في المعاجم: إذا ضحك يفرق الشّفتين. والفرفرة: الطيش والخفّة، وفي قول امرئ القيس:

إذا زُعته من جانبَيه كلَيْهما　　　مشى الهَيْذَبا في دفّه ثُمَّ فرفرا

فرَّ المشدّدة الرّاء؛ أي فَرَرَ: تتابع وتعيد تكرار التّفريق والفصل بعد كُلّ توقّف، في المعاجم: فرّ: ابتعد بنفسه عن المكان، وهي بمعنى هرب، وكذلك الزّوغان، وفي التّنزيل: ﴿يَقُولُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾ القيامة١٠. وقال أبو العتاهية:

يا عُتبُ أينَ أفِرُ منكِ أميرَتي　　　وعَليَّ حِصنٌ من هواكِ حَصينُ.

قلب حروف التسلسلات السّابقة:

كـف: دخول فاء الفصل لإيقاف عمل الكاف في مسعى التّكتّل، دلالة على اسمه، كما بيّنا في تسلسل الكاف، ممّا يدلّ على أنّ حرف الكاف هو رابط تكتُلي، أثبت معناه اتصال اسمه زمكانيّاً بالفاء. وأثبتت حركة الفاء أنّها تفرّق ما يتكتّل. كفكف مُعجميّاً: الدّمع، ارتد، وكفاف الثّوب: نواصيه، وكافّة؛ أيّ كلّهم. إذ كلّهم تشير إلى المتفرّق من كتلة اجتماعيّة مفترضة. وفي قول إبراهيم طوقان:

كَفْكِفْ دُموعَكَ ليس ينـ　　　ـفَعُكَ البُكاءُ ولا العَويلُ

وكفّ: ردّ الشّيء بالشّيء؛ أي ردَّ عن الأذى، والكف: اليد، وليست كلّها؛ فهي حيث تنتهي الأصابع إليها، أو تتفرق منها، وفي قول الخنساء:

فَمَا بَلَغتْ كَفُ امرِئٍ مُتَناوِلٍ　　　من المَجدِ، إلّا حيثُ ما نلتَ أطوَلُ

وقول المَعرّي:

وكم بُسطَ البَنانُ فعاد صِفراً وزارَ الجودُ كَفّاً ذات كفٍّ

وقول زُهير:

حتّى إذا ما هَوَتْ كفُّ الوليدِ لها طارت، وفي يدِهِ من ريشها بِتَكُ

ت-ف: جهد التّجاذب اتجه إلى انفصال وتفريق، فالحركة غير ممتزجة، بل متناقضة؛ والتفريق لا يلتقي مع الاجتذاب. التّف في المعاجم: وسخ الأظافر، وهو وصف للوضيع، غير أنّ الحركة فصل لما يمكن أن يجذب. قال عَرار[1]:

يا شيخ تُفٌّ على الحياةِ بلا هوى وجوانحٍ تزهو بها وضلوعِ

ر-ف: الرّاء تكرار مُنظّم لحركة تتفرّق كلّ حين. فالرّف يحمل الأشياء عينها كلّ مرّة والمكرَّرة أصلاً؛ مثل رفّ الكُتب، ومن الرّف تتفرّق الأشياء لتفي بكافة الاتجاهات المرتبطة بموضوعه. رفيف، كاسم عربي، ينطوي على دلالة مُطابقة. في معجم مقاييس اللّغة، الرّاء والفاء أصلان: أحدهما المَصُ وما أشبهه، والثاني الحركة والرِّيق، فالأوّل الرَّفّ وهو المَصّ. يقال رفّ يرُفّ: إذا تَرَشَّف. وأمّا الثاني فقولُهم: رفَّ الشّيءُ يَرِفُ، إذا بَرَق. وأمّا ما كان من جهة الاضطراب فالرّفرَفَة، وهي تحريك الطّائر جناحَيه. ويقال إنّ الرَّفْرافَ: الظَّليمُ يرفرف بجناحَيه ثمّ يعدو. ومن الباب الرَّفيف: رفيف الشجرة، إذا تندَّتْ. ومنه الرَّفْرَف، وهو كسْر الخباء ونحوه. وسمّي بذلك؛ لأنّه يتحرَّك عند هُبوب الرِّيح. ويقال ثوبٌ رفيفٌ بَيِّنُ الرَّفَف، وذلك رقّته واضطرابُه. فأمّا قوله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ الرحمن٧٦، فيقال هي الرِّياض، ويقال هي البُسُط، ويقال الرَّفرف ثَيابٌ خُضْر. وقيل الرَّفّ: هوالقطيع من البقر، ويقال هو الشّاء الكثير. وأمّا قولهم «يحُفّ ويرُفّ» فقال قوم: هو إتباعٌ، وقال آخرون: يرُفّ: يُطعم. قال مجنون ليلى:

وهَلْ رَفَّتْ عليكَ قرونُ ليلى رَفيفَ الأُقحُوانَة في نَداها

إذا كان التسلسل تابعاً:

---

(١) عرار: مصطفى بن وهبة بن صالح التل، شاعر أردني، عاصر الأمير عبد الله بن الحسين مؤسس المملكة الأردنية، وكان له معه علاقة اتصفت بالمد والجزر، وهو والد وصفي التل رئيس وزراء الأردن الذي اغتيل في القاهرة، له ديوان شعر جمع بعد وفاته. (١٨٩٧ - ١٩٤٩م).

س-ف-ك: التّسلسل الحركيّ يفيد استيعاب المتفرّقات والهيمنة عليها مع كاف تكتّل المتآلفات ليصار إلى فرزها في مجموعات. يسمح الوصول بنسق وترتيب ببسط النّفوذ على الجميع، ما دامت فاء الفصل والتّفريق هي الوسيط المعتمد من قبل السّين. التّوجّه عنيف كمن يعمد إلى الفتنة، وتسخير صراع القوى لإعمال الفرز، ثمّ الهيمنة. يقال في المعاجم: سَفَكَ دمَه يسفكه سفْكاً، إذا أساله، وكذلك الدّمع، وهو الإراقة لكل مائع، فهو ليس مُجرّد مظهر، إنّما يخفي الكذب والخداع، نتوقّف عند الوصف «كلّ مائع»، ويستفاد أنّه كلّ ما لا مجال لتحديد موقفه أو حصره، وفي قول أحمد شوقي[1]:

ريمٌ على القاع بين البان والعَلَمِ أحلّ سفك دَمي في الأشهُرِ الحُرُمِ

ك-ف-ت: هنا حركة التكتّل هي من يوجّه حركة فاء الفصل والتفريق، الّتي تأبى تغيير سلوكها، فاجتذبت الكاف الجهد الخارجيّ بالتّاء لكي تساعد على بقاء الكتلة مُجتمعة، رغم تحدّي الفاء. الكفت في المعاجم: تقلّب الشّيء ظَهراً لبطن وبطناً لظهر، وكفت خائباً: رجع أدراجه، والكفتة ما يكفت ويضم إلى اللّحم، وفي التّنزيل: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتاً﴾ المرسلات٢٥. وفي قول زُهير:

مَرّاً كفاتاً إذا ما الماءُ أسهلَها حَتّى إذا ضُرِبَت بالسَّوط تَبْتَرِكُ

ح-ف-ر: سبق وعالجنا التسلسل في حرف الحاء، نورده هنا للاستدلال على سلوكية الفاء مع مقاربات أخرى، وقلنا أنّه يمثل: تعاظم داخلي بالحاء، وفصل وتفرّق بالفاء وتكرّر بالرّاء، وهي إعادة تكرار الحفّ، وهو يماثل أنْ تحفّ بؤرة أو موضعاً مُحدّداً بشكل مستمر ومتكرّر، حتّى تخرج الأجزاء الصّغيرة من الكتلة، وهذه الحركة هي الحفر، وهي مُعجمياً: إخراج التّراب من الخندق، والحافر للخيل والدّواب لأنّها تحفر الأرض في سيرها، وفي

---

(١) أحمد شوقي: هو أمير الشعراء أحمد بن علي بن أحمد شوقي، أصله ينتمي إلى أكراد العراق، نشأ في ظل العائلة المالكة في مصر، (١٢٨٥-١٣٥١هـ، ١٨٦٨).

التّنزيل: ﴿يَقُولُونَ أئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ النازعات١٠، وفي قول العتبي[1]:

يا ستَّةَ أودعتُهُم حُفَرَ البَلى   بخدودهم تحتَ الجَبُوبِ وسادُ

إذا كان التسلسل مُبتدئاً:

ف-ك-ر: تكرار حركة تفريق وفصل العُقَد المُستعصية، دلالة على التّشابك في كافّة الجوانب المادّيّة والمعنويّة. فالفكر هو إعمال الذّهن والعقل والقلب والخاطر، كما في المعاجم، يقال تفكّرَ إذا ردَّدَ قلبه معتبراً. يفيد التأمّل في كافّة النّواحي، لمعالجة عقده وتفكيكها ذهنيّاً. ويلاحظ أنّ لفظة (فكر)، في التّنزيل، لم ترد كصفة بل وردت كفعل مضارع: ﴿..وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الحشر٢١. وقول أبي فراس الحمداني[2]:

أيحلو لِمَن لا صَبر يُنجدُهُ صبرُ   إذا ما انقضى فِكرٌ ألمَّ به فكرُ

ف-ت-ن: فاء التّفريق وتاء الجهد تتجاذبان الحركة، والنّون توجّه لإنشاء مستمر. التّفريق يستهدف أيّ جهد تجاذبيّ للحيلولة دون تحقيق أيّ إنشاء. الإنشاء من داخل الحركة هنا هو تفريقيّ بجهد اجتذب قوى داخليّة وخارجيّة، بالتالي كوّن حالة غير مستقرة. الفتنة في المعاجم: ابتلاء وامتحان واختبار، وهو من إذابة الذّهب والفضّة لتمييز الرَّديء من الجيّد. وفي التّنزيل: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ الذاريات١٣. وقيل للصائغ والشّيطان فتّان. والفتنة: اختلاف النّاس وما يقع بينهم من اقتتال، وأيضاً: الضّلال والإثم. وفي التنزيل: ﴿..وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ..﴾البقرة١٩١. كذلك المفتون بالجمال والثروة والأولاد، كما في التّنزيل: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ..﴾ التغابن١٥؛ هذه المعاني لا تخرج عن تفسّخ وذوبان التّماسك لمَا هو أساساً صلباً مَنيعاً، لينشأ منها حالة هلامية غير قابلة للتشكّل من جديد، ويتم بتحويل التّجاذب

---

(١) العتبي: محمد بن عبيد الله بن عمرو أبو عبد الرحمن الأموي، من بني عتبة بن أبي سفيان، من أهل البصرة، له عدّة تصانيف، (١٣٣-٢٢٨هـ، ٧٥٠-٨٤٢م).

(٢) أبو فراس الحمداني: الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي الربعين ابو فراس، شاعر ، امير فارس، ابن عم سيف الدولة، قلده منبج وحران، قتل في تدمر، (٣٢٠-٣٥٧هـ، ٩٣٢-٩٦٧م).

الدّاخلي لتنافر من خلال الاتصال بالقوى الخارجيّة، كالنّار في إذابة المعدن، والجمال في إذابة العقل؛ كقول أعشى همدان:

لَئِن فَتَنَتْني لَهْيَ بالأمس أفتنتْ سَعيداً، فأمسى قد قَلا كُلَّ مسلمِ

قال جرير:

كانت لَهم شِيَعٌ طارت بها فِتَنٌ كما تَطيَّرُ في الرِّيحِ اليَعاسيبُ

فـ-ر-ج: حركة التّفريق المتكرّر باستدعاء جيم الدّمج، تبعث علامة استفهام كبيرة لسؤال: ما هو المُضمر وغير المعلن كي تُستدعى الجيم لمصادمة كهذه؟ المُضمر هو الضّيق، والهم والأسر، والهروب الّذي تعنيه حركة (فر) لا تحل القضية، هنا وجه تصادمي، نتائجه ظهرت بالتّفريق المتكرّر لأيّ محاولة دمج وإلغاء. فَرَجَ في المعاجم: فتح ووسّع وباعد بين شيئين، الفرج: الباب والخلل بين شقّين، والفرجة: النّافذة في الحائط والرّاحة من حزن أو مرض، وفي قول الحبسيّ:

واذكر إلهك تُنْقَذْ من مُعاسَرَةٍ إلى يسارٍ ومن ضيقٍ إلى فَرَجِ

والفرج: العورة، كما في التّنزيل: ﴿وَالَّذينَ هُمْ لفُرُوجهمْ حَافظُونَ﴾ المؤمنون٥. والفرج: الظّاهر المنكشف، والفرّوج: صغير الدّجاج. والفرجلة: التفحّج والمشي بتفحّج. وقول ابن الخياط:

سأجعلُ هَمّي في الشّدائد هِمَّتي فكم كربةٍ بالهمّ فُرِّجَ ضيقُها

اختراق التسلسلات بحرف وسط:

فـ-ر-ك: كاف تكتّل المتآلفات الّتي دخلت عليها حركة التّفريق المتكرّر، جعلت حركة التّفريق تعيد محاولتها عدّة مرّات، إمّا لمزيد من بذل الجهد، أو لمزيد من التّفكيك. يستدل أنّ المضمر هنا ليس مسعى تدميريّ، وإنّما تفكيك الرّوابط بين الجزء والكتلة. فركت الشيءَ بيدي أفرُكه فركاً في المعاجم: وذلك تَفتيلُك للشّيء حتى ينفَرك، كفرك الجوز حَتّى ينقلع القشر، وكذلك سنابل القمح وثوبٌ مفروكٌ بالزَّعفران: مصبوغٌ، قال ابن الوردي[1]:

(١) إبن الوردي: عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس زين الدين بن الوردي المعرّي، له : تتمة المختر، وديوان شعر، وتحرير الخصاصة، (٦٩١-٧٤٩هـ، ١٢٩٢-١٣٤٩م).

وإن قلتُ فأصقُلْ ثُمَّ فَرْك ثيابنا　　يقول أتفريكٌ لمَنْ خَلفَهُ القبرُ

وفركَع: باعد بين الأليتين وقد ارتفع نُدوراً بإسته وخرج دُبره. وقول العامّة «فركها»؛ أي بغض المقام. والفرك بالكسر: البغض والانفصال، وفَركَت المرأةُ زوجَها تَفْرَكُه، إذا أبغضَتْه. ورجلٌ مفرَّك: يُبغضه النِّساء، وإنّما سمِّيَ فركاً لأنّها تلتوي وتَنفتل عنه. قال أعرابيّ يرد على ترك زوجته له:

وقد أُخبرتُ أنَّك تَفرُكيني،　　وأُصلِفُك الغَداةَ فلا أُبالي

فـ-خ-ت: الفاء تفريق والخاء إخماد، ثمّ تاء إجتذاب الجهد. تاء الجهد لاحقت هنا ما أوصلته حركة خاء الإخماد. فهو جهد مُنطلق من الإخماد. قيل الفخت، في بعض المعاجم: ظلّ القمر، وقيل: هو ضرب من الحمام المطوّق. أحسب أنّه وصف لصوته لا لنوعه، كما في قول اللّواح:

ولو يخطي الرّدى أخطى هديلاً　　فأبكى حزنه فخت الحمام

وفخت الوعاء عند العامّة: أحدث فيه فجوة وكشفه، ويضرب القول فيمن لا يشبع، بينما فتخ والفيخة والفتخة: فشّ الرّيح من الزّق، وكذلك خروج الرّيح من الدّبر مع صوت، وهو كالفوح الّذي بدون صوت. يلاحظ أنّ الفّاء استعانت بتاء تجاذب الجهد كي تخترق خاء الإخماد. قال الفرزدق:

أفاخَ وألقَى الدِّرعَ عَنْهُ، ولمْ أكُنْ　　لأُلقيَ دِرعِي مِنْ كَمِيٍّ أُقاتِلُه

وقال المعرّي:

وبعضُ ذا العالَم من بعضِه　　لولا إياةٌ لم يكن فَختُ

فـ-ج-ر: إعادة تكرار تفريق ما هو مُدمج، وحركة التفريق للمُدمج هي بتوجيه فاء الفصل، كون حركة جيم الدّمج تعارض وتمنع ما تسعى لتحقيقه. والفجر: ضوء الصّباح، وحمرة الشّمس في سواد اللّيل. وفي التّنزيل: ﴿..وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً﴾ الإسراء٧٨. وتفجُر النَّبع والدَّم: شدّة اندفاعه. والفجرة: شدّة الكثرة. حركيّاً هي شدّة قوّة التّفريق بعد اختراق حركة الدّمج. وفي معجم مقاييس اللّغة، الفاء والجيم والرّاء أصلٌ واحدٌ، وهو التفتّح في الشَّيء. من ذلك الفَجْر: انفجار الظُّلمة عن الصُبح. ومنه: انفجَرَ الماء انفجاراً: تفتَّحَ. والفُجْرَة: موضع تفتّح الماء. ثُمَّ كثُر هذا حتّى صار الانبعاثُ

والتفتُّح في المعاصي فُجوراً. ولذلك سمّي الكَذب فجوراً. ثمّ كثُر هذا حتّى سمّي كلُ مائلٍ عن الحقّ فاجراً. وفي التّنزيل:﴿بَلْ يُرِيدُ الإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ القيامة٥. قال لَبيد:

فإنْ تَتَقَدَّمْ تَغْشَ منها مُقَدَّماً عظيماً وإنْ أخَّرْتَ فالكفلِ فاجرُ

وقول العُشاري:

إذا نشرت ليل الذّوائب في الضُحى تألَّقَ من أقصى غدائرها فَجْرُ

من المفيد مقاربة التناقض بين فاء التفريق وجيم الدّمج، للتأكيد على سلوك حركتيهما، ففي تسلسل (ح-ج-ر) رأينا دلالة تعاظم الدّمج المكرّر، وهو معاكس لحركة التفجير والفجر، كذلك يمكن الاستدلال بتسلسل (ح-ف-ر) حيث الفاء حلّت بدل الجيم لتدل على تفريق التعاظم.

استخلاص النّتيجة بمعيار العقل

نستخلصُ ممّا سبق، أنّ حرف الفاء يمثّل كما قال عالم سُبيط النّيليّ: «***تفرّق الحركة إلى كافّة الاتجاهات المادّيّة والمعنوية، بعيداً عن المركز.***»[1] نلاحظ أوّل ما نلاحظ أنّ مسمّى الفاء ابتدأ حيث انتهى الألف، كذلك حيث انتهى مُسمّى كُلّ من الكاف والقاف. فإن كانت الألف تمثّل حركة التأليف، والقاف القوّة الفاصلة، والكاف التّكتل؛ فإنّ حركة حرف (الفاء) يمثلها اللّفظان (تَفَرُّق) و(تفكُّك)، وذلك لوجود علاقة حركيّة ظاهرة في نظام تسمية الحروف. فالتّناقض ظاهر وبيّن بين القاف والكاف من جهة، والفاء الّذي ينتهي اسميهما به. هو كذلك مع حركة الألف الّتي تؤلّف وتُآلف، والفاء الّتي تفرّق. كذلك حال الموجة الصّوتيّة، الّتي تتماثل بين الظّاهر والباطن عند نقطة على المحور الأفقيّ. فالتّعامد بين المحورين يلتقيان في نقطة اتصال ثُمَّ يفترقان. دخول حرف الفاء على أيّ حرف، يفرغه من معناه، ويبطل تأثيره: مثال: صر تصبح صرف، وكذلك دخوله على استعمالات حرف الشّين؛ الّذي هو الانتشار المضلل مثل: شر، تصبح شرف. يلاحظ عمل فاء الفصل والواو المكانيّة في: فجوة، فوّهة حيث تظهر الحيّز المكانيّ. كذلك عملها في فتق

---

(١) اللّغة الموحّدة، م. س. ص. ٥٥٣.

بالمقابلة مع الرّاء في رتق. فالفاء إنْ كانت تفصل حركتها في متابعة اللاّم للوصل كما في: لف، وفل. فإنّ ذلك ليس تدميراً وإنّما تشكيلاً في نظام التكامل نفسه.

حرف الفاء عند ابن عربي[1]: من عالم الشّهادة والجبروت والغيب واللّطف، له غاية الطّريق، له الحقائق والمقامات والمنازلات عند أهل الأسرار، وله الخلق والأحوال والكرامات عند أهل الأنوار.

الفاء من عالم التحقيق فادّكرِ — وانظر إلى سرّها يأتي على قَدَرِ
لها مع الياء مزج في الوجود فما — تنفكُ بالمزج عن حَقٍ وعن بَشَرِ
فإن قطعت وصال الياء دان لها — من أوجه عالَمُ الأرواح والصورِ

الوصف تأويليّ غير مباشر، لا يسعفنا في الاستدلال على معنى ودلالة الحرف.

يدلُ حرف الفاء عند الشّيخ العلايليّ: «***على لازم المعنى؛ أي على الوضع في المَعنى الكنائيّ.***»[2] هنا الوصف لا يساعدنا على استخلاص القصد. وحرف الفاء عند ابن جنّي: يفيد معنى الضّعف والوهن على الألفاظ الّتي يدخل في تراكيبها. يمكن أنْ نستنتج أنّ في التفريق والفصل إضعاف لقوّة دلالة بعض الألفاظ الّتي يدخل في تراكيبها، ويمكن اعتبار الفصل والتفريق إضعاف لقوّة التماسك الّتي نجدها في علاقة الفاء بالقاف وبالكاف. وهو يوحي عند حسن عبّاس «***بالبعثرة والتشتّت. لتكون الخصائص الصّوتيّة لهذا الحرف موزّعة بين اللمسيّ والبصريّ؛ فالمطابقة مع هذا الحرف قد تمّت هنا بين الصّورة البصريّة للحدث في (الشّق والفصل والقطع)، وبين الصّورة البصريّة لكيفيّة خروج صوت الفاء من بين الأسنان العليا والشّفة السّفلى، أي وفقاً لطريقة النّطق به، إيماء وتمثيلاً.***»[3] وقد استقصى حسن عبّاس دلالات معاني حرف الفاء وخصائصه من المصادر والجذور اللّغويّة، مبيّناً أنّها تتراوح بين القطع والحفر والفصل والقلع والخرق الشّق والانفراج والتباعد والاتساع، والتّشتت والبعثرة والانتشار، الانفلاق والانفراج. ويرى أنّ وقوع

---

(١) **الفتوحات المكيّة**، م. س.، السفر الأوّل ص. ٢٢٠-٢٢١..

(٢) العلايلي، عبد الله: **مُقدّمة لدرس لُغة العرب، وكيف نصنع المعجم الجديد**، م. س. ص ٢١٣.

(٣) عبّاس، حسن، **خصائص الحروف العربية ومعانيها**، م. س. ص ص ١٣٠-١٣٥، بتصرف.

هذا الحرف في ءَاخر اللّفظة يصبح صوته في أوهى حالاته ضعفاً وخفوتاً، مما يسهل معه على الحروف القويّة أن تطغى بخصائصها على خصائصه. وهو إذْ أشار إلى القطع والفصل فقد قارب ما توصّلنا إليه.

يدل حرف الفاء عند إياد الحصني: ***«على معنى الفراغ والتفريغ، وهو مأخوذ من طريقة لفظه وهي تفريغ الهواء من الفم ومن بين الأسنان والشفة، كما في: فراغ، قفر فقر،.. إلخ.»***[1] وقد استنتج من علاقة حرف الفاء بالحروف الأخرى. أنّه يفرغ الحروف الأخرى مما تدل عليه، كونه يقوم بتفريغ الشيء المادّي أو الحسّي، الذي تصفه وتحدّده الحروف الأخرى في نفس الكَلمَة. كما في: فصل، قفل، حفر، فسّر.. إلخ. في الاستنتاج هنا أنّ الفاء يقوم بتفريغ الحروف الأخرى مما تدل عليه، يماثل قول ابن جنّي. وعند محمد عقل ***«هو بمعنى فم، في إشارة واضحة إلى وظيفة التكلّم وما يحويه من لسان، رسم*** صورته في المسند (مَعين). ***هكذا: ◊.»***[2] بقيت عند التحوّل إلى الأفقيّة مُحافظة على عموديّتها.

حرف الباء هو الحرف الّذي لا يتبع الفاء في أيّ تسلسل، إلّا إنْ كانت الفاء أداة، والسّبب هو المشاركة بالمخرج، ولأنّ التّفريق لا من مَكْمَنٍ يُتاحُ الانبثاق منه.

---

(١) الحصني، إياد، **معاني الأحرف العربيّة**، م. س. ص ١٤.

(٢) عقل، محمد، **أبجدية القرءَان من مملكة سبأ**، م. س. ص ٥٠.

حرف الصّاد

صاد-ألف المد- دال

المُسمّى الأبجديّ المتعارف عليه للحرف: ص-ا-د

المخرج: طرفا اللّسان وفُويْق الثّنايا السّفلى.

ترتيب نشأة الحرف: الصّاد هو الحرف الثّامن عشر في ترتيب الأبجديّة العربيّة. والرّابع عشر في التّرتيب الهجائيّ العربيّ. ويساوي عدديّاً الرّقم (٩٠) في حساب الجُمَّل. وفي الترتيب الصّوتيّ القديم يأتي في الترتيب الحادي عشر عند الخليل بن أحمد، والعاشر عند ابن جنّي، وفي الترتيب الصّوتيّ الحديث يأتي في الترتيب السّادس عشر عند أغلب علماء الصّوتيات المعاصرين.

سبب حدوثه: يُنطق باعتماد طرف اللّسان خلف الأسنان العليا، مع التقاء مقدّمته باللّثة العليا، ومع وجود منفذ ضيّق للهواء فيحدث الاحتكاك. ويُرفع في النُطق أقصى الحنك، حتّى يمنع مرور الهواء من الأنف، ويُرفع أيضاً مؤخّر اللّسان تجاه الحنك الأعلى، ويرجع قليلاً إلى الخلف عند النُطق فيحدث التفخيم. ولا تتذبذب الأوتار الصّوتيّة عند نُطقه. وعند ابن سينا: ***«أمّا الصّاد فيفعله حبسٌ غير تام أضيق من حبس السّين وأيبس، وأكثر أجزاء حابس طولاً إلى داخل مخرج السّين وإلى خارجه، حتى يطبقَ اللّسان أو يكاد يطبق، على ثلثي السطح المفروش تحت الحنك والشّجر، ويتسرّب الهواء عن ذلك المضيق بعد حصر شيء كثير منه إلى وراء ويخرج من خلل الأسنان.»***[1]

(١) إبن سينا، م. س. ص. ٧٧.

الصّفات الصّوتيّة: الصّاد صوت أسنانيّ لثويّ احتكاكيٌ مهموس مُفخّم. وهو من الحروف الشّمسيّة، تختفي معها لام (أل) التعريف نُطقًا لا كتابة، مثل: الصَّبر.

الاستخدامات الصّرفيّة: *حرف الصّاد ليس من حروف التصريف، وإليه تقلب تاءُ الافتعال ومشتقاته صاداً إذا كانت فاؤه صاداً*.[1]

الصّفات الكتابيّة: حرف الصّاد من الحروف المهملة النّقط. ويكتب الصّاد، في خط النّسخ، مفرداً هكذا: ص، كما في: رصّ، ومتصلاً بما قبله هكذا: ـص كما في: نص، ومتصلاً بما بعده هكذا: صـ كما في: صد، ومتصلاً بما قبله وما بعده هكذا: ـصـ كما في: مصر.

دلالة الاسم من خلال حروفه

- الصّاد: فيه تصادم ومعاندة. يدلّ على التّرابط بقصد المواجهة.
- الألف الممدود: تعامد بين الزّمان والمكان لإنتاج وجود، وهنا قوّة مواجهة تولج الصّاد في بابي الزّمان والمكان.
- الدّال: انتهاء الاسم بحرف الدّال الذي هو اندفاع مقصود. فالصّاد يحتاج لإتمام معنى الصّلابة إلى دفاع واندفاع مُعزّز بالدّليل.

تسلسل الصّاد: توجّهنا بعض الاستخدامات إلى أنّ حركة الصّاد رغم أنّها تصد إلّا أنّها تضمر الملاحقة، كما في الصّلاة والصِّلة من خلال لام التواصل: (صاد الطّير أو الطريدة). مظهر صوت وحركة الصّاد كمظهر السّين المُهيمنة والمتسلطة دلالة، لكن في تضخيم لها. فالصّوت كونه دلالتنا على حركة الحروف، هو في مسعى إضمار إصابة النّطق بالكلمة منطق التّواصل، والتّواصل والاتصال هو بالصّاد. فهي حركة لا يمكن الاستغناء عنها، في التّخاطب. حيث أنّ تسميتها بدلالة الدّال، وإذ كثّفت مخرج الصّوت فإنّما دلالة على استرجاع الصّدى كي تشعر بأثر الحركة في مسعاها. نلاحظ في

---

(١) الحروف العربية، الأبجدية، الألفباء. الموسوعة العربية العالمية، مج ١.

استخداماتها أنّها تُلزم وتلتزم بالهدف إن كانت بادئة بالتسلسل، وإن كانت لاحقة بحرف فهي تُلزمه بأن لا ينحرف أو يغيّر سلوكه ومقصده.

مُتغيّرات اقترانات حرف الصّاد بصفته كمتبوعٍ وتابعٍ ومخترقٍ

الاقتران الثّنائيّ الّذي يبتدئ به الحرف بصفته مَتبوعاً: (ص-د)، (ص-ف)، (ص-ر). واتجاه المعنى لهذه الاقترانات ظاهراً وباطناً:

ص-د: دلالة صد، ظاهراً: يواجه ويعترض، وباطناً: الإطباق والقنص. تمثّل الصاد حركة ترابط وتفاعل للمواجهة. الدّال هنا اندفاع بالحركة بتدبير مقصود إلى أبعد مدى لتحقيق مطلب الصّاد، فصار من مسمّاها. في المعاجم، الصّد: الإعراض والمنع، والصّدي: العطش، وقيل: هو موضع السّمع من الرّأس. وفي التّنزيل: ﴿وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عندَ الْبَيْت إِلَّا مُكَاء وَتَصْدِيَةً..﴾ الأنفال٣٥، و﴿فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى﴾ عبس٦. والتّصدي: المقابلة وهو إتباع الصّدى. وفي التّنزيل: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ من دُونِ اللَّه..﴾ النمل٤٣، و﴿..فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ النمل٢٤. وقول ذي الرمّة:

أناسٌ أصَدّوا النّاس بالسَّيف عنهم صُدودَ السّواقي عن أُنوفِ الحَوائمِ

ص-ف: دلالة صف، ظاهراً: أخذ مكاناً في ترتيب مُحدّد، وباطناً: مظهر فراغ بلا حياة. حركة صاد المجابهة والترابط تتابع بحركة الفاء الّتي فرّقت وفصّلت أمر المجابهة في ترتيب ونسق متتابع. الصّاد تُلزم الفاء بالهدف. مُعجميّاً: الصّف السّطر المستوي، ولغرض مُحدّد، واصطف القوم للمجابهة. وفي التّنزيل: ﴿وَالصَّافَّات صَفّاً﴾ الصافات١، و﴿إِنَّ اللَّهَ يُحبُّ الَّذينَ يُقَاتلُونَ في سَبِيله صَفّاً كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ الصف٤. وقول امرئ القيس:

وظَلَّ طُهاةُ الّلحم ما بين مُنَضِجٍ صَفيفَ شِواءٍ، أو قَديرٍ مُعَجَّلِ

ص-ر: دلالة صرّ، ظاهراً: شدّ وجمع، وباطناً: عزم. الصّاد حركة ترابط وتفاعل للمواجهة، والرّاء تكرار لحركة التّرابط والتّفاعل، تُنبئُ عن توقّع مجابهة شديدة تستدعي إعادة محاولة التّرابط. في معجم مقاييس اللّغة، الصّاد والرّاء أصولٌ: الأوّل قولهم صَرَّ الدَّراهمَ يصرُّها صَرّاً. وتلك الخرقة صُرَّة. والصُرّة: كيس وهي من الجمع والشّد والقيد، والذي تعرفه العربُ الصِّرَار،

وهي خرقةٌ تُشدُ على أطْباء النّاقة لئلا يرضَعَها فَصيلُها. يقال صَرَّها صَرّاً. والصُرَة: حبل المولود بعد أن يُصَرَّ ويُعْقَد. ومن الباب: الإصرار: العَزْم على الشيء بلا تردّد أو تراجع، كما في التّنزيل: ﴿..وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ءَال عمران ١٣٥. وإنّما جعلْناه من قياسه لأنّ العَزْم على الشيء والإجماعَ عليه واحد. هنا تكرار حركة المجابهة والتّرابط بين قواها الذّاتيّة هو الإمعان في الحرص، بما يستوجب المزيد من الحذر؛ ومن الباب: الصَّرَّة، يقال للجماعة صَرَّةٌ. قال امرُؤُ القَيس:

فألحَقَنَا بالهاديات ودونَهُ جَوَاحِرُها في صَرَّةٍ لم تَزَيَّلِ

ومن الباب: حافرٌ مصرورٌ، أي منقبضٌ. ومنه الصُرْصُور، وهو القَطيع الضَّخْم من الإبل. وأمَّا الثاني، وهو من السُمُو والارتفاع، فقولهم: صَرَّ الحمارُ أُذُنَه، إذا أقامها. وأصَرَّ إذا لم تذكر الأُذن، وإن ذكرتَ الأُذُن قلتَ أَصَرَّ بأذنه. وأظنُّه نادراً. والأصل في هذا الصِّرَار، وهي أماكنُ مرتفعةٌ لا يكَادُ الماء يعلوها. فأما صِرَارٌ فهو اسمُ علَمٍ، وهو جَبَلٌ. قال جرير:

إنَّ الفرزدقَ لنْ يُزايلَ لؤمَهُ حتّى يَزُولَ عن الطَّريق صِرَارُ

وأمَّا الثالث: فالبرد والحَرُ، وهو الصِّرُ. يقال أصاب النَّبتَ صِرٌّ، إذا أصابه بردٌ يُضِرُ به. والصِّرُ: صِرُ الرِّيح الباردة. وفي التنزيل: ﴿..كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ..﴾ ءَال عمران١١٧، وربّما جعلوا في هذا الموضع الحَرَّ. قال قوم: الصَّارَّةُ شدّة الحرّ حرُ الشمس. يقال قطع الحمار صارَّتَه. إذا شرب شُرْباً كَسَرَ عطشَه. والصَّارَّة: العَطَش، وجمعها صَوَارُ. والصَّريرة: العطش، والجمع صرائر. قال ذو الرّمّة:

وانصاعت الحُقْبُ لم يُقْصَعْ صَرائرُها وَقَدْ نَشَحْنَ فَلاَ ريٌ وَلاَ هيمُ

وأمّا الرّابع، فالصّوت. من ذلك الصَّرَّة: شدَّة الصِّياح. وفي التّنزيل: ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ الذاريات٢٩. صَرَّ الجُنْدَب صريراً، وصَرْصَرَ الأَخْطَبُ صَرصرة. والصَّرَارِيُ: الملّاح، ويمكن أن يكون لرفعه صوتَه. وفي قول الفرزدق:

أَشارِبُ خَمْرَةٍ، وخَدينُ زيرٍ وصُرَّاءٌ لِفَسْوَتِه بُخارُ

قلب ترتيب الحروف في التسلسلات السّابقة:

ف-ص: فاء الفصل هو من استدعى الصّاد. التعارض بين التفريق والترابط يدل هنا إضمار لإشكالٍ متزاحمٍ غير مميّز لا ماديّاً ولا معنوياً. في مُعجم مقاييس اللّغة، الفاء والصّاد كلمةٌ تدلُ على فَصْلٍ بين شيئين. من ذلك الفُصُوصُ، هي مفاصِلُ العظامِ كلِّها -قال أبو عبيد: إلّا الأصابع- واحدها فَصّ. ومن هذا الباب: أفْصَصت إليه من حقِّه شيئاً، كأنَّكَ فصلْتَه عنك إليك. وفَصَّ الجُرْحُ: سال. ومما يقاربُ هذا: الفَصُ: فَصُ الخاتَم. وسمِّي بذلك لأنَّه ليس من نَفس الخاتَم، بل هو مُلْصَقٌ به. فأمَّا فَصُ العَينِ فحدَقتُها على معنى التَّشْبيه. مُعجميّاً في لسان العرب، فَصُ الأمرِ أصلُه وحقيقتُه، وفَصُ الشّيء حقيقتُه وكُنْهُه، والكُنْهُ جوهرُ الشّيء، يُقال أنا آتيكَ بالأمر من فَصِّه يعني من مخرجه الذي قد خرج منه. وفصُ الأمرِ مَفْصلُه، وفَصُ العينِ حَدَقَتُها، وفصُ الماء: حَبَبُه، وقيل المَفاصلُ كلها فُصوص واحدها فَصّ. الفَصُ: السِّنُّ من أسْنان الثُّوم، والفَصافِصُ واحدتُها فِصْفِصَةٌ. والفَصِيص الصوت، وفي قول امرئ القيس:

يُغالِينَ فيه الجَزْءَ لولا هَواجِرٌ جَنادِبُها صَرعَى لهنَّ فَصِيصُ

قال ابن الأبار:

ويَنظُمُ فيه الشِّعرُ بأساً إلى النَّدى كما يُنظَمُ الياقوتُ فصّاً إلى فصٍّ

د-ص: تسلسل أهملته المعاجم. والسّبب أنّ الدّال المندفعة تحكم توجيه الصّاد. فهو عمل أخرق وأهوج لا هدف يدل عليه الدّال، ولا قوّة في مواجهة الصّاد ليلاحقها دالُها الملازمة لفعل حركتها. فحركة الدّال الّتي من المفترض أنْ تندفع بتدبير مَقصود وإلى جهة مُحدّدة، تصدّها الصّاد، حيث مُهمّتها تحويل الحركة المستقرّة إلى حركة لها القدرة على التشكّل لمواجهة أي طارئ، لم تجد المتعيّن مواجهته فجمد التسلسل. وهذا خلافاً لما تمثله الحركة في تسلسل (ص-د)؛ فالحرف البادئ هنا الصّاد والمعنيّ بهدف المواجهة وتسخير دال الاندفاع للجهة المحدّدة ولغاية الصّد. وقيل، الدصْدَصَةُ: ضَرْبُكَ المنخُلَ بيَدِكَ، وقيل: دَصَّ خَدَمَ سائِساً وكذلِكَ دَضَّ بالضاد المُعْجَمَة.

ر-ص: الرّاء مطلب تكراري لحركة الصّد. فإضمار الخشية من الاختراق أو الافتراق، كرصّ الصّفوف هو مطلب الرّاء. مُعجمياً: رصّ الزّق بعضه ببعض، والرّصاص المرصوص المترابط الذّرات والأجزاء، وفي التّنزيل: ﴿..كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ الصف٤. وفي قول الطّرمّاح:

وقامَ المَها يعقلنَ كُلَّ مُكبَّلٍ كما رُصَّ أيقا مُذهَبِ اللّونِ صافنِ

إذا كان التسلسل مُبتدئاً:

ص-د-ا: ولوج حركة ترابط وتفاعل للمواجهة المندفعة، بابي الزّمان والمكان، وهو إنشاء يظهر أثره. في مُعجم مقاييس اللّغة، (صدي) الصّاد والدّال والحرف المعتل فيه كَلِمٌ متباعدةُ القياس، لا يكاد يلتقي منها كلمتانِ في أصل. فالصَّدَى: الذَكَرُ من البُومِ، والجمع أصداء. وقيل صدا الهام: هو طائر يخرج من هام المقتول يصيح يطلب الثّأر، وقال لَبيد:

وليسَ النَّاسُ بعدَكَ في نقيرٍ وما هُمْ غَيْرُ أصْدَاءٍ وَهَام

والصَّدَى: الدّماغُ نفسُه، ويقال بل هو الموضع الذي جُعِلَ فيه السَّمْع من الدّماغ، ولذلك يقال: أصَمَّ اللهُ صَدَاهُ. ويقال بل هذا صَدَى الصَّوْت، وهو الذي يُجيبُك إذا صحْتَ بقُرْبِ جَبَل. وقال قال امْرُؤُ القيس يصف داراً:

صُمَّ صَداها وعَفا رَسمُها واستعجَمَتْ عن منطقِ السَّائل:

والصَّدَى: الرَّجُلُ الحَسَنُ القيام على ماله، يقال هو صَدَى مالٍ. ولا يقال إلّا بالإضافة. والصَّدَى: العَطَش، يقال رجلٌ صَد وصاد، وامرأة صادية. وتصدَّى فُلاَنٌ للشَّيء يستشرفُهُ ناظراً إليه. والتَّصدية: التَّصفيق باليدين. وفي التنزيل: ﴿وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِندَ البَيْتِ إِلَّا مُكاءً وَتَصْدِيَةً﴾ الأنفال ٣٥. فأمّا الصَّوادي من النَّخْل فهي الطّوال. ويقال: صاديتُ فلاناً، إذا دارَيْتَه. وصاديت فلاناً مُصاداةً: عاملتُهُ بمثل صَنيعه.

ص-د-ا: حركة الصّد في تردّد ذهاباً وإياباً، كَأنّما التّصدي يراوح مَكانه، أو أنّه غير متابع أو متكامل أو مستمر. وربّما أنّ محاولاته مُضمرة في المعدن الّذي هو من يتصدّى للحركة؛ ذلك لأنّ الصّدأ هو للمعدن كونه صلب كفاية بذاته، وليس لأيّ تآكل في المواد الأخرى. وفي المعاجم: إذا كان بعد الدّال همزة تغيَّر

المعنى، فيكون من الصَّدَأ صدإ الحديد. يقولون: صاغرٌ صَدِئٌ من صدأ العار صدأ الحديد والمعدن، اعترى مظهرها ما يعيبها، قال الأخيطل الأخوازي[1]:

فالسّيفُ يقطعُ وهو ذو صَدَءٍ والنَّصلُ يبري الهامَ لا الغمدِ

ص-ف-ن: قلنا في (ص-ف) أنّها حركة للمجابهة في توجّه التّفريق والفصل؛ فمجيء نون الإنشاء المستمر لمجابهة المحتمل هو من أسباب وظروف التّفريق. كما أنّ حركة الإنشاء المُستمر من خلال المجابهة بالتفرقة، هو وسيلة صد. الصّفن مُعجميّاً: وعاء الخصيتين. والصّفن أيضاً: خريطة الرّاعي يكون فيها زوّادته. تقول العامة: «صفن» بمعنى سكنت جوارحه من نظر وكلام وتصرّف؛ ربّما لعدم وضوح الموقف، أو القدرة على المجابهة، وهو الأقرب للمعنى الحركيّ. قال ابن الرّومي:

صَفَن الجوادُ وقد يطولُ جِراؤُه ولتسمعن بكلّ جارٍ صافنا

وقال المعرّي:

ولا تُنَجّي دُروعٌ أهلَها سُبُغٌ ولا جيادٌ على أبوابِهمْ صُفُنُ

ص-د-ع: لا معنى في مجيء عين المعاينة لكشف المُبهم، بعد أن حُدّدت حركة الصّد المندفعة بتدبير مقصود مُسبقاً؛ فكأنّ حركة الصّد غير واثقة من إنجازها، وأنّ الموقف الّذي اتخذته موقف سلبي لا يفي بالغرض. المستنتج أنّ مجيء العين هو لإظهار النّتائج الأوّليّة والممكنة. ولتوضيح المُبهم في حركة الصّد، هو الكشف عن عيوب في أركان المجابهة، وإلّا لَمَا استدعت العين للمعاينة؛ فأيّ مجابهة وتكتّل مقاوم يتطلب معايرة الاستعدادات، والتأكد من اتحاد قوّتها واتفاق وجهتها. الصّدع مُعجميّاً: الشّق والتفريق، وصدع وتصدّع: تفرّق وانشق، وفي التّنزيل: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ الواقعة١٩، ﴿وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ الطارق١٢. يقال أنّ النّبات يصدعها، وقول قيس بن ذريح:

أيا كَبِداً طارت صُدوعاً نوافذاً ويا حسرتا ماذا تغلغل في القلبِ

---

(١) الأخيطل الأخوازي: محمد عبد الله بن شعيب أبو بكر الأخوازي، من بني مخزوم ولاء، شاعر أموي، ميلاده ووفاته مجهولين.

نلاحظ في اقتران حركة التغلغل في إضمار ما أصاب كبد قيس بن ذريح، فالصّاد كمقاومة للتغلغل ظاهرة في هذا البيت. والصّداع وجع الرّأس، وصدع بالحق: جهر به، وقيل: أصاب به موضعه. وفي التّنزيل: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ الحجر٩٤، وصدع إلى الشّيء مال إليه؛ وهنا يضمر المعنى ممانعة تتوخّى المجابهة صَدَعَها وشقَّها.

ص–ر–م: مجيء ميم التّكامل لمتابعة الرّاء، الّذي يكرّر حركة الصّاد، يفصح عن وجود نواقص، أو خشية من اختراق، أو عدم السّيطرة على زمام الأمور. فالمطلوب من الميم تأمينها. صرَمَ مُعجميّاً: قطع، والصّارم: السّيف. وفي التّنزيل: ﴿أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ﴾ القلم٢٢؛ أي عازمين أمركم. والصَّرامة: الحزم والشّدّة والاستبداد بالرّأي. والصّرام: قطع الثّمر، والصُرم عند العامّة: الدّبر، وأيضا اللّيل يصرم النّهار، كما في قول النّابغة، يصف جيشاً:

أو تزجروا مُكْفَهِراً لا كِفاءَ لَه   كاللّيلِ يخلطُ أصراماً بأصرامِ

إذا كان التسلسل لاحقاً:

ع–ص–ف: العَصْف، في المعاجم: ما على الحبِّ من قُشور التّبن. والعَصْف: ما على ساق الزَّرع من الوَرَق الذي يَبس فتفتَّت، كل ذلك من العَصْف. وفي التّنزيل: ﴿فَجَعَلَهُم كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ الفيل ٥، وأيضاً: ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾ الرحمن١٢، والعصف هنا هو التبن. قال بعضُ المفسّرين: العصف: كلُّ زرعٍ أُكل حَبُّه وبقي تبنُه. ويقال: عَصَفْتُ الزَّرْعَ، إذا جَزَزْتَ أطرافَه وأكلتَه، كالبقل. ويقال: مكانٌ مُعْصف، أي كثير العَصْف. والرّيح العاصف: الشّديدة. وفي التّنزيل أيضاً: ﴿جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ يونس ٢٢، و﴿..أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ..﴾ إبراهيم١٨. فعين مُعاينة المُبهم في متابعة حركة الصّاد المُحاصِرة، والّتي عصت وتمنّعت عن السّماح للحَبِّ بالخروج من

القشور، فجاءت حركة الفاء لفصل وتفريق ما عصّت عليه الصّاد، وهو قشور الحَبّ. وفي قول الهمشري[1]:

يتَخطّى عَصفَ الأعاصيرِ وَثباً   لا يُبالي بهَولِ هذا الفَناءِ

ر-ص-د: دلالة الرّصد، ظاهراً المراقبة، وباطناً: الرّجاء، وأيضاً المكافأة. في معجم مقاييس اللّغة، الرّاء والصّاد والدّال أصلٌ واحد، وهو التهيُّؤ لرقْبة شيء على مَسْلكه، يقال أرصدتُ له كذا، أي هيّأْتُه له، كأنّك جعلتَه على مَرصَده. رصدتُه أرصُدُه، أي ترقَّبتُه؛ وأرصَدْت له، أي أعدَدْت. والمَرْصَد: موقع الرَّصْد. والرَّصَد: القوم يَرصُدون. والرَّصْد الفعل. الرّصيد في المعاجم: ما أعدّ وادّخر لغرض مُحَدّد؛ فهو مرصود، وفي التّنزيل: ﴿..وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَد..﴾ التوبة٥، و﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ الفجر١٤، الرّاء تكرّر مطالبة حركة الصّاد الّتي يظهر من خلالها المعنى الباطنيّ؛ وهو الإطباق؛ أي الاتجاه الدّاخليّ لاندفاع الدّال. كذلك في تسلسل (ر-ص)؛ الّذي هو تقريب وتجميع وشدّ الصّفوف لأيّ مادّة أُخرى، فمجيء الدّال هو بقصد معاونة الممانعة الدّاخليّة. قال بشّار بن بُرد:

دَخَلتُ مُسارِقاً رَصدَ الأعادي   على ستٍ ومَدخَلُنا خِطارُ

وفي قول السّلكة أم السّليك[2]:

وَالْمَنايا رَصَدٌ   لِلْفَتَى حيْثُ سَلَكْ

ع-ص-ر: دلالة العصر، ظاهراً: استخراج عُصارة الثّمر، وباطناً: الدّهر. يمكن النّظر في تأليف هذا التسلسل على انّه من (عص+ر) بما يفيد أنّ تكرار حركة العص تضمر ممانعة استوجبته، وإن نظرنا إلى أنّ التسلسل هو (ع+صر) صارت معاينة لما تمّ صرّه وحفظه. في معجم مقاييس اللّغة، العين والصّاد والرّاء أصولٌ ثلاثة صحيحة: فالأوَّل دهرٌ وحين، والثّاني ضَغْط شيء حتَّى يتحلّب، والثّالث تَعَلّقٌ بشيءٍ وامتساكٌ به. فالأوَّل العَصْر، وهو الدَّهر.

---

(١) الهمشري: محمد بن عثمان الهمشري، تركي الصل، مصري المولد، (؟-١٣٥٧هـ ؟-١٩٣٨م).

(٢) السّلكة أم السّليك: شاعرة جاهلية كان ابنها السليك من الشعراء الصعاليك غير معروف تاريخي ميلادها ووفاتها

كما في التّنزيل: ﴿وَالعَصْرِ. إنَّ الإنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ العصر ١-٢. وربّما قالوا عُصُر. قال امرؤُ القيس:

ألا أنْعِمْ صباحاً أيُها الطَّلَلُ البالي وهل يَنْعِمَنْ مَن كان في العُصُر الخالي

قال الخليل: والعَصْرَان: اللّيل والنّهار. قالوا: وبه سمّيت صَلاةُ العصر، لأنّها تُعْصَر، أي تؤخَّر عن الظُهر. قال حميد بن ثور الهلاليّ، أو المتلمّس الضبعيّ:

ولَنْ يلبث العَصْرانِ يومٌ وليلةٌ إذا اختلفا أن يُدرِكا ما تَيَمَّما

وقال تأبّط شراً:

ثمَّ انقضى عَصْرُها عنّي وأعقَبُه عَصرُ المَشيبِ فَقُلْ في صالحٍ بادا

والأصل الثّاني العُصارة: ما تحَلَّبَ من شيءٍ تَعصره. وهو العصير. والمِعْصار: شيء كالمخْلاة يُجعل فيه العنَبُ ويُعصَر. ومن الباب: المُعْصرات: سَحائبُ تجيءُ بمطَر. كما في التّنزيل: ﴿وَأنزَلْنَا منَ الْمُعْصِرَات مَاءً ثَجَّاجاً﴾ النبأ١٤. وأُعْصِرَ القومُ، إذا أتاهم المطر. وقرئت: و﴿..فيه يُغَاثُ النَّاسُ وَفيه يَعْصِرُونَ﴾ يوسف٤٩. أي يأتيهم المطر. وذلك مشتقٌ من عَصْر العنب وغيره. فأمّا الرِّياح وتسميتُهم إيَّاها المُعْصِرات فليس يبعُد أنْ يُحمَل على هذا الباب من جهة المجاورَة، لأنّها لَمّا أثارت السَّحابَ المعصرات سمّيت معصرات وإعصاراً. قال عدي ابن الرّقاع العاملي في المُعصرات:

وكأنَّ سُهْكَ المُعْصِرات كَسَوْنَها تُرْبَ الفَدَافد والبقاعِ بمُنْخُلِ

والإعصار: الغبار الذي يسطع مستديراً؛ والجمع الأعاصير. وفي التّنزيل أيضاً: ﴿..فَأَصَابَهَا إعْصَارٌ فيه نَارٌ..﴾ البقرة٢٦٦، قال رجلٌ من أهل نجد:

وبينما المَرْءُ في الأحْياء مُغْتَبِطٌ إذا هو الرَّمْسُ تَعْفوهُ الأعاصيرُ

قياس على ما جاء في تسلسل (عصف) تبدّل حرف الفاء بحرف الرّاء، فإنْ كانت حركة الفاء تفصل وتفرّق، فالرّاء هنا تُكرّر حركة (العص)؛ فبدل أنْ تفرّق تشدّ ممانعة مُكرّرة الرّفض؛ فالحركة قوّة ممانعة تقابل قوّة ضاغطة.

خرق التسلسلات بحرف آخر في الوسط

ص-د-ف: دخول فاء التّفريق والفصل على حركة الصّد، فرّقت اندفاع الدّال وقصدها؛ أيْ فَصَلَت قوى واتجاه المجابهة، وِفقَ مشيئة الصّاد. مُعجميّاً:

الصُدوف: الميل عن الشّيء؛ أي عدل وستر. وفي التّنزيل: ﴿.سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ﴾ الأنعام١٥٧. وقيل أيضاً: الصُدوف: ميل في القدم، وقيل: المرتفع العظيم كالحائط والجبل. والمصادفة: الملاقاة فُجأة دون موعد؛ وهي مأخوذة من جانبي الجبلين إنْ تحاذيا تصادفا. وفي التّنزيل: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ..﴾ الكهف٩٦. والصّدف: المحار؛ لملاقاة الصّدفتان؛ قال البُحتري:

إنّ الكريمَ إذا رأى ذا خِسَّةٍ صَدَفَ المودَّة عنه صدفَ الطَّارِدِ

وقال الأعشى:

ولقد ساءها البياض فلطَّت بحجابٍ من بيننا، مصدوف

وقال الطِّرمّاح:

صُدفُ النَّواظرِ عن مَنا جاراتِهم حَتّى يَبِنَّ حَواصِرَ الأسرارِ

ص-م-د: هنا ميم التّكامل تجمع النّواقص الّتي تساعد حركة الصّاد على إكمال مهمّتها في الترابط، ثُمّ تتابع معها الاندفاع المقصود. في معجم مقاييس اللّغة، الصاد والميم والدّال أصلان: أحدهما القَصْد، والآخَر الصَّلابة في الشَّيء. فالأوَّل: الصَّمْد: القصد. يقال صَمَدْتُه صَمْداً. وفلان مُصَمَّدٌ، إذا كان سيِّداً يُقصَدُ إليه في الأمور. وصَمَدٌ أيضاً. واللّه جلَّ ثناؤه الصَّمَد؛ لأنَّه يَصْمِد إليه عبادُهُ بالدُعاء والطَّلَب. قال الخليل بن أحمد الفراهيديّ في الصَّمَد:

يمَّمْتُه بالرُمْحِ شَذْراً ثُمَّ قلتُ له خذْها حُذَيفُ فأنت السيِّد الصَّمَدُ

وقال طَرَفَة في المصَمَّد:

وإنْ يَلْتَقي الحيُّ الجميعُ تُلاقني إلى ذروة البيت الرَّفيع المُصمَّد

والأصل الآخر الصَّمْد، وهو كلُ مَكانٍ صُلْب. قال أبو النَّجْم العِجْليُ: تُغادرُ الصَّمْدَ كَظَهْرِ الأجْزَل. الصّمد مُعجميّاً: الانتظار والتحمّل بصبر؛ وفيه توجّه وقصد. والصَّمد: السّيّد المطاع والّذي لا نهاية لسؤدده، والصّمد: المصمت

الّذي لا جوف فيه. وفي التّنزيل: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ الإخلاص٢. وفي قول الصّمّة القُشيري[1]:

ألا أيُها الصَّمَدُ الّذي كنتَ مرّةً بحلّك أسقيت الغواديَ من صَمَدِ

ص-ب-ر: الانبثاق من حركة الصّاد يضمر تعزيز متانة الموقف المترابط في المواجهة.

وما تكرار الانبثاق بالصّاد إلّا لمزيد من الضّغط المقابل. توجّه فيه مُعاندةً وتحدّياً ومتابعة. مُعجمياً: الصّبر التجلّد والتّحمّل على المكاره والمحن، والصّبر: حبس النّفس عند الجزع في ملاقاة المصائب. والصّبر: الثبات. وفي التّنزيل: ﴿..وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ العصر٣، ﴿..اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ..﴾ ءَال عمران٢٠٠، قال قطريّ بن الفجاءة[2]:

فَصَبراً في مجالِ الموتِ صَبراً فما نيلُ الخُلودِ بِمُستَطاعِ

استخلاصُ النّتيجة بمعيار العقل

نستخلص ممّا سبق أنّ حركة حرف الصّاد تدل على التّرابط للمواجهة والاستعداد لأيّ طارئ. فحركة الصّاد تدفع عن نفسها البلاء من خلال الصّدود؛ إذْ لها القدرة على التّطوّر والتّشكّل وتحويل الحركة المستقرة إلى حركة مواجهة إنْ ابتُدئ بها، مثل: صون وصدق وصَلابة. وإنْ أُلحقت بحرف ءَاخر سخّرت الحركة للتفاعل والتّرابط مثل: تراص، حصن. وحرف الصّاد أيضاً يحمل معنى نقيضه إنْ تأثر بأحرف تقلّص من أهمية التّماسك والتّراص، مثل: الدّال، فيتحوّل إلى قوّة اندفاع واعية، وهذا هو معنى (صاد). ويعزّز المعنى دخول حرف الفاء في (فصل)؛ لأنّ (صل) وصله، تَمّ إلغاء معناه وعكسه بحرف الفاء (فصل)، وكذلك في (صر، وصرف)، و(رص وفرص).

---

(١) الصّمّة القُشيري: الصّمة بن عبد الله بن طفيل القشيري، المضري، شاعر بدوي له شعر غزلي من الشعراء المتيمين، (؟-٩٥هـ، ؟-٧١٣م).

(٢) قطري بن الفجاءة: هو جعونة بن مازن بن يزيد الكناني التميمي، من أهل قطر، وهو شاعر وفارس وخطيب من الخوارج الأزارقة وأميرهم، (؟-٧٨هـ، ؟- ٦٩٧م).

حرف الصّاد عند ابن عربي[1]:من عالَم الغيب والجبروت، له أوّل الطّريق، حرف من حروف الصّدق والصّون والصّورة، وفي سورة (ص) أسماء الأنبياء. وأسرار العالم كلّه وعجائب الآيات.

في الصّاد نور القلب بات يرقُبه — عند المنام وستّر السُهد يحجُبُهُ
فَنَمْ فإنّك تَلْقى نور سجدته — ينير صدرك والأسرارُ ترقُبُهُ
فذلك النّور نور الشكر فارتقبِ ال — مشكورَ فهو على العادات يُعْقِبُهُ
الصّاد حرفٌ شريفٌ — والصّاد في الصّاد أصدقْ.
قل ما الدليل أجدهُ — في داخل القلب مُلصَقْ.

لا يفيدنا الوصف هنا في استخلاص المعنى الدّلاليّ لحرف الصّاد في تركيب الكَلام. ويدلُ حرف الصّاد عند الشّيخ العلايليّ «***على المعالجة الشّديدة.***»[2] ربّما يلتقي الوصف هنا مع المقاومة والصدود. وعند حسن عبّاس: «***يماثل صوت الرّصاص من المعادن رجاحةَ وزن، وكالرخام الصّقيل من الصّخور الصّمّاء صلابة ونعومة ملمسٍ، وكالإعصار من الرّياح، صرير صوت يقدح ناراً، الصّفاء والنقاء ماديّاً ومعنوياً، الشدّة والصّلابة وقوّة الشكيمة، العيوب النّفسيّة والجسدية.***»[3] ويدل عند إياد الحصني: «***على معنى الصّلابة، فكل شيء متماسك متراص بشكل قوي كانت الكلمة الدّالة على اسمه تحوي حرف الصّاد، كما في رص، صب، صر، صلب .إلخ.***» [4] هنا كما عند عبّاس صلابة الموقف من خصائص الترابط، وهو المعنى الدّلاليّ لحركة الحرف كما توصّلنا إليه. وحرف الصّاد عند محمد عقل: «***صادي (منجل)، صنارة، رسمت في المسند على شكل المنجل، هكذا: ♀.***»[5] تحوّل إلى الأفقيّة محافظاً على شكله، بانحراف تسعين درجة. ربّما في الصيد دلالة ربط وتقييد كما توصّلنا إليه في معنى الحرف.

---

(١) **الفتوحات المكيّة**، م. س. السِّفر الأوّل ص.ص ٣١١-٣١٤.
(٢) العلايلي عبد الله، **مُقدّمة لدرس لُغة العرب**، وكيف نصنع المعجم الجديد، م. س. ص ٢١٣.
(٣) عبّاس، حسن، **خصائص الحروف العربية ومعانيها**، م. س. ص. ١٤٨-١٥١، بتصرّف.
(٤) الحصني، إياد، **معاني الأحرف العربيّة**، رجع سابق، ص. ٣١.
(٥) عقل، محمد، **أبجدية القرءَان من مملكة سبأ**، م. س. ص ٥٠.

الحروف الّتي لا تتبع حرف الصّاد هي الثّاء والذّال والزّاء والطّاء والظّاء والشّين والسّين، والضّاد. فحركة التّرابط والتفاعل للمواجهة والمجابهة لا يعنيها التكاثر، ولا ينسجم الصّمد والصّد مع التكاثر، ولا مع والبروز الحسّي بالذّال، أو البروز المادّيّ بالزّاء، ولا التضخّم بالطّاء. كما لا تحتاج إلى الظّهور بالظّاء الّذي ينفرها. وإذ هي حركة فيها كمون وتصلّب وممانعة داخليّة، لا تقبل التشعّب مع الشّين، وتصد هيمنة السّين، ومقاومة الضّاد.

حرف القاف

قاف-ألف المد-فاء

المسمّى الأبجديّ المُتعارف عليه للحرف: ق-ا-ف

المخرج: أقصى اللّسان وأدنى الحلق.

ترتيب نشأة الحرف: القاف هو الحرف التاسع عشر في ترتيب الأبجديّة العربيّة، والحادي والعشرون في الترتيب الهجائيّ العربيّ. يساوي عَدديّاً الرّقم (١٠٠) في حساب الجُمَّل. وفي الترتيب الصّوتيّ القديم يأتي في الترتيب السّادس عند الخليل بن أحمد والثّاني والعشرين عند ابن جنّي، وفي الترتيب الصّوتيّ الحديث يأتي في الترتيب الخامس والعشرين عند أغلب عُلماء الصّوتيات المعاصرين.

سبب حدوثه: يَتمُ نُطقه برفع أقصى اللّسان حتّى يلتقي بأدنى الحلق واللّهاة مع عدم السّماح للهواء بالمرور من الأنف، وبعد ضغطه مُدّة من الزّمن يطلق الهواء فيخفض أقصى اللّسان فيندفع الهواء مُحدثاً صوتاً انفجارياً. ولا يتذبذب الوتران الصّوتيان عند النُطق به. وحركة القاف عند ابن سينا: ***«تحدث حيث تحدث الخاء ولكن بحبس تام، وأمّا الهواء ومقداره وموضع فذلك بعينه»***[1].

الصّفات الصّوتيّة: القاف صوت لهويّ انفجاريّ مهموس، وهو من الحروف القمريّة. تظهر معه لام (أل) التعريف نُطقاً وكتابةً مثل: ألقلب.

---

(١) إبن سينا، م. س. ص. ٧٤.

الصّفات الكتابيّة: حرف القاف من الحروف المعجمة (المنقوطة) بنقطتين فوق الدّائرة الصّغيرة المغلقة في كلّ أوضاعها الكتابيّة. ويكتب في خط النّسخ مُفرداً هكذا: ق، كما في: يروق. ومتصلاً بما قبله هكذا: ق، كما في: عنق، ومتصلاً بما بعده هكذا: قـ، كما في: قمر، ومتصلاً بما قبله وما بعده هكذا: ـقـ، كما في: يقدم.

دلالة الاسم من خِلال حُروفه

- القاف: يدلّ مَعناه على التّقفّي والقفا ومتابعة اللّاحق السّابق والقافية.
- الألف: تعامد بين الزّمان والمكان لإنتاج وجود، وهنا قوّة مواجهة تولج القاف في بابي الزّمان والمكان، بالرّغم من معارضة نجدها في مُسمّاه وهو الفاء.
- ألفاء: الفصل والفك والتفريغ، وتناقض مع القاف.

تسلسل القاف: استخدم القاف، مثله مثل الكاف، حرف الفاء ليدل على توجّهه. وهو ما يشير إلى التناقض بين الحرفين للدّلالة على جدليّة المعنى. لذلك نجد تقارياً بين القاف والكاف. وأنّ الألف لها أيضاً دليلٌ على أنّ القوّة والتّكتل تتناقضا مع الفصل الّذي يحدّ من تماديهما، وكما حكم الألف تجاه الفاء بين التّأليف والتّمادي في تسلسل (أ-ل-ف)، فهو يحكم هنا عدم تمادي قوّة الإبانة وقصدها بالفاء، ويجعل الفاء محكومة بمساعدة القاف لفصل وتفريق المعيقات. مثل: قص، قد، قل، قف، قر، قش، وأيضاً في قطن، قعد، قعر، قمع، قفل، فلق، سرق.. إلخ.

متغيّرات اقترانات حرف القاف بصفته كمتبوعٍ وتابعٍ ومخترقٍ

الاقتران الثّنائيّ بصفته متبوعاً: (ق-ط)، (ق-د)، (ق-ر) و(ق-ب).

ق-ط: دلالة قط، ظاهراً القطع، وباطناً الأبد. حركة قاف قوّة الفصل والإبانة والتّقفّي من خلال الاستعانة بطاء التّضخّم، كَمَنْ يحيط نفسه بغلاف، فلماذا قوّة الإبانة لا تريد الإفصاح أو تعمد لإحاطة الجهد بالطّاء طيّاً أو طوياً؟ المُضمر في اتجاه المعنى هو الخشية واليأس، أو كما يُقال «المخفي

أعظم». عندما جيء بحرف العين لمعاينة المُبهم، ولمعرفة مكنون المستبطن بالطّاء، في تسلسل (قطع)، كشفت عن توجّه المعنى، وهو القطع عرضاً، أو (قطع الشّك باليقين). والقَطُّ، في كتاب العين: قَطْعُ الشَيء الصلْب كالحُقَّة. على حَذْوٍ مسبور كما تُقَط القَصَبةُ على عَظْمٍ. والمقَطَّةُ: عُظَيمٌ تُقَطُّ عليه رُؤوسُ الأقلامِ. ويقالُ: ناوَلَني قَطّاً من البَطِّيخ؛ أي قِطْعةً. والقطاطُ: حَرْفٌ من الجَبَل أو من صَخْرة؛ كأنّما قُطَّ قَطّاً والجميعُ الأقطَّةُ. والقطُّ: كتابُ المُحاسَبَة وجمعه قُطُوطٌ. والقطُّ: النصيب لقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ ص١٦؛ أي كشف الذّنوب. ورجلٌ قَطَطَ وشَعْر قَطَطٌ وامرأة قَطَطٌ والجميعُ قَطَطُونَ وقَطَطات. والقطَّةُ: السِّنَّوْرُ، والقطْقطُ: المَطَرُ المُتَفرِّقُ المُتَحاتِنُ المُتتابعُ العَظيمُ القَطْرِ، والقَطقَطَةُ فعله. قال الأعشى:

ولا المَلِكُ النُعمانَ، يوم لَقيتَهُ بإِمَّته، يعطي القُطوطَ ويأفقُ

وفي القول: وما رأيت مثله قط؛ أي زمناً. وقيل قط: معناه الاكتفاء. وإذا نظرنا في دخول فاء الفصل على قط في: (فقط)، نرى أنّها فصلت أمر الشّك بما أخفاه الطّاء في جوفه، مُعيناً القاف على إبانَة المُضمر وفتح المُغلق، فكأنّه هو من أخذ المبادرة، وإن دخل الفاء على قط في (قطف) قام بتعزيز قوّة الفصل عَمّا أحاط به الطاء. وفي قول المعرّي:

يُغْني الفَتى مَلبَسٌ يُستّرُه، وقوتُهُ في دُجَى الظّلام فقَطْ

ق-د: دلالة قد، ظاهراً: شقّ، وباطناً: أكّد. قاف قوّة الإبانة والفصل والتّقفّي تندفع بالدّال في توجّه قصدي إلى أبعد مدى. والقد مُعجمياً: الشّق طولاً. وكان الإمام علي «إذا اعتلى قدّ وإذا اعترض قطّ»؛ أي قطع طولاً وقطع عرضاً. وفي التّنزيل: ﴿.. إن كَانَ قَميصُهُ قُدَّ من قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذبِينَ﴾ يوسف٢٦. والقَدّ: القامة، وهو حسن التّقطيع، وفي قول عَنْتَرة:

يخبرْك بَدْرُ بنُ عمْروٍ أنني بَطلٌ ألقى الجيوش بقلبٍ قُدَّ منْ جَبَلِ

وقدْ: التّوقع والتّوكيد. كما في قول عبيد ابن الأبرص:

قدْ أترُكُ القِرنَ مُصْفَرّاً أنامِلُهُ كأنَّ أثوابُه مُجَّتْ بفرصاد

ق-ر: دلالة قر، ظاهراً: البرد، وباطناً: السّكون. تكرّر حركة الرّاء مطلب قوّة الإبانة والفصل والتّقفي. فما هو مُستعصٍ على الإدراك والفهم، أو لم يُتَّخَذْ بشأنه يقيناً مادّيّاً أو معنوياً، تدخل حركة القاف مكرّرة المحاولة لتثبيت الإبانة. فالإضمار هو القلق في التّوجّه المعرفي والمادّي، يبيّنه تكرار محاولة القاف. القُر بالضم معجمياً: البرد وشدّته، والقرارة: ما بقي ولزق بالقدر، واستقر بالمكان. وفي التّنزيل: ﴿..وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ الأعراف٢٤، و﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ..﴾ الأحزاب٣٣ و﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ يس٣٨. وقرّة العين: مجتباها، ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً..﴾ مريم٢٦. والقرية حيث يستقر النّاس فيها. كما في التّنزيل: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُواْ هَـذِهِ الْقَرْيَةَ..﴾ الأعراف١٦١. والقرور: الدّمع البارد يخرج بسبب الفرح والهدوء والسّكينة بعد القلق والاضطراب. والإقرار: الإذعان للحق والاعتراف. والقَر: صبّ الماء دفعة واحدة. وقرّ الحديث في أذنه: صبّه لمخاطبة الأصم، ومنها القارورة الّتي تقرّ بما فيها حين تفرغها أو يستقرّ فيها الشّراب. والاقترار: السِّمنُ، والقرار: أسفل القاع، وفي قول أبي ذؤيب الهذلي:

بقرارِ قيعانٍ سَقاها وابلٌ   واهٍ، فَأَثْجَمَ بُرهَةً لا يُقلِعُ

ق-ب: باء الانبثاق الّتي خرجت حركتها من مكمن قوّة الإبانة والفصل والتّقفّي، فتحت لها مجال الحركة واسعاً، تماثل صعود الموجة الصّوتيّة، في حركتها كما قوس الظّاهر على المحور الأفقيّ، أو قبّة قوس الباطن. فالحركة لم تنته، وإنّما فتح لها المجال استعداداً. أنظر تسلسلي (و-ق-ب) و (ق-ب-و). وفي كتاب العين: القَبُ: ضرب من اللّجم أصعبها وأعظمها، ويقال لشيخ القوم هو قَبُهُمْ، وقَبُ الدّبر ما بين الأليتين. تقول الزّق قَبَّكَ بالأرض، وقَبَّ اللّحم يَقبُ قبيباً؛ أي ذهب ندوته. والقَبْقَبَةُ حكاية صوت أنياب الفحل. وفي المعاجم أيضاً، قبّ القوم يقبّون قبّاً: صحبوا في خصومة، وهو استعمال مجازي. وقيل قبّ: قطع، وقيل هو الخرق في الوسط، والقِبُ بالكسر: العظم

النّاتئ من الظّهر. والقَبَبُ دقّة الخصر، والفعل قبَّه يَقُبُه قَبّاً وهو شدّة الدّمج. كما في قول ابن الرّومي:

ثقيلاتُ أرداف، نبيلاتُ أسْوُقٍ ... وما شئتَ من قُبِّ البُطون حمائص

وأنفٌ قباب: ضخم عظيم، وبيت مقبب؛ أيْ له قبّة، كما في قول المُتنبّي:

نَجُرّ القَنَا الخَطّيّ حَوْلَ قِبَابِهِ ... وَتَرْدي بنا قُبُ الرّباطِ وَجُرْدُهُ

وقال البُحتري:

إذا طَمِعَ السّاعونَ أنْ يَلحَقوا بهِ ... تَمَهّلَ قابَ العَينِ أو فَوتَ قابها

قلب ترتيب حروف التسلسلات:

فـ-ق: تابعت حركة قاف الإبانة والتّقفّي توجّه فاء الفصل والتفريق. الفق والانفقاق مُعجميّاً: يدلُ على تفتُح واختلاط في الأمر. يقال: انفَقّ الشَّيءُ، إذا انفرَجَ. ويقولون: رجلٌ فَقْفَاقٌ، أي أحمق مُخَلِّطٌ في كلامه.. إنْ أدخلنا تاء الجهد على فاء الفصل، كما في (فتق)، وهي من حكم اتجاه القاف، نتج الشّق دون الفصل، وذلك بسبب حركة اجتذاب الجهد بين الفاء والقاف. ليلاحظ العلاقة المتعاكسة بين الفتق والرّتق، فالفتق بوجود فاء الفصل هو الشّق، بينما الرّتق براء التكرار هو عكسه. الفائق مُعجمياً: عظمة في العنق في مؤخّرة الرّأس. وفي قول ابن نباته السّعدي[1]:

مَغاربَ الشَّمسِ على جيبِ الأُفُقْ ... حَتّى إذا قالَ الصَّدى للفُوقِ فُقْ

د-ق: دال الاندفاع إلى أبعد مدى، تتحكّم حركتها بقوّة الدّفع لقاف الفصل والإبانة، لإظهار ما هو مضموم في داخل الحَبِّ أو داخل مجهول. وفي معجم مقاييس اللّغة، الدّال والقاف أصلٌ واحد يدلُ على صِغَر وحَقارة. فالدَّقيق: خلافُ الجَليل. يقال: ما أدَقَّني فُلانٌ ولا أجَلَّني، أي ما أعطاني دقيقةً ولا جَليلة. وأدقَّ فُلانٌ وأجلّ، إذا جاء بالقليل والكثير. قال الصِّمَّةُ بنُ عَبْد الله القُشَيْرِيُ:

لَجُوجٍ إذا سَحَّتْ، هَمُوعٍ إذا هَمَتْ ... بكَتْ فأَدَقَّتْ في البُكَا وأجَلَّتِ

---

(١) ابن نباته السّعدي: عبد العزيز بن عمر بن محمد بن نباتة التميمي السّعدي، من شعراء سيف الدولة الحمداني، (٣٢٧-٤٠٥هـ، ٩٣٨-١٠١٤م).

والدّقيق: الرجل القليل الخَير. والأمر الغامض. والدّقيق: الطَّحين. وتقول: دققتُ الشَّيْءَ أدُقُّه دَقاً. وأمّا الدَّقْدَقة فأصواتُ حوافر الدوابّ في ترددُها. لأنَّها تدقّ الأرضَ بحوافرها دَقّاً. الدّق مُعجمياً: الطّحن والتهشيم، ومنه دقيق الحنطة، ودقائق الأشياء والزّمن. ومنه التّدقيق في الأمر. قال إبن حمديس:

فَلَمْ يَبقَ منها غَيرُ جُزءٍ كَأنَّهُ تَوَهُمُ مَعنىً دَقَّ عن ذهنٍ مُفَكِّرِ

ر-ق: حركة التكرار الّتي تلاحق بمطلبها قاف القوّة للفصل والإبانة، تفصح عن جهد مطلوب مُسبقاً، لبيان ما هو ممتنع عن التشكيل، فاستوجب إعادة استخدام قوّة الفصل مراراً. وفي معجم مقاييس اللّغة، الرّاء والقاف أصلان: أحدهما صفةٌ تكون مخالفةً للجفاء، والثاني اضطرابُ شيءٍ مائع. فالأوّل الرّقّة؛ يقال رقّ يرقّ رقَّة فهو رقيق. ومنه الرَّقَاقُ، وهي الأرض الليِّنة. وهي أيضاً الرَّق والرِّق. والرَّقَق: ضعفٌ في العظام. قال الفرّاء: في ماله رَقَق، أي قلّة. والرِّقَّة: الموضع ينضُب عنه الماء. والرِّقّ: الذي يُكتب فيه، معروف. والرُقاق: الخبز الرّقيق. والأصل الثاني: قولهم ترقْرَقَ الشَّيءُ، إذا لَمَعَ. وترقرق الدّمعُ: دار في الحمّلاق. وترقرق السَّراب، وترقرقت الشَّمس، إذا رأيتَها كأنها تدور. والرَّقْراقة: المرأة التي كأنَّ الماء يجري في وجهها. ومنه رقرقْتُ الثَّوبَ بالطيب، ورَقْرقت الثَّريدة بالدَّسَم. ومعجمياً، رقّ ورقاقة ورقائق كالورق: ضد الثّخونة والغلظة. والرّق والرَّقيق: العبد لأنّه يرق ويخضع لمالكه، والرقّة: الرّحمة ضد القسوة. وفي قول إبن الخياط:

رَقَّتْ كما رَقَّ النَّسيمُ بِعَرفِهِ مَرِضاً وليسَ يَصِحُ حَتّى يَمرَضا

ب-ق: باء الانبثاق تفتح المجال مستدعية قوّة الإبانة والفصل؛ فكأنّ المجال المطلوب الإفصاح عنه محصّن أو غير ظاهر، ومغلق على حقيقة بعينها. الباء والقاف في قول الخليل وابن دُريد أصلان: أحدهما التفتُح في الشيء، قولاً وفعلاً، والثاني الشَّيء الطَّفيف اليسير. فأمّا الأوّل فقولهم بَقَّ يَبُقُ بَقّاً؛ إذا أوسع من

العطيّة. وكذلك بَقَّتِ السماء بَقّاً، إذا جاءت بمطرٍ شديد. قال الراجز عُوَيفُ القوافي[1]:

وبَسَطَ الخيرَ لنا وبَقَّهُ   فالخلْقُ طُرّاً يأكُلُونَ رِزْقَهُ

وبَقَّ فلانٌ علينا كلامَه إذا كثّرَه. والبقبقة: كثْرة الكلام، يقال رجلٌ بَقَاق وبَقْباق. قال الرّاجز أبو النّجم العجلي:

وقد أقود بالدَّوَى المزَمَّلِ   أخْرَسَ في الرَّكْب بَقَاقَ المَنْزِل

ومن ذلكَ بقبَقةُ الماءِ في حرَكَتِه، والقدْرِ في غليانها. قال على الغراب الصّفاقسي[2]:

ما بقبق الكوزُ إلّا من تألّمه   يشكو إلى الماء ما قسى من النّار

والأصل الآخر البَقُ من البَعوضَ، الواحدة بَقّة. قال رُؤْبَةَ يصفُ حُمُرًا وَرَدَت الماء: بَصْبَصْنَ واقْشَعْرَرْنَ من خَوْفِ الرَّهَقْ   يَمْصَعْنَ بالأذنابَ من لُوحٍ وبَقّ

إضافة حرف بادئ على التسلسلات أعلاه:

ل-ق-ط: دخول حركة اللّام الّتي تفيد واللّم والتّلاحم، سلكت هنا مع القاف منظومة متجانسة سيّما وأنّ الطّاء ساعدت على الإحاطة والطّي في داخلها، وهذا التسلسل يدلُ على المعاني الحركية بامتياز. لَقَطَهُ يَلْقُطُه لَقْطاً في المعاجم: أخَذَهُ منَ الأرض فهو مَلْقُوطٌ ولَقيطٌ، ومنَ المَجَاز: لَقطَ الثَّوْبَ يَلْقُطُه لَقْطاً: رَقَعَهُ عن الكسَائيَّ، وقال الفَرّاءُ: لَقَطَ الثَّوْبَ إذا رَفَأَهُ مُقَارِباً. واللقيط: الرّضيع أو الطّفل المتروك لا يعرف له أهل، وفي قول المعرّي:

لا يَلقُطُ الحَبَّ من زُروعهمُ   وإن رأى حَبَّةَ النَّبات لَقَطْ

ر-ق-د: راء التّكرار تابعتها حركة القاف للإبانة والتّقفّي، باندفاع الدّال إلى أبعد مدى للدّلالة على مقصد الرّاء، والتكرار مطلب اقتضته صعوبات. هل نفهم أنّ الحركة مسرعة الاتجاه بالاندفاع الّتي قادت وجهتها القاف بمطلب تكرار

---

(١) عُوَيفُ القوافي: عوفُ بن معاوية بن عُقبة بن حذيفة الفزاري، شاعر أموي من شعراء الحماسة، (؟-١٠٠هـ، ؟-٧١٨م).

(٢) علي الغراب الصفاقسي: علي الغراب الصفاقسي، شاعر تونسي خلاعي، (؟-١١٨٣هـ، ؟- ١٧٦٧م).

الرّاء هي اغتنام الفرصة؟ إن كان كذلك، فلمَ الرّقد والرُقاد في المعاجم هو النّوم سواء كان ليلاً أو نهاراً؟ أرى أنّ التسلسل ينمُ عن تحفيز الرّاء لقاف الإبانة والفصل لتحريك الدّال، وهو إضمار لحالة لا تفصح عن مكنونها ومطلوب إبانتها؛ لذلك اقترن مظهر وصف أهل الكهف بالشّك في أنّهم أيقاظاً، كما ورد في التّنزيل: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ..﴾ الكهف١٨، و﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا من مَّرْقَدِنَا هَذَا..﴾ يس٥٢، الظّن أنّهم أيقاظ، وأيضاً البعث من الرّقد كما لو أنّه الموت، يحتاج إلى إمعان النّظر. ورَقَدَ يَرْقُدُ رَقْداً ورُقُوداً ورُقاداً في المعاجم: نام، والرُقاد: النَّوم، وقيل: الرُقود النّوم باللّيل والرُقادُ النّوم بالنّهار، وقوم رُقُود أي رُقَّد، والمَرْقَد بالفتح: المضجع. وأَرْقَدَهُ: أنامه، والمُرْقِدُ شيء يُشرب فينوِّم مَن شربه، ويُرْقِدُه والرَّقْدَة: هَمْدة ما بين الدّنيا والآخرة. وأنشد ثعلب:

ولقد رَقَيْتَ كلابَ أهلكَ بالرُقَى حتّى تَركْتَ عَقُورَهُنَّ رَقُودا

ورَقَدَ الحَرُ: سكن، ورَقَدَ الثوبُ رَقْداً ورُقاداً: أخلق. أَرْقَدَ الرجل بأرض كذا إرْقاداً إذا أقام بها. وقيل الارقداد عدو الناقز كأنّه نَفَرَ من شيء فهو يَرْقَدُ، يقال: أتيتك مُرْقَداً، وقيل هو أن يذهب على وجهه ويسرع في عدوه. وقال ذو الرّمة يصف ظليماً:

يَرْقَدُ في ظلِّ عَرَّاصٍ ويَتْبَعُه حَفيفُ نافجَة عُثْنُونها حَصِب

والراقُودُ دَنٌ طويل الأسفل كهيئة الإرْدَبَّة يُسَيَّع داخله بالقار والجمع الرواقيد معرَّب، ولمَرْقَد يحتمل أن يكون مصدراً ويحتمل أن يكون موضعاً وهو القبر. أرى أنّه صفة القبر إذا اعتُبِر مرحلة في انتقال المتوفَّى إلى رحمة الله. قال الغشري:

فَما هي إلّا مِثلُ أضغاثِ هاجَعٍ وطَيفٍ أتاهُ زائِراً حينَ يَرْقُدُ

ع-ق-ر: يلاحظ التّرابط بين لفظي العقر والعقم في المعنى واشتراكهما بالعين والقاف. فمعاينة المُبهم بالعين توجّه قوّة القاف لمساعدتها في الإفصاح عمّا هو مخبوء. وفي تسلسل (ع-ق)، ومنه عق الوالدين، أظهرت الحركة أنّ المُبهم الّذي أوضحته، كان سُلوكاً مخالفاً للمنطق، ومستهجناً. وفي (ع-ق-م)

أظهرت أنّ التّكامل بالنّواقص هو ما كان مُبهماً. أمّا هنا في (ع-ق-ر)، فاستدعاء الرّاء لتكرار استخدام القوّة، فيها معاندة وعدم ركون للموقف السّلبي، وإظهار الحالة على ما هي عليه، بل التّوجّه بالحركة للإفصاح عن المخبوء بالقوّة. وفي التّنزيل ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً﴾ مريم٥. في معجم مقاييس اللّغة، العين والقاف والرّاء أصلان متباعدٌ ما بينهما، وكلُّ واحد منهما مُطَّردٌ في معناه، جامعٌ لمعاني فُروعه. فالأوّل الجَرْح أو ما يشبه الجَرح من الهَزْم في الشيء. والثاني دالٌ على ثباتٍ ودوام. فالأوّل قول الخليل: العَقْرُ كالجَرْح، يقال: عَقَرت الفرسَ، أي كَسَعْتُ قوائمَه بالسَّيف. وفرسٌ عقير ومعقور. وخَيلٌ عَقْرَى. قال زياد الأعجم[1]:

وإذا مررت بقبرِهِ فاعقِرْ به   كُومَ الهِجان وكلَّ طِرفٍ سابحِ

وقال لَبيد:

لَمَّا رأى لُبَدُ النُسُورَ تطايرت   رَفَع القوادمَ كالعقير الأعزل

شبَّه النَّسرَ بالفرس المعقور. وتُعقَر النّاقة حتّى تسقط، فإذا سقطت نَحَرَها مستمكناً منها. قال امرُؤُ القيس:

ويوم عقَرتُ للعذارى مَطيَّتي   فيا عجباً لرَحلها المُتَحمَّلِ

والعَقّار: الذي يعنُف بالإبل لا يرفُق بها في أقتابها فتُدْبِرها. وعَقَرَتُ ظهر الدّابّة: أدبرته. قال امرُؤُ القيس:

تقول وقد مال الغبيطُ بنا معاً   عقَرْتَ بعيري يا امرأ القَيس فانزلِ

ومن الباب: العاقِرُ من النِّساء، وهي الّتي لا تَحبل. وذلك أنّها كالمعقورة. قال الخليل: لأنَّ ذلك شيءٌ ينزل بها من غيرها، وليس هو من فِعلها بنفسها. وقول الشّاعر يصف عقاباً:

لها ناهضٌ في الوكر قد مَهَّدت له   كما مهَّدت للبَعْل حسناءُ عاقرُ

---

(١) زياد الأعجم: زياد بن سليم بن سليمان الأعجم، أبو أمامة العبدي، مولى بني عبد القيس، من شعراء العصر الأموي، وفحول شعراء خراسان، (؟-١٠٠هـ، ؟- ٧١٨م).

وذلك أنَّ العاقرَ أشدُ تصنُعاً للزَّوج وأحفى به، لأنَّه لا وَلَدَ لها تدُلّ بها، ولا يَشغلُها عنه. وأمّا قولهم: رفع عقيرتَه، إذا تَغنَّى أو قرأ، فهذا أيضاً من باب المجاورة، وذلك فيما يقال رجلٌ قُطعت إحدى رجليه فرفَعَها ووضَعَها على الأُخرى وصَرَخ بأعلى صوته، ثمَّ قيلَ ذلك لكلِّ مَن رفع صوتَه. والعَقيرة هي الرِّجل المعقورة، ولمَّا كان رفْعُ الصَّوت عندها سُمِّي الصّوتُ بها. ويقولون: عُقَرة العلم النِّسيان، على وزن تُخَمة، أي إنّه يَعقره. وأخلاط الدّواء يقال لها العقاقير، واحدها عَقّار. وسمّي بذلك لأنّه كأنَّه عَقَر الجوف. ويقال العَقَر: داءٌ يأخذ الإنسان عند الرَّوع فلا يقدرُ أن يَبرحَ، وتُسْلِمُه رجلاه. وأمّا الأصل الآخرَ فالعَقْر القصر الّذي يكون مُعتَمداً لأهل القرية يلجؤون إليه. قال لَبيد:

كعَقْر الهاجريِّ إذ ابْتَناهُ　　　بأشباهٍ حُذِينَ على مثالِ

الأشباه: الآجر؛ لأنّها مضروبةٌ على مثال واحد.

قال الخليل: العَقَار: ضَيعة الرَّجُل، والجمع العَقارات. قال ابن الأعرابيّ: العَقار هو المتاع المَصُون، ورجلٌ مُعْقر: كثير المتاع. عُقَر الدّار: مَحَلّة القَوم بين الدّار والحوض، كان هناك بناءٌ أو لم يكن. وأنشد لأوس بن مَغْراء[1]:

أزمانَ سُقناهمُ عن عُقْر دارهم　　　حتَّى استقرّ وأدناهُم لحَوّرانا

وقد قيل إنّ الخمر تسمَّى عُقَاراً لأنّها عاقرت الدَّنَّ، أي لازمَتْه، أو لأنّها تفرض الملازمة والقعود. وهذا هو الأصل الثاني.

إضافة حرف لاحق على التسلسلات:

ق-ط-ف: حركة الفاء لحقت تتابع مَطلب قاف قوّة الإبانة والتّقفّي، وهي المُحاطة بطاء التّضخّم، كي تفصل وتفرّق ما تضخّم من الثّمار، بعد أنْ كانت مُحاطة بعناية الشّجرة وحان قطافُها. مُعجمياً، قطف الثّمر وعناقيد العنب: قطعها وجَنى ثمرها. وفي التّنزيل: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ الحاقة٢٣. أنظر الاستدلال أيضاً مع ما أشرنا إليه آنفاً في لفظة قطع، وارتباط قطف بفاء الفصل، وارتباط قطع بعين المعاينة. ويمكن المقاربة معتسلسل (ق-ط-ل) يدلُ على

---

(١) أوس بن مغراء: من بني ربيعة بن قريع بن عف بن كعب بن سعد، من بطون تميم، كان يهاجي النابغة الجعدي وليلى الأخيلية، مخضرم، شهد الفتوح، ميلاده ووفاته غير معروفين.

قطع الشّيء من أصله لوجود اللام، وتسلسل (ق-ط-م) يدل على قطع الشّهوة والقطع بالفم. قال ابن الرّومي:

تَأَتَّتْ أكُفُ القاطِفينَ قِطافَها   فَسالَتْ بِلا عَصْرٍ ودَرَّتْ بلا عَصْبِ

ق-د-ر: قلنا في (ق-د) إنّ قوّة الإبانة والفصل والتّقفّي تندفع بالدّال في توجّه قصدي إلى أبعد مدى، وإلحاح التكرار لهذه الإبانة واندفاعها القصدي، هو التّأكيد النّهائي على فصل الختام لما هو غير بَيِّن. في معجم مقاييس اللّغة القاف والدّال والرّاء أصلٌ صحيح يدلُ على مَبْلَغ الشّيء وكُنهه ونهايته. فالقَدْر: مبلغُ كلّ شيء. يقال: قَدْرُه كذا، أي مبلغُه. وكذلك القَدَر. وقَدَرتُ الشّيءَ أقْدِرُه وأقْدُرُه من التقدير، وقدَّرته أُقَدِّره. والقَدْر: قضاء الله تعالى الأشياءَ على مبالغها ونهاياتها التي أرادَها لها، وهو القَدَرُ أيضاً. قال جرير في القَدَر:

خَلِّ الطَّريقَ لِمَن يبني المَنَارَ به   وابْرُزْ بِبَرْزَةَ حيثُ اضطرَّكَ القَدَرُ

قال البُحتري في القَدْر بسكون الدّال:

أَبْكِيكُمَا دَمْعاً وَلَوْ أنِّي عَلَى   قَدْرِ الْجَوَى أَبْكِي بَكَيْتُكُمَا دَمَا

والقَدْر مُعجمياً: هو بما وافق الشّيء مُقتضاه. وفي التّنزيل: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ القدر١، و﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾ الحجر٦٠. القَدْر والقُدرة والمقدار: القوّة. والتقدير: التفكير والتّدبير، واحتساب الاحتمالات. وفي التّنزيل أيضاً: ﴿..عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ..﴾ البقرة٢٣٦، وفي قول عَنترة:

طَلَبتُ من الزّمانِ صَفاءَ عيشٍ   وحَسبُكَ قَدْرُ ما يعطي البّخيلُ

ف-ق-ر: قلنا في (ق-ر) أنّ ما هو مُستعصٍ على الإدراك والفهم، أو لم يتخذ بشأنه يقيناً ماديّاً أو معنوياً، تدخل القاف مُكرّرة المحاولة لتثبيت الإبانة والتّقفّي، أمّا ابتداء حركة فاء الفصل وهي هنا، المدبّرة لأمر القاف والرّاء، فمسعاها تفريق الإبانة نفسها إلى وحدات أو مجموعات متكرّرة. في معجم مقاييس اللّغة، الفاء والقاف والرّاء أصلٌ صحيح يدلُ على انفراجٍ في شيء، من عضوٍ أو غير ذلك. من ذلك: الفَقَار للظّهر، الواحدة فَقَارةٌ، سمِّيت للحُزُوز

والفُصول التي بينها. والفقير: المكسور فَقَارِ الظّهر. وقال أهل اللُّغة: منه اشتُقّ اسمُ الفقير، وكأنّه مكسورُ فَقَار الظّهر، من ذلّته ومَسْكَنته. ومن ذلك: فقَرَتْهم الفاقرة، وهي الدّاهية، كأنّها كاسرةٌ لفَقار الظَهر. وبعضُ أهل العلم يقولون: الفَقير: الذي له بُلْغَةٌ من عَيْش، وفي التّنزيل: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ..﴾ التوبة٦٠، وهذا ما يحتجُ به للتمييز بين الحالتين، كقول الرّاعي النّميري[1]:

أمّا الفَقير الّذي كانت حَلُوبَتُهُ   وَفْقَ العيال فلم يُترَك له سَبَدُ

ويقال: فَقَرت للفَسيل، إذا حفَرْتَ له حينَ تغرسه، وفَقَرت الخَرَزَ، إذا ثقبتَه. وسَدَّ اللّهُ مَفاقره، أي أغناه وسَدَّ وجوهَ فقره. قال أبو إسحاق الإلبيري[2]:

وإنَّ الذي ساقَ الغنَى لابنِ عامرٍ   لَرَبّي الذي أرجو لسدِّ مَفاقري

والفقْرَةُ في الخطاب والرّسائل: بند. وهو استخدام حركي بامتياز، كونه يفصل إلى وحدات لإبانة كلّ وحدة. قال إبراهيم الصّولي[3]:

ألا رُبّ لؤمٍ بين عزٍ وثروةٍ   وربّ جودٍ بين فَقْرٍ واقتارِ

إضافة حرف في وسط التسلسل:

ق-ن-ط: قوّة الإبانة والتّقفّي في توجّه إنشائي. إلّا أنّ حركة طاء التّضخّم طوت التّوجّه في فراغها، إمّا بالتّكتم وإغلاق الفرص أمام مسعى حركة الإبانة. فالدّلالة تضخيم حجم ما يتوجّب إنشاؤه. في معجم مقاييس اللّغة، القاف والنّون والطّاء كلمةٌ صحيحة تدلُ على اليأس من الشّيء. يقال: قَنَط يَقْنط، وقَنِطَ يقْنَط. وفي التّنزيل: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّآلُّونَ﴾ الحجر٥٦. قال لسان الدّين بن الخطيب:

جَرْداءُ لا شَجَراتٌ يُستَظَلُ بها   ولا أنيسٌ يُريحُ النَّفسَ من قَنَطِ

---

(١) الرّاعي النّميري: عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل النميري، ابو جندل، عاصر الفرزدق وجرير، وهجاه جرير هجاء مرًا، وهو من أصحاب الملحمات، (؟-٩٠هـ،؟-٧٠٨م).

(٢) أبو إسحاق الألبيري: إبراهيم بن سعد بن مسعود النجيبي الألبيري، شاعر أندلسي، اشتهر في غرناطة، (٣٧٥-٤٦٠هـ، ٩٨٥-١٠٦٧م).

(٣) إبراهيم الصّولي: إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول أصله من خراسان، كان كاتبا للمعتصم والواثق والمتوكل، له: ديوان شعر، وكتاب الجولة، وكتاب الكبخ، (١٧٦-٢٤٣هـ، ٧٩٣-٨٥٧م).

ق-ا-د: القاف قوّة الإبانة والتّقفّي، والألف تعامد بين الزّمان والمكان لإنشاء وجود، والدّال اندفاع حركة القاف السّاعية لإنشاء وجود إلى أبعد مدى. وهذا تجمّع عناصر واضحة بيّنة لبناء وتأسيس مشروع أو عمل ووضعه موضع التّنفيذ، خلال فترة زمنية وفي مكان مُحدّد، ممّا يحتاج إلى اندفاع التّوجه للعناصر الفاعلة، وهذه هي القيادة. وفي لسان العرب، قاد الدّابةَ قَوْداً فهي مَقُودة واقْتادَها، والاقْتيادُ والقَوْدُ واحد واقْتادَهُ وقادَهُ بمعنى وقَوَّدَهُ شدّدَ للكثرة، فرس قَوُودٌ بلا همز: الّذي ينقاد والقَوْد من الخيل الّتي تُقادُ بمَقاودها ولا تركب، والقائد والجمع قادَة وقُوَّاد بَيِّن القيادة، والمِقْوَدُ والقيادُ الحبَل الذي تقود به. وفلان سَلِسُ القياد وصَعْبُه. القَوْدُ نقيض السَّوْق يَقُودُ الدابّة من أمامها ويَسُوقُها من خَلْفها. يلاحظ في هذا السّياق: القدوة والقيد والتقييد بمتابعة الياء الزّمانيّة بمعنى: المنع والتكبيل مادّيّاً ومعنويّاً، وقال عَنْتَرة:

سَقى الله عَمّي من يَد المَوت جَرعَةً وشُلَّت يداهُ بعدَ قطعِ الأصابعِ
كَما قادَ مِثلي بالمُحالِ إلى الرَّدى وعَلَّقَ آمالي بِذَيلِ المَطامعِ

ق-هـ-ر: حركة قاف الإبانة والتقفّي هنا محمولة بالهاء على هواها، ومع ذلك تكرّر جهد محاولة بيان المُغلق، وما ذلك إلّا بسبب الممانعة والمقاومة والمواجهة وبما يتمخّض عنها وهو القَهْرُ، أي الغَلَبة والأخذ من فوق غصباً وإذلالاً. في معجم مقاييس اللّغة، القاف والهاء والرّاء كلمةٌ صحيحةٌ تدلُ على غَلَبة وعُلُوّ. يقال: قَهَرَه يَقهره قَهْراً. والقاهر: الغالب. وأقْهَرَ الرّجُل، إذا صُيِّر في حالٍ يذلُّ فيها. قال المخبّل السعدي:

تَمَنّى حُصَيْنٌ أنْ يَسُودَ جذاعَهُ فأمسى حُصَيْنٌ قد أذَلَّ وأقْهَرا

وقُهِر، إذا غُلبَ. والقَهْقَر: الحجر الصلب. وليس يبعد عن الأصل الذي بُنيَ عليه الباب. ومما شذَّ عن ذلك: رَجَع القَهْقَرَى، إذا رجع إلى خَلْفه. وقال الأخرس[1]:

وأنا الّذي قَهَرَ الزّمانَ بصبرهِ جَلداً على الأرزاءِ من أنكاله

(١) الأخرس: عبد الغفار بن واحد بن وهبن ولد في الموصل ونشأ في بغداد، وتوفي في البصرة، شاعر فحل، له ديوان الطراز الأنفس في شعر الأخرس، (١٢٢٥-١٢٩٠هـ، ١٨١٠-١٨٧٣م).

استخلاص النّتيجة بمعيار العقل

نستخلص ممّا سبق، أنّ حركة حرف القاف مُندفعة لهدف مُحدّد معلوم، معيّنَة الغاية والسّبيل مُسبقاً. كون اسم القاف يتوسّط الألف بولوج الزّمان والمكان، وينتهي بحرف الفصل الفاء. فالقوّة قوّة فاصلة زمنيّاً مكانيّاً للإبانة والتّقفي، لذلك يؤكّد معنى القاف حرف الفاء، عندما يدخل على كلمة بها قاف، مثل: فاقة، فقر، قفر، قفل، رفق، إذ الفاء يضعف القوّة المتضمنة في القاف ويفصل تأثيرها. وبخلاف ذلك ينسجم ويلتقي مع ما يوائم مسعاه، كما بيّنا فيما سبق، ويظهر من التسلسلات التالية: طاقة، قسوة، قدرة، حق، قصاص، قلع، قتل، قدر، قمع، صعق، خنق، قلب، طرق. ولو أخذنا التسلسل (ق- ذ)، وأضفنا ثالثاً مختلفاً، لدلّ على معانٍ لأشياء مذمومة مثل القذح، والقذر، والقذع، والقذف، والقذى؛ ذلك أنّ حرف الذّال وهو تمرير بروز حسّي عندما يستدعيه حرف قاف القوّة، يبرز ويبين الحسّ المذموم.

حرف القاف عند ابن عربي[1]:من عالم الشهادة والجبروت، له الذّات.

القاف سرٌ كما له في رأسه وعلوم أهل العرب مبدأُ قُطْرِه
والشرق يثنيه فيجعل غيبه في شطره وشهوده في شَطْره
فانظر إلى تعريقه كهلاله وانظر إلى شكل الرؤيس كَبَدْره
عجباً لآخر نشأة هو مبدأ لوجود مَبْدَئه ومَبْدأ عَصْره.

الوصف التأويليّ لا يفيدنا في استخلاص المعنى الحركيّ للحرف.

يدلُ حرف القاف عند الشّيخ العلايلي: «***على المُفاجاة الّتي تُحدث صوت.***»[2]. يقصر الوصف هنا على ردّة فعل السّامع. وعند الأرسوزيّ هو: ***للمقاومة.***[3] لا يستقيم الوصف هنا مع ما دلّ عليه سلوك الحرف، إلّا إذا قلنا أنّه يفلّ المقاومة. وينتمي عند حسن عبّاس إلى أحاسيس بصرية وسمعية، مستخلصاً من المصادر والجذور اللّغوية دلالات «***القساوة والصّلابة والشدّة، كما فقاعة تنفجر،***

(١) **الفتوحات المكيّة**، م. س. السفر الأوّل ص. ٣٠٢.

(٢) العلايلي عبد الله، **مُقدّمة لدرس لُغة العرب**، وكيف نصنع المعجم الجديد، م. س. ص ٢١٣.

(٣) الأرسوزي، زكي نجيب، **المؤلّفات الكاملة**، م. س. ص ١٤٠.

أو فخارة تتكسر. وكذلك الفعالية بالقطع والقشر والكسر، واليباس والجفاف.»[1] في هذا الوصف ما يشير ضمناً على فتح المُغلق وبيان المُضمر. ويدل عند إياد الحصني[2] «***على معنى القوّة كما في: طاقة، حق، قسوة، قصد.. إلخ.***» الإشارة إلى القوّة تحتاج إلى بيان وجهتها، وهذا ما غفل عنه الحصني. وصورة حرف القاف عند محمد عقل: «***قمح، قوفة الأذن، قُف- نقرة الأذن، رسم هكذا: ϕ.***» عند التحوّل إلى الأفقيّة بقيت كما هي وأُدخل عليها خط أفقي أسفل. ويميل إلى أنّ رسمها في المسند يدل على نبتة القمح، فقد رسمت عمودية الشكل يحمل معنى حبّة القمح مؤّيداً بذلك ما أورده محمد ناصر ذوق.[3]

الحروف الّتي لا تتبع القاف هي جيم الدّمج، فحركته مُتعارضة مع قوّة الإبانة والفصل، وطاء الظهور الّتي تبالغ حركتها في التركيز على الظّاهر بينما القاف تبيّن وتفصل في الأمور المُغلقة وشبه المستعصية. كذلك حركة كاف التّكتل الّتي تعيق عمل القاف، وغين التّمويه والتّحريف الّتي مُهمّة حركتها التضليل وليس البيان.

---

(١) عبّاس، حسن، **خصائص الحروف العربية ومعانيها**، م. س. ص ص ١٤٢-١٤٤، بتصرف.

(٢) الحصني، إياد، **معاني الأحرف العربيّة**، م. س. ص ٢٩.

(٣) عقل، محمد، **أبجدية القرءَان من مملكة سبأ**، م. س. ص ٥١، بتصرف. أنظر أيضاً الهامش محمد ناصر ذوق: لغة ءَادم، ص ٣١، ص ٧٠.

حرف الرّاء

راء+ ألف المد+ همزة

المُسمّى الأبجديّ المتعارف عليه للحرف هو: ر-ا-ء

المخرج: رأس اللّسان وفوق الثّنايا.

ترتيب نشأت الحرف: الرّاء هو الحرف العشرون في ترتيب الحروف الأبجديّة العربيّة. والعاشر في ترتيب حروف الهجاء العربيّة. يساوي عدديّاً الرّقم (٢٠٠) في حساب الجُمَّل. وفي الترتيب الصّوتيّ القديم يأتي في الترتيب العشرين عند الخليل بن أحمد، والرّابع عشر عند ابن جنِّي. وفي الترتيب الصّوتيّ الحديث يأتي في الترتيب الرّابع عشر عند أغلب علماء الصّوتيات المعاصرين.

سبب حدوثه: يكون اللّسان حال نُطقه مسترخياً، في طريق الهواء الخارج من الرّئتين. وتتذبذب الأوتار الصّوتية عند نطقه. ولعيوب خَلْقيّة في اللّسان ينطق بعض النّاس صوت الرّاء مثل صوت الغين أو اللّام وتُسمَّى لُثْغَة. وعند ابن سينا: ***«إذا كان الحبس أيبس (ممّا عليه في اللّام) وليس قويّاً ولا واحداً، بل يتكرّر الحبس في أزمنة غير مضبوطة، كان منه الترعيدات في الإيقاعات، وذلك لشدّة اهتزاز سطح اللّسان حتى يحدث حبساً بعد حبس غير محسوس يحدث الرّاء»***[1].

---

(١) إبن سينا، م. س. ص. ٨٢.

الصّفات الصّوتيّة: الرّاء صوت لثويّ مُكرَّر مجهور، ينتج عن تكرار ضربات اللّسان على اللّثة تكراراً سريعاً، ولذلك سُمِّي صوت الرّاء الصّوت المكرّر. والرّاء من الحروف الشّمسيّة، تختفي معها لام (أل) التعريف نُطقاً لا كتابةً، مثل: الرّسول.

الصّفات الكتابيّة: حرف الرّاء من الحروف المهملة (غير المنقوطة). ويكتب في خط النّسخ مفردة هكذا: (ر) كما في: رهبة، ومتصلاً بما قبله هكذا: ـر، كما في: فر ولا يوصل بما بعده.

دلالة الاسم من خلال حروفه:

- الرّاء: تكرار إمعان واستدامة النّظر والفكر، لتكوين موقف.
- الألف الممدود: تعامد بين الزّمان والمكان لكي يلج الرّاء بابي الزّمان والمكان، وهنا هو مع تَعدّد المحاولة.
- الهمزة: تحفيز واسترجاع نبض موجة الصّوت نفسها.

دلالة حركة حرف الرّاء: أثناء النّطق به يميّز من خلال الصّوت طرف اللّسان يتعثّر كما لو أنّ فيه تدحرج وهرهرة، وتكرار الانتقال. نلحظه في تسلسلات: بر، حجر، بحر، صخر، طريق، حرث زرع، حفرة. كلّ ما هو مُتكرّر مثل رمل، درج، رمش، ركض.

استطلاع مُتغيّرات اقترانات حرف الرّاء بصفته كمتبوعٍ وتابعٍ ومخترقٍ

الاقتران الثّنائيّ لحرف الرّاء بصفته مَتبوعاً:

ر-ب: حركة الرّاء تكرار بانتظام لحاجتها لمُلاقاة ما يستوجب التّكرار. فتح الباء المجال الانبثاقيّ من مكمن التكرار، فيه ما يستوجب ويستدعي هذا الانبثاق. تظهر الحركة العامّة، الاهتمام والمتابعة للجزئيات والتفاصيل بحيث لا تفلت حركة حتّى تنبثق منها أخرى. هكذا ربّ الأسرة، يحاول بحدود حركاته الخاصّة المحيطة به، بيد أنّ الرَّبّ الحقيقيّ هو الّذي يحيط بالحركات كلّها. لذا ارتبطت معرفة التّفاصيل والجزئيّات والسّيطرة عليها بالرّبوبيّة. ولذلك ابتدأت سورة العلق، بالتّوجيه والأمر في معرفة الغيب وما يغيب باسم (الرّب)

في التّنزيل: ﴿اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الَّذي خَلَقَ﴾ العلق١ وكذلك، ﴿..وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ من مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْغَرَ من ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ يونس٦١. وفي المعاجم: الرّب: هو الله عزّ وجلّ، وكل من ملك شيئاً؛ فهو ربّه، وتطلق على السّيد والمدبّر والمربّي والقيّم، وقال عَلقمة الفحل:

وكنتُ امْرَأً أفضت إليكَ ربابتي، وقَبلَكَ رَبّتني، فَضِعتُ، رُبوبُ

والرّبيب: والرَّبيبُ المَلكُ قالَ امْرُؤُ القَيْس:

فَمَا قَاتَلُوا عنْ رَبِّهِمْ ورَبِيبِهِم ولا آذَنُوا جارًا فيَظْعَنَ سالمَا

ر-ج: الرّاء تكرار مُنظّم، والجيم دمج الحركة في حركة أو حركات أخرى، الرّاء يكرّر استدعاء حركة الدّمج، كما لو أنّنا نقوم بتعبئة وعاء بمادّة مُتفرّقة برجّه كي يستوعب كمّية إضافية بترتيب المحتويات. قيل في لسان العرب: الرَّجاجُ بالفتح: المهازيل من النّاس والإبل والغنم. والرّج مُعجمياً: التحريك بعنف، وفي التّنزيل: ﴿إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا﴾ الواقعة٤؛ أي زلزلت. وقول أبي العتاهية:

رَجّ العُقولَ الصّافياتِ فإنَّها كَنزُ الكُنوزِ ومعدنُ الإفضالِ

ر-م: حركة التكرار هنا في محاولة استدعتها مُسبقاً حالة المضمر من الصّعاب ليتمّم الميم توفير مستلزماتها. حركة التّكرار هي من يولي الأمر ويوجّه ميم التّكامل في مهمّة الإتمام؛ كأنّ الحركة تتابع النّواقص مرّة بعد أخرى. ويلاحظ أنّ نشأة حرف الرّاء لاحقة لنشأة حرف الميم. لذا يتضمن التسلسل نشاطاً مُعاكساً للتناغم الوجودي. يستدل عليه بتسلسل (م-ر). في معجم مقاييس اللّغة، الرّاء والميم أربعة أصول، أصلان متضادّان: أحدهما لَمُّ الشّيء وإصْلاحه، والآخر بَلاؤُه. وأصلان متضادّان: أحدهما السّكوت، والآخر خلافُه. فأمّا الأوّل من الأصلين الأوّلَين، فالرَّمُّ: إصلاح الشّيء. تقول: رمَمْتُه أرُمُه. ومن الباب: أرَمَّ البعيرُ وغيرُه، إذا سَمِنَ، يُرِمُّ إرماماً. قال الشّاعر:

هَجَاهُنَّ لَمَّا أنْ أرَمَّتْ عظامُهُ ولو كان في الأعْرابِ ماتَ هُزالاً

ومن الباب الرِّمُّ، وهو الثَّرى؛ وذلك أنّ بعضَه ينضمُّ إلى بعض، يقولون: «له الطِّمُّ والرِّمّ». فالطِّمُّ البحر، والرِّمُّ: الثَّرى. والأصل الآخر من الأصلين الأوّلَين

قولُهم: رمَّ الشَّيءُ، إذا بَليَ. والرَّميم: العظام الباليَة. وفي التّنزيل: ﴿..قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ يس٧٨. وقال عَنْتَرة:

تَفادَيتُمُ أستاهَ نَيب تَجَمَّعتْ   على رِمَّةٍ من العظام تَفاديا

وكذا الرِّمَّة. والرُمّة: الحَبْلُ البالي. ومن ذلك قولهم: ادفَعْهُ إليه برُمّته. أي كُلّه. ومن الباب قولهم: الشاةُ ترُمُّ الحشيش من الأرض بمَرَمّتها. وأمّا الأصلان الآخَرانِ فالأوّل منهما من الإرمام، وهو السُكوت، يقال: أرَمَّ إرماماً. والآخَر قولهم: ما تَرَمْرَمَ، أي ما حَرَّك فاه بالكلام. وهو قولُ أوس:

ومُستعجب ممَّا يَرَى من أناتنا   ولو زَبَنَتْهُ الحربُ لم يَتَرَمْرَمِ

الرَم مُعجمياً أيضاً: إصلاح ما فسد. والرِّم بالكسر: الثّرى وما حملته الرّيح كالهشيم، وأيضاً الميل ومخ العظم، والإمساك عن الإجابة. والرَّم: الأكل لمَا يسقط، وأرَّم: سكت. والرُمة من الحبل، بضم الرّاء: ما بقي منه بعد تقطعه؛ وجمعها: رِمَم، وأخذ الشّيء برُمَّته؛ أي بجملته ولم يدع منه شيء، تَمَثُّلاً للمقيّد للقصاص أو الدّابة بقيدها. والمرمّات: الدّواهي؛ التكرار في الاستعمالات ظاهر لفظاً ومعنى، وهذا ما نجده في مسمّى ثمرة الرّمان. قال لَبيد:

والنّيبُ إن تَعرُ منّي رَمَّةً خَلَقاً،   بَعدَ المَماتِ، فإنّي كُنتُ أتَّئِرُ

قلب ترتيب حروف التسلسلات:

ب-ر: ذكرنا تفصيل هذا التسلسل في حرف الباء. أظهرت متابعة الرّاء لحركة انبثاق الباء تكرار وتعزيز فتح المجال لما هو مُغلق. البَرُ في مقابل البحر والجو، فالجو الباطن والبر المتن الظّاهر. وفي معجم مقاييس اللّغة، الباء والرّاء في المضاعف أربعة أصول: الصّدق، وحكايةُ صَوت، وخلاف البَحْر، ونبتٌ. فأمّا الصِّدق فقولهم: صدَق فلانٌ وبَرَّ، وبَرَّتْ يمينُه صَدَقت، وأبَرَّها أمضاها على الصِّدق. وتقول: بَرَّ الله حَجَّك وأبرَّهُ، وحجَّةٌ مَبْرُورة، أي قُبلَتْ قَبولَ العمل الصَّادق. ومن ذلك قولهم يَبَرُ ربَّه أي يُطيعه. وهو من الصِّدق. ومنه قول الله تعالى: ﴿لَّيْسَ البرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ المَشْرِقِ والمَغْرِب..﴾ البقرة ١٧٧. والإبرار هو يَبَرُ ذا قرَابته، وأصله الصِّدق في المَحبّة. يقال رجل بَرٌ وبارٌ.

وبرِرْت والدي وبرَرْتُ في يميني. وأبَرَّ الرّجُلُ ولَدَ أولاداً أبْرَاراً، وجمع البرِّ الأبرار، وجمع البار البررة. والبربرة كثرة الكلام بلا منطق وبغضب. فدلالة الرّاء تكرّر ما انبثق وفُتحَ له المجال. قال طَرَفة:

يَكشفون الضُرَّ عن ذي ضُرِّهمْ   ويُبِرُّونَ على الآبي المُبِرّ

قال أبو عبيدة: وَبَرَّةُ: اسمٌ للبرِّ معرفةٌ لا تنصرف. قال النّابغة:

يومَ اخْتَلَفْنا خُطَّتَيْنا بينَنا   فحملتُ بَرَّةَ واحتَمَلْتَ فَجارِ

ج-ر: هنا تكرار العمل على الدّمج والجمع. فحيث حركة الجيم هي البادئة تكرّر الرّاء الحركة وتعيدها بترتيب مُعيّن. هذا الجهد يفصح عن إمعان في التصلّب. هنا الرّاء بحركتها خاضعة لمشيئة الجيم. جرّ، وجرجر في المعاجم: جذب. والجرير: حبل يجر الإبل. يلاحظ في جرّ الشدّة على حرف الرّاء؛ فهي تكرّر الجهد بعد توقّف. والجريرة: الذّنب والجناية. والجري: العدو والسّباق. محاولة الرّاء التكرار في هذه الاستخدامات وغيرها تظهر ثبات حركة الجيم على موقفها في المتابعة للجمع والدّمج؛ مما يستدعي بيان دور الرّاء إنْ كان هو مُسانداً ومُكرّراً للدّمج، أو مُظهراً الحركة بنقيضها؛ كما في كرّ وصرّ وغيرهما. والجرار: تكرار السّحب، ويكنى به في بعض البلدان بالعكروت لأنّه يجر الرّجل والأنثى إلى الرّذيلة. وقال الشّنفري:

هُمُ الرَّهطُ لا مُستَودَعُ السِّرِّ ذائِعٌ   لَدَيهِم وَلَا الجاني بما جَرَّ يُخذَلُ

مَر: ذكرنا في حرف الميم هذا التسلسل، وبيّنا أنّ الميم تكامل الحركة بإتمام ما ينقصها والرّاء تكرّر الحركة تباعاً. وأنّ التكرار يضمر استعصاء جمع النّواقص لكي تتكامل، كما هو انتقال من نقطةٍ إلى نقطةٍ والاستئناف مُجدّداً إلى نقطةٍ ثالثةٍ وهكذا. مَرَّ معجمياً: اجتاز المكان والحالة، والمُرُ بضم حركة الميم: ضد الحلو، كما لو أنّ توصيل الميم إلى التموضع في حيّز مكاني مستعصٍ ويستلزم التكرار. فالحركة متموضعة تراوح مكانها رغم تكرار الرّاء، ثُمَّ توقفاً ومتابعة بحركة الشّدّة، فإصرار الميم على عدم مبارحة المكان فيه تأثُّرٌ وتأثيرٌ ماديٌّ ومعنويٌّ بحركة الرّاء. والمِرّة بكسر الميم هي حركة زمانيّة لا تكل، ملحّة بتكرار المتابعة بعد التّوقف.

مُتغيّرات اقترانات حرف الرّاء كمتبوعٍ وتابعٍ ومُخترقٍ

إذا أضفنا حرفاً بادئاً على التسلسلات أعلاه كما يلي:

ع-ر-ب: العين اتضاح الحركة بعد معاينة الإبهام، والرّاء تكرار مُنظّم، والباء انبثاق حركة جديدة من مكمن. الحركة العامّة هنا هي حركةٌ تطوّريةٌ مُتدفّقةٌ تنبثق عنها حركةٌ واحدةٌ باتجاه الهدف المعاين بدقّة، وتتضمّن الحركة وجود شيءٍ ذاتيٍ يحدث فيه تحوّلٌ واتضاحٌ يلائم الهدف والغاية. كما وصف التّنزيل به «فتيات الجنّة»: ﴿عُرُباً أَتْرَاباً﴾ الواقعة٣٧، بعد عملية إنشاءٍ جديدةٍ لَهنَّ: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً﴾ الواقعة٣٥.[1] العرب في المعاجم: اسم جنس، والأعراب: البدو. حيث أنّ الكَلمة مرحلة من مراحل الفعل، فإطلاق التسمية على جنس العرب هو لانكشاف مساكنهم، ووضوح حركتهم. وربّما لفصاحة لسانهم. والإعراب: الإبانة، والتعريب: الفرز والتمييز، ولسان عربي هو اللّسان الذي يمتلك خصائص داخليةً في الصّوت بما هو نظامٌ، فالوحدات البنائيّة تجعله قادراً على توحيد الفكر، باتّجاهٍ مُحدّدٍ من خلال وضوح اللّغة نفسها، وقدرتها على التطوّر، وملاءمة الحركة تلو الحركة. وللمقابلة مع جدلية تسلسل (ب-ر-ع) تظهر البراعة فيما فُتحَ له المجال تكراراً للمعاينة واكتساب الخبرة. وفي قول عائشة الباعونيّة[2]:

أعد حديث أحبائي فهم عَرَبٌ   قد أعْرَبَ الدّمعُ فيهم كلّ منعجمِ

وفي قول أبي تمّام:

---

(١) وكانت نتيجة الإنشاء الجديد كما وضّح عالم سُبيط النيلي *«ثلاث صفات: الأولى: «أبكاراً»، وتعني أنّهنّ في خَلقهنّ في الحدّ الحرج للشباب وفق معاني الحروف، والثانية: ﴿عُرُباً أَتْرَاباً﴾الواقعة٣٧، وهو تغيّر آخر حصل في النّفس لا في الخَلقة وحدها الّتي تشير إليها آية: ﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً﴾الواقعة٣٦، أي أنّهنّ أصبحن في درجة من الاتضاح في النّفسية والتحدّد بالاتجاه المعاين، بانسجامٍ وتلاحمٍ مزاجيٍ وفكريٍ تامٍ. والثالثة: «أتْرَاباً»، وقد مرّ في تحليل لفظة «ترب» سابقاً. ومجموع الصفات أعلاه تؤشّر إلى هذا المقصود وهو: إنّ جميع الخصائص المتغيرة في الجسد والنفس متلائمةٌ مع بعضها البعض ومتلاحمةٌ كما لو كانت شيئاً واحداً فلم تحدث تلك التغيرات بصورةٍ متفاوتةٍ، فهي في التشابه مثل جزيئات الماء أو جزيئات التّربة المباركة.»*

(٢) عائشة الباعونية: عائشة بنت يوسف بن أحمد بن ناصر الباعوني، أديبة متصوفة، من باعون قرى عجلون الأردن، مولدها ووفاتها في دمشق، لها عدّة مؤلفات صوفية، (؟-٩٢٢هـ، ؟-١٥١٦م).

لَجاجَةٌ بِيَ فيكمُ لَيسَ يُشبِهُها إلّا لَجاجَتُكُم في أنّكم عَرَبُ

ح-ر-ج: الرّاء تكرّر هنا مَطلب حاء التعاظم لتحقيق الدّمج، فأضحى الجمع والدّمج متعاظمين. وإذ قيل: الحَرَجُ أضيَقُ الضّيق، فهو وصف مُتطابق للمعنى الحركي، وكما في التّنزيل: ﴿فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً..﴾ الأنعام١٢٥. يلاحظ اقتران الحرج للصّدر بنقيضه وهو الانشراح. ومثل ذلك كالحُرْج كثير الشّجر. الحرْجُ والحَرَجُ: الإثمُ لمَا فيه من ضيق. قال الأحوص الأنصاري[1]:

هَلْ في ادِّكار الحبيبِ من حَرَجِ أمْ هَلْ لهمِّ الفؤادِ مِن فَرَجِ

وفي قول امرئ القيس:

فإمّا تَريني في رحالة جابرٍ على حَرَجٍ كالقَرِّ تخفِقُ أكفاني
فيا رُبَّ مَكروبٍ كَرَرتُ وَراءَهُ وعانٍ فَكَكتُ الغُلَّ عَنه فَفَدّاني

ك-ر-م: الكّاف تكتّل المتشابهات، والرّاء تكرّرها، والميم اكتمال هذه الحركة المتناسقة بتوفير ما ينقصها. هنا كرّرت الرّاء تكتيل المتشابهات، ثُمَّ تابعت الميم إكمال العمل. هذه الحركة متناسقة. في معجم مقاييس اللّغة، الكاف والرّاء والميم أصلٌ صحيح له بابان: أحدهما شَرَفٌ في الشّيء في نفسه أو شرفٌ في خُلُق من الأخلاق. يقال رجلٌ كريم، وفرسٌ كريم، ونبات كَريم. وأكرَمَ الرّجلُ، إذا أتَى بأولاد كرام. واستَكْرَم: اتَّخَذَ علَقاً كريماً. وكَرُم السّحابُ: أتَى بالغَيث. وأرضٌ مَكرُمةٌ للنَّبات، إذا كانت جيِّدة النبات. والكَرَم في الخُلُق يقال هو الصَّفح عن ذنبِ المُذنب. والأصل الآخر الكَرْم، وهي القلادة. قال جرير:

لَقَدْ وَلَدَتْ غَسّانَ ثالبَةُ السَّوَى عَدُوس السُرَى لا يَعرف الكَرْمَ جيدُها

وأمّا الكَرْم فالعنَب أيضاً لأنَّه مجتَمِع الشُّعَب منظومُ الحَبّ. وفي المعاجم: الكَرَمُ: الصَّفح والتّجاوز، الكريم: من صفات الله تعالى وأسمائه وهو: الكثير

---

(١) الأحوص الأنصاري: عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم الأنصاري، وهو من سكان المدينة، سمي بالأحوص لضيق عينين، شاعر هجاء عاصر جرير والفرزدق، نفاه الوليد بن عبد الملك إلى دهلك وهي جزيرة بين اليمن والحبشة، وأفرج عنه عمر بن عبد العزيز.(؟-١٠٥هـ، ؟-٧٢٣م).

الخير الجواد الّذي لا ينفد عطاؤه والصّفوح. والكريم: صفة كلّ ما يُحمد في بابه: وجهٌ كريم وكتابٌ كريم. ومن المناسب مقاربة المعنى الحركي مع تسلسلات: «جادَ» و«سَخا»، و«بَذَل»، و«مَنَح» وغيرها لملاحظة التباين في القصد، كَرُمَ السّحاب: جاد بالغيث، كَرُمت الأرض: زكا نباتُها، كَرُمَ فلان: أعطى وجاد، تكارم عن الشّيء: تنزّه عنه، الكَرامة: الأمر الخارق للعادة على غير جهة التحدّي. والكرمة: شجرة العنب. وفي التّنزيل: ﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ الفجر١٥، وفي قول أبي محجن الثّقفي[1]:

إذا مُتُّ فادفنّي إلى أصلِ كَرْمَةٍ تُرَوّي عِظامي في التُّرابِ عُروقُها

إذا كان التسلسل متبوعاً:

ر-ب-ح: تكرار مُنَظّم في اتجاه انبثاقي مُتعاظم. يفيد التّسلسل إظهار ناتج غير منظور من شيء يتكرّر عليه الفعل مفتوح له المجال ليتعاظم مرّة بعد مرّة. الرّبح في المعاجم: النّماء في التجارة. وربحت تجارته ربحاً: كسبت. الصّحيح: أنّ الكسب مُستقلّ، وإنّما الرّبح زيادة على رأس المال، ولكن بما أنّه أطلقه على التّجارة صحّ على ذلك. وفي التّنزيل: ﴿أُوْلَـٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ البقرة١٦، وقول ابن الرّومي:

إذا باعَ تَجرُ الحَمدِ إيّاهُ حَمْدَهُم فقد رَبِحَتْ ربحَ الغِنى صَفقَةُ التَّجرِ

ر-ج-ع: تكرار ومعاودة تكرار لمسعى دمج مع معاينة مُتكرّرة لتوضيح المُبهم. هنا إضمار وجود خلل يأبى الدّمج تتمّ مُعاينته ومعاودة الكَرَّة. بيّنت المعاينة من داخل حركة الرّج استحالة المحاولة المتكرّرة إخماداً لعدم الجدوى. رجّع، معجميّاً: ردّ: وكلّ شيء مُرَد من قول أو فعل هو رجيع. والمرجع: المورد، والمعاد. وفي التّنزيل: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِه..﴾ الأعراف١٥٠، مرّ بنا تسلسلات مثل: ءَاب، وعاد، وارتد، لتعطي معنى مُقارب مُعجميّاً لِرجَعَ، غير

(١) أبو محجن الثّقفي: عمرو بن حبيب بن عمرو بن عمير بن عوف، أحد الأبطال الشعراء الكرماء في الجاهلية والإسلام، وله قصة تتعلق بشربه الخمر، وهروبه بعد إقامة الحد، ثم التحاقه بسعد بن وقاص في القادسية، (؟-٣٠هـ، ؟-٦٥٠م).

أنّ القول (قفل راجعاً)، يضمر يأساً في المسعى ونهاية المطاف. لذلك استخدمت في مراجعة الحساب؛ أي التّدقيق وإعادة التّأكّد من الوثائق والمعطيات، لوجود خلل يأبى الدّمج تتم معاينته بمعاودة الكرّة. واستخدام التّنزيل في الاقترانات السّابقة يدل أنّ الرّجوع مقترن بصعوبة شبه مستحيلة، في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِه لَقَادِرٌ﴾ الطارق٨. قال المعرّي:

إذا رَجَعَ الحَصيفُ إلى حِجاهُ تَهاوَنَ بالمَذاهبِ وازدَراها

وفي قول عروة بن الورد[1]:

سَأُغْنيك عَنْ رَجعِ المَلامِ بمُزمَعٍ مِنَ الأمرِ لا يَعشو عَلَيه المُطاوعُ

ر-م-ل: هنا تكرار مُنَظّم، تتابعه الميم لكي تكامل ما ينقص الحركة لإتمامها، ثُمَّ اللّام لتوصل وتنسج ترابط الأجزاء. الرّمل مُعجمياً: التّراب النّاعم، والأرمل والمرمّل: الملطخ بالرّمل أو الدّم، لأنّهم كانوا يتلفون اللّحم وقدور الطعام بالرّمل لئلا يُنتفع به، والرَّمَل: الهرولة، والأرمل: نفد زاده فكأنّه ألصق بالرّمل، كالقول: ترب لِمَن ألصق بالتراب، ويُقالُ لِمَن فقد الزّوجة: أرمل، ومن فقدت زوجها: أرملة، والأرمل والأرملة: المحتاج الفقير الضّعيف، والرّوامل: نسج الحصير وهو الأقرب للمعنى الحركي. وقول زُهير:

نَشزنَ مِنَ الدَّهناءِ يقطعنَ وَسطَها شَقائقَ رَملٍ بينَهُنَّ خَمائلُ

وقول الأعشى:

هِركَوْلَةٌ[2] مثلُ دِعصِ الرَّملِ أسفَلُها مَكسُوَّةٌ من جَمالِ الحُسنِ جلباب

إدخال حرف وسط التسلسل:

ر-ح-ب: من ضغط وإصرار حركة التكرّار المُتعاظمة انبثقت حركة الباء فاتحة المجال لمساحة في حركة الرّح ولمنحها المدى ولتكوين حركة واضحة. التوجّه إلحاح تعاظمي فُتح له المجال لمتابعة تكرار توسعة. الرّحب والرّحابة في

---

(١) عروة بن الورد: عروة بن الورد بن زيد العبسي، من غطفان، من شعراء الجاهلية وفرسانها، (؟-٣٠هـ، ؟-٥٩٣م).

(٢) الهَرْكَلَةُ والهُركلةُ والهِركَوْلَةُ والهِركَلة في لسان العرب، الحسَنة الجسم والخلْق والمِشْية، والهِركَوْلة على وزن البِرْذَونة الجارية الضخمة المُرْتَجَّة الأرْداف.

المعاجم: الواسع الممتد ماديّاً ومعنوياً، كالترحيب بالقول: على الرّحب والسّعة. وفي التّنزيل: ﴿وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ..﴾ التوبة١١٨، هنا الضّيق مقابل الرّحابة، وقال زُهير:

رَحبُ الفناء كما لو أنَّ النَّاسَ كُلُهمُ   حلّوا إليه إلى أنْ ينقَضي الأجَلُ

ر-ت-ج: هنا تكرار مُنظّم بالرّاء، واجتذاب جُهد بالتّاء في مسعى اندماج حركي. في معجم مقاييس اللّغة، الرّاء والتاء والجيم أصلٌ واحد، وهو يدلُ على إغلاقٍ وضيق. من ذلك أُرْتِجَ على فُلان في منطقه، وذلك إذا انغلق عليه الكلامُ. فيقال رَتِجَ الرّجل في منقطه رَتَجاً. والرِّتاج: البابُ الغُلَق، قال قيس بن الحدّاديَّة[1]:

إذا أحلَفُوني في عُليّةَ أجْنحَتْ   يَميني إلى شَطّر الرِّتاج المضبَّب

قال الأصمعيّ: أرْتَجَت النّاقة، إذا أغلقت رحمَها على الماء. ويُقال إنّ المَراتج الطُرقُ الضيِّقة. والرِّتائج: الصخور المتراصفة، والرِّتاج مُعجمياً أيضاً: الباب العظيم المُغلق وعليه باب صغير، وأيضاً: المِغلاق الّذي يغلق به الباب. يظهر المعنى الحركي أنّه عملية الإغلاق والفتح، كالتّأتأة في الكلام. وفي قول اللّواح:

يا فَوحَ عَبدٍ أجبتَ ألآنَ دَعاكَ على   بابِ الرَّجا وهو رَتجٌ غَيرُ مَفتوحِ

وقول الفرزدق:

ألم ترني عاهدتُ رَبِّي، وإنّني   لبين رِتاجٍ مُقفَلٍ ومَقامِ

ر-ق-م: هنا تكرار مُنظّم في استحضار قوّة التقفّي والإبانة، لكي تتكامل بتوفير ما ينقص الإتمام. هو مرحلة في مُتابعةٍ مُتكرّرة. الرّقم مُعجمياً: هو العدد، وهو الكتاب إن بُيِّنت حروفه بعلامات. وفي التّنزيل: ﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ المطففين٩؛ وربّما هو مرمّز بأرقام في حسابات الجُمّل. وفي التّنزيل أيضاً: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَاتِنَا عَجَباً﴾ الكهف٩. وقيل عن الرّقيم؛ أنّه كتاب، أو لوح، أو القرية، أو الوادي. والأرقم: المخطط بالسّواد

---

[1] قيس بن الحدّاديّة: قيس بن منقذ بن عمرو، من بني سلول بن كعب بن خزاعة، كان فاتكاً كثير الغارات، تبرأت منه خزاعة، فانتسب لأمه من بني حداد، (٩-١٠ق.هـ، ٩-٦١٢م).

والبياض. الاستعمالات تصف ما اكتمل بعدما صار مُرقّماً، لكنّها لا تصف مُبرّر التكرار وما استوجب المعاينة وتوفير المستلزمات. فإن لحقنا دلالة حركة الرّق وما قلناه من أنّ الّذي يرق اتخذ سبيله نحو التبدّد، فكأنّه يزول، ويجعل الإتمام هو تثبيت نهاية المطاف أو الحركة. قال النّاشئ الأكبر[1]:

تَسَربَلَ وَشياً من حُزونٍ تَطَرَّزَتْ مَطارفُها طَرزاً من البَرق كالتِّبرِ
فَوَشْيٌ بِلا رَقمٍ ورَقمٌ بلا يَدٍ ودَمعٌ بلا عَينٍ وضحْكٌ بلا ثغرِ

استخلاصُ النّتيجة بمعيار العقل

نستخلص ممّا سبق، أنّ الرّاء كما قال عالم سُبيط النّيليّ: ***«تكرّر الحركة لإعادتها بترتيب مُعيّن، أو تستنسخها، وتستحضرها. أمّا التّرتيب فهو ذو طبيعة عددية، مُتعلّق بموضوعه، والذي تظهره الحروف اللاحقة. لأنّ التكرّار المنتظم يستلزم الحماية من التغيّر ولذلك فالرّاء حركةٌ جوهريةٌ. الابتداء بما يماثل الإصرار على التكرّار يضمر مُسبقاً تحدّي ومثابرة، آخذة بالاعتبار ما يعترض الحركة ومسارها وغايتها، وإذا وضعت في أوّل التسلسل مع الياء الزّماني، فإنّها تشير إلى تكرار نفس الحركة العامّة من غير تنويه إلى فاعلها. وإذا كان الحرف اللّاحق هو الألف فالتكرار زمكاني، يتوجّب إظهار المكان والفاعل مثل رام، راح.»***[2]

حرف الرّاء عند ابن عربي[3]: من عالم الشّهادة والجبروت، له الغاية والأعراف.

راءُ المحبّة في مقام وصاله أبداً بدار نعيمه لن يُخذَلا
وقتاً يقول: أنا الوحيد فلا أرى غيري. وقتاً: يا أنا لن تُجهلا
لو كان قلبك عند ربّك هكذا كنت المقرَّب والحبيبَ الأكملا

---

(١) الناشئ الأكبر: عبد الله بن محمد الناشئ الأنباري أبو العباس، من طبقة البحتري وابن الرومي، أحد علماء الأدب والدين والمنطق، له قصيدة من أربعة آلاف بيت على روي واحد وقافية واحدة، عالج فيها فنون العلم، لجأ إلى مصر ومات فيها، (٩-٢٩٣هـ، ٩-٩٠٦م).

(٢) **اللّغة الموحّدة**، م. س. ص. ١٩٧، ٥٥٩. بتصرف.

(٣) **الفتوحات المكيّة**، م. س. السفر الأوّل ص.ص ٣٠٨.

في هذا الوصف إشارات غيبيّة، لا تنسجم مع معطيات بحثنا، وتمّ ذكرها للإحاطة بما قيل عن معنى الحرف.

يدلُ مَعنى حرف الرّاء عند الشّيخ العلايلي «*على المَلَكة وعلى شيوع الوصف.*»[1] هنا الوصف يلمّح في الشيوع إلى الانتشار من خلال التكرار. وعند الأرسوزيّ، «*يعبّر بحسب حدوثه في الفم عن الحركة.*»[2]. في هذه الإشارة تظهر دلالة التكرار. وعند حسن عبّاس: «*صوت حرف الرّاء هو أشبه ما يكون بالمفاصل من الجسد، وانطلاقاً من خاصية التمفصل هذه، قد أدخل العربيّ هذا الحرف في معظم الأعضاء التي تتصل بغيرها بمفاصل غضروفيّة. منها: الرّأس. الرّقبة. المرفق. الرّكبة. الرّضفة. الرِّجل. الرّسغ. الورك. الورّ (الورك). الفقرة. ويلحق بها الأعضاء التي تتوافق معها في ظاهرة التحرّك. هي: الخصر (لتأوده وتثنيه). الرّئة (كعضو للتنفس). الصدر (لظاهرة تحركه أثناء الشهيق والزفير، صعوداً وهبوطاً). الشّعر (لظاهرة نوسانه مع الإنسام أو حركة الجسم). البصر والنّظر. فكما أن مفاصل الجسد تساعد أعضاءه على التحرك بمرونة في كلّ الاتجاهات، وعلى تكرار الحركة المرّة بعد المرّة، فإن حرف الرّاء بتمفصل صوته (ر- ر- را)، وبرشاقة طرف اللّسان في أدائه، قد قدّم للعربي الصّور الصّوتيّة المماثلة للصور المرئية التي فيها ترجيع وتكرار، وتأرجح ذات اليمين وذات الشمال.*» هذا ما يوصل إلى نفس النّتيجة التي توصّلنا إليها في أنّ حركة الرّاء هي تكرار مُنظّم. وحرف الرّاء عند إياد الحصني»[3]: «*يدل على كل شيء ماديّ أو حسّي يقع على الأرض أو تتكوّن منه الأرض، أو ينتمي إليها، مثل: أرض، بر، حجر، صخر. إلخ.*»[4] لم يذكر دلالة التكرار مباشرة. وعند محمد عقل: «*هو بمعنى رأس الإنسان، وشكله بالمسند يصور الرأس من الخلف، هكذا: ⅃.*»[5] لم يجر عليها أي تغيير عند التحوّل إلى الأفقيّة.

---

(١) العلايلي،عبد الله، **مُقدّمة لدرس لُغة العرب**، وكيف نصنع المعجم الجديد، م. س. ص ٢١٣.

(٢) الأرسوزيّ، زكي نجيب، **المؤلّفات الكاملة**، م. س. ص ٥٣.

(٣) الحصني، إياد، **معاني الأحرف العربيّة**، م. س. ص ٤٥.

(٤) عبّاس، حسن، **خصائص الحروف ومعانيها**، م. س. ص. ٨٤.

(٥) عقل، محمد، **ابجدية القرءَان من مملكة سبأ**، م. س. ص ٥١.

تبين لنا من تسلسلات الثلاثي لحرف الرّاء المستعملة في اللّسان العربي، أنّ هناك حوالي ٥٠٪ من الاحتمالات لم تستعمل ولا يمكن أنْ تُستعمل؛ وذلك بسبب التناقض بين مسمّيات الحروف المكوّنة لها، من جهة، أو لعدم استساغة نُطقها لتقارب المخارج. وثبت لنا كذلك أنّ حرفي الظّاء واللّام ، لا يتبعان الرّاء؛ فالظّهور لا تكرّر حركة الرّاء فهو يتضمّن حالة وقوام التكرار، واللّام الّذي يلحم وينسج يوقف الإعادة والتكرار إنْ لحق به. وقد لفت نظري وجود اللّام في «رُلى عرب قصورهم الخيام» وفي قول أبي نواس[1]:

لأنّك إنْ جدّاك عُدّا فإنّما تصيرُ رِلى المنصورِ من حيث تُنسبُ

(١) أبو نواس: الحسن بن هانئ بن عبد الأوّل بن صباح الحكمي بالولاء، ولد في الأهواز، ونشأ في البصرة، واتصل بالخلفاء في بغداد، ويقال أن اباه من دمشق، ومن طي من بني سعد، نهجر بلاشعر طريقة حضرية، شهرته في الخمريات، (١٤٦-١٩٨هـ، ٧٦٣-٨١٣م).

حرف الشّين

شين+ ياء+نون

المُسمّى الأبجديّ المتعارف عليه للحرف هو: ش-ي-ن

المخرج: بين الأسنان، ويختلف عن مخرج السّين الّذي هو من أعلى الأسنان، بينما الشّين من أسفلها.

ترتيب نشأته: الشّين هو الحرف الحادي والعشرون في ترتيب الأبجديّة العربيّة. والثّالث عشر في الترتيب الهجائيّ العربيّ، يساوي عدديّاً الرّقم (٣٠٠) في حساب الجُمَّل. وفي التّرتيب الصّوتيّ القديم يأتي في الترتيب التّاسع عند الخليل بن أحمد والتّاسع عشر عند ابن جنِّي. وفي الترتيب الصّوتيّ الحديث يأتي في التّرتيب الثّامن عشر عند أغلب علماء الصّوتيّات المعاصرين.

سبب حدوثه: يُنطق بالتقاء مُقدّم اللّسان بمؤخّر اللّثة ومقدم الحنك الأعلى، بحيث يكون هناك منفذ ضيّق لمرور الهواء أوسع من المنفذ الموجود في حال صوت السّين مثلاً، ويكون معه كلّ الجزء الأساسيّ من جسم اللّسان مرفوعاً نحو الحنك الأعلى. ولا تتذبذب عند نُطقه الأوتارُ الصّوتيّة. وعند ابن سينا: ***«الشّين فهي حادثة حيث يحدث الجيم بعينه ولكن بلا حبس البتّة، فكأنّ الشّين جيمٌ لم تحبس، وكأنّ الجيم شينٌ ابتُدِئت بحبسٍ ثُمّ أطلقت»***[1].

---

(١) إبن سينا، م. س. ص ص ٧٥-٧٦..

الصّفات الصّوتيّة: الشّين صوت لثوي حنكي احتكاكي مهموس. والشّين من الحروف الشّمسية، تختفي معها لام (أل) التّعريف نُطقاً لا كتابة، مثل: الشّمس.

الصّفات الكتابيّة: حرف الشّين من الحروف المعجمة (المنقوطة) بنقط ثلاث فوق الحرف. ويكتب، في خط النّسخ العربيّ مُفرداً هكذا: ش، كما في: عرش، ومتصلاً بما قبله هكذا: ش، كما في: نقش، ومتصلاً بما بعده هكذا: شـ، كما في: شجرة. ومتصلاً بما قبله وما بعده هكذا: ـشـ، كما في: نشرة.

دلالة الاسم من خلال حروفه

- الشّين: العيب والقبح وخلاف الزّين.
- الياء: ديمومة زمنيّة بدلالة علاقته بالأفعال المستمرّة الحدوث (المضارعة)، وأيضاً بدلالة الياء النّسبيّة الملازمة للوجود الحركيّ.
- النّون: تَسمّى باسمه واستخدم واو التّموضع المكانيّة، الّذي هو حركة في الكينونة والتكوين. فدلالة المُسمّى هي التآلف والتنسيق بين ما يُسنُ من قوانين في الزّمان والوجود الكوني.

تسلسل الشّين: من المفيد، لاستقراء دلالة هذا الحرف مقارنته بحركة السّين، كونهما يشتركان لفظاً بياء ونون، كذلك بالمخارج. إنْ كانت دلالة السّين هي التآلف والتّنسيق للهيمنة وبسط النّفوذ وبما يُسنُ من قوانين في الزّمان والوجود الكونيّ، فالشّين مُعارضة وإنْ ركبت نفس الموجة الصّوتيّة، لكن، للمشاجرة والتشعّب والتضليل. حركة الصّوت من داخل الفم تُعطي صوت الانتشار.

مُتغيّرات اقترانات حرف الشّين بصفته كمتبوعٍ وتابعٍ ومُخترقٍ

الاقتران الثّنائي الّذي بصفته متبوعاً، كما في: (ش-ر)، (ش-ج)، (ش-ك). واتجاه المعنى لهذه الاقترانات ظاهراً وباطناً:

ش-ر: الشّين حركة التّشعّب والانتشار، والرّاء تكرارٌ للحركة؛ فالحركة مُتشعّبة هوجاء مُتكرّرة، لا توجّه موضوعيّ لها، تضمر التضليل. الشّر والشّرير والشّرور مُعجمياً: السّوء ضد الخير، وفي قول المُتنبّي:

شَرُّ البلاد مَكانٌ لا صَديقَ به   وشَرُّ ما يكسبُ الإنسانُ ما يَصِمُ

والشّرر والشّرار: ما تطاير من النّار، وفي التّنزيل: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ المرسلات٣٢، والشّر: نشر اللّحم وغيره ليجف، والشّراشر: من يتمادى في القبيح والمنكر، وفي قول طَرَفة:

فما زالَ شُربي الرَّاحَ حَتّى أشرَّني   صَديقي، وحَتَّى ساءَني بعضُ ذلكا.

ش-ج: دلالة شجّ، ظاهراً: شقّ، وباطناً: مزج، وفي مُعجم مقاييس اللّغة: الشين والجيم أصلٌ واحد يدلُ على صَدْع الشيء. يقال شَجَجْتُ رأسَهُ أشُجُه شَجّاً. وكان بين القوم شِجاجٌ ومشاجّة، إذا شجَّ بعضُهم بعضاً. والشَّجَجُ: أثر الشَّجّة في الجبين؛ والنّعت منه أشَجّ. وشجَجت المفازةَ شَجّاً، إذا صَدَعْتَها بالسَّير. وشَجَجْتُ الشَّرابَ بالمِزَاج. وشَجَّت السّفينةُ البحر. والشَّجيج: المشجوج. والوَتد شجيج. يلاحظ دخول الشّين في شجّ على الجيم الّتي تفيد حركتها الدّمج، وهذا عين التّناقض بين التشعّب والدّمج. وقول زُهير:

شجَّ السُقاةُ على ناجودها شَبِماً   من ماءِ لينةَ لا طرقاً ولا رَنِقا

ش-ك: هنا حركة التّشعّب والانتشار المضلّل تتابع من كاف تَكتل المتآلف. حركة الشّين لاحقة في ترتيب النّشأة لحركة الكاف، فوجهة حركة التسلسل غير سويّة معاكسة للانسجام في التكوين. التوجّه فيه محاولة لشق الصّفوف المتكتلة أو الجسم الصّلب، وعدم السّماح بتكتل المتآلفات. في معجم مقاييس اللّغة، الشّين والكاف أصل واحدٌ مُشْتَقٌ بعضُه من بعض، وهو يدلُ على التّداخُل. من ذلك قولهم شككْتُه بالرُمح، وذلك إذا طَعنتُه فداخَل السّنانُ جسمَه. قال عَنْتَرة:

فَشَكَكتُ بالرُمح الأصمّ ثيابَه،   ليس الكَريمُ على القَنا بمُحَرَّمِ

ومن هذا الباب الشّكُّ، الّذي هو خِلافُ اليقين، إنّما سُمّي بذلك لأنّ الشّاكّ كأنّه شُكَّ له الأمرانِ في مَشَكٍ واحد، وهو لا يتيقّن واحداً منهما، فمن ذلك

اشتقاق الشّك. تقول: شككت بين ورقتين، إذا أنت غَرَزْتَ العُود فيهما فجمعتَهما.

ومن الباب الشّكَّةُ، وهو ما يلبسه الإنسان من السّلاح، يُقال هو شاكٌ في السّلاح. وإنّما سُمّي السّلاحُ شكَّة لأنّه يُشَكُّ به، أوْ لأنّه شُكَّ بعضُه في بعض. ويكون هذا من النَّظْم بين الشّيئَين إذا شُكّا. وفي قول ذي الرُمَّة:

وَثْبَ المُسَحَّج من عانات مَعْقُلة كأنّه مُستَبَانُ الشَّكِّ أو جَنِبُ

فالشّك يقال إنّه ظلَع خفيف؛ يقال بعيرٌ شاكٌ، وقد شَكَّ شَكّاً. وهذا قياس صحيح؛ لأنّ ذلك وَجَع يداخله. ويقال بل الشَّكّ: لُصوق العَضد بالجنْب. فإن صحَّ هذا فهو أظهر في القياس. والشكائك: الفرَق من النّاس، وفي التّنزيل: ﴿.. وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ الشورى١٤. و﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾ النمل٦٦. والمشكوك: ما يدخل به الشّوك أو السّهم، والشّوكة: الحد، واستعيرت للقوّة والمقدرة.

قلب ترتيب حروف التسلسلات

ر-ش: هنا تكرار مُنظّم للحركة في توجّه للتشعّب والانتشار المضلّل. فالرّاء تكرار، والشّين تشعّب وانتشار؛ فالمعنى الحركيّ مُمَثَّلاً تمثيلاً واضحاً. مُعجمياً: الرّش للماء والسّوائل: نضحها، وكذلك الطيب والبهار والملح وغيرها. والرّش لطلقات الرّصاص: صلياتها. والرّشراش: الرّخو. قال الرّصافي البلنسي[1]:

أضحى ينامُ وقد تحبَّبَ خَدُهُ فقلتُ الوَردُ رُشَّ بمائه

وقال القاضي التّنوخي[2]:

وأتاهُ ينثُرُهُ، فحاكى عُصفراً قد رُشَّ رَشَاً في بياضِ حَريرِ

---

(١) الرّصافي البلنسي: محمد بن غالب الرّفاء الرصافي البلنسي، أقام بغرناطة وسكن مَلَقة، (؟-٥٧٢هـ، ؟-١١٧٧م).

(٢) القاضي التّنوخي: علي بن محمد بن ابي الفهم داود بن إبراهيم بن تميم، أبو القاسم التنوخي، عالم بأصول المعتزلة، ولد بأنطاكية، ورحل في حداثته إلى بغداد، وولي قضاء البصرة والأهواز وغيرها، (٢٧٨-٣٤٢هـ، ٨٩٢-٩٥٣م).

ج-ش: حركة جيم الدّمج في توجّه إلى الانتشار والتشعّب بالشّين. الحركة مضلّلة بسبب شين التشعّب، ومُبهمة متناقضة بين الدّمج والانتشار؛ تفيد تفتيت المدمج كون الشّين تَشعّب من أرومة واحدة. جشّ الحَبَّ في المعاجم: دَقّه وطحنه، والجشيش: الدّقيق، والجشّة: صوت خشن يصدر من الحنجرة؛ فهو أجش. والمجش: الرّحى الّتي يطحن بها. والجشّة: النّهضة، وجشّ القوم: نهضوا وانتشروا، ومنه القول: جاشت النّفس. وفي قول أبي تمّام:

جِش لي ببحرٍ واحدٍ أُغرقكَ في مدحٍ أجيشُ لَهُ بِسبعَةِ أبحُرِ

والجأش: النّفس، وقيل: القلب، وقيل: رباطه واضطرابه عند الحنين أو الفزع، تسمعه ولا تدري ما هو، في الجأش هنا دخلت الهمزة المحفّزة في تفعيل الدّمج قبل التشعّب. قال إبراهيم طوقان يصف الفدائيّ:

رابطُ الجأشِ والنُهى ثابتُ القلبِ والقَدم

ك-ش: تشعّب الكتلة المتآلفة لا يتم بسهولة، إذْ التشعّب والانتشار من كاف التكتّل فيه استنكار واعتراض. ففصل المتآلف والمتكتل إلى قطع منتشرة فيه استعانة بقوّة خارجية كالنّار للشواء، والّتي في حركة عملها كالشّين المضلّلة. الكش في المعاجم: شوا اللّحم حتّى يبس، وكشأ الوسط: قطعه وأيضاً أكل وقضم القثاء. وكشأ: قشر وبانت أدمته. والكشيش: صوت جلد الأفعى. والكش لدى العامّة: حركة طرد الذّباب وكذلك تجميع الدّجاج. وفي قول المزرد الغطفاني[1]:

لَظَلَّ النَّهار رانياً وكأنّه إذا كُشَّ ثَوّرٌ من كريصٍ مُنمَّس

وقول المعرّي:

تغيَّرَ الدّهرُ حَتّى لو شحا أسَدٌ لقيل كَشَّ خِلالَ القومِ رُبّاحُ

إضافة حرف بادئ، على التسلسلات:

ب-ش-ر: كرّر الرّاء حركة البشاشة في (ب-ش)، وإعادها بترتيب كي يسهل تميّز الإنسان عن حياة الدّون الحيوانيّة، وحيث الشّين فيها إضمار التضليل؛ كما

---

(١) المزرد الغطفاني: مزرد بن ضرار بن حرملة بن سنان المازني الذبيني الغطفانيّ، فارس وشاعر جاهلي أدرك الإسلام، وهو الأخ الأكبر للشمّاخ، (معقل بن ضرار). اشتهر بالهجاء، (٩-١٠ هـ، ٩-٦٣١م).

لو أنّ البشاشة تصنّع مظهر الوداعة خلاف ما يضمر. البَشُ والبشاشة مُعجميّاً: اللُطَفُ في المَسْأَلَة. وقيل: طلاقة الوجه. وقال ابن النّقيب[1]:

حيثُ المُنى أمَمٌ، وعيشُ أخي الهوى   بشُ الأسِرَّةِ ما استَغارَ عُبوسا

وفي قول ذي الرُمَّة:

أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّا نَبشُ إذا دَنَتْ   لأَهْلك منّا طيَّةٌ وحُلُولُ

والبَشرة مُعجميّاً: ظاهر اليد، والبشير: حامل البُشرى ومبلِّغها؛ أيّ الخبر المفرح، وفيه كذلك كشف ما كان مضلّلاً فانقشع. البَشر: وفق منهج الاقتران اللّفظي في التّنزيل، تمثل تطوّر أخلاق الإنسان من حالة صفاتها (النّكود، العجول، الظلوم..إلخ) إلى صفات الأنبياء والرّسل. كما في التّنزيل: ﴿..فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً﴾ مريم١٧، وقال السُليك بن السَّلكة:

ألم تَرَ أنَّ الدّهرَ لونان لونُهُ   وَطَوران بشرٌ مرّة وكَذوبُ

يلاحظ في تسلسل (ب-ر-ش) كيف غيّرت الشّين التوجّه، من فتح المجال تكراراً في (ب-ر) إلى مفاعلة التشعّب والانتشار المضلّل. البرش والبرشة في المعاجم: نقطة حمراء وأخرى سوداء أو غبراء ونحو ذلك؛ وهو الّذي فيه ألوان مختلطة؛ فهي انتشار للتمويه والتضليل حذراً أو بقصد المفاجأة، وعند العامّة: تقشير الصّلب وتفتيته إلى قشور كبرش الصّابون، وفي قول أبي دلامة:

هل في البلادِ لرزقِ اللهِ مُفترشٌ   أم لا ففي جلدهِ من خُشنَةٍ بَرَشُ

م-ش-ج: ميم التكامل تلاحق شين التّشعّب والانتشار، لجمع النّواقص ولإتمام مُهمّة يستحيل جمعها، إلّا بالاستعانة بجيم الدّمج. الحركة تبحث عَمّا ينقصها؛ فالتشعّب يتناقض مع الدّمج. مشج وأمشاج مُعجَمياً: أخلاط. وأمشاج وأوشاج: متداخلة مختلطة. وفق المعنى الحركي هي أخلاط مدمجة بقصد الإتمام والتكامل. وفي التّنزيل: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيه..﴾ الإنسان٢. قال ابن قلاقس:

---

(١) إبن النقيب: عبد الرّحمن بن محمد بن كمال الدين الحسيني، أديب دمشق في عصره، له الحدائق والغرق، (١٠٤٨-١٠٨١هـ، ١٦٣٨-١٦٧٠م).

ونُطفَةٌ من صميمِ الفَخرِ ما بَرِحَت　　تَجولُ من مشَجٍ زاكٍ إلى مشجِ

ح-ش-ك: بين حركتي التعاظم والتشعّب في (ح-ش) تناقض تتغلب فيه الحاء، وبين حركتي التشعّب والتكتّل في (ش-ك) تعارض تتغلّب فيه الشّين. توسُط الشّين أكسبها قدرة تضليلية، يمكن كشف دورها عند مُعاينة تسلسل (ح-ك). لذلك أُخضعت كاف التّكتّل للتعاظم المضلّل، بسبب شين التشعّب المشتتة. المحشوك في المعاجم: المتروك حَتّى يحين وقت استخدامه، والنّاقة حَتّى يحين موعد حلبها. والحشك: التّجمّع والكثرة في السّحاب والضّرع. تقول العامّة «شو حشكك؟» لمَن يتدخل فيما لا يعنيه. وقول ابن الرّومي:

وأرضَعتكَ الحُظوظُ دِرَّتَها　　رِضاعةً من ورائِها حَشَكُ

إضافة حرف لاحقٍ على التسلسلات:

ش-ر-ح: الشّين للتّشعب، والرّاء تكرار له، والحاء تعاظم التشعّب المتكرّر. من خلال المزاوجة بين تسلسلي (ش-ر) و(ر-ح) إضمار التأثير على التعاظم الدّاخلي، بالرّحرحة لا بالانقباض. فتحوّل الشّر باحتواء الحاء إلى التمييز والسّيطرة. مُعجمياً، شرّح اللّحم وشرّحه شرائح وشريحة: هي قطع اللّحم المرقّقة. والشّرح: الكشف والتّوضيح. وفي التّنزيل: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ..﴾ الأنعام١٢٥. قال المُتنبّي:

ومَتَى يؤدّي شَرحَ حالِكَ ناطِقٌ　　حَفِظَ القَليلَ النَّزرَ ممّا ضَيّعا

ش-ج-ر: الشّجر مُعجمياً: ما قام على ساق وأصل وأرومة، ثُمّ صارت له فروع وأغصان. هذا التسلسل يدل على المعنى الحركيّ لحرف الشّين. فالتشعّب والتّفرع المتكرّر من أرومة واحدة (أصل مندمج). وهذا حال الشّجار الّذي يحدث بين الأهل وأبناء الحمولة والعشيرة. فلا يُقال له نزاع أو مخاصمة، ولا قتال أو مبارزة، أو غيرها من المسمّيات. ذلك للتدليل على الأرومة الواحدة كما الشّجر، وفي قول ليلى بنت طريف الشيبانيّة[1]:

---

(١) ليلى الشيبانيّة: ليلى بنت طريف الشيبانيّة شاعرة عباسية، لها شعر في رثاء أخيها الوليد الذي كان من رؤوس الخوارج، الذي قتل يزيز بن يزيد سنة ١٧٩هـ. لم يعرف تاريخ ميلادها ووفاتها.

فَيا شَجَرَ الخابورِ ما لَكَ مورِقاً   كأنّك لم تجزَعْ على ابن طَريفِ

ش-ك-ع: قلنا آنفاً، أنّ حركة التّشعّب والانتشار في توجّه لكاف تَكتّل المتآلف. وحيث أنّ الشّين لاحقة في ترتيب النّشأة لحركة الكاف، فالتسلسل معاكس للتكوين. وبما أنّ التسلسل يفيد المشاجرة والتضليل، في محاولة لشق الصّفوف المتكتلة أو الجسم الصّلب، فما عسى تعاين حركة العين إنْ لم يكن تأكيد ما تسعى إليه الشّين؟ شَكَع مُعجمياً: كَثُرَ أنينه وضجره؛ وهو الجزع والوجع ومن طال غضبه وتذمّره. وهي صفة البخيل. يلاحظ علاقة التسلسل بلفظة شوك وشكّ؛ فالمعاينة بالعين هي الّتي نبّهت إلى الوخز للوجع والتّذمر من الشّك والشّوك. قال أبو وجزة السّعدي:

سَلَّ الهَوى ولُباناتُ الفُؤادِ بها   والقَلبُ شاكي الهَوى من حُبِّها شَكِعُ

اختراق التسلسل بإدخال حرف متوسط:

ش-ك-ر: الشّكر مُعجمياً: العرفان بالإحسان ونشره، ولنشره أهمّية في تفسير حركة حرف الشّين. يمكن أخذ دلالة (شك) بالمعنى المادّيّ، أي الوخز، والمعنى المعنويّ، أي الرّيبة، لفهم مبرّر الإصرار على التكرار. بأنّ الانتشار تكرّر بعد تكتّل التشعّب في إضمار اختراق ممانعة قاسية. وفي التّنزيل: ﴿..لَا نُرِيدُ منكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُوراً﴾ الإنسان٩، ﴿..إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً﴾ الإسراء٣. والشّكير: الزّرع إذا زكا وأفرخ نبت في أصوله. وقول ابن أبي البشر[1]:

سأشكُرُه شُكرَ الرِّياضِ لمزنَةٍ   تروحُ عليها بالعهادِ وتغتدي

ش-ن-ج: الحركة تُمثّل انتشاراً مُتشعّباً لإنشاءٍ مستمر، وهذا بتسلسل (شن) كما في القول: (شنّ الهجوم)، إلّا أنّه بمجيء جيم الدّمج تقلّص الاندفاع ومجال الحركة وانتشارها. الشّنَجُ معجمياً، هو التقبُّض في جلدٍ وغيره. كالأصابع أو الأطراف، قال عمر بن أبي ربيعة:

وَتَناوَلَت رأسي لِتعلمَ مَسَّهُ   بِمُخَضَّبِ الأطرافِ، غيرَ مُشَنَّجِ

---

(١) إبن أبي البشر: علي بن عبد الرّحمن بن أبي البشر الكاتب الصقلّي الأنصاري، هاجر منها بعد احتلال النورمنديين لها. (؟-٤٦٥هـ. ؟-١٠٧٢م).

ش-ب-ك: حركة التّشعّب والانتشار الّتي فتح لها الباء المجال ومدّها بقوّة وعزيمة تسعى لتكتيل ما يتآلف ومسعاها؛ هو، كما قلنا، يضمر التضليل. الشّبك في المعاجم: الخلط والتّداخل؛ كتشابك الأيدي وتَشابُك الأمور والمصالح والنّاس. وهو: اختلاط والتباس وإشراك. الشّباك والشّبكة: شركة الصّائد والمصائد تتشابك خيوطها لالتقاط السّمك أو الطّرائد، والشّبابيك؛ هي المتشابكة تقاطعاً وتَصالُباً أعوادها أو دعامات حديدها، ومنها شبكة القرابة والنّسب. قال أبو اللّحام التغلبي[1]:

أَيَئِستَ من أسماءَ أَمْ لمْ تَيأسِ وصَرَمتَ شَبكَ حبالِها المُتلَبِّسِ

استخلاص النّتيجة بمعيار العقل

نستخلص ممّا سبق، أنّ مدلول حرف الشّين يفيد الانتشار وتشعّب الحركة من أرومة واحدة، كالشّجر والمشاجرة بما يفيد التضليل والتظليل. كون النّون توجّه تكوينيّ وهو في مُسمّى حرف الشّين، وتدلُ جدليّة التناقض بينهما أنّ حركة الشّين وجه معاكس وموازن للتكوين. واتصال اسمه بـ(الياء) أفاد حاجة التشعّب الانتشار إلى زمن. يتضح ذلك عند إضافة حرف الـ(عين)، الّذي للمعاينة، إلى الـ(شّين) الّذي هو التّشعّب والانتشار كما في (شع)، تظهر لنا دلالة المقاربة لأشياء دقيقة تجمّعت معاً لتصبح شيئاً واحداً كبيراً في مثل: الشّعر، والشْعر، والشّعب، وشعاب الجبل، وأشعة الشّمس، وشَعث الشّعر، وكذلك، الشُعور والمشاعر.

حرف الشّين عند ابن عربي[2] من الغيب والجبروت الأوسط منه، وله الذّات والصّفات والأفعال، وله الخلق والأحوال والكرامات.

في الشّين سبعة أسرار لمن عَقَلا وكل من نالها يوماً فقد وَصَلا
تعطيك ذاتَكَ والأجسامَ ساكنة إذا الأمين على قلبٍ بها نَزَلا
لو عاينَ الناسُ ما تحويه من عجب رأوا هلال محاق الشهر قد كَمُلا

لا يُعيننا هذا الوصف على استنتاج الدلالة الحركيَة لحرف الشّين.

---

(١) أبو اللّحام التغلبي: حريث بن اللّحام عمرو بن الحارث بن مالك بن بكر التغلبي، شاعر جاهلي في فترة متأخرة، ميلاده ووفاته غير معروفين.

(٢) **الفتوحات المكيّة**، م. س. السّفر الأوّل ص.ص ٣٠٥-٣٠٦.

يدلُّ حرف الشّين عند الشّيخ العلايلي، «*على التفشّي بغير نظام*».[1] هنا الوصف مقارب لما توصّلنا إليه. وعند حسن عبّاس، «*هو من الحروف البصريّة، لأنّ بعثرة النفَس أثناء خروج صوت هذا الحرف يماثل في رأيه الأحداث الّتي تتم فيها البعثرة والانتشار والتخليط. كما أنّ طريقة النّطق بصوته المبدَّد للنفَس بين شفاه مكشَّرة، إذا أخذت الكشرة أبعادها، كانت أصلح ما تكون للتعبير عن توافه الأشياء والأمور؛ أمّا صوته فهو يوحي بإحساس لمسي بين الجفاف والتّقبّض. وتدل استعمالاته على الأمور التّافهة والعيوب الجسديّة والنّفسيّة، سواء في المصادر الّتي تنتهي أو تبدأ به.*»[2] في ذكره البعثرة والانتشار والتخليط يقارب ما توصّلنا إليه. وعند إياد الحصنيّ: «*يعني الانتشار ومعناه مأخوذ من طريقة لفظه؛ أي نشر الهواء داخل الفم، ويطلق على كلّ شيء ينتشر ويتشعّب. مثل: شمس، شعله، شعب.*»[3] وهو عند محمد عقل: «*شن، سن، رسمُها في المسند يشبه الأسنان الأمامية للطفل، هكذا: 𐩦.*»[4] بقيت كما هي عند التحوّل على الأفقيّة، مع ميل تسعين درجة يميناً.

كلّ الحروف تتبع حرف الشّين إلّا حرف الضّاد؛ فهو معاند ولا يفرّط أو يقبل التّسيّب والتّشعّب؛ لأنّه يحيط بالحركة ويلزمها ويلتزم بعدم الانحراف أو الميل، فهو حرف مقاوم.

---

(١) العلايلي، عبد الله، **مُقدّمة لدرس لُغة العرب، وكيف نصنع المعجم الجديد**، م. س. ص ٣١٣.

(٢) عبّاس، حسن، **خصائص الحروف العربية ومعانيها**، م. س. ص. ١١٤. بتصرف.

(٣) الحصني، إياد، **معاني الأحرف العربيّة**، م. س. ص ١٧.

(٤) عقل، محمد، **ابجدية القرءان من مملكة سبأ**، م. س. ص ٥١.

حرف التّاء

تاء+ ألف المد+همزة

المسمّى الأبجديّ المتعارف عليه للحرف هو: ت-ا-ء

مخرج التاء: طرف اللّسان وأدنى سقف الثّنايا.

ترتيب نشأته: التّاء هو الحرف الثاني والعشرون من حروف الأبجديّة العربيّة، والثّالث من حروف الهجاء العربيّة. يساوي عدديّاً الرّقم (٤٠٠) في حساب الجُمَّل. وفي الترتيب الصّوتيّ الحديث يأتي في الترتيب الثّامن. وفي الترتيب الصّوتيّ القديم يأتي في الترتيب السّادس عشر عند الخليل بن أحمد، والحادي عشر عند ابن جنّي.

سبب حدوثه: عند نُطق التّاء يلتقي طرف اللّسان بأصول الثنايا العُليا ومقدم اللّثة. ويضغط الهواء مُدّة من الزّمن خلف طرف اللّسان، ثمّ ينفصل فجأة تاركاً نقطة الالتقاء، فيحدُث صوته. وعند ابن سينا: ***«الطّاء والتّاء والدّال فإنّ مخارجها من المقدم من السطح الممتد على الحنك، وتحدث كلّها في حبسات تامّة، وقلع، ثمّ إخراج الهواء دفعة. لكن الطّاء تحبس في ذلك الموضع بجزء من طرف اللّسان أعظم، ووراءه بضلعي اللّسان وتقعر وسط اللّسان خلف ذلك المحبس، ليحدث هناك للهواء دويّ عند الإفراج ثمّ يقلع، ويكون الحبس بشدّ قويّ، أمّا التّاء فيكون مثله في كل شيء، إلّا أن الحبس بطرف اللّسان فقط»***[1].

الصّفات الصّوتيّة: التّاء صوت أسنانيّ لثويّ انفجاريّ مهموس؛ والتّاء من الحروف الشمسيّة، تختفي معها لام (أل) التّعريف نُطقاً لا كتابة، مثل: التّمر.

---

(١) إبن سينا، م. س. ص ١٢١.

الاستخدامات الصّرفيّة: التّاء من حروف التصريف، مع صيغة افتعل، بمصدرها ومشتقاتها جميعاً. فحرف التّاء يأتي بدلاً من الواو والياء إذا وقعا فاءً لصيغة افتعل. ويدغم التّاء المبدل منهما في تاء افتعل الزّائدة. مثل: اتّصل، اتّسر، وأصلهما: أوتصل، أيتسر. وقد يكون هذا الإبدال بالتّاء مع المهموز مثل: اتّكل، اتّخذ. والأصل أن يُقال: ايتكل، ايتخذ. ويبدل تاء الافتعال دالاً إذا كان فاء الافتعال دالاً أو زاياً أو ذالاً، مثل ادّعى، أو ادّكر، وأصله: ادتعى، اذتكر. ويبدل تاء الافتعال طاءً إذا كان فاؤه صاداً أو ضاداً أو ظاء، مثل: اصطفى، اضطجع، اطرد، اظطلم. وأصلها: اصتفى، اضتجع، اطترد، اظتلم. ويجوز الإدغام بإبدال تاء الافتعال بحرف من جنس ما قبله، فنقول اصّفى، اضّجع، اذّكر، اظّلم.

الاستخدامات النّحويّة: «*التاء من حروف المعاني العاملة للجر بما يليها من أسماء مع القسم، مثل: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾ الأنبياء: ٥٧. والتّاء يكون حرفاً زائداً كما في: رُبّتَ، ثُمّتَ. ويكون علامة المضارعة مع الغائبة مثل: تُريد فاطمة أن تشرب، ومع المخاطبة مثل: أنتِ تُريدين أن تشربي، ومع المخاطب مثل: أنتَ تُريد أن تشرب. والتاء ينوب عن الاسم كضمير فاعل للمذكر، وللمؤنث، ويسمّى إجمالاً تاء الفاعل. وتفصيلاً هو: تاء المتكلّم مثل: قمتُ، وتاء المخاطب مثل: قمتَ، وتاء المخاطبة مثل: قمتِ، ويكون علامة تأنيث مع الاسم مثل: فاطمة، ومع الفعل الماضي مثل: كتبتْ فاطمة. ويلحق التاء الصفات للتفرقة* بين المذكر *منها والمؤنث مثل: بائع، بائعة. والأوصاف الخاصة بالنساء لا يلحقها التاء إلّا سماعاً، فلا يقال: حائضة، طالقة، ثيبة، بل يقال: حائض، طالق، ثيّب، وسُمع: مرضعة بدلاً من مُرضع. وتكثر زيادة التاء لتمييز الواحد من الجنس في المخلوقات مثل: ثمر، ثمرة، نخل: نخلة، شجر: شجرة. وقد يؤتَى بالتاء لزيادة المبالغة، مثل: علاّمة، فهّامة، رحّالة.*»[1]

---

(١) الحروف العربية، الأبجدية، الألفباء الموسوعة العربية العالمية مج١ ٢.

الصّفات الكتابيّة: حرف التّاء من الحروف المُعجمة (المنقوط) بنقطتين أعلى الحرف. تعرف العربيّة كتابة رمزين لحرف التاء: التاء المربوطة المفردة، مثل: شجرة، أو التّاء المربوطة المتصلة بما قبلها مثل: فاطمة. والتاء المفتوحة مفردة، وتكتب هكذا: (ت)، مثل: أمرتُ، أمرتَ، أمرت، أمرتِ، ومتصلة بما بعدها وتكتب هكذا: تـ، كما في: تلعب، وتَمَّ. ومتصلة بما قبلها وما بعدها وتكتب هكذا: ـتـ ، كما في: بتل.

دلالة اسم حرف التّاء من خلال حروفه

- التّاء: حرف التّاء يضمر حرف الهاء صوتاً؛ فهو يستنفذه ويستوعبه انتهاء واجتذاباً.
- الألف الممدود: من التأليف؛ أي التشكيل من خلال تعامد الحركة بين الزّمان والمكان لإنتاج وجود، والتآلف؛ أي التّوفيق.
- الهمزة: تهمز الحركة ذهاباً وإياباً لتؤكّد الحضور لملاقاة مطلب التّاء عند ولوج بابي الزّمان والمكان.

تسلسل مسمّى التّاء: التّاء صوت وحركة يمثّل تحوّل الهاء عند التّوقف، كما في: آت، هات. لذا تُبرز حركة التّاء الجهد والاشتراك بين حركاتٍ كثيرةٍ. فقد استوعبت هواء الهاء بما يمكن أنْ يحمل وينقل وأسكنته في حضنها، وحملته جهداً وجنيناً. حينما يضاف المسمّى أو يستمر الكلام يتحوّل الهاء إلى تاء. فهو عبارةٌ عن تكاثفٍ وتجمّعٍ للحركات قبل أو خلال تشكّل حركة الافتعال المقصودة. والكلمات الّتي تحوي حرف التّاء تشير إلى التأنيث مثال: نواة، نطفة، دمعة، نقطة، امرأة، سيدة؛ فحرف التّاء حرف أنثوي، جاذب أو مولد. يعبّر عن اجتذاب بين القطع المنفصلة واجتماعها. ومثلما يدخل حرف التّاء على الفعل الّذي تقوم به الأنثى (فَعَلَ- ت)، يدخل كذلك على الاسم المفرد لتحقيق التّرابط بين الطّرفين. فاستمرار الحركة يوجب أنْ يلفظ تاء لدلالة الاجتذاب لغرض وضع أبنية أخرى في العبارة. إذن هناك تجانسٌ بين موضعه في الفعل وموضعه في الاسم.

الاقتران الثُنائيّ لحرف التّاء بصفته متبوعاً

تـ-م: حركة التّاء تجذب وتحمل الجهد للتكامل بما توفّره لها الميم من نواقص. قيل في لسان العرب: تَمَّ الشّيء يَتِمُّ تَمّاً وتُمّاً وتَمامةً وتَماماً وتمامةً وتُماماً وتماماً وتُمَّة وأَتَمَّه: غيره، وتَمامُ الشَيء ما تمَّ به بالفتح لا غير، وأتمَّ الشيءَ وتَمَّ به يَتمُ: جعله تامّاً. وروى ابن الأعرابي:

إنْ قلتَ يوماً نَعَمْ بَدْأً فَتمَّ بها — فإنَّ إمْضاءَها صنْفٌ من الكَرَم

وفي المعاجم أيضاً: تمَّ: اشتدّ وصلب، تمَّ: كَمُلَ. وتمَّ القمر: امتلأ فَبَهر. التّمام: أطول ليلةٍ في السّنة؛ كأنّها ما زالت تزداد من أطرافها حتّى تمّت؛ تتامّ القوم: جاؤوا كلّهم. وفي التّنزيل: ﴿..الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي..﴾ المائدة٣، يلاحظ للمقاربة بين الإكمال والإتمام، ما قلناه في تسلسل (ك-م) حيث تجتمع الأجزاء المتماثلة فقط، وتكتمل بالنّضوج من خلال لام التلاحم والتواصل، لتكوين الثّمرة. قال أبو العتاهية:

أَلَستَ تَرى لِلدَّهرِ نقصاً وإبراما — فَهَلْ تَمَّ عَيشٌ لامرئٍ فيه أو داما

تـ-ل: التّاء استجلاب حركات، واللّام اتصال وتلاحم الحركات المجتذبة في واحدة. يفيد التوجّه تجمّع الحركات وجعلها حركةً واحدةً. فتراكم المتجاذب من الجهد وتلاحمه وصف لتكوّن التّل؛ وهو المرتفع من الأرض. غير أنّ اجتذاب الجهد يفرض ممانعة، وما دخول اللّام للتوصيل والتلاحم بالجهد إلّا لتأكيد متانة التّرابط بين الجهد المبذول والغاية. وفي التّنزيل: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ الصافات١٠٣؛ أي الأخذ بمجاميع الإنسان، وجرّه إلى اتّجاهٍ مُعيّنٍ. في معجم مقاييس اللّغة، التاء واللام في المضاعف أصلٌ صحيح، وهو دليل الانتصاب وضدّ الانتصاب. فأمّا الانتصاب فالتّل، معروف. والتّليل العُنُق. وتَلَلْتُ الشيءَ في يَده. والتَّلْتَلة الإقلاق، وهو ذلك القياس. وأمّا ضدُّه فَتَلَّه أي صَرَعَه. وهذا جنسٌ من المقابلة. والمِتَلُّ: الرُمح الذي يُصرَع به. قال لَبيد:

رابِطُ الجأشِ على فَرْجِهِمُ — أعْطِفُ الجَوْنَ بمربُوعٍ مِتَلّ

وتلّ الشّيء في المعاجم: دفعه، وقيل: نصر وضرب. وتلّه يتلّه فهو تليل: أرخى الحبل. نحسب أنّه سحبه وليس أرخاه. والمتل: الرّجل المنتصب. والتلتلة: السّير الشّديد والإقلاق والزّعزعة والزّلزلة. وفي قول إبراهيم الطّباطبائي[1]:

هَلْ كانَ يعرفُ إبراهيمُ موقِعَهُ   غَداةَ تُلَّ جَبيناً منه للتُربِ

وقول البُحتري:

بالتلِّ تلِّ ربيع بين مواضعٍ   ما زال دينُ اللهِ فيها يوقى

والتلّة: الصّبة، وتلّة؛ أي: في حال. قال النّصري[2]:

ولَقد غَنينا تِلَّةً من عَيْشِنَا   بِحضناتمِ مَخْتُومةٍ وزقَاقِ

ت-ب: هنا الانبثاق من مكمن التجاذب في جهد التّاء، يظهر التّنافر والتّعارض بين التّجاذب والانبثاق؛ كحال المانعة في شد وجذبٍ لعدم السّماح للباء بفتح المجال. فالانبثاق يمثّل خروج عن اجتماعٍ وتآلف المتجاذبات، سيّما أنّ الباء مشدّدة حركتيها؛ أي توقّف وأعادة الكرّة. فالحركة تنبثق والمجال ممتلئٌ بالحركات. إنّ انطلاق الحركة من هذا المجموع بالباء إنّما هو إشارةٌ إلى ما يحوي المركز أيضاً. يظهر لنا أنّ الانبثاق من التّجاذب فيه شدّة في الانفلات. التّب مُعجميّاً: الخسارة والهلاك. استَتَبَّ الأمر إذا تهيّأ واستوى به الأمر، وأصل هذا من الطريق المستتبّ، وهو الذي خَدَّ فيه السّيّارة خدوداً وشركاً فوضح واستبان لمن سلكه، كأنّه ثُبّتَ بكثرة الوطء وقُشرَ وجهه فصار ملحوباً بيّناً. وفي التّنزيل: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ المسد١ و﴿..وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ هود١٠١، ﴿..وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ غافر٣٧. وفي قول مجنون ليلى في التوبة:

يقولونَ تُب عن ذكرِ ليلى وحُبِّها   وما خَلدي عن حُبِّ ليلى بتائبِ

معاينة المتغيّرات بعد قلب ترتيب حروف التسلسلات

---

(١) إبراهيم الطباطبائي: إبراهيم بن حسين بن رضا الطباطبائي، من آل بحر العلوم- النجف- العراق، (١٢٤٨-١٣١٩هـ، ١٨٣٢-١٩٠١م).

(٢) عن الجيم - ج ١ ، ص ١٥، لم أهتد إلى اسم الشاعر النصري إن كان المقصود أبو أسماء النّصري، أو سَلَمَةُ بن عَوْفٍ النّصْريّ، أو أبو الغريب النَّصْرِيّ.

م-ت: الميم يكامل الحركة بإتمام ما ينقُصها، ليعطي معنى المكانيّة، وآليّة إتمام العمل. والتّاء جهد اجتذاب الحركة لأمثالها لتشكيل حركاتٍ مترتبةٍ معها. فالتكامل هو من يستدعي الجهد، فهناك صلة مازالت لها مكانتها في التكامل. في تسلسل (تمّ) السّابق استدعى تاء الجهد الميم لإتمام التكامل، بينما هنا جهد التاء مسخّر ليكامل الميم ما يسعى لإتمامه. الحركة الحقيقيّة هي التّكاثر باجتذاب قوى خارجيّة. لكن هذا الأصل لم يستعمل، إنّما أُخذ منه الانتساب وحسب. في المعاجم: متَّ إليه بقرابةٍ متّاً: توسّل فهو ماتّ. المتات: ما يتوسّل به كالحرمة والقرابة. متّ الحبل: نزعه على غير بكرة؛ أي جعل نفسه ذا صلة بالحبل بدل البكرة. قال ابن نباته المصري[1]:

مُتَّ الفَقيرَ إلى يَدَيكَ بمنَّةٍ إذ كان صُنعَ الجوعِ من لَذّاتها

وقول أبي العتاهية:

و نَظيرُ المَرءِ في مَعروفه شافعٌ مَتَّ إلَيه فَشَفَع

وفي قول امرئ القيس:

قد أتَتهُ الوَحشُ واردَةً فتَمتّى النَّزعُ من يَسَرِه

وفي قول أبي تمّام:

لا قدحَ في عودِ الإمامةِ بعدما متَّتْ إليكَ بحُرْمَةٍ وَذِمَامِ

ل-ت: اللّام تلاحم الحركات والتّاء استجلاب لها. يفيد المجموع معنى الخلط، كيفما اتفق، وليس مُجرّد الخلط، كما هو في المعاجم. وفلان يلت في الكلام: وفي تسلسل (ل-ت)، حيث التلاحم والتّواصل هو ما يجذب، فالحركة شديدة كَلَتِّ الكلام والعجين وغيرها، كالثرثار إذا كان يبدي ويعيد ما يقول. واللّتت: الالتصاق والالتزام والشّد والطّعن. قال ابن الرّومي:

وفارسُ الأحرار بالبَذنَخْت قضى عليه بقضاء بتٍّ
من آكلِ النَّاس لِخبزٍ بَحتِ يَلُتُّه بالرّيقِ أيَّ لَتٍّ

(١) إبن نباته المصري: محمد بن الحسن الجذامي الفارقي المصري سكن الشام، شاعر عصره وأحد علماء الأدب المترسلين (٦٨٦-٧٦٨هـ ١٢٨٧-١٣٦٦م).

ب-ت: انبثاق الباء يفتح المجال من مكمن يبدو مضغوطاً ومتحفّزاً. والتّاء هنا اجتذاب الجهد لِمَا تسعى إليه حركة الباء. بتّ في الأمر في المعاجم: قضى به. وهذا يضمر وجود خلاف أو وجهات نظر تستدعي جهد التّفكر والفصل. والبت في كتاب العين: القطع المستَأصلُ، يقال: بَتَتُ الحَبلَ فانْبَتّ؛ أي قطعتُه، ونقول: أعطيتُه هذه القُطيعة بَتاً بَتْلاً، والبتة إشتقاقها من القطع غير أنّه مستعمل في كل أمرٍ لا رجعةَ فيه ولا التواء. كما في القول: حكم حكما باتّاً ونهائياً. وأبَتَ فلانٌ طلاق فلانة؛ أي طَلَقها طلاقاً باتّاً، والمُجاوز منه الأبتات في كل شيءٍ من هذا. ورجلٌ أحمقُ باتٌّ: شديد الحُمق. وانقطع فلان من فلان فانبتَّ وانقبض؛ وفي الحديث: «إنّ المنبتّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى». قال الشّاعر:

فبتَّ حبالَ الوَصلِ بيني وبينَها　　　أزَبُّ ظَهور السَّاعدين عَذَوَّرُ.

البت هنا هو لحبال الوصل؛ وهذا بمعنى جهد فصل وترابط قوتها. قال الجعدي:

فأعجلّهُ عن سَبعَةٍ في مَكرهِ　　　قَضَينَ كما بَتَّ الأنابيشَ لاعبُ

مُعاينة دلالة حركة التّاء، إذا تمّ إدخال حرف ثالث، ابتداءً، وتوسّطاً، وانتهاءً

استطلاع التغيير مع إضافة حرف بادئ على التسلسلات:

ك-ت-م: حركة الكاف تَكتّل للمتآلفات، والتّاء اجتذاب جهد خارجيّ للتكامل بما يوفّره الميم باجتلاب جهد متكتّل. المضمر هو الخشية مما ينتج من البوح. وهذا لخضوع (ت-م) للمطلب الذي فرضه تكتّل الكاف. وفي معجم مقاييس اللّغة، الكاف والتّاء والميم أصلٌ صحيحٌ يدلُ على إخفاء وسَتر. من ذلك كَتَمت الحديثَ كَتْماً وكتماناً. قال الله تعالى: ﴿..وَلاَ يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاً﴾ النساء ٤٢. ويقال: ناقةٌ كَتومٌ: لا تَرغُو إذا رُكبت، قُوَّةً وصَبراً. وسحابٌ مُكْتَتِم: لا رعد فيه. وخَرْزٌ كَتيمٌ: لا يَنْضَح الماء. وقوسٌ كَتوم: لا تُرنُ. وأمّا الكَتَم، فنباتٌ يُختَضَب به. ومعجمياً، كتم السّر: لم يفشه أو يذعْهُ، بل حفظه وأخفى أمره، وفي قول النّابغة:

كَتَمتُكَ ليلاً بالجَمومَينِ ساهِراً،　　　وهمّين: همّاً مُستَكِنّاً ، وظاهراً

أحاديثَ نفسٍ تشتكي ما يَريبُها، وورِدَ هُمُومٍ لا يجدنَ مَصادِرا

خ-ت-ل: الجهد مركّز هنا على اجتذاب ما يسند الإخماد ويلحمه. فاللّام تلاحم المُخمد من الجهد. الإخماد هو موجّه للحركة داخلياً وخارجيّاً. يراكم التّلاحم في اجتذاب الجهد كي يكون الإخماد فاعلاً. استدعاء اللّام لوصل وتوصيل حركة الإخماد إلى مُبتغاها من خلال جهد خارجيّ، فيه انتهاز وتواطؤ. إذ كان التّل تراكم الجهد وتلاحمه فقد استطاعت حركة الخاء إخماد الجهد والتعديل في التواصل. الخَتْل في العاجم: تَخادُعٌ عن غَفْلَة، خَتَله يَخْتُله ويَخْتِله خَتْلاً وخَتَلاناً وخاتَله: خَدَعه عن غَفْلة، وخَتَل الذِّئبُ الصَّيدَ: تَخَفَّى له، وكلُ خادع خاتلٌ وخَتُول وقول المعرّي:

وكيفَ أرومُ تقويمَ اللّيالي وقد بُنِيَت على خَتلٍ وخَترِ

وفي قول الصّاحب بن عبّاد[1]:

قالت بَراءَةُ من أدَّى قَوارِعَها فَقُلتُ مَنْ صينَ عن خَتلٍ وعن دَغَلِ

ع-ت-ب: هنا انبثقت من تسلسل (عتّ) حركةٌ جديدةٌ بالباء لفتح المجال بعيداً عن المركز. وهي في الأصل حركةٌ مجتذبة متكاثفةٌ حول عين المعاينة، لوجود مُبهم مطلوب اتضاحه. الباء تفتح المجال والمركز ممتلئٌ بحركات متجاذبة القوى. انبثاق الحركة من ضغط مارسه هذا المجموع فيه إشارةٌ إلى المركز وما يضمر ويحتوي. في المعاجم، عتبَ البرق: إذا تتابع لمعانه. عتب من قول إلى قول: تنقّل من قول إلى قول. هنا استعمال تمثيليّ للحركة، كأنّما أرادوا الذّمَّ، لأنَّه بهذا التّنقل يشير إلى نفسه. لكنّ إذا جرى كلامه على هيئةٍ واحدةٍ صار المقصود هو تذكير المتلّقي بمراجعة الأمر الّذي كرهه منه، وهو معنى العتاب والتعاتب والمعاتبة وما اشتق منه، وهو مطابق للعتاب. قلنا في تسلسل (ت-ب)؛ أنّه مظهر التّنافر والتعارض بين التّجاذب والانبثاق، كحال المعاتبة في شدٍ وجذبٍ وضّحت العين ما هو مُبهم بين الفريقين. وهو مطابق للأصل، لأنّ الكلامِ الواحد انبثاق للباء مرّة واحدة. فالعتَبَة: (الدرجة) السّفلى لباب

(١) الصاحب بن عبّاد: اسماعيل بن عباد بن عباس بن عباد بن احمد بن إدريس أبو القاسم وزير الدولة البويهية، ولد في طالقان من أعمال قزوين، له: المحيط، وغيرها، (٣٢٦-٣٨٥هـ، ٩٣٨-٩٩٥م).

الدار وكذلك: العليا منها. وهذا ما يشير إلى المركز حيث الدّخول إليه من هذه النّقطة ولوجاً، وكلّ مرور منها عتبة. وفي التنزيل: ﴿فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ فصلت٢٤، وفي قول ساعدة بن جُؤَيَّةَ:

شابَ الغُرابُ ولا فُؤادُك تاركٌ ذِكرَ الغَضوبِ ولا عِتابُكَ يُعتَبُ

وقول طَرَفة:

إذا محارمُ أحناءٍ عرضن له لم ينبُ عنها وخاف الجورَ فاعتتبا

استطلاع التغيير مع إضافة حرف لاحق على التسلسلات

ت-م-ر: التاء اجتذاب الجهد المُفعّل والفاعل لميم التكامل بالنّواقص، والتكرار الّذي تقوم به حركة الرّاء هو مزيد من تكامل جهد الإتمام. وفي معجم مقاييس اللّغة تسلسل: التاء والميم والرّاء كلمةٌ واحدة، ثُمّ يُشتقّ منها، وهي التَّمر المأكول. ويقال للّذي عنده التَّمْر تامرٌ، وللّذي يُطْعِمُه أيضاً تامر، يقال تَمَرْتُهم أتْمُرهم، إذا أطعَمْتَهم التمر، قال ابن عبد ربّه الأندلسي:

وغَرَرْتَني وزعَمْت أ نّكَ لابنٌ بالصَّيْف تامرْ

وقيل مُعجمياً أيضاً: التّتمير: التجفيف للّحم وغيره، والتّامور: الإبريق، وقيل: الدّم أو غلاف القلب، ومهجة النّفس. قال أوس بن حَجَرٍ:

أُنبئتُ أن بني سُحَيْمٍ أولجوا أبياتهم تامور نفسِ المُنذرِ

ت-ل-ع: هنا خروجٌ للمُعاينة من تراكم المتجاذب من الجهد وتلاحمه. وهو مع متابعة العين، إبرازه وتوضيح إبهامه لتمييزه. عالجنا فيما سبق حركة (ت-ل)، فالمعاينة منه تعني إبرازه. تلع مُعجمياً: ارتفع، والتّلع: كثير التّلفّت، والتّلعة: الأرض المرتفعة ومجرى الماء من أعلى إلى بطن الوادي، وجمعها تِلاع. والتّلع: طويل الظّهر أو العنق، قال الأعشى:

يومَ تُبْدِي لنا قُتَيْلةُ عن جِيدٍ تَلِيعٍ تزينُه الأطْواقُ

ت-ب-ر: قلنا من قبل أنّ البر انفتاح للمجال مكرّر، وهو خلاف الجو. والتحاق فتح المجال لتاء الجهد يفيد التحكّم بمجال الحركة؛ التّاء انجذاب واجتماع الحركات، والباء انبثاق حركة جديدة لفتح المجال، والرّاء تكرار مُنظّم. أعيد

الانبثاق أكثر من مرّة؛ فالحركات المجتمعة حول التّاء فقدت دورها؛ كما أشرنا إلى التّعارض بين التّجاذب والانبثاق في (ت-ب). في معجم مقاييس اللّغة، التاء والباء والرّاء أصلان متباعدٌ ما بينهما: أحدهما الهلاك، والآخر جوهر من جواهر الأرض. فالأوّل قولهم: تَبَّرَ اللَّهُ عَمَلَ الكافر، أي أهلكَه وأبطلَه. والأصل الآخر التِّبر، وهو ما كان من الذَّهب والفضَّة غيرَ مَصُوغٍ. تَبَرَ الشيء في المعاجم: أهلكه، وتَبَرَ: كسَرَ، التبر: فتات الذّهب. وفي التنزيل: ﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الأعراف١٣٩، و﴿..فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ الإسراء٧، ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ الفرقان٣٩، وقول أبي تمّام:

لَنا جَوهَرٌ لو خالطَ الأرضَ أصبَحَتْ ... وبُطنانُها منهُ وظُهرانُها تِبْرُ

استطلاع المتغيّرات بعد إدخال حرف وسط التسلسلات

ت-ل-م: حركة اجتذاب الجهد للتلاحم كما في (تل)، والميم إتمامه التكامل بما ينقص الجهد. في هذا التسلسل عدّة تساؤلات: كيف تتكامل الجهود المتجاذبة وقد التحمت مكوّنة تلاً مُتراكماً؟ وهل دخول التّاء على (لم) كما ذكر في مكانه من (جمع) أو من (لا إتمام)، إذا كان شق الأرض موصوفاً بالتّلم؟ الجواب أنّ الميم أخذت الاختيار الثّاني؛ أي (لا إتمام)، من حيث الظّاهر. التّلم في المعاجم: مشق الحرث في الأرض، وأخدود الأرض يشق للبذار، وجمعها أتلام، والعنفة ما بين التلمين؛ أي الشّقين. تصف العامّة العنيد غير القابل للمفاهمة بـ(التّلم). نلاحظ استخدامنا لكلمة شق، وهي من المشقّة في معالجة الأرض وتتليمها، حيث الشين تشعّب تضليلي تتابع من قاف التقفّي لما هو مغلق، ليس إلّا إمعاناً في تضليل التشعّب. وفي قول سبط التعاويذي[1]:

أتلامُ إن أبدت كَآبَتَها ... أرضٌ يحُلُ بغيرها القَطْرُ

(١) سبط التعاويذي: محمد بن عبيد الله (نشتكين) بن عبد الله أبو الفتح، سبط الزاهد التعاويذي، وهو شاعر العراق في عصره، (٥١٩-٥٨٣هـ. ١١٢٥-١١٨٧م).

ت-ف-ل: في (تف) التجاذب اتجه إلى جذب المنفصل والمتفرّق. دخول لام التلاحم على المتفرّق بعد تجاذب، يمثل حركة توصيل غير ممتزجة كلّياً. فالتفريق لا يلتقي مع التّلاحم؛ وهذا ما أشرنا إليه في موضعه في تسلسل (ف-ل). وفي لسان العرب: التُفْل والتُفَال: البُصاق والزَّبَد ونحوهُما، والتَّفْل بالفم لا يكون إلّا ومعه شيء من الرّيق، فإذا كان نفخاً بلا ريق فهو النَّفْث، وقيل في الترتيب: البَزْق ثمّ التَّفْل ثم النَّفْث ثم النَّفْخ. التّفل مُعجميّاً أيضاً: وما يرسب أو يرقد من البُن وغيره في الإناء. والتّفلة: المنتنة الرّائحة غير المتطيبة، كما قال امرُؤُ القيس:

لَطيفَةُ طَيِّ الكَشْحِ، غَيْرَ مُفاضَةٍ إذا انْحَرَفَتْ مُرْتَجَّةٌ غَيْرُ متْفالِ

إِذا ما الضَّجِيعُ ابْتَزَّها مِن ثِيابِها تَميلُ عليه هَوْنَةً غَيْرَ مِجْبالِ

ت-ع-ب: حركة التّاء تعاين من خلال جهد التجاذب وتتحقّق مما جمع قبل الانبثاق، لمزيد من اتضاح المُبهم. الحركة تضمر عدم الثّقة والثّبات. حركة التّجاذب في (ت-ع) الّتي لم تستطع زحزحة المادّة، ولا القناعة، فتحت لها الباء المجال الانبثاقي للمتابعة. نحسَبُ أنّ المتابعة لمحاولة الزحزحة هي العناء لشدّة التجاذب فوق طاقة التّحمّل. قال المعرّي:

تَعَبٌ كُلّها الحياةُ فما أعـ ـجبُ إلّا من راغبٍ في ازدياد

وفي معجم مقاييس اللّغة تسلسل: التّاء والعين والباء كلمةٌ واحدة، وهو الإعياء حتّى يقال: تَعبَ تَعَباً، وهو تَعبٌ، ولا يقال متعوبٌ. وأتْعَبْتُهُ أنا إتعاباً. فأمّا قولهم أُتْعِبَ العظَمُ، إذا هِيضَ بعد الجَبْرِ، فليس بأصلٍ، إنّمَا هو مقلوبٌ من أُعْتِبَ. وقد ذُكر في بابه. قال ذو الرُمّة:

إِذا ما رآها رَأْيَةً هِيضَ قَلْبُه بها كانْهِياضِ المُتْعَبِ المتهشّمِ

وروي البيت:

إذا نالَ مِنها نَظرَةً هيضَ قَلبُهُ بها، كانهياضِ المُتعَبِ المُتَتَمِّمِ

استخلاص النّتيجة بمعيار العقل

نستخلص ممّا سبق، أنّ حركة التّاء كما قال عالم سُبيط النّيلي: «***جوهرية في داخل الحرف، جاذبةٌ لبقية الحركات، تقوم بالتّجميع والتّرتيب الملائم بينها.***

وهي زمانيّة مكانيّة في ذاتها. فلا تتحرّك من موضعها، فهي جهد اجتذاب الحركة لأمثالها لتشكيل حركاتٍ مترتّبةٍ معها.»[1].

يتّصل حرف التّاء بالمفردات لتشكيل تنويعٍ في الاشتقاقات لقدرته على اجتذاب الحركات حوله، لتعدّد إمكانات حركته في اجتذاب الجهد، بما أنّ حركته مستقلة وليست من أجزاء الألف، ولا من صيَغه، وهي جاذبة غير منجذبة، احتاجت إلى همزة الألف أو أحد مظاهره ليساعدها في قصف المفردة من الدّاخل لإحداث حركة الافتعال، كما في: إفْتَعلَ، ويَتَفاعَل، ويَفْتَعِلُ، وإفْتَعِلْ، وتَفاعلْ. تشير التّاء كذلك إلى التّجمّعات المُجتذبة بالحركة الأولى للوجود، وإلى ءَاخر ما هو معروفٌ من صيغٍ للمفردة المؤنثة. ولهذا لا تجمع الإناث إلّا بإضافة الألف والتّاء، كما في جموع المؤنث: فاعلة: فاعلات، مفْعَلة: مفعلات، فِعالة: فِعالات، فعُولة: أفعولات، فَعْلة: فَعْلات، فَعِلة: فَعَلات.

سبق وعالجنا في تسلسلات الـ(هاء) علاقته بضّمائر الغائبين. أمّا في ضمائر المخاطب، وحيث الألف في (أنْ) تعامد بين الزّمان والمكان لإنشاء وجود، والنّون حركة إنشاء مستمر، فدخول التّاء على (أنْ) يجذب الحركات في إنشاء جهد مشترك، معني باجتماع المتكلّم والمخاطب، لما ينطوي عليه التّاء من تجمّع، نوضحه كما يلي:

أنْ-تَ: للمخاطب المذكر، همزة الألف للدّلالة على تحفيز الفاعليّة؛ إذ المذكّر هو الفاعل وخفّف بالفتحة (أنتَ)؛ الّتي هي أقرب المظاهر للألف بصورةٍ مباشرةٍ، وهي زمكانيّة.

أنْ-ت-ي: للمخاطب المؤنّث. حركة الياء تعبير عن الاستمراريّة. تشير إلى قدرة الأنثى على استمرار متابعة نون الإنشاء التكوينيّ. وخفّفت إلى الكسرة- مظهر الياء- والّتي هي بدورها مظهرٌ ثانٍ للألف.

أنْ-تُ-م: الميم اكتمال الحركة، وهي تشير إلى الجماعة، والضمّة على التّاء هي إشارةٌ إلى مظهر الواو، وهو تموضع مكان التّجمع.

---

(١) النّيليّ، عالم سُبيط: **اللّغة الموحّدة**، م. س. ص ٢٠٧. بتصرف.

أنْ-تُ-ما: (ما) وفقا للمعنى الحركي للأصوات يستبطن دلالة الزّوج لا المفرد، حيث ميم التكامل بالنّواقص ولج بابي الزّمان والمكان لتحقيق ترابط ربّما غير ظاهر، إلّا أنّ (ما) تكشفه فهي اختيار بين احتمالين، وإذ وُصفت بأنّها اسم موصول فلا معنى للوصل إلّا بآخر يتصل به، نعتبر هنا أنّ الألف هي ألف الاثنين وقد دخلت على الضّمير أنتم. فالمقصود أنّ الصّيغة هي بين الجمع (أنتم)، والمفرد (أنتا: أن-ت-ا)، وأقلّ الجمع ثلاثة، المخاطِب والمخاطَبان.

أنْ-تُ-نَّ: التّاء اجتذاب لجهد الكثرة إشارة إلى المجموعة، والضّمة مظهِّر من الواو مكانيُ الصّورة، والنّون حركة إنشاء مستمر، لذلك تشير إلى إجتماع النّسوة، لأنّهنّ يتابعن استمرار الإنشاء.

حرف التّاء عند ابن عربي[1] من عالم الغيب والجبروت، له الخُلُق والأحوال والكرامات، وله الذّات والصّفات.

التّاءُ يظهر أحياناً ويَستَتِرُ ... فَحَظُّهُ من وجود القوم تلوينُ
تحوي على الذات والأوصاف حَضْرَتُه ... وماله في جناب الفعل تمكينُ
يبدو فَيُظهر من أسراره عَجَباً ... ومُلْكُهُ اللوحُ والأقلامُ والنّونُ
الليلُ والشمسُ والأعلى وطارقُه ... في ذاته ولأضحى الشرحُ والتينُ

هنا الوصف رمزي صوفي تأويلي لا يدلنا مباشرة على المعنى.

يدلُ حرف التّاء عند الشّيخ العلايلي: «***على الاضطراب في الطبيعة أو الملابِس للطبيعة فيما لا يكون شديداً.***»[2] الوصف هنا غير واضح بالنّسبة لنا. وهو عند حسن عبّاس: «***من الحروف اللّمسيّة، فهو إن ابتُدأ به يدل على الرّقة والضّعف والتفاهة، وأحياناً يدل على الشدّة والغلظة والقساوة والقوّة بما يتجافى مع موحيات الرّقة والضّعف في صوت التّاء. وإن كان تابعاً: كما في نهاية المصادر فهو من حيث تأثيره في معانيها، أو من حيث التزامه بطبقته الحسيّة أضعف منه في أوّل المصادر. مما يقطع بأنّه من الحروف الضّعيفة الشّخصية، إذ اقتصر تأثيره على***

(١) الفتوحات المكيّة، م. س. السفر الأوّل ص.ص ٣١٠-٣١١.

(٢) العلايلي، عبد الله، مُقدّمة لدرس لُغة العرب، وكيف نصنع المعجم الجديد، م. س. ص ٣١٣.

تلطيف معاني بعض المصادر المطبوعة أصلاً بخصائص أصوات الحروف المشاركة الأخرى.»[١] التفسير مضطرب بين الرّقة والضعف من جهة والقسوة من جهة أخرى، لا يمكّننا من القطع بالمعنى المقصود. ويدل عند إياد الحصني: «***على التأنيث بصفة عامّة، مثل: فتحة، حفرة، شجرة، كلمة، إمرأة، آنسة، سيّدة ..إلخ.***»[٢] لم يضف لنا توضيحاً لمعنى اسم التّاء، بل وصف استخدامه. وعند محمد عقل[٣] من التواء «***والتواء وهو الوشم، ورسمت بالمسند هكذا:*** (X).» عند التحوّل ألغي القسم الأسفل وتمدّدت أفقيّا.

أشرنا إلى أنّ التّاء جاذب للحركات ولا ينجذب إليها، وهذا السّلوك غير مرن. وهذا ما يفسّر أنّ المستعمل من الثلاثيّ المبتدأ بحرف التّاء لا يتجاوز ما نسبته ٢٥٪ من الاحتمالات الممكنة. وأنّ الاحتمالات الأُخرى لا يمكن أن تستعمل لتعذّر التقاء حروفها. لاحظنا كذلك أنّ الحروف الّتي لا تتبع التّاء في تسلسلات أصليّة، هي: الدّال والزّاء والصّاد والضّاد والظّاء؛ حيث التّاء لا يتحرّك وإنّما يجذب الحركات له؛ فحركات هذه الحروف لا تتجاذب مع التّاء: فالدّال مُندفعة لا منجذبة، والزّاء لها بروز مادي لا تفيد التاء في تكوين حركات معها، والصّاد تصد الحركات، والضّاد تقاوم وتقيّد وتكثّف في الالتزام بعدم الانحراف أو الميل عن وجهتها لا قبل للتاء على تحريكها. وكذلك الظّاء التي تضخّم المظهر لا تلبّي مطلب الانجذاب إلى التّاء.

---

(١) **خصائص الحروف العربية ومعانيها**، م. س. ص،ص ٥٨-٥٩، بتصرف.

(٢) الحصني، إياد: **معاني الأحرف العربيّة**، م. س. ص ٤٥-٤٦.

(٣) عقل، محمد، **ابجدية القرءَان من مملكة سبأ**، م. س. ص ٥١.

حرف الثّاء

ثاء+ ألف المد+همزة

المُسمّى الأبجديّ المتعارف عليه للحرف هو: ث-ا-ء

مخرج حرف الثّاء: طرف اللّسان وأدنى سقف الثنايا.

ترتيب الحرف: الثّاء هو الحرف والثالث والعشرون في ترتيب الأبجديّة العربيّة، والرّابع في ترتيب حروف الهجاء العربيّة. يساوي عدديّاً الرّقم (٥٠٠) في حساب الجُمَّل. وفي الترتيب الصّوتيّ القديم يأتي في التّرتيب التّاسع عشر عند الخليل بن أحمد، والخامس عند ابن جنّي. وفي الترتيب الصّوتيّ الحديث يأتي في التّرتيب الخامس عند علماء الصّوتيّات المعاصرين في أغلب البلاد العربيّة.

سبب حدوث الحرف: عند نُطق الثّاء يوضع اللّسان بين أطراف الثّنايا العليا والسّفلى، بصورة تسمح بمرور الهواء من منفذ ضيّق، فيحدث الاحتكاك مع عدم السّماح للهواء بالمرور من الأنف، ولا تتذبذب الأوتار الصّوتيّة عند نُطقه. وعند ابن سينا: ***«الثّاء تخرج باعتماد من الهواء عند مخرج الثّاء بلا حبس، ويحبس عند طرف الأسنان، ليصير الخلل أضيق، فيكون صفيرٌ قليلٌ مع القلع، وكأنّ الثّاء سينٌ تُلفيت بحبس وتضييق فَرَجِ مسلك هوائها الصّفّار»***[١].

(١) إبن سينا، م. س. ص. ١٢٢.

الصّفات الصّوتيّة: الثّاء صوت احتكاكي مهموس يصدر ممّا بين الأسنان وطرف اللّسان؛ والثّاء من الحروف الشّمسيّة، تختفي معها لاَم (أل) التعريف نُطقاً لا كتابة، مثل: الثّوب.

الصّفات الكتابيّة: الثّاء من الحروف المعجمة (المنقوطة) بثلاث نقط من فوقها. ويُكتب حرف الثّاء مفرداً هكذا: ث، في مثل: ورث، ومتصلاً بما قبله هكذا: ـث، كما في: عبث، ومتصلاً بما بعده هكذا: ثـ، كما في: ثورة، ومتصلاً بما قبله وما بعده هكذا: ـثـ، كما في: منثورة.

دلالة اسم الثّاء من خلال حروفه

- الثّاء: يلاحظ الرّبط بينه وبين التّاء كصوت جاذب للحركات، وألف المد تبعتها الهمزة مستردّة النَّفَس إلى الدّاخل بعد التوصيل.
- ألف المد: من التأليف؛ أي تشكيله من خلال تعامد حركته بين الزّمان والمكان؛ أي همز منفتح مستمر متابع، لأجل الثبات والمقاومة، بالتآلف والتّوفيق.
- الهمزة: تهمز وتحفّز الحركة ذهاباً وإياباً لتؤكّد الحضور لملاقاة مطلب الثّاء عند ولوج بابي الزّمان والمكان، فتسترد حركتها بعد الانطلاق.

تسلسل (ث–ا–ء): الثّاء متابع للتكاثر الكمّيّ كما في: مَثنى: مثلث، مثل، ثلاث، بعث، بعثر، ثرثر، ثمر، نثر، ثرى، ثار، أنثى. وفي كثير: الكاف تكبير، والثّاء تكاثر، فكلمة كثير تعبر عن تضاعف حرف الكاف، وبالكثرة. يلاحظ هنا دور حرف الرّاء الّذي يعني التكرار.

الاقتران الثُنائيّ لحرف الثّاء بصفته متبوعاً

ثـم: المُثم في المعاجم: المصلح، والثّم: الجمع، ووفقاً للمعنى الحركي؛ فهو ليس أيّ إصلاح، وإنّما لما فيه إتمام وجمع، بتضمين الزّيادة والتّوفيق؛ حيث نقول وثَمَّة أمر آخر. تسلسل ثُمَّ يتضمن في داخله التّثنية لغرض الإتمام بحرف الميم، المتابع للثاء. وفي التّنزيل: ﴿وَلِلّه الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّه إِنَّ اللّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة١١٥؛ فمظهر عظمة وجوده في كلّ ما

ترى. وفي قوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجاً..﴾ فاطر١١، فالجعل لإتمام التّزاوج بثمَّة الّتي تفيد، كما قلنا، تتابع الإنشاء والإتمام. وفي التّنزيل أيضاً: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً﴾ الإنسان٢٠؛ فما تراه ظاهراً له مدلول. إنْ تعمّقت في تكوين الرّأي الحصيف لوجدت فيه النّعيم، وليس فقط ما وقع تحت نظرك للوهلة الأولى. وفي القول إنّ ثُمّ حرف عطف يدلّ على الترتيب والتّراخي، فالمعنى الحركيّ لا يوحي إلّا بالمقاومة والثّبات، ولنا أنْ نسترشد أيضاً، بمواقع ثُمّ في الشّعر القديم. قال عَنْتَرة:

أبصرتُ ثُمَّ هَوَيْتُ ثُمَّ كَتَمتُ ما   ألقى ولم يعلم بذاك مُناجي
فوصلتُ ثُمَّ قَدَرتُ ثُمَّ عففتُ من   شَرَفٍ تناهى بي إلى الإنضاجِ

ثـر: هنا تكاثر مُتكرّر بانتظام. في المعاجم: الثّر والثّرثرة والثّرّة: نبع غزيرة الماء، وعين غزيرة الدّمع، الثّرثار والثّرثرة: التّشدّق بالكلام وكثرة الرّغي في الموضوع، والإثارة: ما يثير الأحاسيس؛ أي يُفاعلها ويكثر تجيّشها، فالتكرار أكّد التّكاثر وثبّته، والثّروة: كثرة المال وغيره، والثّرى: هو لكثرة ذرّات التّراب والرّمل. قال ميخائيل خير الله وردي[1]:

إن كان حُبُّ التّسامي مَحضَ ثَرْثَرَةٍ   فهيبَةُ الصّمتِ فاقت ضَجَّةَ الدُّوَلِ

ثـج: حركة التكاثر بالثاء اتصلت بها جيم الدّمج لحصرها في نطاق مُحدّد. في لسان العرب: الثَّجُّ الصَّبُّ الكثيرُ، وخص بعضهم به صَبَّ الماء الكثير، والثَّجُّ: سفكُ دماء البُدْن والأضاحي وغيرها. والثَّجُّ: السَّيَلانُ، ومَطَرٌ مِثَجٌ وثَجَّاجٌ وثَجيجٌ. وفي التّنزيل: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجاً﴾ النبأ١٤. نلاحظ عند الاقتران اللّفظي بين المُعصرات والّتي هي حركة تفيد الشّد للإسالة كما عصر العنب وغيره، وثجاجاً؛ ما يدل أنّها قد أخرجت الماء على شكل الثّج؛ أي التّدفّق بحركة الثّاء وهي الكثرة مع جيم الدّمج. قال أبو ذؤيب:

---

(١) ميخائيل بن خير الله وردي، شاعر وأديب سوري، درس الموسيقى والتصوير وأسس النادي الأدبي والنادي الموسيقي في دمشق، ورشح كتابه (فلسفة الموسقى الشرقية) لجائزة نوبل. له ديوان زهرة الرّبى، (١٢٨٥-١٣٦٥هـ، ١٨٦٨-١٩٤٥م).

سَقى أمَّ عَمرٍ وكلَّ آخرِ ليلةٍ حَناتمُ[1] سُحّمٌ ماؤهُنَّ ثَجيجُ

وفي قول امرئ القيس:

ثَجَّ حَتّى ضاقَ عن آذيِّه[2] عَرضُ خيمٍ فَخُفاءٍ فَيسرُ

قال صفي الدّين الحلّي في قصيدة له محبوكة بحرف الثّاء:

ثقتي بغيرِ هَواكُمُ لا تَحدُثُ ويَدي بحبلِ وصالكم تتَشبَّثُ

ثَجَّ الهَوى فَأَنا الغَريقُ بِلُجَّه لكنَّني بِحِبالِكُم أتَشَبَّثُ

معاينة المتغيرات عند عكس ترتيب الحروف

م-ث: ميم التّكامل بتوفير النّواقص في مسعى للتكاثر بتريّث وثبات هو توجّه التسلسل. التكامل والإتمام هنا هو من يسعى إلى التكاثر، فهل من تكاثر بعد الإتمام والتكامل؟ الحركة هنا هي مقلوب (ثمّ)، وفيها تضليل وتزييف مَظهري؛ أي أنّ التكاثر منتج من التكامل، وهل يتشكّل التكامل والإتمام من الكثرة؟ من المفيد النّظر في التسلسلات التي تستند إلى (مث)، كما في: مثل، مثنى، ومثوى وغيرها. مثّ مُعجمياً: مسح بالدّهن أو بالسّمن. ومثّ الزّق: عرق ورشح، والمثمثة: التخليط المث في المعاجم: للعظم إذا سال منه الودك، ومثّ الجرح: دهنه ومثّ السّقاء والزّق: رشح، ومثّ الرّجل: عرق وظهر الدّهن في محيّاه. وفي قول الفرزدق:

تقولُ كُليبٌ، حينَ مَثَّت جُلودُها وأخصبَ من مَرُوتها كلُ جانبِ

وقيل مثّ: مسح يده ممّا علق بها من دهن وغيره، كما في شعر امرئ القيس:

نمثُ بأعراف الجياد أكُفَّنا، إذا نحن قُمنا عن شواء مُضهَّب

والمَثْمَثَةُ: التخليطَ. يقال مَثْمَثَ أمرهم إذا خلَّطه. ومَثْمَثَهُ أيضاً مثل مَزْمَزَهُ، عن الأصمعيّ. يقال أخذه فمَثْمَثَهُ ومَزْمَزَهُ، إذا حركه وأقبلَ به وأدبر. وأنشد:

ثُمَّ استَحَثَّ ذَرْعَهُ استِحْثاثا نَكَفْتُ حيث مَثْمَثَ المِثْماثا

---

(١) حناتم في لسان العرب، والواحدة حَنتمةٌ، وأصل الحَنْتَم الخضرة، والخضرة قريبة من السواد، والحَنْتَم قال أبو عبيد هي جرارٌ حُمْرٌ كانت تُحْمَلُ إلى المدينة فيها الخمرُ، وقيل للسحاب حَنْتَم وحَناتم لامتلائها من الماء شُبِّهَتْ بحَناتم الجرار المملوءة.

(٢) ثج: سال. الآذى: الموج وخيم وجفاف ويسر: مواضع.

ر-ث: الرّاء حركة تكرار مُنظّم، والثّاء تكاثر بتريّث وثبات. التكرار المُبتدأ به يضمر إدراك صعوبة المسعى، وصعوبة التحقيق أحياناً إنْ لم تتجدها حركة مميّزة. رث هنا مقلوب (ثر) الّتي قلنا إنّ الثرثرة تكاثر مُتكرّر، فلماذا استعملت مُعجمياً بمعنى البالي من الثّياب والحبل ورديء المتاع، وكنية الجريح غير المأمول شفاؤه؟ مَنطقياً الثّابت غير متكاثر، والمتكاثر غير ثابت، لذا سعت حركة الرّاء إلى الاستعانة بالثّاء لإظهار دلالة الفناء، فما هو رث يمثل مرحلة من مراحل ثبات دورة الحياة. كما في لفظتي ورث ويرث. قال الهبل[1]:

لا تَعتَبِر ضَعفَ حالي واعتبر أدَبي وغُضَّ عَن رَثِّ أطماري وأسمالي

وقال معن بن أوس المزني[2]:

وباعَ الغواني بالّتي رثَّ وصلُها وإن كان ما أعطى قليلاً مُصرّدا

ج-ث: كما في باء الانبثاق التكاثر مُتعارض مع الدّمج، وحيث الجيم ابتدأت باستيعاب دور الثّاء لمتابعة التكاثُر الكمّي ودمجه؛ وبما أنّ الدّمج تكتّل داخلي لا يقبل المرونة وهو بحاجة الجهد للجمع والتماسك، ويحتاج إلى ما يدمج أو يندمج به، أظهر هنا التصاق الجيم بثاء التّكاثر، محاولة الدّمج تثبيت الثّاء وجذب حركتها إلى الدّاخل. وفي معجم مقاييس اللّغة، الجيم والثّاء يدلّ على تجمُع الشّيء. وهو قياسٌ صحيح. فالجُثّة جُثَّة الإنسان، إذا كان قاعداً أو نائماً. والجُثّ: مجتمِعٌ من الأرض مرتفِعٌ كالأكَمَة. قال ابنُ دريد: وأحسب أنّ جُثَّة الرّجل من هذا. ويقال الجَثُ قَذىً يخالط العَسَل. وهو الذي ذكره الهذلي:

فما بَرِحَ الأسبابُ حَتَّى وَضَعْنَه لَدَى الثَّوْلِ ينفي جثَّها ويؤُومُها

ويقال: الجَثُ الشَّمع. والقياس واحد. ويقال نَبْتٌ جُثاجِثٌ كثيرٌ. ولعلَّ الجَثجاثَ من هذا. وجُثِثْتُ من الرَّجل إذا فزعْتَ، وذلك أنّ المذعور يتجمّع. فإن قالَ قائل: فكيف تقيس على هذا جَثَثْت الشيءَ واجتثَثْته إذا قلعتَه، والجَثِيث من النَّخل الفَسيل، والمِجَثَّة الحديدة التي تَقتلِعُ بها الشيء؟ فالجواب

---

(١) حسن بن علي بن جابر الهبل اليمنيّ، شاعر زيدي عنيف، يسمّى أمير شعراء اليمن. (١٠٤٨-١٠٧٩هـ، ١٦٣٨-١٦٦٨م).

(٢) معن بن أوس المزني: معن بن أوس بن نصر بن زياد المزني، شاعر فحل مخضرم، (؟-٦٤هـ، ؟-٦٨٣م).

أنّ قياسَه قياسُ الباب؛ لأنّه لا يكون مجثوثاً إلّا وقد قُلِعَ بجميع أصوله وعُروقه حتّى لا يُترَك منه شيءٌ. فقد عاد إلى ما أصّلناه. من ذلك يمكن فهم المعنى المعجميّ، في أنّ الجَث: القطع؛ أي جذب بقوّة للدّمج، والاجتثاث: القطع من الجذور، وهنا يظهر أساس التكاثر وهو الجذور فتحوّل إلى فصل وقطع ما يؤسّس للتكاثُر. ورد في التّنزيل في الشّجرة الخبيثة: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ إبراهيم٢٦. والجِث بالكسر: البلاء. وجثأ ومجثوث؛ إذا انتزع. ومنها الوصف لجثّة المتوفّى. وفي قول أبي العتاهية:

كَأَنْ لَمْ أَكُنْ حَيّاً إذا اجْتَثَّ غاسلي وأحكَمَ دَرجي في ثِيابِ بياضِ

وفي قول حسن حسني الطويراني(1):

وَخَيرُهم من هامَ بالكُلِّ قَلبُه فإنْ جُثَّ غُصنٌ مالَ عنه إلى الأُخرى

وقال أبو هلال العسكري(2):

ما الحزمُ إلّا في اجتثاثِ أُصولِه والأيمُ لم يُؤمَن إذا لَم يُقتَلِ

إضافة حرف بادئ، على التسلسلات:

ج-ث-م: جيم الدّمج ابتدأت بتفعيل دور الثّاء لمتابعة التّكاثر الكمّي، وهي ابتداء مُعاكسة لحركة (ثج)، ودخول الميم للتكامل بالنّواقص، أضاف بعض الاستقرار المدمج؛ ذلك أنّ الدّمج يحتاج إلى ما يدمج، أو يندمج به؛ فكأنّه دمج داخلي لجسم منفلت الأجزاء ممّا استدعى ميم التكامل. في مُعجم مقاييس اللّغة، الجيم والثّاء والميم أصلٌ صحيح يدلُّ على تجمُّع الشّيء. فالجُثّمان: شخص الإنسان. وجَثَم، إذا لَطئَ بالأرض. وجَثَم الطّائر يَجثُمُ. والجثم بالمكان مُعجمياً: تلبّد، وجثمت الدّابة: بركت، والجثمان: جسد الميت

(١) حسن حسني الطويراني: حسن حسني بن حسين عارف الطويراني، تركي الصل، نشأ في القاهرة، وجال في إفريقيا وآسيا واقام بالقسطنطينية إلى أن توفي، له عدة مؤلفات باللغتين، (١٢٦٧-١٣١٥هـ، ١٨٥٠-١٨٩٧م).

(٢) أبو هلال العسكري: الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري أبو هلال، عالم بالأدب، تآليفه كثيرة منها: ديوان المعاني، والفروق في اللغة، وجمهرة الأمثال، وكتاب الصناعتين، النثر والشعر، (٢١٠-٣٩٥هـ، ٩٢٢-١٠٠٤م).

المُتلبّد، وفي التّنزيل: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ الأعراف٧٨. قال النّابغة:

فإذا لَمَستَ لَمَستَ أجثمَ جاثِماً   مُتَحَيِّزاً بمكانه ملءَ اليَدِ

ع-ث-ر: حركة العين لمعاينة المعطيات واتضاح المُبهم فيها. الثّاء تكاثر بثبات وتريّث. والرّاء إعادة تكرار حركة المُعاينة المنفلتة والمنقسمة على نفسها، يخفي التسلسل تخبّطاً في إظهار حقيقة المنظور أو المحتوى بسبب الانقسام. فالمعاينة المطلوبة متكاثرة ومتعدّدة المهام. ربّما هي معاينة في المعاينة. لذا أخذت معنيين متناقضين نسبة للمعاين، كالسّقوط والاكتشاف، لكنّهما في المعنى الحركيّ ينمّان عن وجود عامل غير متوقّع أثّر في المعاينة، ممّا أوحى بطلب المَزيد من الانتباه، لاستبطان وإضمار أنّ المخفي أعظم. معجم مقاييس اللّغة، العين والثاء والرّاء أصلان صحيحان، يدل أحدهما على الاطّلاع على الشيء، والآخر على الإثارة للغُبار. فالأوّل عَثَر عُثُوراً، وعثر الفرسُ يعثُر عثاراً، وذلك إذا سقَطَ لوجهه. والأصل الآخر العِثْيَر والعِثْيَرة، وهو الغُبار الساطع. قال بعض أهل العلم: إنّما قيل عَثَر من الاطّلاع، وذلك أنَّ كلّ عاثرٍ فلا بُدَّ أن ينظر إلى موضع عَثْرته. ويقال: عَثَر الرجل يعثُر عُثوراً وعَثْراً، إذا اطّلع على أمرٍ لم يطّلع عليه غَيرُه. هنا الإطّلاع عل سرِّ الآخرين أو ما هو مُخبَّأ. وفقاً للمعنى الحركي هو ليس مجرّد إطلاع وإنّما الارتطام بالشيء نتيجة التخبّط، أو بعامل الصّدفة، وقع على الأثر والمعلومة المخفية، حيث التكرّار يفيد مقاومة استدعته المعاينة. فأمَّا قولهم: ما رأيتُ له أثراً ولا عَثْيَراً، فقالوا: العَثْيَر: ما قُلِب من تراب أو مَدَر. وهو ارجعٌ إلى ما ذكرناه. وعثر مُعجمياً: كبا وزل. عثر به فرسه: سقط، ولسانه: تلعثم، والعثرة: حفرة مموهة للإيقاع بالطريدة والصّيد، والعاثور: المهلك وهي المصائد. قال عَنْتَرة:

ولَرُبَّما عَثَرَ الجَوادُ بِفارسٍ   ويَخالُ أنَّ جوادَهُ لم يَعثُرُ

وفي التّنزيل: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ..﴾ الكهف٢١، و﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْماً..﴾ المائدة١٠٧. قال الغشري[1]:

ما ضرَّ من عثر الدهرُ الخئون به حيناً توارى بآدابٍ وأجناسِ

ع-ث-ج: عين مُعاينة المُبهم واتضاحه في تكاثر للمعطيات تابعتهما حركة جيم الدّمج. قلنا في (ثج): أنّها حركة تفيد الشّد للإسالة، وأنّ حركة الجيم تدمج حركة التّكاثر في مُعاينة مُحدّدة، على خلاف ما أشرنا إليه عند دخول الرّاء في (عثر)، حيث دخول جيم الدّمج على حركة الإيضاح المنقسمة على نفسها بانفلات، حطّت من حركتها المرتبكة أصلاً. عَثَجَ يَعْثَجُ عَثْجاً وعَثَجَ مُعجمياً: أدمَنَ الشُرْب شيئاً بعد شيء، والعُثْجَة كالجُرْعة، والعَثْجُ والعَثَجُ: جماعة النّاس في السفر، والعَثْجَجُ: الجمع الكثير، والعَثَوْثَجُ والعَثَوْجَجُ: البعير الصخم السريع المجتمع الخلْق وقد اعْثَوْثَجَ واعْثَوْجَجَ اعْثيجاجاً، ومرَّ عَثْجٌ من الليل وعَثَجٌ؛ أي قطعة. وانْعَنْجَجَ الماءُ والدَّمعُ سالا، وقيل: إدمان الشّرب شيئاً بعد شيء وجرعة بعد جرعة، والعثجج: الجمع الكثير. ونحسَب أنّه ليس مُجرّد جمع وإنّما اكتظاظ يفصح عن ضيق، وفي قول الرّاعي النّميري:

بَناتُ لَبونِه عَثَجٌ إليه يَسُفْنَ اللّيتَ منْهُ والقَذالا

استطلاع المتغيّرات مع إضافة حرف لاحق على التسلسلات

ث-م-ر: حركة التكاثر بتريّث وثبات تكاملها حركة الميم وتكرّرها حركة الرّاء تفعيلاً للتكاثر المتكامل. في معجم مقاييس اللّغة تسلسل: الثّاء والميم والرّاء أصلٌ واحد، وهو شيءٌ يتولّد عن شيءٍ مُتجمّعاً، ثُمَّ يُحمَل عليه غيرُه استعارةً. التكاثر هنا ليس عشوائيّاً بل مدروس يأخذ وقته كي يتكامل، ويكرّر النّتائج باستمرار؛ ذلك أنّ الثّمر ينضج من تكاثر الحبّ والزّرع. فالثَّمَر معروفٌ. يُقال ثَمَرَةٌ وثَمَرٌ وثمارٌ وثُمُر. والشّجر الثّامر: الذي بلَغَ أوانَ يُثْمرُ. والمُثْمر: الذي فيه الثَّمَر. كذا قال ابن دريدُ. وثمّر الرّجلُ مالَه أحسَنَ القيامَ عليه.

---

(١) الغشري: سعيد بن محمد بن راشد بن بشير الخليلي الخروصي، من شعراء القرن الثاني عشر، غير معروف تاريخ ميلاده ووفاته.

ويقال في الدعاء: «ثَمَّرَ اللهُ مالَه» أي نمّاه. والثّميرة من اللّبن حين يُثْمرُ فيصيرُ مثلَ الجُمَّار الأبيض؛ وهذا هو القياس. ويقال لعُقْدَة السَّوط ثَمَرة؛ وذلك تشبيهٌ. وفي قول أبي العلاء المعرّي:

لا علمَ لي بِمَ يُخْتَمُ العُمُرُ   شجرُ الحياة، لهُ الرّدى ثُمُرُ

ث-ر-ى: هنا حركة راء التّكرار لحقت بحركة ثاء التّكاثر الكمّي، ثُمّ ولجا مَعاً بابي الزّمان والمكان ليشكلا حالة تراكميّة. الثّرى مُعجميّاً: التّراب وقيل: النّدي منه؛ لأنّه يحفل بالحياة وبالنّماء، وفي التّنزيل: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ طه٦. والثّريّ والثّروة: كثرة المال والعدد. قال حاتم[1]:

وقد علِمَ الأقوامُ لو أنَّ حاتِماً   أرادَ ثَراءَ المال، كان لَهُ وَفرُ

ث-ج-م: قلنا في (ثج) أنّها حركة تفيد الشّد للإسالة، ودخول ميم التّكامل أتمَّ وراكم ما تمَّ وتكاثر سيلانه. في معجم مقاييس اللّغة، الثّاء والجيم والميم ليس أصلاً، وهو دوام المطر أيّاماً. يقال أثْجَمَت السماءُ إذا دامَتْ أيّاماً لا تُقْلِع. وأرَى الثاء مقلوبةً عن سين، إلّا أنّها إذا أُبدلت ثاءً جعلت من باب أفعل. قالوا: الثجْم سُرْعة الصَّرْف عن الشيء. وقيل: سرعة الصَّرف وسرعة المطر. وكلّ شيء دام؛ فقد ثجم. وفي قول المعرّي:

أرى الدَّولاتِ فيكِ وإن تَمادَت   غَمائمَ أثجَمَت بوَشيكِ هَمعِ

استطلاع المتغيّرات بإدخال حرف في وسط التسلسلات

ث-ل-م: ثاء التّكاثر بتريّث وثبات، في توجّه توصيل التحامي باللّام وتكامل النّواقص بالميم؛ فهي تضمر حاجة تقتضيها مهمّة الثّاء لتحقيق البقاء والثّبات. وفي معجم مقاييس اللّغة: الثّاء واللّام والميم أصلٌ واحد، وهو تَشَرُّم يقَع في طَرَف الشّيء، كالثُّلْمة تكون في طَرَف الإناء. وقد يسمَّى الخَلَل أيضاً ثُلْمة وإن لم يكن في الطَّرَف. وفي قول لسان الدّين بن الخطيب:

(١) حاتم الطّائي: حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطّائي، القحطاني أبو عدي، يضرب المثل بجوده، من نجد، تزوج ماوية الغسانية، (؟-٤٦ق.هـ ؟-٥٧٧م).

وياقوتَةٍ قد مَحَّصَ الدَّهرُ سِنخَها   صَليّاً فَلا تَلبٌ لَديها ولا ثَلمُ

ث-ا-ر: هنا حركة ثاء التّكاثر بتريّث وثبات ولجت بابي الزّمان والمكان، فتبعت حركة راء التكرار أمر التّكاثر في مسعى ولوجه. التكرار هو لتعزيز ثبات ولوج التكاثر، وفيه إضمار ممانعة ممّا أوجب تكرار الولوج لتثبيت تكاثره؛ وهذه حالة الثّورة. ثار ثورة وثوراناً، مُعجمياً: هاج، وثورة الغضب: حدّته. وثار الغبار والدّخان والبركان: اشتد في الأفق. وفي قول إبراهيم الطّباطبائي:

إذا ثارَ في الصّفين نَقعُ عَجاجةٍ   يخوضُ عَجاج النَّقعِ شَعثاً ذوائبُه

ث-ل-ج: هنا اللّام والجيم متجانسان في حركة التلاحم والدّمج. وهذه حال الماء عندما يتحوّل إلى ثلج. فالثلج جمود الماء وتلبّده، وفي القول أثلج صدره كناية عن الفرح بعد القلق بسبب تلبّد التّوتر وبرودة القلق. وثَلجْتُ بهذا الأمر، إذا استيقنته، وفرحت به. وما أثلجني به، وقد أثلجني بهذا الأمر؛ أي: وثقت بقوله إنّه فاعله؛ قال الصّرصري[1]:

ويَجيءُ قَومٌ لا أَمانَةَ عندَهم   من عُصبَةِ ثلج البُطون سمان

وقيل: رجلٌ مثلوج الفؤاد: البليد العاجز. والمعنى أنَّ فؤادَه كأنّه ضُرِبَ بثَلْجٍ فَبَرَدَتْ حرارتُه وتبلّد. قال حاتم الطّائي:

ينامُ الضُحى حتّى إذا ليلُهُ استَوى   تنَبَّهَ مَثْلُوجَ الفؤادِ مُوَرَّما

استخلاص النّتيجة بمعيار العقل

نستخلص مما سبق، أنّ حرف الثّاء يفيد حركة تكاثر والتثنية بتريّث وثبات، وليس اعتباطاً أنّ كلّ هذه الصّفات فيها ثاء. فهو من أحرف التّشعّب والبقاء، لأجل الثبات والمقاومة؛ فهو متابع للتكاثر الكمّي.

حرف الثّاء عند ابن عربي[2]، من عالم الغيب والجبروت واللّطف، له الخُلُق والأحوال والكرامات، وله الذّات والصّفات والأفعال.

---

(١) الصّرصري: يحيى بن يوسف بن يحيى الأنصاري، من صرصر قرب بغداد، قتله التتار يوم دخلوا بغداد، كان ضريراً، (٥٨٦-٦٥٦هـ، ١١٩٢-١٢٥٨م).

(٢) **الفتوحات المكيّة**، م. س. السفر الأوّل ص ص ٣١٩-٣٢٠.

الثاءُ ذاتية الأوصاف عاليةٌ — في الوصف والفعل والأقلامُ توجدُها
فإن تجلّتْ بسر الذات واحدةٌ — يوم البداية صار الخلق يعبدها
وإن تجلّت بسر الوصف ثانية — يوم التوسط صار النّعت يَحْمَدها
وإن تجلّت بسر الفعل ثالثةٌ — يوم الثلاثاء صار الكون يُسعدُها

هذا الوصف يحتاج إلى تأويل، ويتضمن إسقاطات صوفيّة، لا تنسجم مع بحثنا في كشف دلالة الحرف من خلال تآلفه مع الحروف الأخرى، أو مفارقته لها.

يدلُ حرف الثّاء عند الشّيخ العلايلي: ***«على التّعلق بالشّيء تعلّقاً له علامته الظّاهرة، سواء في الحس أو المعنى.»***[1] الوصف هنا لا ينمّط الدّلالة الّتي يمكن البناء عليها في تأليف الكَلام. ويدل عند حسن عبّاس؛ ***«على الشّق والانفراج والسّيلان، والبعثرة والتشتت والتخليط، وعلى الرّقة والطراوة والبضاضة ومتعلّقات الأنوثة.»***[2] الإشارة إلى الرّقة واللّين فيها تعميم، وأمّا البعثرة والتشتّت والتخليط، ففيها بعض المقاربة مع حروف مشابهة لكنّها لا تفرد لحرف الثّاء ما يخصّه. ويدل عند إياد الحصني: ***«على معاني التثنية؛ أي التضاعف والتكاثر والإنتاج، مثل: أنثى، ثرى، حرث، نثر.»***[3] وهو مقارب لمَا توصّلنا إليه. وعند محمد عقل: ***«الثّاء من الثّواء (الرّقود) والموت والمثوى (القبر)،[4] رسم في المسند بدائرتين تشيران إلى لف الرّأس والقدمين بالكفن، هكذا: 8 .»***[5] عند التحوّل الأفقي أُسجي الميت أُفقيّاً.

تبيّن لنا أنّ ما استُخدم أو ما أمكن استخدامه في الثّلاثيّ المبتدئ بحرف الثّاء، في المعاجم وديوان العرب، لا يتجاوز ما نسبته ١٩٪ فقط من الاحتمالات الممكنة، وذلك لعدم مقاربة بعض الحروف لبعضها إمّا بسبب قرب المخارج، أو لعدم

---

(١) العلايلي، عبد الله، مُقدّمة لدرس لُغة العرب، وكيف نصنع المعجم الجديد، م. س. ص ٢١٣.

(٢) خصائص اللّغة العربية ومعانيها، م. س. ص. ص ٦٣-٦٤. بتصرف.

(٣) الحصني، إياد، معاني الأحرف العربيّة، م. س. ص ٥٦.

(٤) في الثّوى والمثوى، ثاء التكاثر في توجّه تموضعي في حيّز مكاني مستمر بالياء. في معجم مقاييس اللّغة تدلُ على الإقامة. يقال ثَوَى يثْوي فهو ثاوٍ. والثّويّة والثّايَة: مأوى الغَنَم. والثّويَّة: مكان. وأمُ مَثْوَى الرّجل: صاحبةُ منزله. والثّايَة أيضاً: حجارةٌ تُرفَع للرّاعي يَرجع إليها لَيْلاً، تكونُ علماً له وقال الحارث بن حلّزة: آذَنَتْنَا ببَيْنِها أسماءُ رُبَّ ثاوٍ يُمَلّ منه الثّواءُ.

(٥) عقل، محمد، ابجدية القرءان من مملكة سبأ، م. س. ص ٥٣.

تلاقي معانيها لتشكيل مركّبات مقبولة في اللّسان العربي. وتبيّن لنا كذلك أنّ الحروف الّتي لا تلحق بحرف الثّاء هي الذّال والزّاء لاقتراب المخارج، ولكون البروز على أنواعه يمثّل ثباتاً؛ فلا قبَل للثّاء على مقاربته. أمّا حركة السّين في سلوكها للهيمنة لا ينسجم ولا يسمح للتكاثر بحركة الثّاء، والشّين هو من أحرف التشعّب كالثّاء، غير أنّ سلوك كلّ منهما في توجّه مختلف. أمّا الصّاد والضّاد وهما حرفا ثبات لا تقربهما الثّاء. والظاء الذي يضخّم المظهر لا يستقيم معه التريّث والثّبات، ولا يسمح تقارب المخارج بانتقال الحركة.

حرف الخاء

خاء+ ألف المد+همزة

المُسمّى الأبجديّ المتعارف عليه للحرف هو: خ-ا-ء.

مخرج حرف الحاء: سقف الثّنايا.

ترتيب نشأة الحرف: الخاء هو الحرف الرّابع والعشرون في ترتيب حروف الأبجديّة العربيّة، والسّابع في ترتيب حروف الهجاء العربيّة. يساوي عدديّاً الرّقم (٦٠) في حساب الجُمَل. وفي الترتيب الصّوتيّ العربيّ القديم يأتي حرف الخاء في الترتيب الرّابع عند الخليل بن أحمد، والثّالث والعشرين عند ابن جنّي. وفي الترتيب الصّوتيّ الحديث يأتي حرف الخاء في الترتيب السّابع والعشرين عند أغلب علماء الصّوتيّات المعاصرين.

سبب حدوثه: يُنطق برفع أقصى اللّسان، بحيث يكاد يلتصق بأقصى الحنك، ويكون هناك فراغ ضيّق يسمح للهواء بالمرور مع حدوث احتكاك. ولا تتذبذب الأوتار الصّوتيّة حال النُطق به. وعند ابن سينا: ***«تحدث الخاء من ضغط الهواء إلى الحدّ المشترك بين اللّهاة والحنك، ضغطاً قويّاً مع إطلاق، يهتزّ فيما بين ذلك رطوبات يعنُف عليها التّحريك إلى قدّام، فكلّما كادت أن تحبس الهواء زوحمت، وقُسرت إلى الخارج في ذلك الموضع بقوّة»[1]، فيحدث مثل حدوث الحاء، إلّا أنّه يكون أخرج، والموضع أصلب، والرّطوبات أقل***

---

(١) إبن سينا، م. س. ص ٧٣.

والزج، ويفعل التشظّي والتشعّب الانتقاض والاهتزاز، ويتدحرج الهواء بسبب ذلك على سطح الحنك كلّه[1].

الصّفات الصّوتيّة: الخاء صوت احتكاكيّ مهموس، يخرج من أقصى الحنك، وهو من الأصوات الحَلقيّة الرّخوة. وهو من الحروف القمريّة؛ تظهر معه لام أل التعريف نطقاً وكتابة، مثل: ألخبر.

الصّفات الكتابيّة: حرف الخاء من الحروف المُعجمة (المنقوطة) بنقطة واحدة أعلاه في جميع أوضاعه. ويكتب حرف الخاء، في خط النّسخ، مُفرداً هكذا: خ كما في: فرخ، ومتصلاً بما قبله هكذا: ـخ، كما في: فسخ، ومتصلاً بما بعده هكذا: خـ، كما في: خرج، ومتصلاً بما قبله وما بعده هكذا: ـخـ، كما في: فخذ.

دلالة الاسم من خلال حروفه

- الخاء: فيه دلالة الخيبة والخواء. يلاحظ التقارب بينه وبين الحاء كصوت رغم مناقضته له.
- ألف المد: من التأليف؛ أي التّشكيل من خلال تعامد حركته بين الزّمان والمكان، لأجل إخماد حركة التعاظم.
- همزة الألف: تهمز الحركة ذهاباً وإياباً لتؤكّد الحضور لملاقاة مطلب الخاء في ولوج بابي الزّمان والمكان، فتسترد حركتها بعد الانطلاق.

تسلسل الخاء: يناقض سلوك ومعنى حرف الحاء؛ حركته تفصح عن خواء التوجّه، مثل: صح: خطأ. ربح: خسارة. حياة: خواء، حب: خب.

استطلاع مُتغيّرات اقترانات حرف الخاء بصفته كمتبوعٍ وتابعٍ ومخترقٍ

الاقتران الثّنائي متبوعاً:

خ-ب: الحركة المنبثقة تفتح المجال من مكمن حركة إخماد تحمل بصمة الضّعف. فالمجال الّذي يتيحه لها الباء فيه وهن. في معجم مقاييس اللّغة، الخاء والباء

---

(١) إبن سينا، م. ن. ص ١١٤.

أصلان: الأوّل أنْ يمتدّ الشّيء طولاً، والثاني جنسٌ من الخداع. فالأوّل الخَبيبة والْخُبَّةُ: الطريقة تمتدُ في الرَّمل. ثمّ يشبّه بها الخرْقَة التي تُخْرَقُ طُولاً. ويُحمَل على ذلك الخَبيبة من اللَّحم، وهي الشَّريحة منه. وأمّا الآخَر فالخبُّ الخداع، والخَبُّ الخَدَّاع. وهذا مشتقٌ من خَبَّ البَحْرُ اضطَرَبَ. وقد أصابهم الخَبُّ. ومن هذا الخَبَبُ: ضربٌ من العَدْو. تراوح فيه الدّابة بين اليدين والرِّجلين، لا هو بالسّريع ولا بالبطيء، ويقال جاء مُخباً. ومنه خَبَّ النّبتُ، إذا يَبس وتقلّع، كأنّه يَخُبّ، توهَّم أنّه يمشي. والخَبخَبة: رخاوةُ الشيء واضطرابُه. وكل ذلك راجعٌ إلى ما ذكرناه؛ لأنَّ الخَدَّاع مضطربٌ غيرُ ثابت العَقْد على شيء صحيح. والخَبُّ: حبل من الرمل لاطيء بالأرض. والخُبَّةُ: مستنقع الماء، والخُبُّ: الغامض من الأرض، والجمع أخْبابٌ وخُبُوبٌ. قال الشّاعر:

وما أنتَ بالخَبِّ الخَتُور ولا الَّذي   إذا استُودِعَ الأسرار يوماً أذاعها

والخَبّ: النَّوْ واضطراب الأمواج. قال مجنون ليلى:

فأُقسِمُ لا أنساكِ ما ذَرَّ شارقٌ   وما خَبَّ آلٌ في مُعَلَّمَةٍ قَفرِ

خ-ض: هنا تنازع بين الإخماد والالتزام. فخاء الإخماد تقاومها حركة الضّاد لتدل على الضّم والالتزام بعدم الانحراف لوجود قوّة مضمرة للخروج. قيل في معجم مقاييس اللّغة تسلسل، الخاء والضاد أصلان: أحدهما قلَّة الشيء وسَخافته، والآخر الاضطراب في الشّيء مع رطوبة. فالأول الخَضَض: الخرز الأبيض يَلْبَسنه الإماء. والرّجُل الأحمق خَضَاض. ويقال للسَّقَط من الكلام خَضَضٌ. ويقال: ما على الجارية خَضَاضٌ؛ أي ليس عليها شيءٌ من الحُليّ. قال القَنَاني[1]:

ولَوْ أَشْرَفَتْ من كُفَّة السِّتْر عَاطلاً   لَقُلْتَ غَزالٌ مَا عَلَيْه خَضَاضُ

وأمّا الأصل الآخَر فتَخَضْخض الماء. والخَضْخاض: ضربٌ من القَطران. ويقال نبت خُضَخِضٌ، أي كثير الماء. تقول: كأنّه يتخضخضُ من رِيِّه.

(١) القَنَانيُّ: ورد البيت في مقاييس اللّغة، ج٢، ص٢٣٦، ربّما هو لأبي خالد القناني الخارجي المعروف، أو لأبي الدقيش القناني الغنوي اللّغوي المعروف، لم أتثبّت من هو القائل.

والخضخضة: تحريك الماء، وهي في المخيض: استخراج الزّبد، وأيضاً دخول في الجوف من سلاح وغيره، وخاض غمار الحرب: اقتحمها، وهنا تظهر في الحركة قوّة الإحاطة الّتي تحاول الإخماد، كما في قول صخر الغي:

فَخَضَضتُ صُفني في جَمِّه   خياضَ المُدابرِ قدحاً عَطوفا

خ-ل: الخاء إخماد الحركة، واللّام توصيل لإنتاج حركة جديدة في تلاحم، والتخلّل فيه حركة انسلال للتخريب والإفساد والوهن، لأنّه يفكّك الرّوابط ويفسد التركيب. الخَلُ كما هو معروف، عصير العنب والتّفاح وغيره إنْ تخلّلت تركيبته بالبكتيريا، فتغيّر طعمه الحلو إلى الحُموضة. والاختلال والمختل: الّذي تغيّرت طباعه وفسدت. والخلال: المنفرج بين شيئين كما في التّنزيل: ﴿..فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ..﴾ النور٤٣، و﴿..فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ..﴾ الإسراء٥، و﴿..ولأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ..﴾ التوبة٤٧. فالخَلل والخلال والتخَلخُل يمثّل حركة تفكّك للمترابط، سواء كان بفعل البكتيريا أو بالفتنة وزعزعة الإيمان أو بأداة حادّة، أو بغير ذلك. قال امْرُؤُ القيس:

فَكَرَّ إليه بمبْراته   كما خَلَّ ظَهرَ اللّسان المُجر

والخلُ والخليل قيل: الصّديق، وفي التّنزيل: ﴿..وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ..﴾ البقرة٢٥٤، كما ورد عند امرئ القيس:

وإن أتاهُ خَليلٌ يومَ مسغَبَةٍ   يقول: لا غائبٌ مالي وَلا حَرِمُ

والخُلّة: الخصلة والصّفة، كما في قول المعرّي:

كُلفتَ بدُنياكَ الّتي هيَ خُدعَةٌ   وَهَلْ خُلَّةٌ منها أغَرُ وأفرَكُ

نتوقّف عند قوله تعالى: ﴿..وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾ النساء١٢٥، و﴿الأَخِلَّاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ الزخرف٦٧. قيل في خليل: بدون خلل، غير أنّ الخليل والخلال والتخلخُل فيه معنى الخلل بل هو الخَلَلُ. وكيف نقرأ إذن معنى «لا بيع ولا خلّة» أو «خلال»، هل أيضاً كما قيل لحاجة الفقر إلى الله، وأنّ الله أحبّه محبّة لا خَلَل فيها؟ من خلال المعنى الحركي واستجلاء الباطن من الظّاهر، أرى لاقتران لفظة (خليلا) بفعل (اتخذ) وهنا

الله هو الّذي اتخذ إبراهيم أداةً وصفها بالخليل، لتخليل وخلخلة فكر ومُعتقدات مُجتمع ذلك الزّمن، والتأثير في مسار الإنسانيّة جمعاء بين عبادة الشّمس والنّجوم والأصنام، والتوجّه لعبادة الله.[1] والمهم الانتباه لمعنى وقصد (اتخذ) حركيّاً، حيثُ (اتخذ) من الأخذ وفيها اجتذاب الجهد للخروج من حالة خمود تعتري مفاعيل التمرير الحسّي.

النّظر في تسلسل (خ–ل) الخلاء، والخلوة، والخالي، وما يندرج منها، مع المقارنة بتسلسل (ح–ل)، نجد أنّ حرف اللّام الّذي يفيد التلاحم، هو ما توجّه إليه مقصد حركتي الحرفين الخاء والحاء. فكلمة حل: وحل بالمكان تفيد تلازم وترابط، بينما خل وخَل تفيد إخماد الترابط (التفكيك). وهذا ما يؤكد أنّ الخليل الّذي يتخلخل ويخلخل، وما مهمّة ودور إبراهيم إلّا ليخلخل معتقدات موروثة لإحلال غيرها. فقبل أن تثبّت مُعتقد يتوجّب تفكيك وخلع الملبوس القديم وتفريغ المحتوى السّابق.

معاينة المتغيّرات أيضاً، عند عكس ترتيب الحروف

ب–خ: الباء فتح مجال انبثاقيّ من مكمن، والخاء إخماد للانبثاق. الحركة مُفاجئة صوتاً ومعنى. إنْ تنطلق مثلاً متحمّساً لفتح الباب متوقّعاً تفاعُلاً وجوديّاً، تجد ما يخمد حماستك لسبب أو لآخر. بخ مُعجميّاً: كلمة تفيد التّعظيم والتفخيم، والفخر، والعرب تقول بخٍ لك بالتنوين: كلمة مدح وإعجاب بالشيء وقد شدّد حرف الخاء وتكرّر اللّفظ، فيقال: بخٍ بخٍ. قال أعشى همدان في عبد الرّحمن بن الأشعث:

بينَ الأشجِّ وبينَ قيسٍ باذخٌ   بَخٍْ بَخٍْ لوالده وَللمَولود

وباخ: سكن بعد فوزة، وعند العامّة باخ لونه: لم يعد ناصعاً، وبخّ: نثر الطّلاء من فمه أو من أداة بلا هواء، فهو انبثاق بضغط الهواء تمّ إخماده بإلصاقه على السّطح. قال الكميت:

تُنَفّضُ بُردَيَّ أمُّ عوفٍ ولم تطِر   لَنا بارِقَ بَخٍ للوَعيدِ وللرَّهبِ

---

(١) مقتطف من بحث «الأبعاد التنظيمية في القرءان» قيد الإعداد للمؤلف.

ض-خ: الضّاد حركة التزام بعدم الإنحراف، والخاء إخماد الحركة. هُنا الضّاد استعملت الإخماد لتوجيه حركتها، بحيث تسير بالاتجاه المطلوب. الضّخ والمضخّة مُعجمياً: دفع الماء والسّائل من أسفل إلى أعلى أو بقوّة. فلا يمكن التحكّم بالمادّة ورفعها دون إخماد ممانعتها. والضّخ: كلُ شيء يتحرّك ولا يُصوت خُثورة. والخَضيض: المكان المَنْبُوثُ تَبُلُه المطر. قال جواد الشبيبي[1]:

يَرشُفنَها ما ساغَ بالكأسِ شُربَةً وشُربَكَ من ضَخٍ وكأسُكَ من كَفٍّ

ل-خ: دمجت حركة اللّام ووصلت الأجزاء في بعضها، بما وفّرته لها خاء الإخماد من إخضاع للمتفرّقات. استعملت اللّام خاء الإخماد ليسهل عليها تشكيل حركة جديدة ونسيج ملتحم، فلا نستطيع لخ ومزج المادّة إلّا بعد إخماد ممانعتها ليتسنّى التحكّم بها. اللّخ عند العامّة: المزج بعنف. وهي لخ الخبز المبلول وغيره. ولخخ: اختلط، وهو سكران ملتخ. اللّخ في الكلام مُعجمياً: كثرته في الباطل. ولخ في كلامه أردف بعضه في بعض، وجاء ملتبساً على الفهم. واللّخة: القذارة. والملتخ: الطّريق إذا كان كثير المضائق والشّجر. وفي قول عمر بن أبي ربيعة:

في زمانٍ من المعيشة لَخٍّ قد مضى عَصرُهُ وهذا زَمانُ

مُعاينة دلالة حركة الخاء، إذا تمّ إدخال حرف ثالث، ابتداءً، وتوسّطاً، وانتهاءً

إضافة حرف بادئ على التسلسلات:

ن-خ-ب: النّون إنشاء المستمر للحركة، والخاء إخماد لها، ثُمّ تنبثق بالباء حركة من مكمن الإنشاء المُخمد تفتح لها المجال. الحركة تفيد تفريغ الصّفوة من الكثرة، وهذا لا يتم إلّا إن كانت حركة التكوين المستمرّة قد أخمدت، لوجود حرف الخاء بين نون التكوين وباء الانبثاق. أظهر تسلسل (ن-خ) كبت جماح الإنشاء، كما في إخضاع الحيوان والإنسان وإجباره على الرّكوع والخضوع. وفي (خ-ب) تبيّن أنّ قوّة الانبثاق من الإخماد تحمل بصمة الضّعف. التوجّه

(١) جواد الشبيبي: الشيخ جواد بن محمد بن شبيب بن ابراهيم بن صقر البطايحي، شاعر عراقي وعالم، (١٢٨٤-١٣٦٣هـ، ١٨٦٧-١٩٤٣م).

عند دمج تسلسل (ن-خ) بتسلسل (خ-ب)، في (نخب) يدل على أنّ حركة الإنشاء عاجزة عن تلبية مُهمّة الإنشاء، بسبب الإخماد الّذي واكب النّون، وفتح المجال الانبثاقيّ بعد الخضوع فيه استرجاع نون التكوين لمن يسهم بمشروعها، فهو مصحّح وموضّح لحركة الخضوع. نَخَبَ في المعاجم: اختار وانتقى، والانتخاب: الانتزاع والاختيار والانتفاع، فالانتزاع تفريغ مُحتوى، وهنا هو أفضل ما فيه وأكثره تميّزاً. والنّخيب أيضاً: الجبان وفاسد القلب، كقول جرير:

وَهَلْ أنْتَ إلّا نَخْبَةٌ من مُجاشِعٍ　　　تُرَى لحيَةٌ في غيرِ دينٍ وَلا عَقْلِ

وقول الطّغرائي:

ضنَّتْ لثاثُك للثّراءِ وَلَمْ تَرِيْ　　　نُخَبَ الثّناءِ مَعوضَةَ المعتاضِ

م-خ-ض: الميم تكامل الحركة بما ينقصها، والخاء إخماد مستلزمات الإتمام، وحركة الضّاد لتدل على الضّم والالتزام بعدم الانحراف أو الميل عن الإخماد، لوجود قوّة مضمرة للخروج كما في (خض). تقوم الضّاد في هذا التسلسل بتحديد وجهة ومُهمّة الإتمام واختيار المستلزمات بما يخدم الالتزام بالهدف الّذي تسعى لبلوغه. إحاطة الضّاد بحركة التكامل المُخمدة تمثل خضوعاً وطاعة. المخض في المعاجم: كثرة الحركة. حركياً هي ليست حركة عشوائيّة بل موجّهة ومحدّدة من خلال الضّاد، لذلك فيها ترقّب نتائج إيجابيّة، لذلك يُقال: «تمخّض الجبل فولد فأراً». مخاض المرأة: وجع الولادة. وفي التّنزيل: ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ مريم٢٣. والخض كما أسلفنا: التحريك، ودخول الميم لإتمام الخض كما المخيض في اللّبن. والمخيض: استخراج الزّبد من اللّبن بعد خض القربة. وإذا ما قورنت بلفظة محض أي بالحاء، ففيها منح الثّقة والتثبيت، بينما المخاض تحرّك الجنين للولادة. وفي قول ابن الرّومي:

مَخَضتُ فما اتّقى مَخضي بِزَبدٍ　　　وهل يعطيك زُبدَ الماءِ مَخضُ

وقول الشّاعر:

لقد تمَخَّضَ في قَلبي مَوَدَّتها　　　كما تمخَّضَ في إبريجه اللّبَنُ

د–خ–ل: مطلوب من اللّام هنا أنْ تلحم وتنسج حركة جديدة؛ وحيث أنّ الخاء قامت بإيقاف وإخماد اندفاع الدّال في (دخ)؛ وبما أنّ اللّام لا توصل أو تلحم أيّ شيء ليس له وجود حقيقي، فإنّها تقوم بإلغائه من الفكر. كأنّها وجّهت الإخماد لمصلحة الاندفاع؛ أي باتجاه الخارج، فتمكّنت بذلك من كسر وإخماد الممانعة وتوصيل قصد اندفاع الدّال. يُلاحظ أنّ حرف الخاء هو الذي سمح للدّخول كما للخروج، وهذا مؤشّر للخلخلة الّتي لولاها لما تمكّنت الدّال من الاختراق. أنظر للمقاربة تسلسل (د–ح–ل). دخل مُعجمياً: نقيض خرج، يلاحظ ما قلناه في تسلسل (خ–ر–ج)، وفي التّنزيل: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ..﴾ الإسراء٨٠، السّياق والاقتران اللّفظي هنا تويج بلفظة (صدق)، وكذلك بما يناقض الكبائر وهو المدخل الكريم؛ كما أيضاً: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيماً﴾ النساء٣١. و﴿وَلاَ تَتَّخِذُواْ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ..﴾النحل٩٤؛ أي مدخلاً للمكر والخديعة. هذا ما قامت به اللّام بإعادة ترتيب وتلاحم تسلسل(د–خ). قال أبو نُواس:

لو دَخَلَ النّارَ طَفى حَرَّها فماتَ من فيها من البردِ

وقال الفرزدق:

إنّ الزِّيارَةَ في الحياةِ ولا أرى مَيْتاً إذا دَخَلَ القبورَ يُزارُ

إذا أضفنا حرفاً لاحقاً على التسلسلات:

خ–ب–ر: هنا تنبثق الباء من مكمن حركة الإخماد. فالحركة المُنبثقة تظهر أثر قوّة الإخماد، وتحمل بصمة الضّعف. وما مجيء راء التكرار إلّا لمعاودة المحاولة، كما هي حال المتمرّن على العمل. فحركة الإخماد تنبثق وتنطلق من مكمنها حركة تتابع ثُمّ تكرّر بالرّاء ما استوجب إخماده. المُضمر وجود ضجّة أو قلق بانتظار توقّع حصول أو نفي لحدث؛ فأتى الخبر ليخمد ما كان متأجّجاً في النّفوس. خبر وأخبر واختبر مُعجمياً: علم وعرف ما صار ووقع أو حصل، وفي التّنزيل: ﴿..ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسْئَلْ بِهِ خَبِيراً﴾ الفرقان٥٩، و﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ الزلزلة٤؛ أي يصير نبؤها واقعاً مخبراً به. والخبر

من عالم الواقع، بينما النّبأ من الغيب. والمختبر: المجرّب والعلم بالشّيء، كما هي حال المتمرّن على العمل. يلاحظ استخدام الخاء تسلسل (ب-ر) وهو بدلالة الانفتاح؛ فالخبر منفتح إعلاناً كما قال زُهير:

قُلتُ لَها يا اربَعي أقُلْ لَك فِي   أشياءَ عِندي مِن علمِها خَبَرُ

والخَبار: أرض رخوة، كما في قول الشّاعر:

تَتَعتَعَ في الخَبارِ إذا عَلاهُ   ويَعثُر في الطَّريقِ المُستَقيمِ

خ-ض-ع: اتضاح المعاينة للمُبهم من حركة الخض، إذ أنّ حركة الضّاد تفيد الالتزام بعدم الانحراف. فالمعاينة تؤكّد الإخماد. خضع وخضوع مُعجَمياً: الانقياد والطّاعة، وهي إمّا لذل الحاجة والخوف، أو بسبب المَودّة والاحترام. وفي الضّعف والضّعة ما يؤشّر لعلاقة تراتبية مع الخضوع. وفي التّنزيل: ﴿..إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ..﴾ الأحزاب٣٢. لإلتحاق الضّاد بالخاء ثُمّ بعين المعاينة، في الحركة دلالة ذلّة تخفيض الرّأس إلى الأرض، كما في التّنزيل:﴿..فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ الشعراء٤. وقول ابن الأبّار:

فرقابهم من ذِلّةٍ خُضُعٌ   وصعابهم من خيفةٍ ذُللُ

خ-ل-د: خاء الإخماد في توجّه تلاحم نسيجي لإنشاء حركة مُخمدة مثبّتة جديدة، وباندفاع مقصود بالدّال إلى أبعد مدى. فالدّال ثبّت التوجّه الحركيّ وهو هنا الإخماد المتواصل والملتحم. خلد خلوداً مُعجَمياً: بقي ودام، ودار الخُلْد: الآخرة، اسمٌ من أسماء الجنّة لبقاء أهلها. وفي التّنزيل: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ الهمزة٣، و﴿..وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ..﴾ الأعراف١٧٦. والخَلَد بالتحريك: البال والقلب والنّفس، فتقول وقع في خَلَدي. والخُلد: ضرب من الجرذان. هنا التخلخل استعان بالدّال ليندفع في متابعة قصديّة. على خلاف تسلسل (د-خ-ل) حيث الخلخلة هي التي سمحت للدّال بالدّخول. وفي قول لَبيد:

وَغَلَبنَ أبرَهَةَ الَّذي ألفَينَهُ   قد كانَ خَلَّدَ فوقَ غُرفَةِ مَوكِلِ

وقال زُهير:

لمن الدّيارُ غَشيتَها بالفَرقَدِ		كالَوحْيِ في حَجَرِ المَسيلِ المُخْلدِ

إدخال حرف في وسط على التسلسلات:

خ–ر–ب: الخاء إخماد الحركة، والرّاء إعادة تكرارها. من معانى (خ–ر) السّقوط على الوجه استعطافاً وخضوعاً، وهو بالدّلالة الحركيّة الغياب عن الوعي بسبب تكرار الإخماد. فما هو المجال الّذي تتيحه باء الانبثاق من مكمن تكرار الإخماد؟ مُعجمياً: يدل على التثلم والتثقب. فالخُرْبةُ: الثُّقْبة. والعبد الأخرَب: المثقوب الأذن. والخُرْبُ: ثُقْب الورك. والخُرْبة: عُروة المزادة. والخَراب: ضدّ العمارة. والخُرْب: منقَطَع الجُمْهور من الرَّمل. فأمّا الخارب فسارقُ الإبل خاصّةً؛ لأن السَّرِق. إيقاع ثُلْمة في المال، وقيل في الخراب: هو التخلّي عن الحاجة، فماذا بعد التّخلّي وبعد استنزاف الحاجة إلّا الخراب؟ وهو الهدم والإفساد، وفي التّنزيل: ﴿..يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ..﴾ الحشر٢. قال تأبّط شرّاً:

وَلَا خَرِبٍ خَيعابَةٍ ذي غَوائلٍ		هَيامٍ كَجَفرِ الأبطَحِ المتهيِّلِ

خ–ف–ض: بعد أنْ أُخمدت الحركة هنا، انقطع تأثيرها وفعلها بالفاء، فألزمتها الضّاد بالرّكون. والخَفْضُ مُعجمياً: ضدُ الرفْع، وخفض الصّوت: همس. وفي التّنزيل: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ الواقعة٣. العلاقة بين الخفض والرّفع هي بدلالة كلّ منهما على الأخرى، فمن ثَقُلَتْ مَوازِينُه خُفِضَت ومن خَفَّتْ موازينه شالت. يُلاحظ أنّ في تسلسل (خ–ف) والخفيف دلالة عدم ثقل، لذلك يسهل رفعها وخفضها. والخَفض: الأرض في أسفل الجبل. والانخفاض: الانحطاط. وفي قول زُهير:

بِأوشَكَ منهُ أن يُساوِرَ قِرنَهُ		إذا شالَ عن خَفضِ العَوالي الأسافلُ

خ–ج–ل: الخاء إخماد، والجيم دمج، واللّام تُلحم وتوصل. الحركات مُتجهة بمجموعها إلى التقلّص والانكماش المتلاحم المندمج. وتشكّل من تراتب تسلسل الإخماد والدّمج والتلاحم. في معجم مقاييس اللّغة، الخاء والجيم واللّام أصلٌ يدلُ على اضطرابٍ وتردُد. حكَى بعضُهم: عليه ثوبٌ خَجِلٌ، إذا لم

يكن تقطيعُه تقطيعاً مستوياً، بل كان مضطرباً عليه عند لُبْسه. ومنه الخَجَل الذي يعتري الإنسانَ، وهو أن يَبقى باهتاً لا يتحدَّث.. قال الكميت:

وَلَمْ يَدْفَعُوا عندما نابَهُم ... لِوَقْعِ الحروب ولم يَخْجَلُوا

الخَجل والمخجل مُعجمياً: الحياء والتحيّر بسبب فعل أو تصرّف أو قول التبس أمره على فاعله، فيضفي إلى الحياء، والتّواني عن أيّ حركة أو كلام. وفي قول أبي تمّام:

وَلَا الخُدودُ وقد أُدمينَ من خَجَلٍ ... أشهى إلى ناظِري من خَدِّها التَّرِبِ

استخلاص النّتيجة بمعيار العقل

نستخلصُ ممّا سبق، أنّ حركة حرف الخاء، إنْ بُدئَ بها تكن خروجاً مُبطّناً بمحتوى إخماد الحركة في مكانها، وكبت جماحها. وإنْ لحقت بحرف ءَاخر أخمدت حركته في مكانها. كما يلاحظ علاقتها بالحروف الأخرى كحرف الفاء؛ الّذي يفرغ معناها، مثل: خفر، وفخر، وخلف، أو بحرف اللّام؛ الذي تعاونه وتسهّل مهمّته؛ لذا الخاء بحركتها تناقض سلوك ومعنى حرف الحاء: صح خطأ. ربح خسارة. ومن تسلسلاتها: خطر، خصم، خبث، خيانة، سخرية، خناس، نخر، خسف، خيبة، خجل، خزي، خراب.

حرف الخاء عند ابن عربي[1]، من عالم الغيب والملكوت، له الأحوال والخلق والكرامات.

الخاءُ مهما أقبلت أو أدبرتْ ... أعطتك من أسرارها وتأخَّرتْ

فعلوُها يَهوى الكيان وَسُفْلُها ... يهوى المكوّن حكمةً قد أُظْهرتْ

أبدى حقيقَتَها مُخطَّطُ ذاتها ... فَتَدَنَّسَتْ وقتاً وثُمَّ تَطَهَّرَتْ

فاعْجَبْ لها من جنّة قد أُزْلِفَت ... في سُفْلها ولهيب نارٍ سُعِّرَتْ

الوصف عند ابن عربيّ غيبي لا يلتقي مع منهجنا في الوصول إلى ملامسة دلالة الحرف.

---

(١) الفتوحات المكيّة، م. س. السفر الأوّل ص. ٢٠١.

يدلُّ حرف الخاء عند الشّيخ العلايلي: «***على المطاوعة والانتشار، وعلى التلاشي مُطلقاً***.»[1] هذا الوصف متباين بين المطاوعة والانتشار، وفي دلالة التلاشي يقارب الإخماد. وهو عند حسن عبّاس «***الأصلح للتعبير عن الخسّة والتفاهة والبشاعة والعيوب النّفسية والجسدية. إذا لفظ صوته بشيء من الشّدة والخنخنة، بعيداً عن جوف الحلق، أوحى بإحساس لمسي مخرّش رخو، وبطعم يمجُه الذّوق، ورائحة شمّية نتنة، وبإحساس بصري منشاري الشكل وسمعي مخرّب للصوت، وبمشاعر إنسانية من الاشمئزاز والتقزز..***»[2] وإذْ أحصى من خلال استخدامات المعاجم، اختلاف مدلول جذور المصادر الّتي تبدأ بالخاء، ما تدل معانيها على أمراض نفسيّة وعيوب أخلاقيّة بما يتوافق مع إيحاءات صوت الخاء المخنخن، نعيد سبب تلك الدّلالات إلى علاقة حرف الخاء؛ الذي يفيد الإخماد للقوّة والمنعة والطاقة، بتأثره وتأثيره في الحروف وبها، وفقاً للنشأة ولطبيعة ومعنى حروف كلّ تسلسل يشارك في تشكيله. ويدل حرف الخاء عند إياد الحصني «***على الكراهيّة، وهو نقيض معنى حرف الحاء، مميّزاً الكلمات خير، وخبر، وخلق وخبز، عن الخسارة والخطأ والخطر والوسخ، والخراب.. إلخ***.»[3] هذا الوصف لا يعطي تحديداً صريحاً للمعنى. وحرف الخاء عند محمد عقل: «***من خوى، أي تتابع عليه الجوع وخلا جوفه من الطعام، والمرأة ولدت فخلا بطنها، وصورة الخاء في المسند منقوطة للدّلالة على حال الخواء والفراغ للتمييز، رسمت هكذا: ٤***.»[4] كما لو أنّ شكل الألف مقلوب رأساً على عقب. عند التحوّل إلى الأفقي بقي الشكل كما هو ولم يعد منكّساً.

تبين لنا عند مسح ما استخدم أو ما أمكن استخدامه في الثلاثي المبتدئ بحرف الخاء، في المعاجم وديوان العرب، لا يتجاوز ما نسبته تقريباً ٤٨٪ من الاحتمالات الممكنة. أمّا النّسبة الباقية فهي لم تستخدم في اللّسان العربيّ، ولا يمكن أن تستخدم لتعارض المعنى بين مكوّنات حروفها. والحروف الّتي لا تلحق

---

(١) العلايلي، عبد الله، **مُقدّمة لدرس لُغة العرب**، وكيف نصنع المعجم الجديد، م. س. ص ٣١٣.

(٢) عبّاس، حسن، **خصائص الحروف العربية ومعانيها**، م. س. ص ص ١٧١-١٧٩، بتصرف.

(٣) الحصني، إياد، **معاني الأحرف العربيّة**، م. س. ص ٢٣.

(٤) عقل، محمد، **ابجدية القرءَان من مملكة سبأ**، م. س. ص ٥٣.

بحرف الخاء، هي الهمزة التي حركتها لا تقبل الإخماد، والحاء التي حركتها داخلية بطيئة فهي مناقضة سلوكاً ومعنىً لخاء الإخماد. وحركة الكاف الّتي تفرز المتآلفات وتكتّلها لا تستجيب لمتابعة حركة الإخماد. أمّا الهاء والّتي تحمل وتنقل الحركة بشفافيّة، لا مهمّة لها عند الإخماد، إذْ لا وجود لحركة أساساً لما هو مُخمد. وحركة الغين الّتي مُهمّتها التحريف والتمويه شبه مستبطنة في الخاء.

حرف الذّال

ذال+ ألف المد+لام

المُسمّى الأبجديّ المتعارف عليه للحرف هو: ذ-ا-ل

المخرج: بروز اللّسان بين الأسنان.

ترتيب نشأة الحرف: الذّال هو الخامس والعشرون في ترتيب الأبجديّة العربيّة. والحرف التّاسع في ترتيب حروف الهجاء العربيّة. يساوي عدديّاً الرّقم (٧٠٠) في حساب الجُمَّل. وفي الترتيب الصّوتيّ القديم، يأتي في الترتيب الثّامن عشر عند الخليل بن أحمد، والسّادس عند ابن جنّي. وفي الترتيب الصّوتيّ الحديث، يأتي في الترتيب السّادس عند أغلب علماء الصّوتيّات العرب المعاصرين.

سبب حدوثه: يُنطَقُ بوضع طرف اللّسان، بين أطراف الثّنايا العليا والسّفلى، وبصورة تسمح بمرور الهواء من خلال منفذ ضيّق، فيحدث الاحتكاك مع السّماح للهواء بالمرور. وعند ابن سينا: ***«وإن كان الحبس بالطّرف أشدّ، ولكن لم يُستعن بسائر سطح اللّسان، ولكن شغل الهواء عند الحبس بما يلي طرف اللّسان من الرّطوبة حتى يحركها ويهزّها هزّاً يسيراً، وينفذ فيها وفي أعالي خلل الأسنان قبل الإطلاق ثُمّ يطلق، كان منه الذّال. والذال يُقصَّر به عن الزّاي ما يقصر به الثّاء عن السّين، وهو أنّه لا يمكن هواؤه أن يستمرّ حتى يستمر جيّداً في خلل الأسنان بل يسدّ مجراه من تحت ويمكّن شمّه من أعاليه، ولكن يكون في الذّال قريباً من الاهتزاز الذي يكون في الزّاي»*** [1]،

---

(١) ابن سينا، م. س. ص. ٨٠-٨١.

«والذّال نسبتها إلى الزّاي نسبة الثّاء إلى السّين بعينه، وتفارق الثّاء بالاهتزاز إلّا أنّ الحبس يُقصَّر منه ومن الصفير.»[1].

الصّفات الصّوتيّة: الذّال صوت احتكاكيّ مجهور، يصدر ممّا بين الأسنان، وهو من الحروف الشّمسيّة، تختفي معها لام (أل) التعريف نُطقاً لا كتابةً، مثل: بالذّهب.

الاستخدامات الصّرفيّة: جاء في الموسوعة العربيّة: *«حرف الذّال ليس من حروف التصريف العربيّة. وإلى حرف الذّال، يقلب تاء الافتعال ومشتقاته إذا كان فاء الافتعال ذالاً.»*[2]

الصّفات الكتابيّة: حرف الذال من الحروف المعجمة (المنقوطة) بنقطة فوقها. يكتب حرف الذّال في خط النّسخ العربيّ، مُفرداً هكذا: ذ كما في: جرذ. ومتصلاً بما قبله هكذا: ـذ كما في: شذ. ولا يكتب متصلاً بما بعده في الخط العربي.

دلالة الاسم من خلال حروفه

- الذّال: يدلّل مرور الحركة واستمرار آثارها.
- ألف المد: من التأليف؛ أي التشكيل من خلال تعامد حركته بين الزّمان والمكان، لأجل تحقيق التّرابط.
- اللّام: الرّبط والتلاحم.

تسلسل الذّال: توسّط أسمه حرف الألف للحاجة إلى الزّمكان، ومدلول حرف اللّام في أخر أسمه، يعني التّوصل إلى الرّبط واللّحم. فإنّه بمقصده، يدل على ولوج الحركة بابي الزّمان والمكان حسّيّاً بالتحامها بالأصل. وإذْ يظهر بروز اللّسان؛ فهو يدل كما الدّال على البروز. كما في: ذنب، ذيل، ذكاء، ذهن، حذق، ذروة، فذ- قذر، قذى، أذى، قذف، شذر، مذر.

استطلاع مُتغيّرات اقترانات حرف الذّال بصفته كمتبوعٍ وتابعٍ ومخترقٍ:

---

(١) إبن سينا، م. س. ص. ١٢٢.

(٢) الحروف العربيّة، الأبجديّة، الألفباء. الموسوعة العربية العالمية، مج١.

نستحضرُ بعضَ التسلسلات كنماذج عن الاقتران الثّنائي الّذي يبتدئ به حرف الذّال بصفته متبوعاً:

ذ-ل: تسعى حركة الذّال للبروز حسيّاً، واللّام نسج ولحم حركة جديدة. الحركة سهّلت الإحساس بواقع وصلت إليه الحال. ذلّ يذل ذُلاً، وذلّة، مُعجميّاً: الخضوع والخسّة. كما في التّنزيل: ﴿..سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا..﴾ الأعراف١٥٢. و﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾ الإسراء٢٤. والتذليل: اللّين؛ وهو إضمار صعوبات اعترضت مرور الحركة. وطريق مذلّل؛ أي ممهّد. كما في التّنزيل أيضاً: ﴿..فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً..﴾ النحل٦٩. وقول المعرّي:

قد رُضتُ نَفسيَ حَتَّى ذَلَّ جامِحُها فما أُصاحِبُ صَعبَ النَّفسِ ما ريضا

ذ-م: هنا ميم التّكامل يتابع ما ينقص حركة البروز الحسّي ويسهل مرورها واتصالها. في المعاجم: ذَمّه يذمّه فهو مذموم؛ أي معيوب وملوم وغير مُبرّر، يدلُ كلُه على خلاف الحمد. يقال ذَمَمْتُ فلاناً أذُمُه، فهو ذميمٌ ومذموم، إذا كان غير حميد. ومن هذا الباب الذَّمَّة، وهي البئر القليلةُ الماء. وجمع الذَّمَّة ذمام، ربّما هو تعبير عن ارتباط يتناقض والحسّ العام؛ كما في قول المعرّي:

فمنّيَ تقصيرٌ ومنكَ تفَضُلٌ بِعُذرٍ فلا حَمدٌ لَديَ ولا ذَمُ

والذّمام: الحَقُ وحفظ العهد والكفالة، ومنه ذمام الأمر؛ العَهْد فإنَّه يسمَّى ذماماً لأن الإنسان يُذَمُ على إضاعته منه. وهذه طريقة للعرب مستعملةٌ، وذلك كقولهم: فلانٌ حامي الذّمار، أي يَحْمي الشَّيءَ الذي يُغضب. وحامي الحقيقة، أي يَحْمي ما يحقّ عليه أن يمنَعَه. وأهل الذّمّة: أهلُ العَقْد. قال أبو عُبيد: الذّمَّة الأمان. وهنا المرور محكوم بحسّ الموافقة والاتفاق. وفي التّنزيل: ﴿لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلاَ ذِمَّةً وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ التوبة١٠. قال ابن زيدون:

فما لَحِقَت تلكَ العُهودُ مَلامَةٌ ولا ذَمَّ من ذاكَ الحِفاظِ ذِمامُ

ذ-ر: حركة البروز والتواصل الحسّي تكرّرها الرّاء مراراً ربّما لتعدُد أجزائها ودقّتها، أو للمرور غير المحسوس ظاهراً. قيل في معجم مقاييس اللّغة تسلسل: الذّال

والرّاء المشدّدة أصلٌ واحد يدلُ على لطافة وانتشار. ومن ذلك الذَّرُ: صغار النّمل، الواحدة ذَرّةٌ. ذرّت الشّمْسُ ذُروراً، إذا طَلَعَتْ، وهو ضوءٌ لطيفٌ منتشر. ذرّ في المعاجم: نثر وبدّد، وفرّق. وفي التّنزيل: ﴿مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ الأعراف١٨٦. الذّرّات: دقائق المسحوق كالملح والسّكر. والذّر للحَبّ بالمذراة الّتي تستخدم لكي تذري الرّياح التبن وتبقي الحَب، والذُريّة يُكنى بها ما يتوالد وما يتناسل من الإنسان. وهو هنا مرورٌ أثره مستمرّ الحدوث. وفي التّنزيل أيضاً: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ..﴾ الأعراف١٧٢. ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ..﴾ءَال عمران٣٤. والذّرار: الإنكار والإعراض، وهو قريب من المعنى الحركي؛ كما في قول كُثَيِّر عَزّة:

وَفيها، على أنّ الفُؤادَ يُحِبُها صُدودٌ إذا لاقيتُها، وَذِرارُ

معاينة المتغيرات عند عكس ترتيب الحروف

ل-ذ: تلاحم لإنشاء حركة جديدة تسعى إلى إبرازها وتمريرها حسّياً بالذّال، فحركة التّلاحم هي من يحكم ذال البروز الحسّي، لتمرير التواصل، وإنشاء حركة جديدة محسوسة، ويلاحظ أنّ مسمّى حرف الذّال هو باستخدام اللّام، فالبروز الحسّي لا يتم دون تلاحم والتصاق بإحدى الحواس. لذّ، واللّذة في المعاجم: نقيض الألم، وهي المتعة. والملاذ: المهرب ومدخل اللّذة والسّهولة. واللّذيذ، من الأكل والشرب بنعمة وكفاية، وما يحس به المرء ويستطعمه. وفي التّنزيل: ﴿..وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ..﴾ محمد١٥ و﴿بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ﴾ الصافات٤٦، قال لسان الدّين ابن الخطيب:

حينَ لَذَّ الأنسُ مع حُلوِ اللَّمى هَجَمَ الصُبحُ هُجومَ الحَرَسِ

وقال أوس بن حَجَر:

تقاكَ بكَعبٍ واحدٍ وتَلَذُّهُ يداكَ، إذا ما هُزَّ بالكَفِ يَعسِلُ

م-ذ: حركة ميم تكامل الحركة وإتمامها تبعتها ذال البروز الحسّي لتمرير مسعاها. الحركة تستبطن الزّمن للتكامل بالمحسوس. فذال البروز الحسّي تذلّل مرور حركة التكامل واستمرار آثارها، مما يعطيها معنى المكانيّة. مذ، مُعجمياً:

بمعنى منذ، هنا نون الإنشاء تبعت أوّل مقصد ميم التكامل. والمذماذ: كثير الكلام الصيّاح، وقيل الكذّاب والمحتال. وقول تابّط شراً:

ولو كانَ قِرنٌ واحدٌ لكفيتُهُ وما كانَ بي في القَومِ مُذ جُدتُ مَطمَعُ

مُعاينة توجّه دلالة حركة الذّال، إذا دخل حرف ثالث، ابتداءً، وتوسّطاً، وانتهاءً

التسلسل التّابع:

ب-ذ-ل: حركة الانبثاق من مكمن، أتت بذال البروز والاتصال الحسّي في مسعى للتلاحم بقصد إنشاء حركة جديدة. دور الذّال هنا تسهيل مرور حسّي من باء الانبثاق لإضمار مقاومة ومطلب تجاوز الصّعاب. البَذْلُ في القاموس المحيط: بَذَلَهُ يَبْذُلُهُ ويَبْذِلُهُ: أعْطاهُ وجادَ به. والابْتذالُ: ضدُ الصِّيانَة. ما لا يُصانُ من الثياب كالبِذْلَة بالكسر والثَّوبُ الخَلَقُ كالمِبْذَل. والمُبْتَذِلُ: لابسُهُ ومَنْ يَعْمَلُ عَمَلَ نَفْسِه كالمُتَبَذِّل. البذل مُعجمياً: وبذل جهده: تولّى بنفسه ما باستطاعته فعله. وما تبذله: ما تنفقه وتستخدمه من جهد في سبيل هدف مُحدّد. والابتذال والمبتذل من الكلام والتّصرف: ما هو مستنكر؛ وما فيه انحلال من التزام بالقيم. الاستخدامات هذه لا تخرج عن تأثّر الحواس بما تنفتح من مجالات تسعى إليها، وفي قول النّابغة الجعدي:

يقولُ لمن يلحاهُ في بَذلِ ماله أأُنفقُ أيّامي وأترُكُ ماليا

وفي قول ابن الرّومي في المبتذل:

أذالَ في العُرفِ وجهاً غَيرَ مبتذَلٍ وأخدمَ المجدَ جِسماً غَيرَ مُمتَهَنِ

ج-ذ-م: جيم الدّمج، تسهّل لها الذّالُ مرور المحسوس، لتقوم حركة الميم بالإتمام وإكمال النّواقص. هنا مدلول (ذم) تغيّر ليصير (جذ) مدخل التسلسل. الجذم مُعجمياً: الأصل، وجذور الشّجر وجذور الأسنان؛ أي منابتها، وهي أيضاً السّرعة في السّير، والإقلاع عن عادة متأصلة. لذلك يُقال لقطع الشّك باليقين: (أجذم بصحّة الخبر). والجذم: سرعة القطع. والجذمة: القطعة؛ كأداة القطع كالفأس، والمجذوم: من قطعت أنامله، قال المتلمّس الضّبعي:

وَما كُنتُ إلّا مِثلَ قاطِعِ كَفِّه بِكَفٍ لَه أُخرى، فأصبحَ أجذَما

ب-ذ-ر: الباء انبثاق مُفاجئ من مكمن مجهول، يفتح المجال للحركة. والذّال تسهيل المرور والتوصيل حسّياً. والرّاء يكرّر حركة الانبثاق ومرورها بانتظام؛ يفصح عن تسابق في البروز الحسّي لمعانقة الضّوء، بعد فتح المجال الانبثاقي. البذر والبذور في المعاجم: الحَبّ الّذي يبذر؛ أي ينشر للزّراعة بقصد النّماء. وبذّر ماله والتبذير: إنفاقه وتوزيعه بإسراف؛ فهو في سياق مظهري. وفي التّنزيل: ﴿وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً﴾ الإسراء٢٦. القصد في التّنزيل يقارب بين ما ينفق في دعم النّماء وما هو إسراف وهدر. ربّما استعمل وصف التّبذير من حركة الذّر والإمعان فيها لوجود تاء اجتذاب الجهد. وفي قول الذّبياني:

ترائبَ يستضيءُ الحَليُ فيها ... كجمرِ النّار بُذِّرَ في الظّلام

وقول ابن الرّومي:

وكَمْ شَيءٍ لَه بَذرٌ يسيرٌ ... ورَيعٌ مِثلُ أطوادِ الجبالِ

التسلسل المتبوع:

ذ-ل-ق: هنا حركة البروز والمرور الحسّي في تلاحم لإنشاء نسيج جديد، مُستعينة بقاف قوّة فصل البيان والتقفّي. هي حركة راعت مُضمراً ينمّ عن إحاطة وضغط يعترض الحركة، فيسّرت المرور انزلاقاً في تلاحم بين حركتي الذّال واللّام مع دعم وتسهيل قوّة القاف. قيل في معجم مقاييس اللّغة تسلسل: الذّال واللّام والقاف أصلٌ واحدٌ يدلُ على حدّة. فالذّلَق: طرَف اللّسان. والذّلاقة: حدَّة اللّسان، وكلُ محدَّدٍ مذلَّق كالنّصل. وقرن الثّور مذلّق. ويُشتقُ من ذلك أذلَقْتُ الضَّبَّ، إذا صَبَبتَ الماء في جُحره ليخرج. والإذْلاق: سُرعة الرَّمْي. وذلق اللّسان: فصيحُه وأيضاً الطّلق الحاد وكذلك الذّرب، والحروف الذّلاقة هي: الرّاء واللّام والنّون؛ لأنّها تذلق من طرف اللّسان. وفي قول ابن الأبار:

وَمُثَقَّفٍ ذَلِقِ السِّنانِ تَخالُه ... في السَّردِ يخرُقُ جانبيه مُسَرَّدا

ذ-م-ر: إعادة تكرار حركة الذّم وبشكل مُنظّم يضمر إمعاناً في إنكار مرور وتواصل حسّي وتكامله، تصرّ الذّال على اختراقه. الذّمْرُ مُعجمياً: اللّوْمُ والحَضُ معاً

وتقريع النّفس؛ وهو الحث مع لوم واستبطاء. والذّمارُ: الحَرَمُ والأهل والحَشَمُ، وموضعُ التَّذَمُّرِ موضعُ الحفيظة إذا استُبيحَ، وفلان حامي الذّمار. المعنى هنا انقلب بمساعدة ألف المد في (ذمار)، إذ أولجتها بابي الزّمان والمكان؛ أي سمحت بعد أن تغيّرت وجهتها، والتّذمير: صوت زئير الأسد. وقول المُتنبّي:

كلُّ ذمرٍ يزيدُ في المَوتِ حُسناً كَبدورٍ تَمامُها في المُحاق

قيل في معجم مقاييس اللّغة تسلسل: الذّال والميم والرّاء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على شدّة في خَلْق وخُلُق، من غَضَب وما أشبهه. فالذِّمْرُ: الرّجُل الشجاع. وكذلك الذِّمِّرُ الحَضُ. ويقولون: إذا اشتدّ الأمر: بلغ المُذَمَّر. ويقولون رجلٌ ذَميرٌ وذَمِرٌ: مُنْكَر. وتذامَرَ القومُ، إذا حَثَّ بعضُهم بعضاً.. وإذا قيل فلانٌ يتذمَّر، فكأنَّه يلوم نفسه ويتغضَّب. وأمّا الذي قُلْناه في شدَّة الخَلْق فالمُذَمَّر، هو الكاهل والعُنُق وما حولَه إلى الذِّفْرَى، وهو أصل العُنق. يقولون: ذَمّرْتُ السّليلَ، إذا مَسِسْتَ قفاه لتنظر أذكرٌ أم أنثى. قال أحيحة[1]:

وما تَدري إذا ذَمّرْتَ سَقْباً لغَيْرِكَ أو يكون لك الفصيلُ

ذ-ر-ف: فاء الفصل والتّفريق يتابع تسهيل مرور حركة الذّر لكي تقوم بتفريقها. قيل مُعجميّاً ذرف العين الدّمع: سيلانه. هو ليس مجرّد السّيلان والسّماح بالمرور، بل أظهرت أحاسيس ما انفعلت بشأنها الدّموع. والقول: ذرف على الخمسين؛ أي تجاوز عمره الخمسين عاماً حسيّاً ومعنوياً. قال الفرزدق:

وَحَتَّى قَتلنا الجَهلَ عَنها وغودِرَت إذا ما أُنيخَت والمدامعُ ذُرَّفُ

إدخال حرف على وسط التّسلسلات

ذ-ب-ل: ذال البروز في سعيه لتمرير وتوصيل حسّي، ضغط ليفتح الباء مَجالاً لحركته وليتفاعل توصّلاً إلى اللّام كي تكوّن حَركة جديدة. ذبل النّبات: ذوى وجف ويبس. والإنسان: ذهبت نضارته. والذّبال: النّفايات، وفتيلة السّراج.

(١) أحيحة بن الجلّاح: أحيحية بن الجلّاح بن الحريش الأوسي، أبو عمرو، سيد الأوس ويثرب، وفي الأغاني أن سلمى العدوية، كانت زوجته قبل أن يتزوجها بعده هاشم بن عبد مناف، فأنجب له عبد المطلب، (؟-١٢٩ق.هـ، ؟-٤٩٧م).

تظهر الحركة أنّ المرور بلا اكتراث؛ أي المحسوس هو الإهمال. يدلّ على ضُمّرٍ محسوس. قال صردر بن صريعر:

أمسى شُجوبي وإرهاـ في يُدلّسُني   على الرّقيب بسُمرٍ بينهم ذُبُلِ

وفي قول الشّاعر:

طِعانُ الكُماةِ وركضُ الجِيادِ   وقَولُ الحَواضِنِ: ذَبُلاً ذَبيلا

ذ-أ-م: دخول همزة الألف وتردّدها بين ذال بروز المرور الحسّي، وميم التكامل، يفصح عن نقص عبّرت عنه الهمزة الّتي لم يتح لتحفيزها قدرة إدخاله بابي الزّمان والمكان. وقد ورد في الصحاح: يقال: ذَأَمَهُ يّذْأَمُهُ، إذا عابه وحقَّره، فهو مذءوُمٌ. قال الفراء: أذْأَمْتَني على كذا، أي أكرهتني عليه، وذأم مُعجميّاً كذلك: حقّر وطرد وعاب؛ كما في التّنزيل: ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُوماً مَّدْحُوراً..﴾ الأعراف١٨؛ وهو ليس مُجرّد طرد، بل مُتموضعاً بحالة مُزرية حسّيّاً ومعنوياً، قال أوس بن حَجَر:

فإن كُنتَ لا تَدعو إلى غَيرِ نافِعٍ   فَذَرني، وأكرِم من بدا لَكَ واذأَمِ.

ذ-ك-ر: مرور البروز الحسّي بالذّال، من خلال تكتّل المتآلفات بالكاف، وبتكرّار منظّم تباعاً، جعل من تأكيد ملامسة الحواس معياراً لما يُفرز ويصنّف، كي يتآلف والمطلب التكراري بما يسمح لاختراق أيّ مُعيقات يمكن أنْ تخفيه أو تطمسه. قيل في معجم مقاييس اللّغة تسلسل: الذّال والكاف والرّاء، أصلان يتفرّع عنهما كَلمُ الباب. فالمُذْكِر: التي وَلَدَتْ ذكراً. والمذْكار: التي تَلد الذُكْرانَ عادةً. والأصل الآخر: ذَكَرْتُ الشّيء، خلافُ نسيتُه. ثمّ حمل عليه الذّكْر باللّسان. ويقولون: اجعلّه منك على ذُكْرٍ، بضم الذّال، أي لا تَنْسَه. والتّذكّر: استحضار ما هو محفوظ بالذّاكرة. والذكر: الصّيت. وفي التّنزيل: ﴿فَذَكِّرْ إن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ الأعلى٩، و﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ الزخرف٤٤. والذّكَرُ يحفظ السّلالة العائليّة والقبليّة؛ فباسمه تتوارث السّلالة وهو مقابل الأنثى. ربّما يظهر من المعنى الحركي أنّ المرور الحسّي هو ما تختزنه وتمرّره الحواس فيما بين المكان والزّمان من تكتّل لما تآلف. وهذا ما يتطلّب تفكّراً. قال عَنْتَرة:

محَوتُ بِذكري في الوَرى ذكرَ من مَضى   وَسُدتُ فلا زَيدٌ يُقالُ ولا عَمروُ

وقال عديّ بن الرّقاع:

ولَقد عَديّتُ دَوسَرَةً   كعَلاَةِ القَين مذكارًا

استخلاص النّتيجة بمعيار العقل

نستخلصُ ممّا سبق، أنّ مدلول الذّال هو تمريير البروز الحسّي للحركة. استخدم لإبراز تلاحمه واتصاله حسّيّاً حرفَ اللّام، وتوسّط اسمه حرف ألف المد، لكي يذلّل ولوج ومرور الحركة واستمرار آثارها في الزّمان والمكان. يظهر ذلك بروز اللّسان. قال الصّاحب بن عبّاد:

ذالٌ ذُؤابةُ مجدِه فوق السُهى   راءٌ رويُ فخاره علويُ

حرف الذّال عند ابن عربي[1]: من عالم الشّهادة والجبروت والقهر. له وسط الطّريق، له الخُلُق والأحوال والكرامات.

الذّال ينزل أحياناً على جسدي   كَرْهاً وينزل أحياناً على خَلَدي

طَوْعاً ويعدم من هذا وذاك فما   يُرَى له أثر الزُلفَى على أحد

هو الإمام الذي ما مثله أحَدٌ   تدعوه أسماؤه بالواحد الصمد

اللّغة الرّمزية الّتي يصف بها ابن عربي حرف الذّال لا يمكن القياس عليها عَمليّاً. ويدلُ حرف الذّال عند الشّيخ العلايلي: «*على التفرّد*»[2]. هذا القول مُبهم لا يفسّر حركة الحرف. وعند حسن عبّاس: ***«إذا كانت (الثاء) تدغدغ طرف اللّسان بكثير من المرونة والدّماثة فتوحي بطعم الدّسم والملمس الدّافئ الوثير، فإنّ الذّال الذع مذاقاً وأكوى حرارة وأوخذ ملمساً وأشد توتراً.... فقد صنّفته في عداد الحروف اللّمسيّة باعتباره يمثل جنس الذكورة، على مثال ما صنفت (الثاء) في عداد الحروف اللّمسيّة باعتبارها تمثل جنس الأنوثة.»***[3] وقد أحصى أحد عشر مصدراً تدل على الاهتزاز والاضطراب وشدّة التحرّك، بما يتوافق مع ظاهرة

---

(١) **الفتوحات المكيّة**، م. س. السفر الأوّل ص٣١٩.

(٢) العلايلي، عبد الله، **مُقدّمة لدرس لُغة العرب، وكيف نصنع المعجم الجديد**، م. س. ص ٣١٣.

(٣) عبّاس، حسن، **خصائص الحروف العربية ومعانيها**، م. س. ص ص ٦٣-٦٤، بتصرف.

الاهتزاز في صوت الذّال الملثوغة، كما أحصى مصادر نفسيّة أو ذهنيّة تنطوي على الاهتزاز والاضطراب، لما يرافق هذا العضو في الحيوان من ظاهرة الذبذبة والحركة المستمرة. كما دلّت عنده بعض المصادر على البعثرة والانتشار، بما يتوافق مع بعثرة النفَس وأيضاً دلّل على الفعالية والشدّة والقطع، بما يتوافق مع خصائص القوّة والفعالية في صوت الذّال. إن ما توصّل إليه عبّاس ينسجم مع مدلول البروز الحسّي، إن كان اهتزازاً أو شدّة أو ذكورة. وما يغيّر اتجاه معاني التسلسلات هو الحرف اللّاحق ودلالة حركته، الّتي من المفترض بحرف الذّال أن يبرزها ويدل عليها. وهذا ما حاولنا إيضاحه.

حرف الذّال عند إياد الحصني: ***«هو كحرف الزّاي يدل على معنى البروز للشيء المادّي والحسّي، وتمييز شيء عن مجموعة أشياء، مثل: ذيل، ذهب، ذكاء.. إلخ.»***[1] وهو عند محمد عقل: ***«بمعنى ذيل، آخر كل شيء، ومن معاني الذيل الوضاعة، ومن معاني الوضاعة الارتباط بالآخر والانجرار له، وذال وذوى بمعنى ارتخى وتهدّل، ويرسم بالمسند خطان متوازيان في وسطهما خطّان متوازيان مائلان، كما لو أنّه رباط للذيل، هكذا: Ħ.»***[2] عند التحوّل الأفقي.

تبين لنا من استقصاء الاحتمالات الممكنة، للثلاثيّ الّذي يبتدئ بحرف الذّال، أنّ ما نسبته حوالي ٨٠٪ من تلك الاحتمالات، لم ولا يمكن أنْ تستعمل في اللّسان العربيّ. وقد ذكرنا في مستهل معالجتنا لهذا الحرف أنّه كغيره من الحروف يعارض، وتتعارض حركته، مع توجّهات حركة بعض الحروف، مثل الدّال والزّاء، والسّين، والشّين، والصّاد، والضّاد، والطّاء والتاء والظّاء، كذلك الغين. وذلك وفقاً للاستنتاجات التالية:

- حركة الدّال تفيد الاندفاع القصدي، بينما الذّال وإن كانت حركتها تلتقي في مسمّاها بحرفي الألف واللّام، إلّا أنّ مقصد حركتها هو بروز حسّي وهو تمرير الحركة حسّيّاً. فالوجهتان متعارضتان في الاتجاه والدّلالة.

---

(١) الحصني، إياد، **معاني الأحرف العربيّة**، م. س. ص ٣٦-٣٧.

(٢) عقل، محمد، **ابجدية القرآن من مملكة سبأ**، م. س. ص ٥٣، بتصرف.

- حركة زاء البروز المادّي كون مخرجها ملتصق بمخرج الذّال؛ وكون البروز المادّي لا ينسجم مع البروز الحسّي في القصد والدّلالة، فلا تقارب بينهما.
- حركة السّين الّتي تنسل للهيمنة وبسط النّفوذ، لا تقبل منها حركة الذّال طمس ما تسعى لتوصيله حسّيّاً.
- في شين التشعّب والانتشار، البروز الحسّي إن تشعّب وانتشر يفقد تأثيره على الحاس والمحسوس.
- حركة الصّاد الّتي من توجّهاتها الترابط والصّدود، لا تسمح لها حركة الذّال بالاقتراب، فهما في اتجاهين متعاكسين.
- الحال نفسه مع الضّاد. فحركة الذّال تلغي مهمّتها إنْ قبلت وخضعت للالتزام وتقييد الضّاد.
- الطّاء الّذي يحيط بالحركة ويضعها في جوفه إن سايرته حركة الذّال لا يتسنّى لحركتها إبراز المحسوس وتمريره.
- التاء والذال يتقارب مخرجاهما، ولا تسمح التاء التي تجتذب الجهد بتمرير البروز المادي.
- حركة الظّاء، تضخّم الظّهور على حساب حركة المحسوس ومرورها صافية من الشّوائب والمظاهر. وفي قول المعرّي:

فلستُ لَهم وإن قَربوا أليفاً كما لم تأتلف ذالٌ وظاءُ

- تقارب مخرج الذال مع مخرج الثاء لا يساعد فيزيائيّاً على تنقّل الحركة بينهما، وإذ الثّاء تسعى لتفعيل التكاثر بتريّث وثبات، وهو من مكنونات تمرير البروز الحسّي المتفاعل داخليّا.
- الغين، بحركتها الّتي تهدف تمويه وإخراج حركة الذّال عن مسارها، هي حتماً من أقوى معارضي الذّال في تمرير المحسوس.

حرف الضّاد

ضاد+ ألف المد+دال

المُسمّى الأبجديّ المتعارف عليه للحرف هو: ض-ا-د

المخرج: جانبا اللّسان والثّنايا.

ترتيب نشأة الحرف: الضّاد هو الحرف السّادس والعشرون في ترتيب الأبجديّة العربيّة، والخامس عشر في الترتيب الهجائيّ العربيّ. يساوي عدديّاً الرّقم (٨٠٠) في حساب الجُمّل. وفي الترتيب الصّوتيّ القديم، هو العاشر عند الخليل بن أحمد، والسّابع عشر عند ابن جِنّي. أمّا في الترتيب الصّوتيّ الحديث فهو الثّاني عشر عند بعضهم. والعاشر عند أغلب علماء الصّوتيّات المعاصرين.

سبب خروجه: يلتقي طرف اللّسان عند نُطقه بأصول الثّنايا العُليا ومقدّمة اللّثة، ويضغط الهواء مدّة من الزّمن ثمّ ينفصل فُجأه تاركاً نقطة الالتقاء، فيحدث صوت انفجاريّ، ينفتح معه الوتران الصّوتيان ويهتزان. وفي نُطقه يرتفع مؤخّر اللّسان نحو الحنك الأقصى، ويتأخر قليلاً نحو الجدار الخلفيّ للحلق، ويكون اللّسان مقعّراً بارتفاع أقصاه وطرفه وتقعير وسطه فيحدث الإطباق أو التفخيم. عند ابن سينا: ***«أمّا الضّاد فإنّها تحدث عن حبسٍ تام عندما يتقوّم موضع الجيم، وتقع في الجزء الأملس، إذا أُطلق أقيم في مسلك الهواء رطوبة***

واحدة أو رطوبات تتفقّع من الهواء الفاعل للصوت وتمتدّ عليها، فتحبسه حبساً ثانياً ثمّ تنشق وتتفتّأ، فيحدث شكل الضاد» [1].

الصّفات الصّوتية: الضّاد صوت أسنانيّ لثويّ انفجاري مجهور، وكان اللّغويون على مرّ العصور شديدي الحرص على بيان مخارج الأصوات وصفاتها عامة ومخرج الضّاد بصفة خاصّة لأنّه من الأصوات العَسِرة المخرج الّتي لا يوفيها حقّها من المخرج إلّا قليلون. وكانوا يصنّفون ما يخرج عن نطق الضّاد الصحيحة مع الأصوات المستقبحة الّتي لا تجوز تلاوة القرآن بها. وكانت للعرب في نطقه طرائق تخالف المخرج الصحيح ـ مثل الضّاد الّتي كالظّاء، ولعسر هذا الصّوت في المخرج، ولتفرُّد العربيّة به عُرفت بلغة الضّاد. والضّاد من الحروف الشّمسية، تختفي معها لام (أل) التعريف نُطقاً لا كتابة، مثل: الضّوء.[2]

الصّفات الكتابيّة: حرف الضّاد من الحروف المعجمة (المنقوطة) بنقطة واحدة توضع أعلاه. ويكتب في خط النّسخ مُفرداً هكذا: ض كما في: يخوض، ومُتصلاً بما قبله هكذا: ـض، كما في: يقبض، ومُتصلاً بما بعده هكذا: ضـ كما في: ضد، ومُتصلاً بما قبله وما بعده هكذا: ـضـ كما في: يضرب.

دلالة الاسم من خلال حروفه

- الضّاد: حركة مواجهة وصدام.
- ألف المد: من التأليف؛ أي التشكيل من خلال تعامد حركته بين الزّمان والمكان، لأجل تحقيق الترابط.
- الدّال: حركة اندفاع للدّلالة.

تسلسل الضّاد: جدلية التناقض بين حركتي الضّاد والدّال، بين المواجهة والاندفاع، هو ما فرض تسمية الحرف بنقيضه، كي يحد من إحاطته وسيطرته. فسمحت الألف للضّاد بولوج بابي الزّمان والمكان. تبرز الدّلالة دخول الفاء

---

(١) إبن سينا، م. س. ص ٧٦.

(٢) الحروف العربية، الأبجدية، الألفباء. **الموسوعة العربية العالمية**، مج ١٠٢.

على الضّاد مثل (فض، ضف)، فحركة الفاء الّتي تفصل، تظهر بالمقابل الحركة الّتي تقوم بفصلها. ولنا مقاربة المعاني في التسلسلات مع لام الالتحام والنّسج كما في (ضلّ، ولض)، وراء التكرار في (ضرّ، ورض)، وكذلك في غيرها كضخّ وخض. وسنجد أنّ الضّاد لا تقبل الاتصال بأحرف مثل، ض-ت، ض-ث، ض-ظ، ض-ز، ض-ش، ض-س، ض-ك، ض-ق، وهذا ما سَنُعقّب عليه في توجّه بحثنا؛ لأنّ ما يدل على حركة الحرف هو سلوكه مع الحروف الأخرى.

استطلاع مُتغيّرات اقترانات حرف الضّاد بصفته كمتبوعٍ وتابعٍ ومخترقٍ

ض-ل: حركة الالتزام بالتقييد والتكثيف الّتي يدل عليها الضّاد وصلتها اللّام ولحمت بابها وأغلقت منافذها، فلم تعد قادرة على التمييز. وحكم على الالتزام بما أغلقت عليه البصيرة. الضّلال مُعجمياً: ضدّ الهدى والرّشاد، وفي معجم مقاييس اللّغة تسلسل: الضّاد واللّام أصلٌ صحيحٌ يدلُ على معنى واحد، وهو ضَياع الشيء وذهابُهُ في غير حَقّه. يقال ضَلَّ يَضلّ ويَضَلّ، لغتان. وكلٌ جائرٍ عن القصد ضالٌ. ورجلٌ ضِلّيل ومُضلَّل، إذا كانَ صاحبَ ضَلَاَلٍ وباطل. ويقولون: ضَلَّ اللَّبَنُ في الماء، ثمَّ يقولون استُهْلِكَ. وممّا يدُلُ على أنَّ أصل الضّلَاَل ما ذكرناهُ، قولُهم أُضَلّ الميّتُ، إذا دُفِنَ. وذاكَ كأنَّهُ شيءٌ قد ضاع. وقيل: أصل الضلال الغيبوية، وفي التّنزيل: ﴿قُلْ إن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ سبأ٥٠، و﴿مَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ..﴾ الأعراف١٨٦، وأضللت الشّيء غيبته. وقال الذّبياني في أُضلّ الميّت:

وآبَ مُضلُّوهُ[1] بعينٍ جَليَّةٍ وغودِرَ بالجَوْلان حَزمٌ ونائلُ

وفي قول إبراهيم أطيمش[2]:

(١) مُضلُوه: يريد الّذين دَفَنُوه، يقول: كَذّبوا بخَبَرِ مَوْته أوّلَ ما جاءَ، فَجاءَ دافنُوه بخَبَرِ ما عايَنُوه. ويروى: وآب مضلوه أي قابروه.

(٢) إبراهيم أطيمش: إبراهيم بن الشيخ مهدي القرشي المشهور بأطيمش، شاعر رقيق، ولد في الشطرة، وتوفي في النجف، (١٢٩٢-١٣٦٠هـ، ١٨٧٥-١٩٤١م).

إن ضلّ ركبُ الرَّجا يوماً بمَجهَلَه ... إلى حماهُ لسانُ النَّار يهديه

ض-م: حركة الضّم الّتي يتابع الميم إتمام التّقييد وتوفير مستلزماته جمع ما كان متفرّقاً، لتعزيز ترابط وتفاعل المانعة. الضَّمُ مُعجمياً: ضَمُكَ الشيءَ إلى الشيء، وقيل: قَبْضُ الشيء إلى الشيء وضَمَّه إليه يَضُمُه ضَمّاً فانضمَّ وتَضامَّ. تقول ضَمَمْتُ هذا إلى هذا فأنا ضامٌ وهو مَضْموم وضامَّ الشيءُ الشيءَ انْضَمَّ معه وتَضامَّ القومُ؛ إذا انضَمَّ بعضُهم إلى بعض. والضِمامُ؛ كلُّ ما ضُمَّ به شيءٌ إلى شيء وأصْبَحَ مُنْضَمّاً؛ أي ضامراً كأنّه ضُمَّ بعضُه إلى بعض. وضامَمْتُ الرجلَ: أقمت معه في أمر واحد مُنْضَمّاً إليه. والأضاميمُ: الحجارةُ واحدتها إضْمامةٌ، وقد يُشَبَّه بها الجماعاتُ المختلفةُ من النّاس. الإضمامة والضِّمُّ والضِّمامُ أيضاً: الدّاهية الشديدة. والضُماضِمُ الأكُولُ النَّهِمُ المُسْتأثِرُ. قيل: الكثير الأكل الّذي لا يشبع وضَمَّ على المال وضَمْضَمَ أخَذَه كُلَّه. الاستعمالات تظهر مطلباً التزامياً واستدعاء وسائل وأساليب لكي تكامل المسعى. قال بشّار بن برد:

أرى الإزارَ على حُبَّى فأحسُدُهُ ... إنَّ الإزارَ على ما ضَمَّ محسودُ

قال الشّنفري:

تَوافَينَ من شَتّى إليه فَضَمَّها ... كَما ضَمَّ أذوادَ الأصاريمِ مَنهَلُ

ض-ر: هنا، تكرّر حركة الضّاد المحاولات بشكل مُنظّم بما يشير ضمنياً إلى عدم انضباط في الالتزام والمُمانعة. مما استوجب التكرّار لمتابعة حركة الالتزام بعدم الانحراف لتثبيت المواقف في مجابهة طغيان، أو ضغط ممارس في المقابل. في معجم مقاييس اللّغة، الضاد والرّاء ثلاثةُ أصول: الأوّل خلاف النَّفْع، والثاني: اجتماعُ الشّيء، والثالث القوّة. فالأوَّل الضَّرّ: ضدُ النَّفْع. ويقال ضَرَّه يضُرُه ضَرّاً. ثمَّ يحمل على هذا كلُّ ما جانَسَه أو قارَبَه. فالضُرُّ: الهُزال. والضِّرّ: تزوُج المرأة على ضَرَّة. يقال نكحَتْ فلانةٌ على ضِرٍّ، أي على امرأة كانت قَبْلَها. والضَّرَّة: اسمٌ مشتقٌ من الضَّرّ، كأنَّها تضرُ الأخرى كما تضرُّها تلك. واضطُرَّ فلانٌ إلى كذا، من الضرورة. والضَّرير: المُضارَّة. وأكثر ما يُستعمَل في الغَيْرة؛ يقال ما أشدَّ ضريره عليها. والضَّرير: الّذي به ضَرَرٌ

من ذَهاب عَيْنه. أو ضَنَى جسْمه. وفي التّنزيل: ﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَآئِماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ يونس١٢، و﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ الأعراف٩٤. والضرّاء: نقيض السّراء. وأمّا الأصلُ الثاني فضَرَّة الضَّرع: لَحْمتُه. قال أبو عُبيد: الضَّرَّة: الّتي لا تخلو من اللّبن. وسميّت بذلك لاجتماعها. وضَرَّةُ الإبهام: اللّحم المجتمع تحتَها. ومن الباب: المُضِرّ: الذي له ضَرَّةٌ من مال، وهو من صفةَ المال الكثير. وقال الأشعر الرَّقَبان الأَسديّ[1]:

بحَسْبكَ في القومِ أن يَعلموا بأنَّكَ فيهم غَنيٌّ مُضِرّ

وأمّا الثالث فالضرير: قُوَّة النّفْس. ويقال: فلانٌ ذو ضرير على الشيء، إذا كان ذا صبرٍ عليه ومقاساة. وفي قول لَبيد:

وإلّا فما في الموتِ ضُرٌّ لأهلِهِ ولم يُبقِ هذا الدّهرُ في العيشِ مَندَما

وقال الأخطل:

بكُلِّ قَرارةٍ منها وفَجٍّ أضاةٌ، ماؤُها ضَرِرٌ يَمورُ

قلب حروف التسلسلات

ل-ض: تلاحم متابع بحركة ضاد المقاومة والممانعة. حركة التلاحم تسعى لإنشاء حركة جديدة مُستعينة بضاد الالتزام، يكون قوامها الاستعداد لمقاومة ومجابهة أيّ طارئ. كون اللّام الّتي من مهامّها التوصيل والرّبط، وحركة الضّاد مُلتزمة غير مرنة. ففي حركة التوصيل والاتصال تحفّظ وانتباه. في المعاجم: رجل لَضٌ: مُطَّردٌ، واللُّضْلاضُ: الدّليلُ. يقال: دليلٌ لَضْلاضٌ؛ أي حاذقٌ، ولَضْلَضَتُه: التفاتُه يميناً وشمالاً وتحَفُّظُه. هو الدّليل الحاذق بالدّلالة. أنظر للمقاربة (ضلّ ضلالة). تعبير يذكّرنا بترتيب نشأة الحروف.

---

(١) الأشعر الرَّقَبان الأسديّ: عمرثو بن حارثة، شاعر جاهلي قديم، ورث مالاً عن كلالةٍ لم يرثه عن آبائه، يهجو في هذا البيت ابن عم له اسمه رضوان، لم أهتد إلى تاريخي ميلاده ووفاته، أنظر للمزيد المؤتلف والمختلف ، والزهر، وتاج العروس.

فالضّاد لحقت اللّام في النشأة، وهنا تسلسل (ض-ل)، مخالف لتسلسل (ل-ض). وفي قول الشّاعر:

وبَلَدٍ يَعْيا على اللُّضّلاضِ أَيْهَمَ مُغْبَرِ الفِجاجِ فاضي

م-ض: ميم تكامل الإتمام اتجه إلى الضّاد لتسخير حركتها لمهمّة الالتزام، مما يضمر مطلباً يكتنفه كثير من التسيب والانفلات. وجهة حركة الإتمام مُحدّدة بتقييد وتكثيف وبروز لإظهار التزام بعدم الانحراف. هذه الحركة قويّة، وتملك العزيمة والإصرار على الإتمام رغم الصّعوبة والتحدّي الّذي تفرضه عملية الالتزام. هنا ميم التكامل لإتمام النّواقص تتابع حركتها مستعينة بضاد الالتزام وعدم الانحراف، كأنّما الميم يخشى الانفلات وعدم السّيطرة على المكوّنات. وفي مقاييس اللّغة تسلسل: الميم والضّاد أصلٌ صحيح يدلُ على ضَغْط الشَّيء للشيء. وفي المعاجم: مَضَّهُ الشَّيْءُ يَمُضُهُ بالضَّمِّ مَضّاً ومَضيضاً إذا بَلَغَ منْ قلبه الحُزْنُ، والقَوْلُ يَمُضُهُ مضّاً ومَضيضاً: أحرقَهُ وشقَّ عَلَيْه. والهمُ يَمُضُ. وكذلك أمَضَّني الجُرْحُ إمْضاضاً إذا أوجَعَني، والمض المضمضمة: حركة الماء في الفم، والمضض: وجع المصيبة، وهي الحرقة، وقيل المضماض: النّوم، وقيل الرّجل الخفيف السّريع، قال كشاجم:

وكنت إذا ما عابَني ذو دَناءَةٍ يُكابدُ ضِغناً في حَشاهُ لَهُ مَضُ

وقال حرّي بن ضمرة(١):

يا نَفسُ، صَبراً على ما كانَ من مَضَضٍ إذ لم أجِدْ لِفُضولِ القَولِ أقرانا

ر-ض: الرّاء تكرار مُنظّم، والضّاد إلتزام ومقاومة. تكرار الحركة بشكل مُنظّم مُستدعية الضّاد لتمكين توجّه حركته من الالتزام بعدم الانحراف. الحركة الكلّيّة لها مظهران، الأوّل: داخلي التكرار في اختراق الالتزام وتفكيك المانعة، والثّاني: خارجي، وهو بيان قوّة المانعة. الرّض في المعاجم: دق الشّيء دون قطع، وقيل رضّ الأرض بالحصى؛ أي ما دقّ منها على وجه الأرض كالرّصف، وقيل: هو الحصى الّذي يجري عليه الماء. ورضّ أيضاً: كسر،

---

(١) حرّي بن ضمرة: حرّي بن ضمرة بن جابر الدارمي، أبنه نهشل، ونهشل شاعر مخضرم صحب الإمام علي في حروبه (؟-٤٥هـ، ؟-٦٦٥م).

والرّضراض: فتات الشّيء والحّصى الصّغير. أنظر كلمة أرض كيف رُضّت وريضت. ومنها الترويض والرّضى والرّياضة؛ فكلّ هذه الاستعمالات لا تلتزم ولا تتسق حركتها دون تكرار. المتضح هنا هو الوجه الخارجيّ لحركة «رضّ»، كون الضّاد مُشدّدة، فهي تتوقف ثُمّ تعيد المحاولة مراراً في مواجهة وممانعة، قال صفيّ الدّين الحلّي:

فهاضَ منه العّظمَ عندَ الهّض ... ورضّ منه الصّدرَ أيَّ رَضّ

وقال النّابغة الشّيباني[1]:

على كُلِّ مَوّارٍ برجعِ نُسورِهِ ... يَرُضُ الحصى رضّاً جميعاً مع القضّ

إضافة حرف في بداية التسلسلات

ع-ض-ل: العين مُعاينة المُبهم واتضاحه، والضّاد التزام بعدم الانحراف في توجّه نسج تلاحمي باللّام. الحركة متابعة ومنسجمة بين المعاينة والالتزام والنّسج المتلاحم. العضل مُعجمياً: يدلُ على شدّة والتواء في الأمر. من ذلك العَضَل، قال الأصمعيّ: كلُ لحمة صُلْبَة في عَصَبَةٍ فهي عَضَلَة، وعضلت: ضاقت به الحيلة، والعضل: المنع والحبس. وداء عضال: الّذي لا براء منه. وهي الدّاهية. وفي التّنزيل: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ..﴾ البقرة٢٣٢، و﴿..وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ..﴾ النساء١٩. والمعضلة: المسألة الّتي لا مخرج ولا حلَّ لها. وفي قول سحيم[2]:

ولا عَضِلُ جَثْلُ كأنَّ بَضيعَهُ ... يرابيعُ فَوقَ المنكِبَينِ جُثُومُ

ق-ض-م: القَضْم في المعاجم: الأكل بأطراف الأسنان، والخَضْم بالفم كلّه وبأقصى الأضراس. والقضيم، يقال إنّه الجلدُ الأبيض، أو الصّحيفة البيضاء. قال النّابغة الذبياني:

كأنَّ مَجرَّ الرّامساتِ ذُيولَها ... عليه قَضِيمٌ نمّقتهُ الصَّوانعُ

---

(١) النّابغة الشيباني: عبد الله بن المخرق بن سليم بن حضيرة بن قيس، من بني شيبان، شاعر بدوي من شعراء العصر الأموي، (؟-١٢٥هـ، ؟-٧٤٣م).

(٢) سحيم: سُحَيم بن وثيل بن عمرو الرياحي التّميمي، شاعر مخضرم، (٤٠ق هـ-٦٠هـ، ٥٨٣-٦٨٠م).

يلاحظ هنا استخدام الضّاد مخرجه في منطوق ألفاظه، كما القاف مع الضاد في قضم، والخاء مع الضاد في خضم؛ فالقضم يحتاج إلى قوّة القاف وفصل البيان، والخضم يحتاج إلى إخماد ما يلوك بالخاء قبل البلع والهضم، والهضم بالهاء فيه حمل ونقل بشفافيّة. وفي قول أيمن بن خريم الأسدي[1]:

رَجَوْا بالشِّقاقِ الأكلَ خَضماً، وقد رَضَوا
أخيراً من أكلِ الخَضمِ أن يأكلوا القَضما.

ح-ض-ر: هنا جاء التعاظم تحكم الالتزام والتقييد وتكرّره في التفاف داخلي؛ الحركة مُجتمعة في تتابع لأجزاء الالتفاف حول المركز المتعاظم بها، الحضور مُعجمياً: نقيض المغيب، والحضرة: المشهد والمقام، وقد استخدمت لتفخيم وتعظيم المخاطب في القول (حضرتكم)، وهي أيضاً: الشدّة، والمحضر: السّجل. والمحاضرة: المجالدة في الحق والمغالبة فيه. والحضَر: خلاف البدو. واحتضر المريض: دنا من الموت. وفي التنّزيل: ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ المؤمنون٩٨؛ أي الشّياطين. قال عَنْتَرة:

سَلي يا عَبلَ قَومَكِ عن فَعالي وَمَنْ حَضَرَ الوَقيعَةَ والطِرادا

إضافة حرف لاحق على التسلسلات السّابقة

ض-ل-ع: ضاد الالتزام بعدم الانحراف في توجّه تلاحميّ لمعاينة المُبهم واتضاحه. ليست المُعاينة هي الهدف النّهائيّ؛ بل لجعل الالتزام قويّاً ثابتاً مبنيّاً على وضوح وبيّنة. ضلع وأضلع وأضلاع وضلوع مُعجمياً: لدى الإنسان في الصدر ٢٤ ضلعاً، أُسميت كذلك لأنّها قوام الجسد. واضطلع بالعبء: تحمّلته أضلاعه، والضّليع: تام الخلق طويل الأضلاع عظيم الصّدر. وفي قول ابن دانيال الموصلي[2]:

تَظَلُّ تَزأَرُ كالرِّئبالِ باسِطَةً ذِراعَها وهو يحكي ضِلعَ رُئباسِ

---

(١) أيمن بن خريم الأسدي: أيمن بن خريم الصحابي، بن فاتك الأسدي، كان من ذوي المكانة عند عبد العزيز بن مروان، رفض مقاتلة إبن الزبير، (؟-٨٠هـ، ؟-٧٠٠م).

(٢) ابن دانيال الموصلي: الحكيم بن شمس الدين بن محمد بن عبد الكريم بن دانيال الخزاعي الموصلي، هرب إلى مصر عند اجتياح المغول واتخذ حرفة الكحالة، (٦٤٦-٧١٠هـ، ١٢٤٨-١٣١١م).

ض-م-ر: الضّاد التزام بعدم الانحراف، تتابع الميم الحركة لتكامل ما ينقصها، ثمّ تعاد تكرّر المسعى مراراً، فهي إذ تلتزم وتتكامل، تنبئ عن قصور هو ما سبّب في تكرار الحركة، في معجم مقاييس اللّغة، الضّاد والميم والرّاء أصلان صحيحان: أحدهما يدلُ على دقّة في الشّيء، والآخر يدلُ على غَيبةٍ وتستُر. فالأوّل قولهم: ضَمَرَ الفرس وغيرُهُ ضموراً، وذلك من خفّة اللَّحم، وقد يكون من الهُزَال. ويقال للموضع الذي تُضمَّر فيه الخيل: المِضْمَار. ورجل ضَمْرٌ: خفيف الجسم. واللؤلؤ المضْطمر: الذي في وسطه بعضُ الانضمام والانضمار. والآخر الضِّمَار، وهو المال الغائب الذي لا يُرجَى. وكلُ شيءٍ غابَ عنك فلا تكونُ منهُ عَلَى ثقَةٍ فهو ضِمَارٌ. الضّمر مُعجمياً أيضاً: الهزال ولَحاقُ البطن، والضّامر البطْن: لطيفُ الجسم، والضمير: السّر وداخل الخاطر، وأضمر: أخفى في سرّه قصده، وهو الموافق للمعنى الحركيّ، وفي قول الأحوص الأنصاريّ:

سَتَبقى لَها في مُضمَرِ القَلبِ والحَشا   سريرَةُ وُدٍّ يَومَ تُبلى السَّرائرُ.

ض-ر-م: هنا الرّاء يكرّر حركة الضّاد أوّلاً؛ فالالتزام لا يوفّر الفرصة لوجود نواقص أو انحراف في المسار، وينبغي تصويب وجهته كي يتكامل بالميم. ضرم النّار مُعجمياً: اشتعلت والتهبت، والمضطرم: المتأجّج من النّار، وكذلك جوعاً. وفي معجم مقاييس اللّغة: الضاد والرّاء والميم أصلٌ صحيحٌ يدلُ على حرارةٍ والتهاب. من ذلك الضِّرَام من الحطب: الّذي يلتهب بسرعة. قال زُهير:

متى تَبْعَثُوها تَبْعَثُوهَا ذَميمَةً   وَتَضْرَ إذا ضَرّيْتُمُوها فَتَضْرَمِ

إدخال حرف في وسط التسلسلات

ض-ح-ل: ضاد الالتزام والترابط يتجه إلى التّعاظم الدّاخلي بالحاء، وإلى إنشاء حركة جديدة متلاحمة باللّام. وحيث أنّ حركة الحاء سبقت الضّاد بالنّشوء، فالتوجّه الحركي غير متناغم. إذ الضّحل مُعجمياً: القريب القعر، والماء القليل في الغدير والبئر، واضمحل الشّيء: ذهب. ربّما أنّ حاء التعاظم لم يترك له اللّام مجالاً، كما أشرنا في سلوك حركة اللّام الّتي لا تستسيغ نسيجاً

غير متآلف أساساً، بين حرفي الضّاد والحاء، لا سيّما أن الحاء حركة داخليّة؛ لذا هي هنا بمعنى (لا إتمام)، وفي قول تأبّط شرّاً:

وَلَستُ بِراعي ثَلَّةٍ قامَ وسْطَها   طَويلِ العَصا غُرنَيِّقٍ ضَحلٍ مُرَسَّلِ

وقول لَبيد:

فَلَمْ ترضَ ضَحلَ الماءِ حَتّى تَمَهَّرت   وِشاحٌ لها من عَرمَضٍ وبَريمُ

ض-غ-م: ضاد الالتزام تتابعها غين التّمويه والتّورية يلاحقها ميم التكامل لإتمام النّواقص، ما يجعل الالتزام ظاهراً وإن حرف عن القصد. مُعجميّاً، الضّغم: العض غير النّهش، وقد سمّي الأسد ضيغماً وضرغاماً لقوّة ضغمه. يلاحظ أنّ العض والضّغم تستخدمان الضّاد للدّلالة على ملازمة لمعنى للحركة، وهي عدم الفكاك. قال إبن الأبار:

عِداكَ مِنَ اللَّيالي بينَ ضَغمٍ   بِنابِ النّائبات وبينَ مَضغِ

ض-ج-ر: حركة الالتزام بعدم الانحراف تبعتها جيم الدّمج، مُستدعية الرّاء لتكرّر الالتزام المطلوب دمجه؛ كما لو أنّ الضجيج تفاعل داخليّاً مكرّراً حالة تراكميّة. الضّجر مُعجميّاً: القلق من الغم؛ وهو ضيق النّفس. يدلُ على اغتمامٍ بكلام. يقال ضَجِرَ يَضّجَر ضَجَراً. وضجِرت النَّاقةُ: كثر رغاؤها. قال صردر بن صربعر:

ويا قَلبُ أقرِرْ بالَّذي كُنتَ جاحِداً   فَقَدْ ضَجِرَ اللّاحي وَقَد فَنِيَ العَذلُ

استخلاص النّتيجة بمعيار العقل

نستدل ممّا سبق أنّ حركة الضّاد تفيد الإحاطة بالحركة وتوجيهها بوجهة مُحدّدة، مع تقييد وتكثيف وبروز لإظهار الالتزام بعدم الانحراف أو الميل عن وجهتها. فالتقييد والتكثيف والبروز الّذي تعبّر عنه حركة الضّاد، هو ما يدلّنا عليه انتهاء اسم الحرف بالدّال.

حرف الضّاد عند ابن عربي[1]، من حروف الشهادة والجبروت. له الخُلُق والأحوال والكرامات.

---

(١) **الفتوحات المكيّة**، م. س. السفر الأوّل ص. ٣٠٤.

في الضّاد سرٌ لو أبوح بذكره لرأيت سرّ الله في جبروته
فانظر إليه واحداً وكمالُهُ من غيره في حضرتيّ رحموته
وإمامه اللفظ الذي بوجوده أسْرى به الرّحمن منْ مَلكوته

التأويل هنا لم يكشف لنا عن مكنون دلالة الضاد لتشكيل الكَلِم.

يدلُ حرف الضّاد عند الشّيخ العلايلي؛ «***على الغَلَبة تحت الثُّقل***».[1] الوصف هنا يدل على نتائج صراع ربّما في وجه الالتزام. أمّا حسن عبّاس فقد صنّف الضّاد على أنّه حرف شعوريّ، لما يوحيه صوته من المشاعر الإنسانية. «***فلتفخيم الضّاد لابد من اعتماد التجويف الأنفي أثناء خروج صوتها.. وصوت الضاد في حالة التفخيم والتشديد يوحي بالصّلابة والشّدّة والدّفء كأحاسيس لمسيّة، وبالفخامة والضّخامة والامتلاء كأحاسيس بصريّة، وبالضّجيج كإحساس سمعي، وبالشّهامة والرّجولة والنّخوة الرّقة والضّعف والأناقة كمشاعر إنسانية.***»[2] حيث الصّلابة والشّدّة من ضروريات الالتزام والمقاومة، ربّما تتقارب النتائج. ويدل عند إياد الحصني: «***على معنى الضّعف والضّنى والضّؤل؛ أي نقيض القوّة، ونقيض الصّلابة كما في: بعض، غض، ضر، . إلخ.***»[3] يلاحظ التناقض بين الوصفين. وعند محمد عقل، يفيد «***الضديّة، التساوي في الشكل والاختلاف في المعنى، ووجود الضّاد في اليمنيّة الجنوبيّة دلالة على العلاقة بين المسند العربيّ القديم والعربيّ الشماليّ، رسم بالخط المسند بوضع مربعين أو مستطيلين متساويين فوق بعض،*** هكذا: 𐩳.»[4] عند التحوّل إلى الأفقيّ أُخذ النّصف الأسفل وسقط الأعلى.

قلنا في مستهل معالجتنا لحرف الضّاد أنّه لا يقبل الاتصال بأحرف مثل، ضت، ضث، ضظ، ضز، ضش، ضس، ضك، ضق. بعد أنْ قاربنا المعاني الحركيّة مع المعاني المعجميّة لبعض التسلسلات، نبيّن فيما يلي أسباب عدم قبوله الاتصال بهذه الحروف:

---

(١) العلايلي، عبد الله، مُقدّمة لدرس لُغة العرب، وكيف نصنع المعجم الجديد، م. س. ص ٢١٣.

(٢) عبّس، حسن، خصائص الحروف العربية ومعانيها، م. س. ص. ١٥٣-١٥٨، بتصرف.

(٣) الحصني، إياد، معاني الأحرف العربيّة، م. س. ص ٧٦.

(٤) عقل، محمد، أبجدية القرآن من مملكة سبأ، م. س. ص ٥٤.

- حرف التّاء كونه جاذب للحركات لا يقبل أن يكون منجذباً، فكيف والضّاد يسعى لإلزامه وتقييده.
- حرف الثّاء مُكاثر للحركات بتريّث وثبات. لا يقبل من الضّاد أن تشلّ إرادته، وحركة الضّاد أصلاً لا تعمل على الكثرة، وإنّما على التقييد والإغلاق.
- حرف الذال يمرر البروز الحسّي وفي تعاظم الظاء استيعاب للبروز بأنواعه.
- حرف الظّاء الّذي يضخم الظهور، ويجذب ما يؤيّده، يتنافر ومطلب ضاد الالتزام والتقييد.
- حرف الزّاء الّذي يبرز الحركة مادّياً، لا يلتقي ومسعى الضّاد في الالتزام، فذلك يلغي أساس مهمّته. كذلك الحال مع حرف الذّال.
- حرف الشّين الّذي يفيد التشعّب والانتشار، لا يتفق ومسعى الضّاد في الالتزام والتقييد والضّب.
- حرف السّين ومهمّته الهيمنة وبسط النّفوذ، لا يستقيم مع مطلب الضّاد في تقييده وإلزامه بعدم الانحراف.
- حرف الكاف يكتّل المتآلفات. كيف له أنْ يتنازل عن مهمّته أو أنْ يضعها تحت تصرف والتزام حركة أخرى.
- حرف القاف ومسعى حركته فصل البيان بقوّة، لا ينسجم مع توجّه حركة ضاد التقييد والإلزام، فكأنّه يلغي دوره.
- حرف الطاء باطن يناقض الظاهر.

حرف الظّاء

ظاء+ ألف المد+همزة

المُسمّى الأبجديّ المتعارف عليه للحرف هو: ظ-ا-ء

المخرج: اللّسان وأطراف الثّنايا.

ترتيب نشأة الحرف: الظّاء هو الحرف السّابع والعشرون في ترتيب الأبجديّة العربيّة، والسّابع عشر في الترتيب الهجائيّ العربيّ. ويساوي عدديّاً الرّقم (٩٠٠) في حساب الجُمَّل. وفي الترتيب الصّوتيّ القديم، يأتي هذا الحرف في الترتيب السّابع عشر عند الخليل بن أحمد، وفي الترتيب الثّالث عشر عند ابن جِنّي. أمّا في الترتيب الصّوتيّ الحديث فهو الحرف الخامس والعشرون عند معظم علماء الصّوتيّات المعاصرين.

سبب خروجه: يُنطق بوضع طرف اللّسان بين أطراف الثّنايا العليا والسّفلى بصورة تسمح بمرور الهواء من خلال منفذ ضيّق، فيحدث الاحتكاك، مع رفع مؤخّر اللّسان إلى أقصى الحنك، ورجوعه إلى الخلف قليلاً فيحدث الإطباق أو التفخيم، ومع تذبذب الأوتار الصّوتية فيحدث الجهر، وعند ابن سينا: ***«وإن كان حبسٌ كالإشمام بجزء صغير من طرف اللّسان، وإمرار الهواء المطلق بعد الحبس على سائر سطح اللّسان على رطوبته، وحفّز له جملة، سُمع الظّاء»***[1]، ***«والظّاء ليست تخرج عن حبس تامّ، بل حبس مثل الإشمام بجزء صغير من وسط طرف اللّسان يُتوخّى به أن يكون ما يلي أصل اللّسان***

(١) إبن سينا، م. س. ص ٨٠.

متعرّضاً للهواء برطوبته، ثمّ يمرّ بعد الحبس الخفيف الهواء فيه مَرّاً سلساً خفي الصّفير جداً ولكن فيه صوت رطوبة»[1].

الصّفات الصّوتيّة: الظّاء صوت احتكاكي مجهور، بين أسناني، وهو من الحروف الشّمسيّة، تختفي معها لام (أل) التعريف نُطقاً لا كتابة، مثل: في الظرف.

الصّفات الكتابية: حرف الظّاء من الحروف المعجمة (المنقوطة) بنقطة أعلاه على الجانب الأيمن في كلّ أوضاعه الكتابيّة، ويكتب في خط النّسخ مفرداً هكذا: ظ كما في: شواظ، ومتصلاً بما قبله هكذا: ظ كما في: حظ، ومتصلا بما بعده هكذا: ظـ كما في: ظرف، ومتصلاً بما قبله وما بعده هكذا: ـظـ في مثل: حظوظ.

دلالة الاسم من خلال حروفه

- الظّاء: ظهور مُتعاظم.
- ألف المد: من التّأليف؛ أي التّشكيل من خلال تعامد حركته بين الزّمان والمكان، لأجل تحقيق مطلب الظّهور.
- الهمزة: استرداد الحركة لمخرجها بعد توصيل مهمّتها الحركيّة.

تسلسل الظّاء: ما يدل على حركة حرف الظّاء سلوكه مع الحروف الأخرى، خاصّة حرف الطّاء. إذ يتشابه تركيب مُسمّى كلّ منهما، إلّا أنّ مدلولهما متناقضان، كما في مقابلة الباطن للظّاهر، والظّاهر للباطن. يمكن الاستدلال على سلوكه أيضاً، باستخدام مكوّنات ألف التكوين؛ أي اللّام والفاء، وكذلك راء التكرار. كما في: ظل، ظلف، لفظ، ظرف، ظفر، فظر.

استطلاع متغيّرات اقترانات حرف الظّاء بصفته كمتبوعٍ وتابعٍ ومُخترقٍ

ظ-ل: دلالة ظلّ، ظاهراً: استمّر ودام، وباطناً: التّوقيف والمنع. الظّل في المعاجم: ضوء شعاع الشّمس دون الشّعاع، فإن انقطع الضّوء صارت ظلمة. يلاحظ أنّ الظّل والظّلمة كلمتان فيهما إبطان منع الشّعاع وانقطاع وصوله. في معجم

---

(١) إبن سينا، م. س. ص ١٢٢-١٢٣.

مقاييس اللّغة الظّاء واللام أصلٌ واحد، يدلُ على ستر شيءٍ لشيء، وهو الذي يُسمّى الظّلّ. فالظّل: ظلّ الإنسان وغيره، ويكونُ بالغداة والعَشيِّ، والفيءُ لا يكون إلّا بالعشيّ. وتقول: أظلّتني الشّجرة. والمظَلّةُ معروفة. واللّيل ظلٌ. وفي التّنزيل أيضاً: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاء لَجَعَلَهُ سَاكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً﴾ الفرقان٤٥. وأظَلّكَ فلانٌ، كأنّه وقاكَ بظلّه، وهو عزّه ومَنَعَتُهُ. وأظَلَّ يومُنا: دامَ ظله، ويقال إنّ الظُلّة أوّلُ سحابة تُظلّ. والظُلّة: كهيئة الصُفّة. وفي التّنزيل: ﴿وإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ..﴾ الأعراف١٧٠. ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى مَا خَلَقَ اللّهُ من شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلاَلُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالْشَّمَآئِلِ سُجَّداً لِلّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ النحل٤٨. ومن الباب قولهم: ظلَّ يفعل كذا، وذلك إذا فعله نهاراً. وإنما قلنا إنّه من الباب لأنَّ ذلك شيءٌ يخصّ به النّهار، وذلك أنّ الشيء يكون له ظلٌ نهاراً، ولا يقال ظلَّ يفعلُ كذا ليلاً؛ لأنّ الليلَ نفسه ظلّ. والأظَلّ، وهو باطنُ خُفِّ البعير. ويجوز أنْ يكون كذا لأنّه يستُر ما تحتَه، أو لأنّه مُغَطّى بما فوقه. وفي التّنزيل: ﴿..وَانظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً..﴾ طه٩٧، ما تبيّنه الاستخدامات وفق الاقتران اللّفظي، ظهور الحركة واتضاحها بتضخيم الظّاهر. قال ذو الرّمة:

قد أعْسِفُ النّازحَ المجهولَ مَعْسفُه ... في ظلّ أخضَرَ يدعو هامَهُ البومُ

وفي قول عَنْتَرة بمعنى التحمّل والاستمرار:

ولَقَد أبيتُ عَلى الطّوى وأظَلُّهُ ... حَتَّى أنالَ به كَريمَ المأكَلِ

ظـن: دلالة ظن، ظاهراً: شكٌ بيقين غير مؤكّد، وباطناً: ما لا ثقة فيه. ظهور الحركة واتضاحها في تضخيم الظّاهر، وتوجّه إنشائيّ لا يستند إلى أيّ مؤازرة، لذا يُقال سوء الظّن، وحسن الظّن. والظّن مُعجمياً: يقين تدبّر وتفكّر لا معاينة. وفي التّنزيل: ﴿..وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَت الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ الأحزاب١٠، و﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَداً﴾ الجن٧. والظّنين: المُتهم، قال المُتنبي:

فَمَن شاءَ فَليَنظُر إلَيَّ فَمَنظَري ... نَذيرٌ إلى مَنْ ظَنَّ أنَّ الهَوى سَهلُ

ظ-ر: دلالة ظر، ظاهراً: حَجَرٌ حاد للقطع، وباطناً: غضب مُختزن. حركة التعاظم المظهري تكرّر محاولة التظاهر، كونها منفردة دون أيّ مشاركة أو تأييد من حرف آخر. في معجم مقاييس اللّغة، الظاء والرّاء أصلٌ صحيحٌ واحدٌ يدلُ على حَجَرٍ مُحددَّ الطَّرَف. يقولون: إنَّ الظُّرَر: حجرٌ محددَّ صُلب، والجمع ظِرَّانٌ. قال لَبيد:

بجَسْرَةٍ تَنْجُل الظِّرَّانَ ناجيةٍ ... إذا توقَّدَ في الدّيمومة الظُّرَرُ

وأظرَّ الرَّجُلُ: مَشَى على الظرَار. ويقولون: «أظرِّيَ إنَّك ناعلة». يقولون: امْشي على الظُّرَر، فإنَّ عليك نَعلين، يُضرَب مثلاً لمنَ يُكلَّف عملاً يقوَى عليه. ويقال المَظَرّةُ: الحجر يُقدح به، ويقال بل هو حجرٌ يُقطع به شيءٌ يكون في حياة النّاقة كالثُّؤلول. ويقال أرضٌ مَظَرَّةٌ: كثيرة الظُّرَر. وعند العامّة الظّر: كتم الغضب في تعاظم تأثيره.

قلب ترتيب حروف التسلسلات السّابقة

ل-ظ: لام التلاحم يستخدم التظاهر المُتفاخم ليزيد ويراكم عظمة ما يلتحم به وينسجه حوله. وعند العامّة اللّظ: الممتلئ السّمين المتراكم في رخاوة. في معجم مقاييس اللّغة، اللّام والظاء أصلٌ صحيحٌ يدلُ على ملازَمَة. يقال: ألظَّ الرّجلُ بالشَّيء، إذا لازَمَه. وفي الحديث: «ألظُّوا بياذَا الجلالِ والإكرام»، أي الزَموا هذا وأكثروا منه في دعائكم. ويقال: ألَظَّ المطرُ: دام. ويقولون: الإلظاظ: الإشفاق على الشَّيء؛ وليس ببعيد القياسِ من الباب. ومُعجمياً: لظى وتتلظى للهب النّار. قال بشر بن أبي خازم[1]:

ألَظَّ بهِنَّ يَحدوهُنَّ، حَتّى ... تَبيَّنَ حَولُهُنَّ من الوِساقِ.

وقول العشاري:

ظنُه بالإله ظَنٌ قَويٌ ... حيث عانى لِوَجهه كُلَّ لَظٌ

ن-ظ: لا استخدام لهذا التسلسل، حيث نون التكوين يبني مشروعه على واقع ماديّ له حيّز مكاني، لوجود الواو في مسمّاه، وتناقضه داخلي، وبما أنّ الظّاء ظهور

(١) بشر بن أبي خازم: بشر بن أبي خازم عمرو بن عوف الأسدي، شاعر جاهلي فحل، غزى بني طي، وبني صعصعة، (؟-٢٢ق-هـ، ؟-٦٠١م).

فيحتاج النّون إلى ما يبني عليه مشروعه الإنشائيّ، إنْ كان القصد هو الظّهور، كما في (نظر، نظم).

ر-ظ: لا استخدام لهذا التسلسل، فالتكرار تستدعيه حركة مُستعصية لإدامة المحاولة، فلا فعل له مع الظاهر.

إضافة حرف أوّل على التسلسلات

ح-ظ-ل: محاولة التظاهر بالإحاطة المتعاظمة تستنجد بلام التّلاحم لإنشاء حركة جديدة، حيث حركة الحاء داخليّة بينما الظّاء مظهريّة خارجيّة، والمطلوب من اللّام نسج حركة جديدة من هذا التناقض فهي ملزمة بمطلب الحاء، ولذلك تقيّد مسعة المظهر. ومن خلال مقاربة بين تسلسلي (ح-ظ) و (ظ-ل)، فالحظ غير مُعيّن والظل غير ظاهر، فالنسيج مغلوب على أمره. مُعجمياً:حَظلَ يحظُلُ الرّجل: يضيق على أهله، وهو أيضاً: الحَجْرُ والمنع من الحركة. وكذلك: المقتّر والمُضَيّق عليهم، وهي من الغيرة على المرأة ومنعها من التصرّف، كما في قول النّابغة الجعدي:

فَمَا يُعدِمك لا يُعدمك منهُ   طَبانيَةٌ، فَيَحظُلُ أو يَغارُ

؟-ظ-ن: لا وجود لتسلسل يبتدئ به حرف وينتهي بـ(ظ-ن). فما هي الحركة القادرة على تحمل عبئ التظاهر بالقدرة على الإنشاء المستمّر؟ إنّ في ذلك لَمَظنَّة كُبرى. يلاحظ في (مظنة)، دخول الميم كأداة إتمام العمل وليس كحرف بنائيّ، ونستدل جدليّة قلب حروف (م-ظ-ن) إلى (ن-ظ-م)، لمعايرة القصد.

ح-ظ-ر: حاء التَّعاظم الدّاخلي يسندها ويفاعل حركتها ظاء التظاهر؛ فالحركة متفاخِرة قويّة مُنفتحة على احتمالات. استدعاء راء التّكرار للمُتابعة تضمر توقّعات سلبيّة غير مُرضية. ففيها ما يُنبئ عن خطر يمنع الإحاطة المُتعاظمة. في معجم مقاييس اللّغة تسلسل: الحاء والظاء والرّاء أصلٌ واحدٌ يدلُ على المنْع. يقال حظرت الشيء أحْظُرُه حَظْراً، فأنا حاظِرٌ والشيء محظور. والحظَارُ: ما حُظر على غنمٍ أو غيرها بأغصانٍ أو شيءٍ وهو الحَظيرة وفي التّنزيل: ﴿..وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً﴾ الإسراء٢٠. أنظر تسلسل (حظ)،

فهو كما عالجناه: غير المعلوم حجماً وقيمة، وتسلسل (ظ-ر) فيه تكتم وغيظ.
قال ابن الرّومي:

فَتىً حَظُّهُ في الصنْعِ والعُرف وافرٌ
فلا الصنُعُ في حَظْرٍ ولا العُرفُ في حَصْرِ

إضافة حرف لاحق إلى ءَاخر التسلسلات إيّاها:

ظ-ل-م: حركة التظاهر في تلاحم لتكوين حركة جديدة متابعة من قبل ميم التكامل بالنّواقص، تجعل المتابعة مُعزّزة ومستجلبة ما يضخّمها كي تعاظم تأثير ما تستبطنه. وكما قلنا في (ظل) إبطان منع الشّعاع وانقطاع وصوله؛ أي الظّلام والإغلاق. في معجم مقاييس اللّغة، الظاء واللّام والميم أصلان صحيحان، أحدهما خلافُ الضّياء والنّور، والآخَر وَضْع الشّيء غيرَ موضعه تعدّياً. فالأوّل الظّلمة، والجمع ظلمات. والظّلام: اسم الظُلمة؛ وقد أظلَمَ المكان إظلاماً. والظّلمة والظّلام: العتمة وذهاب النّور والضوء. وفي التّنزيل: ﴿اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ..﴾ البقرة٢٥٧؛ ذلك أنّ الجهل والكفر ظلمات، والإيمان نور معرفة وهداية، والأصل الآخَر ظلَمَه يظلمُه ظُلْماً. والأصل وضعُ الشّيْء في غير مَوضعه؛ ألا تَراهم يقولون: «مَنْ أشْبَهَ أباه فما ظَلَمَ»، أي ما وضع الشَّبَه غيرَ موضعه. قال كعب[1]:

أنا ابنُ الذي لم يُخْزني في حياته قديماً ومَنْ يشبهْ أباهُ فما ظلمْ

الظُلم مُعجمياً: الجور، ومجاوزة الحدّ. ويقال ظَلّمت فلاناً: نسبتُه إلى الظُلم. وظَلَمْتُ فلاناً فاظّلَم وانظلم، إذا احتملَ الظلْم. وفي التّنزيل: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ..﴾ الأنعام٨٢، و﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هِـذِهِ الْحَيَاةِ

(١) كعب بن زهير: كعب بن زهير بن أبي سلمى، المازني، من أعرق الناس في الشعر، أبوه زهير، وأخوه بجير، وأبنه عقبه، وحفيده العوّام، هجا عند ظهور الإسلام الرسول، وتشبب بنساء المسلمين، فهدر دمه، فجاء الرسول مستأمنا، وأنشده لاميته: بانت سعاد فقلبي اليوم متبول، فخلع عليه البردة، (؟-٢٦هـ، ؟-٦٤٦م).

الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّهُ وَلَـكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ آل عمران١١٧ . قال زُهَير:

هو الجوادُ الذي يُعطيك نائلَهُ   عَفْواً ويُظْلَمُ أحياناً فَيَظَّلِمُ

وفي قول الحارث بن ظالم المرّي[١]:

مَتى تَجمَعَ القَلبَ الذكيَّ وصَارِماً   وأنفاً حَمِيّاً، تَجْتَنِبْكَ المَظالِمُ

ظ-ن-ب: حركة الانبثاق من مكمن ظاء التّظاهر الإنشائيّ، تفتح المجال لظهور مستجلب التضخّم. في معجم مقاييس اللّغة، الظّاء والنّون والباء كلمةٌ صحيحةٌ، وهو العظم اليابس من ساقٍ وغيره، ثُمّ يتمثّل به فيقال للجادّ في الأمر: قد قرع ظنبوبَه. فقال قومٌ: تقرع ظنابيب الخيل بالسِّياط ركضاً إلى العدوّ. وقال قوم: الظُّنْبوب: مسمار جُبَّة السِّنَان حيثُ يُركَّبُ في عالية الرُمح، كقول سلامةَ بن جندل[٢]:

كُنَّا إذا ما أتَانا صارخٌ فزع   كان الصُراخُ له قَرْعَ الظّنَابِيبِ

وقيل الظُّنْبوب: أصل الشّجرة، وفي قول تأبّط شرّاً:

عاري الظَّنابيبِ، مُمتَدُ نَواشِرُهُ   مِدلاجِ أدهَمَ واهي الماءِ غَسَّاقِ

ظ-ر-ف: حركة الظّاء تُكرّر محاولة التظاهر بعظمتها غَضَبَاً وحصراً أو قطعاً، كما أسلفنا. أتت بحرف الفصل والتفريق للبتّ في الأمر. الظرف مُعجميّاً: الوعاء للأزمنة والأمكنة، وهو أيضاً وعاء الأدب والكياسة والحُسن، والظّريف: من اتسم بالبراعة والذّكاء واللّباقة وحسن الهيئة والحذق. انظر تسلسل (ح-ر-ف) و(ط-ر-ف) للمقاربة عند إدخال الظّاء. تفيدنا المقاربات في أنّ الوعاء المستوعب للمتظاهر المتكرّر أخذ عدّة اتجاهات عندما فرّق الفاء حدّة تفاخره، فاستوعبه الظّرفُ مكاناً وزماناً، ووجد الظّاء مجالاً ليكرّر بالرّاء حركته في كلّ ما يحتاج إلى إظهار البراعة. قال المعرّي:

---

(١) الحارث بن ظالم المرّي: الحارث بن غيث بن ظالم المرّي، أشهر فتاك العرب في الجاهلية،(؟-٢٥ق-هـ، ؟-٥٩٨م).

(٢) سلامة بن جندل: سلامة بن جندل بن عبد عمرو من بني سعد التميمي، من الحجاز، (؟-٢٣ق.هـ، ؟-٦٠٠م).

والجِسمُ ظَرفُ نَوائبٍ وكَأنَّهُ ظَرفٌ يُؤَخَّرُ تارَةً ويُقدَّمُ

إدخال حرف إلى وسط التسلسلات الآنفة:

ظ-ء-ل: لم أجد استخداماً لحرف يتوسّط الظّاء واللّام، لا في الشّعر العربي ولا في مكتبة التّراث. وما ذلك إلّا لكون لام التلاحم وظاء التظاهر لا يتفقان على وسيط بينهما، فاللّام لا يستطيع توصيل نسيج وهمي.

ظ-ع-ن: ظاء التظاهر المتضخّم في مسعى لمعاينة واتضاح المُبهم نحو إنشاء مستمر لتعاظمه. في معجم مقاييس اللّغة، الظاء والعين والنّون أصلٌ واحدٌ صحيحٌ يدلُ على الشُخوص من مكانٍ إلى مكان. تقول: ظَعَنَ يظعَن ظَعْناً وظَعَنَاً، إذا شَخَصَ. وفي التّنزيل: ﴿..وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتاً تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ..﴾ النحل٨٠، والظّعينة، ممَّا يقالُ فيه: هي المَرأة، وقال آخرُونَ: الظّعائِنُ الهوادجُ، كان فيها نساءٌ أو لم يكن. وهذا أصحُ القولين؛ لأنَّه من أدوات الرَّحيل. والظّعُون: البعير الّذي يُعَدُ للظّعْن. ومن الباب الظّعَان، وهو الحبل الّذي يُشَدُ به القَتَبُ على البعيرِ، وسمّيَ بذلك ظعَاناً لأنّه أحدُ أدواتِ السَّير والظّعن. ونرى أنّه وفق المعنى الحركي ليس مجرّد رحيل أو ذهابٍ وإنّما خروج مظهري التّفاخر. والظعن: الهودج إنْ كانت فيه امرأة، حيث يعرّش بستار وينمّق بالألوان. قال عمرو بن كلثوم:

قفي قَبْلَ التَّفَرُقِ يا ظَعينا نُخَبِّرْكِ اليَقينَ وتُخبرينا

ظ-ف-ر: حركة التظاهر بالمفاخرة، تتابع لها حركة الفصل والتفريق، ينمّ عن معيقات بسبب التصلّب أو صعوبة تعترض الظهور، ممّا أردف بتكرار منظّم يلاحق التفريق. المسعى فيه توجّه مظهري غاشم. في معجم مقاييس اللّغة، الظاء والفاء والرّاء أصلان صحيحان، يدلُ أحدُهما على القَهر والفَوز والغَلَبة، والآخر على قُوَّة في الشيء. ولعلَّ الأصلين يتقاربان في القياس. فالأوّل الظّفَر، وهو الفَلَج والفَوْز بالشَّيء. يقال ظَفرَ يظفَرُ ظَفَراً. واللّه تعالى أظْفَرَه. وقال تعالى: ﴿..مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ..﴾ الفتح ٢٤. ورجل مُظَفَّر. والأصل الآخَر الظُفْرُ ظُفْرُ الإنسان. ويقال ظَفَّرَ في الشَّيء، إذا جعل

ظُفْره فيه. ورجلٌ أظفَرُ، أي طويل الأظفار، كما يقال أشْعَر أي طويل الشَّعر. ويقال للمَهين: هو كَليل الظُفر. وهذا مَثلٌ. قال طَرَفة:

لا كليلٌ دالفٌ من هَرَمٍ أرْهَبُ اللّيلَ ولا كَلُ الظّفُرْ

ويقال ظَفَّرَ النَّبتُ تظفيراً، إذا طَلَعَ. وذاك أن يَطلُع منه كالأظفار بقوّة. ومن الباب ظُفْر القَوس، وهما الجزءان اللّذان يكون فيهما الوَتَر في طرفَيْ سِيَتَي القَوس. وربَّما قالوا الظّفَرة: ما اطمأنَّ من الأرض وأنبَت. وهذا أيضاً تشبيه. وفي التّنزيل: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ..﴾ الأنعام١٤٦. قال عروة الرّحال[1]:

أَلَا لَيتَ أنِ الذِّئب جلَّلَ دِرعَها وإن كان ذا نابٍ حَديدٍ وذا ظُفُرِ

وقال امرُؤُ القيس:

وَأعْلَمُ أنَّني عَمّا قَريبٍ سَأنشِبُ في شَبا ظِفرٍ ونابِ

استخلاص النّتيجة بمعيار العقل

نستخلصُ ممّا سبق أنّ حرف الظّاء يفيد تعاظم ظهور الحركة واتضاحها فهو تضخيم الظّاهر، وهو صوت حركته لو كانت متضخّمة؛ إلّا أنّ اللّسان يبرز عند نطقها. فالظّاء متضخّم كالطّاء لفظاً وكتابة. ولكنّه بدلالة البروز وضوحاً لا جوف له كما في الطّاء. عند دخول حرف الفاء، تخفّف من ظهور المعنى مثل: حفظ، ظرف، ظفر، فظر. كما أنّ علاقته بحركة طّاء التضخّم بدون بروز وظهور، أخذ الوجه المقابل للباطن.

حرف الظّاء عند ابن عربي[2]، من عالم الشّهادة والجبروت والقهر. وله غاية الطّريق، له الخُلُقُ والأحوال والكرامات.

في الظاء ستة أسرار مُكتَّمَة خفية مالها في الخَلَق تعيينُ
إلّا مجازاً إذا جادت بفاضلها يُرَى لها في ظهور العين تحسينُ
يرجو الإله ويخشى عدله وإذا ما غاب عن كونه لم يبد تكوينُ

---

(١) عروة الرّحال: عروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب، شاعر جاهلي كان من جلساء الملوك ولذلك سمّي الرّحال، بسببه ثارت حرب الفجار الثانية، (؟-؟).

(٢) الفتوحات المكيّة، م. س. السفر الأوّل ص. ٢١٨.

ويدلُ عند الشّيخ العلايلي: «*على التمكّن في الغُؤور.*»[1] المعنى هنا غير جليٍّ الدّلالة، فإن كان التمكّن مظهر سلطويّ، فما مُبرّر الغُؤور وفيه إضمار الخفاء؟ وهو عند حسن عبّاس «***هو تفخيم لحرف الذّال، يلفظ ملثوغاً مثله، فخفّ بذلك توتره الصّوتي وقلّت غلظته. وهو يوحي بالفخامة والنّضارة والأناقة والظّهور، وكذلك بالرّقة والنّضارة بما يتوافق مع ظاهرة اللّثغ في صوت هذا الحرف، والقساوة بشيء من الخشونة بما يتوافق مع صدى صوته المفخّم، رابطة من الشّدة والامتلاء والظّهور.***»[2]. ويدل عند إياد الحصني: «***على معنى الظهور؛ أي بروز بشكل متضخّم، وهو مأخوذ من طريقة لفظه الّتي هي بروز اللّسان مثل الزاي والذال مع تضخيم، مثل ظهر، ظل، ظلام، ظرف، قيظ .إلخ.***» [3] وعند محمد عقل: «***الظياة، الفمّة، الأحمق، والظيئة: (الجيفة) وهذا ما يبعد الإنسان عنها، رسمت في العربية الجنوبية بصورة إنسان جالس وعلى رأسه نقطة أو علامة الحمق، هكذا: ‌.***»[4]. عند التحوّل إلى الأفقيّة بقي المجنون (المغرور) جالساً كما هو.

حركة حرف الظّاء لا تقبل الاتصال بحروف عدّة. يرجع تحليلنا بسبب ذلك إلى أنّ الحروف الّتي سبقته في النّشأة، إنّ تبعته في أي تسلسل لخالف منهج النّسق التكويني المتناغم، وانسياب حركة الوجود. كما يلي:

- ظ-ت: الظّاء تعاظم مظهري بينما التّاء إجتذاب للحركات بلا تحرّك، فلا تجانس بينهما.
- ظ-ث: الظّاء والثّاء مخرج حركتيهما متقارب. الظّاء يعاظم حركته بينما الثّاء يكاثرها، فالاتجاهان متناقضان.
- ظ-خ: الظّاء لا تقبل الإخماد الّذي تمارسه حركة الخاء، فتوجّهها هو التعاظم.
- ظ-ج: التعاظم والدمج متعارضان.

---

(١) العلايلي، عبد الله، **مُقدّمة لدرس لُغة العرب**، وكيف نصنع المعجم الجديد، م. س. ص ٣١٣.

(٢) عبّاس، حسن، **خصائص الحروف العربية ومعانيها**، م. س. ص. ١٢١-١٢٤، بتصرف.

(٣) الحصني، إياد، **معاني الأحرف العربيّة**، م. س. ص ٧٣.

(٤) محمد، عقل، **ابجدية القرآن من مملكة سبأ**، م. س. ص ٥٤.

- ظ-ح: التعاظم من نشاط وحركة الخاء الداخلية، فلا مظهر لها خارجي.
- ظ-د: الظاء تعاظم والدّال اندفاع دلالي المقصد، اتجاهان متعارضان.
- ظ-ذ: التعاظم حركة مظهريّة والذال تمرير البروز الحسّي، وهي حركة داخليّة، فلا تلاقي بينهما.
- ظ-ز: البروز المادّي بالزّاء يخالف الظّهور في تعاظمه المظهري، والقصد إبراز ما يمكن أن يكون مخفيّاً. كما أنّ تقارب المخرجين يمنع اشتراكهما في لفظة واحدة..
- ظ-ص: الظّاء تعاظم والصّاد إحاطة وصد: المنهجان مختلفان لا يجتمعان في توجههما الحركي.
- ظ-ض: الظّاء تعاظم مظهري والضّاد التزام وتقييد، فالموائمة مستحيلة.
- ظ-ط: الظّاهر والباطن متعارضان.
- ظ-ش: التعاظم المظهري لا يقبل التشعّب والانتشار.
- ظ-س: التعاظم تعترضه حركة الهيمنة وبسط النّفوذ.
- ظ-ك: التعاظم المظهري فارغ مضموناً لا يقبل التكتّل، ولا التكتّل يلغي مضمون حركته.
- ظ-ق: مظهرية التعاظم تكشفها قوّة الإبانة والفصل، فلا تقارب بين حركتيهما.
- ظ-ع: التعاظم تكشف المعاينة زيفه.
- ظ-غ: غين التمويه والتورية تلغي مظهر وحركة التعاظم.

حرف الغين

غين+ ياء+نون

المسمّى الأبجديّ المتعارف عليه للحرف هو: غ-ي-ن

المخرج: الحلق وأدنى الفم.

ترتيب نشأة الحرف: الغين هو الحرف الثّامن والعشرون في ترتيب الأبجديّة العربيّة، والتّاسع عشر في ترتيب الحروف الهجائيّة العربيّة. يساوي الرّقم (١٠٠٠) في حساب الجُمّل. وفي الترتيب الصّوتيّ القديم هو الحرف الخامس عند الخليل بن أحمد، والرّابع والعشرون عند ابن جنّي. وفي الترتيب الصّوتيّ الحديث يأتي في الترتيب الثّالث والعشرين أو السّادس والعشرين عند علماء الصّوتيات المعاصرين.

سبب حدوثه: يرتفع أقصى اللّسان حال النُطق به حتّى يكاد يلتصق بأقصى الحنك تاركاً فراغاً ضيّقاً يسمح للهواء بالنّفاذ مُحدثاً احتكاكاً، وتتذبذب أثناء ذلك الأوتار الصّوتيّة. عند ابن سينا: ***«وأمّا الغين فهو أخرج من ذلك يسيراً [أي القاف]، وليست تجد من الرّطوبة ولا من قوّة انحفاز الهواء ما تجده الخاء، والحركة فيه إلى قرار الرّطوبة أميل منها إلى دفعها إلى خارج، لأنّ الحركة فيها أضعف وهواؤها يُحدثُ في الرّطوبة الحنكية كالغليان والاهتزاز»***[1].

الصّفات الصّوتيّة: الغين صوت احتكاكي مجهور، والغين من الحروف القمريّة؛ تظهر معه لام (أل) التعريف نطقاً وكتابةً، مثل: ألغُصن.

---

(١) إبن سينا، م. س. ص. ٧٤.

الصّفات الكتابيّة: حرف الغين من الحروف المعجمة (المنقوطة) بنقطة أعلى دائرته الصّغرى في جميع أوضاعه الكتابيّة. ويكتب في خط النّسخ مفرداً هكذا:غ كما في: نبوغ، ومتصلاً بما قبله هكذا: غ، كما في: رابغ. ومتصلاً بما بعده هكذا: غـ، كما في: غنم، ومتصلاً بما قبله وما بعده هكذا: ـغـ كما في مثل: نغم.

دلالة الاسم من خلال حروفه

- الغين: غيب وإخفاء.
- الياء: حرف حركي متعلّق بالزّمن، واستخدم كما رأينا في حرف العين وغيرها من الحروف.
- النّون: الرّنين والاضطراب، هو كتصادم أو تعارض السّالب بالموجب قبل الالتحام التكويني المتموضع الذي أكدته النّون الثانية.

تسلسل الغين: ما يدل على حركة هذا الحرف هو سلوكه مع حرف العين. وكذلك مقاربة التسلسلات مثل: غم، غدر، غباش، غبن، غلو، غيم، غش، غلاء، غول، غوى، غبرة وغيرها. فإن التقى بالفاء مثل غفر، غفا، فغر، فصلت في أمره حركة الفاء. نرى أيضاً أنّ حركة الغين تعارض توجّه حركة العين، وتحول دون تحقيق دقّة المعاينة كما في الغباش والغيب، وقد استعانت بالياء لحاجة التعطيل إلى زمن. كذلك توجّه مسعاها إلى تمويه ما تلاحقه حركة العين في التكوين، كالشّين مع السّين.

استطلاع مُتغيّرات اقترانات حرف الغين بصفته كمتبوعٍ وتابعٍ ومخترقٍ

غ-ل: دلالة غل، ظاهراً: الحقد والضّغينة الكامنة، وباطناً: دخل ولبس الشّيء حتّى صار من جملته. حركة الغين الّتي تسعى إلى إخفاء معالم وجهتها، أتت بلام التلاحم لنسج حركة جديدة. فهي تخفي من خلال ما تنسجه مسعى ءَاخر لا يظهر بل هو مكتوم بشدّة التلاحم. في معجم مقاييس اللّغة تسلسل: الغين واللّام أصلٌ صحيحٌ يدلُ على تَخلُل شيءٍ وثبات شيء، كالشيء يُغْرَزُ. من ذلك قول العرب: غَلَلْتُ الشَّيء في الشّيء، إذا أثبتُه فيه، كأن غَرزْتُه.. وفي لسان

العرب، الغُلُ والغُلّة والغَلَلُ والغَليلُ كله شدّة العطش وحرارته قلَّ أو كثر، رجل مَغْلول وغَليل ومُغْتَلّ بيّن الغُلّة. وربّما سُمّيت حرارة الحزن والحُبّ والحُزن غَليلاً، والغِلُ بالكسر والغَليلُ الغشُ والعَداوة والضِّغْنُ والحقْد والحسد. وفي التّنزيل: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ..﴾ الأعراف٤٣، و﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..﴾ آل عمران١٦١. الوغول والتغلغل: الدّخول في الشّيء، والأغلال: القيود، كما في التّنزيل: ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ غافر٧١. والغلّة: الدّخل والنّتاج من الزّرع وغيره مع بقاء الأصل وهي نتاج غير معروف بل مستور، يختلف عن الحصاد دلالة. وفي قول زُهير:

فَتُغلِل لَكُم ما لا تُغلُ لأهلِها ... قُرىً بالعِراقِ، من قَفيزٍ ودِرهَمِ.

غ-م: دلالة غم، ظاهراً: والكرب، وباطناً: السّتر. الحركة تمويه وإخفاء المعالم في مسعى للتكامل وتأمين النّواقص، وهي غير متيسّرة بل لا مجال للاستدلال عليها بسبب تمويه وإخفاء معالمها، تنبئ عن القلق. وفي تهذيب اللّغة؛ إذا غمَّ البُسر ليُدرك فهو مغمول ومغمون، كذلك الرّجل يُلقى عليه الثياب ليعرق فهو مغمول، ورجل مغمول: إذا كان خاملاً. الغمّ مُعجمياً أيضاً: الهم والظلمة والضّيق، وكما في التّنزيل: ﴿فَأَثَابَكُمْ غَمّاً بِغَمٍّ..﴾ آل عمران١٥٣، و﴿..ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً..﴾ يونس٧١. كما في قول طَرَفَة:

لَعمرُكَ، ما أمري عَلَيَّ بِغُمَّةٍ ... نَهاري، وَلا لَيلي عَلَيَّ بِسَرمَد.

والغَمام: السّحاب، كما في التنزيل: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ..﴾ البقرة٥٧. وأغمي عليه: فقد وعيه، والغمغمة: الكلام غير البيّن وغير المفهوم، كما في قول عَنترة:

في حَومَةِ الحربِ الّتي لا تَشتَكي ... غَمَراتِها الأبطالُ، غَيرَ تَغَمغُمِ

غ-ش: دلالة غش، ظاهراً: خدع ولم ينصح، وباطناً: غطّى وغلّ. خروج شين التشعّب والتضليل من حركة التمويه وإخفاء المعالم، هو إظهار ونشر خلاف ما يخفي قصداً ومضموناً. في المعاجم: غَشَّ فلانٌ فلاناً يَغُشُه غَشّاً وهو أنْ لا يَمْحَضَ له النَّصيحةَ. ولَقيتُه غِشَاشاً: أي عِنْدَ مُغَيْرِيانِ الشَّمس، وفي آخر

غُشَيْشِيانِ النَّهار: وهو أوّلُ النّهار وآخِرُ. وجاؤوا مُغَاشِّيْنَ للصُّبْح؛ أي مُبادِرِيْنَ إليه. في قول كُثيِّر عزّة:

فَقُلْتُ، وأسْرَرْتُ النَّدامَةَ: لَيْتَني وَكُنْتُ امْرِءاً أغتَشُ كُلَّ عَذُولِ

قلب ترتيب حروف الاقتران الثّنائي

ل-غ: لام التّلاحم أخذت المبادرة في استخدام غين التمويه، لينسج حركة جديدة من خلال غين التمويه والمواربة. فالحركة غير واقعيّة، وفيها تحريف. لغّ الطعام مُعجميّاً: أدَمه بالسّمن والودَك، هنا التشبيه يخلط ويمزج بين مواد مختلفة؛ فكأنّه يخفي معالمها الحقيقية. المُلَغْلَغُ في بعض المعاجم: الطعامُ المَأدُوْمُ بالسَّمْن. ولَغْلَغَ في كلامه؛ هو عيٌ وجَفَاءٌ وثقَلٌ فيه فلم يفصح لعجمة فيه. واللّغو: السّقط وما لا يعتد به من كلام وغيره، ولا يحصل به على فائدة. وفي التّنزيل: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ باللَّغْوِ فيَ أَيْمَانِكُمْ..﴾ البقرة٢٢٥، قال ذو الرّمة:

ويَهْلِكُ بينها المَرَئيُ لَغْواً كما ألغيتَ في الدِّية الحُوَارا

وفي قول أبي العتاهية:

الصَّمتُ في غَيرِ فِكْرَةٍ سَهْوُ والقَولُ في غيرِ حِكْمَةٍ لَغْوُ

م-غ: مسعى حركة الميم تجميع النّواقص للتكامل والإتمام، من خلال تمويه وإرجاع الحركة إلى مكمنها، فهو تصوير لحركة المغمغمة في الكلام والخلط والتمويه. المغ والمغمغمة مُعجميّاً: الخلط وعدم الإفصاح، مغمغ الكلام: لم يبينه، ومغمغ الطعام: لم يحسن مضغه، قال رؤبة:

ما مِنكَ خَلطُ الخُلُقِ المُغْمغِ فانفَح بِسَجْلٍ من نَدىً مُبَلِّغِ

ش-غ: تتجه حركة شين التشعّب والانتشار مستعينة بغين التمويه، لإرجاع الحركة الّتي تسعى إلى الظهور إلى مكمنها، وإخفاء معالمها. ألا يكفي تضليل التشعّب لكي تموّه الغين اتجاه الحركة! هنا إمعان في التشعّب المضلّل. الشَّغ والشَّغْشَغَةُ في الشّرْب: التَّصْرِيْدُ في الشّرب، وأيضاً الشّيء أدخله وأخرجه كما في الطّعن. والقَوْمُ إذا تَفَرقُوا: شَغوا. وشَغَّ البَعيرُ ببَوْله: إذا فَرقَه تَقْطيراً. يتضح في تسلسل (غ-ش) قصد مسبق لخروج تضليلي متشعّب، بينما في

(ش-غ) فالتضليل المتشعّب مموّه ومنحرف قصداً. قال عبد مناف بن زبع الهذلي:

الطَّعنُ شَغْشَغَةٌ، والضَّربُ هَيْقَعَةٌ ضَربَ المُعَوِّلِ تَحْتَ الدِّيمَنة العَضَدَا[1]

قال رُؤبة:

لو كنتُ أسطيعُكَ لم تُشغشغِ شِربي، وما المشغولُ مثلَ الأفرَغِ

إضافة حرف إلى أوّل تسلسلات الأمثلة السّابقة

ن-غ-ل: نون الإنشاء المستمّر تابع مَسعاه غين التمويه والتحريف، في متابعة تلاحمية، لإنشاء حركة جديدة. القصد غير سوي، مذ بدأت حركته بمطلب مساعدة الغين، فهو خروج إنشائيّ مموّه متلاحم. التلاحم مع حركة إنشاء غير قادرة على المواجهة تخفيها وتموّهها الغين؛ هو تدّخل في غير محلّة ينسج ويلحم علاقة خيوطها غير بيّنة ولا يعتمد عليها. النَّغَل بالتحريك مُعجميّاً: فساد الأديم في دباغه إذا تَرَفَّت وتَفَتَّت. يقولون: «وقد يُرَقّع النَّغل»، ويقال لا خير في دَبْغة على نَغْلة. نَغِل الأديمُ بالكسر نَغَلاً فهو نَغِل: فسد. ونَغِل الجُرْحُ نَغَلاً: فسد. يقال إن النَّغَلَ: الإفساد بين القوم والنَّميمةُ. والنَّغْل: ولَد الزِّنْيَة، والأُنثى نَغْلة والمصدرُ أو اسمُ المصدر منه النِّغْلة، والنَّغَلُ الإفسادُ بين القوم والنَّميمةُ. قال ابن نباته السّعدي:

قد بَيَّنَ الدأَءَ الّذي كَتَمَتْ تلكَ القلوبُ أديمُها النَّغِلُ

وقال ابن المعتز:

نَغِلَت ضمائرُ صَدرِهِ من دائه نَغْلَ الإِهابِ مُعَطَّلاً لم يدبغ

وقول أبي تمّام:

وأنت وقد مجّت خُراسان داءَها وقد نغلت أطرافُها نغلَ الجلدِ

د-غ-م: اندفاع الدّال إلى أبعد مدى وبتدبير مقصود. وقد استعان بحركة غين التمويه كي تتابع الميم التكامل وإتمام النّواقص. فالحركة اندفاع باتجاه تحقيق التمويه والتّغطية، تكاملها الميم بما توفّره من مستلزمات تنقصها؛

(١) يَعني بالمُعَوِّلِ الذي يَعملُ عَالةً، مثل الخيمَة يَكُنُّ بها غَنَمَه.

تنبئ عن مسعى تصادمي مندفع. في معجم مقاييس اللّغة، الدّال والغين والميم أصلان: أحدُهما من باب الألوان، والآخر دخولُ شيءٍ في مَدْخَلٍ ما. فالأوّل الدُغمة في الخيل: أنْ يخالف لونُ الوجه لونَ سائر الجسَد. ولا يكون إلّا سَواداً. ومن أمثال العرب: «الذِّئْبُ أدْغَمُ». تفسير ذلك أنّه أدغَمُ ولَغَ أو لم يَلَغْ. فالدُغْمة لازمةٌ له، فربَّما قيل قد وَلَغَ وهو جائع. يضرب هذا مثلاً لَمنْ يُغْبَط بما لم ينَلْه. ومن هذا الباب دَغمَهم الحرُ، إذا غشيَهم؛ لأنّه يغيِّر الألوان. والأصل الآخر: قولُهم أدغَمْتُ اللّجام في فم الفرس، إذا أدخَلْتَه فيه. ومنه الإدغام في الحُروف. والدَّغم: كَسْرُ الأنف إلى باطنه هَشْماً. ودَغَمَ الغيثُ الأرض يَدْغَمُها وأدْغَمَها؛ إذا غشيها وقهرها، والدّغام: سواد شحبار النّار على القدر. وفي قول ساعدة بن جؤيّة الهذلي:

بمُقَرّيات بأيديهمْ أعِنّتُها خَوصٍ، إذا فَزِعوا أُدغِمنَ باللُّجُمِ

وقال ابن حيّوس[1]:

ولَمْ تَصل غِيَرُ الأيام عاديَةً فالبُطلُ مُدَعَّمٌ والحَقُ مُدَغَّمُ

د-غ-ش: هنا متابعة الاندفاع القصديّ المموّه في مسعى للانتشار والتَّشعُب بحركة الشّين. يفصح عن بسط ونشر ما يستر ويموّه الحركة؛ فأعطى معنى الظّلمة والمزاحمة. الدَّغش مُعجمياً: ظلمة اللّيل، وسار دغشة؛ أي قبل طلوع الفجر، ودَغَشَ عليهم: هاجمهم قبل طلوع الفجر، والمُداغشة: المُزاحمة، قال الشّاعر:

كَيفَ تَراهُنَّ يُداغِشنَ السُرى وقد مَضى من ليلهِنَّ ما مَضَى.

إضافة حرف لاحق إلى التَسلسلات:

غ-ل-ب: هنا حركة الغلّ، الّتي وصفناها حركيّاً بأنّها تكتّم وتموّه وجهتها، ضغطت على الباء فانبثق من مكمنها المجال وانفتح فُجأة. هي كحال من كمن ثُمّ وثب فُجأة. غلب مُعجمياً: انتصر وفاز، نرى حركيّاً أنّه ليس مُجرّد انتصار، وإنّما هو انتصار مُفاجئ غير متوقّع لعدم تكافؤ في قوّة الفريق المنتصر مع من

---

(١) إبن حيّوس: محمد بن سلطان بن محمد بن حيّوس، من قيس عيلان، كان أبوه من أمراء العرب، شاعر الشام في عصره، مدح الفاطميين، وتوفي في حلب، (٣٩٤-٤٧٣هـ، ١٠٠٣-١٠٨٠م).

انتصر عليه، مما يفيد استدعاء وسائل للاحتيال والتّمويه. وفي التّنزيل: ﴿..وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ الروم٣. وكما في قول امرئ القيس:

وإنّك لم يَفْخَرْ عليك كفاخرٍ ضعيفٍ ولم يَغْلِبك مثلُ مُغَلَّبِ

والأغلب: الغليظ القصير، وأيضاً: قصير وضخم الرّقبة، وكذلك الشّجر والحدائق المتكاثفة، كما في التّنزيل: ﴿وَحَدَائِقَ غُلْباً﴾ عبس٣٠. وكما في قول امرئ القيس:

وَشَبَّهتُهُم في الآل لَمّا تكمَّشوا حَدائقَ غُلباً أو سَفيناً مُقيّرا

غ-م-ر: حركة الغم وهي الإطباق التّام تمويهاً، وكما أسلفنا تفيد إخفاء المعالم في مسعى للتكامل وتأمين النّواقص. وإذ هي غير متيسّرة أتت براء التكرار لتكرّر المحاولة مراراً، وهي حالة إطباق وستر. الغَمْرُ في لسان العرب: الماء الكثير، وماء غَمْرٌ كثيرٌ مُغَرِّقٌ بيّن الغُمورة وجمعه غمار وغُمور. وغَمْر الغَمْرُ بفتح الغين وسكون الميم الكثيرُ أي يَغْمُر مَنْ دخله ويُغطّيه، وفي الحديث «أعوذ بك من مَوْتِ الغَمْر» أي الغرَق. ورجل غَمْرُ الرِّداء وغَمْرُ الخُلُق أي واسع الخلُق كثير المعروف سخيّ وإن كان رداؤه صغيراً، وهو بيّن الغُمورة من قوم غِمارٍ وغُمورٍ. قال كُثيِّر:

غَمْر الرِّداء إذا تبَسَّمَ ضاحكاً غَلقَتْ لضَحْكَته رقابُ المال

وغَمْرُ البحر معظمه وجمعه غمارٌ وغُمورٌ. المُغَمَّر من الرّجال إذا استجهله النّاس وقد غُمِّرَ تَغْميراً، ورجل غُمْر وغَمِر لم تحنّكه التَّجارب. والمغمور من النّاس: ليس بمشهور، والغَمْرة: الشدّة، كما في التّنزيل: ﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ﴾ المؤمنون٥٤، و﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا..﴾ المؤمنون٦٣. والغَمَرَة: اللّهو والفتنة. والمُغامر: الملقي نفسه في الغَمَرات؛ أي في المجهول غير الواضح بالنّتائج المرجوّة، كما قال بلعاء الكناني[1]:

وفارسٍ في غِمارِ المَوت مُنغَمِسٍ، إذا تَألَّى على مكروهةٍ صَدَقا

---

(١) بلعاء الكناني: بلعاء بن قيس بن ربيعة بن عبد الله بن يعمر بن عوف بن كعب، شاعر جاهلي كان رئيس كنانة، (؟-؟).

غ-ش-م: حركة التمويه وإخفاء المعالم، وإظهار ونشر خلاف ما يخفي قصداً ومضموناً، تتابع الميم التكامل والإطباق بما أمّنت وأتمّت من نواقص. الغشم مُعجمياً: الظلم. نرى أنّه استعمال مجازي، وذلك من النّتائج الّتي تحصل نتيجة الجهل وعدم التّنبّه واليقظة في الاستعداد قبل وأثناء الحرب، تُقال في صفة الحرب الغَشوم، لأنّها تنال غير الجاني، وتنال الجاهل غير المستعد للمقاومة. والغشيم عند العامّة: الجاهل. وقيل هو أيضاً: الشّجاع الّذي لا ينثني عما يريد ويهوى؛ بل نقول المتهوّر، كما في شعر أبي كبير:

وَلَقَد سَريتُ على الظَّلام بِمَغْشَمٍ جَلِدٍ من الفِتيانِ غيرِ مُهَبَّلِ

إدخال حرف متوسط على التسلسلات:

غ-ف-ل: حركة غين التمويه تفصل بالفاء وتفرّق، ثُمَّ تقوم بلحم ونسج جديد. غفل مُعجمياً: سها. نرى أنّ السّهو لحظي مكاني، بينما الغفلة حالة مستمرّة من إطباق الجهل، وفقدان الانتباه بما تغفله عن البصائر والبصيرة. ولنا في غلّف مظهر إغلاقي باستخدام نفس حروف التسلسل. والغلف: المجهول من الأمكنة والمواقع، أو غير ذي معالم. واستغفله: تحيّن غفلته، والمغفّل: الّذي لا فطنة له. والغفل: المقيد، وغفل الشّيء: ستره. وفي التّنزيل: ﴿..وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾ الكهف٢٨، و﴿..وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ الأعراف١٣٦. ورو إبن برّي:

فابكِ هَلّا واللّيالي بِغِرَّةٍ تدور، وفي الأيّام عنكَ غُفولُ

وقال لَبيد:

قالَ هَجِّدنا فَقَد طالَ السُرى وَقَدَرنا إن خَنى دَهْرٍ غَفَلْ

غ-ن-م: حركة التّمويه وإرجاع الحركة إلى مكمنها، تتجه مع النّون لإنشاء مستمر، مستعينة بميم التكامل لتوفير المستلزمات والنّواقص. الغَنَم معجمياً: اسم جنس قطيع الشاة، وأرى أنّه استعير كونه ينشئ توالداً مستمراً غير متوقّع. وفي غَنِمَ غنيمةً وغانم: فاز وكسب، وقيل بدون مشقّة. نحسبُ أنّه بالاحتيال وبالغزو، فهو لا ينبئ عن نماء وجهد واضح؛ لورود الغين في بدء حركة التسلسل. فالمغانم تحصل بما كُسِبَ وأُصيب بالحرب من أرزاق، فلو كانت

خسارة لضاع الجهد وانقلب السّحر على السّاحر. وفي التّنزيل: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلاَلاً طَيِّباً وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ الأنفال٦٩، وفي قول المعرّي:

فَكَأنَّهم غَنَمٌ تَرودُ أُسامَها   مَن لا يُبالي كيفَ حالُ مَسامِهِ

وقول تأبّط شرّاً:

فَوَلّى بها جَذلانَ يَنفُضُ رأسَهُ   كَصاحِبِ غُنمٍ ظافِرٍ بالتَّمَوُّلِ

غ-ب-ش: حركة التّمويه والإخفاء تنبثق من مكمنها الباء مُتيحة المجال لتوجّه انتشاري مضلّل بحركة الشّين. الغبش مُعجميّا: بقيّة الظُّلمة يخالطها بياض الفجر، وغبش: خدع. والغباش: ما يحول دون إمعان النّظر سواء في العين، أو في المنظور، أو من خلال الشّيء، كما في قول ذي الرّمة:

أغباشَ لَيلٍ تمامٍ كانَ طارَقَهُ   تَطَخْطُخُ الغَيمِ، حتى ما لَهُ جُوَبُ

استخلاص النّتيجة بمعيار العقل

نستخلص مما سبق، أنّ حركة الغين على نقيض حركة العين، تعمل على تمويه التحقّق وظهور الحركة أو بيان مقصدها، بإخفاء معالمها. وقد استعان الغين لتسمية نفسه بحرف النّون وهو الإنشاء والتكوين، متوصّلاً إليه بحرف الياء الزّماني، لحاجة عملية التغييب إلى وقت.

حرف الغين عند ابن عربي[1] هو من عالم الشّهادة والملكوت، له الخُلُقُ والأحوالُ والكرامات.

الغين مثل العين في أحواله   إلّا تجلّيه الأطمّ الأخطرِ
في الغين أسرار التجلي الأَقهر   فاعرف حقيقة فيضه وتَستّرِ
وانظر إليه من ستارة كونه   حذَراً على الرّسم الضعيف الأحقرِ.

هذا الوصف يحتاج إلى تأويل.

يدلُّ حرف الغين عند الشّيخ العلايلي: «***على كمال المعنى في الشّيء***.»[1] الوصف هنا يناقض تماماً التمويه. وعند زكي الأرسوزيّ: «***يُعبّرُ عن الغيبوية***

(١) **الفتوحات المكيّة**، م. س. السفر الأوّل ص. ٢٠٠.

والغموض.»[2] وهو يقارب ما توصلنا إليه. وأمّا عند حسن عبّاس: ***«فصوت الغين يتشكل بتقبُّض مخرجه في الحلق بشيء من التشنُّج، ثمّ بتوزع النَّفس بفعل هذا التقبّض، صورته الصّوتية يقابلها في الطبيعة: اهتزاز واضطراب وبعثرة، أو راحة كفٌ خشنة، وغبارٌ يتناثر في الهواء في دغدغة محسّة، يوحي معها بغرغرة الموت والظلام والغؤور، ويوحي بالامّحاء والعدم والغمغمة والتخليط للخفاء، وكذلك الظّلام والسّواد الخفاء والستر والغياب، بما فيها غيبوبة وجدانية أو نفسية أو عقلية»***[3]. هذه المعاني والخصائص لا تخرج عن مضمون التمويه والتحريف والتغييب الذي قلناه آنفاً. ويدلُ عند إياد الحصني: ***«على معنى الغيب والغموض؛ أي الإبهام وعدم الظهور بشكل واضح، أو عدم إدراك الإنسان للشيء بشكل واضح وهذا المعنى مأخوذ من طريقة لفظه لأنّه يتغرغر ويختفي داخل الحلق ولا يمكن إخراجه بشكل قوي وظاهر. مثل: غيب، غموض، غد، لغز، غش، غبن، غدر... إلخ.»***[4] وهو عند محمد عقل: ***«آخر حرف من حروف المسند (المعينيّ الجنوبيّ) وهو الاحتجاب مع صحة الاعتقاد، والغيم والغين واحدة، والاحتجاب ظلال للغياب والموت. وهو احتجاب زمنيّ مُحدّد، يغلب عليه ترجيح مصير الإنسان، والغياب استعداداً للتجلّي والحضور والقيام من جديد. والغانة هي حلقة رأس الوتر في القوس. ترسم الغياب واحتجاب قرون الوعل، هكذا: ⊓⊓.»***[5] تحوّلت إلى الأفقيّة كما هي.

أشرنا فيما سبق إلى أنّ لترتيب نشوء الحروف دلالة في سلوكها مع غيرها. حرف الغين هو آخرها حسب ترتيب النشأة، وهو في سلوكه عند استدعاء الحروف السّابقة عليه، يعمل بما يخالف نظام التكوين، أو يُغَيِّبُ ويموّه دلالتها. من المنطقي أن تكون حركة منع الظّهور والتمويه بعد تكامل وإتمام نشوء الحروف لا قبلها. مع ملاحظة اختلاف سلوكه مع الحروف التي تعمل بالسّالب.

---

(١) العلايلي، عبد الله، **مُقدّمة لدرس لُغة العرب**، وكيف نصنع المعجم الجديد، م. س. ص ٢١٣.

(٢) الأرسوزي، زكي، **المؤلفات الكاملة**، المجلد الأوّل م. س. ص ٨٧. أنظر كذلك ص ١١١.

(٣) عبّاس، حسن، **خصائص الحروف العربية ومعانيها**، م. س. ص. ص ١٢٥-١٢٨، بتصرف.

(٤) الحصني، إياد، **معاني الأحرف العربيّة**، م. س. ص ٣٤.

(٥) عقل، محمد، **أبجدية القرآن من مملكة سبأ**، م. س. ص ص ٥٤، ٦٠، بتصرف.

الحروف الّتي لا تتبع حرف الغين هي: الهمزة لتقارب المخارج ولكون تناقض نشأة الحروف التي تمثّل فيها الهمزة المحفّز الأوّل والغين النّهاية والتحريف، وجيم الدّمج، حيث لا ترفض التمويه خشية أن يلغي الدّمج مهمّة تداخلها. والهاء لشفافيتها في حمل والانتقال تكشف ما يسعى للتحريف والتمويه، وحاء التعاظم الدّاخلي، وحركتها ذاتيّة لا تسمح بفتح المجال للتمويه. وخاء الإخماد تخمد مسعاها. وظاء الظّهور، مُتناقض بطبيعة حركته مع التمويه. وعين المعاينة والوضوح، هو أشّد الخصوم كما هو الحال مع قاف الإبانة والتقفّي. أمّا كاف التكتّل للمتآلف، فلا من سبيل لمساعدة التحريف، حيث إنْ تكتل بحركة أخرى ثبت ولا يعود له مجالٌ لحركة منفردة.

خاتمة

إنفلت البحثُ من أُطرٍ تأسره، واتخذ في شكله مُقاربة مع المنهج الاستقصائيّ، ذلك أنّا ربطنا جدليّة تراتب نشأة مسمّيات الأبجديّة بجدليّة الكون[1]، مبتدئين من النّشأة الأولى الّتي تمثّل الإنفجار العَظيم، كما لو أنّ كمون الطّاقة الّتي سبّبت الانفجار يماثل طاقة الألف المؤلّفة، في إجبار الباء على الانبثاق والبَوح بأسرار الحروف. غير أنّ إثبات العلاقة بين الشّكل والمضمون بقي في حدود المعالجة الإستدلاليّة. لم يكن من السّهل استنطاق معنى مُسمّى كلّ حرف والبرهنة على ما في التّناقض بين حروف مُسمّاه إلّا بمقابلة جدليّة مُسمّيات الحروف الأخرى، واقترانه بأيّ منها أو امتناعه لملاقاتها في تشكيل الكَلام.

وفّر لنا منهج الاستدلال استخدام مفاهيم الاستقصاء، والاستنباط، والبرهنة من الجُزْئيات (أصوات الحروف) إلى كلّيات تراكيب اللّفظ ومنطق الكَلم، ومقارعة النّقيض بضدّه، لمتابعة المعنى الحركيّ والتثبّت إنْ كان مُلائماً لنسق جدليّة النّشأة أو مخالفاً لها. بذلك توصّلنا إلى قواسم مشتركة أمكن بواسطتها المعايرة والقياس. تبيّن أنّ الألف تدلّ على حركة التّعامد بين الزّمان والمكان لإنشاء وجود حركيّ للنسيج اللّغويّ، وبواسطة صيَغَها الّتي بها تتحرّك الحروف يتمّ نسج الكلمات.. هكذا ألّفت حركةُ الحروف الثّمانية والعشرون وءَالفت فيما بينها الكلام في لُغة العرب.

بعد أن ثبّتنا المدلول الأقرب للمعنى الحركيّ لكل حرف، أخذنا به إلى مختبر المقارعة مع بعض ما ورد في المعاجم وديوان العرب الشّعريّ، ثُمَّ في محاكمة مع استخدام التّنزيل القُرءَانيّ. لم تعفنا هذه الآليّة من استحضار بعض ممّا قاله

(١) أنظر العلاقة الجدلية بين تسلسلي (ب-ج-د) و(ج-د-ل) فحيث الأولى منفتحة للدمج والاندفاع، أخذت الثانية منحة الاندماج المندفع تواصلاً وتلاحماً.

قدماء الباحثين في اللّغة واللّسانيّات، وما أمكن الاسترشاد به من تنقيبات ودراسات حديثة تناولت من قريب أو بعيد الحرف المكتوب والمقروء منذ العهود الغابرة، كلّ ذلك في سبيل تكوين صورة ذهنيّة للبيئة الّتي احتضنت بدايات المعرفة اللّغويّة ونشأة الحرف والكتابة..

أكّدت لنا مدارج ومعارج موجات أصوات حركات الحروف، مدى مطابقتها لتصميم ءَالة النّطق، وأنّ حركة الحرف في أيّ تسلسل، هي كيفٌ للحركة السّابقة وكمٌ للحركة الّتي تلحق بها، وتبين لنا كذلك أنّ الّذي يحدّد الصّيغ المُختلفة في جميع الاشتقاقات، هو مظاهر الألف ومواضع دخولها على الألفاظ. لذلك وضّحنا القوانين الّتي تتحكّم بها الحركة العامّة للتعاقب، من خلال ميزان صيغ الاشتقاق في مواكبة الاحتمالات المتنوّعة للعلامات، ودخول الأحرف الخاصّة بالافتعال، والطلب والتّراجع، والتّقليل والتّكثير، والتشّديد، ومظاهر الألف الأربعة وتقلّبات صِيَغ حركاتها.

إذ استخلصنا أنّ الكَلمة مرحلة من مراحل الفعل، اتّجه بنا المفكّر به إلى استدعاء سؤال (لماذا) هذه الكَلمة دون غيرها هي الدّالة على المعنى. مُحرِّك ءَالية الذّهن هذا دفع الفعل لتفعيل نَفسه، بملاحقة الاستخدامات في مواقعها، وشروط دلالاتها، قبل تثبيت نطاقها ونُطقها. فهي أي الاستخدامات، تجول في الذّهن قبل أن تسلك سبيل التأليف. وفي هذا السّلوك حِراكٌ مستمرّ في جدليّة بين الدّال والمدلول، بين القصد وأداة التوصيل. بذلك لا تكون حركة الذّهن مُقيّدة بثوابت، بل منطلقة خَلّاقة، متفاعلة الحركة، كونها في متابعة مع الفعل لا مع صورة من صُوَر مراحله.

ظهر لنا أنّ المفردة في الأصل هي عبارةٌ عن فكرة أحاديّة الدّلالة لا تتجزّأ، ولها مدلول (معنى) قصديّ ترمي إليه. ولا يحلّ محلّها أيٌّ بديل ءَاخر من المفردات. لذلك نرى أنّ دلالة الكَلمة مُستودع في حروفها قبل اختيارها. وما في حروفها من تناقض وتآلف، هو ما يجعلها كَلمَة ويجعل سياقها كلاماً، وقصدها كَلمات. وفي انتقائها من بين مثيلات مشتبهة أو مشابهة هو ما يبرز نيّة ما كان يضمره المتكلّم. السّبب في الاختيار هو ما تقوله المفردة له لا كيفيّة الاستخدام الّذي يقوله السّياق.

وهي لذلك ليست دالًّا يشير إلى مدلولٍ خارجها. بل هي دالٌ ومدلولٌ في الوقت عينه. إذن، العلاقة جدليّة بين الكَلمة والسّياق. والاختلاف هو انتقائيّ من مرتقب المتكلّم بينما في نظر المتلقي دلالي.

أمّا اللّفظة فتمرّ بمرحلة تقبُل واستساغة لتصير كَلمة. ولا يمكن أن يدلّ اللّفظ إلّا على انتقاء واحد مُحدّد في محتوى النّطاق وقصد المنطق. فحسن انتقاء الكلمات ومعرفة أسباب الاختيار ومنطقه ونُطقه تكون البلاغة والفصاحة.. هكذا تتشكّل الذّاكرة التخاطبيّة وأداة التفكير والجدل المعرفي. يفكّر الإنسان ويتخيّل ويشعر ويعبّر عن انفعالاته مع النّاس والمحيط بواسطة اللّغة، وهذه في حراكها الباطنيّ تمثّل ما يفرضه التمايز والاختلاف من إبصارٍ لوعي دلالة جدل التّناقض. كوننا نفكر باللّغة نفسها الّتي هي آسرة للمعنى، فهي تحيل البيئة الّتي تتداولها منطقة نفوذ لها، وتختمها بختم منطقها الموروث، كما نقول: لغة عربيّة. هكذا غدت اللّغة أداة الفكر ووعاءه، ووسيلة الخطاب والتّواصل. إتقان اللّغة لم يعد حذلقة ولا ترَفاً فكريّاً، بل هو ضرورة وواجب لتطوير حركة الإدراك والتّواصل، لغرض استيعاب جدليّة الكون وجدليّة الحياة.

وإذ مكّنتنا جدليّة حروف الأبجديّة من الوصول إلى بيان الأداء اللّفظيّ لكل حرف من حروفها، وأمكن بذلك قراءَة ذهنيّة توحّد الرّؤية اللّغويّة المحمولة حروفها في كَلمات، هل لي أنْ أطمح بأنْ يساهم هذا المنهج في تبنّي حركة جدليّة واحدة لتكوين لغة عالميّة موحّدة؟

توضيح معنى وقصد ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾

يفرض علينا منهجنا، أن نبدأ بتوضيح سبب استهلال بحثنا بـ"البَسْمَلَة". هل هي للتبرّك، أو هي عادة المسلمين في شعائرهم، وابتداء أعمالهم؟ لنعاين معاً تدبُر التّنزيل، كيف أنّها وردت في فواتح كافّة السّوَر القرءَانية باستثناء سورة التّوبة، الّتي تبتدئ بقوله تعالى: ﴿بَرَاءةٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾التوبة١، هذا ما يبرهن قصد الابتداء بالبسملة في كافّة السُوَر الأخرى، مستثنيا سورة التوبة. من المعلوم أنّ كلمة (السّورة) تعني المحاطة بالسّور[1]، والّتي تمثّل وحدة واحدة، فالتّوجُه بافتتاحها بالبسملة، يفيد أمراً مقدّراً في الذّهن والنّيَّة، وهو رسم القصد والغاية قبل ولوج باب السّور، أي سور الآية. نلاحظ ابتداء شبه الجملة بحرف باء الانبثاق في (بسم الله)، وهو كما ورد في بحثنا هذا «**الأبجدية ودلالاتها**»، يمثّل ذراعَ وأداة العمل والحركة. كما نلاحظ أنّ الفعل المقدّر الّذي يسبق شبه الجملة «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ»، هو أحد أفعال القلوب: أقرأ، أهتدي، أستنير، أعلم، أبصر، أتدبّر.. إلخ. فالاقتران اللّفظي، وابتداء فواتح السّور بـ"البسملة" يوجّهانا ويدلّانا إلى ضرورة رسم الغاية من الفعل الّذي ننوي تنفيذه، قبل الشّروع بالعمل وعند المباشرة به، وإلّا يكون مسعانا لهواً غير قصدي التّوجّه.

ما هو القصد إذاً من (البسملة)، ولماذا اقترنت باسمي (الرّحمن والرّحيم)، وليس بأيّ من أسماء الله الحُسنى، كالعزيز الحكيم، والقدير الوهّاب، ..إلخ؟

نتبيّن الإجابة من قصديّة (الرّحمن والرّحيم)، في رسم غاية مسعانا عند ولوج أيّ سورة من سُوَر القرءَان؛ وبالتّالي أيّ عمل ننوي القيام به، ألا وهو البحث داخل ءَايات السّورة الّتي ننوي ولوج بابها عن (الرّحمن وعن الرّحيم). إن أمعنا

---

(١) تسلسل (س-و-ر) وفقاً لمعنى حركة أصوات حروفه تعني: الهيمنة وبسط النفوذ بحركة السين في توجّه للتموضع المكاني بالواو وتكرار استمراره بحركة الراء.

النّظر والتفكّر بغاية ما نتوخّاه هنا، نجد أنّه العلم بما نجهل، والهداية في أسلوب وطريقة أداء العمل، فلا نقع في الخطأ والخطيئة؛ وبهما ومن خلال تدبّر ما يهدينا إليه التّنزيل في كلّ سورة، نكون قد حقّقنا القصد الّذي نوينا البحث عنه والعمل به، فيعفينا (علم) الرّحمن من مشقّة البحث، بما توفّره السُورة من معلومات وعلوم، و(عمل) الرّحيم بما يوجّهنا إليه التّنزيل في السّورة من ضوابط سلوكية تقينا الخطأ والخطيئة في العمل. وهذا لا نجده في مطلع سورة التّوبة الّتي استُهلّت بلفظة (براءة) بما تمثّل من تأنيب وتقريع.

من المفيد أن نتبيّن الفرق بين لفظتي (الرّحمن) و(الرّحيم) وفق المعنى الحركي للحروف وبدلالتها، الذي هو غاية بحثنا، كما بيّنا تفصيله في نافذة الرّاء، في تسلسل (ر–ح–م) و(ر–ح–ي–م)(*)، وكذلك الاستدلال على تسلل كل من (ع–ل–م)، (ع–م–ل)، في نافذة العين، لما في التقصّي من رابط قصدي، مطلوب أن يكون إمامَ ودليل وجهتنا في البحث.

نستدل من المعنى الحركي لكل من لفظتي (علم) و(عمل)، أنّ العلم يتضمّن ويستبطن العمل، والعمل يتضمّن ويستبطن العلم، وكلّ منهما سبيل للآخر، لاقترانهما بنفس الحروف، وما في تبادل موقع حرفي اللّام والميم إلّا بياناً لتأكيد التّرابط فيما أكّدنا عليه، وكذلك هي الحال مع الـ(رحمن) والـ(رحيم).

(*) ر–ح–م: الرّاء تكرار مُنَظّم، والحاء تعاظم داخلي، والميم تكامل بإتمام النّواقص، وهذا فعل ودور الرّحم، ففيه يتكرّر انقسام الخليّة، ويتعاظم الجنين داخليّاً، ويتكامل بما ينقصه، فينشأ تامّاً وكامل الخلقة مولوداً، «أنظر كيف أنّ حركة حرف الرّاء هي مشدّدة، مما يدل على تكرار الانقسام ومتابعته مرارا»، والفرق بين «رحمان» و «رحيم»، هو أنّ حرف الميم تبع فوراً حرف الحاء، في رحمان، ثمّ أتت النّون لتجعل المعنى الحركي يفيد معنى: «التّكرار المتعاظم يسعى إلى التّكامل بما ينقصه بالميم في ولوج محوري الزّمان والمكان بإنشاء مستمر، من خلال الألف والنون كما وضحنا في قرآن وخسران. وهذا المعنى نجده في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ طه٥، و﴿الرَّحْمنِ﴾ ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾الرحمن٢، التّوجّه هنا معرفي وعلمي، فالاستواء على العرش «الوجود المطلق» هيمنة معرفية مستمرة زماناً ومكاناً بدلالة حرف السّين، و«الرّحمان علّم القرآن» هو توجّه علمي لفظاً ودلالةً. بينما في لفظة «رحيم»، نجد أنّ حاء التّعاظم تابعت التّكرار المنظّم واتّجهت بالياء الزّمانية، لوضع الحركة في محور الاستمرارية إلى ميم التّكامل بالنّواقص دون استدعاء المكانيّة، وهذه دلالة أيّ عملٍ، فهو يبدأ خطوة خطوة، ومرحلة مرحلة، فتتعاظم وتنمو المهارة، ثمّ تستمر آليتها كي تتكامل بما ينقصها ويستجد من خبرة. فما يوجّهنا إليه التّنزيل، من خلال «البسملة»، هو البحث ومتابعة العلم والعمل، ذلك أنّ العلم لا يتم بدون عمل، والعمل لا يتقن دون علم، فما هو العلم وما هو العمل، وفقا للمعنى الحركي للحروف؟

بعد التّعرّف على الدّلالة الحركيّة والقصديّة للبسملة، تتضح الإجابة عن السّؤال: من أين نبدأ؟ فإذ السّؤال يستبطن ويضمر مُسبقاً العمل، فالمسعى إليه يكون بالعلم، ومن رسم الغاية أوّلاً، فما هي غاية العلم إذن؟

الإجابة فيما أوحى إلينا به التّنزيل في سورة العلق، وأمرنا بأن نقرأه بحرف الباء أوّلا، لما هو من عالم الغيب، واستدعى فتح المجال في قوله: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾العلق١، وفي عالم الواقع بحرف الواو في قوله: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾العلق٣، فالدّلالة من السّياق، والأمر بقراءة القرءان قراءتين الأولى بالباء الانبثاقية، والتي فتح لنا بها التّنزيل عالم الغيب، والثّانية بالواو المكانية التي أكرمنا الله بما وفرّه لنا من هداية في تقليم ما ندرسه وتفحص أجزائه ومكوّناته، وتلبية تحقيق أمره بأن نَعْلَمَ لِنَعْمَلَ ونَعْمَلَ لِنَعْلَم، فحيث ينتهي الأوّل يبتدئ الثّاني، وهكذا.

نَظم في معاني حروف الأبجديّة العربيّة[٢]

ألفٌ يؤلّفُ اسمُها حَرْفَ الهجا   من انْبثاقٍ أنْطَقتْ صَوتاً بباء
ضَغَطَ الكُمونُ بذَرْها مُتَفَجِّراً   ومُؤَكِّداً أنَّ الصَّدى رَجْعُ النِّداء
صارتْ تُشَكِّلُ للحُروف دَلالَةً   وَتَصيغُ منْ دَفْقِ الهَوا جُلَّ البناء
لامٌ وَفاءٌ والتَّناقُضُ دَأبُها   نَسْجٌ وفَصْلٌ مُحكَمٌ ءَايُ ابْتِلاء
أشْكالُها : فَتْحٌ وَضَمٌّ والسُكو   نُ مُثَبِّتٌ والكَسرُ تحريكٌ بِياء
والهمْزَةُ القُصوى هَواءُ الصَّدرِ مُنْـ   ـدَفِعاً ببدْءٍ أو إيابٍ وانتهاء
والباءُ فَتْحُ مَدارجٍ، قَصْفٌ أتى   مُتَتَابعاً من بَعدِهِ حُكمُ القَضاء
والجيمُ أطبَقَ دامجاً تلكَ الشَّظا   يا مُحكماً مَجرى نطاقٍ واجتلاء
فَتَدافَعتْ قَصْدَ المَدى وأحَالَها   دالاً تَرومُ مَجالَ رَتْقٍ واهْتداء
وتَحَمَّلَتْ ثقَلَ الحُروف مَواكبٌ   تسعى إلى التِّرحالِ هاءٌ في الهَواء
وَتَمَوْضَعتْ واوُ الأماكنِ تَنْتَحي   في مَسْلَكٍ يَجري بأمْرٍ منْ عَلاء
إذْ أبرَزَتْ ما صارَ كَوْناً وَانْبَرَتْ   حَتّى تُقارِبَ قابَ قَوْسَيْها بِزاء
خَلْقٌ بحاء تَعاظُمٍ مَسرى حَيا   ةٍ في نَماءٍ مُستَديمَ الاحتِواء
فَتَضَخَّمَ المَسعى بحَرْفٍ كامِلٍ   واستَوعَبَتْ للطَّيِّ بُرهاناً بطاء
وَأتَتْ بياءٍ للزَّمانِ تَرومُها   وَضْعاً لميقَاتٍ فَلا أجَلٌ بناء
وَتَكَتَّلَتْ في كُلِّ مَجرى أنْجُمٌ   بالكافِ تَسْعى للتّآلُفِ والبَقاء

(٢) الغرض من هذا النّظم، المساعدة في حفظ معاني ودلالة حروف الأبجديّة.

وَتَواصَلَتْ باللّام حَبْكاً مِثْلَما ... تَجري كَواكِبُها بعُمُد في السَّماءِ
وَتَكامَلَتْ بالميم النَّواقِصُ كُلُّها ... فَتَجَلَّت الأَفلاكُ مشكاةَ البَهاءِ
بالنُّون أَبْدَعَ خالِقُ الأكوان كَوْ ... نَاً قائِماً مُتَوائِماً رَحْبُ الفَضاءِ
إذْ هَيمَنَ الرَّحمنُ في سين النُّفو ... ذ عَلى الوُجود مُوائِماً عَرشَ السَّناءِ
وَمُعايِناً بالعَين وضْعَ عِباده ... مِنْ مُبْهَمٍ أو مُغْلَقٍ أوْ مِنْ عَناءِ
حَتَّى إذا عَرفَ الحَقيقَةَ مُبْصِرٌ ... للفصْل ما بَيْنَ الأمُور أتَى بفاءِ
فَتَآزَرَتْ بالصَّاد جُهْدَ تَكاتُفٍ ... مَسْعىً وَمَبْغىً جارِياً عَبْرَ الفَضاءِ
قافُ الثَّقفِيّ والإبانَة قُوَّةٌ ... للكشف عَمَّا يختفي عِنْدَ الثَّناءِ
وَتَكَرَّرَتْ بالرَّاء سَبْعاً مُطْبِقا ... ت والنُّجومُ تَحفُها دونَ انتهاءِ
وَتَشَعَّبَتْ لا عَدَّ يَحْصُرها ولا ... تَسعى بشين الانْتشار إلى لقاءِ
وَتَوَزَّعَتْ أُفُقَ السَّماء جُهودُها ... سَعْياً تُؤازِرُ حَبكَها جَذباً بتاءِ
وَتَكاثَرَتْ بتَرَيُّث وثَبات نَظْـ ... ـمٍ سائرٍ في دَرب مَجرات بثاءِ
إنْ أخْمَدَ الرَّحمنُ نورَ سراجِها ... كُنِسَتْ وَتاهَتْ عَنْ بَصائرِنا بخاءِ
والذّالُ حسٌ بالحَقيقَة إنَّها ... كَرَمُ الإله وَسرُّ تفعيل الرِّضاءِ
والضَّادُ مُلتَزِمٌ بنَهج ثابت ... كي لا يَحيد مَسارُهُ عِنْدَ الأداء
ومُهَيْمِناً وَمُعاظِماً أو مُظهِراً ... أنَّ الوُجودَ بَدا لَنا حَجْماً بظاءِ
والغَيْنُ تَمويهُ البَصائرِ حاجِباً ... كَيْ لا نُميِّزَ أو نَعي سِرَّ الخَفاءِ

عاصم المصري

ثَبتٌ بتعريف المُصْطلحات

نوجز تعريفاً ببعض المُصطلحات الّتي استُعملَتْ كي لا تُفسَّر بغير ما وضعت لتبيانه أصلاً، وهذا يندرج في ردّ الدّلالة إلى القصد المُتوخّى، لا إلى ما يمكن أن يكون قد استُخدِم في نصٍ ءاخر.

الأبجدية: الأبجَديّةُ العربية مُصطَلَحٌ يُطلَقُ على الكَلمات الّتي تَجْمَعُ حُروفَ هجاء اللّغة العَرَبيَّة وهي: أبجد، هوَّز، حُطّي، كَلَمُنَ، سَعَفَص، قرشتّ، ثَخذٌ، ضظَغْ. وهذا التّرتيب مأخوذٌ من ترتيب المُسند اليمنيّ القديم. تقوم على أساسٍ صوتيّ، وتنطلق من تعريف الشّكل الكتابيّ (الرّسم الخطّي) المُكوَّن من اجتماع حروف تُنطِق أصواتاً لها مدلولات، اتخذت هيئات ترمز إلى أشياء أو حالات.

الف المد: حرف الألف الممدود (ا)؛ أي غير المكلّل بالهمزة كتابةً، هو مدّ زمكاني تمادت به حركة الفتحة، يماثل متابعة الانطلاق حضوراً. ميّزناه بالخط الممتد بين الزّمان والمكان صعوداً أو نزولاً، لإظهار موقعه بين الظاهر والباطن، وعدم تصارعه مع التجاذب الزّمكانيّ للموجة الصوتيّة.

الاشتقاق: إرجاع بناء الألفاظ إلى جدليّة توازن التّناقض في الثّنائي أوّلا، للاستدلال على القصد الأصلي لبناء مطلوب التأسيس عليه، أيّ بقراءَة من اتجاهَيْ جدليّة حرفي الثّنائي. وكذلك بإرجاع الثّلاثيّ إلى الثّنائيّ، وهكذا مع الرّباعيّ والخماسيّ.

الإفصاح الاشتقاقي: تدل جدليّة حركة الحروف على الاتجاه الحركي في الزّمان والمكان. وهي تشير إلى التغيّر في الحركة الذّاتيّة وفق قاعدة سلوك صيغها كروابط بنائيّة. وتفصح حروف العلّة بشكل جليّ عن هذه العلاقة، كونُها حروفاً حركيّةً، وهذا يتمّ من خلال متابعة احتمالات التغيّر في وسط المفردة كونه قلبها وأهمّ جزءٍ فيها.

الاقتران: علاقة الحرف بغيره، سواء كان بادئاً للتسلسل أو تابعاً أو متوسطاً.

البصمة الصوتيّة: مواقعة ءَالة النّطق لهواء الرّئة عند خروجه تلتطقها ءَالة السّمع فتقوم بفرزها وتصنيفها وتحديد خصائص هويّتها كبصمة يتمّ القياس عليها. وهنا كما التّذهين يطبع ما يدمغه، يطبع الصوت بصمته، مُختزناً تردّد وذبذبة كلّ صوت يسمعه، متذكّراً الحركة نُطقاً ولَحناً، بحيث يكون قادراً على تمييزها.

بُنية الكَلمة: دلالة بُنية الكَلمَة مستودع في حروفها قبل اختيارها. وما في حروفها من تناقض وتآلف، هو ما يجعلها كَلمة بالنّسبة إلى المتكلّم ويجعل سياقَها كَلاماً. لذلك تحدّد الكَلمَة قصدَ المعنَى في ذهن المتكلّم، والسّياق يُميّزَ سير حركتها.

التأليف: يشمل عُدّة الكلام المُتصوّر في كلّ بناء، مُستعمَلَه ومُهمَله، في الصحيح والمعتل من كليهما. وهو يعالج علاقة بُنية الكَلمة بما تتيحه حركة الحروف عند تبادل المواقع، في إبراز قصد المعنى الّذي يفرضه الحرف البادئ على التسلسل.

ترتيب الأبجديّة: هو دلالة النّسق المتتابع لمعنى ترتيب الأبجديّة: إنّ الإنسان اليمنيّ بعد أنْ أخذ المعنى لأصوات الحروف ركّب منها العبارة، ثُمّ حطّ الاشتقاق وتكلّم تواصلاً مع الآخرين، ليتعلّم ويعلّم، ثُمّ ليعقل ما تعلّم، وليحفظ بعد ذلك ما عقله، وليكامل النّتائج تتابعاً.

تنقيط الحروف: نقصد بتنقيط الحروف بيان دلالة حركة الحرف الكتابيّ المرمّز لإظهار اتجاه وتوجّه صوته في تدرّجه وعُروجه، ومدى الانسجام مع الإيحاء

والتوجّه في تشكيل هيئته، ليفصح الرّمز الكتابيّ عن حراك قصد وهيئة الحرف.

جدل صوت الحرف: ءالة النّطق بما تحتويه من تجاويف وأوتار ومعيقات تصادميّة، ميّزت خروج هواء الرّئة مشكّلة أصوات حروف الأبجديّة، صار تذبذب حركة الحرف بين الانسياب والممانعة، يحكمها جَدلُ التناقض بين محوري الزّمان والمكان.

جدليّة الحرف: تعني أنّ في مسمّى الحرف مَعنىً كامنٌ فيه، يفصح عن علاقة جدليّة بين حروفه، ويدل على توازن التناقض بينها، فحرف (د+ا+ل) مثلاً، جدل بين الاندفاع والاتصال، والوسط حرف المد الزّمكانيّ، فعند عكس ترتيب المسمّى إلى (ل+ا+د)؛ أي شديد الخصومة وقوم لُدٌ و لَدَّه خصمه فهو لاَدّ. وجدلياً أحدهما في الاتجاه عكس الآخر.

جدل مسمّيات الحروف: الإسم والسّمة، وفق الدّلالة الحركيّة تفيد الهيمنة المتكاملة إمّا إنشاءً وإمّا انتقالاً. تمثّل حركة الجدل في الحرف من خلال تعاقب حروف مسمّاه، ويدلّنا على قصد حركته مَنْ يأخذ بِه إلى نقيضه، وهو وسطه، ومن إدراك كيفيّة الحراك نستدل على سببه الذي عيّن الكيفيّة قبل أن تتكوّن.

جدليّة اللّفظة: قراءة كلّ لفظة مكوّنة من الثنائي والثلاثي وغيرة، من خلال جدليّة توازن التناقض، إذ نقوم بمقابلة اللّفظ بنقيضة لمعرفة سلوك وجدل الحروف المكوّنة له من خلال ترتيب النّشأة وتعارضها، لغرض استقصاء المعنى الحركيّ، كما في (جد) مقابل (دج)، و(سمر) مقابل (رمس). فالجدليّة التي تقوم على التّشابه من وجه وعلى التّناقض من وجه ءَاخر، تعود فتختلط بين الزّمان والمكان.

حركيّة الحروف: ننظر إليها من خلال تقلّب المظاهر الأربعة لظهورات الألف وتبادل الأدوار فيما بينها، لتأدية المعنى المقصود أو الإشارة إلى الزّمكان.

الزّمكان: لفظٌ مستحدثٌ يُعنى به جدليّة الزّمان بالمكان والمكان بالزّمان، وحيث لا زمان بلا مكان ولا مكان بلا زمان، استخدمنا هذا النّحت لتأكيد إضمار كلّ منهما للآخر وخاصّة في حركة الحروف وصيغ الكلام.

السّياق: تضع الكَلْمة المفردة في اقترانها بكلمات أُخرى تستدعيها، سياقاً تسوقه من فكر المخاطب (بالكسرة)، إلى سمع المخاطَب (بالفتحة)، لتصل إلى جارحة الفؤاد، فيُعقل ما في الكلام من معنى. العلاقة بين الكَلْمة والسّياق جدليّة. والاختلاف هو انتقائيّ من مرتقب المتكلّم ودلالي في نظر المتلقّي.

صوت الحرف: هو الصّورة والهيئة المجسّمة لحركته، جمّدت على حالها الأوّل، بعدما تلاشى هواؤها. فهو، أي الصّوت، صورةٌ للحركة يساعد على حفظها.

الفكرة: إيحاء ذهنيّ لاستعارة مفردات تتفق والمنحى الجدليّ والمنظور الفلسفي أو الوصفي، كمُحرِّك ءَالية الذّهن لتفعيل الفعل نفسه، بملاحقة الاستخدامات في مواقعها، وشروط دلالاتها، قبل تثبيت نطاقها ونُطقها. فهي تجول في الذّهن قبل أن تسلك سبيل التأليف. وفي هذا السّلوك حراك مستمرّ في جدليّة بين الدّال والمدلول.

القول: إبانة لمَا هو مطلوب توضيحه من رأي أو فعل، ينسج نسيجاً من خلال التّأثير على وسائل الإدراك الممّثلة بالنّظر والسّمع واستشفاف الأحاسيس. وهي إشارات بيانيّة من مرئيات وأحاسيس يستشفها الإنسان ممّا حوله من ءَايات الله ومخلوقاته، والقول منسوب لجوارح المتلقّي، ومن هذا تداخل الالتباس بين القول والكلام.

الكَلْمَة: الكَلْمة بفتح وسكون، متصلة بالكلوم والجوارح، فهي منسوبة للمتلقّي. فالكَلْمة والكَلام تشير إلى ما يصل جوارحه تكليماً. وجمع كَلْمة هو كَلم.

الكَلِمَةُ: بالفتح والكسر، منسوبة للفاعل وليس للمتلقّي. كما قيل: «في البدء كان الكَلِمَة». وجمع (كَلِمَة)، كَلِمات. فالكَلِمة مرحلة من مراحل الفعل، ومُحرِّك

ءَالية الذّهن لتفعيل الفعل نفسه، بملاحقة الاستخدامات في مواقعها، وشروط دلالاتها، قبل تثبيت نِطاقها ونُطقها.

اللّفظ: اللّفظ رمي إلى المجهول بقصد الإبعاد والرّفض وعدم الاستساغة. تمرّ اللّفظة بمرحلة تقبُل واستساغة لتصير كَلِمة، متداولة ضمن نطاق فكري دلالي المعنى.

اللّسان: اللّسان من منظور النُطق منسوب إلى الجماعة والقوم في وصف القدرة على تفعيل جدل الحروف بحركاتها، لذلك يوصف بالمُبين، فهو ينشئ بياناً ولا يموّه لُغة لذلك يلفظ ما لا يبين.

اللّهجات: هي لحنٌ ناشئٌ ضمن مجموعة أو مجموعات، لها بيئتها الذّاتية المنغلقة على ذاتها من جهة، والمنفتحة على محيط أوسع من بيئتها من جهة أُخرى، مما يسبب هذا التبديل في طريقة نطق الكَلْمة، وهي تمثّل رحلات اللّفظة التاريخيّة في مناطق نفوذها وأماكن إقامتها الدّائمة والمؤقّتة.

اللُغة: تتألّف اللُغة من جميع الاحتمالات الممكنة لتسلسل الأصوات المستودعة في مخزون الذّاكرة التخاطبيّة التاريخيّة. وهي عديدةٌ يصعب إحصاؤها. فاللّغات مخازن ومستودعات وأوعية لحضارات الشعوب. وهي مخزن ومستودع الألفاظ المنقولة بالكلمات عبر الحراك التاريخيّ للمجتمع، فتنسب إلى القوم كمحصّلة. وتتضمّن كما يدل حرف الغين على ما فيها من غموض وإبهام، يستدعي المعايرة والمعاينة قبل الاستخدام.

المراكز المتحركة لآلة النّطق: المراكز المتحرّكة هي خمسةٌ؛ ثلاثةٌ في اللّسان وواحدةٌ في الشّفتين وواحدةٌ في الأسنان. كلّ حركة عروج تتم من خلال التّناوب في تغيّر الحركة في المراكز الثلاثة (اللّسان والأسنان والشفتين). وهي الّتي تقوم بتصوير الحركة بمثالٍ شاخصٍ هو هيئة الصوت.

مدارج الحروف: تسمية أطلقها الفراهيدي لتعيين حركة الحروف حسب مخرجها من الجوف وأقصى الحلق إلى الميم المُطبقة؛ أي الميم الّتي مخرجها من الشّفتين بالسّالب، هي بالتّرتيب التّالي: **جوفيّة**؛ لأنّها تخرج من الجوف،-

حلقيّة- **لهويّة**- **شجريّة** من شجرة الفم- **أسليّة**؛ من أسلة اللّسان؛ أي مُستدقُ طَرَفه- **نطعيّة**، من نطع الغار الأعلى- **لَثويّة** من اللّثة- **زلقية** من زلق اللّسان وطرف غار الفم، وزلق الشّفتين.

معارج الحروف: المعارج (المراقي)، أطلقنا تسميتها على الحركات الأربعة. نمثّلها بالمحور العمودي للموجة الصّوتيّة؛ وهي الفتحة الزّمكانيّة. الكسرة الزّمانيّة؛ تفيد بيان الباطن، والضّمة المكانية، وتفيد بيان الظّاهر؛ أي خاصية التّموضع المكاني. ثمّ السّكون عند التوقّف؛ أي جهد التثبيت.

المعايرة: تقدير المتغيرات في تبدّل مواقع الحروف والنَظَر فيما ينشأ بينها من اتفاق أو اختلاف، للتدليل على القصد وكشف المضمر.

المعنى الحركي: نقصد بالمعنى الحركيّ: دلالة التّعبير عن حقيقة وأثر الرّابط الصّوتي، بما يظهره الفرق في الشّحنات الصّوتيّة بين حرف وءَاخر، لتمييز دلالة مَعناه كصوت حركي، عن المعنى المعجميّ أو الشّائع استخدامه.

المفردة: عبارةٌ عن فكرةٍ لنفسها فقط، ولا تعبّر عن أيّ شيءٍ سوى ذاتها. فكرة المفردة، أو مفردة الفكرة، شيءٌ واحدٌ في حقيقة الأمر. فليس ثمّة فكرة بدون إشارةٍ قصديّة كامنة فيها. ولها مدلول (معنى) قصدي ترمي إليه. حركتها في هذا التّصوّر ذاتيّةٌ، يمكن لها أن تسير بأيّ اتّجاهٍ لتقترن بمفردة أخرى من جهةٍ ما. وهي لذلك أحاديّة الدّلالة لا تتجزّأ، وهي ليست دالاً يشير إلى مدلولٍ خارجها. بل هي دالٌ ومدلولٌ في عين الوقت. ولا يحلّ محلّها أيّ بديلٍ ءَاخر من المفردات.

ميزان الحركات: دلالة صفة المصدر الاشتقاقيّ من خلال معايرة مظاهر الألف ومواضع دخولها على الألفاظ وتقلّبات صيغ حركاتها. تعاقُب الأصوات هو من يحدّد نوع الحركة وأهدافها واتّجاهها وخصوصيّة دلالات استعمالها، ويعيّن كذلك صفات الصّيغ المُختلفة في جميع الاشتقاقات، من خلال مواكبة الاحتمالات المتنوّعة للعلامات، ودخول الأحرف الخاصّة بالافتعال، والطلب والتّراجع، والتّقليل والتّكثير، والتشديد.

النّسق: يحدّد مدى ترابط المعنى مع نسق الاقتران بين كلمات الجملة والسّياق، في توصيل النّطاق ألتّخاطبي.

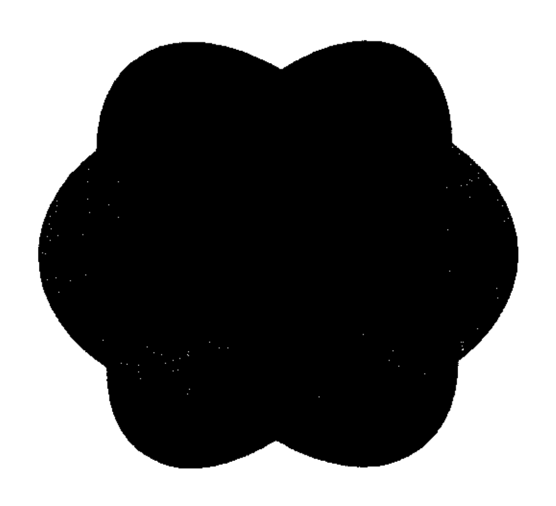
النُطق: يظهر النّطق من خلال كمّيات الحركة المتوالية بين اللّسان والشّفاه والحنجرة وحوض الفم، مكوْنة بذلك الحرف. وهو وفق الدّلالة الحركيّة: مسعى تواصل إضماراً وقصداً لإنشاءٍ تكوينيّ مستوعب ببيان ما هو مُغلق. فإن تمكّنت لفظة ما من إيصال رسائل فكريّة واضحة ودلالات معنويّة بين الأدمغة ووسائل الإدراك؛ أي واصلت بين الجوارح فكراً وأحاسيس، شكّلت نطاق تواصل بينهم. فمهمّة النّطق توصيل المكنوناتَ الفكرية والحسّية بين المتخاطبين.

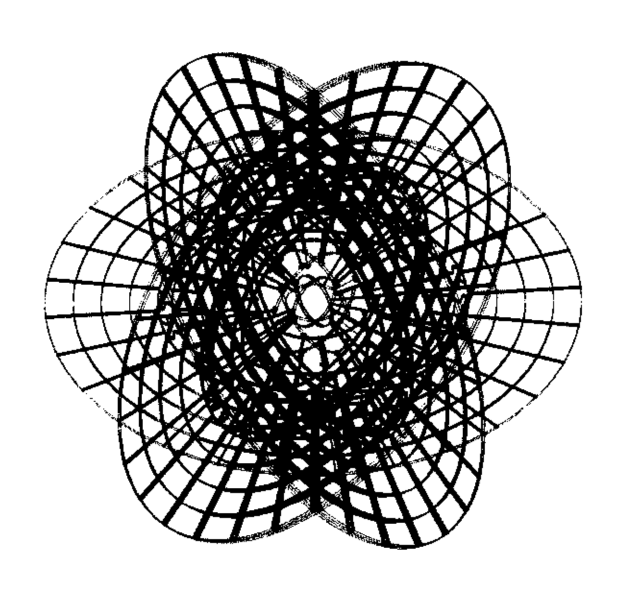
هيئة الصوت: الحرف هو ظهور حركة صوته في هيئة تمايز دلالتها، لأنّ الصّوت حركة تصادم تموّج الهواء؛ لذلك يأتي حدوث الحرف بعد حدوث الصّوت كهيئة له.

الوَحْيُ: توصيل الأفكار من خلال ما يمكن قراءَته من دلالات ءَايات الوجود في المحسوسات والمنظورات والمقاريات التي يمكن استخراجها كقوانين وثوابت يقاس عليها وبها، وهذا ما يلتقي جزئيّاً بما يمكن أن يستخرجه ويعلمه المتلقّي ممّا يصله من قول أو كلام.

رسوم مجسّمة لحركة التآلف والتشكّل بين الحروف

ذكرنا في الفصل الأوّل من الباب الثّاني، بيان نشأة الحروف وحراك تآلفها واختلافها، صفحة ٨٦، من خلال وصف مسطّح (ذو بعدين فقط). نحاول هنا، من خلال بعض الرّسوم، وصف إضافي من خلال مجسّمات ذوات أبعاد ثلاثة متفاعلة حَركيّاً مع متابعة زمكانيّة مستمرّة، وارتباط بالمركز الممتثل بالهمزة وألفها، كما يلي:





جدول اقترانات الحروف لتأليف الثنائي[٣]

١/١			المحور الأفقي يمثّل حركة الزّمن، لتأليف المصدر الثنائي.							
	ا	ب	ج	د	هـ	و	ز	ح	ط	ي
ا	ا ا	ا ب ب ا	ا ج ج ا	ا د د ا	ا ه ه ا	ا و و ا	ا ز ز ا	ا ح ح ا	ا ط ط ا	ا ي ي ا
ب	ب ا ا ب	ب	ب ج ج ب	ب د د ب	ب ه ه ب	ب و و ب	ب ز ز ب	ب ح ح ب	ب ط ط ب	ب ي ي ب
ج	ج ا ا ج	ج ب ب ج	ج	ج د د ج	ج ه ه ج	ج و و ج	ج ز ز ج	ج ح ح ج	ج ط ط ج	ج ي ي ج
د	د ا ا د	د ب ب د	د ج ج د	د	د ه ه د	د و و د	د ز ز د	د ح ح د	د ط ط د	د ي ي د
ه	ه ا ا ه	ه ب ب ه	ه ج ج ه	ه د د ه	هـ	ه و و ه	ه ز ز ه	ه ح ح ح	ه ط ط ه	ه ي ي ه
و	و ا ا و	و ب ب و	و ج ج و	و د د و	و ه ه و	و	و ز ز و	و ح ح و	و ط ط و	و ي ي و
ز	ز ا ا ز	ز ب ب ز	ز ج ج ز	ز د د ز	ز ه ه ز	ز و و ز	ز	ز ح ح ز	ز ط ط ز	ز ي ي ز
ح	ح ا ا ح	ح ب ب ح	ح ج ج ح	ح د د ح	##	ح و و ح	ح ز ز ح	ح	ح ط ط ح	ح ي ي ح
ط	ط ا ا ط	ط ب ب ط	ط ج ج ط	ط د د ط	ط ه ه ط	ط و و ط	ط ز ز ط	ط ح ح ط	ط	ط ي ي ط
ي	ي ا ا ي	ي ب ب ي	ي ج ج ي	ي د د ي	ي ه ه ي	ي و و ي	ي ز ز ي	ي ح ح ي	ي ط ط ي	ي
ك	ك ا ا ك	ك ب ب ك	ك ج	ك د د ك	ك ه ه ك	ك و و ك	ك ز ز ك	ك ح ح ك	##	ك ي ي ك
ل	ل ا ا ل	ل ب ب ل	ل ج ج ل	ل د د ل	ل ه ه ل	ل و و ل	ل ز ز ل	ل ح ح ل	ل ط ط ل	ل ي ي ل
م	م ا ا م	ب م	م ج ج م	م د د م	م ه ه م	م و و م	م ز ز م	م ح ح م	م ط ط م	م ي ي م
ن	ن ا ان	ن ب ب ن	ن ج ج ن	ن د د ن	ن ه ه ن	ن و و ن	ن ز ز ن	ن ح ح ن	ن ط ط ن	ن ي ي ن

(٣) يظهر الجدول احتمالات تأليف المصدر الثنائي ونقيضه، لاستطلاع المعنى من خلال جدليّة التناقض، وقد اكتفينا هنا بإشارة عامّة، ربّما نتمكن أن ناتي بالتفصيل في بحثنا التالي (قراءة في كلام العرب)، إن شاء الله.

	٢/١		المحور العمودي يمثل التعامد المكاني مقابل الأفقي لتمييز التآلف والاختلاف.				
ك	**ل**	**م**	**ن**	**س**	**ع**	**ف**	**ص**
ا ك ك ا	ا ل ل ا	ا م م ا	ا ن م ا	ا س س ا	ع ا ا ع	ا ف ف ا	ا ص ص ا
ب ك ك ب	ب ل ل ب	ب م م ب	ب ن ن ب	ب س س ب	ب ع ع ب	ب ف ف ب	ب ص ص ب
ج ج ك ج	ج ل ل ج	ج م م ج	ج ن ن ج	ج س س ج	ج ع ع ج	ج ف ف ج	ج ص ص ج
د ك ك د	د ل ل د	د م م د	د ن ن د	د س س د	د ع ع د	د ف ف د	د ص ص د
ه ك ك ه	ه ل ل ه	ه م م ه	ه ن ن ه	ه س س ه	ه ع ع ه	ه ف ف ه	ه ص ص ه
و ك ك و	و ل ل و	و م م و	و ن ن و	و س س و	و ع ع و	و ف ف و	و ص ص و
ز ك ك ز	ز ل ل ز	ز م م ز	ز ن ن ز	ز س س ز	ز ع ع ز	ز ف ف ز	ز ص ص ز
ح ك ك ح	ح ل ل ح	ح م م ح	ح ن ن ح	ح س س ح	ح ع ع ح	ح ف ف ح	ح ص ص ح
ط ك ك ط	ط ل ل ط	ط م م ط	ط ن ن ط	ط س س ط	ط ع ع ط	ط ف ف ط	ط ص ص ط
ي ك ك ي	ي ل ل ي	ي م م ي	ي ن ن ي	ي س س ي	ي ع ع ي	ي ف ف ي	ي ص ص ي
ك	ك ل ل ك	ك م م ك	ك ن ن ك	ك س س ك	ك ع ع ك	ك ف ف ك	ك ص ص ك
ل ك ك ل	**ل**	ل م م ل	ل ن ن ل	ل س س ل	ل ع ع ل	ل ف ف ل	ل ص ص ل
م ك ك م	**م ل ل م**	**م**	م ن ن م	م س س م	م غ ع م	م ف ف م	م ص ص م
ن ك ك ن	**ن ل ل ن**	**ن م م ن**	**ن**	ن س س ن	ن ع ع ن	ن ف ف ن	ن ص ص ن

البعد الثّالث تشكيل اللّفظة، وبناء دلالة الكلمات، عند الالتقاء والموافقة. الرّمز (##) يظهر عدم إمكانية الالتقاء بين الحرفين.	٣/١		

ق	ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ	غ
ا ق ق ا	ا ر ر ا	ا ش ش ا	ا ت ت ا	ا ث ث ا	ا خ خ ا	ا ذ ذ ا	ا ض ض ا	ا ظ ظ ا	ا غ غ ا
ب ق ق ب	ب ر ر ب	ب ش ش ب	ب ت ت ب	ب ث ث ب	ب خ خ ب	ب ذ ذ ب	ب ض ض ب	ب ظ ظ ب	ب غ غ ب
ج ق ق ج	ج ر ر ج	ج ش ش ج	ج ت ت ج	ج ث ث ج	ج خ خ ج	ج ذ ذ ج	ج ض ض ج	ج ظ ظ ج	ج غ غ ج
د ق ق د	د ر ر د	د ش ش د	د ت ت د	د ث ث د	د خ خ د	د ذ ذ د	د ض ض د	د ل ل د	د غ غ د
ه ق ق ه	ه ر ر ه	ه ش ش ه	ه ت ت ه	ه ث ث ه	ه خ خ ه	ه ذ ذ ه	ه ض ض ه	ه ظ ظ ه	ه غ غ ه
و ق ق و	و ر ر و	و ش ش و	و ت ت و	و ث ث و	و خ خ و	و ذ ذ و	و ض ض و	و ظ ظ و	و غ غ و
ز ق ق ز	ز ر ر ز	ز ش ش ز	ز ت ت ز	ز ث ث ز	ز خ خ ز	ز ذ ذ ز	ز ض ض ز	ز ظ ظ ز	ز غ غ ز
ح ق ق ح	ح ر ر ح	ح ش ش ح	ح ت ت ح	ح ث ث ح	ح خ خ ح	ح ذ ذ ح	ح ض ض ح	ح ظ ظ ح	ح غ غ ح
ط ق ق ط	ط ر ر ط	ط ش ش ط	ط ت ت ط	ط ث ث ط	ط خ خ ط	ط ذ ذ ط	ط ض ض ط	ط ظ ظ ط	ط غ غ ط
ي ق ق ي	ي ر ر ي	ي ش ش ي	ي ت ت ي	ي ث ث ي	ي خ خ ي	ي ذ ذ ي	ي ض ض ي	ي ظ ظ ي	ي غ غ ي
ك ق ق ك	ك ر ر ك	ك ش ش ك	ك ت ت ك	ك ث ث ك	خ ي ي خ	ك ذ ذ ك	ك ض ض ك	ك ظ ظ ك	ك غ غ ك
ل ق ق ل	ل ر ر ل	ل ش ش ل	ل ت ت ل	ل ث ث ل	خ ي ي خ	ل ذ ذ ل	ل ض ض ل	ل ظ ظ ل	ل غ غ ل
م ق ق م	م ر ر م	م ش ش م	م ت ت م	م ث ث م	م خ خ م	م ذ ذ م	م ض ض م	م ظ ظ م	م غ غ م
ن ق ق ن	ن ر ر ن	ن ش ش ن	ن ت ت ن	ن ث ث ن	ن خ خ ن	ن ذ ذ ن	ن ض ض ن	ن ظ ظ ن	ن غ غ ن

س	س ا ا س	س ب ب س	س ج ج س	س د د س	س ه ه س	س و و س	##	س ح ح س	س ط ط س	س ي ي س
ع	ع ا ا ع	ع ب ب ع	ع ج ج ع	ع د د ع	ع ه ه ع	ع و و ع	ع ز ز ع	##	ع ط ط ع	ع ي ي ع
ف	ف ا ا ف	ف ب ب ف	ف ج ج ف	ف د د ف	ف ه ه ف	ف و و ف	ف ز ز ف	ف ح ح ف	ف ط ط ف	ف ي ي ف
ص	ص ا ا ص	ص ب ب ص	ص ف ف ص	ص د د ص	ص ه ه ص	ص و و ص	##	ص ح ح ص	##	ص ي ي ص
ق	ق ا ا ق	ق ب ب ق	##	ق د د ق	ق ه ه ق	ق و و ق	ق ز ز ق	ق ح ح ق	ق ط ط ق	ق ي ي ق
ر	ر ا ا ر	ر ب ب ر	ر ج ج ر	ر د د ر	ر ه ه ر	ر و و ر	ر ز ز ر	ر ح ح ر	ر ط ط ر	ر ي ي ر
ش	ش ا ا ش	ش ب ب ش	ش ج ج ش	ش د د ش	ش ه ه ش	ش و و ش	ش ز ز ش	ش ح ح ش	ش ط ط ش	ش ي ي ش
ت	ت ا ا ت	ت ب ب ت	ت ج ج ت	##	ت ه ه ت	ت و و ت	ز ت	ت ح ح ت	ت ط ط ت	ت ي ي ت
ث	ث ا ا ث	ث ب ب ث	ث ج ج ث	ث د د ث	ث ه ه ث	ث و و ث	##	ث ح ح ث	ث ط ط ث	ث ي ي ث
خ	خ ا ا خ	خ ب ب خ	خ ج ج خ	خ د د خ	##	خ و و خ	خ ز ز خ	##	خ ط ط خ	خ ي ي خ
ذ	ذ ا ا ذ	ذ ب ب ذ	ذ ج ج ذ	##	ذ ه ه ذ	ذ و و ذ	ذ ز ز ذ	ذ ح ح ذ	##	ذ ي ي ذ
ض	ض ا ا ض	ض ب ب ض	ض ج ج ض	ض د	ض ه ه ض	ض و و ض	##	ض ح ح ض	##	ض ي ي ض
ظ	ظ ا ا ظ	ظ ب ب ظ	ج ظ	د ظ	ظ ه	ظ و و ظ	##	ح ظ	##	ظ ي ي ظ
غ	غ ا ا غ	غ ب ب غ	ج غ	غ د د غ	##	غ و و غ	غ ز ز غ	##	غ ط ط غ	غ ي ي غ

١/٢			أظهر الجدول حالات يتحكّم الحرف الأقوى في بنية الثنائي، بينما الأضعف لا يتمكّن من بدء التسلسل. كما في (ض-د)

س ك ك س	س ل ل س	س م م س	س ن ن س	س س	س ع ع س	س ف ف س	س ص ص س
ع ك ك ع	ع ل ل ع	ع م م ع	ع ن ن ع	ع س س ع	ع ع	ع ف ف ع	ع ص ص ع
ف ك ك ف	ف ل ل ف	ف م	ف ن ن ف	ف س س ف	ف ع ع ف	ف ف	ف ص ص ف
ص ك ك ص	ص ل ل ص	ص م م ص	ص ن ن ص	ص س س ص	ص ع ع ص	ص ف ف ص	ص ص
##	ق ل ل ق	ق م م ق	ق ن ن ق	ق س س ق	ق ع ع ق	ق ف ف ق	ق ص ص ق
ر ك ك ر	##	ر م م ر	ر ن ن ر	ر س س ر	ر ع ع ر	ر ف ف ر	ر ص ص ر
ش ك ك ش	ش ل ل ش	ش م م ش	ش ن ن ش	ش س س ش	ش ع ع ش	ش ف ف ش	ش ص ص ش
ت ك ك ت	ت ل ل ت	ت م م ت	ت ن ن ت	ت س س ت	ت ع ع ت	ت ف ف ت	ت ص ص ت
ث ك ك ث	ث ل ل ث	ث م م ث	ث ن ن ث	ث س س ث	ث ع ع ث	ث ف ف ث	ث ص ص ث
ك خ	خ ل ل خ	خ م م خ	خ ن ن خ	خ س س خ	خ ع ع خ	خ ف ف خ	خ ص ص خ
ذ ك ك ذ	ذ ل ل ذ	ذ م م ذ	ذ ن ن ذ	ذ س س ذ	ذ ع ع ذ	ذ ف ف ذ	ذ ص ص ذ
ض ك	ض ل ل ض	ض م م ض	ض ن ن ض	ض س س ض	ض ع ع ض	ض ف ف ض	ض ص ص ض
ك ظ	ظ ل ل ظ	ظ م م ظ	ظ ن ن ظ	ظ س س ظ	ظ ع ع ظ	ظ ف ف ظ	ظ ص ص ظ
##	غ ل ل غ	غ م م غ	غ ن ن غ	غ س س غ	##	غ ف ف غ	غ ص ص غ

			حيث الالتزام والممانعة في الضاد تندفع إلى أقصى مدى دلالة من خلال
	٢/٢		الدّال، بينما لا يمكن عكس التسلسل إلى (د-ض).

س ق ق س	س ر ر س	س ش ش س	س ت ت س	س ث ث س	س خ خ س	س ذ ذ س	س ض ض س	س ظ ظ س	س غ غ س
ع ق ق ع	ع ر ر ع	ع ش ش ع	ع ت ت ع	ع ث ث ع	ع خ خ ع	ع ذ ذ ع	ع ض ض ع	ع ظ ظ ع	ع غ غ ع
ف ق ق ف	ف ر ر ف	ف ش ش ف	ف ت ت ف	ف ث ث ف	ف خ خ ف	ف ذ ذ ف	ف ض ض ف	ف ظ ظ ف	ف غ غ ف
ص ق ق ص	ص ر ر ص	ص ش ش ص	ص ت ت ص	ص ث ث ص	ص خ خ ص	ص ذ ذ ص	ص ض ض ص	ص ظ ظ ص	ص غ غ ص
ق	ق ر ر ق	ق ش ش ق	ق ت ت ق	ق ث ث ق	ق خ خ ق	ق ذ ذ ق	ق ض ض ق	ق ظ ظ ق	ق غ غ ق
ر ق ق ر	**ر**	ر ش ش ر	ر ت ت ر	ر ث ث ر	ر خ خ ر	ر ذ ذ ر	ر ض ض ر	ر ظ ظ ر	ر غ غ ر
ش ق ق ش	**ش ر ر ش**	**ش**	ش ت ت ش	ش ث ث ش	ش خ خ ش	ش ذ ذ ش	ش ض ض ش	ش ظ ظ ش	ش غ غ ش
ت ق ق ت	**ت ر ر ت**	**ت ش ش ت**	**ت**	ت ث ث ت	ت خ خ ت	ت ذ ذ ت	ت ض ض ت	ت ظ ظ ت	ت غ غ ت
ث ق ق ث	**ث ر ر ث**	**ث ش ش ث**	**ث ت ت ث**	**ث**	ث خ خ ث	ث ذ ذ ث	ث ض ض ث	ث ظ ظ ث	ث غ غ ث
خ ق ق خ	**خ ر ر خ**	**خ ش ش خ**	**خ ت ت خ**	**خ ث ث خ**	**خ**	خ ذ ذ خ	خ ض ض خ	خ ظ ظ خ	خ غ غ خ
ذ ق ق ذ	**ذ ر ر ذ**	**ذ ش ش ذ**	**ذ ت ت ذ**	**ذ ث ث ذ**	**ذ خ خ ذ**	**ذ**	ذ ض ض ذ	ذ ظ ظ ذ	ذ غ غ ذ
ض ق ق ض	**ض ر ر ض**	**ض ش ش ض**	**ض ت ت ض**	**ض ث ث ض**	**ض خ خ ض**	**ض ذ ذ ض**	**ض**	ض ظ ظ ض	ض غ غ ض
ظ ق ق ظ	**ظ ر ر ظ**	**ظ ش ش ظ**	**ظ ت ت ظ**	**ظ ث ث ظ**	**ظ خ خ ظ**	**ظ ذ ذ ظ**	**ظ ض ض ظ**	**ظ**	ظ غ غ ظ
غ ق ق غ	**غ ر ر غ**	**غ ش ش غ**	**غ ت ت غ**	**غ ث ث غ**	**##**	**غ ذ ذ غ**	**غ ض ض غ**	**##**	**غ**

			فدال الاندفاع تلزمها الضاد بالتوقّف عند حدودها. وقد ميّز بصيغة واحدة لا بعكسها، وقد ميّزناها بتغيير فونت الحرف.
		٣/٢	

الجدول الإجمالي لاقترانات الحروف، كما تظهره الصّفحات السّابقة

مراجع ومصادر البحث

القرءان الكريم

الإنجيل

ابن أبي طالب، الإمام علي: نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، دار المعرفة للطباعة والنّشر بيروت، نسخة غير مؤرّخة.

ابن جنّي، أبي الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق محمد علي النّجار، دار الكتب المصرية، ودار الهدى للطباعة والنشر- بيروت، الجزء الأوّل.

ابن جنّي، أبي الفتح عثمان: سرُّ صنَاعة الإعْراب. تحقيق حسن هنداوي، دار القلم- دمشق ط ١، ١٩٨٥م.

ابن خلدون، عبد الرّحمن: مُقدّمة كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر. المطبعة الخيرية، القاهرة ١٣٢٢هـ.

ابن درستويه، عبد الله بن جعفر: كتاب الكتاب، تحقيق إبراهيم السّامرائي، و عبد الحسين الفتلي، دار الجليل، بيروت، ١٩٩٢م.

ابن دريد، أبي بكر محمد بن الحسن: تحقيق عبد السّلام هارون، دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

ابن سهل العسكري، أبي هلال الحسن بن عبد الله، كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٢م.

ابن سيده أبو الحسن، علي بن إسماعيل المرسي: المحكم والمحيط الأعظم سنة الولادة ؟، سنة الوفاة ٤٥٨هـ، تحقيق عبد الحميد هنداوي، النّاشر دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م عدد الأجزاء ١١.

إبن سينا، الشيخ الرئيس أبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا، رسالة أسباب حدوث الحروف، تحقيق محمد حسّان الطيّان، يحيى مير علم، مطبوعات مجمع اللّغة العربية بدمشق، وتقديم شاكر الفحّام، في ١٧\١٢\١٩٨٢م.

ابن عربي: محي الدين: الفتوحات المكيّة، تحقيق عثمان يحيى، ومراجعة إبراهيم مدكور، المجلس الأعلى للثقافة بالتعاون مع معهد الدراسات العليا بالسّوربون، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥م.

ابن فارس، أبو الحسين احمد بن زكريا: معجم مقاييس اللّغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون،اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٢م.

ابن فارس، أحمد بن زكريا: الصّاحبي في فقه اللّغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق أحمد حسن بسبج، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م.

ابن قتيبة، أبو عبد الله بن مسلم: أدب الكاتب، تحقيق محب الدين الخطيب، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٣٤٦هـ.

ابن كثير، عماد الدّين أبو الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي: تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٩م، الجزء الرابع.

ابن هشام، الإمام أبي عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله الأنصاري المصري، مغنى اللّبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، غير مؤرّخ.

الأرسوزي زكي نجيب، المؤلفات الكاملة، مطابع الإدارة السياسية للجيش والقوات المسلحة، دمشق، ١٩٧٢م المجلد الأوّل.

الأرضي، مبارك، المعجم الأمازغي الوظيفي، عربي أمازيغي، مطبعة النّجاح الجديدة الدّار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٨م،

الأزهري، ابو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللّغة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م.

الألوسي، محمد شكري البغدادي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، تحقيق محمد بهجه الأزي، الجزء الأوّل، دار الكتب العلمية، بيروت.

الأنباري، كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد، أسرار العربيّة، تحقيق بركات يوسف هبّود، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت ١٩٩٩م.

الأندلسي، أحمد بن محمد: العقد الفريد، تحقيق مفيد قمحيّة، مكتبة المعارف، الرّياض.

الأوراغي، محمد: نظرية اللّسانيات النسبية، دواعي النّشأة، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٠م.

البغدادي، أبو إسماعيل بن القاسم القالي، متوفى سنة٣٥٦هـ، البارع في اللّغة، تحقيق هاشم الطّعان، مكتبة النهضة بغداد، دار الحضارة العربية- بيروت، ١٩٧٥م..

البغدادي، أبي بكر محمد بن سهل بن السّراج النحوي، الأصول في النحو، مؤسسة الرسالة الطبعة الثالثة، ١٩٨٨- بيروت تحقيق: د.عبد الحسين الفتلي ثلاثة أجزاء.

البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة.

البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٣٤٧هـ، ١٩٢٩م.

البيّومي، احمد عبد التّواب: الأضاد في اللّغة العربية، دراسة صوتية، كلية اللّغة العربية، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٩١م.

الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد، فقه اللّغة وسرّ العربيّة، تحقيق املين نسيبن، دار الجيل، بيروت. ١٩٩٨م.

الجاحظ، عمرو بن بحر: البيان والتبيين، تحقيق فوزي عطوي، الشركة اللّبنانية للكتاب، بيروت، ١٩٦٨م.

الجرجاني، عبد القاهر: أسرار البلاغة في علم البيان، تصحيح الإمام محمد عبده، وتعليق محمد رشيد رضا، دار المعرفة بيروت، ١٩٨٢م.

الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز، دار الكتاب العربي، بيروت، تحقيق: د.محمد التنجي، الطبعة الأولى، ١٩٩٥.

الجرجاني، علي بن محمد الشريف. كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٥م.

الجنابي، أحمد نصيّف: المقصور والممدود لابن ولاد وأثره في الحركة اللغويّة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن ٢٠١٠م.

الجوهري، اسماعيل بن حمّاد: الصحاح تاج اللّغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطّار. دار العلم للملايين، بيروت.

الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حمّاد: الصحاح تاج اللّغة وصحاح العربية، مراجعة محمد أحمد تامر، أنس محمد الشامي، زكريا جابر أحمد، دار الحديث القاهرة،٢٠٠٩م.

الحشاش، عبد الكريم عيد: معجم الألفاظ المحكية في البلاد العربية، مكتبة الأقصى، دمشق، ٢٠٠٧م.

الحصني، إياد: معاني الأحرف العربيّة، النّاشر مجهول، طباعة دار الجمهورية للطباعة (بيتموني وشركاه) ٢٠٠٦م.

الحمد، على توفيق: تحقيق كتاب حروف المعاني- عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار الأمل، إربد الأردن، ١٩٨٦م.

الحملاوي، الشيخ أحمد: شذا العرف في فن الصّرف، دار القلم، بيروت، لبنان.

الخطيب، عدنان: المعجم العربي بين الماضي والحاضر، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٧م..

الدّقاق،عمر: مصادر التراث العربي في اللّغة والمعاجم والأدب والتراجم، ط٢ بيروت ١٩٧٢م.

الدومنكي، الأب أس مرمجي: المعجمية العربية على ضوء الثنائية والألسنية السامية، الصادر من مطبعة الآباء الفرنسيين في القدس، ١٩٣٧م

الرّافعي، مصطفى صادق: تاريخ آداب العرب مراجعة عبد الله المنشاوي ومهدي البحقيري، مكتبة الإيمان، مصر. غير مؤرّخ.

الريحاني، أمين البرت، لغات عربية، دار الجديد، ١٩٩٤م.

الزّجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق، كتاب حروف المعاني، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت.

الزّمخشري، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر: المفصّل في علم العربيّة، الطبعة الثانية، دار الجيل، بيروت.

الزّمخشري، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر: أساس البلاغة، دار صادر، ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٥م.

الزجّاج، أبو إسحاق، إبراهيم بن السري بن سهل: فعلت وأفعلت، تحقيق ماجد حسن الذهبي، الشركة المتحدة للتوزيع،

الزعبي، آمنة صالح: التغير التاريخي للأصوات في اللغة العربية واللّغات الساميّة، دار الكتاب الثقافي، إربد، الأردن، ٢٠٠٨.

السامرائي، إبراهيم: في شعاب العربيّة، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق

السَّمرائي[1]**، إبراهيم:** التطوّر اللّغوي التاريخي، دار الأندلس، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م.

السّفرجلاني، محمد أديب: القطوف الدانية في العلوم الثمانية، مطبعة نظارة المعارف العمومية في ولاية سورية، ٩ رجب ١٣١٣هـ.

السّيوطي، عبد الرحمن بن جلال الدين: المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، شرح وضبط محمد أحمد جاد المولى، على محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيّة، ١٣٢٦هـ.

السكّري، أبي سعيد الحس بن الحسين: شرح أشعار الهذليين، تحقيق عبد السّتّار أحمد فراج، مكتبة دار العروبة، القاهرة، غير مؤرّخ.

السيوطي، جلال الدين: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٩٨م.

الشريف الرّضي: تلخيص البيان في مجازات القرآن، تحقيق محمد عبد الغني حسن، دار إحياء الكتب العربيّة، القاهرة ١٩٥٥م.

الصّالح صبحي: دراسات في فقه اللّغة، دار العلم للملايين-بيروت، الطبعة السّادسة ٢٠٠٩م.

الصّالح، محمد أحمد: الاقتراض اللّغوي بين الضرورة والانقراض، دار كيوان، دمشق، ٢٠١١م.

العلايلي، الشيخ عبد الله- المعجم – دار الجديد الطبعة الثالثة، ١٩٩٧م.

العلايلي، الشيخ عبد الله، مُقدّمة لدرس لُغة العرب، وكيف نصنع المعجم الجديد، دار الجديد، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٧م.

(١) ورد الإسم هكذا في أعلى الغلاف، وفي داخله، وهو يختلف عن السّامرّائي المنسوب إلى سامرّاء العراق كما في المرجع السّابق، ويبدو أنه هو الدكتور إبراهيم السّامرّائي صاحب المؤلفات والأبحاث اللّسانية العديدة، كما ذكرها عبد السّلام المسدي في «مراجع اللّسانيات» الدّار العربية للكتاب، ١٩٨٩م.

الغلاييني، الشيخ مصطفى: الدروس العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م.

الفارابي، أبو نصر: كتاب الحروف، تحقيق وتقديم محسن مهدي، دار المشرق- بيروت، ١٩٩٠ ، طبعة ثانية.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد: كتاب الجمل في البحث، الطبعة الخامسة، ١٩٩٥ تحقيق: د. فخر الدين قباوة.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد: كتاب العين- سلسلة المعاجم والفهارس- تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السّامرائي.

القَلْقَشَنْدي المصري أبو العباس أحمد بن علي: صُبْح الأعْشَى في صناعة الإنشا. الجزء الثالث.

القصيمي، عبد الله: العرب ظاهرة صوتية، منشورات الجمل، كولونيا، المانيا،٢٠٠٢م.

القلعة، خالد آغا: السِّيرة المفتوحة للنصوص المغلقة، الجزء الأوّل دار كنعان- دمشق، ١٩٩٨م، والجزء الرابع ٢٠٠٤م

الكردي، محمد بن طاهر بن عبد القادر الخطاط، تأريخ الخط العربي وآدابه، المطبعة التجارية الحديثة بالسكاكيني، القاهرة، ١٩٣٩م

المبرّد، أبي العباس محمد بن يزيد: الكامل في اللّغة والأدب، تحقيق إبراهيم بن محمد الدّلجموني، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، ميدان الأزهر بمصر، ١٣٤٧هـ.

المبرّد، أبي العباس محمد بن يزيد: الكامل في اللّغة والأدب، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٩٨٥م.

المسدي، عبد السّلام: ما وراء اللّغة، بحث في الخلفيات المعرفية، منشورات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، تونس ١٩٩٤م.

المسدي، عبد السّلام: اللّسانيات وأسسها المعرفية، الدّار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر، ١٩٨٦.

المسدي، عبد السّلام: مراجع اللّسانيات، الدّار العربية للكتاب، ١٩٨٩م.

المصري، عبد الرّؤوف (ابو رزق): معجم القرءان، مطبعة حجازي، طبعة ثانية، ١٣٦٧هـ، ١٩٤٨ م.

النّويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب: نهاية الأرب في فنون الأدب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة، غير مؤرّخة.

النّيلي، عالم سُبيط: اللّغة الموحدة، دار المحجّة البيضاء، بيروت طبعة أولى ٢٠٠٨م.

الهاشمي، أحمد: جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، مصر ١٩٦٥م..

انيس، إبراهيم: الأصوات اللّغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٢م.

انيس، إبراهيم: دلالة الألفاظ ، مكتبة الأنجلو المصرية، طبعة ثانية ١٩٦٣م.

أولمان، ستيف: دور الكلمة في اللّغة، ترجمة كمال محمد بشر، مكتبة الشباب القاهرة ط٤، ١٩٧٥م.

إبراهيم، علي نجيب: جماليات اللّفظة بين السّياق ونظرية النّظم، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق، الطبعة الثانية ٢٠٠٤م.

إخوان الصّفاء وخلان الوفاء، رسائل إخوان الصّفاء وخلان الوفاء، دار صادر، دار بيروت، ١٩٥٧.

تشومسكي، نعوم: ماذا يريد العم سام، ترجمة عادل المعلم، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٨.

توفيق أبو علي، محمد: عالم العروض ومحاولات التجديد- دار النفائس بيروت (آب) ١٩٩٢م.

جنبلاط، كمال: الجدليّات «فلسفة العقل المتخطي فلسفة التغيير»، تحقيق خليل أحمد خليل، وسوسن النّجار نصر، الدّار التقدمية، المختارة، لبنان. ٢٠٠٣م.

جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الأوّل، جامعة بغداد .طبعة ثانية ١٩٩٣..

حانه، ماجدة توماس: اللّغة والاتصال في الخطاب متعدّد المعاني، كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م.

حجازي، محمود فهمي: علم اللّغة العربية، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٣م.

حنون، نائل: دراسات في علم الآثار واللّغات القديمة، جزءان، هيئة الموسوعة العربية، دمشق ٢٠١١.

داغر، أسعد خليل: تذكرة الكاتب، سلسلة اللّغة والأدب، دار الرائد العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٣م.

داوود أحمد: تاريخ سوريا القديم ١- المركز، دار المستقبل، دمشق،١٩٩٤م.

رضا، الشّيخ أحمد، عضو المجمع اللّغوي في دمشق: مولد اللّغة، تقديم نزار رضا، دار الرّائد العربي بيروت، ١٩٨٣م.

زرقة، أحمد: ميزان الألف العربية، مطبعة العجلوني، الأردن، إصدار ١٩٩٠.

زيدان، جرجي: الفلسفة اللّغويّة والألفاظ العربية، مطبعة الهلال، مصر، طبعة ثانية ١٩٠٤م.

زيدان، جرجي: تاريخ اللّغة العربيّة- خاضع لناموس الارتقاء باعتبار أنّها كائن حي نام، تقديم عصام نور الدين، دار الحداثة، بيروت، ١٩٨٠م.

سعد، محمد توفيق محمد: نظرية النّظم وقراءة الشّعر عند عبد القاهر الجرجاني، اتحاد الكتاب العرب.

سلطان، فاضل: الهندسة في القرءان، علم التكوين، واسم الله الأعظم، مركز الدّراسات المتقدّمة، دمشق، ٢٠٠٤م.

سلمان، عدنان محمد: دراسات في اللّغة والنحو، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، ١٩٩١م.

سليمان عامر: اللّغة الأكّديّة، الدّار العربية للموسوعات، بيروت ٢٠٠٥م.

سوسة، أحمد: تاريخ العرب واليهود، العربي للإعلان والنشر والطباعة، طبعة ثانية، ١٩٧٣م.

سوسير، فرديناند: محاضرات في علم اللّسان العام، ترجمة، عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق- المغرب، الدّار البيضاء، ٢٠٠٨م.

سيبويه، أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة.

شامي، أحمد جميل: معجم حروف المعاني، مؤسسة عز الدين، بيروت، ١٩٩٢م.

طحّان، ريمون، وطحّان دنيز بيطار: فنون التقعيد وعلوم الألسنية، منشورات دار الكتاب اللّبناني بيروت، ١٩٨٣م.

عَلويّة، نعيم: بحوث لسانية بين نحو اللّسان ونحو الفكر، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، طبعة ثانية،١٩٨٦م.

عَلويّة، نعيم: نحو الصّوت ونحو المعنى، المركز الثقافي العربي،١٩٩٢م.

عَنبر، محمد: جدليّة الحرف العربي وفيزيائيّة الفكر والمادّة، دار الفكر، دمشق، طبع أولى ١٩٨٧م.

عبّاس، حسن: حروف المعاني بين الأصالة والحداثة، إتحاد الكتاب العرب، دمشق ٢٠٠٠م.

عبّاس، حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨م.

عبد التّواب، رمضان، فصول في فقه العربيّة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٠م

عبد النور، جبور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت. ط ٢، ١٩٨٤م.

عقل، محمد، (أبجدية القرءان من مملكة سبأ)، دار المحجّة البيضاء بيروت، ٢٠٠٨م.

عوض، لويس: مقدمة في فقه اللّغة العربية، سينا للنشر، القاهرة، طبعة ثانية، ١٩٩٣م.

غيمانوفا، الكسندرا: علم المنطق، دراسة تجلّيات جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر : كتاب اللّغة والمعنى. الدار العربية للعلوم، بيروت، ط ١، ٢٠١٠م.

فرحات، جرمانوس المطران: كتاب الصرف، الجزء الأوّل، المطبعة اللبنانية بعبدا، سنة ١٩٠٠.

فريحة، أنيس: ملاحم وأساطير من أوغاريت (رأس الشمرا)، دار النهار للنشر، ١٩٨٠.

فريحة، أنيس: نظريات في اللّغة، دار الكتاب اللّبناني، بيروت، ١٩٨١.

فهري، فاسي: المعجمة والتوسيط، المركز الثقافي العربي، بيروت، والدّار البيضاء، ١٩٩٧م.

قسول ثابت: في اللّغة والمعنى، تحقيق مخلوف سيد أحمد، الدّار العربية للعلوم، ط١، ٢٠١٠..

قطريب، حسن: مفاتيح اللّغة، بيرق للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠١٠م.

كانتنيو، جان: دروس في علم أصوات العربية، ترجمة صالح القرمادي، الجامعة التونسية مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، ١٩٦٦م.

كرّوم، أحمد: الاستدلال في معاني الحروف، دار الكتب العلمية، بيروت، إصدار ٢٠٠٩م، طبعة أولى.

لوكان، مارسيل: الإنسان ولُغته، من الأصوات إلى اللّغة (الكلام) ترجمة ماري شهرستان، صفحات للدّاسات والنّشر، دمشق، ٢٠٠٧م.

مادون، محمد علي: خط الجزم ابن الخط المسند، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، طبعة أولى ١٩٨٩.

مخلوف سيد أحمد: اللغة والمعنى، مقاربة في فلسفة اللّغة، تأليف عدد من الباحثين، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط١، ٢٠١٠م.

معروف مصطفى، كتاب، اللّغة والمعنى، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر.

نور الدين، عصام: زكي نجيب الأرسوزي، حياته وآراؤه في السّياسة واللّغة.

هوكنج، ستيفن: الكون في قشرة جوز، ترجمة مصطفى إبراهيم فهمي، منشورات عالم المعرفة، كتاب رقم (٢٩١)، ٢٠٠٣م.

هوكنج، ستيفن: موجز في تاريخ الزمان ترجمة عبد الله حيدر، أكاديميا، ١٩٩٠م

ولفنسون، إسرائيل أبو ذؤيب: تاريخ اللّغات السّاميّة، دار القلم، بيروت، ١٩٨٠م.

دوريات ومواقع

موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت طبعة أولى ١٩٩٥م.

الموسوعة العربية العالمية / ١٠،

الموسوعة الشّعرية، المجمع الثقافي العربي، ٢٠٠٣

مجلة العصر، مجلة علمية نصف سنوية، تصدر عن دار المريخ- لندن، المجلد الثاني عشر، الجزء الثاني، يونيو ٢٠٠٢م.

مجلة الدارة، مجلة فصلية تصدر عن دارة الملك عبد العزيز- الرياض، العدد الثاني ١٤١٨هـ، السنة الثالثة والعشون، والعدد الأوّل ١٤١٩هـ،

مجلة جامعة الملك سعود - المجلد السادس، كلية الآداب، الرياض ١٤١٤هت، ١٩٩٤م. ومجلد ١٧ ، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

فهرس اللّوحات والرّسوم الإرشاديّة

اسم اللّوحة والمخطّط	رقم الصّفحة
شجرة الخط العربيّ الجديدة	٤
تطوّر الخط العربيّ عبر التاريخ	٩
رسم مدارج الحروف	٣٥
رسم المزمار والوترين الصوتيين	٣٦
رسم مدارج اللّسان	٣٧
رسم اللّهاة	٣٨
لوحة إبن النّديم (نموذج القلم الحميريّ)	٥٥
رسم جدول ماندليف للعناصر الكيماويّة	٦٦
مخطّط نشأة حروف الأبجديّة	٨٥
مخطّط مدارج ومعارج حركة الحروف	٩٣
جدول كتابة حروف اللّغات القديمة	٢٠٦
تطوّر صور حروف الأبجديّة من العمودي إلى الأفقي	٢٠٧
تطور الخط العربي عبر التاريخ	٢١٠
جدول الأبجديّة الأمازيغيّة	٢١٢
مخطط حروف الأبجديّة من التشكيل إلى الترميز الأفقي(الإنسان)	٢١٨
رسوم مجسّمة لحركة التآلف والتشكيل بين الحروف	٦٢٣
جدول اقترانات حروف الأبجديّة	٦٢٥

فهرس المحتويات